تاريخ الثورة السورية



محي الدين السفرجلاني

الدكتور
محي الدين السفرجلاني
من جامعة باريس ومصر

تاريخ الثورة السورية

صفحات خالدة من روائع كفاح العرب في سبيل الحرية
والاستقلال والوحدة هي للاستعمار الفرنسي صحائف سوداء

يرصد قسم من ريعه لنصرة عرب الجزائر الابطال في كفاحهم ضد الاستعمار

دم الثوار تعرفه فرانسا   وتعلم انه نور وحق
بلاد مات فتيتها لتحيا   وزالوا دون قومهموا ليبقوا
وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق
« أحمد شوقي »

مطبعة الثبات — دمشق
١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م

(لغزوة في سبيل الله خير من الدنيـا وما فيهـــا)

« حديث شريف »

الاهداء

رجال الحرية في كل قطر وفي كل مصر ، وابطال التضحية في كل صقع وفي كل حقل ، هم اهل هذا الكتاب وذووه .

فالى سافكي اولى القطرات من الدم في سبيل الحرية .

والى منتضي اول سيف في وجه العبودية .

والى محطمي قيود الاضطهاد والاستعباد ، والاستعمار ، من أي عرق او شعب او مذهب .

الى حملة مشاعل النور في المعمور .

الى رافعي لواء الحياة الصحيحة في الشرق والغرب ....

ارفع هذا الكتاب ....

المؤلف الدكتور :

محي الدين عبدالرحمن السفرجلاني

دمشق (المهاجرين : شورى هاتف : ١٣٩٤٣)

كلمة المؤلف

انا مـذ كنت يافعاً كان همي — في طلاب العليـاء والامجاد
ابذل الروح والنفيس من المـا — ل وامشي كما مشى اجدادي
ما ابالي لقيت من عنت الدهـ — ـر صنوفاً ومن جراح الجهاد
زادي الصبر في قراع الليالي — واحتمـال الأذى لمجـد بلادي
عرف الدهر من شبابي كفاحي — ورأى في المشيب صدق جلادي
شيمة دابهـا العلى لم تبـدل — وفـؤاد اكـرم به من فـؤاد
فادع من ضل عن فداء بلادي — اين صدق الهوى وحق الوداد
نحن ان لم نمت فـداء الاماني — غاب عن خطونا سبيل الرشاد

الدكتور محي الدين السفرجلاني



(المؤلف)



الزعيم العربي الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن شهبندر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بقلم الزعيم العربي الكبير المغفور له الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في هذا المدون النفيس طرف من الحديث الطويل عما قامت به سورية في نهضتها الحاضرة من الاعمال الوطنية المجيدة . واذا كانت الاقاصيص المنتشرة في الكتب الروائية عن اعمال الجبابرة المتقدمين هي من أساطير الاولين فان الوقائع المدونة في هذا السفر الذي جمع شتاته الاستاذ المفضال الدكتور محي الدين السفرجلاني هي من المدونات التاريخية التي لا يزال الناس الذين راوها بعيونهم ، وسمعوا احاديثها بآذانهم يترنمون بها كأنها آيات في البطولة محكمة واعلاق في الوطنية تتهاداها المتاحف الفنية .

ما الذي حدث من الملهمات وطرا من الطوارىء ، حتى نرى هذه النفائس النادرة ، تعرض في الاسواق بابخس الاثمان ، ويتنازل عنها من يدعون ارثها ، كانها من سقط المتاع ؟! لم هذا التسابق يا ترى الى الاسواق الخارجية وفتح باب بيعها بطريق المناقصة العلنية حتى كاد عابر السبيل يظن أن سورية فقدت كل شيء ، فلم يبق فيها رمق ، مما حملها على التنازل عن آخر حصصها من التراث الغالي وبيع تلك البقية الباقية مما اصابها من المجد ...

ليس ثمة حاجة لا بسيطة ولا اضطرارية وانما طمع بعض ابنائها في الخلود على منصة الحكم ، وحرصهم على التصرف في موارد الدولة ، وقد استولى هذا الطمع على النفوس حتى فقد الوازع الاخلاقي كل سلطة واصبحت الشهوات مسيطرة كأنها السلطان المطلق في القرون المظلمة . ومتى تفككت العرى بين القلب واللسان واليد ، واصبحت النيات والاقوال والاعمال طليقة من قيود الدقة ، وحدود التبعة ، تدنى الفرد ، وانحط المجتمع ، واصبحت الجماعات البشرية عصابات من القردة !!...

ولتسجيل هذه الاحداث في المدونات فائدة كبرى تمكن المتتبع من درس النهضات الوطنية درسا مقارنا تتجلى فيه الفضائل التي تتحلى بها كل أمة في نهضتها والنقائص التي تعيبها .

ولا مراء في ان سورية وهي البلاد التي فقدت استقلالها منذ مئات السنين وتوالت عليها المصائب المتنوعة وآخرها هذه الحرب العامة التي احرقت الاخضر واليابس قد اظهرت من العلائم الحيوية الدالة على شغفها بالاستقلال ، ما كان مثلا من الامثال ، فهي لم تكن دولة ذات سيادة مسلحة يوم اعلنت تمردها على الدولة العثمانية ، وقد تحملت انواع الاذى والاضطهاد من الاتحاديين بصدر رحب ، فلما جاء الاحتلال الاوروبي لم يدهشها بسلاحه - بمدافعه ودباباته وطائراته - ولم ترعها العظمة المنفوخة التي طاطأ لها دعاة الهزيمة رؤوسهم بل تقدمت نحو مثلها الاعلى في الحرية بقدم ثابتة وقلب مفعم بالايمان .

ان ما اظهرته سورية في هذا المضمار يعد معجزة من معجزات النضال الوطني الحديث ولا يحق لامة من الامم لا في الشرق ولا في الغرب ان تدعي انها بمثل وسائل السوريين المادية البسيطة التي توسلوا بها ، والعقبات الخارجية العظيمة التي وقفت في سبيلهم ، استطاعت ان تحمي حوزتها وتدافع عن بنيانها كما دافعت سورية . ولكن والحق يقال ، لم يدر في خلد

احد ممن عانوا الشؤون العامة ان هذا السمو في الاهداف ، وهذا الجهد في الوسائل ، وهذا الاباء في المواقف قد انحط في العهد الاخير حتى صار نوعا من التسول ، بل لا نغالي اذا نحن قلنا ان الفهم المقلوب الذي يقود هذا الخنوع صار يعد استسلام الفئة الرخوة مرونة وكياسة ، وتمنع الحرة الشريفة رعونة وعنادا ، كان تنازل المرء عن اقدس حقوقه عمل يحتاج الى مواهب عقلية خارقة .

الى هذه الدرجة انحطت المقاييس عند بعض الناس ويتجلى هذا الانحطاط متى تذكرنا سمو الاهداف التي كنا وضعناها نصب عيوننا وجعلناها المثل الاعلى المحتذى فقد طلبنا امة عظيمة تتجاوز عشرات الملايين ، وصحنا من على سدود المشانق بحوزة تمتد من المحيط الى المحيط ولكننا تنزلنا ونحن على مائدة المفاوضات حتى قبلنا المساومة على اربع واحات — دمشق وحمص وحماة وحلب ، وقبلنا لهذه الواحات احتلالا دائما واشرافا ماليا دائما ، وادارة لا مركزية مفسخة دائمة ، وحقوق اقليات تجعل الاكثريات على شفا جرف هار ، ناهيك بما بيع من الثروة الباطنية والظاهرية بيع السماح . وقد قال القائلون بعدما هزلت الوطنية هذا الهزال واصبح الوطن السوري اصغر من مديرية في وادي النيل لم تعد هذه القضية اهلا للخدمة الجليلة ، وان النفس الابية لا تجد في ميدانها متسعا للجولات العظيمة ...

ولئن كان التاريخ عندنا في السنين الاخيرة عبارة عن تدوين وقائع لا ضابط لها وذكر احداث لا تفسير لها فان في هذا السفر سعيا حثيثا لتعليل الوقائع وضبطها بالعوامل الطبيعية من مادية ومعنوية وهذا ما يجعل للكلام قيمة يقدرها القراء حق قدرها ، وعلاوة على ذلك فقد وصف المؤلف التاريخ بقوله : —

« انـه هو الفن الذي يصور الفذلكة التاريخية لا الذي يسرد الوقـائـع سردا محكماً يأخذ بالالبـاب ، ويخلب المشاعر والحواس ، وهو الذي يضـم بين دفتيـه مجموعـة فكر ، ومصورات حربية اخلاقيـة علمية فنيـــة ، يستطيع مطالعها ان يجد فيها ما يريد من علم واسع الافق شـاسع الجـو بعيــد المحيط » .

ولما بلغ الثـورة السـورية ، ذكر اسبابها القريبة والبعيدة وشرح تاريخ سـورية القديم والحديث ، ووحدتها الجغرافية والعنصرية ، وخصائصهـا الطبيعية واسباب ثورانهـا وسكونهـا منذ القـديم الى اليوم ، وايـد اقواله بحجج دامغـة وبراهين ساطعـة ، جريـا على ما اتفق عليـه المؤرخـون والـكتاب ...

واخبـار هـذا الكتاب كلها اخبار صحيـحة مستقاة من المراجع الموثوق بهـا ، وفائدتـه انـه يطلع النشء الحديث علـى صفحات ثمينة من تاريـخ جهاد شعبهم العربي وقد سد فراغا كبيرا يشعر بالحاجة اليه كل من تهمـه اخبار النهضة العربية عامة ، والنهضة السورية خاصـة ، ولمؤلفه الاسـتاذ الاديب النابغ الدكتور محي الدين السفرجلاني جزيل الشكر وعظيم التقدير .

دمشـق ٢٨ كانون الاول سـنة ١٩٣٨ — عبد الرحمن الشهبندر

كلمات المجاهدين العرب الاحرار

مرتبة على حروف الهجاء

كلمة المجاهد العربي الكبير دولة جميل المدفعي

عزيزي الدكتور محي الدين السفرجلاني المحترم

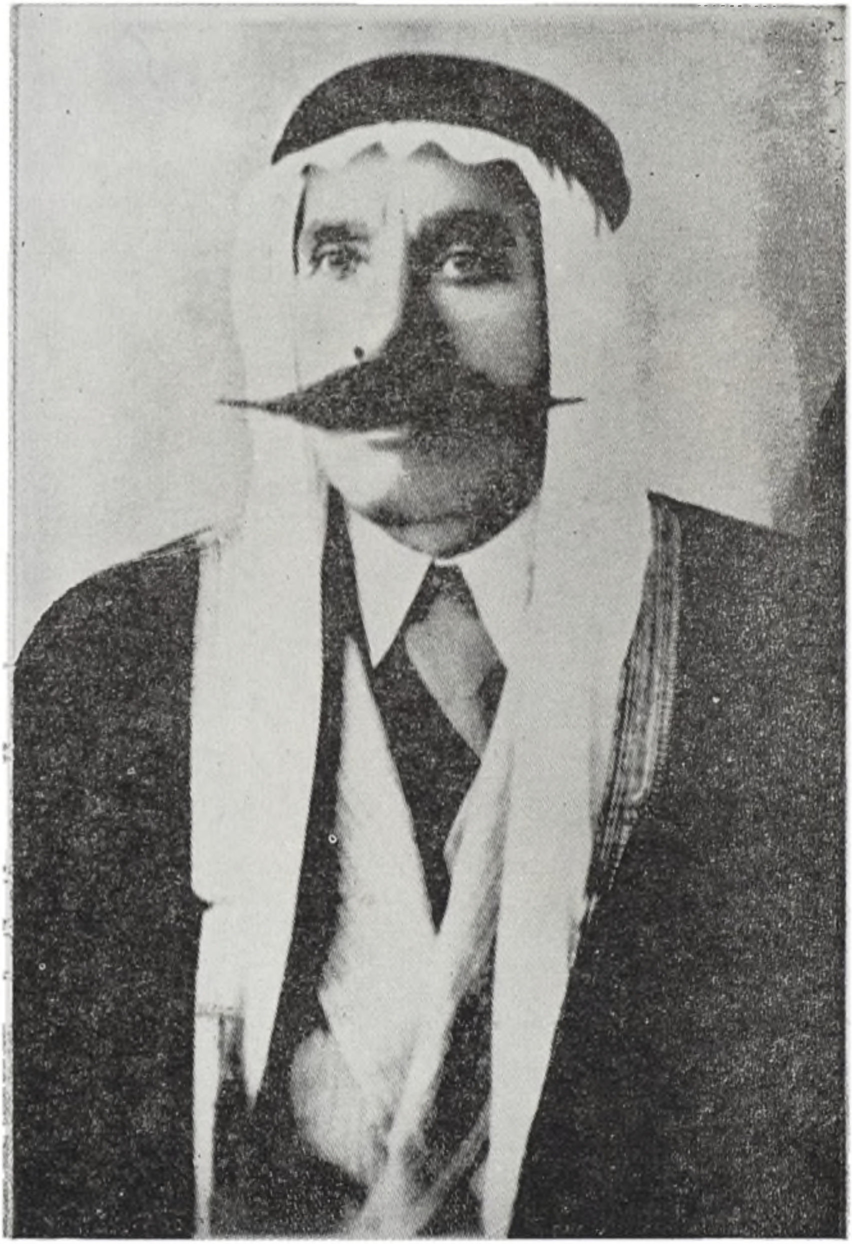
بعد التحية ومزيد الاحترام يؤسفني تأخري في الاجابة على كتابكم بسبب انحراف صحتي .

ولقد تصفحت مؤلفكم « تاريخ الثورة السورية » فوجدته بالنظر لمحتوياته القيمة ، ووقائعه الثمينة من احسن ما يكتب في بابه . فالله اسأل ان يجعل التوفيق حليفكم في خدماتكم المبرورة . والسلام عليكم .

المخلص

جميل المدفعي

بغداد ٢٢ نيسان ١٩٢٩



عطوفة قائد الثورة السورية العام سلطان باشا الاطرش

كلمة عطوفة قائد الثورة السورية العام سلطان باشا الاطرش

دون كثير من المؤرخين في الكتب حوادث الثورة السورية ووقائعها واخبارها ، ولم يخرج كل ماكتب عن التحزب لحزب من الاحزاب أو الانحياز لفئة من الناس دون اخرى ، واخيرا قام المؤرخ العربي الكبير الدكتور محي الدين السفرجلاني بتأليف كتاب عن الثورة السورية وتاريخها أسماه «تاريخ الثورة السورية» سرد فيه أخبار الثورة السورية . وقد طالعته فوجدته جديراً بالتقدير والاكبار وانا أحث كل عربي مخلص صميمي على اقتنائه ليكون درساً بليغاً في التضحية والمفاداة في سبيل الحرية والاستقلال .

وبهذه المناسبة فانني اقدم للاخ الكريم المؤلف الدكتور السفرجلاني عظيم الشكر والتقدير ، ولا زال بمؤلفاته القيمة للامة العربية منهلا يورد ، وكعبة تقصد ..

٢٠ شباط سنة ١٩٣٨ — سلطان الاطرش



المجاهد العربي النبيل المرحوم عقلـــة القطامي

كلمة المجاهد العربي النبيل المرحوم عقلة القطامي

لقد اتحف المؤرخ العبقري والوطني الصادق الدكتور محي الدين السفرجلاني شعبه العربي بكتاب تاريخي سياسي كبير أسماه « تاريخ الثورة السورية » تناول البحث فيه عن الثورة السورية ، حوادثها ووقائعها ، وقد طالعت هذا السفر النفيس فالفيته يحوي اصدق الانباء واصح الوثائق جدير بكل عربي حر ووطني ابي أن يطالعه ليرى فيه صوت صادق عن جهاد الشعب العربي في سورية في سبيل الاستقلال والحرية ، وانتهز هذه الفرصة السعيدة فاقدم للاخ الكريم الدكتور السفرجلاني اعظم التقدير واخلص الاحترام .

المخلص

عقلة القطامي

٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٩



القائد العربي الكبير فوزي القاوقجي

كلمة القائد العربي الكبير فوزي القاوقجي

اخي العزيز الدكتور محي الدين السفرجلاني المحترم

تحية وسلاما وبعد فقد قرات كتابك القيم « تاريخ الثورة السورية »
تصفحت ما جاء فيه من الحوادث والحقائق والوثائق ما يصعب على غيرك
ونه وتسجيله ، لهذا فاني اتقدم لأخوتك الصادقة ، ولوطنيتك
خالصة بعظيم شكري وتقديري واعجابي واحترامي ودم للمخلص

اخيك

الاثنين ١٥ مايس سنة ١٩٣٩ — فوزي القاوقجي

كلمة القائد الباسل محمد عز الدين باشا الحلبي

اذا كانت الشعوب الغربية تعتز وتباهي بمدنيتها وحضارتها وعرفانها فان الشعب العربي يتيه فخارا ويميس عجبا ، بانه كان السباق الى ذلك المجد والعلاء ، وانه استاذ الغرب في نهضته الحديثة وحضارته الجديدة وله وحده دون سواه هذا الشرف والنبل والفخار .

كان الاوروبيون في قرون خلت يسبحون في بحر الجهل والوحشية ، بينما كان العرب يرتعون في بحبوحة من العلم والمدنية ، وان عهد الامويين والعباسيين والعرب في الاندلس لهو خير دليل شاهد وبرهان ساطع على ما نقول .

حق للعرب ان يباهوا بثورتهم العربية الكبرى وحق لعرب سورية ان يفخروا بثورتهم السورية بعد الاحتلال الفرنسي ، لانهم جاهدوا ويجاهدون في سبيل استرجاع مجدهم الغابر ، وعزهم الداثر وانهم بالغون امنيتهم المنشودة هذه عاجلا او آجلا ان شاء الله ، وقد زينوا صفحات التاريخ باحرف ذهبية وسجلوا لشعبهم ووطنهم ذكرى جميلة لا تمحوها الايام ولا كر الليالي ومرور الاعوام ، وهذه الذكريات الطيبة هي التي تبعث في قلوب أبناء هذا الشعب العربي في العصر الحاضر الروح القومية الوثابة والطموح لاعادة حريتهم السليبة واستقلالهم الغصيب .

نهض مؤرخنا العربي الالمعي الدكتور محي الدين السفرجلاني الى تدوين حوادث الثورة السورية واثبات وثائقها الرسمية بصورة صحيحة ، مجردة خالصة في كتابه القيم « تاريخ الثورة السورية » وقام بذلك خير قيام ، ولعمري انه عمل مجيد جدير بالتقدير والتجلة والاكبار ، وارجو لحضرته دوام التوفيق واضطراد النجاح ، ولسفره النفيس ما يستحقه من الرواج وعظيم الانتشار .

١ / ١ / ٩٣٨   عز الدين الحلبي

كلمة معالي رئيس المجلس الوطني الاعلى للثورة السورية المجاهد الكبير

نسيب البكري

لا مشاحة في أن من تصفح التأريخ الصحيح وتغلغل في مكنونات أسراره اتضح له أن الشعوب التي يكتب لها الخلود في أوج العظمة والسؤدد هي التي يقدر لها أن تدون تاريخها المجيد وتسجل حيويتها في بطون الاسفار ، وان للمؤرخين القسط الاوفر من الفضل في ابراز مزاياها في شتى النواحي بتسجيلهم ما ضيها اللامع على صفحات التأريخ ، بنزاهة وتجرد واخلاص ؛ ولهذا فاني امحص خالص الشكر وعظيم التقدير والاكبار لأديبنا النابغ الدكتور محي الدين السفرجلاني لنهوضه بتادية هذا الواجب الوطني الاقدس بتأليفه هذا المؤلف القيم «تاريخ الثورة السورية» الحاوي لأصدق الانباء ، وامتن الوثائق عن تاريخ الثورة السورية وحوادثها وقد سد هذا السفر النفيس فراغا كبيرا في عالم التاريخ والسياسة كنا نستشعره قبل ظهوره ، فلا يسعنا الا اطراء جهوده الجبارة والثناء على مواهبه السامية وتقدير هذه الخدمة الوطنية الخالصة .

نسيب البكري

٢ / ١٢ / ٩٣٨

توطئة

لا بد للمؤلف في كل كتاب يعن لـه أن يكتب به من خوض غمار تعريف موضوعه للناس من قبل ان يخوض غماره . وهذا الكتاب الذي سناخذ على نفسنا ان نبسط وقائعه ونعدد الحوادث التي ستاتي بين دفتيه لا ندحة لنا عن أن ناتي على تعريف الغرض الذي رمينا الى تاليفه منه وذلك هو تاريخ الثورة السورية والاسباب التي اهابت برجالها للقيام بها ، والعوامل التي ازكت اوارها وادلعت لهيبها ، فسيرا على هذه القاعدة التي قل من المؤلفين من ينتهجها ، او قل من يفكر بالاتيان على سردها ، نقول :

قليل من الناس من يعرفون الفن او العلم او الفكرة ، التي ياخذون على انفسهم امر الكتابة فيها ، حتى انك لو سالت الشاعر ما الشعر لأجابك بجمل وعبارات لا تخرج في وصفها مبنى أو معنى عن شعره وتصوره وخياله وتفكره ومنطوى نفسه ومرآة حسه ، على ان الشعر غير ذلك ، وانك لاتقصد من سؤالك اياه ما اجابك به ، وانما ترمي الى قصد عام تود لو تحصل على جواب عليه شامل . ولا يكون شانك مع المصور الذي تساله عن فن التصوير باكثر مما كان شانك مع ذلك الشاعر ، وهكذا المؤرخ اذا ما شئت ان تصل منه الى تعريف التاريخ ، فانه لا ياتيك بما تود أن تقف عليه ، اللهم الا سرد حوادث موضعية خاصة لا علاقة لها بسؤالك الذي وددت لو تلقى جوابا شافيه كافيا عليه ...

التاريخ الذي يستطيع أن يكون قائدا مدربا آخذا بيد ابناء الشعب من قارئيه الى المثل الاعلى ، وقمة المجد وقنة الأوج ، هو الذي يصور

الفلكة التاريخيـة لا الذي يسرد الوقائع سردا محكما يأخذ بالالباب ، ويختلب المشاعر والحواس .

التاريخ الذي يجب ان يكـون النبراس والمشكاة والمصباح ، هو الذي يضم بين دفتيه مجموعة فكر وخطط ومصورات حربيـة اخلاقية علميـة فنيـة يستطيع مطالعها ان يجد فيها ما يريد من علم واسع الافق ، شاسع الجو بعيـد المحيط ، وكـل تاريخ لا يكون على هذه الصورة وهذا الوضع ، وكل تاريـخ لا يمثل للنـاس دوح مـا سبب الظفر ، وكنـه مـا افضى الى الخذلان ، لا يكون بالسفر النفيس الذي يجدر بالناس أن تصرف در أوقاتهم في سبيل الوقوف والاطلاع عليـه وتصفحـه .

نحن عندما اردنا ان نجنح الى ابراز تاريخ الثورة السورية استعرضنا امامنـا كل ذلك واضحا جليـا وشئنا ان ناتي الى الهدف السـامي الذي يكون في آتي الايـام ، ومستقبل الدهر ، كتابا يضم الحقيقة مجردة عن كـل ما يقبح هيكلها ، مستورة بغشاء رقيق جدا ، وسجف شفاف من بلاغة كتابة ما امكن ، وفصاحة اعراب مـا تيـسر ، وايضاح معنى مطلوب جهـد المستطـاع .

انا لا نرمي من جنوحنا الى العمل على تأليف شتات ما كان لسوريـة وفيها من الحوادث والوقائع ايام ثورتها الشهيرة الا أن يرجع اليها المطالع ، فيجد في هذا المؤلف صورة صادقة عن أماني وآمال الامـة التي نحـن من أبنائها عرب سـورية ، التي هي جزء من الامة العربية الكبرى .

لهذا نرى لزاما علينـا ان نأتي على مـا كان في هـذه الايام ، مستجلين الحقائق الراهنـة ، والوقائع الثابتـة ، بنصها وحدوثها ، مجردة عن التطاحن الحزبي ، او الانحياز الى فئة من الناس دون فئة ، والى مذهب سيـاسي دون آخر ، ضاربين عرض الحائط بكـل نعرة تفرق بين وحدة الصفوف لا وتصدع شمل الكيان القـومي الذي ما زال المخلص من ابناء هـذه الامـة

العربية العريقة بالمجد والمختد ، يسعى جهد طاقته للابتعاد عما يفت في عضد هذا الوطن الذي هو باقصى حاجة الى لم الشعث وتوحيد الصف :

انا لا نرمي في هذا الكتاب الى أن نعلن راي حزب من الاحزاب ، أو ان نناصر قسما دون قسم ، ولا أن نؤيد فريقا على فريق ، او ان نلوم احدا على ما كان منه لاننا نعتقد الاخلاص بكل من انتضى سيفا او اشهر حساما في وجه عدو الوطن . وان من هجر الراحة والمضجع فتوسد الغبراء والتحف السماء خير ممن قبع في عقر داره هنا مهما كان على قسم من الوطنية ونصيب عظيم منها . فكل من رمى بسهم في هذه الثورة سواء اخطا في النتيجة أم اصاب لهو على القاعدين درجة ، كما انه فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما .

لهذا نرى لزاما علينا ايضا أن ناتي على شيء يسير من ذكر سورية من حيث الاقليم والموقع والمكان ، لما للتاريخ من صلة وثقى ووشيجة عظمى وآصرة مكنى ، بعلم تقويم البلدان « الجغرافية » .

* * *

فمن الاطلاع على مخطط سورية الجغرافي يمكن للناقد المطلع ان يتفهم شيئا عن ما اهاب بالسوريين العرب لامتشاق الحسام بوجه الظالمين .

فسورية العربية وحدة جغرافية يقطنها عنصر واحد ائتلف بعضا مع بعض دما ولغة وعادة وتقاليد ، وتحدر منذ الازل السحيق بخصائص حيوية جمعته ولمت كرياته وحجيراته ، خصائص حيوية استمدت قوتها ومفعولها من طبيعة الاقليم الذي عاش ويعيش فيه آله وسكانه فكان وكانت وحدة سياسية قومية تاريخية جغرافية .

اما بصدد وحدة أقليم سورية الجغرافية فلا مشاحة في أن العالم قد اجمع على أن الحدود الطبيعية في كل شيء هي المرجع الوحيد لوضع

الإشارات الفارقة بين الاقاليم والبقاع ، ونحن هنا اذا ما شئنا ان ندلي بالبرهان الساطع والدليل القاطع على أن اقليم سورية وحدة جغرافية ، سهل علينا ويسر ذلك لأن الحدود الطبيعية التي تفصل تخومها عن تخوم وحدود غيرها من الاقاليم ذات معالم واضحة وآثار ظاهرة ، فجبال طوروس من شمال سورية ، وصحراء سيناء من جنوبها ، وصحراء بلاد العرب والخابور والفرات من شرقها ، والبحر المتوسط من غربها . كل هذا وهذه دليل واضح على ان العوامل الطبيعية التي احاطت بهذه الربوع عن غيرها كانت كالهالة التي تحيط بالقمر ، أو كالدالة التي تمنطق الشمس ، وهي المنحة والميزة التي ميز الله بها هذه البلاد عن غيرها من غير أن يكون لهذا الفارق أو المميز ليد الانسان دخل فيه او تأثير به وعليه/. وخير عمل ما عملته يد الله .

أما ما يراه اليوم المعاصرون من تمزيق وحدة جغرافية ، أو ابتسار قسم من الكيان القومي العربي ، او اجتزاء عضو من اعضاء هذا الوطن العربي الجغرافي الطبيعي فهذا ما لا دخل لنا هنا في سرد اسبابه وعوامله وما لا نرى لنا من شأن في بحثه في هذه العجالة ، لأن ما خالف الطبيعة فدوامه الى ميقات يوم معلوم والى حين ، وبانقضائه ينقضي ذلك الطارىء والطوارىء التي تعارض التيار الطبيعي الجارف ، واذا ثبتت في وجهه فلن يتأتى لها الثبات طويلا ، والعوارض التي تود أن تمزق النظام الجغرافي القديم وان استطاعت ان تلبث يسيرا ، فما هي بالتي تحدو بالمؤرخ ان يتنكب عن طريق الحقيقة لانه عالم بأن ذلك موقتاً والموقت غير جدير بالتدوين .

أما ما نقوله الى المتنكرين للاقليم السوري من حيث الوحدة الجغرافية ، فهو عليكم بمن سبقنا من مؤرخي العالم وعليكم بالانتقاص من قيمتهم العلمية ، وعليكم بالادلاء بما لديكم من حجج تدحضون بها ما اتوا

جه من مسـاطع البينات ومشرق الآيات ، تدليلا على أحقية ما قالوه ، وهنالك يكون لنـا معكم شـان غير هذا الشأن ، وموقف غير هذا الموقف .

انا لم نشـأ ان نأخذ الا بما اجمع عليـه مؤرخو العالم وجغرافيوه بشأن الوحدة الجغرافية للاقليم السوري وحتى اننا لم نشـأ ان نقول بأن العراق قسما من الاقليم السـوري وان بابل من احد اجزائها حتى لانرمى بالمبالغة والاغراق رغما عن أن الرحالـة اليوناني *Strabon* قد قال بذلك . ولـم يكتف به بـل تعداه الى أكثر من هـذا[1] وهو الرجل الشـهير في التاريخ ذو الكعب المعلـى فيـه ، رافق ميلاد المسـيح عليـه السـلام ، قال هذا البحاثة : تمتد سوريـة من كليكيا وجبل امانوس الى مصر[2] على انه لم ينفرد بتحديد سورية على ماذكرت من امتدادها للعراق وتناولها بابل بل قال بذلك هيرودوتش[3] شيخ التاريـخ الذي كان قبل المسـيح باربعمئة وخمسين سنة .

هذا فضلا عن ان أشهر مؤرخي العرب قد اتفقوا ، او كادوا ان يتفقوا على ان الاقليم السـوري يمتد من الفرات الى العريش ومن جبل طيء في نجد الى بحر الـروم[4] .

ذكر ياقوت في جملة ما ذكره من البلدان التي تدخل في حدود الشـام : « يقصد المؤرخون بكلمـة الشـام الاراضي السـوريـة وليـس ادل على ذلـك من وجـود المرء في مصر او في ما وراء البحار يـسمع ممن يكون اليهم هنـالك أن الشيء الفلاني من الشـام ، والرجل الفلاني من الشـام ، في حين انه يكـون ذلك المحكى عنـه اما من لبنان أو مـن فلسـطين او شرقي الاردن » الثغـور كالمصيصة وطرطوس ـ واذنـه ـ وانطاكية والعواصـم مرعشي ، والحدث ،

---

(1) راجع الصحيفة ٥٤٤ من الكتاب الثاني عشر والصحيفة ٧٣٧ من الكتاب ١٦

(2) راجع الصحيفة ٧٤٩ من الكتاب السـادس عشر .

(3) راجع الصفحة ٧٢ من الكتاب الاول والصحيفة ٤٩ من الكتاب الخامس .

(4) راجع الصفحة ٢٤٠ من الكتاب الثالث من معجم البلدان طبعة ليبزغ .

حوبغراس ، والبلقـاء ، وغير ذلك .

فاليك أيها المطالع الكريم حدود الاقليم السوري كما وضعها وحددها أشهر قدماء المؤرخين حتى العهد العربي والخلفاء الفاطميين والمماليك بهـا .

عملت يد الترك بسورية كما كانت تعمل في غيرها فادخلتها ضمن النظام الاداري من حيث تقسيمها الى ولايات وايالات غير آبهة الى حد طبيعي ما وغير مكترثة بسوء ما كانت تعمل . والذي يخفف المصاب علينا انها فعلت فعلتها هذه في الاناضول ومكدونيا وغيرهم وهذا ما ثواسي به كل ما صدعنا ريب الزمان بصادع .

رغم كل ذلك لم يغفل مؤرخوا الاوروبيين وكتابهم ذكر هـذه الحدود الطبيعية على وضعها القديم الجغرافي الذي بسطناه قريبا . فاحدث هؤلاء الكتاب بنـا الكونت دي غونتو بيرون « امين سر المسيو جورج بيكو المندوب السامي الافرنسي الاول في سورية » اذ قال في كتابه « كيف استقرت فرانسا في سورية » : لقد منحت الطبيعة سورية حدودا واضحة لا شبه فيها : « فالبحر المتوسط من الغرب وجبال طوروس وانتيطوروس من الشمال الغربي والشمال وحوض دجلة الاعلى والاوسط من الشرق وبلاد العرب وسيناء من الجنوب » . وقال رجل فرانسا العالمي نابليون بونابارت بصدد سورية : « ليس من بلاد افضل حدودا من هذه البلاد للدفاع عنها » .

أما الحلفاء في مؤتمر سان ريمو فانهم اتفقوا بالإجماع على حدود سورية الشماليـة .

فأيـة حجة بعد ذلك كله لاعداء سورية ووحدتها الجغرافية يدلون بهـا على صدق نظريتهم الباطلة وجل ما نستشهد بهم من عظام رجال التاريخ في أوروبا والغرب ؟ ! . .

فوحدة سورية القومية العربية لم تسلم من فريق شاء لها أن تكون على

زعمـه وحدة ممزقة لا قومية تجمعها ولا وحدة تضمها .

لقد زعم هذا الفريق من الناس ان سورية التي يتالف افرادها من شعوب عديدة متغايرة الدين ، متباينة المذهب لا يمكن أن تثبت وحدتها القومية على انهم خاطئون فيما يقولون لم يستندوا في قولهم هـذا الى ما يصح ان يكون حجة لأن من تصفح التاريخ منذ القديم يجد ان الفارق بالحقيقة الدم فحيث يكون تباين فيه يكون تباين في القوميات وحيث ياتلف تاتلف القومية وجريا على هذا القياس الصحيح والمعيار الثابت نجـد ان الامم التي تفرس في هـذه الربوع على اختلاف اديانها ونحلها قد انبعث التاريخ عنها من عنصر واحـد وانبثق فيهـا من دم واحد ، ولغة واحدة ، وليـس من حجة تقارع التقاليد والاعراف والعادة التي تمشى عليها الامم القاطنة في الاقليم السوري . فهذه العادات والطبائـع التي اتحد ابنـاء البـلاد فيها اتحادا وثيق العرى محكم الوشائج قد دلل على ان عرب سورية من الوجهـة القومية وحدة لا تتجـزا وعلى ان من شاء ان ياتي ببرهان يستبينه على احقية ما يقول قد باء بالفشل والخسران لأن الواقع والحس يكذب ما زعم .

فاعظم مؤرخي العالم قد اجمعوا على ان كافـة الشعوب التي استوطنت سورية والفت الوحدة القومية نزحت اليها من جزيرة العرب « كما يؤيد ذلك بحث اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب بمجلة الزهراء » مثال ذلـك سكان الاقليم السوري الاصليين ، والفنيقيين الذين اتوا من خليج فارس، والهجرات التي تعاقبت عليها وتوالت .

وهكذا فان جميع سكان شبـه الجزيرة العربية يمتون الى اصل واحـد ويتكلمون بلغـة واحدة منذ فجر التاريخ ، فعرقهم عربي ولسانهم عربي ولو كان قـد أثبت المؤرخـون انهم من قبـل كـانوا يتكلمون بلهجات متشابهـة متفرعة عن لغـة واحدة .

أما الاقوام التي قدمت الاقليم السوري فاتحة فان معظمها لم يساهم العرب في

حياتهم التجارية والزراعية ، بل كان يشاطرهم ثمار الانتاج فحسب ولهذا كان الغرباء ينزحون عنها كلما غلبوا على امرهم لا يتركون في عرب سورية والدم العربي سوى اليسير من الاثر .

أما الدم العربي فقد ظل على نقاوته وصفائه منذ ان نزح الرومانيون عن سورية حتى الآن .

بعض العناصر الآسيوية كالكرد والترك والجركس ـ مازجو عرب سورية واختلطوا بهم منذ العهد العباسي الى هذا اليوم لكن عرب سورية كان يتمثل ويهضم جميع العروق فيفقدها كامل مميزاتها وجميع خصائصها بعد جيل واحد في عرب سورية فتذوب في بوتقة العنصر العربي في سورية .

واما خصائص سورية الطبيعية فهي تعود للحقيقة الى موقعها الطبيعي الاقليمي ووضعها من الناحية الجغرافية وهذا الوضع كان سببا في رخاء سورية وبحبوحتها او شقائها وعنائها وطمع الطامعين فيها ، ذلك لانها بالحقيقة ملتقى قارات ثلاث : آسيا واوروبا وافريقيا فهي كالثغر على شاطيء البحر يؤمه الربابنة من جميع الاقطار والامصار ، ويلقي مرساة سفائنه فيه كل بحار ، لهذا كان على الشعب العربي في سورية ، بهذا الوضع الذي المعنا اليه أن يعكف على التجارة وأن يبرع فيها ، فيتناول الواردات والصادرات مع هذه القارات وأن يكون بحكم الطبع ميدانا فسيحا للتبادل والتداول ، ونقطة ارتكاز لهذه القارات ببلدانها وامصارها وما تضم . ومن البداهة أن يستفيد في كل موقف فلا يقتصر هذا الشعب على الانعكاف على التجارة فحسب ، بل ان يولي وجهه شطر الصناعة كلما سنحت الفرصة أو سمح الزمن وكذلك من البداهة أيضا ان يكون على ميزات تؤمن له الفائدة والنفع بحيث يستطيع ان يقوم بما وهبته الطبيعة اياه من هذا الوضع بكل اقدام وجد وثبات وصمود. وهكذا كان الفينيقيون قديما « وعندما نقول عن الفينيقيين نكون قد جعلنا لبنان في حدود الاقليم السوري » وعرب سورية في عهد السلفكيين والرومانيين والامويين .

ان الشعب الذي يجد نفسه امام عمل تجاري أو صناعي يكون احوج الناس جميعا الى الامن والنظام والهدوء يسود محيطه وبلاده وعلى هذه السنة درج الشعب العربي في سورية منذ فجر التاريخ الاول فكان مثال الدعة والسكينة والعمل والنشاط ، انه كان متصفا بذلك بدافع المصلحة الحيوية الاقتصادية التي كانت توجب عليه أن يكون بعيدا عن الفوضى والحروب والاعتداء . وكان ما يفكر الا في التوسع الاقتصادي التجاري وهذا ما كان يحدوه دائما الى نشد النظام حتى أنه كان عندما يلقى ان اضطراب حبل الامن سائدا بلاده يثور على عامل الفوضى ويدك معالم التشويش والاضطراب . مثال ذلك ثورته على الفرس في العهد القديم وثورته على كثير من الغاشمين الفاتحين الطامعين .

قلنا ان وضع عرب سورية الطبيعي كما انه سبب لها الرخاء سبب لها الفناء وذلك لانه كان موضع آمال الغير من اقوياء الامم وكان موضع جشع الجشعين ونهم النهمين منذ عهد الاشوريين حتى عهد الفرنسيين . فهي كانت هدف كل من تسول له النفس والقوة أن يتبسط البسط الاستعماري وان يستفحل استفحال الظالم العاتي ، فهي كعبة كل قوي يحب الاعتداء ، وهدف كل جبار يحب الفتك والقتل والحرب ، فمن الغى في نفسه القوة يتجه نحو سورية وما يقصد من ذلك الاتجاه وتوليته شطرها الا حب الكسب والغنيمة اذ ان كثيرا ما كان الفاتحون يقتصرون على سلب البلاد ثم الجلاء وكثيرا ما كان البعض الآخر يقيم ما دامت الاقامة لا تكلفه ضحايا كثيرة . فظل شأن الاقليم السوري هكذا دواليك الى ان كان السلفكيون والرومانيون والامويون ابعد نظرا ممن سبقهم من الامم واسدى رايا واصوب فكرا في سورية والسوريين فكان شأنهم غير شأن من تقدمهم من العالمين في هذه الربوع .

على أن موقف عرب سورية اتجاه جميع الغارات التي شنت والفتوحات التي تمت واحد لم يتبدل بمعنى انهم كانوا ينشدون الحرية والسيادة

والاستقلال رغم جميع ما كان يقوم امامها من حوائل وسدود وعراقيل وما كل ذلك الا لتكون في مامن على عملها الانتاجي وتجارتها التي كانت وفطرت منه سيرا لا عقبة فيه ولا عثرة في سبيله ولكي يكون ذلك السير آخذا سمته نحو النظام والامن حتى لا يقف دولاب اعمالها وحتى لا تشل حركتها التجارية الاقتصادية أو بالصحيح الحقيقي حتى تستطيع البقاء على وجه الارض اذ ان التاجر الذي يود أن يعيش في هذا العالم متمما واجبه نحو المستهلك ونحو من استورد منه تجارته يتوخى ان يكون في محيط هادىء وفي بيئة يسودها السلام ويخيم فوق ربوعها الامن المطلق .

ان حب عرب سورية في الامن والسلام ماكان ليحول دونهم واشهار الصارم البتار عندما يدعو داعي الواجب اليه وعندما كانوا يثورون على من دعاهم للثورة يصمدون ويثبتون ويقارعون ويكافحون حتى ينتهوا باحدى النتيجتين: اما اجلاء العدو عن بلادهم قسر انفه ، واما ان يتفاهموا واياه وهم اعزاء الجانب مرفوعي الراس ناصعي الجبين . ومن تصفح التاريخ القديم بنزاهة وتجرد قرا صفحة من صفحات المجد الذي جعل عرب الاقليم السوري قادرين على أن يبرزوا في العالم بالانتعاش من حيث كل شيء في اقرب وقت وقادرين ايضا على التفلت من الاسر ومن اشد النكبات كلما اجمعوا على ذلك الاجماع المطبق وانهم اثبتوا ويثبتوا على انهم اهل لحكم النفس بالنفس وتولية الشؤون بالذات وممارسة الحكم شخصيا من غير معين ولا مساعد .

والمطالع العادل عندما يلقي نظرة ولو بصورة عجلى على تاريخ الاقليم السوري القديم وعلى تاريخه الحديث تنجلي امام باصرتيه وبصيرته هذه الحقائق التي ما بالغنا فيها ولا اغرقنا .

وانا لنسوق اليه الحديث التالي ليكون له بمثابة النور يهتدي على ضوئه الى ما يريد ونريد :

على م كان الاقليم السوري يثور وعلى م كانت تهدأ ثورته وتخمد ؟؟

هذا سؤال لا بد وان يجول في ذاكرة كل من يطلع على التاريخ ، وفي مخيلة كل من وقف على ما كان عليه وظل فيه حتى اليوم الاقليم السوري .

اما الجواب الذي نود ان نأتي عليه لا بد لنا من ان نتقدم الى يدي المطالع بتوطئة له وتمهيد :

قد يظن المرء ان الثورة بنت ساعتها ووليدة وقتها ونتيجة حماس قائد من قوادها . وانها تنفجر من افواه البنادق قبل أن تضطرب في احشاء الناس وفي صدور البشر .

ان من يتخيل ذلك يعدو الحقيقة والامر الواقع ولا يكون على صواب فيما خال وظن وزعم ، ان من يود أن يقف على تاريخ اية ثورة كانت من ثورات العالم على اختلاف بواعثها ورجالها واسبابها عليه ان يعود الى تمحيص مأتى تلك الثورة ودافع رجالها وآلها للقيام بها وشق عصا الطاعة .

ونحن اذا جرينا على ذلك وحدثنا عن تاريخ الاقليم السوري فعلينا ان نعود الى ما له مساس في بحثنا ومبحوثنا حتى نهتدي بالنتيجة التي ما اخذنا بتأليف هذا الكتاب لاجله وحتى لا يرمينا الواقف على هذا الكتاب بالخروج عن الصدد .

ان اول مافتح التاريخ عينيه عن هذه الارض العربية المسماة بالاقليم السوري فتحهما عليها وهي مستقلة ، ضمن حدودها التي اسلفنا ذكرها ، يديرها ملوك مستقل كل منهم في مقاطعة منها معينة . ثم تناول هذا الاستقلال ايادي بعض الغزاة الفاتحين اموها بعضهم من آسيا وبعضهم من شمالي افريقيا وآخر من اوروبا ، وهكذا حتى أصبح هذا الاستقلال في حكم العدم . ومن رجع الى تاريخ هذه الفتوحات والى المدة التي اخلدت فيها سورية العربية الى

السكينة تحت سيطرة من غزاها وجد ان اطولها مدة هو الزمان الذي كان يسيطر فيه من احسن الامتزاج مع أهليها ومن ابقى على خصائصها الحيوية ومن مهد لها سبيل الازدهار التجاري والاقتصادي والصناعي ووجد ان زمن سلطان الآثوريين ابعد مدى من سلطان الفرس عليها « وقد أثبت التاريخ ان الاسطول الذي غزا كيخسرو ملك الفرس بلاد اليونان كان منه ثلاثمائة سفينة من الاقليم السوري ومن صنعه » .

وما يؤيد النظرية التي اتينا على ذكرها هو ما كان من الآثوريين نحو هذه البلاد واهلها لقد كان الآثوريون يحتلون نظام البلاد السياسي واعراضها وتقاليدها ويتركون سكانها احرارا فيما يتجرون ويصنعون ويدينون وكان الفرد يمارس حرية العمل والتجارة والدين بأبعد معنى واقصى مجال وهذا ما اهاب بهم لأن يكونوا في صف الآثوريين ولأن يظلوا على الاخلاص لملك آثور مقيمين الى ما بعد افول نجمه وخمود ناره .

على انه اذا ما جنحنا الى الحقيقة بأكثر من ذلك نرى ان لامتزاج عرب سورية بالآثوريين سبب من اقوى الاسباب واصحها ذلك هو ان عرب سورية والآثوريين تحدرا من جنس واحد ومن أب واحد وانهما من الساميين الذين تجمعهم أرومة الجزيرة العربية . واذا ما محصنا التاريخ بعين الحقيقة النزيهة نجد ان عرب سورية لم يمتزجوا في حياتهم مع فاتح من الفاتحين امتزاجهم مع الآثوريين .

ومن جملة من راى أن خير سياسة يسوس بها هذه البلاد على طريق اعطائها الحرية هو سلفكوس من كان فيها أيام القرن الثالث من قبل الميلاد .

جنح هذا الرجل الى تاسيس امبراطورية مستقلة قوامها سكان البلاد انفسهم ففعل وكان بذلك من المنصفين وظلت حتى قبيل السنة الثالثة

والثمانين من قبل الميلاد . كان على ان يكون لهذه البلاد العربية ما تصبو اليه من قرارة وهدوء متمتعة بسلطان الحكم القومي والاستقلال السياسي لولا ما داهمها من حروب وغارات وما طغى عليها من ظلامات واعتداءات ولولا ما حل بها من جراء ذلك من مصائب وويلات . كادت ان تكون سورية العربية بامبراطوريتها التي نوهنا بها ازهر ما تكون في كل حين آخر وازهى ما يمكن ان يقدر لها في عهد من عهودها ، لما كانت عليه في ذلك الزمن من اضطلاع بأعباء الشوكة والسلطان ، والقوة والمنعة مستجمعة وحدتها السياسية الكاملة التامة .

كان عصر الرومانيين في سورية العربية عصر فلاح ونجاح واقدام وما كانت النكبات التي تخللت أوائله واواخره مما لتعيق سيره نحو الازدهار والازدهاء والزهو ، ونقول بحق ان الرومانيين عرفوا كيف يعيدون النظام الى نصابه في هذه البلاد العربية من بعد ما كادت ان تأتي عليها حروب الدولة السلفكية .

لقد ادركوا ماعليه الشعب العربي السوري من مزايا وخصال وما هو مشهور فيه من براعة ومهارة ونشاط في التجارة والاقتصاد والصناعة فاستفاد الرومانيون من هذه الخلال كما استفاد سكان البلاد من النواحي الاقتصادية اذ لقوا سوقا عظيمة يستهلك فيها المستهلكون مصنوعاتهم في روما . ونبوغ السوري العربي الصناعي الجا الروماني لأن يستعيض بالاتجار في سورية العربية عن الاتجار بمصنوعات آسيا من اقاصي سيبريا والهند والصين . وكان الروماني أشد اعجابا بالحرير من اعجابه باي صنف آخر وهكذا كان توثق العلاقة الاقتصادية والتجارية بين الاقليم السوري وروما مدعاة الى نزوح الكثيرين من السوريين العرب الى عاصمة الرومان ، وكان مدعاة ايضا الى مغادرة الرومانيين عاصمة بلادهم الى الاقليم السوري . وقد اشتد أمر هذا الارتباط الوثيق بين البلادين الى درجة استولى فيها طبع

السوريين العرب على طباع الرومانيين في بلادهم ، وكان لهم نفوذ عظيم في تلك الربوع حتى ان احد شعراء الرومان جوفنال قال : « لقد اجتاح هذا العنصر ـ ويقصد به السوري العربي ـ روما فمزج مياه نهر العاصي بمياه نهر التيبر وطغى بلغة آسيا وعاداتها على لغة الرومان واعرافهم » .

من بعد هذا اقبل عهد العرب على اقليم سورية فشيد الامويون عاصمة ملكهم دمشق وكان اول ما عمد اليه معاوية ابن سفيان مؤسس الدولة الاموية انهاض الهمم الوطنية وتنشيط الحرية وبذلك استعان على بناء ملكه قائمة فوق أركان من عقيدة راسخة . قال الاب لامنس اليسوعي البلجيكي : « لقد سميت هذه الامبراطورية بالامبراطورية العربية وكان الواجب ان تسمى بالامبراطورية السورية العربية لأن الراس الذي كان يديرها والايدي التي كانت تنفذ وتنظم اعمالها وتضطلع باعباء المقاطعات والحرب والمالية كانت بالحقيقة كلها عربية سورية ولم يكن امر الحكومة في ايدي البدو الذين جاؤوها من الخارج ، بل في ايدي العرب الذين كانوا يقطنون هذه البلاد منذ قرون والذين قد اصابوا من الحضارة الارامية بسهم وافر . والذين بنفوذهم نقلوا مركز الخلافة الى بلادهم ونؤكد ان هذه البلاد حكمت نصف العالم الشرقي المعروف في ذلك الزمن ، مدة طويلة » .

لم يقتصر نشاط الشعب العربي في سورية في العهد الاموي على هذه الدائرة بل تعداها الى الفتوحات العظيمة التي اخترقت بلاد الاندلس والروح الاموية هي المنظم الاكبر لحضارة بلاد الاندلس الزاهرة ، وهكذا كان شأن السوريين العرب الامويين في الاندلس شأن الفينيقيين الذين اطلقوا على خليج فارس اسماء مواطنهم كجبيل وارواد وسوى ذلك ، كما اطلق الامويون على بلاد الاندلس كحمص ودمشق وغيرهما .

انتقل مركز الخلافة من دمشق الى بغداد واخذت مكانة سورية العربية المكتسبة في عهد الامويين متقلصة الظل تفقد الاهمية التي كانت عليها وقد

حاول الكثير أن ينقض على حكم العباسيين سواء بعامل حب استرداد الدولة والسلطان واستعادة الملك ، أو بعامل النفور من الحكم الجديد والحرص على الحرية الشخصية .

هذه البلاد كغيرها من بلاد الله يعتري سكانها الهيجان العصبي والنزوات الفردية والمطامع الشخصية ما يعتري اشخاص كل بلد من البلدان تقلص عنها ظل حكم وانضوت كرها تحت ظل حكم آخر .

لهذا نستطيع القول بانه مر على سورية العربية خمسون عاما لم تذق فيها للراحة طعما ولا للطمانينة مذاقا . وظل بها الامر كذلك حتى كان عهد الاتراك منذ عام ١٣٢ حتى ٢٥٤ هجرية ذلك العهد الذي سفكت فيه دماء كثيرة وتطايرت اشلاء عديدة سواء في فتح الشام وفلسطين او في الثورات التي نشبت على العباسيين وسواء في ذلك ثورة اللبنانيين والفلسطينيين على ما المعنا او الفتن الداخلية في حمص ودمشق وغيرهما خلال زمن لا يتجاوز القرن ونصف القرن . من بعد هذا اقبل عهد الدولة الطولونية من ٢٥٤ — ٢٩٢ هجرية واعقب ذلك دور القرامطة والاخاذشة فالحمارنة فالفاطميين فالسلجوقيين فالاتابكة الى أن كان دور السلطان الشهير صلاح الدين الايوبي . وفي أواخر عهد السلجوقيين نشأت الحروب الصليبية التي ظلت سورية العربية بجنحها ثلاثة قرون « من سنة هـ ١٠٩ — ١٢٧٠ ميلادية » .

عانت سورية العربية في هذه الحروب الضروس التي التهمت غلال البلاد ومنتوجاتها اشد صنوف العذاب وارهق انواع المآسي والنوائب فهي التي كانت مدخر الجيوش الجرارة وهي التي كانت تتعهد اطعام وايواء المحاربين طوال تلك المدة وهي التي كانت تحتمل العدد الاوفى من المقاتلين في اروع المعارك واشد المعامع ، وجهاد كهذا اناخ عليها بكلكله قد برى منها المسلة وافنى القوة واوقف دولاب حركتها وضعضع ما فيها من مكنة وحيل

هذا الى ما كان استنزف من رجالها وافنى من ابنائها فقد كانت تعد خمسة وعشرين مليونا ايام الرومان وعشرين مليونا في اوائل الدور الاموي فما تقلص ظل الحروب الصليبية الا واصبحت لا تضم اكثر من مليونين من النفوس .

هنا اقبل الاتراك العثمانيون فالفوا سورية العربية غنيمة باردة لا حول لها ولا طول ولا منعة فأرسلوا نفوذهم رواقا يمتد عليها ولا هنالك من يحرك ساكنا او يستطيع الاتيان بشيء .

ظلت سورية العربية قسما من المملكة العثمانية وجزءاً من اجزاء الامبراطورية التركية حتى اواخر عام ١٩١٠ لم تفكر خلال هذه القرون المتوالية في ذاتها او في نفسها بل كان شانها شان الطفل الذي يظل على عهده لما كان من الكائنات حتى ياتي الزمن الذي يشعر بالوعي الافرادي ينساب اليه شيئا فشيئا . والذي احكم القيد والسلاسل في ابنائها ما كان يتشدق به اجداد احد الاسر المالكة في الدولة العثمانية من انهم حماة الدين وذادة الاسلام وان لا قومية هنالك ولا عنصرية وان الدين وحد الكل واستولى على الجميع وان العثمانية تناولت كل من ظلله العلم التركي في ذلك الزمن .

طرا على الاتراك ما يطرا عادة على كل امة امتد سلطان نفوذها ابعد مما تقدر على جمجمته فنشأ الحزب الاتحادي فيهم يناوىء الظلم المستولي والاضطهاد الممتد وقاموا بما كانوا يفكرون فيه من زمن ناى وهو خلع السلطان عبد الحميد مقسمين جهد ايمانهم على ان لا هنالك فرق بين طائفة وطائفة وعنصر وعنصر ، وبهذا السراب المتلاليء استطاعوا ان ينفذوا الى غاياتهم عن اقرب الفجاج واهون السبل وان يقنعوا مختلف العناصر التي كانت تلم شتات العثمانية بان يهدؤا خاطرا ويسكنوا بالا وان لا يشهروا حربا ولا ينتقضوا عليهم انتقاضا . فنامت الطوائف والعناصر ومن جملتها سورية العربية على هذه الوعود العذاب وعلى هذا الكلام المعسول وتركوا للاتحاديين

الحبل على الغارب واثقين بأن يصدقوا ما عاهدوا عليه . ولكن سرعان ما قام زعماء الاتحاد بنقض الوعود ونكث العهود وتكذيب الافعال منهم الاقوال . وسرعان ما قلبوا للعناصر المختلفة ظهر المجن واخذوا هم انفسهم بالعنصرية الطورانية يبسطون نفوذها على كل عنصرية سواها . وكانت « جنكيزم » اي العنصرية الطورانية تستفحل بصورة هيجت في بقية العناصر الحس . واوجدت في سواها الوعي القومي والشعور الفردي وانمت في كل عنصر من العناصر الاخرى روح التفكير بالذات والسعي نحو اثبات الوجود المستقل . فانبرى السوريون العرب يظهرون حيويتهم واهليتهم للعيش الصحيح . برجال رفعوا الصوت عاليا يجهرون بالمطالبة في الحرية في اوائل الحرب الكونية فأخذ متزعموا الاتحاد بأساليب العنف والارهاق والاذعان فقادوا أحرار البلاد الى اراجيح الابطال « المشانق » فكان لصنعهم هذا دوي رددت سورية صداه زمنا اخذ يزداد ذلك الصدى ويتردد الى ان انبعثت القومية من مكمنها وانبثقت العنصرية من هداتها وانبرى رجال سورية العرب يلتمسون السبل الى اظهار وجودهم في العالم وتأسيس كيانهم في الوجود .

فتأسست النوادي والاحزاب والجمعيات في كل ناحية وفي كل قطر واخصها بالذكر جمعيات المهاجر ، وتألفت كتب تدعو لاستقلال سورية والعرب في مصر وفرنسا واميركا الشمالية واختها الجنوبية .

كل هذا كان من سورية العربية سعيا وراء الجدوى من الوضع الطبيعي . الذي كانت عليه والذي كان يهيب بها الى العمل دواما كي تبلغ الهدوء والسكينة والنظام ، ولكي تكون على شيء من رقي في العمران والمدنية والحضارة . وبذلك اثبتت وتثبت أن الفاتح الذي يبتغي من وراء غزوها نفعه الذاتي . فحسب لا ينال منها مبتغاه مهما طال زمن سلطانه فيها ولا بد لها من يوم . تنقض فيه انتقاض الرئبال فتحطم القيد وتكسر الغل وترفل في ثوب من الحرية قشيب .

كل ما مر ذكره كان من الاسباب العامة للثورة في سورية العربية واما الاسباب الخاصة الحديثة لها فهي أن الحلفاء قد اخذوا يمنون الشعوب الضعيفة بالوعود ايام الحرب الكونية الكبرى ليستميلوا الجانب الاكبر منها الى حلفهم وليستطيعوا ان يتخذوا من هذه الامم الاداة الصالحة لرجحان كفتهم ولاحترازهم منار الفخر والنصر على اعدائهم . وبمعسول الاماني التي كانوا يقطعونها على انفسهم لهذه الشعوب المغلوبة على أمرها والتي من جملتها سورية العربية استطاعوا كما عرف القاصي والداني ان يدلوا برفع راية الظفر على الاعداء ، ويباهوا بأنهم كسبوا المعركة في كل ناحية وفي كل صوب . ان العرب في سورية كغيرهم من الامم يتطلعون نحو الحياة الحقة والحرية المنشودة بأبصار تطير اشعاعا الى ان تكون بالغة ما تريد وقد كانت سورية كالغريق في الخضم الذي ينتظر أن تمتد اليه يد تنشله مما يعانيه من غصص الحتف وآلام الغرق مهما كان نوعها وكيفما كانت صفتها طالما تؤمن له العيش وتنهض به مما هو فيه من الهاوية واللجة . لهذا كانت اول من رمق العيش وأول من شاء ان يكون في عداد الاحياء العاملين في مضمار العالم السياسي فرات في الحلفاء المنقذ الامين على ما كانوا يقطعونه على انفسهم من عهود ووعود ومواثيق . هبوا الى صف الحلفاء بقلوب افعمت بالايمان الخالص الراسخ ينتزعون الحياة من بين ماضغي الموت وانهالوا على التجنيد في الجيش العربي الذي كان الدعامة الاولى في اسباب انتصار الحلفاء على اعدائهم والذي الى هذا الجيش يعود فضل النصر .

على أن ما كانت تحلم به سورية العربية من الاحلام الذهبية ومن الآمال القومية ومن انتظار العيش بحرية وحكم ذاتي واستقلال ناجز كما كانت موعودة ممن قاتلت الى صفهم وكانت لهم الدرع الحامي يوم الوغى والكريهة ، قد ذهبت ادراج الرياح ، ومع ذرات الهباء ولم تظفر بغير الفشل ولم تنل مما برت به من اعمال الا ان كانت ضحية من وعودها فاخلفوا وعاهدوا فانقضوا

واقسموا بكل محرجة من الايمان فحنثوا .

رات نفسها فريسة ذلك الحليف ممزقة الاوصال ، مقطعة الاجزاء يعمل فيها فتكا وتقتيلا ، رات بلادها كأنها نهب مقسم بين من كانوا اليها وكانت اليهم وكأن نتيجة الظفر قد وقعت عليها فذهبت ضحية نشوة الانتصار الذي كان بسببها لهم ولاجلها .

هبت عندما رات من الحلفاء النقض والنكس والحنث ترفع عقيرتها بالشكوى وتبث ما تعانيه الى المؤتمرات والاندية السياسية خلال العام الذي يبدأ في ١٩١٩ وينتهي في ١٩٢٠ من غير ان تنفع الشكوى ومن غير أن يجدي التذمر والتطلب رات نفسها سورية امام ذلك مضطرة لأن تجابه الموقف بصلابة وبحزم وبعزم شديدين فاعلنت استقلالها في عهد الملك فيصل في شهر آذار من عام ١٩٢٠ على اثر مؤتمر عام شامل جامع قانوني لا غبار عليه مثل الانحاء السورية تامة احق تمثيل . وهذا ما اثار حنق الافرنسيين الذين كانوا معرسين في الضفة الساحلية من اقليم سورية باسم الاحتلال العسكري وحملهم على الان يبعثوا بحملة كبرى يقودها الجنرال غورو رغم اعلان الملك تفاهمه مع الفرنسيين وموافقته على ما اشترطوه عليه . فدخل الفرنسيون دمشق بعد فاجعة ميسلون واستشهد البطل الوزير يوسف العظمة فايقن عرب سورية انهم اخذوا بالشراك الذي نصب لهم وادركوا انهم كانوا على خطأ وخطل فيما ناموا لهم واعتمدوا عليهم من الحلفاء ، والشعب الذي ما نام على ضيم قط كما راينا في بدائة هذا البحث ومنتهاه طبيعي أن لا يهدأ وان لا يهدىء للفرنسيين جنبا ، وان لا يقر لهم مضجعا وان لا يهنيء لهم عيشا وان يرتقب لهم الفرص التي يداهمهم فيها مداهمة الاسد من يود ان يكتسح عرينه . فاخذوا يستعدون للثورة في طي الخفاء ويعدون لها العدة ما استطاعوا فما كان الفرنسيون ليمر بهم عام الا ويروا من انتقاض ساكني هذه الربوع ما يقلق ويزعج ويربك .

ثارت عليهم بلاد العلويين من عام ١٩١٩ـ١٩٢١ واعملوا الفتنة فلم يستطع الفرنسيون اخماد لهبها وقمع لظاها الا بحملة حامية بلغ عدد رجالها ثلاثة وعشرين الف مقاتل . ومن اواسط عام ١٩٢٠ الى اواسط ١٩٢١ هبت سورية الشمالية تندفع اندفاع الاسود على طالبي الاستعمار ولم يكن شان حوران باقل من شان سواها اذ لبت هذه داعي الوطن من شهر اغستوس عام ١٩٢٠/ الى آخر السنة وكذلك كان شان جبل عامل عام ١٩٢١ واما الجبل الدرزي فانه قام بواجبه عام ١٩٢٢ معلنا العصيان ايضا وقائما بالثورة على الظالمين . وفي عام ١٩٢٤/ نشبت في انحاء بعلبك الثورة التي كانت مقدمة للثورة التي نحن بصددها والتي من اجلها اخذنا بتاليف هذا الكتاب فاندلع لهب ثورتنا التي نكبت فيها في شهر يوليو عام ١٩٢٥ .

عندما راى الفرنسيون اشتعال النار في كل ناحية من نواحي سورية ذهبوا الى ان الحادي بعرب سورية الى ذلك هم الانكليز الذين بثوا الدسائس واعملوا نار الفتن واوعزوا الى شعب اقليم سورية أن يثور وغاب عنهم أن العنعنات التاريخية والتقاليد التي تحدر العربي منها هي الحافز الوحيد بالحقيقة له أن ينهض من كبوته وينفض عنه غبار الذل والخمول وان يستعيد حقا سليبا وعيشا صحيحا وحرية ما عاش بدونها قط .

غاب عن الفرنسيين ان الوضع الجغرافي والاقليم الطبيعي والمركز الذي خصها الله فيه هو الذي اهاب بها وبرجالها لان ينهضوا ويكافحوا ويناضلوا من يود استعمارهم واضطهادهم وتقيدهم بالسلاسل والقيود . ونسوا ان الاقليم السوري منذ احتلالهم له وتعريبهم ساحله وشاطئه راوا انفسهم امام نكبات عديدات بالفات :

١ ـ فقدان الوحدة الجغرافية .

٢ ـ القضاء على الوحدة السياسية . ٣ ـ ضياع الاسواق التجارية .

٤ ـ انتقال الموارد الاقتصادية والحركة التجارية الى أيدي الفاتحين . ٥ ـ

تقسيمها وتجزئتها بنوع واسلوب لا تقوى على الحياة عليه اصلا ولا يتاح لها ان تعود الى الوحدة القومية لما قائم به الفرنسيون من احلال الاديان والمذاهب محل الامم والعناصر والدول .

كل هذه النكبات والويلات وهذه الدواعي والاسباب وهذه الحوافز والغوامز هي التي كانت المدعاة لأن تهب نار الثورة في انحاء سورية .

وظل المستعمر الغاشم مواليا تنفيذ خطته التي رسمها منذ ان وطأ اول جندي ارض الاقليم السوري من غير ان يلتفت الى التاريخ فيعلم ان نفس رجاله وعلمائه قد ناوه بما انطوى عليه السوريون العرب من مزايا وخصال فكانت هذه الخطة التي سار الفرنسيون عليها مؤيدة ومحققة مخاوف الاقليم السوري ومهيبة به وبرجاله لأن يشدوا ازرهم نحو مطاعنة الظلم ومقاتلة الاستعمار وطرح رداء الخمول والاستكانة .

يزعم الفرنسيون والمستعمرون أن هذه البلاد التي فرضوا انتدابهم عليها فرضا مجموعة أمم وعناصر واديان ومذاهب لا تقوم لها قائمة ولا يعتبر لها شأن ان لم تقسم على ما قسموها عليه وما لم تجزأ على ما جزاوها به الى غير ما هنالك من امثال هذه المفتريات مع ان التعدد هو في المذاهب والطوائف لا في العناصر والشعوب وهذا التعدد في المذاهب موجود في جميع بلاد العالم فلو شئنا ان نناقش نفس الفرنسيين بأدل برهان يلقم المتشدقين حجرا ويكون لهم بمثابة الجواب المسكت لأخذنا بيدهم الى بلادهم ولأريناهم بأم اعينهم ماتنطوي عليه من اديان مختلفة ومذاهب متنوعة وقلنا لها ولرجالها لماذا لم تعملي هذا الدواء لدائك العضال فتقسمي وتجزئي لكل مذهب من مذاهبك حكما خاصا وتقويما جغرافيا منفردا وادارة واسعة تستقل عن اختها من الادارات والسياسات وانك لو عدت الى الحقيقة لرايت ان التجانس في الاقليم السوري أعظم بكثير منه لديك وانك لا يحق لك ان تدخلي العناصر الغريبة للاقليم السوري بالغرب عنه فتدمجيه فيه كما فعلت بأحضار الارمن

من الاناضول وغيرهم لتزاحمي اهل البلاد وتناوئي قاطني الاقليم السوري بلا حق ولا وجه مشروع .

ما بال الفرنسيون يوعزون الى كل طائفة امت الاقليم السوري أن تتطلب الانفصال عن الحكم السوري فيزينون للشركس والكرد والارمن ان يطالب بتاسيس وطن قومي له في الاقليم السوري ليوغروا بعضهم على بعض وليتخذوا منهم السلاح لمقاتلة ابناء البلاد به ، وهكذا فقد كان شأن الفرنسيين شأن العدو اللدود المنتقم الموتور الذي لا يترك فرصة الا ويعمل فيها الكيد وينشب فيها المخالب .

نظر الفرنسيون الى انهم لا يستقيم لهم الامر في هذه البلاد ما لم يقضوا على اقتصاديات البلاد من حيث التجارة والصادر والوارد فاعملوا ايديهم بشتى الطرق والوسائل يقللون مما ينتجه الاقليم السوري ويصدره ويكثرون مما يستورده ويستهلكه ، وهذه قاعدة يعرفها رجال الاقتصاد ، انها عبء على البلاد ثقيل يفضي الى الدمار الاقتصادي والافلاس الشعبي ويستنزف مال الشعب بطريقة غير مباشرة وبصورة سريعة غير مشعور بها قط . وشيء آخر عمد الفرنسيون اليه هو تبلبل النقد في الاقليم السوري بصورة تنقص الثروات الثروات فيه من حيث لا يشعر صاحبها فمن يكون على الف ليرة سورية في صندوقه اشتراها بمعدل كل خمسمائة وخمسين قرشا سوريا بعثمانية ذهبية يفقد نصف هذا المبلغ او ثلثيه عندما تهبط قيمة الليرة السورية فتصبح كل عشر ليرات سورية او اكثر بواحدة عثمانية وهذا مفقد للثروة العامة من غير ان ينتضى سيف او ان تطلق في الفضاء طلقة . ومن ذيول هبوط النقد تدهور قيم الاملاك بحيث يعود ثمن البناء الشامخ الذي صرف لأجله الاموال الطائلة لا يساوي في الكساد المالي نصف ربع ما كلف بناؤه ، ومن ذيوله ايضا قلة الانتاج والمحصول ووقوف دولاب العمل وفقدان الثقة بين الناس فالبلد الذي ليس له نقد ثابت يتعامل به لا يمكن

الاتجار والاصطناع والتزارع فيه على وجه ثابت . فيخشى التاجر أن يبيع فلا يستطيع ان يشتري بمثل ما باع ويخاف المصرف ان يعطي فلا يتمكن من أن يسترد الثمن الذي أعطى ويرهب المزارع ان يدفن في الارض ما يكون قد استقرض ثمن حبوبه به فلا يكون العامل المقبل منتجا ومغلا فيخسر حتى الحبوب التي بذرها لانه في فقر مدقع حمله على ان يحاسب حتى على الحبة فيخاف ان يبذرها سدى .

وشدة الضغط والظلم والارهاق تنفر الصانع من البقاء في بلده وتهيبه به الى ان يبارحها ويهجرها لغيره ، ومتى فقدت مدينة من المدن ايديها العاملة كتب لها البوار والفناء كما كان شأن الاقليم السوري وعمله .

ويضاف على ذلك ما قام به الفرنسيون من الاعمال الهدامة في الثورات التي سبقت ثورتنا التي نتكلم عنها من هدم قرى ودساكر ومدن اخصها في بلاد العلويين وشمالي الاقليم السوري وحوران وجبل عامل وجبال بعلبك ومما قامت به ايضا من سوق المواشي والاسرى والاموال والرياش وبيعها بلا ثمن ومن فرض الغرامات بلا موجب ومن هدم اكثر القرى بالقنابل والطيارات منذ عهد الاحتلال حتى نهاية الثورة التي سنذكرها وبذلك فقد مني الاقليم السوري بخسائر فادحة لا تحصى فكانت ضغثا على ابالة بالنسبة له ، واذا كنا نود ان ناتي بالبرهان الساطع على حقيقة الوضع الذي اصاب بعرب سورية للثورة فلنترك القول الى من كان عاملا قويا لدى الفرنسيين في الجيش ذلك هو المجاهد الحقيقي بطل الثورتين وحامي ثالث الحرمين فوزي القاوقجي ، قال هذا القائد الكبير ما نصه بالحرف : « بارحت دمشق عقيب الاحتلال الفرنسي لاتسلم وظيفة جديدة في حماة وهي قيادة الجيش الوطني ــ المليش ــ فوجدت اعمال الظلم سائدة في تلك الارجاء واول مشهد رايته هو أن جميع وجهاء المدينة وعلمائها القوا في غياهب الظلم مع اشنع انواع الاهانات لتاخرهم عن تنفيذ اوامر الكبتين « ميك » المستشار الاداري

وعدد هذا القائد الكريم مشاهد اخرى لها علاقتها بتصرفات الجيش الفرنسي واعمال الموظفين فيه وتقسيم البلاد الى حكومات واستعمال غير الاكفاء للوظائف وفصل ادارة العربان عن الحكومة المحلية وما قام به جيش الجوقة السورية من اعمال وطرح الضرائب على المكلفين بقيم ومقادير باهظة وازكاء نار النعرات الطائفية بين الناس الى ما هنالك من الامور التي نكتفي بالتنويه عنها على ان ما لايمكن السكوت عنه هو ما افاض بشرحه هذا القائد الكبير من مضار المصرف السوري ومقادير الذهب التي نقلها من هذه البلاد الى البلاد الفرنسية قصد منفعته واضرار الاقليم السوري . قال ذلك هذا القائد العظيم جوابا لسؤال الزعيم العربي الدكتور شهبندر اياه عن الاسباب التي حملته على الالتحاق بالثورة رغم ما عرف عنه من مصافاة الفرنسيين له الود ورغم ما نال في زمانهم من مرتبة عليا واوسمة لماعة قلما اعطيت لسواه من الوطنيين .

ليس بدعا ان ينزع مثل هذا الشهم الابي من صدره اوسمة علقتها له ايد نكثت مع بلاده عهدا ونقضت مع امته ميثاقا وكانت له مثل ما يكون الالد المخاصم نحو خصمه ، ليس بالكثير على مثل هذا القائد العظيم ان يشق عصا الطاعة على من اهان بلاده وامته وآله ووطنه وان يقلب له ظهر المجن وان يوقفه عند حده ويعلمه انه لن يكون على امته مع الاجنبي الفرنسي وانه :

يجود بالنفس اذ ضن البخيل بها   والجود بالنفس اقصى غاية الجود

هذا واشياء اخرى مما قام به الضباط الفرنسيون كان من جملة الاسباب التي اهابت بعرب سورية للثورة . وهنالك امور هامة كانت عاملا قويا في اضرام نار الهياج على الفرنسيين تلك ما كانت منهم نحو رجال الاقليم السوري الابرار من قتل وسجن وتعذيب وابعاد خلال عام ١٩٢٢ قمعا للمظاهرات التي كانت تعج بها الالوف من الناس في شوارع المدن اذ ان الفرنسيين الذين عرفوا بالمزاج العصبي لم تهضم صدورهم الضيقة تلك

التظاهرات التي كان يقوم بها رجال لم يؤذوا الفرنسيين بشيء بل كل ما كانوا يعملونه افهامه انهم رواد حق وطلاب حياة ، وبغاة حرية وعيش وهذا المزاج العصبي قد كان السبب الفعال في سوء التفاهم بين سكان الاقليم السوري والفرنسيين .

المعنا قبلا فيما مر الى الاسباب التي حدت بالاقليم السوري لأن يثور وكانت اسبابا عامة تناولت كل ناحية وتعرضت الى كل جهة ، وهنا نود ان نسرد الاسباب الموجزة القريبة الحديثة التي كانت مدعاة للثوران والغليان.

ان الشعب الدرزي العربي النبيل عرف عنه الاباء والشهامة وعدم الاستكانة والذل فكان على الفرنسيين وقد بسطوا نفوذهم على هذا الشعب في بلادهم المسماة بجبل الدروز ان يكونوا مقدرين هذه المزايا لهذا الشعب العربي الكريم وان يولوا عليه من يستطيع ان يسوسه بالحكمة والادارة الحسنة والسياسة اللينة المقبولة المعقولة لا ان يبعثوا من عندهم بمن لايحسن السياسة ولا يتقن الادارة ولا يعلم كيف تساس الناس وتدار واذا كان الخسران لاحق بالأخوة الدروز فهو بالفرنسيين ألحق وعليهم اعود واضر

كان على هذا الجبل الاشم امير منهم يدعى سليم الاطرش وكانت اهالي الجبل مذعنة له القيادة والرضوخ ومسلسلة العنان الى ان توفي فحل محله بأمر الفرنسيين رجل يسمى كاربيه كان له من فظيع الاعمال وسيء الخصال ما حدثت عنه التواريخ والكتب وما محا بافاعيله المستهجنة اعمال قرقوش التي يتحدث الناس عنها بغرابة وعجب .

ابتدات حياة هذا الاداري الغريب ! في الجبل بتعيينه مستشارا فيه ثم ارتقى ايضا فتاصل وكان ذلك في عهد الجنرال ويغاند مفوض فرانسا الاستعماري الشهير .

سار في بدء سيره كالثعلب والذئب بمحض الود والعطف واللين الى ان تمكن واستأمر فكشر عن انيابه واعلن الديكتاتورية تقريبا وراح يصدر الاوامر

الى هاتيك البلاد بوجوب الخضوع له والخروج في ركابه كلما بارح البلد الذي يكون فيه الى غيره وبلغت به الخيلاء والكبرياء درجة كان يفرض معها على البلد التي لا تهب للقائد واستقباله بالخيل والرجل ابهظ الغرامات واعظم الجزاءات مثال ذلك ما فعله في قرية عرمان حيث جبى منها مقادير كبيرة باسم الجزاء والغرامة كانت نصيبه وحده من غير مساهم ولا مشارك .

ومن غريب حوادث هذا الرجل ان فقدت للملازم موريل هرة في السويداء « البلد الاول في جبل الدروز » فنادى بزعماء البلد أن يقوموا بواحد من ثلاث : اما ارجاع الهرة سليمة معافاة بدينة وبحالة العكس سجنهم ، اختيار احد الامرين اما السجن جزاءاً وفداءاً عن الهرة واما فرض غرامة على الاهلين قدرها عشر ليرات عثمانية ذهبا وقد اضطر الزعماء لأن يرضخوا لدفع الغرامة المذكورة ويجبوها من الاهلين ففعلوا وسلموها الى حضرة الحاكم حسبما اراد ليضمها الى مكتبه الضخم فيحشوها في جيبه الخاص .

وحادث آخر لا يقل غرابة عن حادث الهرة هو ان مصباحا للبلدية في احد الاسواق قد اتلف بسبب ما او سرق من قبل مجهول ما فكان العقاب على ذلك فرض غرامة قدرها عشر ليرات عثمانية ذهبا .

وحدث أن سدد العريف الجندي دي بوشل على مدير العدلية في جبل الدروز محمد عز الدين الحلبي مسدسه لخصام شجر بينهما فاخطاه ولم يعاقب على فعلته بشيء رغم وجوده بالجرم المشهود .

واستاء هذا الحاكم مرة من السيد فهد الاطرش قائمقام صلخد فانهال عليه ضربا بالسوط مرة وبركل الرجلين مرة اخرى على مرای ومسمع من جم غفير من الناس .

وكان هذا الحاكم « العادل !؟ » يأخذ ابا كان من متنفذي جبل الدروز مهما سمت منزلته وعلت مكانته بوشاية احد الوشاة الى السجن دون أية محاكمة او اي استجواب وكان ينفذ فيه الاعمال الشاقة ، من تكسير حصى

وتعبيد طرق كما فعل بالسيد سليمان نصار شيخ قرية سالة وعين اعيانها وكما فعل بالشيخ صالح طربيه الفقيه الورع الصالح في الجبل .

وما أن نقم على آل الاطرش في الجبل وحاول سحق نفوذهم حتى اخذ بتعذيب وسجن من عاملهم ولو برد التحية والسلام وكثيرا ما كان يهجر السجناء الذين القوا في غياهب السجون من اجل تحية احد من آل الاطرش بلا طعام ولا ماء وان كان الماء فالمالح منه فقط .

ومن النوادر الغريبة التي تروى عن هذا الحاكم (المنصف !؟) انه كان يزج في السجن كل من سعل او تنحنح وهو مار في الطريق اذ انه نمي اليه من أحد الجواسيس ان من يقوم بذلك من الدرزيين العرب يكوّن منه عبارة عن احتقار وازدراء يجهلها غير الدرزي يقوم بها نحو من يراه امامه .

اجمع الرواة على حجز هذا الحاكم للحرية الشخصية بصورة لا مثيل لها ويضاف على ذلك ما كان متصفا به من الانغماس في اللذة الشهوانية التي كانت به كالمرض البهيمي بحيث لا يسمح الادب ولا الفضيلة ان نعدد الحوادث التي ارتكبها هذا الرجل بهذا الموضوع . فجميع هذه الخطيئات الادارية التي قام بتمثيل ادوارها هذا الحاكم استفزت شعور الشعب العربي الدرزي الابي استفزازا طبيعيا غير غريب ؛ ونكتفي بأن نجعل هذه الحوادث الغريبة خاتمة التوطئة والتمهيد التي قدمناها بين يدي المطالع الكريم .

لمحة عما كان للاقليم السوري بعد فاجعة ميسلون عام ١٩٢٠ حتى الثورة السورية العربية الكبرى عام ١٩٢٥ .

لم يكن الشعب السوري العربي مغرقا ولا مغاليا عندما تشاءم من الانتداب الفرنسي وخشي على حريته واستقلاله وكان على حق فيما بذل من مهج وما سفك من دماء ذودا عن وطنه وذبا عن عرضه ودفاعا عن حياة صحيحة وعيش أكيد طالما فداهما بالعزيز الغالي والنفيس .

لقد كان العهد الفرنسي بالحقيقة من اشأم العهود التي مرت بهذه

البلاد وقد كان الشعب العربي في سورية على حق فيما خافه على بلاده من رجال الفرنسيين .

وبديهي ان يشدد المستعمر الخناق على رجال سورية فيحجز حرية القول وحرية الاجتماع وحرية الصحافة وان يعمد الى اغلاق المعاهد الوطنية وان يبث روح التبشير التي طردها من بلاده وان يفسد عقائد عرب سورية وان يشجع الارساليات الاجنبية ومدارسها لتكون لهم النواة الصالحة في بذر بذور السم الاجتماعي في روع الطلاب لافساد التربية الوطنية والاخلاق ولكي تكون معوانا لهم على الانحدار الى نفوس النشء الجديد فيبدلون الاعراف والعادات والتقاليد عن اهون السبل واقرب الطرق .

ومن البداهة ان تضطهد الرجال لغير ما ذنب ولا اثم فيودعون السجون ويساقون الى النفي والتشريد كأنهم مجرمون فتاكون يخشى على الانسانية منهم فضربوا بصنيعهم هذا بحقوق الانسان وبالقوانين البشرية وبمبادىء الرئيس ويلسن عرض الحائط حتى انهم لم يتقيدوا بالقواعد التي حددها لهم نفس صك الانتداب الذين دخلوا هذه البلاد بموجبه ولأجل تدريب الشعب على الاستقلال والوعي السياسي والحكم الذاتي .

ونرى من الفائدة ان نسرد هنا الاتفاق الفرنسي الانكليزي على الحدود بين الاقليم السوري ولبنان وفلسطين والعراق :

أنابت الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية الوزيرين المفوضين الواضعين اسميهما ادناه ليحلا جميع الامور التي لها علاقة بالانتداب الذي منح لبريطانيا العظمى على فلسطين والعراق ولفرنسا على سورية ولبنان في المجلس الاعلى الذي اجتمع في سان ريمو وقد اتفقتا على الشروط الآتية :

١ ـ تعينت حدود المناطق التي شملها الانتداب الفرنسوي اي سورية

ولبنان وحدود المناطق التي شملها الانتداب البريطاني اي فلسطين والعراق كما يلي :

من الشرق نهر الفرات وجزيرة ابن عمر الى حدود ولايتي ديار بكر والموصل القديمة ومن الجنوب الشرقي حدود هاتين الولايتين القديمة الى غاية رومالين كوي ومن هنا خط يمتد من المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسوي فيترك فيها جميع الاراضي الواقعة في حوض نهر الخابور الغربي ويمر باستقامة نحو الفرات فيجتازه بالبوكمال ويمتد باستقامة الى امتار فجنوب جبل الدروز ومن هنا يمتد الى جنوب نصيب الواقعة على خط خديد الحجاز فسمخ الواقعة على بحيرة طبرية سائرا الى جنوب خط السكة الحديدية وموازيا له . وتبقى درعا وما حولها في المنطقة التي يشملها الانتداب الفرنسوي ويبقى ذلك الخط في وادي اليرموك ضمن المنطقة الفرنسوية ويسير بصورة ملاصقة وموازية لخط السكة الحديدية كي يصبح في الامكان ان يمد في وادي اليرموك سكة حديدية واقعة في الاراضي المشمولة بالانتداب البريطاني وستوضع التخوم في صمخ بصورة يمكن معها للفريقين المتعاقدين الساميين أن يبنيا مرفا ومحطة للسكة الحديدية ليتمكنا من استعمال بحيرية طبرية بحريا .

ومن الغرب يسير الخط من صمخ مارا داخل بحيرة طبرية فأول وادي المسعدية حيث يسير مع مجرى هذا النهر في وادي جرابا ، الى نبعه ، ومن هنا يتصل بطريق القنيطرة وبانياس بالمكان المعروف بالسكيك فيسير مع الطريق التي تبقى في المنطقة الفرنسوية لغاية بانياس ومن هنا يسير نحو الغرب حتى يصل الى المطلة وتبقى المطلة في المنطقة البريطانية .

ويضع لهذا الجزء من الحدود تفصيلات دقيقة يمكن معها تسهيل المواصلات بين جميع اطراف البلاد المشمولة بالانتداب الفرنسوي كصور وصيدا والمناطق الواقعة في الغرب والى الشرق من بانياس .

وتفصل التخوم المطلة بمفرق الماء في وادي الاردن وحوض نهر اللبطاني. وتسير جنوبا مع وادي الاردن فوادي فرعم ووادي كركره اللذين يبقيان في المنطقة البريطانية فوادي اليلاونة ووادي العيون والزرقاء التي تبقى في المنطقة الفرنسوية ويصل الحد الى شاطيء البحر المتوسط في ميناء راس الناقورة وتظل في المنطقة الفرنسوية .

٢ ـ تؤلف بعد التوقيع على هذه المعاهدة بثلاثة اشهر بعثة لتدرس الحدود بين المناطق المشمولة بالانتداب الفرنسي والمناطق المشمولة بالانتداب البريطاني التي بيناها في المادة الاولى وتتألف هذه البعثة من اربعة اعضاء تعين الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية اثنين منهم وتعين الاثنين الآخرين الحكومة المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوي والحكومة المحلية المشمولة بالانتداب البريطاني بعد مشورة الحكومتين المنتدبتين .

اذا وقع خلاف بين اعضاء هذه البعثة يعرض على مجلس جمعية الامم ويكون قراره قطعيا .

وتقدم تقارير البعثة النهائية عن الحدود الثابتة التي عينت اخيرا وتربط معها المصورات الضرورية الموقع عليها من قبل اعضاء البعثة . وتوضع ثلاث نسخ من هذه التقارير والمصورات تحفظ النسخة الواحدة بين سجلات مجلس جمعية الامم وتحفظ النسختين الاخرين الحكومتان المنتدبتان .

٣ ـ توافق الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية على ترشيح لجنة خاصة مهمتها درس الخطط التمهيدية التي تعينها الحكومة الفرنسوية المنتدبة لاجل مصلحة الري في البلاد المشمولة بانتدابها لئلا يقلل ابرازها لحيز الفعل ماء دجلة والفرات في الموضع الذي يدخلان به المنطقة العراقية المشمولة بالانتداب البريطاني .

٤ ـ توافق الحكومة البريطانية بالنظر الى مكانة جزيرة قبرص من الوجهة الجغرافية والعسكرية بالنسبة الى خليج الاسكندرونة على ان لاتفاوض

احدا بخصوص التنازل عنها او تسليمه اياها قبلما توافق فرنسا على ذلك .

٥ ـ توافق الحكومة الفرنسوية على وضع ترتيب حر يبين كيفية استعمال خط السكة الحديدية الواقع بين طبرية ونصيب استعمالا مشتركا.

تضمن سير هذا الترتيب وانتظامه ادارتا السكة الحديدية المؤلفتان في منطقتي الانتداب البريطاني والفرنسوي بأسرع ما يمكن اي بعد تنفيذ الانتداب على سورية وفلسطين وتسمح هذه الاتفاقية بصورة خاصة لادارة السكة الحديدية البريطانية ان تسير قطاراتها ذهابا وايابا بين هاتين المنطقتين وفقا لمصالحها . وتنقل البضائع التجارية الى المنطقة المشمولة بالانتداب الفرنسوي بواسطتها ، وتعين هذه الاتفاقية الشروط المالية والادارية والفنية اللازمة لسير القطارات البريطانية ، اما اذا لم يتم الاتفاق خلال ثلاثة اشهر من تنفيذ الانتداب بين الادارتين المذكورتين اعلاه فستعين جمعية الامم حكما يفصل الخلاف وعندئذ تنفذ شروط هذه الاتفاقية التي حازت رضا الطرفين .

يعمل بموجب هذه الاتفاقية الى اجل غير مسمى وتصحح احيانا بمقتضى الاحوال .

ب ـ يمكن للحكومة البريطانية ان تمد خطا من الانابيب الحديدية بجانب السكة الحديدية ولها الحق في نقل جنودها على هذه السكة الحديدية دائما.

ج ـ توافق الحكومة الفرنسوية على تعيين بعثة خاصة تدرس الاراضي وبعد درسها اياها تعين الحدود في وادي اليرموك حتى نصيب بطريقة فنية يمكن معها بناء الخط الحديدي البريطاني وخط الانابيب الموصل بين فلسطين وبين سكة الحجاز ووادي الفرات في المنطقة المشمولة بالانتداب البريطاني . وتبقى السكة الحديدية الحالية المارة بوادي اليرموك داخل الاراضي المشمولة بالانتداب الفرنسوي ، ويجب على بريطانيا العظمى احقاق حقها هذا في مدة لا تتجاوز عشر سنوات .

د ـ تتالف البعثة التي ذكرناها اعلاه من عضو بريطاني وعضو فرنسوي

ويضاف اليهما نواب عن الحكومات المحلية بصفة مستشارين فنيين هذا ان رات الحكومة البريطانية والحكومة الفرنسوية لزوما لذلك .

هـ ـ اذا اقتضى الامر لاسباب فنية ان يمر خط السكة الحديدية ـ البريطانية ببعض الاماكن المشمولة بالانتداب الفرنسوي توافق الحكومة الفرنسوية على مرور هذا الخط بتلك المناطق وتقدم الحكومة البريطانية او لعملائها المساعدات اللازمة .

و ـ اذا شاءت الحكومة البريطانية العمل بموجب الحق الممنوح لها بالفقرة الثالثة من هذه المادة اي ان تمد سكة حديدية في وادي اليرموك تنفذ الحكومة الفرنسوية الشروط التي اشترطتها على نفسها بالفقرة الاولى والثانية من هذه المادة غب مرور ثلاثة اشهر من انشاء السكة .

ز ـ توافق الحكومة الفرنسوية على اتخاذ التدابيرالفعالة لحمل الحكومات المحلية المشمولة بالانتداب الفرنسوي لتصادق على هذه الحقوق الممنوحة للحكومة البريطانية .

٦ ـ تم الاتفاق على هذه الشروط التي تسهل اعمال الحكومة البريطانية مقابل عقد الاتفاقية الفرنسوية البريطانية بخصوص الزيت في سان ريمو .

٧ ـ لا تضع الحكومةالبريطانية ولا الحكومة الفرنسوية موانع في منطقتي انتدابهما لجمع الموظفين اللازمين لادارة خط السكة الحجازية او لاستخدامهم تمنح جميع التسهيلات الضرورية لمرور جميع الموظفين المستخدمين في الخط الحديدي الحجازي بمنطقتي الانتداب البريطاني والفرنسوي لئلا تتاخر اعمال هذا الخط .

توافق الحكومة البريطانيةوالحكومية الفرنسوية عند اللزوم على ان تعقدا اتفاقية مع الحكومات المحلية خلاصتها استثناء جميع مهمات هذا الخط ومعداته من الرسوم الجمركية عندما تمر باحدى مناطق الانتداب .

٨ ـ يعين خبراء واختصاصيون من قبل حكومة سورية وفلسطين غب

مرور ستة اشهر من امضاء هذه المعاهدة مهمتهم فحص مياه نهر الاردن الاعلى ونهر اليرموك وتوابعهما لاستخدامهما لاجل الري ولاجل توليد الكهرباء وتعيين المقدار اللازم للاراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي .

تزود الحكومة الفرنسوية الاخصائيين الذين تعينهم لدرس هذا المشروع بالتعليمات اللازمة لمنح فلسطين الماء الزائد خدمة لمنافعها العامة .

اذا لم يحصل الاتفاق المطلوب بنهاية هذا الدرس تعرض المسألة على الحكومتين البريطانية والفرنسية لتدرساها وتقررا فيها قرارا نهائيا .

تشترك ادارة فلسطين بقدر انتفاعها من هذه الاعمال في دفع نفقات بناء الترع والخلجان والسدود والخزانات والاحواض والاقنية وخطوط الانابيب الحديدية الخ .. وتشترك في جميع الاعمال التي من شأنها انبات الحراج وتنشيط تربيتها .

٩ ــ توافق الحكومتان البريطانية والفرنسية عملا بنص المادة « ١٥ » والمادة « ١٦ » من نظام الانتداب الفلسطيني وعملا بنص المادة الثامنة والمادة العاشرة من نظام الانتداب العراقي وعملا بنص المادة الثامنة من نظام الانتداب اللبناني السوري وعملا ايضا بموجب الحق العام المعطى من قبل الحكومات الوطنية للمدارس المحلية بخصوص التربية والتعليم على السماح للمدارس التي تخص اناسا من التبعة الفرنسية او من التبعة البريطانية على المثابرة في ادارة هذه المدارس في منطقتي انتدابهما ، ويسمح بتعليم اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية في هذه المدارس .

لا تعني هذه المادة بحال من الاحوال منح رعايا احدى الدولتين المشار اليهما حق فتح مدارس جديدة في الوقت الحاضر في منطقة انتداب الدولة الاخرى .

هاردنج　　　　ج . بيج

لقد جعلت الدولة الفرنسية من هذه الولاية الصغيرة « سورية » على

عهد العثمانيين والتي كانت تترامى اطرافها كما ذكرنا دول القت عليها الاسماء الضخمة والالقاب الفخمة والملاكات الواسعة فجعلت منها دولة لبنان الكبير « جمهوريةلبنان اليوم » من بعد ان الحقت فيها اقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا فتألفت هذه الدولة من لبنان القديم ولواء بيروت الذي هو عبارة عن اقضية صيدا وصور ومرجعيون وطرابلس الشام مع قضاء عكار والاقضية الشرقية وهي بعلبك وحاصبيا وراشيا والبقاع وجعلوا العاصمة بيروت وقد اعلن الجنرال غورو بقصر الحرش استقلال لبنان الكبير تحت حماية فرنسا في اول ايلول ١٩٢٠ فاحتجت الحكومة السورية حينئذ على سلخ الاقضية الاربعة والحاقها بلبنان من غير مسوغ شرعي .

ودولة حلب : بقرار اعلنه الجنرال غورو في ٨ ايلول سنة ١٩٢٠ وجعل منها دولة مستقلة بهذا الاسم رغم ضآلة حدودها وقلة موازنتها .

ودولة العلويين : التي اصدر المفوض السامي قرارا بتاليفها في ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ من لواء اللاذقية القديم بما فيه اقضية صهيون وجبلة وبانياس وقضاء حصن الاكراد وصافيتا من لواء طرابلس الشام القديم وناحية طرطوس وقضاء مصياف من اعمال حماه .

ودولة دمشق : التي اصدر نفس المفوض في ٣ كانون الاول سنة ١٩٢٠ قراره بجعلها دولة مستقلة وبابدال الوزارات بمديريات عامة وجعل حاكم لهذه الدولة بدلا من رئيس وزراء ففقدت ما تمتاز به هذه المدينة من المميزات الطبيعية واصبحت كغيرها من العواصم التي أحدثت والتي هي اقل شانا منها بكثير .

ودولة جبل الدروز : التي اعلنت السلطة الفرنسية بتاريخ ٢٠ نيسان سنة ١٩٢١ بلسان الجنرال غورو انشاء الحكومة الجديدة فيها تحت امرة الامير سليم الاطرش وذلك بعد مفاوضات جرت فيما بينها وبين الشعب

الدرزي العربي على اثر المؤتمر الذي عقده الدرزيون في السويداء في ٢٠ كانون الاول سنة ١٩٢٠ فقرروا فيه ما يلي وقدموا هذه المقررات الى السلطة لتنفيذها :

١ ـ حكومة جبل الدروز هي حكومة سورية مستقلة استقلالا داخليا .

٢ ـ تقبل حكومة الجبل الانتداب الفرنسي بشكل لا يمس استقلالهما

٣ ـ تسمى هذه الحكومة « مشيخة جبل حوران » ويدخل ضمنها كامل وعرتي اللجه والصفة وتمتد الى حدود الدير علي من الجهة الشمالية والى حدود الازرق من الجهة الجنوبية .

٤ ـ يراس هذه الحكومة حاكم اهلي ، ينتخبه الاهالي ، وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات ويكون لها مجلس استشاري كبير ينتخب اعضاؤه وفقا لقانون خاص مرة كل ثلاث سنوات ايضا .

٥ ـ يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملي ولا يقل اعضاؤه عن الثلاثين عضوا .

٦ ـ تحديد وتعيين صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه اهل البلاد بجمعية عمومية .

٧ ـ تستمد حكومة الجبل ما تحتاج اليه من المساعدة المالية والفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة .

٨ ـ لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بامور الجبل الداخلية ، ولاتجنيد اهالي جبل حوران ولا نزع الاسلحة منهم ضمن المنطقة الفرنسية .

٩ ـ يعهد بامور الجبل السياسية الخارجية لماموري الحكومة المنتدبة السياسيين ولا يكون للحكومة الوطنية مامورون سياسيون الا في دمشق وفلسطين وجبل لبنان .

١٠ ـ واردات هذه الحكومة تكون اولا مما يصيبها من حصة الجمارك السورية والفلسطينية . وثانيا مما يصيبها من واردات معالح اتري وكافه وثالثا من دخل املاك الدولة التي ستدخل ضمن حدود حكومة الجبل ورابعا مما يطرحه المجلس الملي من الاموال عند الاحتياج المبرم على انه لا يحق لهذا المجلس ان يقرر استيفاء ضريبة الاعشار من حاصلات الاراضي انما الاموال التي يجوز له ان يقرر استيفاءها من الاراضي يجب ان تكون مقطوعة ومصدقا عليها من عموم اهل البلاد بجمعية عامة .

١١ ـ اذا خالف رئيس الجبل منافع الجبل العامة ومنافعه الحيوية واخل بالقوانين الاساسية الموضوعة وقرر المجلس تنحيته واستحصل على فتوى من مشايخ العقل بذلك فحينئذ ينحى وينتخب خلافه .

١٢ ـ ينصب مشايخ العقل مدى الحياة ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية والمنتدبة التدخل بوظائفهم الدينية .

واليك نص الاتفاق الذي جرى فيما بين الشعب الدرزي العربي والسلطة يوم ٤ مارس سنة ١٩٢١ :

١ ـ تنشأ في جبل الدروز وحوران حكومة وطنية مستقلة استقلالا اداريا واسعا تحت الانتداب الفرنسي وتعين حدود هذه الحكومة لجنة ثم تقرها الدولة المنتدبة .

٢ ـ تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من ابناء البلاد ويكون طرز ادارتها منطبقا على العوائد المحلية وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين فرنسيين يقيمون عند الحكومة الوطنية لتدريبها على الامور القانونية والادارية ويرجعون الى رئيس البعثة بدمشق . اما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن ريثما يتفق عليه مع المندوب السامي .

٣ — يراس هـذه الحكومة حـاكم أهلي ينتخب بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة اربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيما بعد ولا يصـح انتخابه نهائيا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة .

٤ — يساعد الحاكم في مهامه مجلسان يدعى الاول مجلس الحكومـة لمدة ثلاث سنوات ممثلوا الامة الشرعيون وفقا لقانون خاص يوضع فيما بعد ويلتئم هذا المجلس مرة في السنة لتدقيق ميزانية الحكومة والموافقة على الحسابات الماضية ويقدم اقتراحات فيما يتعلق بالمصالح العامـة كالاشغال العمومية والصحة والاسعاف والمعارف الخ ... اما اللجنة الادارية فيكون اجتماعها بصورة دائمة وتكون مؤلفة من موظفين يعينهم الحاكـم ومندوبين ينتخبهم مجلس الحكومة .

٥ — ينظم قانون خاص تعين به وظائف الحاكم وصلاحيتـه وصلاحية مجلس الحكومة واللجنة الادارية وكيفية تاليفهما ويعهد بتنظيم هذا القانـون الى لجنـة خاصة ولا يصح نافذا الا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه .

٦ — ان الحكومة المنتدبة وحدها دون سواها تقدم لحكومة جبل الدروز المساعدة الفنية والمالية والاقتصادية والعسكرية التي قد تحتاج اليها .

٧ — تتعهد الحكومة المنتدبة باستثناء سكان جبل الدروز من الخدمـة العسكرية الاجبارية ، اما قوات الدولـة والشرطة اللازمة لحفظ النظـام العمومي فيصير تشكيلها بطريقة التطـوع ويسمح لسكان الجبل بابقـاء الاسلحة بين ايديهم داخل حدود الحكومة الدرزية . امـا في خارج هـذه الحدود فيجب على السكان المذكورين الخضوع للاحكام الموضوعة بخصوص حمل السـلاح .

٨ ـ ان الحكومة المنتدبة هي مولجة وحدها في مصالح الحكومة الدرزية وتمثيلها في الخارج اما في داخل المنطقة الفرنسية فتقبل الحكومة المنتدبة معتمدين لحكومة الجبل لاجل المصالح الاقتصادية .

٩ ـ تتعهد الحكومة المنتدبة بعدم اجبار حكومة جبل الدروز على الدخول في الوحدة المحتمل حصولها فيما بعد بين الاقليم السوري الا فيما يختص بالمسائل الاقتصادية العائدة منفعتها على الحكومة الدرزية وسائر مقاطعات الاقليم السوري .

١٠ ـ مصادر الايراد لميزانية جبل الدروز هي الآتية :

١ ـ الضرائب والرسوم المختلفة التي يفرضها مجلس الحكومة .

٢ ـ الرسوم التي تفرض على المناجم المعدنية المحتمل اكتشافها في اراضي هذه الحكومة .

٣ ـ واردات اقسام الاراضي السنية العائدة للحكومة العثمانية والمحتمل ادخالها ضمن منطقة جبل الدروز الجديدة ولا يصير دفع اعشار في هذه الحكومة .

١١ ـ لا تصبح ميزانية جبل الدروز نافذة الا بعد مصادقة المندوب السامي للجمهورية الفرنسية في الاقليم السوري عليها .

١٢ ـ لا تقام حواجز جمركية بين حكومة الجبل وحكومة مقاطعة دمشق انما يحق لحكومة جبل الدروز ان تاخذ حصتها من واردات الجمارك السورية فيما لو ترتبت حصص لباقي مقاطعات الاقليم السوري .

١٣ ـ يمكن لمجلس الحكومة ان يطلب من الدولة المنتدبة في الاحوال المذكورة في القانون الخاص المتعلق بصلاحية الحاكم ووظائفه اقالة الحاكم وتتخذ الحكومة المنتدبة قرارا بهذا الشان بعد استشارة رؤساء الدين .

١٤ ـ ان الحكومة المنتدبة ومجلس حكومة الجبل واللجنة الادارية لا تتدخل على الاطلاق في الامور الدينية ولا يجوز للسلطة المدنية عزل أو تنحية رجال الدين .

١٥ ـ تتعهد الحكومة المنتدبة وحكومة الجبل المحلية بالمحافظة على حقوق الاقليات داخل حكومة الجبل هذه .

« فضل الله هنيدي . نسيب الاطرش . سليم الاطرش . توفيق أبو عساف . عقلة القطامي . قفطان عزام . فخر الدين الشعراني . مسعود غانم . جبر شلغين . نايف ابو فخر ، ضمري شلغين . دخل الله ابو فخر نسيب الحسيني . حسين ابو فخر .

بالاصالة والنيابة عن المشايخ الروحانيين اقر واعترف بذلك .

محمود ابو فخر ـ والرئيس الروحي

مصدق : روبيردي كيه

المفوض السامي في سورية وكليكيا بتاريخ ٤ مارس سنة ١٩٢١

* * *

ولواء الاسكندرون الذي ظل حتى صيف ١٩٢٤ جزءاً من دولة حلب فاصدر المفوض السامي قرارا قال فيه :

« يتمتع لواء اسكندرونة مع بقاءه تابعا للدولة السورية بنظام اداري ومالي خاص وتعتبر اللغة التركية لغة رسمية كالعربية والفرنسية ويعين متصرف لواء اسكندرون من قبل رئيس الدولة السورية بناء على اقتراح مندوب المفوض ويكون له كل السلطة المخولة لمتصرفي الالوية وله علاوة على ذلك النظر في شؤون المعارف والاشغال العامة » .

على ان الانتخابات التي جرت على قاعدة اللواء في عهد المسيو ديجوفنيل

كما سياتي تفصيله جعلت هذا اللواء منفصلا بصورة ادارية عن سورية ومربوط بالمفوضية العليا راسا مع توسيع سلطة مندوب المفوض السامي فيه ثم انهم ما عتموا ان عادوا عن ذلك بتاريخ ١٢ حزيران سنة ١٩٢٦ فقرروا الغاء استقلاله وادخلوه على قاعدة اللامركزية للبلاد السورية على ان يكون التعيين راجعا الى المرجع المختص على شريطة التفاهم مع المفوض السامي .

ويتالف هذا اللواء من مدن اسكندرونة وانطاكية وبيلان وقرقخان وهو متاخم لتركيا .

وفي الرابع عشر من شهر مايس سنة ١٩٣٠ اذاع المفوض السامي مجموعة الدساتير التي وضعها للدولة السورية كجمهورية دمشق وجمهورية لبنان وحكومة جبل الدروز وحكومة العلويين ولواء الاسكندرون وبعث بها الى جامعة الامم عن طريق وزارة الخارجية الفرنسية فاقرتها .

ان هذه التجزئة المريرة التي اقدم الفرنسيون عليها قد قوبلت من عرب سورية باشد الاستياء والاستنكار وقد ادرك الشعب ان ما اقدم على ذلك المستعمر الا لارساخ اقدامه في هذه البلاد ولانهاكه قواها بالموازنات الفضفاضة وبالاثواب الحكومية الواسعة التي القاها على اجسام هذه الدول النحيلة الهزيلة لكي يرهق كاهلها بما لا تطيق .

أدرك الجنرال غورو عقم وفساد ما صنع فشاء ان يتلافى ما فعل بتعديل مشروع التجزئة تعديلا بسيطا ظنا منه انه يسترضي الشعب به نوعا ما فاصدر بتاريخ ٢٢ حزيران سنة ١٩٢٢ قرارا بانشاء اتحاد بين دول دمشق وحلب والعلويين مواده ما ياتي :

١ ـ انه قد انشيء اتحاد بين الدول السورية المؤلفة من دولة حلب ودولة دمشق واراضي العلويين المستقلة .

٢ ـ ان من اراد الانضمام الى هذا الاتحاد من الدول او الاراضي الاخرى الواقعة تحت الانتداب الفرنسي يجب عليه قبول الشروط المدرجة في هذا القرار ثم يتخذ رئيس الاتحاد قرارا يصادق به على هذا الانضمام ويحدد عدد الممثلين الذين تنتدبهم عنها لدى مجلس الاتحاد الدولي التي قبل انضمامها .

٣ ـ ان الدول الواقعة تحت الانتداب الفرنسوي داخلة كانت في الاتحاد ام لم تكن يكون لها عين النظام فيما يتعلق بالنقود والمعاملات الجمركية ولا يمكن ان يفصل بينها بادنى حاجز جمركي .

٤ ـ ان السلطة التنفيذية تخول لرئيس الاتحاد الذي يمكنه تكليف حكام الدول بالنيابة عنه تنفيذ قرارات المجلس الاتحادي وان هذا الرئيس ينتخب من جانب المجلس بالاكثرية المطلقة ويكون انتخابه لسنة كاملة .

٥ ـ يساعد رئيس الاتحاد في مهام وظيفته مديرون من الدول المتحدة ومجلس الاتحاد وهذه المديريات المشتركة بين الدول تكون بصورة موقتة كما ياتي : مدير المالية ومدير الاشغال العامة ومدير العدلية ويرشد هؤلاء المديرين مستشارون افرنسيون .

٦ ـ ان قرارات رئيس الاتحاد لا تنفذ الا بعد مصادقة المفوض السامي عليها :

٧ ـ يؤلف المجلس الاتحادي من خمس ممثلين لدولة دمشق وخمسة لدولة حلب وخمسة لبلاد العلويين وينتخب هؤلاء الممثلون لمدة سنة من قبل مجالس الحكومات حينما تؤلف على الطريقة الانتخابية على انه لا يجب ضرورة أن يكون اعضاء المجلس الاتحادي من اعضاء مجلس الحكومة الذين

ينوبون عنهـا بل يجري تعيينـه موقتا من قبل حكام الدول .

٨ ـ يلتئم المجلس الاتحادي بالمناوبة تارة في دمشق وتارة في حلب في كل منهما سنة واحدة وتؤلف دائرة تمثل فيها كل بعثـة مؤلفة من رئيس اول ورئيسين ثانيين » .

وفي ٢٨ من الشهر المذكور من العام الملمـع اليه اجتمع اعضاء المجلس الاتحادي في حلب وكان من جملة الحضور الجنرال غورو من اعلن انشاء هـذا الاتحاد رسميا ومن قال في مستهل خطابه ما معنـاه : « انا اعلن ان هذا الاتحاد لم يقابله الاهالي في كل مكان بعـواطف واحـدة غير انـه من المحتمل ان لا يكون القرار الذي اوجده قد اعرب على وجه الصحة او نقـل بالضـبط ، لذلك اراني مضطرا لان اتلوه بنفـسي عليكم » وبالفعل فقد تـلاه وهنا لا نرى بدا اتماما للفائدة من ان نأتي على ذكر الانتداب وصكه وكيـف كان اقراره على هذه البلاد .

اقر مجلس عصبة الامم في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٩٢٢ صك الانتداب على سورية الذي وضعته الحكومة الفرنسية لسورية ولبنان بنـاء على قرار مجلس الحلفاء الاعلى الذي صدر في سان ريمو بتاريخ ٢١ نيسان سنة ١٩٢٠ بانتداب فرنسا على سورية ولبنان وها هو نص الصك :

« مجلس جمعية الامم :

لما كانت دول الحلفاء العظمى متفقة على ان اراضي سورية ولبنان التي كانت فيما مضى جزءاً من السلطنـة العثمانية يعهد بها ضمن حـدود تعينها الدول المشار اليهـا الى دولة منتدبة موكول اليها نصح الاهالي ومعاونتهـم وارشادهم في ادارتهم وفقا لنص الفقرة الرابعة من المادة « ٢٢ » مـن عهد جمعيـة الامـم .

ولما كانت دول الحلفاء الرئيـسية قد قررت ان الانتداب علـى البـلاد المذكورة يعطى لحكومة الجمهورية الفرنـسية التي قبلته .

ولما كان صك هذا الانتداب المبين في المواد المذكورة فيما بعد قد وافقت عليه حكومة الجمهورية الفرنسية وعرض للتصديق على مجلس جمعية الامم .

ولما كانت حكومة الجمهورية الفرنسية تتعهد باجراء هذا الانتداب باسم جمعية الامم طبقا للمواد المذكورة .

ولما كانت نصوص المادة الثانية والعشرين الآنفة الذكر « الفقرة الثانية » تقضي بأنه لما كانت درجة السلطة والمراقبة والادارة التي تجريها الدولة المنتدبة لم يتفق عليها سابقا بين اعضاء جمعية الامم فالمجلس هو الذي ينظم ذلك .

يضع نصوص الانتداب كما يلي موافقا عليه :

١ ـ تضع الحكومة المنتدبة في برهة ثلاث سنوات اعتبارا من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب دستورا نظاميا لسورية ولبنان .

يصاغ هذا الدستور بالاتفاق مع السلطات الوطنية وتراعى فيه حقوق عموم السكان القاطنين في هذه البلاد ومصالحهم وستشرع الحكومة المنتدبة في ايجاد الوسائل التي من شانها ان تسهل تقدم سورية ولبنان ورقيهما كحكومتين مستقلتين وتسيرهما بموجب روح هذا الصك الى ان يتم الشروع في تنفيذ ذاك الدستور .

ويجب على الدولة المنتدبة ان تنشط الاستقلال المحلي قدر ما تسمح به الاحوال .

٢ ـ يمكن للحكومة المنتدبة ان تبقي جنودها في البلاد للدفاع عنها وقد خولت حق تنظيم جند من المليش المحلي قصد المحافظة على الامن والدفاع عن البلاد كما تقتضيه الاحوال وذلك حتى تنفيذ الدستور واعادة الامن الى نصابه وتنظيم جنود المليش المحلي من سكان البلاد فقط .

ترتبط هذه الجنود فيما بعد بالادارات المحلية تحت اشراف الدولة المنتدبة ولا يجوز استخدامها لاغراض اخرى سوى الاغراض المعينة فيما تقدم الا بعد موافقة الدولة المنتدبة .

لا مانع يمنع سورية ولبنان من الاشتراك في نفقات القوات التي تضعها الدولة المنتدبة في البلاد .

يحق للدولة المنتدبة في كل حين ان تستعمل الموانيء والخطوط الحديدية ووسائل النقل الموجودة في سورية ولبنان لسوق جنودها ونقل جميع المواد والمهمات والوقود اللازمة لها .

٣ ـ يعهد الى الدولة المنتدبة بالسيطرة على جميع علاقات سورية ولبنان الخارجية ولها حق اصدار البراءات الى القناصل الذين يعينون من قبل الدول الاجنبية ، وتشمل الدولة المنتدبة بحمايتها السياسية والقنصلية الرعايا السوريين واللبنانيين الذين يعيشون خارج هذه البلاد .

٤ ـ الدولة المنتدبة مسؤولة عن عدم التنازل عن اي جزء من اجزاء سورية ولبنان وعن عدم تأجيره او وضعه تحت تسلط دولة اجنبية .

٥ ـ ان اعفاء الاجانب من الامور الواجبة وتمتعهم بالامتيازات الاجنبية وبقضاء القنصلاتو وحمايته التي كانوا يتمتعون بها ايام الدولة العثمانية لا تطبق في سورية ولبنان ، غير ان محاكم القنصلاتو الاجنبية تداوم على القيام بوظيفتها الى ان يتم تنفيذ النظام الجديد المنصوص عنه بالمادة السادسة .

ان الدول التي كان اتباعها يتمتعون بالامتيازات الاجنبية المبينة اعلاه لاول اغسطوس سنة ١٩١٤ والتي لم تتنازل عن هذه الامتيازات او توافق على عدم تطبيقها ، لاجل محدود ستمنح ثانية جميع الامتيازات او بعضها بعد انقضاء امد الانتداب بالصورة التي يتم عليها الاتفاق بين الدول ذات الشأن .

٦ ـ تضع الحكومة المنتدبة في سورية ولبنان نظاما قضائيا يصون حقوق الوطنيين والاجانب على السواء .

يحافظ على احوال الناس الشخصية وعلى مصالحهم الدينية وخصوصا ادارة الاوقاف التي تدار وفقا للشريعة ولادارة الوقف .

٧ ـ تكون معاهدات تسليم الرعايا الاجانب المبرمة بين الدولة المنتدبة وبين سائر الدول الاجنبية مرعية في سورية ولبنان الى ان يتم عقد اتفاقات خاصة بهذا الشان .

٨ ـ تضمن الدولة المنتدبة للجميع حرية المصير وحرية القيام في جميع شعائر العبادة التي لا تخل بالامن ولا بالآداب العامة ولا يكون تمييز من اي نوع بين سكان سورية ولبنان بسبب الجنس او الدين او اللغة .

تنشط الحكومة المنتدبة التعليم العام ويكون هذا التعليم بلغة البلاد المحلية ، لا تحرم جميع الطوائف حق المحافظة على مدارسها وتعليم ابنائها بلغتها متى كان ذلك مطابقا لقانون التعليم العام الذي تعينه الحكومة .

٩ ـ تتجنب الحكومة المنتدبة التدخل في اعمال المجالس الادارية وفي ادارة الطوائف الدينية وفي ادارة المعابد المقدسة التي تخص احدى الطوائف وقد تكفلت بالمحافظة على هذه المعابد .

١٠ ـ تحدد سلطة الدولة المنتدبة في مراقبة البعثات الدينية في سورية ولبنان لاجل محافظتهم على الامن وعلى الحكم بطريقة مرضية ، ولا تحصر الدولة المنتدبة مساعي هذه البعثات بصورة من الصور ولا تقيد اعضاءها بقيود بسبب قوميتهم ما لم تخرج اعمالهم عن اصول الدين .

يمكن لهذه البعثات الدينية ان تشتغل بامور الاسعاف والتعليم تحت مراقبة الدولة المنتدبة او الحكومة المحلية .

١١ ـ يجب على الحكومة المنتدبة ان لاتميز بالمعاملة في سورية ولبنان بين اتباعها وبين اتباع غيرها من الدول الداخلة في عضوية جمعية الامم

وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الاجنبية على اختلافها ، وان لاتميز ايضا بين اتباع اي دولة اجنبية وبين اتباعها في الامور التي لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطي الحرف والمهن او في معاملة السفن البحرية او الوسائط الهوائية وكذلك الامر يجب ان لا يكون تمييز في سورية ولبنان بين البضائع التي يكون مصدرها او محط رحالها بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور والتجارة عبر المنطقة المشار اليهما بشروط عادلة .

يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ما ذكر اعلاه ان تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التي تراها ضرورية او توعز للحكومات المحلية ان تفرضها ، ويمكن للدلة المنتدبة او الدولة المحلية التابعة لمشورتها أن تعقد لاسباب جوارية اتفاقا جمركيا خاصا مع البلاد المتاخمة لها .

ويمكن للحكومة المنتدبة عملا بشروط البند الاول من هذه المادة ان تتخذ الوسائل الفعالة التي تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان .

تمنح الامتيازات لترقية هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تميز في تابعية الاشخاص الداخلة دولهم في عداد اعضاء جمعية الامم بشرط ان لا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية ، ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام . لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة في ايجاد الاحتكارات المالية التي من شأنها أن ترقي مصالح سورية ولبنان وتحفظ مواردهما المالية والمحلية ، ويمكن للحكومة أن تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة او بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط أن لا يوجد هذا العمل لا عمدا ولا بالواسطة احتكارا خاصا بالدولة المنتدبة أو برعاياها ، أو يمنحهما ميزة من الامور الاقتصادية والتجارية والصناعية التي تقرر فيها المساواة بين الجميع .

المادة ١٢ ـ تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولي عام عقد حتى الآن او ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الامم بخصوص الاتجار بالرقيق ، وبالعقاقير وبالسلاح ، والمعدات الحربية ، وبالمساواة التجارية ، وحرية العبور ، والملاحة والطيران ، والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية ، وباتخاذ الوسائط اللازمة لحماية المصانع والآداب والفنون .

المادة ١٣ ـ تصون الدولة المنتدبة بقدر ما تسمح لها الاحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان في الامور ذات الفوائد العامة التي تقرهما جمعية الامم لمنع الامراض ومقاومتها وفي جملتها امراض الحيوان والنبات.

المادة ١٤ ـ تتضمن هذه المادة بحثا طويلا في قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمادة الخاصة بالآثار في صك الانتداب لفلسطين فليرجع اليها .

المادة ١٥ ـ عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه في المادة الاولى يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومتان المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التي انفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التي افادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الامم .

المادة ١٦ ـ تكون اللغة الفرنسوية واللغة العربية اللغتين الرسميتين المستعملتين في سورية ولبنان .

المادة ١٧ ـ تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريرا سنويا حسبه طلبه تبين فيه التدابير التي اتخذتها اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والانظمة التي تسن سنويا .

المادة ١٨ ـ يجب ان يوافق مجلس جمعية الامم على كل تعديل يحصل

في شروط هذا الصك .

المادة ١٩ ـ يستعمل مجلس جمعية الامم نفوذه عندما تنتهي مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان في المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التي منحتها ادارة سورية ولبنان ايام الانتداب .

المادة ٢٠ ـ توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلة في عضوية جمعية الامم بخصوص تفسير شرط في صك الانتداب او تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولي الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الامم ، هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات .

لا بد لهذه الدول التي انشئت من مجالس تمثلها امام دولها لهذا أصدر المفوض السامي في ٣٠ اغستوس سنة ١٩٢٢ قرارا بانشاء مجلس تمثيلي لدولة دمشق قوامه ٣٠ عضوا على ان تكون صلاحيته محدودة للنظر في الميزانية والضرائب والتشريع والادارة وعلى أن يكون له الحق في تعيين ممثلي الدولة في مجلس الاتحاد وعلى ان يكون له ايضا حق طرح الاسئلة على الحاكم وابداء الرغبات .

كما انه قد اصدر المفوض ايضا قرارات بانشاء مجلس مثله لدولة حلب وآخر شبهه لدولة العلويين .

اما في لبنان وجبل الدروز فقد انشيء في كل منهما من نظير هذا المجلس مجلسا من قبل .

فدمشق التي ما اخلدت لضيم ما رفعت عقيرتها بالشكوى والاحتجاج على انشاء مجلس كهذا ضيق الصلاحية محصور الاختصاص لا يمثل الشعب بشيء وقاطعت انتخاباته ولم تعترف على القرار الذي صدر بشأنه واضربت المدن عشرة ايام احتجاجا على هذا الانشاء والتأسيس وان كان كل ما قام

به الاقليم السوري من الواجب لم يزحزح السلطة شعرة عما صممت على عمله . فهي قد اتمت الانتخابات واخرجت النواب الذين انتخبتهم والذين قاطعهم الشعب ولم يتعرف اليهم والذين كانوا يمثلون انفسهم فحسب والذين لولا ان تحرسهم الحكومة برجالها ما كانوا احياء بالفين مجلس الاتحاد.

واتحاد كهذا تحميه الحراب ، وتحرسه البنادق ورجال الانتداب من الطبيعي ان لا يعيش طويلا وان يلغى سريعا لأن ما لا يرضى الشعب عنه لا يمكن ان يكتب له البقاء وان كتب فالى زمان معلوم ووقت محدود .

والى الشعب السوري العربي احتجاجه فلم يفتر ولم يهدأ ولم يسكن مما اهاب بالجنرال ويغاند « خلف الجنرال غورو » ان يصدر في الخامس من كانون الاول عام ١٩٢٤، قرارا بالغاء الاتحاد وابداله بوحدة تجمع بين دولة دمشق ودولة حلب عدا حكومة العلويين ونص القرار ما يلي :

١ ـ تتحد دولتا حلب ودمشق اعتبارا من اول يناير سنة ١٩٢٥ وتؤلفان دولة واحدة تسمى ـ الدولة السورية ـ .

تؤلف الدولة السورية ضمن الحدود الحالية لدولتي دمشق وحلب دولة مستقلة عاصمتها دمشق على ان يحتفظ بحقوق وواجبات الحكومة المنتدبة .

يتولى السلطة التنفيذية رئيس حكومة يسمى « رئيس دولة سورية »، وينتخبه المجلس التمثيلي باكثرية الآراء المطلقة وان كان من اعضاء المجلس التمثيلي تزول منه هذه الصفة يوم انتخابه . ويتحتم استبداله بغيره .

٢ ـ يتولى رئيس دولة سورية القيام بوظائف رئيس الاتحاد للدول السورية وبوظائف حكام الدول وفقا للقرارات المعمول بها .

وهو يعين كبار موظفي الدولة وفقا لاحكام القوانين والانظمة التي يتعين بها دستور هؤلاء الموظفين وسيصدر فيما بعد قرار للتمييز بين كبار الموظفين وغيرهم لتعيين سلسلة مراتبهم .

٤ ــ يؤازر رئيس الدولة وزراء يناط به امر نصبهم واستبدالهم وتعود الى الوزراء الادارة العليا لجميع مصالح الدولة المربوطة بدائرة كل واحد منهم ويضمن كل بما تعلق به تطبيق احكام القوانين والانظمة ويسمون الموظفين الذين لا يعود امر تسميتهم لا الى رئيس الدولة كما نصت عليه المادة الثالثة من هذا القرار ولا الى المتصرف او الوالي وفقا لاحكام القوانين المعمول بها .

٥ ــ الوزارات خمس ــ وزارة الداخلية : وبها تربط مصالح الشرطة المحلية ومديرية الدرك الثابت ومديرية الصحة والاسعاف العام .

وزارة العدلية : ــ

وزارة المالية : وبها تربط مديرية المصالح العقارية ومديرية اراضي الدولة .

وزارة المعارف العامة : ــ

وزارة الاشغال العامة والزراعة والاصلاح الاقتصادي : وبها تربط مديرية البرق والبريد .

٦ ــ تبقى على حالها ادارة الالوية والاقضية والنواحي والبلديات ويسمى لواء حلب « ولاية حلب » ويقوم واليها بوظائف المتصرفين وفقا للقوانين والانظمة المعمول بها .

٧ ــ ان وظائف مجلس كلٍ من دولتي حلب ودمشق التمثيليين ووظائف المجلس الاتحادي يقوم بها في الدولة السورية مجلس يطلق عليه اسم « المجلس التمثيلي لدولة سورية » .

والقواعد التي اتبعت في انتخاب اعضاء المجالس التمثيلية لدولتي حلب ودمشق هي القانون المرعي في انتخاب اعضاء المجلس التمثيلي لدولة سورية

ما لم يصدر قانون انتخاب جديد .

٨ ـ تقوم بالسلطة القضائية المحاكم البدائية والاستئنافية ضمن الشروط المنصوص عليها في القوانين الاتحادية المحددة ووظائف هذه المحاكم وكيفية تاليفها وسير اعمالها .

٩ ـ ينتهي ارتباط لواء اسكندرون بولاية حلب وتبقى ادارته جارية وفقا للاحكام الخاصة المنصوص عليها في القرار رقم ٩٨٧ المؤرخ في ٨ اغسطس سنة ١٩٢١ والقرار رقم ١٨٨١ المؤرخ في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ وتناط برئيس الدولة السورية وظائف حاكم دولة حلب فيما يتعلق بادارة هذا اللواء .

١٠ ـ تتمتع ولاية حلب بالامتياز المالي المحدد كما يلي :

تجمع الواردات التي تجبى في اراضي الولاية باسم ضرائب بلا واسطة « مباشرة » وضرائب بالواسطة « غير مباشرة » ورسوم وكل دخل من اي نوع كان مما اجيزت جبايته وفقا للاصول وكذلك كل المبالغ المخصصة للولاية باسم الاموال التابعة للتوزيع .

وتجمع ايضا :

١ ـ النفقات التي تصيب الولاية من اعباء الادارة المركزية للدولة .

٢ ـ كل النفقات التي تستوجبها رسميا مصالح الدولة الكائنة في اراضي الولاية .

٣ ـ النفقات المتاتية عن القيام في اراضي الولاية باشغال عامة او ذات نفع محلي او النفقات التي تستلزمها اعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية او الاجتماعية مما له فائدة محلية .

٤ ـ ما يصيب الولاية من النفقات التي يستوجبها القيام باشغال عامة

ذات نفع عام او بأعمال الاصـلاح من الوجهـة الزراعيـة والاقتصاديـة او الاجتماعية مما له نفع عام تكون قد استفادت منه الولاية ويخصص الزائـد من الداخيل لاشغال عامة ذات فائدة محلية او لاعمال لها ذات الفائدة من شانهـا تحسين الزراعة والاقتصاد والاحوال الاجتماعية .

١١ ـ يمثل المفوض السامي لدى الدولـة السورية مندوب يساعده مندوبون معاونون .

١٢ ـ ان سلطة المفوض السامي وممثله هي التي نصت عليها القرارات والتعاليم المعمول بها وان المقررات التشريعية والتنظيمية التي يصدرها رئيس دولة سورية تعرض للتصديق على المفوض السامي . وكل تعيين يجريه رئيس الدولة ينبغي تصديقه من المفوض السامي .

وينبغي ان يقر المفوض السامي انتخاب راس الدولة وله ان يعلن زوال سلطته لاسباب تتعلق بالمصلحة العامة .

١٣ ـ ينبغي ان تصدق اعمال رئيس الدولة السورية من قبل المندوب لدى حكومته متى كان التصديق غير عائد للمفوض السامي او متى خول المفوض السامي مندوبه حق التصديق .

وكل تعيين للوظائف التي يتقلدها الوزراء والمديرون ينبغي تصديقه من مندوب المفوض السامي .

وفي الملحقات حيث يكون مندوب معاون تصدق مقررات الحكومة المحلية من قبلـه .

١٤ ـ يتألف اول مجلس تمثيلي للدولة السورية من اجتماع اعضاء المجلس التمثيلي لدولتي حلب ودمشق .

١٥ ـ رئيس دولة سورية هو الرئيس الحالي لاتحاد دول سورية الذي

انتخبه مجلس الاتحاد في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وسينتهي عهده قانونا في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

١٦ ـ تقوم الدولة السورية مقام دولتي حلب ودمشق فيما يختص بالحقوق والواجبات المتعلقة بهاتين الدولتين وتقوم مقام الاتحاد دول سورية بقسم يعين فيما بعد من الحقوق والواجبات المتعلقة بذاك الاتحاد .

ما كانت لتنطلي حيل الفرنسيين على الشعب العربي السوري وما كانت هذه القطرة من الماء لتروي ظمأه من بعد ان اصبح على عطش مميت للحرية فادرك ان هذه الاسربة التي تلوح بها السلطة من حين الى حين من ضم بلد الى بلد واسترضائه بمعسول الكلم من وقت الى وقت ما كانت لتنقع منه الغلة او لتشفي العلة وانها بالحقيقة كانت كلاشيء بالنسبة الى ما تتمتع به من قبل كما المعنا من ايام ذاق فيها طعم السعادة طليا ورتع في بحبوحة من العيش السياسي المشرف السامي عقيب نصر الحلفاء وايام العهد الاستقلالي الذهبي .

وبحق نجاهر ونقول ان الفرنسيين قد سلكوا كل سبيل لخدمة امتهم على زعمهم فاتوا الى هذه البلاد بالضربة القاضية القاسية ، ضربة التقسيم ثم اخذوا يرتدون عنها فيلهون الشعب العربي السوري كلما راوا منه حركة نشاط او هزة عنف بضم جزء الى جزء ليروا مفعول هذا المخدر البسيط فيه وليقدروا مبلغ تاثيره عليه حتى اذا ما انسوا انه كان كافيا لاخلاده للسكينة وقفوا عند هذا الحد فلا يبلغوه امانيه كلها .

على ان الشعب السوري العربي الذكي قد ادرك ذلك منهم فلم يقنع بما فعله الجنرال ويغاند وظلت مراجل الفتن تضطرم على هدوء وسكون الى ان تجد المنفذ الذي تنفجر منه فتدل على ما كان يزكيها من بواعث واسباب .

عودة الى عام ١٩٢٠ والى صباح الواحد والعشرين من اغسطس ترينا

ان العربي السوري لا يؤخذ بالاشراك والحبائل مهما احكم امرها ومهما دبر اقرارها بليل . ففي هذا اليوم المشهود غادر وفد من دمشق يؤم حوران لا لكي يحمل اليه الحرية والحياة والاستقلال بل ليحمل له الرضوخ والذل ويحسن امامه العبودية والاضطهاد ولكي يوقعه في الغل والاسر والقيد واخيرا لكي يجبي منه الغرامة التي فرضتها عليه السلطة الفرنسية عقيب فاجعة ميسلون . ورجال هذا الوفد هم : علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة اذ ذاك وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى في ذلك العهد وعطا الايوبي وزير داخلية تلك الدولة والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الجليل الدرا .

وما ان وصل هذا الوفد محطة خربة الغزالة التي تبعد خمسة وعشرين كيلو مترا عن درعا حتى داهم القطار الذي يقله رجال حسبهم اعضاء الوفد انهم اتوا لاستقباله لما كانوا يسمعونه من اهازيجهم وصياحهم ولكن سرعان ما ذعروا واسقط في ايديهم عندما راوا هذا الجمع الحاشد قد انقلب عليهم واخذ يتحراهم ليوقع فيهم ، فكان موقف عصيب رهيب لاقى فيه هذا الوفد ما لم يخطر له في بال واضطرب اي اضطراب ، واخذ كل منهم يفتش عن مخبأ يفر اليه من موت اكيد فاهتدى الجمع الى الدروبي وكان مندسا في قاطرة الدرجة الثالثة فقتلوه وانهزم عبد الرحمن اليوسف الى دار المحطة فلحق به الرجال ، وهناك ذبحوه بعد ان اطلقوا الرصاص عليه وقد نهبوا جميع ما في القطار وقد لاذ باقي الوفد بالفرار .

على اثر ذلك جهزت السلطة حملات على اهالي حوران انتقمت بها منهم انتقاما فظيعا اذ اعملت فيهم النار والدمار فلم يستطيعوا ان يقفوا في وجه الحديد والرصاص رغم ما انضم اليهم من قبائل بني نعيم والفضل والسلوط وغيرهم ، وفي اوائل تشرين الاول سنة ١٩٢٠ اشترط الفرنسيون الغرامات الباهظة التي كان قدرها آلاف من الليرات العثمانية الذهبية لقاء ما كان من

أهالي حوران يوم ٢١ اغستوس على ان الطائرات الفرنسية قد فتكت في قرى حوران فتكا ذريعا فلم تبقي فيها حجرا على حجر ، واحرق الجيش البادر والبيوت بعد نهبها ، فارسلت لجنة الاتحاد السوري في مصر بتاريخ ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ الى رؤساء حكومات الحلفاء ومجالسها النيابية ورئيس الولايات المتحدة ومجلس الشيوخ فيها والى كبريات الصحف في العالم ومشاهيرها الاحتجاج الآتي :

ذهل السوريون لقراءة البلاغات الفرنسية الصادرة بتاريخ ٢٢ اغستوس واول سبتمبر سنة ١٩٢٠ المنبئة بتدمير الجيش الفرنسي تدميرا منظما لمقاطعة حوران الزراعية التي هي اهراء سورية . الطيارات تخرب القرى بأكملها قاتلة للنساء والاولاد بلا رحمة . نحن نستصرخ الامم المتمدنة ومنها الامة الفرنسية ضد هذه الاعمال الوحشية التي يقصر عنها الوصف وتورث الاحقاد باطالة زمن القتال » .

وفي العشرين من ايلول سنة ١٩٢٢ اعدمت السلطة كلا من السادة عوض صلاح الدين المصري وحسين الحاج ويوسف عيسى وزعل يوسف بتهمة اغتيال الوزراء يوم حادث خربة الغزالة .

هذا ما كان في حوران وأما ما جرى في شمالي الاقليم السوري فان الزعيم الكبير المغفور له ابراهيم هنانو قام بالواجب المقدس فألف العصابات وجاهر بمقارعة الفرنسيين ومقاتلتهم واعلن العصيان عليهم واخذ يضرم نار الثورة في جهات حلب وضواحيها فانتشرت وتفشت في انطاكية وحارم والعمق وادلب والمعرة وجسر الشغور ، وقد ساعده في عمله الشريف وجهاده الاقدس بعض من ضباط العثمانيين فانهزم الفرنسيون في معارك شتى واستطاع هذا الزعيم الباسل ان يتصل بالمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي الذي طالما اصطدم مع الفرنسيين في منطقة اللاذقية فصدمهم وهزمهم شر هزيمة وحتى انه استولى على معظم القرى والدساكر هناك فهدد نفس

اللاذقية فأوجس الفرنسيون منه خيفة ، وباتوا يحذرون هنانو في الشمال والشيخ صالح العلي في اللاذقيـة وستروا عديد انهزاماتهم بالكتمان فلم يطلعوا ابناء البلاد عليها فجهزت السلطة الفرنسية قوات كبيرة لملاحقة العصابات ومطاردتها : واصدر الجنرال غورو بلاغا بالفرنسية في ٢ ايلول سنة ١٩٢١ بالنص التالي :

« منذ شهر مارس حتى شهر يوليو سنة ١٩٢١ كان عدد كبير من الكتائب يعمل بملء النشاط ويقاوم بدون انقطاع عددا شديد المراس من العصابات مسلحا في اراضي جبلية ويناز له في معارك كبيرة تنتهي بالانتصار حتى استتبت السكينة وانتظمت الامور الادارية وطاردت الجيوش بين ٦ ابريل و٢٣ مايو سنة ١٩٢١ عصابتي ابراهيم هنانو والشيخ صالح العلي وكانتا متحالفتين ولم تدع لهما وقتا للراحة فتفرقت العصابتان متجهتين نحو الشرق ، وقد افضت هذه المعارك الشديدة الى احتلال البلاد وانشاء مراكز ثابتة في كفر تخاريم ودركوش وجسر الشغور ومعرة النعمان ومن ثم زحفت قوى الكولونيل نيجر العديدة بعدما وضعت الحواجز من البحر الى نهر العاصي وطافت بلاد العلويين من الشمال الى الجنوب واشتبكت في معارك طويلة من ١٠ مايو حتى ١٩ يونيو حيث نشبت معركة بالقدموس وانتهت هذه المعارك العنيفة بطاعة العلويين وهزيمة الشيخ صالح العلي وقد تخلى عنه معظم اعوانه » .

واصدر نفس الجنرال بلاغا آخر نصه ما يلي :

« في ١٢ مايو خرجت حملة من اللاذقية بقيادة الكولونيل نيجر فتوجهت الى جبلة والمرقب حيث مركز العصابات وفي يوم ١٣ منه زحفت حملة اخرى من محردة « محطة من محطات سكة الحديد بين حمص وحماه » بقيادة الكولونيل دوم وسارت في الوقت نفسه حملة ثالثة من الحمدانية « محطة من محطات سكة الحديد بين حماه وحلب » بقيادة الكولونيل فيك

ومشى الجنرال غوبو قائد اللواء الثالث من حلب على راس لوائه لتأديب العصابات فبلغ معرة النعمان يوم ١٥ منه ودخلت قوة الكولونيل فيك في اليوم التالي الى حيط وتقدمت قوة الكولونيل دوم فاستولت على جسر الشغور وزحفت قوة اخرى بقيادة الكولونيل فونيه على قلعة المضيق فاحتلتها ودارت معركة عنيفة في جسر الشغور بين الثوار وحملة الكولونيل جران كور انتهت بانسحاب الثوار والاستيلاء على البلدة وقد ارتدت العصابات امام هذه القوات العظيمة ولا يقل عدد رجالها عن ثلاثين الف مقاتل فغادر ابراهيم هنانو مقره في جبل الزاوية يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢١ ومعه ٥٥ جنديا وضابطا قاصدا عمان فلاقاه الفرنسيون شرقي سلمية يؤيدهم اسماعيليون ودارت معركة بينه وبينهم انتهت باسر اربعة من ضباطه اما هو فواصل السفر فوصل الى عمان يوم ٢١ منه » .

يمم الزعيم هنانو وجهه شطر فلسطين لزيارة القدس فاعتقلته السلطة البريطانية هناك فاهتاج العرب وماجوا واعتدوا على قائد الدرك البريطاني واحتج رجالات العرب هناك وطلبوا اطلاق سراحه فما افادت هذه الصيحات ولا اثرت تلك الاحتجاجات وارسل الزعيم مخفورا الى بيروت حيث سلم للسلطة الفرنسية وحيث حوكم في حلب الشهباء امام المجلس العسكري الفرنسي اذ براه واطلق سراحه . اما الشيخ صالح العلي فقد ظل متواريا عن الانظار حتى اذاعت السلطة الفرنسية بلاغا في السادس من تموز سنة ١٩٢٢ تعلن استسلامه لها .

الاغتيالات والعصابات :

لا بد وان يكون المطالع الكريم قد ادرك مما مر من الحوادث التي أتينا على وصفها والتي سنبسطها اليه فيما يلي مبلغ امتعاض السوريين العرب من الانتداب الفرنسي ومبلغ نفورهم منه واستنكارهم له وقد ذكرنا فيما

مضى سوء تصرف السياسة الفرنسية وما قام به مندوب الفرنسيين السامي الجنرال غورو من سوء تصرفه ومن خطأ سياسته ومن قصر نظره في ادارة البلاد مما اهاب بالكثير من الناس لاظهار هذا المقت والالم في كل فرصة وفي كل سانحة وقد دل على ما ذكرنا بصورة صريحة الحادثة التي وقعت الى المندوب السامي الجنرال غورو في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ ابان مجيئه لزيارة الامير محمود الفاعور قريبا من القنيطرة اذ انه ما بلغ تلك الناحية حتى انهال عليه الرصاص كالوابل المدرار من قبل رجال اقتعدوا مقعدا له عندما علموا بانه سيمر من هنالك ، وفي هذه الواقعة نال حاكم دمشق اذ ذاك حقي العظم بضع رصاصات في فخذه وذراعه وشفته جزاء دفاعه عن المندوب السامي غورو ونال نفس الجنرال شيئا من هذه الحادثة في كم بذته من ناحية اليد المبتورة فيها على ان مرافق الجنرال قد قضى في هذه المعركة .

كان شأن الفرنسيين عقيب هذا الحادث شان المتشفي المنتقم ممن لم يجترح سيئة ولم يقترف اثما وولى وجهه شطر العزل الآمنين من الاهلين اذ عجز وعيى عن الانتقام ممن اوقعوا به وبمن معه هناك . فكم عذب من ابرياء ونكل بودعاء واعمل الاذى والظلم والتعذيب باناس لا ناقة لهم في ذلك الحادث ولا جمل . لقد جرد الحملات على كل ما يتبع القنيطرة من قرى ودساكر واعمل النار فيها يدمرها بقنابل المدافع مرة وبقذائف الطائرات اخرى ويسوم ذويها سوء العذاب بفرض الغرامات تارة وبزج الزعماء في السجون طورا كما فعل بقرى جباتة الخشب والعوفاني وطرنجه والاحمر وتل الشيخة ومجدل شمس وجباتة الزيت مما لا يقره عقل ولا يرضى به منطق ولا يأمر فيه شرع ولا يسوغه قانون وأن الفرنسيين انفسهم لم يتورعوا عن ان يذيعوا ذلك ببلاغ فرنسي تعريبه ما يلي :

« في يوم ٢٣ يونيو ظهرت على طريق القنيطرة عصابة قادمة من شرق

الاردن وبعد ان قضت مآربها عادت في اليوم نفسه الى عجلون وهذه نتائج التحقيق والعقوبات :

زحفت حملة بقيادة الكولونيل روكرو من دمشق يوم ٢٣ يونيو فوصلت الى القنيطرة يوم ٢٦ منه فدمرت بامر المندوب السامي قرى جباة الخشب ـ المشية ـ عوفاني ـ طرنجة ـ الاحمر ـ تل الشيخة ـ لانها آوت مجرمي القنيطرة فاصبحت شريكة لهم في الخيانة وقد حجزت اموال اهاليها وحكم فوق ذلك على كل قرية بغرامة من خمسين جنيها الى مئة جنيه ذهبا ودمرت الحملة نفسها ١٧ مزرعة في جباتة الخشب وارطانيا وترانك وفي ٢٩ منه زحفت على مجدل شمس وجباتة الزيت وفي ٣٠ منه عادت الى القنيطرة حيث باعت الاموال المحجوزة » .

هذا غيض من فيض وقطرة من بحر بما قامت به السلطة الفرنسية من اعمال يندى لها وجه الانسانية خجلا وقد شاع ان الرجال الذين قاموا بايقاد نار هذه المعركة هم من لجأوا الى شرقي الاردن على اثر فاجعة ميسلون الشهيرة والذين هم : خليل علي المربود ومحمود حسن من جباتة الخشب وشريف شاهين من جباتة الزيت ومحمد ظاهر من شبعة وصادق حمزة وادهم خنجر . ويقال بأن هؤلاء قد عادوا الى شرقي الاردن على اثر هذا الحادث لذلك لم تستطع القوة الفرنسية ان تنال احدا منهم باذى .

لم تقتصر الحال على سورية فحسب بل كانت كذلك في لبنان اذ انه في سابع نيسان سنة ١٩٢٢ اغتال مجهول على وصيد باب المستشفى الفرنسي في بيروت مدير الداخلية في لبنان اسعد بك لما اتصف به من الولاء والانقياد وانفاذ اوامر الفرنسيين وتفانيه بالاخلاص للانتداب الفرنسي.

اضطرب حبل الامن في المناطق التي كان الانتداب الفرنسي يسودها من ذلك ما ظهر في الفرات وامتد الى دير الزور وخضد من شوكة الفرنسيين وثل من نفوذهم هناك مما اضطر رجال السلطة لارسال حملة لقمع الثورة

في دير الزور في ثامن وعشرين ايلول سنة ١٩٢١ من حلب الشهباء بقيادة الكولونيل دي بيوفر قابلها الثوار بسواعد مفتولة وجاش رابط واعملوا فيها القتل واستبلوا استبسالا شديدا ساروا فيه على اصول حرب العصابات فانسحبوا مرتدين الى الفرات وقد الم الى هذه المعركة بلاغ فرنسي رسمي .

واخذت الفتن تبدو في كل ناحية وفي كل مكان كلما رات الى العصيان سبيلا من ذلك ايضا ما قام به ملحم قاسم الثائر الشهير حوالي بعلبك من هجمات متوالية عليها وعلى ماتبعها من بلاد ومدن مما ذعر له رجال الانتداب وظنوا ان لا قبل لهم بهذا الرجل وبرجاله وحسبوا لهذه العصابة حسابا كبيرا على قلة عدد رجالها وتفاهة معداتها وظلت حوادث العصيان بين كر وفر حتى امن الفرنسيون ملحم قاسم على حياته فاستحسن الاستسلام وفصل .

الزعيم شهبندر ورجاله وحوادث كراين :

لقد اجمع المؤرخون قاطبة على ان الضغط المتمادي ما يلبث ان يبعث في نفوس المضغوط عليهم شعورا وحسا ينتج عنهما الانقلاب المفاجيء المدعو بالانفجار السياسي لا سيما اذا كان متواليا متعاقبا بلا فاصلة ولا انقطاع وعلى من عرف بالشهامة والمروءة والموت في سبيل الكرامة والعزة والحرية فالشعب السوري العربي العريق بالمجد والمحتد وبالاندفاع نحو الذود عن القومية العربية وعن مقومات الحياة الصحيحة لم يرضخ ولن يستكين ولن يرضى بنبل لأي كان وان شام منه مضطهده هدوءا او صمتا او رضوخا فان ذلك منه كالرئبال الذي ينتكص الى الوراء كي يثب وكالاسد المتحفز للانقضاض عندما يرجع وكالاناء الذي يمكث تحت الضغط هنيهة ينفجر على اثرها فيدمي ويؤذي ويدمر من أرهقه وضغط عليه .

بعد هذه الكلمة الوجيزة التي لم نر بدا من بسطها نرى انه من البداهة

ان نقول ان في هذا الشعب السوري العربي من الرجال من لا يكون للمستعمر عليهم أي سلطان او نفوذ وانه ان الفى منهم سدرا وجمودا فان معنى ذلك التأهب والتهيؤ والاستعداد . وان الذي لم يرض لمن كان قبل الفرنسيين بتسليم القياد والانقياد لن يرض بهما للمضطهد المستعبد الاجنبي الغريب من كل ذلك نتج ان الزعيم العربي الدكتور عبد الرحمن شهبندر ما لوى عنقه امام السفاح جمال باشا الذي حمل على العرب ونال من كرامتهم بل جابهه في المسجد الاموي والناس سكوت مجابهة الند للند والعظيم للعظيم ، لا يمكن ان يخنع للفرنسيين وامثالهم ولا يمكن ان ينام على ذل لهم او لسواهم . وقد كان على الفرنسيين ان يدركوا ذلك وان لا يحسبوا ان الامر قد استقام لهم وان الدهر موات لهم وانهم قبضوا على ناصية الشعب .

في اول نيسان بينا كان الزعيم في مكتبه بداره بدمشق تناول من ساعي البريد كتابا صادرا من رئيس الجامعة الاميركية الاستاذ نيكولي مؤرخا في ٢٩ آذار سنة ١٩٢٢ يعلمه فيه بمجيء رئيس لجنة الاستفتاء الاميركية المستر كراين الى دمشق . فخف الزعيم الى لقاء الرئيس وفي ٢ نيسان المذكور اجتمع به في فندق دماسكوس بلاس فقال الرئيس ما معناه : « قدمت الى هنا بقصد التحقيق اذ ان مجرى السياسة يتطلب في هذه الايام ابداء التقرير المشترك الذي نظمناه مع الاخوة اعضاء اللجنة الاميركية التي استفتت بلادكم عام «١٩١٩» . ونود ان نرى ما ان كانت الاستعلامات التي حصلنا عليها حقيقة ام لا فاود ان تجمعني بابناء هذه البلاد واخص بالذكر منهم العلماء « المشايخ » لارى ما ان طرأ تبدل على آرائهم وما ان كنا مصيبين في الاخبار التي استعملناها فجعلنا التقرير مبنيا عليها » .

فاظهر الزعيم استعداده لتحقيق هذه الرغبة وواصل جهوده لتأمين ذلك واتفق مع كبار من المتنفذين في دمشق على ان يجتمعوا في حديقة الشراباتي في زقاق الحجاة في الصالحية . وقد اعلن الزعيم الى النزيل

الكريم ما تم الاتفاق عليه فامتطيا السيارة الى ما كان القوم بانتظارهما في الحديقة المذكورة وما ان وصلاها حتى كان الجمع المؤلف من كافة الطبقات باستقبالهما استقبالا شائقا لائقا يهتف بحياتهما هتافا يشق عنان السماء . وقد كان صحبة المستر كراين كاتم اسراره المستر برودي وبعد ان تجاذبوا جميعا اطراف الحديث اعلن المجتمعون تأييدهم ما كانوا اطلعوا عليه المستر كراين يوم تسلم الى دمشق مع اخوانه للاستفتاء عام ١٩١٩ وشكو اليه الظلم الفرنسي والضرائب التي طرحها عليهم وكان الرئيس الاميركي يدون ما يسمعه .

وفي ٣ نيسان زار المستر كراين الميتم السوري وعلى رأسه الآنسة اليس قندلفت فقدر لها جهودها التي رآها ونبوغها الذي لمحه منها وتبرع بايفادها الى الديار الاميركية لاتمام التحصيل هناك على نفقته فبر بوعده وحصلت على شهادة عليا من جامعة كبرى وتعينت في العراق .

وفي اليوم الرابع من الشهر الملمع اليه دعا حي الميدان المستر كراين الى حديقة حسن الحكيم فاحتشد هناك مئة من الاعيان او اكثر فلبى الرئيس الاميركي هذه الدعوة واصاخ بسمعه الى ما كان يدلي به القوم اليه من بث وشكوى ونجوى في كل ناحية من نواحي الحياة وشأن من شؤون الادارة .

ثم لبى المستر كراين دعوة نساء الشهداء في منزل الفقيد الكبير شكري العسلي في حي المهاجرين واصغى الى ما كن يشكونه اليه منه والى الآمال التي كن يعقدنها عليه وعلى لجنته .

وقد كان على موعد مع الآنسة نازك العابد ليستمع اليها ما تشكوه بشأن مدرسة الشهداء التي انشئت في عهد الحكومة العربية والتي اتخذت السلطة المنتدبة ادنى الوسائل واحطها لاقفالها وقد كاد ان يكون نصيب هذه الآنسة كنصيب الآنسة اليس من حيث التحصيل العالي في اوروبا على نفقة المستر كراين لولا أن مانع ابوها فكان بذلك على غير حق ولا عدل ولا راي .

ثم كان المستر كراين يوم الخامس منه في الدعوة التي وجهت اليه من علية القوم واكابرهم لتناول الغذاء في بستان بالقصاع واستمع هنالك الى ما فاه به النخبة المختارة من الحاضرين والى ما قاله الاستاذ محمد الشريقي وعلى الاخص الى ما كان يطرب الجمهور وهو الآي الكريم الذي كان يرتلها الاستاذ الشيخ محمد الحلواني وقد كان سرور المستر كراين واعجابه بذلك عظيما . وابان ترك البستان تقدم طلاب الجامعة السورية وفي مقدمتهم تلامذة الحقوق منهم : امين سعيد وفائق العسلي وشفيق سليمان وصبري العسلي ومنير مردم وحلمي ابو خضرة وغيرهم يعلنون تأييدهم باسم طلاب الشعب العربي في مطاليبه المشهورة . وفي سادس نيسان تقدم الزعيم الشهبندر للمستر كراين بالوثائق والمستندات التي رفعها ذووها باسم المستر كراين ثم أزمع الرئيس الاميركي على السفر فبذل الزعيم اعظم الجهود ليكون الاحتفال بتوديعه على اعظم ما يكون وبالفعل فقد تم له ما اراد فاقبل الناس الى بهو الفندق زرافات ووحدانا يشيعون الراحل الكريم فودعهم المستر كراين فردا فردا وخاطبهم بقوله : « ما اشد سروري برؤيتكم واسفي لاضطراري الى مغادرة مدينتكم وسيكون الدكتور كنج الذي كان في لجنة الاستفتاء مسرورا جدا من نتيجة تحقيقي . ثم انني اتيت لهذه البلاد في وقت لا يسمح لي سني معه على السفر ولكنني شئت ان ارى البلاد التي زرتها مع اصدقائي عام ١٩١٩ ولا يمكنكم ان تقدروا السرور الذي يصيبها من نتيجة هذه التحقيقات البديعة ... تمسكوا بقضيتكم فانها عادلة وتوسلوا اليها بالوسائل العصرية لا بالطرق القديمة » فتعالت الاصوات بالهتافات بالاستقلال العربي وللدكتور ولسن وللشعب الاميركي وللمستر كراين وللزعيم شهبندر ثم استقل المستر كراين سيارته يحيط به الزعيم والمحتشدون وكانت الشوارع والشرفات والاماكن والباحات غاصة بالجماهير التي كانت كالسيل العرم وهنا تبارى الناس للخطابات فارتجل شيخ مصري وقف على مقدم السيارة

خطابا رائعا اظهر فيه للمستر كراين تضامن الشام والقطر الشقيق مصر وختم قوله باسقاط الانتداب فتعالى الهياج والتهب الحماس ، وانبرى القوم يؤمنون على قول الخطيب باسقاط الظلم والاضطهاد ، فاعقب ذلك الخطيب الشاب المثقف فؤاد الخياط وارتجل كلمة كانت نارية الهبت في نفوس المجتمعين نار الكرامة واستفزت منهم الشعور والحس وانبرى القوم ينشد الاناشيد الوطنية صائحا :

نحن لا نرضى الحماية	لا ولا نرضى الوصاية
نحن اولى بالرعاية	لبني العرب الكرام

وغير ذلك من الاناشيد وكان الزعيم الشهبندر يترجم للمستر كراين ما كان يقوله الجماهير لافتاً نظره الى ما تتضمنه من معاني والى ما كان يزداد في كل خطوة تخطوها السيارة من جماهير جديدة اتت لتشيع الرئيس الاميركي .

وكانت الزهور والرياحين تتساقط على السيارة والمحتاطين بها تساقط الغيث المنهمر . ولم يقتصر الاحتفاء بتشيع الرئيس على الرجال فحسب بل كانت جمهرة غفيرة من النسوة تساهم في ذلك وعلى راسهن عقيلة الزعيم وشقيقة الفقيد الغالي شكري العسلي فقد بلغ الحماس بهاتين السيدتين درجة اقبلتا معها على رفع السيارة لو استطاعتا هاتفتين بحياة الاستقلال فازكى صنيعهما هذا نار الحماس في صدور المحتشدين فأخذوا بالهتاف عاليا بحياة الاستقلال والحرية . ثم عندما بلغ الموكب دائرة البلدية صاحت عقيلة الزعيم بحياة الشعب العربي فدوت ارجاء الساحة بذلك الهتاف ولم يتمالك بعض الوطنيين أنفسهم من مشاطرة المحتشدين الشعور حتى أن كثيرا من موظفي الحكومة في السراي عندما بلغها الموكب كان شأنها شأن تلك الجماهير ، وكان الاستاذ زكي الخطيب مدير رسائل ديوان الحاكم العام يقاسم الناس شعورهم ويشاطرهم عواطفهم ، وظل الحشد سائرا

حتى بلغ نزل فكتوريا ، فاوما الزعيم الى سائق السيارة بالوقوف للتوديع ، وصمت الناس فقال الزعيم الى المستر كراين بالانكليزية ما تعريبه : « التفت الى ورائك ياسيدي واحفظ هذه الصورة التاريخية في قلبك وستمر على اوروبا واميركا فترى فيها افرادا بضمائر حرة لا يزالون يحبون الانسانية ويغارون على الحرية فاذكر لهم ما رايت واشرح لهم ما سمعت وانقل اليهم ما تقراه في هذه الوجوه والجباه » .

ثم قال الزعيم بالعربية : « فليحيى الاستقلال التام . ولتحيى شجرة الحرية النامية والى الملتقى ايها الرسول الكريم » .

قال ذلك واشار الى الناس بالارفضاض عن السيارة ، وما ان فعلوا حتى رفع المستر كراين قبعته وانحنى امام الجميع يحييهم فصفقوا له طويلاوارخى السائق للسيارة العنان وكاتم اسرار المستر كراين يلتقط هذه الصورة التاريخية بجهاز تصويره لتكون له ذكرى .

اعتقال الزعيم ورجاله

غادر المستر كراين ربوع الفيحاء والشعور السائد الجماهير التي كانت ترافقه لا يزال طوافا عليها ترتقب مساعي ذلك الرجل الذي انعش فيهم الآمال واحيا الاماني وجدد الهمم وبعث النشاط ، وعاد الحشد الحافل يحتفظ بزعيمه الفذ الدكتور شهبندر هاتفا له بالحياة الطويلة والعمر المديد ، ثم ذهب كل الى عمله وآوى الزعيم الى داره .

وفي اليوم التالي سابع نيسان اتى احد الشرطة دار الزعيم شهبندر طالبا اليه ان يرافقه فوعد بالتلبية ودخل الى داره يكتب الى الرئيس ولسون ما معناه : « لي الشرف ان اقص على مسامع حضرة الرئيس السابق للولايات المتحدة واذكره انني احد السبعة الذين وقعوا على المذكرة التي

تقدمت اليه ـ اي للرئيس ولسون ـ بواسطة معتمد حكومته السياسي في القاهرة سنة ١٩١٧ وفيها رغائب الشعب العربي ومن دواعي اغتباطي وتعزيتي ان الايام قد دلت بافصح دليل رغم انف الدسائس على ان تلك الرغائب هي رغائب الشعب العربي المستضعف . ثم قال له ان العهود الشريفة التي اقتطعها للناس على جبل فرنون والمباديء السامية التي نشرها بجانب مرقد واشنطون لا تزال مصدر الهام للمظلومين في الشرق والغرب وان الكارثة التي سعينا جهدنا لتجنبها وقعت كالصاعقة على رؤوس امتنا فاخذت تسحقها تحت اقدامها ، ويكفي ان اقول ان هتفة واحدة للحرية والاستقلال وللمباديء السامية التي انطق الله بها الامة الاميركية على لسان رئيسها الكريم ادت بالحكومة المستعمرة الى اتخاذ قرار بتوقيفي وتوقيف بعض اخواني وربما نفينا جميعا بعد ذلك وسيقص على حضرته صديقه الامين المستر كراين ما راى بعينيه وسمع بأذنيه في الاقليم السوري من المظالم والمغانم التي بلغ صداها عنان السماء ولولا الشرطي المفوض المأمور بالقبض علي ونقره على بابي يستبطئني ويستحثني على مغادرة داري لكتبت له من تفاصيل امورنا ما يدله على ان البذور التي زرعها في العالم الجديد نبتت او كادت تنبت في العالم القديم ولا سيما في الشرق حيث المظالم على اتم مظاهرها » .

وسلم هذه الرسالة الى الوصيفة التي في بيته اذ ان عقيلته اذ ذاك لم تكن في الدار وطلب الى هذه الوصيفة ان تسلم الكتاب الى سيدتها كي تبعث به غب عودتها الى المستر كراين الذي كان في بيروت اذ ذاك عن طريق المستر آلن معتمد جمهورية الولايات المتحدة بدمشق .

ابان مرافقته للشرطي صادف مجيء ولديه عائدين من المدرسة فانهالا على والدهما الزعيم يطوقان عنقه بأذرعهما طالبين اليه ان يأخذهما معه فطمأنهما بالعودة قريبا وانفلت منهما يرافق الشرطي .

وقد القي القبض في عين اليوم على كل من حسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وعبد الوهاب العفيفي .

١١ ...

اشتد الامر على الشعب وبينا كان الناس في الجامع الاموي لأداء فريضة الجمعة قام من بينهم كل من توفيق الحلبي وخالد الخطيب ومحمد الشريقي يخطبون الناس ويستفزون عواطفهم ويستنهضون هممهم ويستحفزون مشاعرهم واباتهم وغادروا المسجد بمظاهرة كبرى يتصفحون دور القناصل والمعتمدين واحدا واحدا طالبين التوسط بالافراج عمن اعتقلوا . ثم القي القبض على امين سعيد وعلى توفيق الحلبي وخالدالخطيب ومحمودحمدي حمودة وعادل حتاحت وسعاد الشلبي وخليل خطاب وثروة الجعفري وتوفيق القيسي ورشدي ملحس وتوفيق عجم اوغلي وحسن زنبركجي وصبري البديوي ومحمد الخطيب .

فسرى هذا النبأ في المدينة سريان البرق وهاجت دمشق وماجت وآلت على نفسها ان تضرب احتجاجا على هذا الاعتقال الغاشم واقفلت المحال التجارية والاسواق ومعاهد العلم ودور المدارس وهبت الفيحاء بأسرها تقوم بتظاهرة هتفت فيها للحرية طويلا فأرسلت السلطة قوات مسلحة عتادها الدبابات والمصفحات لتفريق المتظاهرين المتجمهرين وقد بلغ عدد من اعتقل حتى ذلك اليوم خمسين شخصا واعلنت السلطة الفرنسية الاحكام العرفية .

وتوالى ارسال المدد لقمع التظاهرات باطلاق الرصاص على الناس كما توالى من ناحية ثانية تاليف المظاهرات الواحدة تلو الاخرى والبلد مع جميع البلاد السورية مضرب مقفل متوقف عن العمل احتجاجا ينشد الحرية والاستقلال والافراج عن المعتقلين الاحرار ومن جملة التظاهرات التي تالفت مظاهرات السيدات وقد ضمت حرائر دمشق وفضليات نسائها تهتف للحرية وتسقط الاستعمار والانتداب ويحيين الاستقلال والسيادة القومية

وتنادي بحياة الزعيم الشهبندر وظلت مظاهراتهن سائرة قدما حتى ساحة الشهداء في دمشق وهنالك تجمهر اشباه الرجال رجال الشرطة يحاولون تفريق اللبوات وردهن الى العرين فلم يفوزوا على ما اوتو من قسوة وخشونة وعنف من تلكم السيدات بطائل واستطعن هؤلاء الفضليات ان يجبن انحاء المدينة .

وظلت الفوضى سائدة ربوع الشام اياما طويلة الى ان هبطت المدينة قوة كبرى قوامها الف ومئتي جندي اشغلت كامل المدينة من جميع نواحيها وضرب النطاق على دمشق وقد اصدرت السلطات البلاغ التالي :

وفقا للقرار بوضع دمشق تحت الاحكام العرفية يشعر الكولونيل غودني قائد جيوش دولة دمشق الاهلين بما يأتي :

١ ــ يمنع التجمع في الطريق العامة ويقمع ذلك بالسلاح .

٢ ــ يمنع التجول في شوارع المدينة من الساعة السابعة مساء حتى السادسة صباحا .

٣ ــ يطلب من الاهلين ان يعودوا لاعمالهم كالعادة .

ازمعت السلطة بعد ذلك على محاكمة المعتقلين فنقلت ليلا في الساعة الواحدة بعد منتصف ليل ١٨ نيسان الزعيم الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض والدكتور خالد الخطيب وعبد الوهاب العفيفي وتوفيق الحلبي الى نظارة الشرطة في الطابق الارضي من بناية العابد حيث كان الديوان العرفي الفرنسي في الطابق الاول منها .

وافرج عن بقية المعتقلين ما عدا امين سعيد ورشدي ملحس وسعاد الشلبي وتوفيق عجم اوغلي والشيخ احمد السوري اذ اشترطت السلطة ان يغادروا دمشق خلال ثمان واربعين ساعة . وبالفعل فقد اذعنوا وتركوا الوطن آسفين متالمين وكان المؤرخ الكبير امين سعيد في طليعة القوم الذين

آلوا على انفسهم ان يبرحوا دمشق بالجسم وان يظلوا فيها بالروح فقد نذر قلبه ودماغه وقلمه في سبيل العروبة والوطن واقسم جهد الايمان بأن لا ينفك عن خدمة الامة العربية مادام فيه عرق ينبض وفؤاد يخفق . وولى وجهه شطر الاقليم المصري الشقيق مصر يبر بوعده وينفذ ما آلى عليه واقسم وظل بعيدا عن وطنه حتى اعلان العفو العام سنة ١٩٢٨ اما موقوفوا النظارة فقد ظلوا حتى صبيحة اليوم الثاني الساعة السابعة والنصف وفي هذا الوقت جيء بهم من سلم البناية الداخلي الى بهو المحاكمة خلسة وخفية وقد سدت السلطة كل المنافذ المؤدية الى هذه البناية وحشدت قواها في مداخل الطرق الرامية الى بناية العابد واتخذت كل الاحتياطات حتى تمنع الناس من حضور المحاكمة . ولو افسحت المجال للناس لكانت دمشق بأسرها وبكاملها في المحاكمة .

كانت المدينة مغلقة برمتها محتجة على ما كان للزعيم ولرجاله الاحرار . وقد تألفت الهيئة الحاكمة « المحكمة العسكرية الفرنسية » من اليوتنان كولونيل لاريث « رئيسا » والكومندان جانيي والكابتين غوري واليوتنان بيرساي « اعضاء » واليوتنان ليفيك سكرتيرا .

وتولى الدفاع عن المعتقلين كل من المحامين الاساتذة جلال زهدي ـ وزير العدل سابقا ـ وفارس الخوري نقيب محامي دمشق اذ ذاك وسعيد المحاسني والياس نمور والملازمون « الوليتنان » جيمس وشوفاليه والبين وهؤلاء قد انتدبتهم المحكمة للدفاع عن المعتقلين وفقا لنظامها .

ابتدأت المحاكمة في الساعة الثامنة صباحا بتلاوة مضبطة الاتهام المنظمة من هيئة التحقيق ونصها :

« ١ ـ اتهم المعتقلون بتدبير مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مشفوعة بالعمل ومحاولة العمل لاعداد التنفيذ .

٢ ـ بالتحريض على مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مع ايقاع اضطرابات لأن المؤامرة اعقبها العمل او المباشرة به لاعداد التنفيذ .

وتنطبق هذه الافعال على المواد « ١٧ و ٨٧ و ٨٩ » من قانون الجزاء الفرنسوي وعلى المادتين « ٢٤ و ٢٥ » من قانون المطبوعات الفرنسوي المؤرخ في ٢٩ يوليو سنة ١٨٨١ وعلى المادة ٢٦٧ من قانون الجزاء العسكري الفرنسي وعلى المادة ٨ من قانون ٩ اغسطس سنة ١٨٤٩ الفرنسوي المعدل بقانون ٢٧ ابريل سنة ١٩١٦ الفرنسي بشان الادارة العرفية .

وبعد ذلك دعا رئيس المحكمة الزعيم شهبندر وساله ما ياتي :

الرئيس : لقد تلقيت من الجامعة الاميركية في بيروت نبأ يشعر بوصول « كراين » الى دمشق فاعددت معدات استقباله وهيأت للاجتماع فريقا ممن اشتهر عنهم الاستياء من الحالة الحاضرة وسهلت اتصالهم به فعقدتم ثلاثة اجتماعات في ٢ و ٤ و ٥ ابريل ، فتم بعدها بالمظاهرات ؟

الدكتور شهبندر : تلقيت في اول نيسان نبأ من المستر نيكولي وكيل رئيس الجامعة الاميركية في بيروت يشعر بوصول المستر كراين الى دمشق ولم يكن هذا الامر مجهولا فقد اذاعته صحف مصر وفلسطين من قبل وبما انني احد خريجي تلك الجامعة وصديق للمستر نيكولي اجله واحترمه وصديق للمستر كراين ايضا منذ عام ١٩١٩ عندما جاء سورية على راس اللجنة الاميركية الاستفتائية رايت انه يجب علي ان اقوم بكل ما يمكن من احترامه ما دام مقيما بيننا .

الرئيس ـ انا لا الومك على استقبال المستر كراين او اكرامك اياه ولكنني اؤاخذك على ما دبرته من الاجتماعات والمظاهرات التي افضت الى حدوث جرائم .

الدكتور ـ انا لست مسؤولا عن اي اجتماع او مظاهرة لانني كنت اصحب

المستر كراين لأقوم بترجمة ما يطرح عليه من الاسئلة وما يجيب هو به .

الرئيس ـ الم تعقدوا اجتماعا في بستان الحيات بالصالحية بتاريخ ٢ نيسان .

الدكتور ـ نعم اجتمعنا .

الرئيس ـ وجميع الذين حضروا ذلك الاجتماع الم يكونوا من المعروفين بالكره للحكومة الفرنسية ؟

الدكتور ـ كلا بل كان هناك فريق من اعز اصدقاء السلطة .

الرئيس ـ سواء كانوا من اصدقاء فرنسا او اعدائها فقد جاؤوا بدعوة منك ؟

الدكتور ـ لم ادع احدا .

الرئيس ـ لقد القيت خطابا في ذلك الاجتماع ؟

الدكتور ـ كذب من ابلغكم ، فانا لم اخطب مطلقا بل كنت انقل كلام الحضور الى المستر كراين وكلامه اليهم . انا لا اكذب فما قلته هو الصدق اما ما نقل اليكم فهو محض افتراء .

الرئيس ـ لدي صورة عن خطابك الذي قلت فيه : ان العرب بذلوا جهدهم في الوصول الى استقلالهم فكان جزاء عملهم حرمانهم من الاستقلال ومكافاتهم بالذل والعبودية . وقد حاولت مخادعة الجمهور بادعائك بأن المستر كراين مندوب من قبل عصبة الامم ؟

الدكتور ـ لقد سبق وقلت لك : انني لم اخطب في ذلك الاجتماع وقلت عن المستر كراين انه المندوب السابق لجمعية الامم لا في الماضي ولا في الحاضر .

الرئيس ـ اذن لم تدع احدا للاجتماع ؟

الدكتور ـ احب ان تدعو لي من يشهد بأنني دعوته للاجتماع ، لقد كنت اصحب المستر كراين كترجمان فقط .

الرئيس ـ كان الاجتماع اذن بطريق المصادفة ؟

الدكتور ـ طلب كثيرون من المستر كراين ان يلبي دعوتهم .

الرئيس ـ من هم ؟

الدكتور ـ لست جاسوسا لأذيع خفايا الناس واسرارهم .

الرئيس ـ يوجد رجل دبر واياك هذا الاجتماع .

الدكتور ـ ومن هو ذلك الرجل ؟

الرئيس ـ حسن الحكيم .

الدكتور ـ وهل تريدون ان اسأله ؟

الرئيس ـ في ذلك الاجتماع كنت انت وسعيد حيدر تستقبلان الجموع

الدكتور ـ انا لم اكن مستقبلا للناس بل كنت ترجمانا للمستر كراين ليس الا .

الرئيس ـ لقد القيت خطابا في ذلك الحين .

الدكتور ـ اعود فأؤكد لكم انني لم الق خطابا مطلقا لا في ذلك الاجتماع ولا في سواه .

الرئيس ـ كنت تظهر رغائب الحضور وامانيهم وقد قلت بوجوب اسقاط الحكومة ، واستبدال رجالها والمناداة باستقلال البلاد .

الدكتور ـ هذا زعم جناة كاذبين ، وانا لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ـ اذن ما الذي كنت تنقله من كلام الاهلين الى المستر كراين

الدكتور ــ لقد كان اكثر ما ترجمته مقتصرا على الحالة الاقتصادية فقد قال احد الحاضرين : ان والده كان يدفع ٣٠٠ غرشا سنويا في زمن الحكم التركي وقد بقي في هذه البلاد ثلاثين سنة تاجرا ولم يتجاوز ما يدفعه من التمتع ذلك المبلغ المذكور . اما اليوم فيأخذون منه ١٧٠٠٠ غرشا سنويا . وقال غيره : انه كان يدفع ايام الحكومة الماضية ١٥٠ غرشا فأصبح اليوم يدفع ١٣٦٠ غرشا .

الرئيس ــ كان ذلك في ايام تركيا ام في ايام غيرها ؟

الدكتور ــ كان في ايام تركيا والحكومة الوطنية .

الرئيس ــ لقد قلت في خطابك ان التقرير الذي طلبتم فيه انتداب اميركا قد ضاع وان الانتداب الفرنسي غير رسمي .

الدكتور ــ لقد كنت اترجم كلام المستر كراين الذي قال : ان التقارير التي جمعناها من سورية والتي عرفنا منها رغبة السوريين في الاستقلال التام قد القيت في زوايا الاهمال في وزارة الخارجية الاميركية وقد جئنا الى سورية في الماضي رسلا امناء وكان هذا جوابا من المستر كراين على سؤال وجه اليه عن نتيجة تقرير اللجنة الاميركية .

الرئيس ــ ثم حدث اجتماع آخر ؟

الدكتور ــ اين ومتى ؟

الرئيس ــ في بستان عبد الرحمن الكزبري في ٥ نيسان .

الدكتور ــ نعم ولكنني لا اذكر التاريخ .

الرئيس ــ وكان الاجتماع لامضاء مضابط وكنت انت الداعي اليه .

الدكتور ــ ارد هذا الكلام ردا باتا .

الرئيس ـ وعندما خرجت من الاجتماع سألت جمهورا من الشبان هل انتم ثابتون على افكاركم ؟ وحرضتهم على المناداة بالاستقلال والمجاهرة بعداوة الانتداب .

الدكتور ـ لا اذكر شيئا من ذلك وانني لا ابرح أرفض كل انتداب فرنسويا كان او انجليزيا او اميركيا .

الرئيس ـ وقلت ليحي الاستقلال وليحى كراين وولسون والشعوب الحرة .

الدكتور ـ قلت ذلك وقاله الكل ، ولكل انسان الحق في ان يقول ذلك ويحيي الاستقلال والحرية .

الرئيس ـ في ٦ ابريل جئت فندق دامسكوس والقيت امام المستر كراين خطابا اجابك عليه بمثله .

الدكتور ـ جئت الفندق لاودع المستر كراين فوجدته في غرفته ثم نزلنا معا فرايت جمعا من الناس جاؤوا لتوديع الضيف فدعاني مستر كراين للذهاب معه ومخاطبة جمهور المودعين .

الرئيس ـ وهل كلمت الاشخاص الذين اتوا امام الفندق ؟

الدكتور ـ لقد تكلمت امامهم بما لا يخرج عن حد المجاملة .

الرئيس ـ اكنت راكبا ام ماشيا ؟

الدكتور ـ مشيت اولا ثم ركبت مع المستر كراين لاكون مترجما له .

الرئيس ـ ماذا كنتم تقولون ؟

الدكتور ـ كنا ساعة التوديع في حالة انفعال نفسي فكنا نصيح ليحى الاستقلال لتحى الحرية ، مظهرين في هذا الهتاف اعجابا بهذا الشخص

المحبوب الذي جاء سورية لانتخاب فتاتين تتعلمان على حسابه في اميركا؟ وهما الآنستان نازك العابد واليس قندلفت .

الرئيس ـ هل كان انفعالكم هذا نتيجة اجتماع اربعة ايام ؟

الدكتور ـ كلا فان الدموع التي كانت تجري من اعين الناس كانت بنت ساعتها وقد سببها شعور الالم الذي يشعر به كل سكان هذه البلاد .

الرئيس ـ كنتم تصرخون ليسقط الخونة ، وليسقط الظالمون ، ولتسقط الحكومة ولنمت في سبيل بلادنا .

الدكتور ـ لم ينطق احد منا بغير كلمة ليحيى الاستقلال ولتحيى الحرية .

الرئيس ـ انك قلت امام دائرة الشرطة ـ البوليس ـ : ان فرنسا بعفوها عن المجرمين السياسيين تشجعنا على طلب الاستقلال .

الدكتور ـ لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ـ قلت أمام فندق فكتوريا لتحيى شجرة الاستقلال النامية .

الدكتور ـ كنت اتكلم باللغة الانكليزية وقلت ذلك .

الرئيس ـ هتفت عند سفر السيارة قائلا مع السلامة الى الملتقى ياحضرة المندوب وفي تلك الاثناء حملك الشعب على الاكتاف .

الدكتور ـ هل تكره ياحضرة الرئيس أن أكون محمولا على اكتاف الشعب ؟..

الرئيس ـ كلا

الدكتور ـ ان الشهبندر قضى عشرين سنة في خدمة استقلال وطنه ونصرة قوميته ، فرجل مثل هذا الا يحق له ان يحبه الشعب ويحمله على الاكتاف ؟

الرئيس ـ انك تحاول بمناسبة عفو فرنسا عن المجرمين السياسيين أن تتظاهر بالتودد لها ومحبتك اياها .

الدكتور ـ كلا انا لا احب فرنسا ولا أتودد لها . وعندي ان انكلترا واميركا وفرنسا شعوب واحدة لا فرق بينهما .

الرئيس ـ في اليوم الذي اوقفتك فيه الشرطة وجد معك حوالة بالف دولار بامضاء المستر كراين .

الدكتور ـ ان تلك الحوالة تسبب لي الفخر .

الرئيس ـ ما هو الغرض من تلك الحوالة ؟

الدكتور ـ ان في نية المستر كراين تعليم فتاتين الواحدة مسلمة والثانية مسيحية على نفقته في مدارس اميركا اسوة بخالدة اديب الشاعرة التركية التي تعلمت على حسابه .

« وهنا قام المحامي الياس نمور واراد ان يتكلم ـ فقال الدكتور شهبندر دعني ادافع عن نفسي وانفي التهمة التي الحقت بي واكشف للمحكمة امر الحوالة ـ » .

الرئيس ـ لا يهمني امر الحوالة مادامت لم تدفع وانا أؤمن بكلامك ، ولكن بعد ايقافك ظهرت في المدينة مظاهرة .

الدكتور ـ لا اعرف شيئا مما حدث اذ كنت في سجني .

الرئيس ـ ان المظاهرات حدثت عن اوامر صدرت من السجن والادلة متوفرة .

الدكتور ـ أروني تلك الاوامر ؟ !

الرئيس ـ يقرأ صورة الاوامر وهي : « اقفلوا المدينة حتى موعد المحاكمة » انك لم تكتب هذا المنشور ولكنه خرج من السجن ورجال الدرك

السوري هم الذين اذاعوه وبلغوه .

الدكتور – لا علم لي بشيء من هذا ولا نصيب له من الصحة .

الرئيس : لقد تبين لنا ان المظاهرات التي حدثت في ١٠ و ١١ نيسان « ابريل » كانت من الاشخاص الذين اطلق سراحهم وكانوا يتلقون اوامرهم منك اثناء اعتقالهم .

الدكتور – لم اعط امرا لا في السجن ولا في غيره .

الرئيس – في ٩ نيسان « ابريل » ألقيت في السجن خطابا صرحت به للمسجونين بكل ما تداولتم به في الاجتماعات الماضية . وقلت : « ان الولايات المتحدة مهتمة بأمر سورية ثم حلفت المعتقلين على القرآن » .

الدكتور – كنت اقص على الرفاق حوادث سفري يوم فررت من مظالم جمال باشا الى العراق والهند ومصر .

الرئيس – الك ما تقوله بعد ؟

الدكتور – انني اشكو من المعاملة التي عوملنا بها ، والسجن الذي وضعنا فيه فانه لا شمس فيه ولا هواء ، وقد منعنا من الخروج لاستنشاق الهواء النقي .

الرئيس – ولكن هذا السجن لم تبنه الحكومة الفرنسية بل هو موجود من قبل وقد كان في زمن الحكومة الفيصلية .

الدكتور – كان يمكن للحكومة ان تضعنا في منزل أو بناية اخرى غيره .

ثم عكف على بقية المعتقلين يسألهم الواحد تلو الآخر فكان كل منهم يجيب بما ينبغي من رباطة جاش ووطنية متقدة ، من ذلك ما قاله في المحاكمة حسن الحكيم : « هل تريد المحكمة ان تناقشني الحساب على ما بدر مني من حسن

وتشمل هذه المعاملة الجمعيات والشركات الاجنبية على اختلافها ، وان لاتميز ايضا بين اتباع اي دولة اجنبية وبين اتباعها في الامور التي لها مساس بالضرائب والتجارة والملاحة وتعاطي الحرف والمهن او في معاملة السفن البحرية او الوسائط الهوائية وكذلك الامر يجب ان لا يكون تمييز في سورية ولبنان بين البضائع التي يكون مصدرها او محط رحالها بلاد تلك الدول المذكورة ويجب اطلاق حرية المرور والتجارة عبر المنطقة المشار اليها بشروط عادلة .

يمكن للحكومة المنتدبة بعد مراعاة ما ذكر اعلاه ان تفرض الضرائب والرسوم الجمركية التي تراها ضرورية او توعز للحكومات المحلية ان تفرضها ، ويمكن للدلة المنتدبة او الدولة المحلية التابعة لمشورتها ان تعقد لاسباب جوارية اتفاقا جمركيا خاصا مع البلاد المتاخمة لها .

ويمكن للحكومة المنتدبة عملا بشروط البند الاول من هذه المادة ان تتخذ الوسائل الفعالة التي تعتقد صلاحها لترقية موارد البلاد الطبيعية مع المحافظة على مصالح السكان .

تمنح الامتيازات لترقية هذه الموارد الطبيعية لمن شاء دون تمييز في تابعية الاشخاص الداخلة دولهم في عداد اعضاء جمعية الامم بشرط ان لا تمس هذه الامتيازات بسلطة الحكومة المحلية ، ولا تمنح الامتيازات بصفة احتكار عام . لا تمس هذه الفقرة بتحديد سلطة الدولة المنتدبة في ايجاد الاحتكارات المالية التي من شانها ان ترقي مصالح سورية ولبنان وتحفظ مواردهما المالية والمحلية ، ويمكن للحكومة ان تسعى لترقية هذه الموارد الطبيعية مباشرة او بواسطة شركة خاصة تعمل تحت اشرافها بشرط ان لا يوجد هذا العمل لا عمدا ولا بالواسطة احتكارا خاصا بالدولة المنتدبة او برعاياها ، او يمنحهما ميزة من الامور الاقتصادية والتجارية والصناعية التي تقرر فيها المساواة بين الجميع .

المادة ١٢ ـ تحافظ الدولة المنتدبة بالنيابة عن سورية ولبنان على كل اتفاق دولي عام عقد حتى الآن او ربما يعقد فيما بعد بموافقة جمعية الامم بخصوص الاتجار بالرقيق ، وبالعقاقير وبالسلاح ، والمعدات الحربية ، وبالمساواة التجارية ، وحرية العبور ، والملاحة والطيران ، والمواصلات البريدية والبرقية واللاسلكية ، وباتخاذ الوسائط اللازمة لحماية المصانع والآداب والفنون .

المادة ١٣ ـ تصون الدولة المنتدبة بقدر ما تسمح لها الاحوال الاجتماعية والدينية اتحاد سورية ولبنان في الامور ذات الفوائد العامة التي تقرها جمعية الامم لمنع الامراض ومقاومتها وفي جملتها امراض الحيوان والنبات.

المادة ١٤ ـ تتضمن هذه المادة بحثا طويلا في قانون الآثار لا فائدة من نشره وهو شبيه بالمادة الخاصة بالآثار في صك الانتداب لفلسطين فليرجع اليها .

المادة ١٥ ـ عندما يتم تنفيذ الدستور المنصوص عليه في المادة الاولى يوضع ترتيب بين الحكومة المنتدبة والحكومتان المحلية تدفع بموجبه هذه الحكومات جميع النفقات التي انفقتها الحكومة المنتدبة لأجل تنظيم الادارة وترقية الموارد المحلية والقيام بالمشروعات العامة التي افادت البلاد افادة خاصة وترسل نسخة عن هذه الترتيبات الى مجلس جمعية الامم .

المادة ١٦ ـ تكون اللغة الفرنسوية واللغة العربية اللغتين الرسميتين المستعملتين في سورية ولبنان .

المادة ١٧ ـ تقدم الدولة المنتدبة لمجلس جمعية الامم تقريرا سنويا حسب طلبه تبين فيه التدابير التي اتخذتها اثناء السنة لتنفيذ شروط صك الانتداب ويرسل مع هذا التقرير نسخ عن جميع القوانين والانظمة التي تسن سنويا .

المادة ١٨ ـ يجب ان يوافق مجلس جمعية الامم على كل تعديل يحصل

في شروط هذا الصك .

المادة ١٩ ـ يستعمل مجلس جمعية الامم نفوذه عندما تنتهي مدة الانتداب لتحافظ حكومة سورية ولبنان في المستقبل على علاقاتهما المالية ومنها الرواتب القانونية التي منحتها ادارة سورية ولبنان ايام الانتداب .

المادة ٢٠ ـ توافق الدولة المنتدبة اذا حصل نزاع بينها وبين دولة ثانية داخلة في عضوية جمعية الامم بخصوص تفسير شرط في صك الانتداب او تطبيقه على عرض هذا النزاع على محكمة العدل الدولي الدائمة المنصوص عليها في المادة الرابعة عشرة من عهد جمعية الامم ، هذا اذا لم يمكن حل النزاع بين الدولتين بواسطة المفاوضات .

لا بد لهذه الدول التي انشئت من مجالس تمثلها امام دولها لهذا اصدر المفوض السامي في ٣٠ اغستوس سنة ١٩٢٢ قرارا بانشاء مجلس تمثيلي لدولة دمشق قوامه ٣٠ عضوا على ان تكون صلاحيته محدودة للنظر في الميزانية والضرائب والتشريع والادارة وعلى أن يكون له الحق في تعيين ممثلي الدولة في مجلس الاتحاد وعلى ان يكون له ايضا حق طرح الاسئلة على الحاكم وابداء الرغبات .

كما انه قد اصدر المفوض ايضا قرارات بانشاء مجلس مثله لدولة حلب وآخر شبهه لدولة العلويين .

اما في لبنان وجبل الدروز فقد انشيء في كل منهما من نظير هذا المجلس مجلسا من قبل .

فدمشق التي ما اخلدت لضيم ما رفعت عقيرتها بالشكوى والاحتجاج على انشاء مجلس كهذا ضيق الصلاحية محصور الاختصاص لا يمثل الشعب بشيء وقاطعت انتخاباته ولم تعترف على القرار الذي صدر بشأنه واضربت المدن عشرة ايام احتجاجا على هذا الانشاء والتأسيس وان كان كل ما قام

به الاقليم السوري من الواجب لم يزحزح السلطة شعرة عما صممت على عمله . فهي قد اتمت الانتخابات واخرجت النواب الذين انتخبتهم والذين قاطعهم الشعب ولم يتعرف اليهم والذين كانوا يمثلون انفسهم فحسب والذين لولا ان تحرسهم الحكومة برجالها ما كانوا احياء بالغين مجلس الاتحاد.

واتحاد كهذا تحميه الحراب ، وتحرسه البنادق ورجال الانتداب من الطبيعي ان لا يعيش طويلا وان يلغى سريعاً لأن ما لا يرضى الشعب عنه لا يمكن ان يكتب له البقاء وان كتب فالى زمان معلوم ووقت محدود .

والى الشعب السوري العربي احتجاجه فلم يفتر ولم يهدأ ولم يسكن مما اهاب بالجنرال ويغاند « خلف الجنرال غورو » ان يصدر في الخامس من كانون الاول عام ١٩٢٤ قرارا بالغاء الاتحاد وابداله بوحدة تجمع بين دولة دمشق ودولة حلب عدا حكومة العلويين ونص القرار ما يلي :

١ ـ تتحد دولتا حلب ودمشق اعتبارا من اول يناير سنة ١٩٢٥ وتؤلفان دولة واحدة تسمى ـ الدولة السورية ـ .

تؤلف الدولة السورية ضمن الحدود الحالية لدولتي دمشق وحلب دولة مستقلة عاصمتها دمشق على ان يحتفظ بحقوق وواجبات الحكومة المنتدبة .

يتولى السلطة التنفيذية رئيس حكومة يسمى « رئيس دولة سورية » وينتخبه المجلس التمثيلي باكثرية الآراء المطلقة وان كان من اعضاء المجلس التمثيلي تزول منه هذه الصفة يوم انتخابه . ويتحتم استبداله بغيره .

٣ ـ يتولى رئيس دولة سورية القيام بوظائف رئيس الاتحاد للدول السورية وبوظائف حكام الدول وفقا للقرارات المعمول بها .

وهو يعين كبار موظفي الدولة وفقا لاحكام القوانين والانظمة التي يتعين بها دستور هؤلاء الموظفين وسيصدر فيما بعد قرار للتميز بين كبار الموظفين وغيرهم لتعيين سلسلة مراتبهم .

٤ ـ يؤازر رئيس الدولة وزراء يناط به امر نصبهم واستبدالهم وتعود الى الوزراء الادارة العليا لجميع مصالح الدولة المربوطة بدائرة كل واحد منهم ويضمن كل بما تعلق به تطبيق احكام القوانين والانظمة ويسمون الموظفين الذين لا يعود امر تسميتهم لا الى رئيس الدولة كما نصت عليه المادة الثالثة من هذا القرار ولا الى المتصرف او الوالي وفقا لاحكام القوانين المعمول بها .

٥ ـ الوزارات خمس ـ وزارة الداخلية : وبها تربط مصالح الشرطة المحلية ومديرية الدرك الثابت ومديرية الصحة والاسعاف العام .

وزارة العدلية : ـ

وزارة المالية : وبها تربط مديرية المصالح العقارية ومديرية اراضي الدولة .

وزارة المعارف العامة : ـ

وزارة الاشغال العامة والزراعة والاصلاح الاقتصادي : وبها تربط مديرية البرق والبريد .

٦ ـ تبقى على حالها ادارة الالوية والاقضية والنواحي والبلديات ويسمى لواء حلب « ولاية حلب » ويقوم واليها بوظائف المتصرفين وفقا للقوانين والانظمة المعمول بها .

٧ ـ ان وظائف مجلس كل من دولتي حلب ودمشق التمثيليين ووظائف المجلس الاتحادي يقوم بها في الدولة السورية مجلس يطلق عليه اسم « المجلس التمثيلي لدولة سورية » .

والقواعد التي اتبعت في انتخاب اعضاء المجالس التمثيلية لدولتي حلب ودمشق هي القانون المرعي في انتخاب اعضاء المجلس التمثيلي لدولة سورية

ما لم يصدر قانون انتخاب جديد .

٨ ـ تقوم بالسلطة القضائية المحاكم البدائية والاستئنافية ضمن الشروط المنصوص عليها في القوانين الاتحادية المحددة ووظائف هذه المحاكم وكيفية تأليفها وسير اعمالها .

٩ ـ ينتهي ارتباط لواء اسكندرون بولاية حلب وتبقى ادارته جارية وفقا للاحكام الخاصة المنصوص عليها في القرار رقم ٩٨٧ المؤرخ في ٨ اغسطس سنة ١٩٢١ والقرار رقم ١٨٨١ المؤرخ في ٤ مارس سنة ١٩٢٣ وتناط برئيس الدولة السورية وظائف حاكم دولة حلب فيما يتعلق بادارة هذا اللواء .

١٠ ـ تتمتع ولاية حلب بالامتياز المالي المحدد كما يلي :

تجمع الواردات التي تجبى في اراضي الولاية باسم ضرائب بلا واسطة « مباشرة » وضرائب بالواسطة « غير مباشرة » ورسوم وكل دخل من اي نوع كان مما اجيزت جبايته وفقا للاصول وكذلك كل المبالغ المخصصة للولاية باسم الاموال التابعة للتوزيع .

وتجمع ايضا :

١ ـ النفقات التي تصيب الولاية من اعباء الادارة المركزية للدولة .

٢ ـ كل النفقات التي تتوجبها رسميا مصالح الدولة الكائنة في اراضي الولاية .

٣ ـ النفقات المتأتية عن القيام في اراضي الولاية باشغال عامة او ذات نفع محلي او النفقات التي تستلزمها اعمال الاصلاح من الوجهة الزراعية والاقتصادية او الاجتماعية مما له فائدة محلية .

٤ ـ ما يصيب الولاية من النفقات التي يتوجبها القيام باشغال عامة

ذات نفع عام او بأعمال الاصـلاح من الوجهـة الزراعيـة والاقتصاديـة أو الاجتماعية مما له نفع عام تكون قد استفادت منه الولاية ويخصص الزائـد من المداخيل لاشغال عامة ذات فائدة محلية او لاعمال لها ذات الفائدة من شانهـا تحسين الزراعة والاقتصاد والاحوال الاجتماعية .

١١ ـ يمثل المفوض السامي لدى الدولـة السورية مندوب يساعـده مندوبون معاونون .

١٢ ـ ان سلطة المفوض السامي وممثله هي التي نصت عليها القرارات والتعاليـم المعمول بها وان القرورات التشريعية والتنظيمية التي يصدرهـا رئيس دولة سورية تعرض للتصديق على المفوض السامي . وكل تعيين يجريه رئيس الدولة ينبغي تصديقه من المفوض السامي .

وينبغي ان يقر المفوض السامي انتخاب راس الدولة وله ان يعلن زوال سلطته لاسباب تتعلق بالمصلحة العامة .

١٣ ـ ينبغي ان تصدق اعمال رئيس الدولة السورية من قبل المندوب لدى حكومته متى كان التصديق غير عائد للمفوض السامي او متى خـول المفوض السامي مندوبه حق التصديق .

وكل تعيين للوظائف التي يتقلدها الوزراء والمديرون ينبغي تصديقه من مندوب المفوض السامي .

وفي الملحقات حيث يكون مندوب معاون تصـدق مقررات الحكومـة المحليـة من قبلـه .

١٤ ـ يتالف اول مجلس تمثيلي للدولة السورية من اجتماع اعضـاء المجلس التمثيلي لدولتي حلب ودمشق .

١٥ ـ رئيس دولة سورية هو الرئيس الحالي لاتحاد دول سورية الذي

انتخبه مجلس الاتحاد في ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ وينتهي عهده قانونا في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

١٦ ـ تقوم الدولة السورية مقام دولتي حلب ودمشق فيما يختص بالحقوق والواجبات المتعلقة بهاتين الدولتين وتقوم مقام الاتحاد دول سورية بقسم يعين فيما بعد من الحقوق والواجبات المتعلقة بذاك الاتحاد .

ما كانت لتنطلي حيل الفرنسيين على الشعب العربي السوري وما كانت هذه القطرة من الماء تروي ظمأه من بعد ان اصبح على عطش مميت للحرية فادرك ان هذه الاسربة التي تلوح بها السلطة من حين الى حين من ضم بلد الى بلد واسترضائه بمعسول الكلم من وقت الى وقت ما كانت لتنقع منه الغلة او لتشفي العلة وانها بالحقيقة كانت كلاشيء بالنسبة الى ما تمتع به من قبل كما المعنا من ايام ذاق فيها طعم السعادة طليا ورتع في بحبوحة من العيش السياسي المشرف السامي عقيب نصر الحلفاء وايام العهد الاستقلالي الذهبي .

وبحق نجاهر ونقول ان الفرنسيين قد سلكوا كل سبيل لخدمة امتهم على زعمهم فأتوا الى هذه البلاد بالضربة القاضية القاسية ، ضربة التقسيم ثم اخذوا يرتدون عنها فيلهون الشعب العربي السوري كلما راوا منه حركة نشاط او هزة عنف بضم جزء الى جزء ليروا مفعول هذا المخدر البسيط فيه وليقدروا مبلغ تاثيره عليه حتى اذا ما انسوا انه كان كافيا لاخلاده للسكينة وقفوا عند هذا الحد فلا يبلغوه امانيه كلها .

على ان الشعب السوري العربي الذكي قد ادرك ذلك منهم فلم يقنع بما فعله الجنرال ويغاند وظلت مراجل الفتن تضطرم على هدوء وسكون الى ان تجد المنفذ الذي تنفجر منه فتدل على ما كان يزكيها من بواعث واسباب .

عودة الى عام ١٩٢٠ والى صباح الواحد والعشرين من اغسطس ترينا

ان العربي السوري لا يؤخذ بالاشراك والحبائل مهما احكم امرها ومهما دبر اقرارها بليل . ففي هذا اليوم المشهود غادر وفد من دمشق يؤم حوران لا لكي يحمل اليه الحرية والحياة والاستقلال بل ليحمل له الرضوخ والذل ويحسن امامه العبودية والاضطهاد ولكي يوقعه في الغل والاسر والقيد واخيرا لكي يجبي منه الغرامة التي فرضتها عليه السلطة الفرنسية عقيب فاجعة ميلون . ورجال هذا الوفد هم : علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة اذ ذاك وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى في ذلك العهد وعطا الايوبي وزير داخلية تلك الدولة والشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ عبد الجليل الدرا .

وما ان وصل هذا الوفد محطّة خربة الغزالة التي تبعد خمسة وعشرين كيلو مترا عن درعا حتى داهم القطار الذي يقله رجال حسبهم اعضاء الوفد انهم اتوا لاستقباله لما كانوا يسمعونه من اهازيجهم وصياحهم ولكن سرعان ما ذعروا واسقط في ايديهم عندما راوا هذا الجمع الحاشد قد انقلب عليهم واخذ يتحراهم ليوقع فيهم ، فكان موقف عصيب رهيب لاقى فيه هذا الوفد ما لم يخطر له في بال واضطرب اي اضطراب ، واخذ كل منهم يفتش عن مخبأ يفر اليه من موت اكيد فاهتدى الجمع الى الدروبي وكان مندسا في قاطرة الدرجة الثالثة فقتلوه وانهزم عبد الرحمن اليوسف الى دار المحطة فلحق به الرجال ، وهناك ذبحوه بعد ان اطلقوا الرصاص عليه وقد نهبوا جميع ما في القطار وقد لاذ باقي الوفد بالفرار .

على اثر ذلك جهزت السلطة حملات على اهالي حوران انتقمت بها منهم انتقاما فظيعا اذ اعملت فيهم النار والدمار فلم يستطيعوا ان يقفوا في وجه الحديد والرصاص رغم ما انضم اليهم من قبائل بني نعيم والفضل والسلوط وغيرهم ، وفي اوائل تشرين الاول سنة ١٩٢٠ اشترط الفرنسيون الغرامات الباهظة التي كان قدرها آلاف من الليرات العثمانية الذهبية لقاء ما كان من

اهالي حوران يوم ٢١ اغسطوس على ان الطائرات الفرنسية قد فتكت في قرى حوران فتكا ذريعا فلم تبقي فيها حجرا على حجر ، واحرق الجيش البادر البيوت بعد نهبها ، فأرسلت لجنة الاتحاد السوري في مصر بتاريخ ٢٣ ايلول سنة ١٩٢٠ الى رؤساء حكومات الحلفاء ومجالسها النيابية ورئيس الولايات المتحدة ومجلس الشيوخ فيها والى كبريات الصحف في العالم ومشاهيرها الاحتجاج الآتي :

ذهل السوريون لقراءة البلاغات الفرنسية الصادرة بتاريخ ٢٣ اغسطوس واول سبتمبر سنة ١٩٢٠ المنبئة بتدمير الجيش الفرنسي تدميرا منظما لمقاطعة حوران الزراعية التي هي اهراء سورية . الطيارات تخرب القرى باكملها قاتلة للنساء والاولاد بلا رحمة . نحن نستصرخ الامم المتمدنة ومنها الامة الفرنسية ضد هذه الاعمال الوحشية التي يقصر عنها الوصف وتورث الاحقاد باطالة زمن القتال » .

وفي العشرين من ايلول سنة ١٩٢٢ اعدمت السلطة كلا من السادة عوض صلاح الدين المصري وحسين الحاج ويوسف عيسى وزعل يوسف بتهمة اغتيال الوزراء يوم حادث خربة الغزالة .

هذا ما كان في حوران واما ما جرى في شمالي الاقليم السوري فان الزعيم الكبير المغفور له ابراهيم هنانو قام بالواجب المقدس فالف العصابات وجاهر بمقارعة الفرنسيين ومقاتلتهم واعلن العصيان عليهم واخذ يضرم نار الثورة في جهات حلب وضواحيها فانتشرت وتفشت في انطاكية وحارم والعمق وادلب والمعرة وجسر الشغور ، وقد ساعده في عمله الشريف وجهاده الاقدس بعض من ضباط العثمانيين فانهزم الفرنسيون في معارك شتى واستطاع هذا الزعيم الباسل ان يتصل بالمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي الذي طالما اصطدم مع الفرنسيين في منطقة اللاذقية فصدمهم وهزمهم شر هزيمة وحتى انه استولى على معظم القرى والدساكر هناك فهدد نفس

اللاذقية فاوجس الفرنسيون منه خيفة ، وباتوا يحذرون هنانو في الشمال والشيخ صالح العلي في اللاذقية وستروا عديد انهزاماتهم بالكتمان فلم يطلعوا ابناء البلاد عليها فجهزت السلطة الفرنسية قوات كبيرة لملاحقة العصابات ومطاردتها ، واصدر الجنرال غورو بلاغا بالفرنسية في ٢ ايلول سنة ١٩٢١ بالنص التالي :

« منذ شهر مارس حتى شهر يوليو سنة ١٩٢١ كان عدد كبير من الكتائب يعمل بملء النشاط ويقاوم بدون انقطاع عددا شديد المراس من العصابات مسلحا في اراضي جبلية وينازله في معارك كبيرة تنتهي بالانتصار حتى استتبت السكينة وانتظمت الامور الادارية وطاردت الجيوش بين ٦ ابريل و٢٣ مايو سنة ١٩٢١ عصابتي ابراهيم هنانو والشيخ صالح العلي وكانتا متحالفتين ولم تدع لهما وقتا للراحة فتفرقت العصابتان متجهتين نحو الشرق ، وقد افضت هذه المعارك الشديدة الى احتلال البلاد وانشاء مراكز ثابتة في كفر تخاريم ودركوش وجسر الشغور ومعرة النعمان ومن ثم زحفت قوى الكولونيل نيجر العديدة بعدما وضعت الحواجز من البحر الى نهر العاصي وطافت بلاد العلويين من الشمال الى الجنوب واشتبكت في معارك طويلة من ١٠ مايو حتى ١٩ يونيو حيث نشبت معركة بالقدموس وانتهت هذه المعارك العنيفة بطاعة العلويين وهزيمة الشيخ صالح العلي وقد تخلى عنه معظم اعوانه » .

واصدر نفس الجنرال بلاغا آخر نصه ما يلي :

« في ١٢ مايو خرجت حملة من اللاذقية بقيادة الكولونيل نيجر فتوجهت الى جبلة والمرقب حيث مركز العصابات وفي يوم ١٣ منه زحفت حملة اخرى من محردة « محطة من محطات سكة الحديد بين حمص وحماه » بقيادة الكولونيل دوم وسارت في الوقت نفسه حملة ثالثة من الحمدانية « محطة من محطات سكة الحديد بين حماه وحلب » بقيادة الكولونيل فيك

ومشى الجنرال غوبو قائد اللواء الثالث من حلب على رأس لوائه لتأديب العصابات فبلغ معرة النعمان يوم ١٥ منه ودخلت قوة الكولونيل فيك في اليوم التالي الى حبيط وتقدمت قوة الكولونيل دوم فاستولت على جسر الشغور وزحفت قوة اخرى بقيادة الكولونيل فونيه على قلعة المضيق فاحتلتها ودارت معركة عنيفة في جسر الشغور بين الثوار وحملة الكولونيل جران كور انتهت بانسحاب الثوار والاستيلاء على البلدة وقد ارتدت العصابات امام هذه القوات العظيمة ولا يقل عدد رجالها عن ثلاثين الف مقاتل فغادر ابراهيم هنانو مقره في جبل الزاوية يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢١ ومعه ٥٥ جنديا وضابطا قاصدا عمان فلاقاه الفرنسيون شرقي سلمية يؤيدهم اسماعيليون ودارت معركة بينه وبينهم انتهت بأسر اربعة من ضباطه اما هو فواصل السفر فوصل الى عمان يوم ٣١ منه » .

يمم الزعيم هنانو وجهه شطر فلسطين لزيارة القدس فاعتقلته السلطة البريطانية هناك فاهتاج العرب وماجوا واعتدوا على قائد الدرك البريطاني واحتج رجالات العرب هناك وطلبوا اطلاق سراحه فما افادت هذه الصيحات ولا أثرت تلك الاحتجاجات وارسل الزعيم مخفورا الى بيروت حيث سلم للسلطة الفرنسية وحيث حوكم في حلب الشهباء امام المجلس العسكري الفرنسي اذ براه واطلق سراحه . اما الشيخ صالح العلي فقد ظل متواريا عن الانظار حتى اذاعت السلطة الفرنسية بلاغا في السادس من تموز سنة ١٩٢٢ تعلن استسلامه لها .

الاغتيالات والعصابات :

لا بد وان يكون المطالع الكريم قد ادرك مما مر من الحوادث التي اتينا على وصفها والتي سنبسطها اليه فيما يلي مبلغ امتعاض السوريين العرب من الانتداب الفرنسي ومبلغ نفورهم منه واستنكارهم له وقد ذكرنا فيما

مضى سـوء تصرف السياسة الفرنسية وما قام به مندوب الفرنسيين السامي الجنرال غورو من سوء تصرفه ومن خطأ سياسته ومن قصر نظره في ادارة البلاد مما اهاب بالكثير من الناس لاظهار هذا المقت والالم في كل فرصة وفي كل سانحة وقد دل على ما ذكرنا بصورة صريحة الحادثة التي وقعت الى المندوب السامي الجنرال غورو في ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ ابان مجيئه لزيارة الامير محمود الفاعور قريبا من القنيطرة اذ انه ما بلغ تلك الناحية حتى انهال عليه الرصاص كالوابل المدرار من قبل رجال اقتعدوا مقعدا له عندما علموا بانه سيمر من هنالك ، وفي هذه الواقعة نال حاكم دمشق اذ ذاك حقي العظم بضع رصاصات في فخذه وذراعه وشفته جزاء دفاعه عن المندوب السامي غورو ونال نفس الجنرال شيئا من هذه الحادثة في كم بذلته من ناحية اليد المبتورة فيها على ان مرافق الجنرال قد قضى في هذه المعركة .

كان شأن الفرنسيين عقيب هذا الحادث شان المتشفي المنتقم ممن لم يجترح سيئة ولم يقترف اثما وولى وجهه شطر العزل الآمنين من الاهلين اذ عجز وعيي عن الانتقام ممن اوقعوا به وبمن معه هناك . فكم عذب من ابرياء ونكل بودعاء واعمل الاذى والظلم والتعذيب باناس لا ناقة لهم في ذلك الحادث ولا جمل . لقد جرد الحملات على كل ما يتبع القنيطرة من قرى ودساكر واعمل النار فيها يدمرها بقنابل المدافع مرة وبقذائف الطائرات اخرى ويسوم ذويها سوء العذاب بفرض الغرامات تارة وبزج الزعماء في السجون طورا كما فعل بقرى جباتة الخشب والعوفاني وطرنجه والاحمر وتل الشيخة ومجدل شمس وجباتة الزيت مما لا يقره عقل ولا يرضى به منطق ولا يامر فيه شرع ولا يسوغه قانون وان الفرنسيين انفسهم لم يتورعوا عن ان يذيعوا ذلك ببلاغ فرنسي تعريبه ما يلي :

« في يوم ٢٣ يونيو ظهرت على طريق القنيطرة عصابة قادمة من شرق

الاردن وبعد ان قضت مأربها عادت في اليوم نفسه الى عجلون وهذه نتائج التحقيق والعقوبات :

زحفت حملة بقيادة الكولونيل روكرو من دمشق يوم ٢٣ يونيو فوصلت الى القنيطرة يوم ٢٦ منه فدمرت بامر المندوب السامي قرى جباة الخشب ـ المنشية ـ عوفاني ـ طرنجة ـ الاحمر ـ تل الشيخة ـ لانها آوت مجرمي القنيطرة فاصبحت شريكة لهم في الخيانة وقد حجزت اموال اهاليها وحكم فوق ذلك على كل قرية بغرامة من خمسين جنيهاً الى مئة جنيه ذهبا ودمرت الحملة نفسها ١٧ مزرعة في جباتة الخشب وارطانيا وترانك وفي ٢٩ منه زحفت على مجدل شمس وجباتة الزيت وفي ٣٠ منه عادت الى القنيطرة حيث باعت الاموال المحجوزة » .

هذا غيض من فيض وقطرة من بحر بما قامت به السلطة الفرنسية من اعمال يندى لها وجه الانسانية خجلا وقد شاع ان الرجال الذين قاموا بايقاد نار هذه المعركة هم من لجأوا الى شرقي الاردن على اثر فاجعة ميسلون الشهيرة والذين هم : خليل علي المريود ومحمود حسن من جباتة الخشب وشريف شاهين من جباتة الزيت ومحمد ظاهر من شبعة وصادق حمزة وادهم خنجر . ويقال بأن هؤلاء قد عادوا الى شرقي الاردن على اثر هذا الحادث لذلك لم تستطع القوة الفرنسية ان تنال احدا منهم باذى .

لم تقتصر الحال على سورية فحسب بل كانت كذلك في لبنان اذ انه في سابع نيسان سنة ١٩٢٢ اغتال مجهول على وصيد باب المستشفى الفرنسي في بيروت مدير الداخلية في لبنان اسعد بك لما اتصف به من الولاء والانقياد وانفاذ اوامر الفرنسيين وتفانيه بالاخلاص للانتداب الفرنسي.

اضطرب حبل الامن في المناطق التي كان الانتداب الفرنسي يسودها من ذلك ما ظهر في الفرات وامتد الى دير الزور وخضد من شوكة الفرنسيين وثل من نفوذهم هناك مما اضطر رجال السلطة لارسال حملة لقمع الثورة

في دير الزور في ثامن وعشرين ايلول سنة ١٩٢١ من حلب الشهباء بقيادة الكولونيل دي بيوفر قابلها الثوار بسواعد مفتولة وجاش رابط واعملوا فيها القتل واستبسلوا استبسالا شديدا ساروا فيه على اصول حرب العصابات فانسحبوا مرتدين الى الفرات وقد المع الى هذه المعركة بلاغ فرنسي رسمي .

واخذت الفتن تبدو في كل ناحية وفي كل مكان كلما رات الى العصيان سبيلا من ذلك ايضا ما قام به ملحم قاسم الثائر الشهير حوالي بعلبك من هجمات متوالية عليها وعلى ماتبعها من بلاد ومدن مما ذعر له رجال الانتداب وظنوا ان لا قبل لهم بهذا الرجل وبرجاله وحسبوا لهذه العصابة حسابا كبيرا على قلة عدد رجالها وتفاهة معداتها وظلت حوادث العصيان بين كر وفر حتى امن الفرنسيون ملحم قاسم على حياته فاستحسن الاستسلام وفعل .

الزعيم شهبندر ورجاله وحوادث كراين :

لقد اجمع المؤرخون قاطبة على ان الضغط المتمادي ما يلبث ان يبعث في نفوس المضغوط عليهم شعورا وحسا ينتج عنهما الانقلاب المفاجيء المدعو بالانفجار السياسي لا سيما اذا كان متواليا متعاقبا بلا فاصلة ولا انقطاع وعلى من عرف بالشهامة والمروءة والموت في سبيل الكرامة والعزة والحرية فالشعب السوري العربي العريق بالمجد والمحتد وبالاندفاع نحو الذود عن القومية العربية وعن مقومات الحياة الصحيحة لم يرضخ ولن يستكين ولن يرضى بلهل لأي كان وان شام منه مضطهده هدوءا او صمتا او رضوخا فان ذلك منه كالرئبال الذي ينكص الى الوراء كي يثب وكالاسد المتحفز للانقضاض عندما يرجع وكالاناء الذي يمكث تحت الضغط هنيهة ينفجر على اثرها فيهدم ويؤذي ويدمر من أرهقه وضغط عليه .

بعد هذه الكلمة الوجيزة التي لم نر بدا من بسطها نرى انه من البداهة

ان نقول ان في هذا الشعب السوري العربي من الرجال من لا يكون للمستعمر عليهم أي سلطان او نفوذ وانه ان الفى منهم سدرا وجمودا فان معنى ذلك التاهب والتهيؤ والاستعداد . وان الذي لم يرض لمن كان قبل الفرنسيين بتسليم القياد والانقياد لن يرض بهما للمضطهد المستعبد الاجنبي الغريب من كل ذلك نتج ان الزعيم العربي الدكتور عبد الرحمن شهبندر ما لوى عنقه امام السفاح جمال باشا الذي حمل على العرب ونال من كرامتهم بل جابهه في المسجد الاموي والناس سكوت مجابهة الند للند والعظيم للعظيم ، لا يمكن ان يخنع للفرنسيين وامثالهم ولا يمكن ان ينام على ذل لهم او لسواهم . وقد كان على الفرنسيين ان يدركوا ذلك وان لا يحسبوا ان الامر قد استقام لهم وان الدهر موات لهم وانهم قبضوا على ناصية الشعب .

في اول نيسان بينا كان الزعيم في مكتبه بداره بدمشق تناول من ساعي البريد كتابا صادرا من رئيس الجامعة الاميركية الاستاذ نيكولي مؤرخا في ٢٩ آذار سنة ١٩٢٢ يعلمه فيه بمجيء رئيس لجنة الاستفتاء الاميركية المستر كراين الى دمشق . فخف الزعيم الى لقاء الرئيس وفي ٢ نيسان المذكور اجتمع به في فندق دماسكوس بلاس فقال الرئيس ما معناه : « قدمت الى هنا بقصد التحقيق اذ ان مجرى السياسة يتطلب في هذه الايام ابداء التقرير المشترك الذي نظمناه مع الاخوة اعضاء اللجنة الاميركية التي استفتت بلادكم عام «١٩١٩» . ونود ان نرى ما ان كانت الاستعلامات التي حصلنا عليها حقيقة ام لا فاود ان تجمعني بابناء هذه البلاد واخص بالذكر منهم العلماء « المشايخ » لارى ما ان طرا تبدل على آرائهم وما ان كنا مصيبين في الاخبار التي استعملناها فجعلنا التقرير مبنيا عليها » .

فاظهر الزعيم استعداده لتحقيق هذه الرغبة وواصل جهوده لتامين ذلك واتفق مع كبار من المتنفذين في دمشق على ان يجتمعوا في حديقة الشرابائي في زقاق الحياة في الصالحية . وقد اعلن الزعيم الى النزيل

الكريم ما تم الاتفاق عليه فامتطيا السيارة الى ما كان القوم بانتظارهما في الحديقة المذكورة وما ان وصلاها حتى كان الجمع المؤلف من كافة الطبقات باستقبالهما استقبالا شائقا لائقا يهتف بحياتهما هتافا يشق عنان السماء . وقد كان صحبة المستر كراين كاتم اسراره المستر برودي وبعد ان تجاذبوا جميعا اطراف الحديث اعلن المجتمعون تأييدهم ما كانوا اطلعوا عليه المستر كراين يوم تقدم الى دمشق مع اخوانه للاستفتاء عام ١٩١٩ وشكو اليه الظلم الفرنسي والضرائب التي طرحها عليهم وكان الرئيس الاميركي يدون ما يسمعه .

وفي ٣ نيسان زار المستر كراين الميتم السوري وعلى رأسه الآنسة الس قندلفت فقدر لها جهودها التي رآها ونبوغها الذي لمحه منها وتبرع بايفادها الى الديار الاميركية لاتمام التحصيل هناك على نفقته فبر بوعده وحصلت على شهادة عليا من جامعة كبرى وتعينت في العراق .

وفي اليوم الرابع من الشهر الملمع اليه دعا حي الميدان المستر كراين الى حديقة حسن الحكيم فاحتشد هناك مئة من الاعيان او اكثر فلبى الرئيس الاميركي هذه الدعوة واصاخ بسمعه الى ما كان يدلي به القوم اليه من بث وشكوى ونجوى في كل ناحية من نواحي الحياة وشأن من شؤون الادارة .

ثم لبى المستر كراين دعوة نساء الشهداء في منزل الفقيد الكبير شكري العسلي في حي المهاجرين واصغى الى ما كن يشكونه اليه منه والى الآمال التي كن يعقدنها عليه وعلى لجنته .

وقد كان على موعد مع الآنسة نازك العابد ليستمع اليها ما تشكوه بشأن مدرسة الشهداء التي انشئت في عهد الحكومة العربية والتي اتخذت السلطة المنتدبة أدنى الوسائل واحطها لاقفالها وقد كاد ان يكون نصيب هذه الآنسة كنصيب الآنسة الس من حيث التحصيل العالي في اوروبا على نفقة المستر كراين لولا أن مانع ابوها فكان بذلك على غير حق ولا عدل ولا راي .

ثم كان المستر كراين يوم الخامس منه في الدعوة التي وجهت اليه من عليه القوم واكابرهم لتناول الغداء في بستان بالقصاع واستمع هنالك الى ما فاه به النخبة المختارة من الحاضرين والى ما قاله الاستاذ محمد الشريقي وعلى الاخص الى ما كان يطرب الجمهور وهو الآي الكريم الذي كان يرتلها الاستاذ الشيخ محمد الحلواني وقد كان سرور المستر كراين واعجابه بذلك عظيما . وابان ترك البستان تقدم طلاب الجامعة السورية وفي مقدمتهم تلامذة الحقوق منهم : امين سعيد وفائق العلي وشفيق سليمان وصبري العلي ومنير مردم وحلمي ابو خضرة وغيرهم يعلنون تأيدهم باسم طلاب الشعب العربي في مطالبه المشهورة . وفي سادس نيسان تقدم الزعيم الشهبندر للمستر كراين بالوثائق والمستندات التي رفعها ذووها باسم المستر كراين ثم ازمع الرئيس الاميركي على السفر فبذل الزعيم اعظم الجهود ليكون الاحتفال بتوديعه على اعظم ما يكون وبالفعل فقد تم له ما اراد فاقبل الناس الى بهو الفندق زرافات ووحدانا يشيعون الراحل الكريم فودعهم المستر كراين فردا فردا وخاطبهم بقوله : « ما اشد سروري برؤيتكم واسفي لاضطراري الى مغادرة مدينتكم وسيكون الدكتور كنج الذي كان في لجنة الاستفتاء مسرورا جدا من نتيجة تحقيقي . ثم انني اتيت لهذه البلاد في وقت لا يسمح لي سني معه على السفر ولكنني شئت ان ارى البلاد التي زرتها مع اصدقائي عام ١٩١٩ ولا يمكنكم ان تقدروا السرور الذي يصيبها من نتيجة هذه التحقيقات البديعة ... تمسكوا بقضيتكم فانها عادلة وتوسلوا اليها بالوسائل العصرية لا بالطرق القديمة » فتعالت الاصوات بالهتافات بالاستقلال العربي وللدكتور ولسن وللشعب الاميركي وللمستر كراين وللزعيم شهبندر. ثم استقل المستر كراين سيارته يحيط به الزعيم والمحتشدون وكانت الشوارع والشرفات والاماكن والباحات غاصة بالجماهير التي كانت كالسيل العرم وهنا تبارى الناس للخطابات فارتجل شيخ مصري وقف على مقدم السيارة

خطابا رائعا اظهر فيه للمستر كراين تضامن الشام والقطر الشقيق مصر وختم قوله باسقاط الانتداب فتعالى الهياج والتهب الحماس ، وانبرى القوم يؤمنون على قول الخطيب باسقاط الظلم والاضطهاد ، فاعقب ذلك الخطيب الشاب المثقف فؤاد الخياط وارتجل كلمة كانت نارية الهبت في نفوس المجتمعين نار الكرامة واستفزت منهم الشعور والحس وانبرى القوم ينشد الاناشيد الوطنية صائحا :

نحن لا نرضى الحماية	لا ولا نرضى الوصاية
نحن اولى بالرعاية	لبني العرب الكرام

وغير ذلك من الاناشيد وكان الزعيم الشهبندر يترجم للمستر كراين ما كان يقوله الجماهير لافتاً نظره الى ما تتضمنه من معاني والى ما كان يزداد في كل خطوة تخطوها السيارة من جماهير جديدة اتت لتشيع الرئيس الاميركي .

وكانت الزهور والرياحين تتساقط على السيارة والمحاطين بها تساقط الغيث المنهمر . ولم يقتصر الاحتفاء بتشيع الرئيس على الرجال فحسب بل كانت جمهرة غفيرة من النسوة تساهم في ذلك وعلى راسهن عقيلة الزعيم وشقيقة الفقيد الغالي شكري العسلي فقد بلغ الحماس بهاتين السيدتين درجة اقبلتا معها على رفع السيارة لو استطاعتا هاتفتين بحياة الاستقلال فازكى صنيعهما هذا نار الحماس في صدور المحتشدين فاخذوا بالهتاف عاليا بحياة الاستقلال والحرية . ثم عندما بلغ الموكب دائرة البلدية صاحت عقيلة الزعيم بحياة الشعب العربي فدوت ارجاء الساحة بذلك الهتاف ولم يتمالك بعض الوطنيين أنفسهم من مشاطرة المحتشدين الشعور حتى أن كثيرا من موظفي الحكومة في السراي عندما بلغها الموكب كان شانها شان تلك الجماهير ، وكان الاستاذ زكي الخطيب مدير رسائل ديوان الحاكم العام يقاسم الناس شعورهم ويشاطرهم عواطفهم ، وظل الحشد سائرا

حتى بلـغ نزل فكتوريا ، فاومأ الزعيم الى سائق السيارة بالوقوف للتوديع ، وصمت الناس فقال الزعيم الى المستر كراين بالانكليزية ما تعريبه : « التفت الى ورائك ياسيدي واحفظ هذه الصورة التاريخية في قلبك وستمر على اوروبا واميركا فترى فيها افرادا بضمائر حرة لا يزالون يحبون الانسانية ويغارون على الحرية فاذكر لهم ما رأيت واشرح لهم ما سمعت وانقل اليهم ما تقراه في هذه الوجوه والجباه » .

ثم قال الزعيم بالعربية : « فليحيى الاستقلال التام . ولتحيى شجرة الحرية النامية والى الملتقى ايها الرسول الكريم » .

قال ذلك واشار الى الناس بالارفضاض عن السيارة ، وما ان فعلوا حتى رفع المستر كراين قبعته وانحنى امام الجميع يحييهم فصفقوا له طويلا وارخى السائق للسيارة العنان وكاتم اسرار المستر كراين يلتقط هذه الصورة التاريخية بجهاز تصويره لتكون له ذكرى .

اعتقال الزعيم ورجاله

غادر المستر كراين ربوع الفيحاء والشعور السائد الجماهير التي كانت ترافقه لا يزال طوافا عليها ترتقب مساعي ذلك الرجل الذي انعش فيها الآمال واحيا الاماني وجدد الهمم وبعث النشاط ، وعاد الحشد الحافل يحتاط بزعيمه الفذ الدكتور شهبندر هاتفا له بالحياة الطويلة والعمر المديد ، ثم ذهب كل الى عمله وآوى الزعيم الى داره .

وفي اليوم التالي سابع نيسان اتى احد الشرطة دار الزعيم شهبندر طالبا اليه ان يرافقه فوعد بالتلبية ودخل الى داره يكتب الى الرئيس ولسون ما معناه : « لي الشرف ان اقص على مسامع حضرة الرئيس السابق للولايات المتحدة واذكره انني احد السبعة الذين وقعوا على المذكرة التي

تقدمت اليه – اي للرئيس ولسون – بواسطة معتمد حكومته السياسي في القاهرة سنة ١٩١٧ وفيها رغائب الشعب العربي ومن دواعي اغتباطي وتعزيتي ان الايام قد دلت بأفصح دليل رغم انف الدسائس على ان تلك الرغائب هي رغائب الشعب العربي المستضعف . ثم قال له ان العهود الشريفة التي اقتطعها للناس على جبل فرنون والمباديء السامية التي نشرها بجانب مرقد واشنطون لا تزال مصدر الهام للمظلومين في الشرق والغرب وان الكارثة التي سعينا جهدنا لتجنبها وقعت كالصاعقة على رؤوس امتنا فأخذت تسحقها تحت اقدامها ، ويكفي ان اقول ان هتفة واحدة للحرية والاستقلال وللمباديء السامية التي انطق الله بها الامة الاميركية على لسان رئيسها الكريم ادت بالحكومة المستعمرة الى اتخاذ قرار بتوقيفي وتوقيف بعض اخواني وربما نفينا جميعا بعد ذلك وسيقص على حضرته صديقه الامين المستر كراين ما راى بعينيه وسمع بأذنيه في الاقليم السوري من المظالم والمغانم التي بلغ صداها عنان السماء ولولا الشرطي المفوض المأمور بالقبض علي ونقره على بابي يستبطئني ويستحثني على مغادرة داري لكتبت له من تفاصيل امورنا ما يدله على ان البذور التي زرعها في العالم الجديد نبتت او كادت تنبت في العالم القديم ولا سيما في الشرق حيث المظالم على اتم مظاهرها » .

وسلم هذه الرسالة الى الوصيفة التي في بيته اذ ان عقيلته اذ ذاك لم تكن في الدار وطلب الى هذه الوصيفة ان تسلم الكتاب الى سيدتها كي تبعث به غب عودتها الى المستر كراين الذي كان في بيروت اذ ذاك عن طريق المستر آلن معتمد جمهورية الولايات المتحدة بدمشق .

ابان مرافقته للشرطي صادف مجيء ولديه عائدين من المدرسة فانهالا على والدهما الزعيم يطوقان عنقه بأذرعهما طالبين اليه ان يأخذهما معه فطمأنهما بالعودة قريبا وانفلت منهما يرافق الشرطي .

وقد القي القبض في عين اليوم على كل من حسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض وعبد الوهاب العفيفي .

اشتد الامر على الشعب وبينا كان الناس في الجامع الاموي لأداء فريضة الجمعة قام من بينهم كل من توفيق الحلبي وخالد الخطيب ومحمد الشريقي يخطبون الناس ويستفزون عواطفهم ويستنهضون هممهم ويستحفزون مشاعرهم وابائهم وغادروا المسجد بمظاهرة كبرى يتصفحون دور القناصل والمعتمدين واحدا واحدا طالبين التوسط بالافراج عمن اعتقلوا . ثم القي القبض على امين سعيد وعلى توفيق الحلبي وخالدالخطيب ومحمودحمدي حمودة وعادل حتاحت وسعاد الشلبي وخليل خطاب وثروة الجعفري وتوفيق القيسي ورشدي ملحس وتوفيق عجم اوغلي وحسن زنبركجي وصبري البديوي ومحمد الخطيب .

فسرى هذا النبأ في المدينة سريان البرق وهاجت دمشق وماجت وآلت على نفسها ان تضرب احتجاجا على هــذا الاعتقال الغاشم واقفلت المحال التجارية والاسواق ومعاهد العلم ودور المدارس وهبت الفيحاء بأسرهــا تقوم بتظاهرة هتفت فيها للحرية طويلا فارسلت السلطة قوات مسلحة عتادها الدبابات والمصفحات لتفريق المتظاهرين المتجمهرين وقد بلغ عدد من اعتقل حتى ذلك اليوم خمسين شخصا واعلنت السلطة الفرنسية الاحكام العرفية .

وتوالى ارسال المدد لقمع التظاهرات باطلاق الرصاص على الناس كما توالى من ناحية ثانية تاليف المظاهرات الواحدة تلو الاخرى والبلد مع جميع البلاد السورية مضرب مقفل متوقف عن العمل احتجاجا ينشد الحريــة والاستقلال والافراج عن المعتقلين الاحرار ومن جملة التظاهرات التي تالفت مظاهرات السيدات وقد ضمت حرائر دمشق وفضليات نسائها تهتف بالحرية وتسقط الاستعمار والانتداب ويحيين الاستقلال والسيادة القومية

وتنادي بحياة الزعيم الشهبندر وظلت مظاهراتهن سائرة قدما حتى ساحة الشهداء في دمشق وهنالك تجمهر اشباه الرجال رجال الشرطة يحاولون تفريق اللبوات وردهن الى العرين فلم يفوزوا على ما اوتو من قسوة وخشونة وعنف من تلكم السيدات بطائل واستطعن هؤلاء الفضليات ان يجبن انحاء المدينة .

وظلت الفوضى سائدة ربوع الشام اياما طويلة الى ان هبطت المدينة قوة كبرى قوامها الف ومئتي جندي اشغلت كامل المدينة من جميع نواحيها وضرب النطاق على دمشق وقد اصدرت السلطات البلاغ التالي :

وفقا للقرار بوضع دمشق تحت الاحكام العرفية يشعر الكولونيل غودني قائد جيوش دولة دمشق الاهلين بما يأتي :

١ ـ يمنع التجمع في الطريق العامة ويقمع ذلك بالسلاح .

٢ ـ يمنع التجول في شوارع المدينة من الساعة السابعة مساء حتى السادسة صباحا .

٣ ـ يطلب من الاهلين ان يعودوا لاعمالهم كالعادة .

ازمعت السلطة بعد ذلك على محاكمة المعتقلين فنقلت ليلا في الساعة الواحدة بعد منتصف ليل ١٨ نيسان الزعيم الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر ومنير شيخ الارض والدكتور خالد الخطيب وعبد الوهاب العفيفي وتوفيق الحلبي الى نظارة الشرطة في الطابق الارضي من بناية العابد حيث كان الديوان العرفي الفرنسي في الطابق الاول منها .

وافرج عن بقية المعتقلين ما عدا امين سعيد ورشدي ملحس وسعاد الشلبي وتوفيق عجم اوغلي والشيخ احمد السوري اذ اشترطت السلطة ان يغادروا دمشق خلال ثمان واربعين ساعة . وبالفعل فقد اذعنوا وتركوا الوطن آسفين متألمين وكان المؤرخ الكبير امين سعيد في طليعة القوم الذين

آلوا على انفسهم ان يبرحوا دمشق بالجسم وان يظلوا فيها بالروح فقد نذر قلبه ودماغه وقلمه في سبيل العروبة والوطن واقسم جهد الايمان بأن لا ينفك عن خدمة الامة العربية مادام فيه عرق ينبض وفؤاد يخفق . وولى وجهه شطر الاقليم المصري الشقيق مصر يبر بوعده وينفذ ما آلى عليه واقسم وظل بعيدا عن وطنه حتى اعلان العفو العام سنة ١٩٢٨ اما موقوفوا النظارة فقد ظلوا حتى صبيحة اليوم الثاني الساعة السابعة والنصف وفي هذا الوقت جيء بهم من سلم البناية الداخلي الى بهو المحاكمة خلسة وخفية وقد سدت السلطة كل المنافذ المؤدية الى هذه البناية وحشدت قواها في مداخل الطرق الرامية الى بناية العابد واتخذت كل الاحتياطات حتى تمنع الناس من حضور المحاكمة . ولو افسحت المجال للناس لكانت دمشق بأسرها وبكاملها في المحاكمة .

كانت المدينة مغلقة برمتها محتجة على ما كان للزعيم ولرجاله الاحرار . وقد تألفت الهيئة الحاكمة « المحكمة العسكرية الفرنسية » من اليوتنان كولونيل لاريث « رئيسا » والكومندان جانيي والكابتين غوري واليوتنان بيرساي « اعضاء » واليوتنان ليفيك سكرتيرا .

وتولى الدفاع عن المعتقلين كل من المحامين الاساتذة جلال زهدي – وزير العدل سابقا – وفارس الخوري نقيب محامي دمشق اذ ذاك وسعيد المحاسني والياس نمور واللازمون « الوليتنان » جيمس وشوفاليه والبين وهؤلاء قد انتدبتهم المحكمة للدفاع عن المعتقلين وفقا لنظامها .

ابتدات المحاكمة في الساعة الثامنة صباحا بتلاوة مضبطة الاتهام المنظمة من هيئة التحقيق ونصها :

« ١ – اتهم المعتقلون بتدبير مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مشفوعة بالعمل ومحاولة العمل لاعداد التنفيذ .

٢ ـ بالتحريض على مؤامرة غايتها تغيير شكل الحكومة مع ايقاع اضطرابات لأن المؤامرة اعقبها العمل او المباشرة به لاعداد التنفيذ .

وتنطبق هذه الافعال على المواد « ١٧ و ٨٧ و ٨٩ » من قانون الجزاء الفرنسوي وعلى المادتين « ٢٤ و ٢٥ » من قانون المطبوعات الفرنسوي المؤرخ في ٢٩ يوليو سنة ١٨٨١ وعلى المادة ٢٦٧ من قانون الجزاء العسكري الفرنسي وعلى المادة ٨ من قانون ٩ اغسطس سنة ١٨٤٩ الفرنسوي المعدل بقانون ٢٧ ابريل سنة ١٩١٦ الفرنسي بشأن الادارة العرفية .

وبعد ذلك دعا رئيس المحكمة الزعيم شهبندر وسأله ما يأتي :

الرئيس : لقد تلقيت من الجامعة الاميركية في بيروت نبأ يشعر بوصول « كراين » الى دمشق فاعددت معدات استقباله وهيأت للاجتماع فريقا ممن اشتهر عنهم الاستياء من الحالة الحاضرة وسهلت اتصالهم به فعقدتم ثلاثة اجتماعات في ٢ و ٤ و ٥ ابريل ، ثم تم بعدها بالمظاهرات ؟

الدكتور شهبندر : تلقيت في اول نيسان نبأ من المستر نيكولي وكيل رئيس الجامعة الاميركية في بيروت يشعر بوصول المستر كراين الى دمشق ولم يكن هذا الامر مجهولا فقد اذاعته صحف مصر وفلسطين من قبل وبما انني احد خريجي تلك الجامعة وصديق للمستر نيكولي اجله واحترمه وصديق للمستر كراين ايضا منذ عام ١٩١٩ عندما جاء سورية على رأس اللجنة الاميركية الاستفتائية رأيت انه يجب علي ان اقوم بكل ما يمكن من احترامه ما دام مقيما بيننا .

الرئيس ـ انا لا ألومك على استقبال المستر كراين او اكرامك اياه ولكنني أؤاخذك على ما دبرته من الاجتماعات والمظاهرات التي افضت الى حدوث جرائم .

الدكتور ـ انا لست مسؤولا عن اي اجتماع او مظاهرة لانني كنت اصحب

المستر كراين لأقوم بترجمة ما يطرح عليه من الاسئلة وما يجيب هو به .

الرئيس ـ الم تعقدوا اجتماعا في بستان الحيات بالصالحية بتاريخ ٢ نيسان .

الدكتور ـ نعم اجتمعنا .

الرئيس ـ وجميع الذين حضروا ذلك الاجتماع الم يكونوا من المعروفين بالكره للحكومة الفرنسية ؟

الدكتور ـ كلا بل كان هناك فريق من اعز اصدقاء السلطة .

الرئيس ـ سواء كانوا من اصدقاء فرنسا او اعدائها فقد جاؤوا بدعوة منك ؟

الدكتور ـ لم ادع احدا .

الرئيس ـ لقد القيت خطابا في ذلك الاجتماع ؟

الدكتور ـ كذب من ابلغكم ، فانا لم اخطب مطلقا بل كنت انقل كلام الحضور الى المستر كراين وكلامه اليهم . انا لا اكذب فما قلته هو الصدق اما ما نقل اليكم فهو محض افتراء .

الرئيس ـ لدي صورة عن خطابك الذي قلت فيه : ان العرب بذلوا جهدهم في الوصول الى استقلالهم فكان جزاء عملهم حرمانهم من الاستقلال ومكافاتهم بالذل والعبودية . وقد حاولت مخادعة الجمهور بادعائك بأن المستر كراين مندوب من قبل عصبة الامم ؟

الدكتور ـ لقد سبق وقلت لك : انني لم اخطب في ذلك الاجتماع وقلت عن المستر كراين انه المندوب السابق لجمعية الامم لا في الماضي ولا في الحاضر .

الرئيس ـ اذن لم تدع احدا للاجتماع ؟

الدكتور ــ احب ان تدعو لي من يشهد بانني دعوته للاجتماع ، لقد كنت اصحب المستر كراين كترجمان فقط .

الرئيس ــ كان الاجتماع اذن بطريق المصادفة ؟

الدكتور ــ طلب كثيرون من المستر كراين ان يلبي دعوتهم .

الرئيس ــ من هم ؟

الدكتور ــ لست جاسوسا لأذيع خفايا الناس واسرارهم .

الرئيس ــ يوجد رجل دبر واياك هذا الاجتماع .

الدكتور ــ ومن هو ذلك الرجل ؟

الرئيس ــ حسن الحكيم .

الدكتور ــ وهل تريدون ان اسأله ؟

الرئيس ــ في ذلك الاجتماع كنت انت وسعيد حيدر تستقبلان الجموع .

الدكتور ــ انا لم اكن مستقبلا للناس بل كنت ترجمانا للمستر كراين ليس الا .

الرئيس ــ لقد القيت خطابا في ذلك الحين .

الدكتور ــ أعود فأؤكد لكم انني لم الق خطابا مطلقا لا في ذلك الاجتماع ولا في سواه .

الرئيس ــ كنت تظهر رغائب الحضور وامانيهم وقد قلت بوجوب اسقاط الحكومة ، واستبدال رجالها والمناداة باستقلال البلاد .

الدكتور ــ هذا زعم جناة كاذبين ، وانا لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ــ اذن ما الذي كنت تنقله من كلام الاهلين الى المستر كراين

الدكتور ــ لقد كان اكثر ما ترجمته مقتصرا على الحالة الاقتصادية فقد قال احد الحاضرين : ان والده كان يدفع ٣٠٠ غرشا سنويا في زمن الحكم التركي وقد بقي في هذه البلاد ثلاثين سنة تاجرا ولم يتجاوز ما يدفعه من التمتع ذلك المبلغ المذكور . اما اليوم فيأخذون منه ١٧٠٠٠ غرشا سنويا . وقال غيره : انه كان يدفع ايام الحكومة الماضية ١٥٠ غرشا فأصبح اليوم يدفع ١٣٦٠ غرشا .

الرئيس ــ كان ذلك في ايام تركيا ام في ايام غيرها ؟

الدكتور ــ كان في ايام تركيا والحكومة الوطنية .

الرئيس ــ لقد قلت في خطابك ان التقرير الذي طلبتم فيه انتداب اميركا قد ضاع وان الانتداب الفرنسي غير رسمي .

الدكتور ــ لقد كنت اترجم كلام المستر كراين الذي قال : ان التقارير التي جمعناها من سورية والتي عرفنا منها رغبة السوريين في الاستقلال التام قد القيت في زوايا الاهمال في وزارة الخارجية الاميركية وقد جئنا الى سورية في الماضي رسلا امناء وكان هذا جوابا من المستر كراين على سؤال وجه اليه عن نتيجة تقرير اللجنة الاميركية .

الرئيس ــ ثم حدث اجتماع آخر ؟

الدكتور ــ أين ومتى ؟

الرئيس ــ في بستان عبد الرحمن الكزبري في ٥ نيسان .

الدكتور ــ نعم ولكنني لا اذكر التاريخ .

الرئيس ــ وكان الاجتماع لامضاء مضابط وكنت انت الداعي اليه .

الدكتور ــ ارد هذا الكلام ردا باتا .

الرئيس ـ وعندما خرجت من الاجتماع سألت جمهورا من الشبان هل انتم ثابتون على افكاركم ؟ وحرضتهم على المناداة بالاستقلال والمجاهرة بعداوة الانتداب .

الدكتور ـ لا اذكر شيئا من ذلك وانني لا ابرح ارفض كل انتداب فرنسويا كان او انجليزيا او اميريكيا .

الرئيس ـ وقلت ليحي الاستقلال وليحى كراين وولسون والشعوب الحرة ..

الدكتور ـ قلت ذلك وقاله الكل ، ولكل انسان الحق في ان يقول ذلك ويحيى الاستقلال والحرية .

الرئيس ـ في ٦ ابريل جئت فندق دامسكوس والقيت امام المستر كراين خطابا اجابك عليه بمثله .

الدكتور ـ جئت الفندق لاودع المستر كراين فوجدته في غرفته ثم نزلنا معا فرايت جمعا من الناس جاؤوا لتوديع الضيف فدعاني مستر كراين للذهاب معه ومخاطبة جمهور المودعين .

الرئيس ـ وهل كلمت الاشخاص الذين اتوا امام الفندق ؟

الدكتور ـ لقد تكلمت امامهم بما لا يخرج عن حد المجاملة .

الرئيس ـ اكنت راكبا ام ماشيا ؟

الدكتور ـ مشيت اولا ثم ركبت مع المستر كراين لاكون مترجما له .

الرئيس ـ ماذا كنتم تقولون ؟

الدكتور ـ كنا ساعة التوديع في حالة انفعال نفسي فكنا نصيح ليحى الاستقلال لتحى الحرية ، مظهرين في هذا الهتاف اعجابا بهذا الشخص

المحبوب الذي جاء سورية لانتخاب فتاتين تتعلمان على حسابه في اميركا وهما الآنستان نازك العابد واليس قندلفت .

الرئيس ـ هل كان انفعالكم هذا نتيجة اجتماع اربعة ايام ؟

الدكتور ـ كلا فان الدموع التي كانت تجري من اعين الناس كانت بنت ساعتها وقد سببها شعور الالم الذي يشعر به كل سكان هذه البلاد .

الرئيس ـ كنتم تصرخون ليسقط الخونة ، وليسقط الظالمون ، ولتسقط الحكومة ولنمت في سبيل بلادنا .

الدكتور ـ لم ينطق احد منا بغير كلمة ليحيى الاستقلال ولتحيى الحرية .

الرئيس ـ انك قلت امام دائرة الشرطة ـ البوليس ـ : ان فرنسا بعفوها عن المجرمين السياسيين تشجعنا على طلب الاستقلال .

الدكتور ـ لم اقل شيئا من ذلك .

الرئيس ـ قلت امام فندق فكتوريا لتحيى شجرة الاستقلال النامية .

الدكتور ـ كنت اتكلم باللغة الانكليزية وقلت ذلك .

الرئيس ـ هتفت عند سفر السيارة قائلا مع السلامة الى الملتقى ياحضرة المندوب وفي تلك الاثناء حملك الشعب على الاكتاف .

الدكتور ـ هل تكره ياحضرة الرئيس أن اكون محمولا على اكتاف الشعب ؟ ..

الرئيس ـ كــلا

الدكتور ـ ان الشهبندر قضى عشرين سنة في خدمة استقلال وطنه ونصرة قوميته ، فرجل مثل هذا الا يحق له ان يحبه الشعب ويحمله على الاكتاف ؟

الرئيس ــ انك تحاول بمناسبة عفو فرنسا عن المجرمين السياسيين ان تتظاهر بالتودد لها ومحبتك اياها .

الدكتور ــ كلا انا لا احب فرنسا ولا أتودد لها . وعندي ان انكلترا واميركا وفرنسا شعوب واحدة لا فرق بينهما .

الرئيس ــ في اليوم الذي اوقفتك فيه الشرطة وجد معك حوالة بالف دولار بامضاء المستر كراين .

الدكتور ــ ان تلك الحوالة تسبب لي الفخر .

الرئيس ــ ما هو الغرض من تلك الحوالة ؟

الدكتور ــ ان في نية المستر كراين تعليم فتاتين الواحدة مسلمة والثانية مسيحية على نفقته في مدارس اميركا اسوة بخالدة اديب الشاعرة التركية التي تعلمت على حسابه .

« وهنا قام المحامي الياس نمور واراد ان يتكلم ــ فقال الدكتور شهبندر دعني ادافع عن نفسي وانفي التهمة التي الحقت بي واكشف للمحكمة امر الحوالة ــ » .

الرئيس ــ لا يهمني امر الحوالة مادامت لم تدفع وانا اؤمن بكلامك ، ولكن بعد ايقافك ظهرت في المدينة مظاهرة .

الدكتور ــ لا اعرف شيئا مما حدث اذ كنت في سجني .

الرئيس ــ ان المظاهرات حدثت عن اوامر صدرت من السجن والادلة متوفرة .

الدكتور ــ اروني تلك الاوامر ؟ !

الرئيس ــ يقرأ صورة الاوامر وهي : « اقفلوا المدينة حتى موعد المحاكمة » انك لم تكتب هذا المنشور ولكنه خرج من السجن ورجال الدرك

السوري هم الذين اذاعوه وبلغوه .

الدكتور — لا علم لي بشيء من هذا ولا نصيب له من الصحة .

الرئيس : لقد تبين لنا ان المظاهرات التي حدثت في ١٠ و ١١ نيسان « ابريل » كانت من الاشخاص الذين اطلق سراحهم وكانوا يتلقون اوامرهم منك اثناء اعتقالهم .

الدكتور — لم اعط امرا لا في السجن ولا في غيره .

الرئيس — في ٩ نيسان « ابريل » القيت في السجن خطابا صرحت به للمسجونين بكل ما تداولتم به في الاجتماعات الماضية . وقلت : « ان الولايات المتحدة مهتمة بامر سورية ثم حلفت المعتقلين على القرآن » .

الدكتور — كنت اقص على الرفاق حوادث سفري يوم فررت من مظالم جمال باشا الى العراق والهند ومصر .

الرئيس — الك ما تقوله بعد ؟

الدكتور — انني اشكو من المعاملة التي عوملنا بها ، والسجن الذي وضعنا فيه فانه لا شمس فيه ولا هواء ، وقد منعنا من الخروج لاستنشاق الهواء النقي .

الرئيس — ولكن هذا السجن لم تبنه الحكومة الفرنسية بل هو موجود من قبل وقد كان في زمن الحكومة الفيصلية .

الدكتور — كان يمكن للحكومة ان تضعنا في منزل او بناية اخرى غيره .

ثم عكف على بقية المعتقلين يسألهم الواحد تلو الآخر فكان كل منهم يجيبه بما ينبغي من رباطة جاش ووطنية متقدة ، من ذلك ما قاله في المحاكمة حسن الحكيم : « هل تريد المحكمة ان تناقشني الحساب على ما بدر مني من حسن

الشعور نحو وطني ، او هل تريد اداتني بجرم ارتكبته فاذا كانت محكمتكم تحاسب الناس على شعورهم فانه ليسرني ويثلج صدري ان اكرر امامكم هنا هتافي للاستقلال والحرية لانني احب وطني واتمنى ان يكون حرا مستقلا بعيدا عن كل وصاية اجنبية او حماية غربية .

واما ما أجاب به سعيد حيدر فهو : « اذا كان يجوز في شرعكم محاكمتنا لمجرد حبنا لبلادنا فنحن لا نفتر عن المجاهرة بهذه المحبة » .

ثم ان الدكتور منير شيخ الارض قال : « كان استاذي الافرنسي في مدرسة عينطورة يقول لي دائما ـ احب وطنك واحترم قوميتك واعمل لخير بلادك ولذلك لم اتمالك عند ذلك المشهد المهيب من ان اهتف لاستقلال بلادي وحريتها » .

وكذلك الدكتور خالد الخطيب لم يكن اقل من هؤلاء الاحرار الابرار جراة وتفكيرا اذ قال : « انني درست التاريخ وعلمت ان فرنسا هي ام الحرية وان ابناءها هم الذين دكوا الباستيل فانا كنت اعبر عن شعوري في الهتاف للحرية والاستقلال » .

وهنا بعد ان انهى كل منهم مقاله طلب الرئيس الى كل واحد ان ينهي جميع ما له من الدفاع الاخير فاخذ الكل يشكو من سوء المعاملة التي كانوا يعاملون بها ومن وضعهم في مكان لا يتخلله نور ولا ينحدر اليه شعاع .

فما ابهت المحكمة الى ذلك وبعدها اعلنت المحكمة القول للمحاكمين فاعترض الاساتذة على صلاحية المحكمة لرؤية هذه الدعوى لانها عسكرية افرنسية ولأن المعتقلين مدنيين سوريين . فقررت رد هذا الدفاع وصلاحيتها لرؤية الدعوى واخذت باستماع شهود الادعاء وهم رجال الشرطة ورجال التحري. ثم استمعت الى شهود الدفاع وكان عددهم ١٥٠ شاهدا في مقدمتهم حسام الدين العمري وعثمان الشراباتي ورشيد الرافعي فاكتفى الرئيس بهؤلاء الثلاثة وقال :

« لو جئنا بسكان دمشق قاطبة لشهدوا ببراءة المعتقلين فلا حاجة للاطالة » . ثم تلى النائب العام الفرنسي مطالعته التي حمل فيها على المعتقلين الابرياء حملة شعواء جرم في نهايتها احرار البلاد وختم قوله بطلب الحكم عليهم ؛ فانبرى المحامون الاساتذة وادلوا بدفاعات مجيدة سجلت لهم القدح المعلى بالقيام في الواجب . واعلن ختام المحاكمة واختلت الهيئة للمذاكرة وبعدها خرجت وقد دعت المحامين وابلغتهم الاحكام الآتية :

الدكتور شهبندر بالسجن عشرين سنة (باكثرية الاصوات) .

حسن الحكيم بالسجن عشر سنوات (باكثرية الاصوات) .

سعيد حيدر بالسجن خمس عشرة سنة (باتفاق الاصوات) .

منير شيخ الارض بالسجن عشر سنوات (باكثرية الاصوات) .

عبد الوهاب العفيفي بالسجن عشرين سنة (باكثرية الاصوات) .

الدكتور خالد الخطيب بالسجن عشر سنوات (باتفاق الاصوات) .

توفيق الحلبي بالسجن خمس سنوات (باكثرية الاصوات) .

وذلك وفقاً للمواد « ٤٧ و ٨٩ و ٩١ » من قانون الجزاء الافرنسي بدعوى محاولتهم قلب الحكومة .

ان شكل القرار كان مخالفا لقانون اصول المحاكمات اذ انه لم يتل علناً ولم يبلغ للمعتقلين . وان مجرد تبليغه للمحامين مخالف للاصول والقانون .

بعد انتهاء المحاكمة فرق الجند والشرطة المتجمهرين خارج بناية العابد وفي منتصف ليل ٢٠ نيسان اعيد المعتقلون الى القلعة وباتوا حتى منتصف ليل ٢١ منه وفيه أبعدوا الى بيت الدين (قرية في لبنان) .

ثار ثائر الشعب الدمشقي على اثر ذلك وقامت المظاهرات واعلنت الاضطرابات ونشبت الاحتجاجات في كل مكان فنقلت السلطة المعتقلين الى جزيرة ارواد .

فازداد هياج الراي العام وقد عقد زعماء الاحياء اجتماعات متوالية قرروا فيها الاحتجاج على ما كان من حكم الفرنسيين الجائر نحو الزعيم والاحرار وبالفعل فقد قامت المظاهرات واشتبكت الاهالي مع الشرطة والجند بمعارك دارت رحاها في الاسواق والقي القبض على خمسين رجلا من المتظاهرين وكادت قوى الحكومة ان تنهزم لولا أن عززتها السلطة بقوتها فازداد الشعب حماسا ولم يثنه الضغط عن عزمه بل كان يهيب به لأن يتشدد بالطلب وان يثبت ويصمد حتى ينال امانيه وظلت المدينة مضربة اضرابا عاما من ٢٢ نيسان حتى ٣٠ منه فاثر ذلك على السلطة واذاعت في الشوارع البيان الآتي :

« ليكن في علم الجمهور ان كل من لا يفتح دكانه ويعود لمعاطاة اشغاله يغرم بثلاثين ليرة سورية بدون محاكمة ولا يسمع له اعتراض » .

ظنا منها انها بما صنعته تلقي الرعب في القلوب فيعود المضربون عن اضرابهم ويمارسون أعمالهم غير ان ذلك لم يخفف من غلواء الاهلين وتمسكهم بعقائدهم بل كان شاحذا للهمم ان تصمد وللنشاط ان يستمر وللاضراب ان يدوم فالتاث على السلطة الامر ولم تجد وسيلة ترغم السكان بها على العودة للاعمال الا الجنوح الى الشدة فأخذت تلقي القبض على من تسول لها نفسها بالقبض عليه من التجار والضباط المتقاعدين والشباب بزعم ان لهم تدخلا في المظاهرات والحض على الاضراب . وكانت تبعد من تلقي القبض عليه الى خارج الشام وقد ورد في العدد الصادر بتاريخ ١٧ يونيو سنة ١٩٢٢ من جريدة العمران الدمشقية ان عدد من سجن ونفي وحكم عليه في الحوادث التي جرت بين نيسان ويونيو ٤٤١ شخصا .

وانا اذا ما شئنا ان نورد اسماء كل من اعتقل او حكم او نفي لضاق بنا نطاق هذه الصحائف القليلة لذلك نقتصر على ذكر السادة الآتية اسماؤهم :

حمدي السفرجلاني ، نزيه المؤيد ، عارف الادلبي ، عثمان الشرباتي ،

سعيد عبيد ، مصطفى عمار ، رشيد بقدونس ، شفيق العطري ، محمد الشريقي ، يحيى حياتي ، عادل العظمة ، مسلم العطار ، سليمان القصار ، توفيق مغربية ، اديب خير ، عبد الهادي دياب ، الحاج ياسين دياب ، نسيب سليق ، ياسين الخانجي ، حسني العوا ، نوري الزين ، حسام الدين العمري ، زكي الطرابيشي ، حسن الطرابيشي ، خليل خطاب .

وفي ثالث اغستوس سنة ١٩٢٢ اصدر ديوان الحرب الفرنسي بدمشق حكمه بالسجن خمسة عشرة سنة على كل من منير مردم بك ومحمد شفيق سليمان بك واحمد نسيب السكري وعبد الغني عمر باشا بجرم التواطيء مع الدول الاجنبية او ممثليها ودعوتها للقيام باعمال عدائية واشهار الحرب على حكومة دمشق والسعي في تغيير شكل الحكم . كما انه حكم ايضا على صهيب العطار في السجن خمس سنوات وتغريمه ٣٠٠٠ فرنك بجرم تهيج الراي العام كما انه حكم ايضا في سجن نديم ظبيان سكرتير المعهد الطبي بدمشق اذ ذاك بالسجن اربع سنوات وتغريمه ٣٠٠٠ فرنك وبديع ظبيان التلميذ في مدرسة الزراعة في تلك الايام بالسجن ٥ سنوات وثلاث آلاف فرنك بجرم القيام بمخابرات سياسية مع الدول الاجنبية وملوك العرب ضد الفرنسيين وقد بعثت السلطة بهم الى جزيرة ارواد والقي القبض على السيد نجيب الريس فنفي الى ارواد ايضا .

عمت موجة الاستياء مدن سورية قاطبة فنشبت المظاهرات في كل بلد وفي كل صقع واعلن الناس استنكارهم للتدابير القاسية التي قامت بها السلطة الفرنسية نحو الشعب السوري العربي فارتفعت الاصوات بالاحتجاج في كل من حمص وحماة وطرابلس الشام وحلب وعم الحنق والغضب كافة البلدان واندلع لسان الالم في كل من المدن السورية واشد ما كان عليه في حمص اذ قامت مظاهرة عنيفة انتهت بجرح ثلاثين شخصا وقتل اربعة اقفلت على اثرها مدرسة التجهيز هناك وحكم على عدد كبير من الطلاب بالطرد والسجن .

بينا كانت سورية تبيت على الالم والحزن والكارثة تتلو الكارثة فيها كانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في مصر تتبع مايجري في سورية باهتمام عظيم وكانت توالي الاحتجاجات وتذيع البيانات وتعلن للعالم اجمع ما يأتيه الفرنسي في هذه الربوع من مظالم ومفاشم فكان لهذه اللجنة الفضل الاكبر في هذا الصدد ولولا ان كانت تسمع الصوت السوري العربي يدوي في العالم الاوروبي والشرقي لما كان لسورية من نصير ولا معين ولا سميع .

كانت هذه اللجنة الكريمة تنقل صوت الاستياء العام المنبعث عن قلب سورية الى جمعية الامم والى رؤوساء الحكومات الكبرى في عاصمة الفرنسيين وقاعدة البريطانيين وبقية عواصم اميركا وايتاليا والى كبريات الصحف الاوروبية والعربية والى رؤوساء وفود الدول والى القارىء الكريم نص بعض البرقيات التي كانت تطيرها هذه اللجنة الكريمة .

« أصبحت الحالة في سورية لا تطاق : ضرائب فادحة وادارة استبدادية ومراقبة شديدة ومحاباة في المعاملات الرسمية وتبذير في اموال الامة انتهز الاهالي فرصة زيارة المستر كراين الرئيس السابق للجنة الاستفتاء الاميركية فأظهروا استياءهم من السلطة المحتلة وسوء ادارتها ورغبتهم في الاستقلال التام بصفة مظاهرة عند توديع المستر كراين فألقت السلطة الفرنسية القبض على زعماء الحركة واعتقلتهم في مكان مجهول فهاج الشعب وقام بمظاهرات عامة مناديا بالاستقلال واسقاط الانتداب فكافحهم الجند بافتك آلات الحرب من الدبابات والرشاشات وقنابل اليد فقتل اناس وجرح آخرون فاقفلت المدينة ووقفت حركة التجارة وسائر المعاملات فيها والهياج مستمر من اسبوع وقد اعلنت الاحكام العرفية . فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري ـ الفلسطيني الممثلة لجميع الاحزاب الاستقلالية السورية تحتج على هذا الاعتداء على حقوق الشعب وكل حرية بشرية وتشهد العالم المدني على الآلام التي تقاسيها سورية وتكرر اعلانها لرفض الانتداب المخالف لرغائب

الشعب وتناشد ضميركم تأييد قضيتها العادلة حقنا للدماء وتامينا للسلام».

ثم أن لفيفا من السوريين العرب في القاهرة عقد في عاشر نيسان اجتماعا قرر فيه تطيير البرقية الآتية الى جمعية الامم والى رؤساء الدول الاوروبية والعربية :

« زار دمشق المستر كراين رئيس اللجنة الاميركية التي انتدبها مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ للوقوف على رغائب اهالي سورية العرب وبمناسبة الاحتفال به اظهر الاهالي استيائهم من الحالة السياسية والمالية الحاضرة طالبين استقلال البلاد ووحدتها رافضين الانتداب فقبضت السلطة الفرنسية على الزعماء الذين تكلموا باسمهم وعلى اثر ذلك اقفلت دمشق وقام الاهالي بمظاهرة عطف وتضامن مع الزعماء الوطنيين الاحرار ففرقتهم السلطة الفرنسية بقوة السلاح فالسوريون العرب المجتمعون اليوم اجتماعا عاما في مصر يحتجون على هذا الاعتداء على الحرية الشخصية والضغط على حرية الراي العام ويطلبون نشر تقرير لجنة الاستفتاء الاميركية وارسال لجنة دولية للتحقيق » .

فاهتمت الصحف الاوروبية والاميركية للحوادث المذكورة وافاضت بالكتابة عنها باسهاب وكان مكاتبوا هذه الصحف يوالون التردد على مكتب اللجنة التنفيذية في القاهرة ليستقوا مفصل الحوادث والوقائع السورية العربية منها ليبعثوا بها الى صحفهم .

المستر كراين والعرب :

بعد أن بارح المستر كراين هذه الربوع ولى وجهه شطر الاستانة حيث قابل الجنرال غورو فيها وواصل السير الى جنيف ليلتقي باعضاء لجنة الوصايات الفرعية في جامعة الامم . هنالك سرد لهم مارآه في الاقليم السوري

يوقف بهم على الشعور الصحيح للشعب العربي السوري ويمم وجهته نحو عاصمة الفرنسيين فاحتفى به السوريون العرب وادبوا له مآدب حافلات فتحدث عن الحالة في هذه البلاد الى صحف واشخاص عديدة كما انه شرح الموقف السوري العربي الى جم غفير من اعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي فاقنعهم ان سوء تصرف السلطة العسكرية في الاقليم السوري يمني فرنسا بمصاريف باهظة هي في غنى عنها ويضطرها لموالاة ارسال النجدات اليه من غير طائل .

لقد كان لهذا الرجل الفذ خدمته الجلى نحو هذا الوطن المفدى مما اطلق الالسنة بالشكر له ومما يجب على كل جيل ان يذكر له هذه الايادي بمزيد الثناء .

بعد ان أتم المستر كراين سياحته في الشرق والغرب وقام بما قام به من الخدمات الجلى عاد الى بلاده فاستعدت الجاليات السورية هناك لاستقباله بحفاوة وتكريم فالفوا موكبا فخما لاستقباله من الباخرة وما ان كان تاسع حزيران سنة ١٩٢٢ حتى وصل الرجل الكريم والانسان الحقيقي مدينة نيويورك وعندما بلغ مدينة بوسطن قابله رجال جامعة هرفرد بما يليق بجنابه من الاحتفال والتعظيم وقد منحوه لقب دكتور في القانون وظل كذلك هذا الشهم يوالي الدفاع عن القضية السورية وحقوق العرب ساردا الحقيقة والامر الصحيح عن الشعب العربي السوري بمقالات عديدة نشرها على صفحات الجرائد الاميركية وهكذا كان الرجل عظيما في بره بوعده كبيرا بانجازه عهده فذا بما اسدى الى هذه الامة من جميل ومعروف .

سفر غورو وتعيين ويغاند

في الخامس والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ غادر الجنرال غورو الاقليم السوري الى باريس حيث يحضر اجتماع الندوة الفرنسية

لاستجوابه في ميزانية الجيش وكان يود لو يستطيع تثبيت المخصصات التي ارصدت للمفوضية كي تنفذ اهدافها الاستعمارية فترك البحث في ذلك الى المسيو روبير دوكسه لما يعلمه عنه من نزعته الاستعمارية غير ان الجنرال لم ينجح فيما تمنى لأن المعارضة كانت شديدة حوله ارغمت الحكومة على تخفيض الاعتماد المخصص للمفوضية الى ادنى حد ممكن فاستشاط الجنرال عندئذ غضبا ولم يجد ازاء هذا الفشل المريع الا ان يتقدم بالاستقالة وظلت المفوضية العليا خالية في الاقليم السوري من مفوض افرنسي سام الى اواسط نيسان سنة ۱۹۲۳ وفيه عين الجنرال ويغاند مندوبا سأميا للاقليم السوري ولبنان وهو من اقطاب الجيش الفرنسي ورئيس الشورى الحربي للمرشال فوش بل ساعده الايمن وقد بلغ بيروت في ۹ مايس سنة ۱۹۲۳ خال الشعب العربي في الاقليم السوري ان الحكومة الفرنسية قد جنحت الى تعديل خطتها وتخفيف وطاة سياستها الغاشمة باستبدال مندوب بدل آخر ولكن ما عتم ان راى خطا رايها وخطل زعمها عندما تحقق لديه ان هذا الخلف لا يمتاز على سلفه بشيء الا الفطنة والدهاء فحسب وهو واياه فرسا رهان وكفتي ميزان من حيث امتهان الكرامة وهضم الحقوق واعنات الكاهل وارهاق الشعب .

ففي عهد هذا الخلف تمدد امتياز المصرف السوري رغم معارضة البلاد اياه واحتجاجها عليه . ذلك المصرف الذي طالما قال عنه المسيو فيكتور بيرار — النائب الفرنسي — « وتدل ميزانية هذا المصرف على ان معدل ربحه الصافي يساوي سنويا ۲۸ مليونا من الفرنكات فهنيئا لهذا المصرف السعيد الذي يتناول ستة في المئة من جهة ويربح ۲۸ مليونا من الفرنكات من جهة ثانية » وفي عهد هذا المندوب الجديد انشئت المحاكم المختلطة التي كانت ضاربة قاضية على القضاء في الاقليم السوري وفي عهده كمت الافواه واخرست الالسن وتحطمت اقلام الصحافة الوطنية لما كان يتخذه ضدها من تدابير قاسية

وتضييقات شديدة على الحرية الفكرية وكل حرية وفي عهده ايضا توالت الاعتداءات على من يمارس شعائره الدينية وتقاليده المذهبية فكان سيفا مسلطا على الحرية الدينية .

الزعيم الدكتور شهبندر وصحبه وحوادثهم في المعتقل :

منذ ان قام المستعمر بتطبيق سياسة العنف والارهاق والشدة والشعب العربي في الاقليم السوري على قدم وساق لم يهدأ له ثائر ولم يسكن له مضطرب وكانت الهياجات في طول البلاد وعرضها تزداد يوما عن يوم مما خيب ظنون المضطهد وابان له سفه رايه وقصر حلمه ومما ايد له ان الشعب العربي السوري كل واحد منه شهبندرا بمفرده وكل منهم واع الوعي السياسي المطلوب وان اعتقال احرار البلاد وزعيمها لا يفت في عضد الشعب ولا يقلل من نشاطه ولا يخمد من جذوته بل يزكي النار ويزيد الاوار مهما شددت السلطة على المعتقلين ومهما سامتهم سوء العذاب .

ان السجن والابعاد والتشريد ليصقل النفس ويرهف الحس ويصلي نار الوطنية في الصدور بنسبة الضغط والارهاق فقد كان احد المعتقلين في جزيرة ارواد على مرض اليم بارح معه معتقله ليستشفي في مصح فما كان من هذا الحر الابي الا ان صاح بملء صوته لتحيى الحرية بلغة افرنسية نصها بالحرف الواحد : Vive La Liberté من اعماق فؤاده مما زاد في حنق حاكم الجزيرة العسكري واستشاطته غضبا وامر ان يزج كل فرد في سجن منفرد لوحده .

تسريح المعتقلين :

في منتصف ليل ثامن عشر تشرين الاول سنة ١٩٢٣ أبلغ حاكم الجزيرة الفرنسي المعتقلين الاشاوس نقله اياهم الى جهة غير معلومة بناء على امر آمر واطلعهم على وجوب كتابة كل منهم قائمة بما لديه من متاع حتى يعلم ما للواحد عن الآخر من اشياء اذ لايسمح لهم اخذ شيء من امتعتهم معهم . وفي الصباح عاد صحبة اربعة من جنود الفرنسيين واخذ يضع القيود في ايديهم وسار مع تسعة منهم في زورق الى طرطوس حيث كانت سيارتان كبيرتان في انتظارهم معدة لنقلهم وكان الكولونيل بيتشون مدير الامن العام في لبنان بانتظارهم وعاد حاكم ارواد للمجيء بالباقين الى طرطوس وعندما تم نقل الجميع اركبوا السيارتين فأوصاهم مدير الامن العام بالصمت وعدم تحديث السائق وعدم الاشارة وعدم التكلم مع احد ووعدهم خيرا ان عملوا بوصاياه وعبثا حاولوا معرفة الجهة التي يؤخذون اليها غير انهم كانوا يشعرون من بعد الشقة انهم آيبون الى دمشق وفي الساعة الثامنة كانت السيارتان توصل كلا منهم الى بيته وهناك تطلق سراحه في دمشق وما ان علم الاهلون بوصولهم حتى زحفت دمشق برمتها لتحيتهم والهتاف بحياتهم واقامة المآدب والحفلات لتكريمهم .

وهكذا اخذ الافراج عن المعتقلين الآخرين يزداد بالتدريج فانتعشت الآمال بعودة المبعدين وعلى الاخص زعيمهم وارهفت الهمم ومضت العزائم واخذت الاجتماعات الوطنية تتوالى للمداولة فيما يرفع شان البلاد وينيلها مبتغاها . على ان الزعيم الشهبندر قد راى بان البقاء في دمشق لا يؤمن للبلاد ماتصبو اليه من اهداف سامية فقام برحلة طويلة مع عقيلته الى البلاد الاوروبية واميركا وجاب عواصمها الكبرى وتحدث الى اقطاب السياسة فيها وادلى ببراهينه على احقية ممارسة السوريين العرب حقوقهم القومية فكان موضع

احترام واكبار وتعظيم اينما حل وسار وعلى الاخص في اميركا الشمالية ولم يكن شأن عاصمة البريطانيين مع الزعيم شهبندر باقل مما كان له في عاصمة البلاد الاميركية .

لقد حاضر الزعيم شهبندر في لندن عن حقوق العرب في الاقليم السوري في دار اللورد « مانفيلد » وكان الجمع الذي اصغى الى محاضرته القيمة حافلا بعظام البريطانيين ودهاتهم ورجال الراي الحصيف فيهم حتى ان نفس عميد جامعة اوكسفورد الدكتور هوجرس كان من جملة من اصغى لما قاله الزعيم وخطب الزعيم العربي في الندوة البريطانية شارحا القضية العربية بحضور الوزراء والاعيان والنواب وحتى بحضور وزير المستعمرات البريطاني الشهير المستر ايمري فكان لمواقف الزعيم المشرفة في اوروبا واميركا التأثير الكبير والصوت الداوي والصدى المسموع .

حزب الشعب :

عاد الزعيم شهبندر الى سورية واخذ بتنظيم الحركة الوطنية بالاشتراك مع اخوانه فكان لا بد من حزب يجمع شتات الامة ويؤلف منها مجموعة واحدة فالف حزبا دعاه باسم « حزب الشعب » .

لقد كان هذا الحزب اقوى الاحزاب قاطبة لما امتاز به من فروعه الممتدة في كل الاقليم السوري حتى الاقليم المصري واتصاله باللجنة التنفيذية وحتى في اوروبا ايضا فمن اعضائه المؤسسين البارزين رئيسه الزعيم الشهبندر والسادة فارس الخوري وفوزي الغزي وحسن الحكيم ولطفي الحفار واحسان الشريف وسعيد حيدر وابو الخير الموقع وعبد المجيد الطباخ وتوفيق شامية واديب الصفدي وغيرهم وقد كان يعمل على وضح النهار وجهارا في حر

الظهيرة اذ كان مسموحا بتأسيسه من قبل السلطة الفرنسية بصورة رسمية، ان حزبا مؤسسوه ورجاله هؤلاء الافذاذ لا بد وان يكون له شأن خطير وان يمثل في المسرح السياسي دوره بمهارة واتقان وابداع على انه لم يكتب له البقاء طويلا اذ اغلقت السلطة التي منحته رخصة التأسيس ابوابه ضاربة بالقانون وبالنظام وبالرخصة عرض الحائط ولم تكتف بذلك بل اعتقلت عددا كبيرا من اعضائه وحكمت غيابيا على رئيسه الزعيم شهبندر وعلى السادة حسن الحكيم وسعيد حيدر بالاعدام وذلك قبيل بدا الثورة السورية العربية الكبرى .

مبايعة الحسين الاول بالخلافة :

خلال يناير من عام ١٩٢٤ حدث في العالم الاسلامي حدث كبير ذلك، ان الحكومة التركية الغت الخلافة الاسلامية وطردت السلطان عبد المجيد خليفة المسلمين مع آله من اراضي تركيا وقد صادف ان قام الملك حسين ابن علي برحلة الى شرقي الاردن لبسط نتيجة المفاوضات التي كانت بينه وبين البريطانيين على زعماء البلاد فاتجهت من جميع انحاء البلاد العربية الوفود الكثيرة لمبايعة جلالته بالخلافة .

وما ان اختمرت هذه الفكرة ونضجت واصبحت الراي السائد في الجميع حتى عرضت على جلالته فقبلها وتمت البيعة بموافقة المجلس الاسلامي الاعلى في فلسطين في العاشر من آذار سنة ١٩٢٤ في حفلة شائقة اقيمت لهذه الغاية خصيصا فكان اول من بايعه شيخ العروبة احمد زكي باشا الشهير .

اقض ذلك الحدث الاسلامي الجديد مضاجع الفرنسيين وآلمهم فطفقوا يحاولون بما اوتوا من قوة التأثير على الراي العام في الاقليم السوري بشتى

الطرق ومختلف الوسائل مانعين اياه من اداء واجبه الديني موعزين الى عمالهم ان يضطهدوا خطباء المساجد وان يحملوهم على عدم الدعاء الى الخليفة الحسين ابن علي من فوق المنابر وقد بلغ بمتصرف حمص المسيحي الامر ان حظر على الخطباء ذكر اسم الحسين في خطبهم بالجوامع فكان من هؤلاء الخطباء ان ضربوا باقواله عرض الحائط واجابوه : « لقد تمت البيعة ونحن ادرى بشؤون ديننا وباحكامه من سوانا » .

وعندما لم تجد السلطة الفرنسية سبيلا للتاثير على الراي العام من هذه الناحية عمدت الى الانتقام ممن بايع الخليفة وهو رئيس علماء دمشق العلامة الكبير المرحوم الشيخ سليم البخاري والد معالي الوطني الكبير الزعيم العسكري نصوحي البخاري فامرت بتنحيته عن رئاسة العلماء لاقترافه جرم مبايعة المليك .

سلطان باشا الاطرش يضرب الرقم القياسي الاعلى في الشهامة والمروءة :

لقد مر بنا في غير مكان من هذا الكتاب ان الشجاع ادهم خنجر كان في عداد من هاجموا الجنرال غورو واطلقوا الرصاص عليه عندما كان هذا الجنرال آتيا لزيارة الامير محمود الفاعور فكان الساعد الايمن للبطل احمد مريود في اعماله الوطنية .

لقد ذاق هذا الشجاع ادهم الوان البؤس والفاقة في شرقي الاردن حينما اتاها بعد الاحتلال الفرنسي فشاء أن يزور سلطان باشا الاطرش في داره الكريمة في القرية وكان عنده في ١٧ تموز سنة ١٩٢٢ ولم يكن فيه اذ ذاك سلطان فعلم الفرنسيون بوصوله اول القرية فارسلوا قوة كبيرة ساقت ادهم الى

السويداء بجرم انه كان في جملة من هاجم الجنرال غورو قصد الاغتيال في ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٢ فلم يحترموا حق الضيافة واخترقوا حرمة الشهامة العربية . وما ان عاد المضاف وعلم بما كان من خرق الفرنسيين حرمة بيته حتى ثارت فيه النخوة العربية ولعبت براسه الشهامة وآلى عليه ان يترك أدهم بين ايدي من اعتقلوه ولو ادى الامر الى تضحية نفسه فداه لانه ضيف عليه والضيف يجب ان يكون في حمى وان يكون بعيدا عن متناول اليد فارسل احد اشقائه علي الاطرش الى السويداء طالبا اليه في كتاب ارسله له ان يتوسط لدى السلطة ملفتا نظرها للمحافظة على العنعنات والتقاليد التي يصعب على العربي ان يراها تمتهن وتخترق حرمتها وختمها بان الحل الوحيد هو اطلاق سراح الرجل متعهدا للفرنسيين بكل ما يرضيهم بعد ذلك . على ان ذلك لم يجد نفعا ولم يعدل السلطة عن رايها مما اضطره لان يبعث بالبرقية التالية :

« فخامة المندوب السامي لسورية ولبنان المعظم .

مع الاسف لم يراع البند القائل ان فرنسا تحافظ على تقاليدنا وعوائدنا ومعلوم ان الضيف والقاصد هما واحد في نظر عشائرنا فرجال حكومتنا لم يراعوا هذا البند وسعادة المستشار ترانكا يؤيد اصراره ... اطلب من حلمكم او عدلكم ان لا تجعلني مضغطة في افواه العرب وان اتخصص بالاهانة عن امثالي في سورية وبعد هذا تروني اعترف في حلمكم ويقضي الواجب اداء الشكر لفخامتكم غير مجهول ان موتي واهانة ضيفي سيان في عوائد السوريين الرجل يطلب مني ان اتوسط له عفوا من فخامتكم حلمكم انقاذا لشرفي ووطني » .

سلطان الاطرش

فتريث قليلا ينتظر الجواب دون جدوى فلم يجد بدا من ان يثار لمضيفه وان يحافظ على كرامته وان يعلن للملأ بأنه عربي بحق فجمع اخوته علي

ومصطفى وزيد وصديقه حمد البربور واتباعه وعولوا على ان يقاتلوا الفرنسيين فسعى المستشار الفرنسي جهده يثني السلطان عن عزمه فلم يفلح مما اهاب بالسلطة للاستعداد وايفاد الدبابات والمصفحات من دمشق للذود عن السلطة الفرنسية وكلمتها ، وما ان وصلت الى تل الحديد حتى التحم القتال بين الطرفين فانقض كل من الابطال المغاوير حمد البربور ومصطفى الاطرش شقيق سلطان على الدبابات انقضاض الصواعق وقد تمكنوا من تعطيل ثلاثة منها وقتل قائد احدها بيدهم واربعة من جنودها واسر خمسة من بقية الجنود فارتاع الفرنسيون لهذا الانتصار المفاجيء الذي عقد لهذه الفئة القليلة فانبروا يتمسحون الى رؤساء الدين ويتزلفون الى مشايخ الدروز وعقلائهم ويتوسطون لدى السلطان ان يعود عن ماعزم عليه فلم يذعن الا بشرطه الاول اطلاق سراح ضيفه وحلقت اربع طيارات الى السويداء وقد اقلت الثائر ادهم خنجر الى دمشق فبيروت حيث مثل الفرنسيون فيه اعظم تمثيل وفظعوا فيه اشد تفظيع من غير ما محاكمة او استجواب ثم عملت السلطة بعدئذ الى تدمير القرية بلدة سلطان باشا والى حرق داره الفخمة فيها مما اهاب به الرحيل الى شرقي الاردن مع افراد عائلته حتى اذا ما امن عليهم هناك عاد الى الجبل يتفرغ للاشتباك مع الفرنسيين في كل مصادمة ومكافحة فأول ماقام به من المعارك واقعة خربة بورد تلك الحادثة التي امعن فيها برجال السلطة تقتيلا وتشريدا فلجات السلطة الى الحيلة والدسيسة للقبض على السلطان فاوعزت الى صنائعها ان يدعوه للمفاوضة في احدى قرى الجبل وهنالك تم للسلطة ماتريد من اعتقال من اقلق راحتهم واقض مضاجعهم سلطان ، الا ان هذه الدسيسة لم تنطل على ذكاء سلطان وعبقريته وادرك ان ما يدعى اليه مكيدة مراد الفرنسيين منها تدمير المنزل الذي زعموا ان سيعقد فيه الاجتماع وبلغه ان عمال الفرنسيين قد استاقوا بعض مواشيه فهاجمهم قرب بصرى اسكي شام واستطاع استردادها منهم مضموما اليها اثني عشر بغلة بذخائرها من بعد ان اعمل فيهم القتل والفتك وفي ٧ كانون الاول سنة ١٩٢٣ اطلق رصاصه على

بعض الطيارات الفرنسية التي كانت محلقة في الجوزاء فعطل واحدة منها عندها دخل الرعب الى قلوب الفرنسيين امام هذه البسالة الخارقة والشجاعة النادرة والفوا القرار الذي اصدره المجلس العسكري باعدامه وجماعته وبما قام به هذا الرئبال من اعمال استطاع ان يعود الى وطنه مرفوع الراس ناصع الجبين يضرب الرقم القياسي الاول في المروءة والنخوة والشهامة .

العصابات :

اضطرب حبل الامن صيف ١٩٢٣ في جهات الشوف وبصورة اقلق ظهور العصابات هنالك رجال الفرنسيين فسيروا القوى لقمعها فما كانت تهدأ الحال الا من بعد ان تابع الفرنسيون القوى بالقوى تترى .

وفي يوليو سنة ١٩٢٤ بدت طلائع العصابات في قرى حور تعلا وبريتال من اعمال بعلبك فاغتالت بعض الرجال ضابطا فرنسيا هناك مما اثار ثائر الفرنسيين وحملهم على ارسال قوات كبرى هاجمت القريتين وحلقت الطائرات الفرنسية فوقهما وقد امطرتهما وابلا من القنابل كما ان الجند قد طوقهما وقبض على النساء والاطفال والذراري وصادر المواشي التي يربوا عددها على ٥٥٠٠ راس وارسلها الى بيروت وآوى الرجال والشبان الى الجبال يعتصمون بها ويناضلون فاحتجت دمشق الى جمعية الامم على هذه الاعمال البربرية ودارت رحى القتال بين ملحم قاسم وابطاله وبين الفرنسيين زمنا طويلا انتهى باعلان الفرنسيين بالعفو عنه وعنهم والاتراك انفسهم لم يهدءوا على الحدود السورية بل كانوا يشنون الغارة من حين الى حين على الفرنسيين فيزعجونهم ويضرونهم الى حشد الكثير من القوى في تلك النواحي .

وخير ما نختتم به هذا الفصل هو ماكتبه ثالث مندوب سامي في سورية ولبنان الجنرال ساري عام ١٩٢٤ ردا على مقالة دبجها الكاتب الفرنسي الشهير

هنري بوردو » اذ تضمن هذا المقال « ان سورية كانت هادئة في عهدي غورو ويغاند » فأجابه الجنرال ساري بقوله :

« ان الكاتب يجهل كل شيء او يكذب اذ نشبت في سورية وحدها عام ١٩٢٢ خمس وثلاثين ثورة كان طعمتها خمسة آلاف جندي » وابلغ من هذا وذاك ما قاله الجنرال ويغاند في حفلة ازاحة الستار عن النصب التذكاري الذي اقيم في بيروت لقتلى جيش الشرق الفرنسي والفرقة البحرية الفرنسية في يوليو سنة ١٩٢٤ ما معناه : « ... واضطرت فرنسا بعد الهدنة وبعد ما صمتت اصوات المدافع في اوربا ان ترسل الامهات الفرنسيات اولادهن الى ساحات القتال في مرعش واورفه وميسلون من بعد ان ظنن ان ابناءهن سيبقون لديهن بعد الحرب طويلا فانتم الذين رايتم جهود جندنا وقد بلغ عدد قتلاه ٩٢٥٠ جنديا وضابطا بامكانكم ان تذكروا ذلك للاولاد والاحفاد ... »

على اثر فاجعة ميسلون وعلى اثر استقرار معظم الاحرار في القاهرة فقد انتقل مقر الحركة الوطنية اليها حيث كان الاحرار مقيمون في الاقليم الجنوبي وهنالك وحدوا صفوفهم وقالوا لا بد من النضال والكفاح من بعد ان سيطر الاجنبي على البلاد واستولى على الاوطان ففي ٢٣ كانون الاول تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على تحديد الحدود التي تفصل بين الاقليم السوري وفلسطين مما اهاب بلجنة الاتحاد السوري بتطيير برقية الى جميع صحف العالم تحتج فيها على ما كان من هاتين الدولتين وعندما عقد الحلفاء في شهر مارس سنة ١٩٢١ مؤتمرا في لندن لاعادة النظر في معاهدة سيفر عقد من ناحية ثانية مندوبوا الاحزاب الاستقلالية السياسية اجتماعا قرروا فيه مطالبة الحلفاء بقبول مندوب عربي عنهم في المؤتمر يشرح للاعضاء القضية العربية السورية كي يمكن وضعها في جملة الابحاث التي ينظر فيها فتحل هذه المعضلة على اساس يضمن للسوريين والعرب الحق والعدل .

المؤتمر العــام واجتمــاعه :

بعد ان منيت البلاد الســوريــة العربيــة بالاحتــلال الفرنــسي بعد فاجعة ميــلون ومن بعد ان تقوض العرش الســوري الفتي الذي كان يتبوأ مقعده الملك فيصل الاول اخذ السوريون العرب يدركون الحاجة الماسـة الى تنظيم هيئــة تكافح عن حريتهم وترفع صوتها بالدفاع عن حقوقهم امام المراجع المختصــة في جميع انحاء المعمورة لا سيما من بعد ان انفض المؤتمر الســوري العام المؤلف في العهد الفيصلي على ما مر ذكره في كتابنا « فاجعة ميــلون » .

فكان حزب الاتحاد الســوري بالاقليم الجنوبي هو الحزب الوحيد الــذي تمكن من المحافظة على كيانه وكان يعمل بانتظام في ســبيل خدمــة القضية الوطنية برآســة عميده الجليل الامير ميشيل لطف الله فراى هذا الحزب العزيز ان يحقق تلك الامنيـة التي كانت تجيش في صدور زعماء البلاد وان يـؤلف نخبة تمثل فيها كل العناصر السورية الوطنية فوجـه دعوة الى عقـد مؤتمر عام في جنيف يضم جميع العناصر الســياســة والاحزاب والجماعات علــى اختلافها داخل البلاد وخارجها وذلك في ٢٦ شباط سنــة ١٩٢١ فاذاعــت لجنــة حزب الاتحاد الســوري منشورا على جميع الاحزاب والجمعيات الـتي تسـعى لاستقلال الاقليم السوري ما يفيد هذا المعنى الذي المعنا اليه وانتدبت هذه اللجنة توفيق اليازجي للقيام بذلك فــافر الى جنيف لتهيئة اعمال المؤتمر وجمع المعلومات اللازمة واستقبال الوفود القادمة والعمل على الدعاية بمبادىء الحزب وانشاء مكتب له وابان ذلك رات اللجنة تأجيل عقد المؤتمر الى انعقاد الهيئة العامة لجامعة الامم لما في ذلك من الوســيلة والفرصة الســانحة في عرض القضية العربيــة الســورية على مندوبي الدول فأذاعت منشورا آخر تعلن فيــه تأجيــل المؤتمر الى اوائل ايلول سنة ١٩٢١ وفي ١١ اغــستوس غادر وفــد

الاتحاد القاهرة الى جنيف فاقبلت الوفود الاخرى اليه وفي الساعة الرابعة من بعد ظهر خامس وعشرين اغستوس عقد المؤتمر جلسته التمهيدية في بلدية «بلان فزاله» في جنيف وبعد ان سرد كاتب اللجنة التحضيرية برنامج الاعمال تلى برقيات ورسائل متعددة واردة من مندوبين ما زالوا في طريقهم الى جنيف لحضور المؤتمر تشير الى انهم لا يستطيعون بلوغها قبل ٢٦ اغستوس وما ان تلى ذلك حتى قرر الاعضاء تاجيل الجلسة الى ٢٧ اغستوس حتى اذا ما كان اليوم المذكور وتكامل عدد من ابرقوا افتتح الجلسة الامير ميشيل لطف الله بالنيابة عن حزب الاتحاد السوري صاحب الدعوة بخطاب استهله بشكر الذين لبوا الدعوة ثم انعكف على ذكر الغاية التي من اجلها انعقد هذا المؤتمر وهي توحيد الاحزاب وتنظيمها ووحدة السعي في اعلاء شأن الوطن ونوه الى السبب الذي حدا بحزب الاتحاد الى اتخاذ جنيف مركزا لهذا الاجتماع ذلك لانها مركز جامعة الامم ولان المجتمعين قادرون على ان يرفعوا صوتهم الى هذه الجمعية التي بيدها مقدرات الشعوب ومستقبلات الامم بكل سرعة ووضوح وانتخب المؤتمر رئيسا الامير ميشيل لطف الله ورشيد رضا والحاج توفيق حماد وكيلي رئيس والامير شكيب ارسلان سكرتيرا عاما وفي ٢١ايلول سنة ١٩٢١ ختم المؤتمر اعماله من بعد ان اعد بيانا مسهبا باللغة الفرنسية عن القضية السورية العربية قدمه الى اللجنة المختصة في جامعة الامم وقد نسخ عنه صورا وزعها على اعضاء الجمعية الاممية مفاده طلب استقلال البلاد السورية وسيادتها القومية وممارستها جميع الحقوق السياسية ختامه المواد الخمس الآتية :

١ ـ الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ولبنان وفلسطين .

٢ ـ الاعتراف بحق هذه البلاد في ان تتحد معا بحكومة مدنية مسؤولة امام مجلس نيابي ينتخبه الشعب وان تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة « فيدراسيون » .

٣ ـ اعلان الغاء الانتداب حالا .

٤ ـ جلاء الجنود الفرنسية والانكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين .

٥ ـ الغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين .

وقبيل اعلان المؤتمر ختام اعماله الف لجنة من اعضائه تبقى بعد انتهائه في جنيف لملاحقة القضية ومتابعتها لدى جامعة الامم كما تقرر ايضا تأليف لجنة تنفيذية لمواصلة العمل وتنظيمه ضمن دائرة المبادىء التي وضعها على ان يكون مقرها القاهرة وعلى ان تتضمن ممثلي الاحزاب التي اشتركت في المؤتمر والتي يجب ان يكون عدد اعضائها سبعة او خمسة او ثلاثة وان يكون رئيس المؤتمر رئيسا دائما لها وقد الفت اللجنة التنفيذية في جلستها التي عقدت فيالقاهرة بتاريخ ٢ مايس ١٩٢٢ الوفد السوري وارسلت الى اعضائه وهم السادة الامير شكيب ارسلان واحسان الجابري وسليمان كنعان تفوضهم ان يعملوا باسمها ثم قررت في جلسة ٢٨ منه ان يكون الرئيس الامير ميشيل لطف الله مع هذا الوفد وارسلت كتب اعتماد الى وزارات خارجية الدول العظمى بذلك وقد قدم الوفد للمؤتمر الدولي الاقتصادي في جنوى مذكرة مفصلة عن القضية السورية العربية وذلك بتاريخ ١٢ مايس سنة ١٩٢٢ وابان اقامة الوفد بروما اتصل برجال السياسة الايطاليين ولا سيما الحزب الفاشستي ـ من قبل ان يقبض موسوليني على زمام الحكم ـ فاستطاع الوفد ان يحصل منهم على قرارات استنكار الاعمال الفرنسية في الاقليم السوري وعلىالاعتراض على فرض الانتداب الفرنسي وعاد الوفد الى جنيف محتجا امام سكرتيرجامعة الامم العام على اعمال الفرنسيين في الاقليم السوري ولبنان المخالفة لروح العهود الدولية يعلن باسم الشعب العربي السوري رفض الانتداب وقد وضع تقريرا مفصلا عن مجمل الحال في الاقليم السوري رفعه الى مجلس عصبة الامم عن طريق لجنة الانتداب .

وفي اوائل يوليو عام ١٩٢٢ وصل الامير ميشيل لطف الله الى لندن

لمواصلة السعي وراء القضية السورية لدى مجلس جامعة الامم وقد ضرب له يوم ١٥ منه موعدا للاجتماع به والتحدث اليه وكان في جملة البرنامج النظر في تقرير الانتدابات فاتصل الامير بالوفد الفلسطيني ووحد العمل معه واتفقا على ان يناضلا ويجاهدا متحدين معا ولما علم الوفد من الصحف بأن مجلس جمعية الامم قد اقر صك الانتداب الفرنسي على الاقليم السوري ولبنان ارسل الى رئيس عصبة الامم بتاريخ ٢٧ يوليو سنة ١٩٢٢ احتجاجا على ذلك اعقبه احتجاجات اخر ، ولما انجلت الحرب في الاناضول عن انتصار الترك وتقرير عقد مؤتمر في لوزان لحل قضايا الشرق وتنظيمها انتهز الوفد السوري فرصة وجوده في روما فاتصل بمندوب الحكومة الكمالية جلال الدين عارف بك وتباحث معه في العلاقات السياسية بين الشعبين العربي والتركي وقد برهن له ان من صالح الترك تأييد السوريين في السعي للاستقلال فرأى لهم جلال الدين ان يسافروا للاستانة ليكونوا على اتصال معرجال تركيا فسافر الجابري وارسلان اليها في تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ وقد مكثا هنالك اياما سعيا فيها للحصول على تاكيدات من الترك بعدم التنازل عن السيادة على بلاد العرب المفصولة عنها الا لاهل البلاد انفسهم وعاد الوفد الى لوزان ليكون على مقربة من رجال المؤتمر فاجتمع برئيس الوفد التركي عصمت باشا بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٢ واوقفاه على ما كان من مطالب السوريين العرب وتمسكهم بالميثاق القومي فاجابهما بان الميثاق هو دستور العمل .

وفي الثالث والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٣ طلب الوفد الى مؤتمر لوزان أن يسمح له ببسط القضية رسميا ولكن عندما لم يتناول جوابا منه ارسل في اول كانون الاول مذكرة كرد فيها رجاءه الى المؤتمر ان يصغى لبيانه حين البحث في حدود تركيا الجنوبية والحدود الجنوبية الشرقية .

وكان الوفد السوري خلال اقامته في لوزان يتصل بمندوبي الدول كلا بمفرده ويشرح له قضيته ولم يسمح للوفد بدخول المؤتمر وعندما عقدت

الهيئة العامة لجامعة الامم اجتماعها السنوي المعتاد في ايلول سنة ١٩٢٣ قدم الوفد اليها بيانا مطولا في القضية السورية العربية كما انه فعل مثل ذلك عام ١٩٢٤ وكان يلاحق قضيته في كل مكان ولم تكن اللجنة التنفيذية اقل منه متابعة للقضية السورية العربية في كل حين .

بدء الثورة السورية العربية الكبرى :

استبدلت الحكومة الفرنسية واستدعت بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٤ الجنرال ويغاند بالجنرال ساراي العلماني عدو الاكليروس وقدو صل هذا المندوب السامي الجديد الى بيروت في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٢٤ وكان اول ماقام به هو دعوة المجلس التمثيلي اللبناني لانتخاب ثلاثة من الوطنيين يختار واحدا منهم ليكون حاكم دولة لبنان بدلا من حاكمها الفرنسي وعندما عي هذا المجلس عن الاتفاق على ما طلبه المندوب منهم اصدر بتاريخ ١٣ كانون الثاني ١٩٢٥ قرارا بحله وان يبدا بانتخاب مجلس جديد خلال ستةاشهرثم يكون الحاكم من هذا المجلس الجديد وفي ١٥ منه الغى الاحكام العرفية التي كانت لما تزل حتى تلك الساعة ممدودة الرواق على البلاد منذ عام ١٩٢٠ ثم اصدر عفوه عن خمسين محكوما من لدن المحاكم الفرنسية العسكرية واصدر بلاغا قال فيه انه مستعد لسماع الشكاوى من اي كان ولاجابة المطاليب فتالف وفد من رجال دمشق العاملين وسار الى بيروت لمقابلة المفوض السامي وقد نعل فكان لديه بتاريخ ١٧ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ رافعا اليه مضبطة تشتمل على تواقيع عديدة جدا مآلها ما يلي :

« نحن الموقعين ادناه من مختلف طبقات الشعب السوري العربي قد انبنا عنا الوفد الحامل لهذه المطالب ليبلغها الى الجنرال ساري المفوض السامي للجمهورية الفرنسية وليعرب له عن اماني الامة التي تطلب تحقيقها وهي :

١ ـ نطلب ان تكون البلاد السورية بحدودها الطبيعية التي كانت عليها

قبل الحرب العالمية بما فيها بلاد العلويين وجبل الدروز ولواء الاسكندرون والاراضي الملحقة بلبنان الصغير وطنا واحدا في اللغة والقومية .

٢ ـ دعوة الجمعية التأسيسية وان تنتخب انتخابا حرا لتضع للبلاد قانونها الاساسي وحل المجالس التمثيلية الحالية لانها لا تنطبق على القواعد النيابية وحصر حق التشريع بالمجلس النيابي والغاء القوانين الاستثنائية الصادرة بشكل قرارات افرادية .

٣ ـ لما كانت سورية بلادا معترفا باستقلالها في العهود الدولية فنطلب تأييد قاعدة مسؤولية الحكومة امام البرلمان والغاء الادارة العسكرية ومنع تدخل المستشارين حتى في الامور الجزئية .

٤ ـ الحرية الشخصية حق طبيعي لكل فرد وهي مقدسة في نظر الشرائع العامة في جميع البلاد المتمدنة فليس ما يبرر عمل السلطة في تضييق نطاق هذه الحرية ولذلك نطلب احترام الحرية الشخصية بجميع انواعها لانها من الحقوق الطبيعية المقدسة .

٥ ـ بما ان السلطات السابقة اعتقلت بعض الوطنيين وابعدت آخرين بلا محاكمة او اثبات استنادا الى وشاية الجواسيس الذين يصمون الوطنيين بأنهم صنيعة الدول الاجنبية فنطلب وضع حد لهذه الاعمال المنافية للقوانين واصدار عفو عام عن جميع المحكومين والمبعدين السياسيين .

٦ ـ توحيد القضاء بالغاء المحاكم الاجنبية واحترام صناعة القضاء واستقلال المحاكم وجعل اللغة العربية لغة المحاكم الرسمية فقط .

٧ ـ لما كانت الاوقاف والمؤسسات الخيرية الدينية المحضة للاعمال الخيرية والشعائر الدينية وكانت اوقاف بقية الطوائف غير المسلمة تدار بمعرفة الطائفة نفسها وكانت الادارة السابقة قد ضمت ادارة الاوقاف الاسلامية الى المفوضية العليا فلم تحترم بذلك ارادة الواقفين حتى انها

استولت على الخط الحديدي الحجازي الذي هو اعظم وقف اسلامي وسلمته الى شركة اجنبية رغما عن احتجاج الاهلين فانا نطلب اعادة هذه الادارة الى الطائفة الاسلامية وارجاع الخط الحجازي الى استقلاله السابق .

٨ – منع الهجرة الارمنية الى البلاد السورية .

٩ – توحيد اسعار النقد وجعل الذهب اساسا لجميع المعاملات الرسمية وغير الرسمية .

١٠ – الغاء الزيادة الجمركية واتباع قاعدة الحماية تبعا للحالة الاقتصادية والاسراع في عقد اتفاقات جمركية مع الحكومات المجاورة بالاشتراك مع الحكومة المحلية والغرف التجارية .

١١ – جعل الشركات ذات الامتيازات تابعة لمراقبة الحكومة المحلية وحصر حق اعطاء الامتيازات بالحكومة الوطنية والغاء مصلحتي احتكار الدخان والديون العامة .

١٢ – توحيد الانظمة الادارية والغاء قانون العشائر الاستثنافي .

١٣ – الاقتصار على استخدام اهل البلاد في الوظائف الرسمية .

* * *

بعد أن تعرف المندوب الى رجال الوفد قال لهم : « يظهر لي انكم تمثلون طبقات الشعب المختلفة واراني سعيد جدا بالتحدث اليكم فاعتقد ان لكم ثقة بي فآمل ان نتحد معا على العمل لتحقيق المطاليب التي تريدونها واذا كان ما اتصل بي صحيحا من المعلومات فانكم تمثلون الفكر النير والعقيدة الحرة واعتقد انكم تتمكنون من مساعدتي على جعل الثمرة ناضجة في بلادكم » .

وعندما دار البحث عن الوحدة اجابهم : « ان الوحدة فى يدكم فاتحدوا بعضا مع بعض عليها ثم طالبوني بتطبيقها » فأجابوه ان الوفود بأسرها مجمعة على طلب تحقيقها وما عليه الا ليطمئن من قولهم ان يقوم باستفتاء يؤكد له

ما يقولون كاعلا قوله وحدوا الصفوف اولا وبعدئذ لكل حادث حديث .

وقد تالف وفد ام بيروت من حلب برئاسة احسان الجابري بغية مقابلة المندوب وعندما زاره قدم اليه مطاليب حلب التي لا تختلف عما طلبته دمشق وجرت بين هذا الوفد وبين المفوض السامي مناقشات ردد فيها المندوب قوله بتوحيد الصفوف لهذا الوفد ايضا .

مر الوفد الحلبي بدمشق وقد قضى فيها اياما اتصل خلالها بالعاملين من الرجال واجمع الكل على وجوب توحيد العمل وآب وفد حلب الى بلده وقد اذاع البيان الآتي :

« ان الوفد الحلبي لم يجذبه الى دمشق عاصمة الامويين ومصدر روح القومية والاستقلال الا توحيد العمل لتحقيق آمال الامة وتنظيم الصفوف كما طلب الجنرال ساراي وقد لاقى في مقدمه كل حفاوة تجلى فيها عطف اخوانه رجال الوطنية ثم اطلع على اعمالهم السديدة واتحد واياهم في الفكرة والعمل فهو يحمل كل بشارة تقوي العزم ويهدي من اعماق قلبه الشكر الى من جمع الكلمة ورفع شأن الشباب الناهض والمباديء المقدسة .

التظاهر ضد بلفور ووعده المشؤوم :

كان ثامن نيسان سنة ١٩٢٥ حيث وصل اللورد بلفور صاحب الوعد والعهد المشؤوم الى عاصمة الامويين فاستشاط الشعب غضبا من وقاحة هذا الرجل الذي ينطبق عليه المثل القائل يقتل القتيل ويمشي في جنازته فما كفاه ماقطعه على نفسه لطراد العالم وشذاذ الآفاق من وعد كان شؤما على البرية اجمعين بل جاء الى النار يزكيها والى الحماس يلهبه ضده فيتحدى الشعور العربي في مدينة كدمشق بمجيئه غير المحمود وقدومه الذي ليته لم يكن . لذلك كان من البداهة بمكان ان تقابله الامة بهذا النفور والسخط

والاستياء الذي قابلته به وان تعج دمشق وتهب شيبا وشبانا لاظهار عواطف الاستنكار ضد من ثل جبينها للذبح فما كنت تسمع في كل ناحية من دمشق الا اصواتا تهتف بسقوط بلفور والصهيونية والهتاف بمقابل ذلك بالحرية والاستقلال فدارت بين المتظاهرين وقوى الحكومة كانت حامية الوطيس انجلت عن قتل عدد كبير من المتظاهرين ورجال الحكومة وكثيرا من الجرحى فاعتقلت السلطة نحوا من خمسين شابا ثم اضربت دمشق باسرها وازدحم الشباب والامة في الجامع الاموي وقد خطب السادة علي الطنطاوي والشيخ عبد الحكيم المنير والمؤلف محي الدين السفرجلاني خطابات ابانوا فيها خطر وعد بلفور على العرب وقاموا جميعا يطوفون دمشق متظاهرين وقد أموا الفندق الذي كان نازلا فيه صاحب العهد المشؤوم فصد الجند المتظاهرين فقتل اثنان وجرح عشرون منهم رشاد الدقاق وكاتب هذه الاسطر السفرجلاني في صدره .

وعندما رات السلطة ذلك اوعزت الى الدخيل اللورد بمغادرة البلاد منعا لاتساع الخرق وازدياد الهياج فامتطى سيارة تحافظه الدرك والشرطة فهدات الحال نوعا ما وكانت هذه التظاهرة الوطنية اول واحدة من نوعها بعد حوادث كراين عام ١٩٢٢ وقد كتب المفوض السامي في خواطره عن هذه الزيارة ما يلي :

« لقد استقبلت دمشق اللورد بلفور بالاحتجاجات التي اشترك فيها بعض العناصر المسيحية التي لا تستطيع الكف عن عاداتها في ادخال الديانة في كل شيء . وقد وزعت في المدينة مناشير كثيرة بعنوان فلسطين للعرب بلاد العرب للعرب مما دل على ان هذه الحملة ضد اليهود تخفي وراءها اشياء كثيرة . وقد كانت زيارة اللورد بلفور مقدمة لمظاهرات عديدة ليست خطيرة النتائج اقتصرت على اغلاق الحوانيت وصدور الصحف بالاطارات السوداء واضراب طلاب المدارس ولم تحدث حركة ما في الشوارع الا بعد الخروج من

المسجد فعمدت الى اخمادها بسرعة دون شيء من الشدة كما أشيع هنا وهنالك » .

المندوب الفرنسي والدستور :

خلال مايس سنة ١٩٢٥ أم النائب في الندوة الفرنسية المسيو برونه الاقليم السوري لمحادثة المفوض السامي عن الدستور واسسه عملا بصك الانتداب . فكان هذا مدعاة للراي العام بان يكرر مطالبته بالوحدة وبان يعهد الى جمعية وطنية بوضع الدستور بدلا من اللجنة التي الفتها وزارة فرنسا الخارجية برئاسة المسيو بول بونكور . فعاد المندوب الى فرنسا بعد ان اقام شهرين في الاقليم السوري وبعد ان اعلن عدم عدول فرنسا عن رايها بشان الدستور مما اثار نقمة الشعب وسخطه .

الوطنيون وسفر كاربيه : (١)

ان ما قام به الوطنيون من تمهيد السبل للاعمال العظمى نحو الوطن والشعب وما اثاروه من الابحاث خطبا ومقالات ومضابط واحتجاجات امام العالم الاوروبي على اختلاف انواعه وطبقاته رسميا او غير رسمي والمعلومات التي وضحت القضية السورية العربية امام عصبة الامم بأجلى بيان كل ذلك قد القى على المعضة السورية ضوءا يستنير به الباحث فيها ويهتدي بهديه وقد رفع مستوى الادراك السياسي العام الى الدرجة التي لم يعد منكورا من قبل احد ولا مجهولا فكان كل ذلك بمثابة اتون هيأت اركانه ومواده ولم يعد ينقص ذلك من الاندلاع الا يد تولع فيه النار وتعمل الشرر من ابناء البلاد الابرار . فلما أذن الزمن وسنح الوقت والتقى الشعب الدرزي العربي الهائم في مهام الافكار

(١) كان لقب نفسه بامبراطور الصحراء لسبب هو ادرى به .

بأخوان له في دمشق شعر بأن الزمن قد انجلى عن وجوب اعلان السخط فعليا فانعقد اول اجتماع تمهيدي في دار الاستاذ قاسم الهيماني بأوائل ايار سنة ١٩٢٥ حضره الامير حمد الاطرش بحث فيه عن الثورة واضرامها . ثم تلى ذلك الاجتماع من مثله آخر في منزل الزعيم الشهبندر حضره لفيف من زعماء الشعب الدرزي العربي كالمرحوم نسيب الاطرش وعقلة القطامي وصياح الاطرش وفؤاد عز الدين الحلبي ونجم باشا عز الدين الحلبي وسعيد الحلبي وفضل الله باشا الهنيدي واسعد مرشد ويوسف العيسى ومتعب الاطرش وغيرهم من مشاهير الرجال فاقسموا جهد ايمانهم على العمل وراء تحقيق الوحدة والاستقلال حتى يتأمنا للشعب وانهم لن يرضوا عن ذلك بديلا حتى الموت . وفي ١٧ مايس من العام المذكور سافر حاكم الجبل الدرزي الفرنسي الكابتين كاربيه باجازة الى فرنسا فتنفس اهل الجبل الصعداء ورأوا ان يعلنوا عدم قبول حاكم فرنسي مهما كان شأنه وان يستبدل بواحد وطني منهم. وفي خامس نيسان سنة ١٩٢٥ عندما نمي اليهم ان الجنرال ساراي سيزور الجبل للاشتراك في حفلة عيد استقلاله الفوا وفدا من الامير حمد الاطرش ونسيب وعبد الغفار ومتعب آل الاطرش وشبيب القنطار وعقلة القطامي وغيرهم من الزعماء والشيوخ لمقابلة المندوب السامي وابلاغه مطاليبهم وعندما طلبوا اليه تعيين وقت يتحدثوا فيه اليه قال بلزوم حضورهم لدمشق .

اتوها وتقابلوا معه وبسطوا اليه ما يأتي :

١ ــ تطبيق الانتداب في الجبل وفقا للشروط المتفق عليها بيننا وبين فرنسا والمصدقة من الجنرال غورو .

٢ ــ سماع شكاويهم من سوء تصرف بعض الموظفين .

٣ ــ ازالة كل سوء تفاهم يحدث بين الزعماء ورجال فرنسا ونصب حاكم وطني على الجبل وانشاء التفاهم بين الشعب الدرزي والانتداب .

عندما تكرر على المندوب لفظ الاتفاق سأل عن ماهيته فاجابه عقلة القطامي بان ذلك ما صادقت عليه المفوضية العليا في ٤ مارت سنة ١٩٢١ بشخص المسيو روبير دوكه فاجابهم بجهله ذلك عندئذ اخرج عبد الغفار الاطرش نص الاتفاق وقدمه اليه وعندما فرغ من تلاوته اجابه بانه حبر على ورق وانه لا يعتد به ولا يتقيد فيه طالما ان موقعه غيره واردف قائلا لا اسمح لكم بالبقاء في دمشق اكثر من ساعتين ومن يتاخر عن انفاذ هذا الامر اسوقه الى المنفى حالا وبعد نقاش قصير خرج الوفد غاضبا وقد القي القبض على عقلة القطامي « شيخ قرية خربة وزعيم المسيحيين في الجبل » . وارسل مخفورا الى تدمر .

عاد الشيوخ والزعماء يحرقون الارم غيظا الى الجبل وينتوون نوايا اظهرتها الايام فيما بعد .

طلائع الثورة في الجبل :

بعد ان نزح كاربيه بالاجازة الى فرنسا قدم الكابتين رينو بتاريخ ١٨ مايس سنة ١٩٢٥ ليحل محله فالف الدروز لجانا لتوحيد الصفوف وازالة السخائم والاحقاد فكانت اللجنة العليا برئاسة السلطان في السويداء يتفرع عنها لجان خمس في المجيدل والشهباء وتعله وقيصما وساله . وقد وضعت هذه اللجان مضابط وقعها سكان الجبل يطلبون فيها عدم ارجاع الكابتين كاربيه وقد اضاف على هذه المضابط موظفوا الحكومة في الجبل الدرزي كتابا بعثوا فيه الى المندوب السامي قالوا فيه : « نرجو من المفوض السامي ان يقبل استقالتنا في حالة رفض مطالبنا بصدد كاربيه اذ يتعذر العمل معه .

وقد ارسلت اللجنة العليا في الجبل برقية الى المسيو برونه تطلب فيها تحديد وقت لمقابلته فكان يوم ١٦ حزيران سنة ١٩٢٥ وفيه ام دمشق ثلاثون

من مشائخ الجبل ورؤسائهم وهم : الامير حمد الاطرش ، نسيب عبد الغفار ، متعب آل الاطرش ، فضل الله الهنيدي ، جاد الله سلام نجم عز الدين هلال عز الدين ، سعيد آل الحلبي ، قفطان عزام ، نسيب نصار ، سعيد ابو عساف حمد عزام ، داوود ابو عساف ، حمود نصر ، اسعد مرشد ، شبيب القنطار ، خليل كيوان ، عمار الحناوي ، فرحان ابو راس ، محمد ابو عسلي ، حمود الجربوع ، حسين الهنيدي ، برجس سليمان ، صياح آل الاطرش ، فواز الحلبي ، حنا ابي راشد ، عبد الله النجار ، حسن اللحام ، برئاسة الشيخ محمود ابو فخر بصفته نائب عن الرؤساء الروحانيين .

وقد رفعوا اليه مضبطة جاء فيها ما يلي :

« ان جبل الدروز جزء لا يتجزا من سورية العربية تجمعه بها جامعة اللغة والجنس وتربطه بها روابط اقتصادية مستحكمة الحلقات فدمشق تاخذ ذخائرها من الجبل وهو يستورد منها جميع حاجياته فالجبل مدخر واسع ودمشق معين لا ينضب وهما مرتبطان من عصور طويلة بروابط لا تفصم عراها والجبل لا يحيا بدون الصحراء والصحراء لا تعيش بدون الجبل ولذلك فان جبل الدروز يريد المحافظة على شكل حكومته واستقلاله الاداري في جميع اوضاعه الحاضرة .

اننا نريد ان يسود القانون في البلاد فتحترم الحرية الشخصية فلا يسجن احدا ولا يعاقب احدا ولا ينفى احدا الا بقرار تصدره المحاكم العدلية وفقا للقوانين المتبعة في بلاد العالم عامة والمشمولة بالانتداب خاصة على الاقل ونريد حرية الكلام وحرية الشكوى واذا ما شكا احدنا امره الى المرجع الفرنسي فلا يعاقب على شكواه على الاقل كما سبق وحصل مرات عديدة في بلادنا وذلك من قبل الحاكم كاربيه فقد كان لا يجرا احد على الشكوى نريد ان تلتفت المراجع الفرنسية العليا الى شكوانا وتسمع ندائنا وتصغى الى مطاليبنا فلا يحل بنا العقاب الشديد كما حل بنا من الكابتين كاربيه لشكوانا ولاننا عرضنا

حقيقة امرنا على مندوب المفوض السامي في دمشق فرفض مطالبنا نريد ان ينصفنا الجنرال فيستبدل كاربيه برينو وكلاهما فرنسيان » .

فبعد ان وقف النائب الفرنسي على ما جاء فيها قال لهم ان امر التعيين وغيره مما يشابهه من اختصاص المفوض السامي لا من صلاحيته على انه لا يدخر وسعا بمساعدتهم لدى المندوب السامي فطير الوفد برقية حينئذ الى نص المفوض نصها : « الوفد الدرزي الممثل بشخص الزعماء والشعب وجهته بيروت يلتمس مقابلة فخامتكم » .

حنق المفوض السامي من هذه البرقية وعندما وصلوا بيروت اجابهم برفض المقابلة وعندما الحوا بطلبها هددهم بالنفي ان لم يعودوا على انه عاد فسمح للسكرتير العام لديه بمقابلتهم بعد توسط زعماء دروز لبنان بذلك وعندما وقف هذا السكرتير على مطاليبهم قال لهم بوجوب عودتهم الى الجبل والاحتفاظ بالشكوى على كاربيه لحين عودته وحينئذ تنظر المفوضية العليا بالامر فقالوا له ان شكواهم من سوء تصرفه ليست بنت وقتها بل منذ سنتين ولا من مجيب ودارت بين السكرتير والوفد احاديث طويلة لم تنجم عن شيء وعادوا بخفي حنين .

طبيعي ان يكفهر افق الجبل بعد هذه المقابلة السيئة وان يغلي الشعب الدرزي العربي الابي غليان الموتور وان يلم شعثه ويبيت على امر فاجتمع نحوا من اربعمئة شابا في السويداء باسم الجمعية العمومية وبرآسة السلطان وبعد درس الموقف من كل نواحيه تقرر ما يلي :

اولا ـ بذل كل مرتخص وغال في سبيل الاستقلال .

ثانيا ـ مواصلة السعي في عدم قبول كاربيه لحاكمية الجبل .

ثالثا ـ تذكرة كل عضو من اعضاء المجلس النيابي ممثل الامة تنفيذ مقررات الامة .

رابعا ـ رجم وضرب واهانة كل نائب لا يعمل بهذه المقررات .

خامسا ـ بذل كل عضو من اعضاء الجمعية العمومية دمه في سبيل مساعدة اي فرد من أفراد الجمعية والسير على خطة معتدلة بطريقة قانونية .

وفي اول ايلول الذي صادف اول عيد الاضحى توجه رينو الى قرية أم الرمان لمعايدة رؤساء الدين وقد القى على مسمع من الجمهور خطابا خلاصته ما يلي :

« ايها الشعب الدرزي لا حياة لكم الا بالاتحاد ثابروا على خطتكم المثلى فتفوزوا بمطالبكم انبذوا كل روح شريرة من بينكم واعلموا ان فرنسا ستجيب مطاليبكم كلها ولا تنظروا الى قول الوشاة فالطيارات التي قد اشاعها الاعداء فهي غير صحيحة .

والمبالغ التي يقول عنها المفسدون بأن الحكومة الفرنسية تريد ان تغرمكم فهذا غير صحيح ايضا واما مطاليبكم سينظر بها اذا اتحدتم واما مقتل حمود نصر (١) فاذا لم تجبكم عليها الحكومة الفرنسية وتجازي المجرم فانا سأسعى ان ادخل بنفسي الى اللجاه لاستحضار الغريم واذا ابت السلطة الفرنسية في دمشق فأطلق لكم الحرية بأن تدخلوا اللجاه وتقتصوا من المجرم وانا ساكون في مقدمتكم » .

وعندما انتهى من قوله هتف له الشعب الدرزي طويلا .

* * *

(١) هو احد اعضاء الوفد الدرزي الذي أم بيروت ولدى رجوعه منها اغتاله مجهول .

في ثالث يوليو من العام المذكور دعي المجلس النيابي الدرزي للاجتماع فعقد اعضاء الجمعية الوطنية اجتماعا في دار حسين مرشد قرروا فيه الاتصال بالنواب ودعوتهم الى اصدار قرار بتنحية كاربيه عملا بارادة الشعب فاقر الجميع ذلك ما عدا فارس الاطرش شيخ ذيبين الذي اثبت بالفعل ايثارد الاجانب والفرنسيين على ابناء الوطن والذي ارتكب بذلك اعظم خيانة عظمى يقترفها مارق من الوطنية في العالم وقد بلغت به القحة انتهاره الجميع ووصمه اياهم بالخيانة وباصراره على ابقاء كاربيه حاكما في الجبل قائلا : « انتم خائنوا الوطن انتم اعداء فرنسا ، كاربيه ابي وامي وحياتي فلا ارضى به بديلا مهما كان القصد » . وما اتى آخر كلمة من قوله حتى انقض عليه الشباب وقد اشبعوه ضربا ولكما ولولا ان انقذه حسني صخر قائد الدرك من بين ايديهم لكانوا قضوا عليه وفي تلك البرهة كانت الندوة الدرزية - المجلس النيابي - معقودة الجلسة برئاسة وكيل الحاكم وما ان تم قرار الجمعية العمومية بما مر حتى انصرف الشباب يهزجون وينشدون والحماس آخذ منهم كل ماخذ ففاجاهم زميل كاربيه في اعماله البربرية الملازم موريل وانهال على الشباب الدرزي بالسياط مما اثار النخوة العربية فيهم وحدا باحدهم حسين مرشد الباسل ان يقابل الضرب بالضرب والاهانة بالاهانة وان يصفعه بعصا كانت بيده على انفه ولم يكن شان يوسف نجل عبد الغفار الاطرش باقل من شان حسين مع هذا المعتدي موريل اذ اطلق عليه عيارا ناريا ولى على اثره هذا الملازم هاربا والاحجار من المتظاهرين تنهال عليه كوابل المطر فلجا الى دار الحكومة يطلب نجدة من غير ان يكون لوكيل كاربيه المسيو رينه علم بكل ما جرى .

من الانصاف ان تعدد محاسن المحسن ومساوىء المسيء ومن العدل ان نقول ان المسيو رينو كان بالحقيقة اوسع صدرا من سلفه وكان ابعد نظرا وكان اعلم بادارة الشؤون وسياسة الرعية فهو رأى ان يقف الامر عند هذا

الحد وان تحل هذه المعضلة بشكل سلمي فدعى الوجوه والاعيان واصدر مايلي :

١ ـ ان تعتذر الشيوخ والزعماء للملازم عن الاهانة التي لحقت به .

٢ ـ ان تدفع السويداء مئتي ليرة عثمانية غرامة .

٣ ـ ان ينفى عشرة من آل مرشد الى صلخد .

٤ ـ هدم دار حسين مرشد (ضارب الملازم بالعصي) .

انا وجدنا الفرق بين كاربيه ورينو بعيدا جدا رغم مافي هذه المطاليب التي وقعت من الاخير من اجحاف بالنسبة الى الحقيقة على ان الشعب الدرزي الغربي لم يكن باقل من المسيو رينو رحابة صدر وبعد حلم فقد وافق على الشروط الثلاثة الاول وطلب العدول عن انفاذ المطلب الرابع لما فيه من امتهان وخرق حرمة وابلغوا السلطة بحال الاصرار على هدم الدار لا بد من اعلان الثورة . وهكذا انتهت حادثة الملازم موريل عند هذا الحد ولكن قضية منع كاربيه من العودة الى الجبل لم تنته بعد اذ ان الكل مجمع على ان يواصل السعي وراء انفاذ ما قررته الجمعية العمومية بشأن كاربيه مهما كلف الامر .

شاء السلطان ان يتغيب عن السويداء ذاهبا الى قرية سميع لحضور ماتم حمود نصر فلم يرق للمسيو رينو ذلك وطلب اليه البقاء في السويداء وقد كان يرمي الكابتين رينو من وراء ذلك الى ايقاف المطالبة بمنع عودة سلفه اذ لمح من السلطان انه يستهدف المنع وفي المساء انعقد اجتماع في بيت الترجمان يوسف الشدياق حضره كل من السلطان والبربور وحسن صخر قائد الدرك والغاية منه المثابرة وراء السعي في عزل كاربيه .

على اثر ما مر من الحوادث لقد اضطربت الاندية السياسية لدى السلطة فاصدر المفوض السامي في الخامس من يونيو امرا الى القائد الاستعماري الشهير تومي مارتان بان يتولى الامر في الجبل بدلا من المسيو رينو الذي اصبح بنظر الفرنسيين باعث هذه الحركات هناك هذا من ناحية ومن ناحية

ثانية ليمهد السبل الى عودة الحاكم السابق الكابتن كاربيه بالاتفاق مع الحزب المؤيد للحاكم الموما اليه فبلغ هذا القائد الجبل في السادس من الشهر المذكور وحل في دار الحكومة طالبا الى الشعب الدرزي العربي ان يتقدم اليه بمطاليبه خطيا واعلن انه آن للتحقيق . فاجمعوا على انهم يحصرون الآن مطاليبهم بعدم رجوع كاربيه ورفعوا اليه البيان الآتي كي ينوب عنهم بتقديمه الى المفوض السامي :

« ياحضرة القائد :

ان سوء التفاهم وحصول ماحدث والخوف من حصول خلافه مسبب عن الامور الآتي بيانها التي لحقت بالدروز مدة حكم الكابتين كاربيه :

١ ـ فتح آذانه للجواسيس مثل حسن الخطيب وحمود ابي حمرة ويحيى دليقان وساسي افندي والشرطي فهمي افندي والحرمة نسيمة وبنتها زكية ومعلمي المدارس الذين يلفقون الاخبار الكاذبة حتى لحق بالابرياء ما لحقهم من الضرب والاهانة باجرة يتقاضاها الجواسيس عن كل خبر بانفراده .

٢ ـ مخالفة النظام عند جنود الدرك الذين لا يعرفون من الوظيفة الاالعصي التي يحملونها حتى انك لا تجد جنديا من الفرسان والمشاة الا وبيده عصا لمس شرف الوجهاء وسوقهم سوق البهائم .

٣ ـ ان حامد قرقوط من ذيبين سجن خمس شهور وكسرت اضلاعه ومزق جلده من ضرب السياط لوشاية وشاها حسود وقد اتضح ذلك فيما بعد .

٤ ـ أن حسن كسبول من قرية ريمة اللحف تمزق جلده من ضرب السياط لمجرد مروره بالطريق العام من غير ان يتنبه من القاء السلام على الكابورال دي بوشيل .

٥ ـ احضر سامي افندي المستخدم في المستشفى العام بعض نساء الدروز للايقاع بهن فشعر بذلك حسين مرشد المجاور للمستشفى فنصحه وردعه ولكن ذلك اساء سامي افندي فوشى به لليوتنان موريل وادعى انه ضربه فوضع في اعماق السجن وقد اغتنم سامي حبسه مدة عشرة ايام فكان يأتيه كل يوم في الصباح والظهر والمساء ويضربه بالسياط على رأسه المكشوف مع تشغيله طول النهار حاسر الراس حافيا لتكسير الحجارة وحبسه ليلا في غرفة الفحم ولم يكفه ذلك بل شهد عليه انه في تلك الجلبة شهر مسدسه على الليوتنان مع انه لم يكن حاضرا وكان اعزل من السلاح .

٦ ـ اغفال التحقيق عن كل الدعاوى يعني وشايات المخبرين المذكورة اسماؤهم اعلاه وخلافهم واعتبارهم مخبرين صادقين حتى ان وشاية حسن الخطيب أدت الى سجن الشيخ سعيد طربين واخيه سلمان وفارس مفرج اخصاء سلطان باشا الاطرش وغازي الصفدي مدة شهر ونصف مع تكسير الحجارة والضرب المؤلم دون سبب .

٧ ـ توقيف اولاد صحوعة واولاد حاتم وتغريمهم ثلاثة وعشرين ليرة ذهبا لمجرد وشاية هؤلاء المخبرين بدون تحقيق .

٨ ـ توقيف وهبة الفشفوش لانه امتنع عن ايجار داره وضربه ضربا مبرحا حتى انه بقي شهرا لا يقدر على الوقوف على قدميه .

٩ ـ اطلاق العيارات النارية على محمد الحلبي مدير العدلية ـ الحقانية ـ اطلقها الكابورال دي بوشيل من غير ان يسأل عنها او يجازى عليها .

١٠ ـ ضرب امين حديفة من قرية الكفر وحبسه تسع ايام في غرفة الفحم بدون اكل وشرب ومن غير سبب معروف .

١١ ـ توقيف حسين حديفة خمسة عشر يوما لانه كان غائبا في ملاقاة

الكابتين كاربيه يوم زار القريـة وغرم الاهلون لاجل ذلك عشرين ليرة عثمانية ذهبـــــا .

١٢ ــ وضع غرامة عشرين ليرة ذهبا على اهالي عرمان لعدم تنظيم ملاقاة لائقــــة به .

١٣ ــ توقيف قائمقام صلخد فهــد الاطرش وضربه ضربا اليما لمجــرد وشايـة المفــدين ومن غير تحقيق عما اسند اليــه .

١٤ ــ توقيف أولاد الخياني سبعة ايام في غرفة الفحم وضربهم ضربــــا مبرحا وسقيهم ماء الملــح لمجرد وشاية تدعي انهم قتلوا شقيقتهم وقد ظهرت حية تجري على قدميها ولم يجاز المفترون ارباب الغايات الشخصيــة الدنيئة .

١٥ ــ سجن حمد بن جبر حميدان وضربه ضربا مبرحا من غير مـــــدع شخصي ولا سبب بل لوشاية مفسد .

١٦ ــ ايداع السجن ثلاثة من المسيحيين من اهالي خربة نجهل اسمائهم ابقوا في السجن ثلاثة عشر يوما وعوملوا نفس المعاملة يعني الضرب المبرح .

١٧ ــ سجن شاهين شروف من قنوات وتشغيله بالاعمال الشاقة وضربه ضربـا مبرحـا .

١٨ ــ توقيف فارس اسماعيل ابو عسلة وضربه ضربا مؤلما لغير ما سبب .

١٩ ــ توقيف قاسم عمر وضربه ضربا مؤلما لغير ما سبب .

٢٠ ــ فرض غرامة عن ثمن مصباح البلدية المسروق الذي ظهر اخيرا عند نسيمة الجاسوسة والبالغ ثمنه سبع قروش ونصف غرم الجوار بسبب هــذه السرقة المكذوبة ثلاثة عشر جنيها عثمانيا .

٢١ ــ ضياع هرة الليوتنان موريل وفرض غرامة عشر ليرات عثمانية على جميع اهل السويداء .

٢٢ ـ ضرب الكابورال دي بوشيل شاهين الباروكي حتى بقي ثلاثة ايام بحالة العدم لولا ان احياه الله مرة ثانية ولم يسأل الكابورال عنه .

٢٣ ـ توقيف سليمان بك نصار مدير ناحية سالة وطرده من الوظيفة وتشغيله بالاشغال الشاقة مدة نصف شهر لوشاية مفسد معروف .

٢٤ ـ توقيف حمد عامر من عرى وتشغيله بالاشغال الشاقة لوشاية مفسد هو معلم المدرسة الذي اتخذ التجسس مثل اكثر زملائه بدلا من التعليم .

٢٥ ـ توقيف حضرة الشيخ حسن صالح طربين شيخ العقل وفارس افندي عزت واسماعيل افندي مزهر ورفاقهم من اعيان السويداء لوشاية وشاها فهمي افندي الشرطي وتشغيلهم بتكسير الحجارة .

٢٦ ـ ان الموقوف الذي تبرؤه المحكمة اذا طلب باخلاء سبيله عند انتهاء مدة حبسه يضاف عليه مدة خمس عشر يوما لقاء استدعاءات وحوالات الاستدعاءات الموجودة في قلم العدلية .

٢٧ ـ تغريم المستنطق لاسباب لا محل لذكرها واجباره على تأدية عشرين ليرة ذهبا عثمانية لزوجته بدون مسوغ شرعي او قانوني وخصمهم من راتبه .

٢٨ ـ ان محمد رضوان لم ينبه لمرور احد الضباط الافرنسيين فياخذ له السلام لذلك سجن ١٥ يوما مع الاشغال الشاقة وضرب ضربا اليما وطرد من وظيفته .

٢٩ ـ ادخل حبيب الخوري الجاسوس الفرية الآتية في ذهن بعض رجال البعثة وهي ان كل درزي يسعل فانه يعني ذلك انه يلعن من يراه في الطريق من خلاف مذهبه ولما كان الانسان لا يستغني عن السعال في بعض الاحيان فقد ادت هذه الفرية الى ظلم كثير من المساكين الذين اودعوا السجن وضربوا ضربا اليما ومن جملتهم خزاعي الحلبي الذي بقي في السجن شهرين تقريبا .

٣٠ ـ طرد الوكيل عبد الكريم حرب المشهود له بالامانة والصدق المتخرج من مدرسة الدرك بدمشق وسبب طرده وشاية مخبر لاخذ وظيفته وقد سجن خمسة عشر يوما مع الاشغال الشاقة وطرد من وظيفته .

٣١ ـ توقيف هلال نخله مدة خمسة وستين يوما نهارا بالاشغال الشاقة وليلا في غرفة الفحم وبقي في اول الامر خمسة ايام من غير اكل ولا شرب بل على الماء والملح الى ان اشرف على الموت وقد هدده الليوتنان موريل والمسدس بيده كي يشهد على بعض الموظفين انهم يتناولون الرشوة .

٣٢ ـ ان معلمي المدارس الذين يتقاضون الرواتب الباهظة من صندوق الحكومة لتعليم الاولاد تركوا واجبهم هذا ودخلوا في سلك الجاسوسية المريح تحت رياسة جاسوسهم الاكبر فيليب حتى معلم صلخد ، واستبد كل معلم بقريته واتخذ لنفسه صفة الحاكم وغدا يضرب ويسجن ويغرم حتى ضجرت النفوس .

٣٣ ـ أصدر الكابتين امره بمنع الاهالي من دخول بيوت الزعماء واحتقاره الرؤساء وتطاوله عليهم بالشتم والقذف وتهديده رئيس محكمة البداية وضربه العضو النيابي كل ذلك مما آلم النفوس واحفظها .

٣٤ ـ احتكاره جميع الصلاحيات المعطاة لرؤساء الدوائر والدرك حتى ان العدلية اصبحت اسما من غير مسمى اذ لم يكن لها حكم الا بعد صدور الارادة الكاربينيه .

٣٥ ـ سجن مختار قرية عاهره فياض الطرودي ستة اشهر ونصفا من غير ان يعلم جرمه وذلك لوشاية مفسد وقد قضى جميع هذه المدة في الاشغال الشاقة .

جنوح المفوض الى الحيلة والغـدر :

بعث المفوض السـامي بتاريخ ١١ يوليو بالكتاب السري التالي الى مندوبـه بدمشـــــق :

ارجو منكم ان تدعوا الى دمشـق المحرضـين الدروز وبينهم حمدبك ونسـيـب بك ومتعب بك وعبد الغفار وسلطان باشا الاطرش بحجة انكم تريدون استماع شكواهم ومطالبهم حتى اذا حضروا ابلغناهم انني اعدهم مسؤولين عن كـل اضطراب يقع في الجبل وابقيهم ضمانا عندي في مكان يحتم عليهم الاقـامة وستعنون انتم بابلاغي اسـم المكان الذي يختار لهذا الغرض .

وانفاذا لهذا الامر فقد دعا مندوب المفوض في دمشـق عبد الغفار باشـا ونسـيب والامير حمد آل الاطرش فابلغهم ما المعه اليه المفوض السـامي مـن رغبته بمقابلتهم فلما بلغوا دمشـق ابعدهم الى تدمر وبعد ايام أخر ابعـــد الى الحسجة كـل من برجس الحمود وعلي الاطرش وحسـني صخر وعلي عبيـد ويوسـف الاطرش .

أما السـلطان فقد كان خلال تلك الحوادث قد رحل الى قرية رسـاس وقـد ابلغه الخبر الامير حسـن فامتعض لذلك كثيرا وراى ان اضرام نار الثورة قـد آن وحان . أوعز المفوض السـامي الى القائد تومي مارتان باعتقال سـلطان بحيلة فدعاه الى مقابلتـه فلم يلب الطلب وعلم بما دبر له من مكيدة ولم تجز حيلـة القائد عليـه واستنكف عن الحضور فارسـل اليه القائد اربعة من الضبـــاط الفرنســيين على راس قوة صغيرة يقودها الكابتين نورمان لاقناعه بالمجيء طوعا والا فالقبض عليه ان استطاعوا قسرا على ان السـلطان كان في ارسـاس وعلى اتم الاسـتعداد للقاء اي حملة كانت بما جمعه حوله من رجال اشاوس .

اقبل الفرنسـيون يزمعون على دخول القرية مقر السـلطان فحذرهم شقيقه علي من هذا التحدي فمشـوا الى الكفر ونزلوا عند مائها وكانوا يلفون المنـــة



عطوفة : سلطان باشا الاطرش

والتسعين جنديا فانذرهم اسعد مرشد شيخ الكفر بمغادرة المكان الذي نزلوه فآوى الكبتين نورمان وحملته الى مكان وعر مستدير يطل على الطرقات وابى النزول والعودة .

المعركـــة الاولى :

مر بنا ان السلطان قد اهتاج كثيرا لافاعيل السلطة واعمالها المشؤومة فاخذ يلم شعث الجبل الدرزي العربي ويستنهض هممهم ويحفز عزائمهم ويشحذ نشاطهم ويحرك عوامل الشهامة والمروءة فيهم وقد اخذ يتنقل من قرية الى قرية ويعمل في كل واحدة منها ما استطاع من حماس فابتدأ بأم الرمان فامتن فملح فعرمان فصلخد وهكذا الى جميع القرى في الجبل وكان في كل قرية يلقى الاجابة والمتابعة والاهازيج والحماس وكان يقابله كل بلد يحل فيه احفل مقابلة واجمل استقبال فاجتمع لديه خلق كثير بامكانه ان يقابل اية قوة مهما عظمت وكان شأنها بليغا .

قلنا بأن الكابتين نورمان حل في مكان وعر مستدير يشرف على طرق عديدة ولم يصغ الى نصيحة شيخ الكفر وذلك في ٢٢ تموز سنة ١٩٢٥ فبلغ سلطان محاولة الكابتين نورمان دخول عرينه فاقسم ان لاينام على القذى وان يوقف هذا المتعدي الوقح عند حده وان يلقنه الدرس الكافي بأن حمى الاسود لا تباح واتى على الناحية التي علم بأن القوة قد حطت رحالها فيها وقسم رجاله الاشاوس الى قسمين قسم يهاجم الفرقة العسكرية من ناحية وقسم يأتيها من خلفها من الناحية الاخرى .

التقى الجمعان فكان الفصل الاكبر للسلاح الابيض وكان النصر حليف الابطال الاشاوس الاحرار فلم يفلت من بين ايدي هؤلاء الجبابرة الا بضعة افراد اوصلوا خبر الكارثة الى تومي مارتان في السويداء الذي اسرع الى

والالتجاء لقلعة السويداء بمن كان لديه من الموظفين الفرنسيين ونساءهم ومعه ما يستطيع حمله من مال .

كان عدد الجنود الذين هناك مئتين وستين بينهم عدد كبير من الضباط الفرنسيين وكان عدد المجاهدين لا يتجاوز المئتين قضى من المجاهدين اربعون شهيدا منهم مصطفى الاطرش شقيق السلطان واسماعيل الاطرش نجل جاد الله الاطرش ونصار البربور .

دخل السلطان والمجاهدون البلد الاول في الجبل وهي السويداء وحاصر القلعة التي لجا اليها تومي مارتان برجاله ...

لهذه الملحمة شان خطير في تاريخ النهضة السورية العربية اذ انها جعلت الثورة امرا مبرما ودلت على ان الحق الصريح على تفاهة عدده وعدم معداته لا بد وان يصرع القوى مهما ايدتها الآلات الحربية والجحافل العديدة يؤيد ذلك النشاط الذي كان من المجاهدين في معاركهم كما القي عبء القيادة العامة في الجبل خلال الثورة على عاتق السلطان الذي احرز هذا النصر المبين .

واقعة ميشو :

ما ان بلغ المفوض السامي خبر حصار المجاهدين للقائد مارتان في قلعة السويداء حتى اهتاج وغضب ايما غضب وجهز حملة لقمع الثورة وتخليص المحصورين عدد افرادها يربو على السبع آلاف برئاسة الجنرال ميشو مجهزة بأتم الاستعدادات واحدث الآلات واعظم العتاد وقد كانت تحميها في السماء الطائرات .

يممت هذه الحملة وجهها شطر السويداء من ازرع – هي احدى محطات سكة الحديد بين درعا ودمشق – في الصباح الاول من اغسطس سنة ١٩٢٥

فوصلت الى ماء نجران (قراحه) مساء وقد حلت رحالها هناك فقابلها بعض من الدروز قليل حاول منعها من الاقامة فلم يفلح وعاد هذا القسم الى قراه وحدث ان مر ثلة من المجاهدين الابرار بهذه الحملة مساء في مقدمتهم كل من الابطال المغاوير شبيب القنطار وجاد الله سلام ومحمد شرف وكثير من عشائر الجبل من آل الحلبي والنصر والصخور وعوام وشلفين والمقرن الجنوبي وقنطار وسواهم وكان لايتجاوز عدد هؤلاء البواسل المئتين نفرا وما ان التقوا بمؤخرة هذه الحملة في المقرن الغربي ما بين قريتي الدورى وبصرى الحرير حتى انقضوا عليها كالصواعق والبزات واعملوا فيها السلاح حتى استولوا على قسم كبير من الذخائر التي كانت على ظهور الخيل والبغال ولم ينج من هذه الحملة الا القليل ممن لاذ بالفرار يعلن للقائد مافعله بهم بنو معروف الاشاوس وما ان اصبح الصباح حتى نفر رجال الجبل الاشم بهمة قعساء لا تعرف الملل والكلل فتجمهروا وحملوا حملة صادقة على من كان هنالك من الفرنسيين فاعملوا فيهم القتل والفتك بحماس زائد وحرارة كبرى واستعر نار القتال وحم الحمام فكانت تقذف المدافع من افواهها الحمم وكانت البنادق توالي اطلاق النار كمن افواه القرب والطائرات تصب جامات القذائف تترى وكانت الارض والسماء بركانا واتونا ما يكاد يهدا يسيرا حتى يشتعل كثيرا وكانت المصفحات كانها قطع من ظلام تكر وتفر وتقدم وتحجم وكان الذي يرمق هذه الواقعة عن كثب يرى بأن الارض قد استحالت الى جحيم لاهب ونيران تاكل الاخضر واليابس كل هذا لم يكن امام الدروز العرب الاشاوس الا كجنة عدن او روضة من رياض الفراديس اتى هؤلاء الجبابرة على كل هذه المعدات الحربية وعلى من كان يوقد اجيجها واعملوا فيهم ما عرف عنهم من حرب ضروس ذللت منهم الهام والرؤوس وانبلج فجر هذه المعركة عن نصر لم يسطر من قبل ذلك اليوم تاريخ بمثله ابدا عندها عاد بنو معروف الكرام ينفضون عن عواتقهم الدماء والاشلاء وعن اذرعهم العجاج

والغبراء يرفلون بثوب من الظفر قشيب ويختالون في برد من الثناء عجيب واستطاع الجبل الاشم ان يسجل له في البطولة العربية والشجاعة النادرة على صفحات الزمان الآتي رقما قياسيا عاليا لا يبارى وسبقا في الميادين لا يجارى ومعقلا لا يمكن ان ينال مثيله احد .

محا بنو معروف بأفاعيلهم هذه اعاجيب الاساطير الاولى ودواوين الشعراء السوالف ولم يعد من ذكر لعنترة العبسي وابي زيد الهلالي والملك الظاهر وسواه ممن كان يتغنى بأفاعيلهم الرجال .

وقد روى شاهد عيان ان كثيرا ما كان البطل الدرزي يشطر الفرنسي بضربة سيف واحد شطرين متساويين تماما وكان كل منهم يباهي على رفيقه قائلا : انظر هكذا فليكن القتال والا فلا واخص بالذكر من هؤلاء البواسل المرحوم سليمان العقباني من كان ينفرد عن الجمع ويكر منفردا على الفرنسيين هازا صارمه مناديا اشهدوها ، اشهدوها ، وسجلوا سجلوا .

ثم ينبري على الجند فيعمل فيهم الفتك الذريع بهذا الصارم البتار فما كنت تراه الا يندف في ذبالته الرؤوس كأنه قوس يتطاير من فوقه القطن وما كان الرائي يرى الا رؤوسا في السماء تتصاعد واشلاء في الهواء تترامى وقطعا من الانسان بما فيها من ثياب تعلو تارة وتنخر اخرى وما زال البطل العقباني كذلك الى ان اصابته رصاصة فخر على اثرها صريعا شهيد الوطنية والواجب وقد استشهد في هذه المعركة من الزعماء العظام الذين سجلوا بدمهم على لوحة صدورهم آية المجد ومعجزة البطولة وبرهان الفخار البطل حمد البربور من قرية ام الرمان « المقرن القبلي » لقد كان هذا النابه على صغر سنه في القتال آية في الذكاء ورجاحة العقل والشجاعة الفائقة وكان الساعد الايمن لسلطان باشا سلما وحربا وقد اجمع الكل على ان مصيبة الجبل بفقد هذا الدهقان الباسل مما لا يمكن ان ينكرها احد واستشهد اخوه اجود وابن عمه احمد كما انه جرح البطل الكبير فضل الله باشا الهنيدي الذي سجل على

صفحات التاريخ آية التضحية الكبرى والبطولة النادرة وكان في جملة الشهداء الابرار سلمان الهنيدي وحسين عريج وهاني شاطر من بعد ان قام كل منهم بما لا يقل عن اخوته شجاعة وبسالة وقياما بالواجب وقد جرح ايضا حمد العامر لما ابداه من اقدام واستقتال .

لم يمكن على وجه الصحة ان يضبط عدد القتلى في هذه المعركة وجل ما يمكن ان يقال عن هذه الواقعة الكبرى ان الذي سلم من الجيش الفرنسي كان قليل العدد جدا لا تتجاوز عدد الفلول الهزيلة الضئيلة وقد حطم ابطال الجبل دبابات خمس وركلوها على جوانبها وقلبوها راسا على عقب بعد ان قتلوا قوادها وسائقيها من كواها وقد تعطل عدد كبير من المدافع الضخمة واستولى المنتصرون على كثير من عتاد وسلاح ومؤن فكان لهذا النصر المبين وهذا الظفر الاكيد الواضح احسن وقع واكبر تأثير حسن على نفوس آل الجبل جميعا ولم يقتصر هذا الامر من فرح وسرور ونشاط على بني معروف فحسب بل كانت غبطة جميع الاقليم السوري بقاطنيه اكبر وابهج فقد كانوا يتحدثون عن هذه الانتصارات بثغور باسمة وجباه عالية ونفوس مشرقة تود لو تطير الى الجبل لتشارك الاخوة آله ما ينعمون به من فخار وخيلاء .

جزع المفوض لهذه المعركة العظمى التي ما كان ينتظر مثلها ابدا وخشي ان ينزع الثائرون ويزلزلوا أقدام الفرنسيين من هذه البلاد فبث العيون والارصاد يمنع سريان اخبار هذه المعركة الى بلدان الاقليم السوري واخذ يراقب رجاله عظماء الرجال كالزعيم الشهبندر وصحبه الكرام مخافة ان يبلغهم خبر هذا الانتصار العظيم فيستثمرونه ويستغلونه ويتفقون مع آل الجبل الاشم فتتفاقم الحال ويخشى المآل .

كان بمقدور بني معروف أن يحتلوا دمشق لو واصلوا الزحف على الشام وكان باستطاعتهم ان يلهبوا الثورة في كل مكان من ذلك اليوم بما احرزوه من

ظفر بالقوة الفرنسية كبير فقد اهلعوا قلوب الضباط واخافوا نفوس الجنود وبات كل فرنسي لا يأمن على حياته ويود ان يركب الريح فرارا من وجه العرب فسامح الله هذا الشعب الكبير الدرزي العربي الذي لم يغتنم هذه الفرصة السانحة ولم ينتهز ذلك الوقت المواتي .

ابرق المفوض السامي الى باريس يطلب نجدات سريعة وانصرف يطلب التفاهم مع الدروز الاشاوس فارسل بتاريخ ١٢ اغسطس وفدا من دروز لبنان الى السويداء وقد قابل الزعماء هناك يدعوهم للصلح والوئام فعاد الى مرسله بشروط خلاصتها اولا منع عودة الكابتين كاربيه . ثانيا اختيار الشعب الدرزي العربي الحاكم الذي يريدونه . ثالثا عدم معاقبة احد بجريمة العصيان وعدم مصادرة سلاحا ما . رابعا وضع دستور خاص بالجبل .

فقال المفوض بوقف الاعمال العسكرية ضمن الشروط الآتية :

اولا ــ ان يدفع الجبل خمسة آلاف جنيه انكليزي تعويضا عسكريا .

ثانيا ــ ان يعوضوا على تجار السويداء ما لحق بهم من خسارة بسبب الحوادث الاخيرة .

ثالثا ــ اعادة السلاح الذي غنموه .

وقد اطلق المفوض سراح من كان معتقلا من الدروز في تدمر والحسجة وعادوا الى الجبل .

دمشق والثورة :

لقد تقدم المعركة الكبرى التي اتينا على وصفها اجتماعات عدة عقدت في دمشق أولاها الاجتماع الذي كان في دار الاستاذ الهيماني بأوائل ايار سنة ١٩٢٥ كما انه أعقب ذلك من مثله في منزل الزعيم شهبندر كثير وفي كل اجتماع كانت تؤخذ المواثيق والعهود على حاضريه كعبد الغفار الاطرش ومتعب

الاطرش ونسيب الاطرش وابي حمدي سيف العيسمي وغيرهم بان لا يحيدوا عن طلب الوحدة والسيادة شيء وكانت هذه الاجتماعات تعقد افراديا بالاضافة الى احزاب ومنتديات وجمعيات .

وبعد ان حدثت المعركة الكبرى « معركة ميشو » تلقى الزعيم الشهبندر رسائل دعي بها الى وضع الخطط المشتركة للثورة السورية وكان مرسل هذه الرسائل السلطان وجاد الله الاطرش ومحمد عز الدين الحلبي وكان رسول الزعيم الموفد من الجبل اليه محمد كيوان الذي كان ضابطا والذي حل ضيفا على آل البكري الكرام بدمشق .

وقف الزعيم على ما جاء في الرسائل واشبعها بحثا ودرسا وتمحيصا . بينا كان الكابتين رينو مندوب المفوض السامي يتحدث الى بني معروف باسم الدولة المنتدبة لتوطيد دعائم السلام وكان ثلاثة من دمشق امروا الجبل من دمشق لعجم عود رجاله ولكي يكون لهم راي حصيف بشان الثورة ذلك الثلاثة هم السادة اسعد البكري وتوفيق الحلبي وزكي الدروبي .

وصلوا الجبل وقد كان المجلس الذي انعقد لبحث مطالب الشعب الدرزي لا يزال ملتئما والابحاث تكاد ان تثمر والصلح يوشك ان يقع فكان لوجود هؤلاء الثلاث اثرا بينا في عرقلة مساعي الصلح ومقاومة فكرة المسالمة وكان هذا الصنيع ثوريا نجم عنه تشديد الرقابة على اعضاء حزب الشعب الذين تكلموا باسمه وباسم غيره وكاد ان يكون لعملهم ذاك اثرا سيئا من حيث شل حركة الرجال الاحرار لما كانوا يضعونه عليهم من مراقبة دقيقة .

ولم يقف بهم الامر عند هذا الحد بل زينوا لسلطان ان يزحف برجاله نحو الكسوة في صباح الثالث والعشرين من اغسطس بحيث يزحف الزعيم ايضا من دمشق والمجاهدين الكرام للقاء السلطان واخوانه فيباغت الكل عاصمة الامويين ويحتلونها بالاشتراك معهم .

تم ذلك وبيت عليه هؤلاء في السابع عشر من اغسطس فلم يبلغ الوطنيين امره الا في العشرين من الشهر المذكور وعلى هذا المعدل لا يكون قد بقي لانفاذ الخطة الا يومان وليس من المستحسن والحكمة ان يقدم احد ابراز ذلك لحيز العمل بمثل هذه السرعة ومع ذلك فقد بذلت جهود عظمى من اجل تحقيق ما ارادوه وعقدت اجتماعات اخصها الاجتماع الذي انعقد بدار الحاج عثمان الشراباتي بحضور الزعيم واخوانه المجاهدين الاكرمين جميل مردم ونسيب البكري وحسن الحكيم واتخذت مقررات خطيرة عملية من اجل تامين انفاذ الخطة التي رسمت .

بعد ايام ثلاثة كان الزعيم في طريقه الى الجبل فبات في قرية حوش المتبن يصحبه السادة اميراللواءيحيىحياتي ونزيهالمؤيد وجميلمردموكانعلىماعلم انه هنالك رجالا واستعدادا لاتمام العمل فلم يجد مما ذكر له شيئا فتألم لذلك وعاد مع فجر اليوم التالي الى بلودان ومن هناك الى دمشق وفيها يمم وجهته الى الغوطة حيث التقى في حوش المتبن باخوانه جميل مردم وسعد الدين ونزيه آل المؤيد وقد قصدوا الجبل جميعا فاجتمعوا في ٢٥ اغسطس بسلطان واخوانه في قرية كفر اللحا واجمع الكل على العمل معا وقد اقسم الجميع على ان لا ينفرد بمعالجة الفرنسيين احد لا من جبل الدروز ولا من دمشق .

مطاردة حزب الشعب :

نمي الى الفرنسيين ان الذين عرقلوا صلح الجبل رجال من الاقليم السوري الابرار فأصدر المفوض السامي بتاريخ ٢٦ اغسطس قرارا باعتقال الهيئة الادارية لحزب الشعب ومصادرة اوراقه واغلاق مكتبه فالقي القبض على كل من السادة : فوزي الغزي وفارس الخوري واحسان الشريف وعبد المجيد

الطباخ من رجال الهيئة الادارية وابعدتهم السلطة الى ارواد وفي اليوم الثاني اعتقلت كلا من توفيق شامية وعثمان الشراباتي وعمر الطيبي وابعدتهم الى الحسجة اما حسن الحكيم وسعيد حيدر فقد استطاعا ان يفرا الى زحلة وان يغادراها متنكرين وان ينضما الى اخوانهما في الجبل الذين كان في مقدمتهم نسيب وفوزي واسعد آل البكري حيث يتذاكر الكل بما ينبغي ان يفعلوه .

كتاب الزعيم الشهبندر الى وزارة فرنسا الخارجية :

لقد رأينا ان نأتي على ذكر الكتاب الذي بعث به الزعيم الى وزارة فرنسا الخارجية لما له من القيمة السياسية والحنكة والمرونة وها هو تعريبه بنصه:

« اتشرف بان ابسط لسعادتكم اسباب الثورة التي نشبت اخيرا في جبل الدروز والنتائج المنتظرة منها والحالة الحاضرة في سائر انحاء سورية :

بعد وفاة سليم باشا الاطرش في سنة ١٩٢٣ عين المندوب السامي الفرنسي الكبتين كاربيه حاكما على الجبل خلافا للاتفاق المبرم مع الدروز وهذا الموظف الذي اشتهر بسوء السيرة في حياته الخاصة والعامة واعتمد على فريق من الموظفين الذين فسدت اخلاقهم نهج في الجبل سياسة الارهاب والافساد فبدلا من ان يدير شؤون البلاد عمد الى دس الدسائس وهذه مقتطفات من وثيقة طويلة قدمت رسميا الى الجنرال ساري في ٦ حزيران سنة ١٩٢٥ عن اعمال الكابتين كاربيه :

١ ــ كان عدد من رجال الجندرمة المسلحين بالعصي مخصصين لاهانة الناس وضربهم تنفيذا لرغائب الكابتين كاربيه ورجال حاشيته بدلا من ان يقوموا بالواجبات المفروضة عليهم .

٢ ــ اعتقل حامد قرقوط من اعيان قرية ذيبين مدة خمسة اشهر من دون سبب ولا محاكمة وكان يهان ويضرب في الصباح والمساء لاقل وشاية

من احد الجواسيس .

٣ ــ جلد المدعو حسين كابول من قرية رعية اللحف حتى مزق لحمه لأنه اهمل ان يحيي الكابورال دي بوشيل في اثناء مروره على الطريق العام .

٤ ــ نصب المدعو ساسي الذي كان يشغل وظيفتين وظيفة جاسوس ووظيفة في المستشفى شركا لاغراء بعض النساء الدرزيات وقد حاول جاره المدعو حسين مرشد ان ينصحه في العدول عن هذا المشروع الذي كان يحتمل ان يؤدي الى نتائج مؤلمة ولكن هذه النصيحة سببت شقائه لان ساسي شكا الى الليوتنال موريل الذي اعتقله مدة عشرة ايام كان يجلد في خلالها في الصباح وعند الظهر وفي المساء ويكره على ان يقضي نهاره مكشوف الراس حافي القدمين في تكسير الحجارة وينام الليل في مخزن للفحم .

٥ ــ اعتقل المدعو وهبه العشموش وضرب ضربا مبرحا في السويداء لانه رفض ان يؤجر منزله .

٦ ــ اطلق الكابورال دي بوشيل عدة طلقات من مسدسه على محمد الحلبي مدير العدلية العام ولم ينل اي عقاب على عمله الجنائي هذا .

٧ ــ اعتقل المدعو حسين صديق خمسة عشر يوما لانه لم يذهب الى استقبال الكابتين كاربيه وفرضت غرامة على القرية قدرها ٢٥ جنيها ذهبيا لانها لم تستقبله استقبالا فخما وقد فرضت مثل هذه الغرامة على قرية عرمان لنسبب نفسه .

٨ ــ اعتقل فهد بك الاطرش قائمقام صلخد وضرب ضربا مبرحا دون تحقيق بناء على وشاية بسيطة من احد الجواسيس .

٩ ــ فرضت غرامة على سكان السويداء قدرها عشر جنيهات لضياع قطة الليوتنان موريل .

فهذه الحوادث وامثالها والافتئات على حقوق البلاد كل ذلك حمل الاهلين

على الثورة ويخطيء من يعتقد ان الوطنيين وحدهم هم الذين اثاروا حركة الاحتجاج هذه فان المعتدلين انضموا اليهم وقد الف وفد ذهب لبث شكواه وتقديم عريضة تتضمن راي الجبل ومطالبه .

ورفض الجنرال ساراي قبول هذا الوفد رفضا فيه كل معاني الاحتقار والتهديد فزاد بعمله هذا غير المنتظر هياج الافكار الناشيء عن ادارة الكابتين كاربيه ولم تقتصر السلطة على الاحتقار والتهديد بل جردت على الجبل الهاديء المسالم حتى تلك الساعة قوة قوامها بضع مئات من الجند بقيادة القومندان توما مارتان الذي اسديت اليه نصائح كثيرة في العدول عن سياسة الشدة ومعالجة المشكلة باللطف واللين ولكنه لم يرد ان يستمع شيئا وقد استهل عمله باعتقال عدد من الزعماء تمكن من اعتقالهم لقربهم منه وارسلهم الى المنفى ثم وجه قسما من قوته للقبض على زعماء آخرين وكان ذلك فاتحة الثورة اذ لم يبق احد منا امينا على حياته وممتلكاته ولكن هذه القوة ابيدت في الكفر يوم ٢٢ تموز سنة ١٩٢٥ قبل ان تحقق امنيتها ولم تشأ السلطة ان تعد هذا العمل انذارا كافيا بل واصلت مغامراتها التي انتهت بنكبة المزرعة في ٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ وبتاريخ ٣ منه على الرغم من النصائح التي أسديت الى ولاة الامور وكانت نتيجة هذه السياسة ابادة بضعة آلاف من الجنود الفرنسيين المساكين ولا تزال القوات الفرنسية تصادف الصعوبات عينها حتى يومنا هذا.

ولا تزال الثورة التي نشبت في جبل الدروز تتسع نطاقا حتى اوشكت ان تعم سورية كلها وهذه نتيجة لازمة لسياسة الضغط والارهاق التي وضع اساسها الجنرال غورو وسار عليها خلفاؤه من بعده اما قواعد هذه السياسة فهي :

١ ــ جمع كل انواع السلطة في يد المفوض السامي .

٢ ــ خنق كل الافكار الحرة .

٣ ــ استغلال البلاد واهلها من غير ابقاء على شيء .

وقد اعتزلت العناصر الوطنية المتنورة العمل ردحا من الزمن متوقعة فشل هذه السياسة من جهة وانتهاج طريق اخرى تكفل للبلاد حقوقها وتحقق الآمال التي أعربت عنها بلسان الجماعات التي فوضتها من جهة أخرى .

على انه لم يطرا اي تعديل جوهري مع ان النتائج جاءت سيئة جدا وكانت البلاد التي بدات تنتعش بعد الحرب قد وقعت في ازمة اقتصادية ومالية لامثيل لها فلم تفعل الحكومة شيئا لتخفيف هذه الازمة بل وجهت كل مساعيها لاستغلال دافعي الضرائب بفرض رسوم وضرائب جديدة وحسب القارىء ان يلقي نظرة اجمالية على احوال التجارة والصناعة والزراعة ليدرك حقيقة الازمة الاقتصادية والمالية التي عانتها البلاد بين سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢٥ . فان الثروة العامة نقصت نقصا عظيما بينما كانت الضرائب تزداد على نسبة اعظم وقد اتضحت الغاية المنشودة حينئذ وهي اقناع البرلمان والحكومة في فرنسا واقناع العالم كله بان سورية اخذت تثري وان الدليل على ثروتها كثرة الضرائب المفروضة عليها .

واذا صرفنا النظر عن الحالة السياسية ونظرنا الى الحالة الاقتصادية لم نرها احسن منها لان المفوض السامي ظل مصدرا لجميع انواع السلطات من تشريعية وتنفيذية وقضائية ولم يكن للمجالس التمثيلية التي منحوها البلاد في سنة ١٩٢٣ اقل سلطة وقد اصبحت الحكومة المحلية شبحا يمثل المفوض السامي اكثر مما يمثل البلاد .

. واشتد الاستياء واصبح عاما فقامت البلاد غير مرة تحتج على هذه الحالة التي كانت تسير عليها الى الفوضى التي هي فيها الآن وقد افهم ولاة الامور ان طريق الحل الوحيد هو تامين سياسة سورية بانتخاب مجلس تاسيسي ينظم دستور البلاد ويضع اساس علاقاتها الودية مع المحافظة على حقوق :

سورية ومصالح فرنسة في وقت واحد على ان يكون هذا الانتخاب حرا ولكن هذه الرغائب لم ترق الموظفين الذين تعودوا ارضاء شهواتهم من دون مراقبة ولا مسؤولية فان بعض كبار الموظفين الفرنسيين وجدوا في البلاد خدما مخلصين فألفوا معهم شركة لاستغلال السكان على حساب فرنسا وسورية العربية استغلالا يجنون كل فائدته لانفسهم وقد صادفت هذه الشركة نجاحا عجيبا في جميع مشروعاتها الخاصة وهكذا اذن تتحققون ان قمتم بتحقيق دقيق ان كثيرين من هؤلاء الموظفين جمعوا ثروات طائلة وتركوا في البلاد آثارا من مساوئهم وفضائحهم لا يمكن تصديقها وان الكابتين كاربيه وحمدي الجلاد الذي بقي مديرا للبوليس العام في سورية مدة اربع سنوات ونصف سنة هما في سورية من اكبر الشواهد على ذلك .

ولما تحقق الوطنيون السوريون ان الحالة تسير من سيء الى اسوأ قرروا تاليف حزب باسم حزب الشعب فافرغت السلطة قصارى جهدها لمنعهم من ذلك ولم يحصلوا الا بعد جهد جهيد على ترخيص الحكومة لهم بالاجتماع في شهر ايار سنة سنة ١٩٢٥

والتف اكثرية سكان البلاد حول هذا الحزب كما ثبت للمسيو اوكست برونيه في اثناء قيامه بالمهمة التي انيطت به في الاقليم السوري في شهر تموز سنة ١٩٢٥ وقد سار هذا الحزب على الطريق المشروعة لتحقيق الاماني الوطنية وحاول ان يقنع الجنرال ساراي وكبار الموظفين الفرنسيين بأن الوطنيين السوريين ليسوا اعداء لفرنسا ولكنهم يريدون خدمة بلادهم بتأمين حريتها وحقوقها المهضومة واقامة نظام وطيد فيها على قاعدة الاماني الوطنية لا المنازعات الطائفية التي لا تزال تسير بها حتى الآن الى الخراب والدمار

وحاولت الحكومة المحلية ومن ورائها كبار الموظفين في المفوضية السامية غير مرة ان يخنقوا معارضة «حزب الشعب» لاسباب خاصة ولما نشبت ثورة الدروز للاسباب التي بسطتها آنفا تمكنت السلطة من انتهاز الفرصة للانتقام من حزب تألف لتحقيق برنامجه بالوسائل المشروعة .

وقد قبض على كثيرين من اعضاء حزب الشعب وابعدوا بلا سبب الى جزيرة ارواد حيث عوملوا أسوأ معاملة وتمكن آخرون من الفرار قبل فوات الآوان وضاعف هذا العمل الفجائي غير المعقول الصعوبات القائمة في البلاد وكان انذارا بالجلاء وكانت السلطة بالتجائها الى مثل هذه الاعمال القاسية غير المشروعة قد اهاجت سخط الاهالي الناقمين واقنعت اكثرية الوطنيين السوريين بأن الوسائل السلمية المشروعة لا تؤدي في حال ما الى تحقيق آمال شعب من الشعوب وان دعاة الوسائل السلمية يكونون دائما ضحايا القوانين التي يريدون احترامها وهكذا اخذت بؤرة الاضطراب تتسع بالتدريج ولا يعلم احد ما ذا يحدث في الغد اذا لم تبذل المساعي لمعالجة المشكلة بالحكمة والعدل وارى من واجبي ان اقول قبل ان اختم هذا الكتاب :

ان فرنسا لم تحافظ على نفوذها في هذه البقعة من بقاع الشرق بقوة السلاح وانما تستطيع ان تفعل ذلك باتهاجها سياسة المسالمة واعترافها بحقوق سورية المشروعة واستطيع ان اؤكد لكم ان اكثرية الشعب السوري العربي على استعداد للتفاهم مع فرنسا على قاعدة سيادة سورية القومية مع المحافظة على مصالح الفرنسيين وتفضلوا في الختام بقبول فائق احترامي .

((الدكتور شهبندر))

التأهب لمباغتة دمشق :

دب نار الحماس في بني معروف بصورة لم يسبق لها مثيل الى ان كان يوم واقعة ميشو وقد كان لوجود الزعيم ورجال الشام المجاهدين بين اخوانهم رجال الجبل الاشم اكبر باعث لروح الحماس والنشاط والغيرة .

فقد اجتمع الزعيم ونزيه المؤيد والمرحومان سعد الدين المؤيد وحسن تحسين بالسلطان في قرية كفر اللحا في اواخر اغسطس سنة ١٩٢٥ على ان

المجاهد الكبير نسيب البكري والقائد العظيم يحيى حياتي قد سبقوا رفاقهم الى قرية عرى .

اتى دروز الاقليم الى كفر اللحا البواسل يتبارون لاظهار شعورهم الحي وعواطفهم الصادقة والتحفز نحو الثورة والحرب وكانوا كأتون يغطيه الرماد مترقبا قليلا من هواء ينسف عنه ما يغطيه .

كان اول ما قام به مجاهدوا الشام الابرار غب وصولهم الجبل حشد الجماهير لاحتلال دمشق اذ ان الحملة التي وعد بتجهيزها السلطان لاجل هذه الغاية كانت ضئيلة العدد جدا وعندما التقت مع الفرنسيين قرب جبل المانع في ٢٢ اغسطس سنة ١٩٢٥ لم تستطع الثبات تحت قنابل الطائرات التي كانت تصليها النار تباعا هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فقد وضعت الاسلاك الشائكة ونصبت الرشاشات وحشدت القوى في دمشق وحواليها مما اضطر بني معروف للعودة الى الجبل .

اخذ الرجال الاحرار يسعون جهدهم في الاسبوع الاول من ايلول سنة ١٩٢٥ لتطبيق خطة الهجوم على الشام بقيادة القائد الحربي يحيى حياتي فارتأى حشد خمسمئة فارس تنقسم على خمسة اقسام كل مئة لوحدها فيدخل دمشق من نواح متعددة غير انه لم يكن ليجتمع لدى السلطان ذلك العدد المطلوب وعندها ولى هذا القائد الحكيم وجهه شطر راي آخر .

لقد اشترك مع الابطال المجاهدين في الجبل كل من البطل حسن الخراط الذي كان له ذكر محمود وعمل مبرور في نواحي غوطة دمشق والمرحوم مرحان ابو تركي الديري الباسل والشيخ محمد حجاز وحسن الحكيم وسعيد حيدر .

أم الجبل ايضا كل من المجاهدين ابراهيم وجميل البك وعبد القادر القواص وبشير الهندي وغيرهم .

بينا كانت الزعماء تفكر بمهاجمة الشام كان الجنرال غاملان يؤلف حملة كبرى فيحشد الجند على طول الخط بين محطة قنوات وحوران فارتات القيادة العامة للوطنيين ان تولي وجهها نحو هذا الجند فذهب الزعيم الى قرية عرى كي يتداول في هذا الامر مع بقية القرى .

بلاغـــات السلطـــان :

اذاع السلطان في ٢٣ اغسطس سنة ١٩٢٥ النداء التالي : يحض بـــه ابناء الاقليم السوري على حمل السلاح :

– ١ –

الى السلاح الى السلاح :

يا احفـاد العرب الامجاد هذا يوم ينفع المجاهدين جهادهم والعاملين في سبيل الحرية والاستقلال عملهم هذا يوم انتباه الامم والشعوب فلننهض من رقادنا ولنبدد ظلام التحكم الاجنبي عن سماء بلادنا لقد مضى علينا عشرات السنين ونحن نجاهد في سبيل الحرية والاستقلال فلنستأنف جهادنا المشروع بالسيف بعد ان سكت القلم ولا يضيع حق وراءه مطالب .

ايها السوريون لقد اثبتت التجارب ان الحق يؤخذ ولا يعطى فلنأخذ حقنا بحد السيوف ولنطلب الموت توهب لنا الحياة .

ايها العرب السوريون :

تذكروا اجدادكم وتاريخكم وشهداءكم وشرفكم القومي تذكروا ان يد الله

مع الجماعة وان ارادة الشعب من ارادة الله وان الامم المتحدة الناهضة لن تنالها يد البغي لقد نهب المستعمرون اموالنا واستأثروا بمنافع بلادنا واقاموا الحواجز الضارة بين وطننا الواحد وقسمونا الى شعوب وطوائف ودويلات وحالوا بيننا وبين حرية الدين والفكر والضمير وحرية التجارة والسفر حتى في بلادنا واقاليمنا .

الى السلاح ايها الوطنيون الى السلاح تحقيقا لاماني البلاد المقدسة الى السلاح تأييدا لسيادة الشعب وحرية الامة الى السلاح بعد ما سلب الاجنبي حقوقكم واستعبد بلادكم ونقض عهودكم ولم يحافظ على شرف الوعود الرسمية وتناسى الاماني القومية .

نحن نبرأ الى الله من مسؤولية سفك الدماء ونعتبر المستعمرين مسؤولين مباشرة عن الفتنة ياويح الظلم لقد وصلنا من الظلم الى ان نهان في عقر دارنا فنطلب استبدال حاكم اجنبي محروم من مزايا الانسانية بآخر من بني جلدته الغاصبين فلا يجاب طلبنا بل يطرد وفدنا كما تطرد النعاج .

الى السلاح ايها الوطنيون ولنغسل اهانة الامة بدم النجدة والبطولة ان حربنا اليوم هي حرب مقدسة ومطالبنا هي :

١ ـ وحدة البلاد السورية ساحلها وداخلها والاعتراف بدولة سورية عربية واحدة مستقلة استقلالا تاما .

٢ ـ قيام حكومة شعبية تجمع المجلس التأسيسي لوضع قانون اساسي على مبدأ سيادة الامة سيادة مطلقة .

٣ ـ سحب القوى المحتلة من البلاد السورية وتاليف جيش ملي لصيانة الامن .

٤ ـ تأييد مبدأ الثورة الفرنسية وحقوق الانسان في الحرية والمساواة والاخاء .

الى السلاح ولنكتب مطالبنا المشروعة هذه بدمائنا الطاهرة كما كتبها اجدادنا من قبلنا .

الى السلاح والله معنا والانسانية معنا ولتحيى سورية حرة مستقلة

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام،

منشور عام الى اخواننا السوريين :

باسم الوطن السوري المقدس وباسم استقلاله المبارك احييكم واحيي فيكم العروبة الصادقة والانفة القومية واستصرخ منكم امة عربية مشت على مناكب الدهر محمية الذمار ما حملت عارا ولا كان بحماها قرار واستنفركم لحومة الجهاد الوطني يا خير من حمى الوطن وكنتم عنه ذادة ابطالا ونفرتم الى موطن الشرف القومي خفافا وثقالا وانادیكم من معاقل الجبل المنيع وهو داركم وسلاحكم وحرزكم وملاذكم ان هبوا الى المنافحة عن اوطانكم اوطان ابائكم واجدادكم وحطموا اغلال الاستعمار في دياركم فقد هبت رياحكم فاغتنموها ودرت ضروع ايامكم فاحلبوها :

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

وفي الشر نجاة حين لاينجيك احسان

اما بعد ايها المواطنون العرب : ان ثورتنا الدموية هذه هي بعروتها وزرها ثروة القائم لتحرير البلاد من المغتصبين المستعمرين هي ثورة سورية بعيدة المدى شريفة الغاية نصابها النفوس والارواح والسلاح والعزمات الصادقات خالصة لوجه الاستقلال العربي ففي سبيل استقلال بلادنا السورية حياة الاعزة نحيا وفي هذا السبيل موت الكرام نموت .

لقد اوقدنا نار هذه الثورة الاستقلالية بعد ان رزحت البلاد تحت كابوس الاستعمار اعواما خمسة ثقالا ولسنا بتاركين من ايدينا سلاحا ولا باغين من الفرنسيين سلما ولا اصطلاحا حتى نبلغ بحد الحسام تمام المراد وهو تخليص كامل البلاد السورية العزيزة من احتلال المحتلين ونحن على مثل اليقين ان الوصول الى هذه الغاية من السهل المستطاع ولا سيما وهي الغاية التي تفديها الامة بما عز لديها وهان ولذلك ادعو سائر البلاد السورية ساحلا وداخلا سهلا وجبلا لقدح زناد الثورة العامة في وجه الفرنسيين فمن اجاب هذه الدعوة الوطنية وسارع الى القيام بهذا الواجب فهو العربي المخلص الامين ومن تقاعس عن ذلك فهو الخائن لامته وبلاده وسيلقى جزاء الخائنين .

فهيا ايها العرب الاماجد اهل النجدة والنخوة وحدوا مساعيكم وتعاقدوا بقلوبكم وتقلدوا سلاحكم وانشروا ألويتكم واركبوا خيولكم وصابحوا العدو الجائس خلال دياركم ببارود الثورة وخذوا عليه الطرق وارصدوا له في المكامن وقطعوا الاسلاك وانسفوا الجسور واهبطوا على مخافره في كل مكان واقتلوه حيث ثقفتموه واغنموا سلاحه واعتاده وكونوا عليه جميعا يدا واحدة واصبروا في القتال والجلاد ان الله مع الصابرين لقد جاء اليوم الذي جاد الدهر به علينا لتنجية بلادنا بلاد اولادنا واحفادنا من بعدنا من العدو الذي كفى ما انزل بالبلاد من شر وخسارة وبوار تجارة وارهاق وتعذيب وقتل وتغريب وهو اليوم في بلادنا اضعف منه غدا واقل سلاحا وجندا فقد توالت بميادين المغرب هزماته ونكست فيها اعلامه وراياته وهو اليوم في الوطن السوري على حال ارق من الخيال واقرب ما يكون الى الزوال ودوام الحال من المحال فسارعوا الى يومكم فهذا هو اليوم وهذا هو المجال فالثورة العامة منجاة البلاد والعباد من الاستعباد وقد بلغنا الى الآن من هذه الثورة العربية مبلغا عظيما محفوفا بالنصر مؤيدا بالظفر فطردنا الفرنسيين من ديار الجبل وجواره ونجد لدركهم في مفرهم ومحو آثارهم وقد كان لنا معهم معارك

دموية ما الكلام عنها بمثل العيان فقتلنا جند العدو تقتيلا وغنمنا اسلحته وذخائره واسرنا ضباطه وقواده واسقطنا من اعالي الجو طياراته وافترسنا بالفوارس العربية دباباته واعلنا الحكومة العربية الموقتة لتقوم بتدبير البلاد ريثما يتم طرد العدو فيجتمع اذ ذاك مجلس تاسيسي ليعين شكل الحكومة الذي تختاره الامة ورفعنا العلم العربي المربع الالوان على السويداء قاعدة الجبل وفي السويداء رجال . واقمنا الحكم ووطدنا الامور والآمال بقوة من المولى المتعال وها قد اجمعنا امرنا واعددنا عدتنا وواصلنا الزحف على قوات العدو في كل جهة هو فيها حتى نأتي عليه فلا نذره الا اثرا بعد عين وهلنا بلاغنا الى جميع الموظفين على اختلاف درجاتهم ومراتبهم ان يكونوا امناء على وظائفهم واعمالهم على شريطة ان يعاونوا السلطة المحتلة معاونة قلت في جمع ضرائب ولا تجنيد ولا سوق عسكري ولا في اي خدمة تكون للعدو نوعا من المدد والعون فمن اقدم من اصحاب الوظائف الملكية اوالعسكرية على هذا عد خائنا للبلاد يعاقب عقاب الخيانة الكبرى ثم يجب على اولي الامر بذل الجهد فلا يدعوا في هذه الآونة العصيبة التي تجتازها البلاد في حريق النار والدم مجالا لوقوع الاعتداءات فيجب صيانة الاموال والنفوس ورعاية المصالح والمحافظة على الاقليات وتظل القوانين الحالية سارية مرعية الحرمية ومن يجسر على ارتكاب الخيانة للبلاد وللثورة يحاكم عسكريا . فالى اليوم الذي لاح صبحه وفيه تتحرر البلاد السورية العربية يا اباة الضيم وعياف الذل الى اليوم الذي تتوحد فيه البلاد مستردة استقلالها المسلوب .

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

* * *

الاستقلال يؤخذ ولا يعطى

الحرية والمساواة والاخاء

يا بني الوطن :

لا تنافس في الاهواء ولا خصومات ولا احقاد طائفية بعد اليوم انما نحن امة عربية سورية امة مستضعفة قوية في الحق قد اتجهت الى المطالبة بحقها المهتضم امة عظيمة التاريخ نبيلة المقاصد قد نهضت تريد الحياة والحياة حق طبيعي وشرعي لكل الامم قد قسمها الاستعمار الاجنبي فوحدتها مباديء حقوق الانسان واعلام الحرية والمساواة والاخاء نعم ليس هناك درزي وسني وعلوي وشيعي ومسيحي ليس هناك الا ابناء امة واحدة ولغة واحدة وتقاليد واحدة ومصالح واحدة ليس هناك الا عرب سوريون .

يا بني الوطن :

ليس لكم بعد الآن على اختلاف المذاهب والفئات الا عدو واحد هو الحكم العسكري الجائر والاستعمار الاجنبي فانفروا الى انقاذ البلاد من اوضاعها السيئة وارفعوا علم الاتحاد والتضامن والتضحية ان حركتنا اليوم هي حركة مقدسة غرضها المطالبة بالحرية والاستقلال وضمان حقوق البلاد على مبدا سياسة الامة فليتحد الدرزي والسني والعلوي والشيعي والمسيحي اتحادا وثيقا وليؤلف بين قلوبنا الاخاء القومي ومحبة الوطن ولتكن ارادتنا ارادة حديدية واحدة .

ان قائد جيوش الثورة الوطنية السورية المقدسة يطلب الى كل العرب السوريين :

١ ـ اعلان الاخاء الوطني بين كافة الطوائف .

٢ ـ قيام الاحياء ـ الحارات ـ في كل مدينة بصيانة الامن الداخلي كل بحسب جهته عند دخول جيوش الثورة الوطنية وانهزام المستعمرين .

٣ ـ تاليف دوريات ومخافر وطنية يمشي على راسها الزعماء المخلصون المحترمون من الامة لتأسيس الاتصال الداخلي لحفظ الامن وصيانة الاموال ومنع التعدي .

٤ ـ ارسال قوة محلية من المتطوعين الى خارج المدينة او القرية لاستقبال كتائب الثوار الوطنيين بالاهازيج الحماسية عند وصولهم باعتبار جميع الامة جيشا واحدا لهذه الثورة المقدسة .

هذه هي التعليمات التي يجب ان يتبعها الشعب العربي السوري في المدن والقرى تأييدا للاخوة القومية والثورة الوطنية : ولتحيا سورية حرة مستقلة .

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

ـ ٤ ـ

القت الطائرات الفرنسية في ٢١ اغسطس سنة ١٩٢٥ رسالة موقعة من الكابتين رينو اجاب عليها السلطان بما يأتي :

تتهمنا الرسالة اننا لم نف بالوعد بقولها اننا استسلمنا للنفوذ الاجنبي فقبلنا في منطقتنا عصابات مسلحة وشاركناها بالهجوم على دمشق اننا لا

نسمح لأي نفوذ اجنبي مهما كان نوعه ان يمتد الى منطقتنا لاننا من طلاب الاستقلال وطلب الاستقلال لا يتفق بوجه من الوجوه مع طلب النفوذ الاجنبي واذا عبرت منطقتنا بعض العصابات المسلحة فانما هي عصابات ابناء عمنا سمعت بالضيم المشين الذي اصابنا من امثال الكابتين كاربيه فخفت لمساعدتنا وهي عادات العرب تنفر لرفع الضيم عن ذويها منذ الوف السنين واما كون الدمشقيين الذين هم اكبر انصار الحرية والاستقلال هزاوا بنا وانسلخوا عنا فهو كلام الواشي الذي يريد القاء بذور الشقاق بين افراد الاسرة الواحدة. تتهمنا الرسالة بالابطاء والمطالة وهي تهمة خالية من البراهين لان كل من عرف احوال الجبل ووعورة مسالكه وصعوبة مواصلاته يدرك تعذر انجاز الاتفاقات بالسرعة الواجبة واما اطلاق النار على الطيارات فليس بالامر الغريب لان اولادنا الذين لهم شغف بالرماية لا يملكون نفوسهم عن الرمي حين يرون. مثل هذه الآلات الغدارة التي جعلت اسم المدنية الحديثة هزءا وسخرية. تحلق في سماء الجبل الآمن — ثم — ان شتم العيال الذين جاءوا لدفن الموتى. في ساحة القتال هو امر لا نعلم منه شيئا بل نحن بالعكس من ذلك مستعدون. في كل آن لتسهيل دفن هؤلاء المساكين الذين ذهبوا في سبيل المطامع. الاستعمارية وذكرت الرسالة تخريب خط الهاتف بين بصرى واذرع ومهاجمة محطة خربة الغزالة ان تخريب خط الهاتف ليس بمستغرب بل بقاؤه في بلاد تلاشت السلطة منها هو من الغرابة بمكان ونحن لم نأمر احدا قط ان يتعرض لخربة الغزالة او لغيرها واذا جرى شيء من ذلك فيكون على ايدي العصابات التي تسرح في طول تلك البلاد وعرضها .

وقالت الرسالة ان دولة فرنسا المعروفة في التاريخ بالانسانية والشرف. والرحمة مستعدة ان تعفو اننا نرد كلمة العفو ردا مطلقا لاننا طلاب عدل. وانصاف والذين طلبوا في باديء الامر تغيير موظف فرنسي بموظف فرنسي. آخر مكانته لا يستحقون كلمة العفو بل يستحقها الذين سببوا بما اسدوه من.

النصائح الطائشة للجنرال ساراي سفك هذه الدماء البريئة على جانبي الطرق المؤدية الى موقع المزرعة . ثم تذكر الرسالة رغبة كاتبها في حقن الدماء بين امتنا والامة الفرنسية وتسألنا هل لنا مصلحة حقيقية في دوام الحرب ؟ اننا من احرص الناس على السلم واكثرهم ما لم يكن لها مبرر شريف كالمبرر الذي الجأنا الى امتشاق الحسام بعدما طفح الكيل بل صرنا لا نحجم عن ان نمد يدنا الى من يمد لنا يده بعدما يعترف بحقوقنا الصريحة المشروعة المنشورة في بياناتنا وقد علمتنا الاختبارات الماضية ان العهود قصاصات من الورق تلقى تحت الارجل فهل تقدم لنا الضمانات الكافية يا ترى اذا نحن عاهدنا وعقدنا الاتفاقات التي تضمن مصلحة الطرفين اننا نطلب مثل هذه الضمانات على مذاكرات الصلح ومادام هذا الشك في الانفس فلا يتيسر الاطمئنان ولا تحصل الثقة المتبادلة فعلينا ان نواجه الحقائق كماهي ونستكشف الدواء الناجع للامراض الماضية التي ادت الى الحالة الحاضرة المؤسفة ان كل تدبير موقت سينتهي بالفشل ولا بد من وضع اسس ثابتة ترضي أهل البلاد ارضاء تاما من جهة ولا تضير دولة الجمهورية الفرنسية من جهة اخرى وهذا الامر لا يتعسر اذا كان وراءه حسن النية واعطاء الضمانات التي لا تحتمل شكا .

سلطان الاطرش

قائد جيوش الثورة الوطنية السورية العام

وقد طير السلطان في ٥ ايلول سنة ١٩٢٥ الى كل من الوزارة الايطالية والبريطانية ورئيس دار الندوة الفرنسية ووزير خارجية اميركا والى بعض الجرائد الاوروبية البرقيات التالية :

الدروز وعموم السوريين يقاسون اشد آلام الحكم العسكري الفردي والظلم الفرنسي منذ الاحتلال بصورة تهدد السلام دائما وتشعل نار الاحقاد

بين الشرق والغرب ان القوات الفرنسية التي تساق اليوم لخراب بلادنا وقتل الحرية ومبادىء حقوق الانسان تضرب النساء والاطفال والشيوخ والقرى الآمنة بقنابل طياراتها ظلما وبغيا وهذا ما يضطرنا للدفاع عن كياننا وشرفنا حتى الموت . نحمل رجال فرنسا وحدهم مسؤولية سفك الدماء البريئة تستنجد بالامم المتمدنة ان تبطل رق الشعوب بعد ان ابطلت رق الافراد .

– ٦ –

وقد اجاب في ٢١ ايلول على نشرة القت بها الطائرات بما يلي :

تناولنا اليوم دعوتكم الكريمة الى السلم مع القنابل المتفجرة من الطيارات فلم يزدنا هذا التناقض الغريب علما بالوضعية الحاضرة .

ان ما جاء فيها من التهديد المشرب بروح العطف يلفت الانظار لان الجيش الذي اقتحمت به سورية هو كطياراتكم من عادته عند سنوح الفرصة ان ينفذ صامتا خطط الفتح من غير التفات الى عويل الاطفال وبكاء الامهات .

تقولون قد اقتربت الساعة التي نعرف فيها قوى جيشكم ونتحمل فيها نتائج الثورة : ان انكار بسالة الجيش الفرنسي حينما كان يدافع في الحرب العامة عن كيان فرنسا وحريتها هو انكار الشمس في رابعة النهار ولكن الجيش القادم الى جبل الدروز لتامير الكابتين كاربيه ومن حذا حذوه وتأييد الاستعمار بافظع معانيه في امة آمنة كامتنا هو غير الجيش الفرنسي ومن انقض على خصومه في الكفر والمزرعة كما انقضضنا لا يأبى ان يتحمل نتائج الثورة تذكرون مضاء سلاحكم في معركة المسيفرة ولم تذكروا مضاء العزائم التي اغتنمت هذا السلاح في عقر استحكاماتكم وسحبت الخيول من ايدي اصحابها المقتولين في سبيل الفتح والاستعمار واذا كانت فرنسا كما تقولون لا تقاتل مدفوعة بعامل البغض بل تعاقب المجرمين بحسب جرمهم فثقوا اننا

لا نقاتل الا دفاعا عن الشرف القومي الذي عبث به موظفوكم والحرية التي ماتت تحت اقدامها رجال ثورتكم الباهرة اما مسألة المجرمين الذين سودوا وجه الانسانية بسيرتهم الخصوصية والعمومية وجعلوا اسم الانتداب عارا وشنارا فالاجدر ان نتركها الى يوم الحساب . تقولون ان الاشخاص من ذوي البصيرة الذين يتركون منذ الآن السلاح يكونون في مامن على حياتهم وان بين البصيرة وترك السلاح تناقضا ما كنا لندركه لو لم يكن له سابقة على عهد الحكومة الوطنية السورية لما آمنت بمواعيد اسلافكم فحلت جيشها في اواخر يوليو سنة ١٩٢٠ وحكم على زعمائها بالموت في اوائل اغسطس ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين وقبل الوقوع في مثل هذا الفخ عليكم ان تبيضوا الصفحات السود وتعيدوا الى الشرق حسن السمعة التي كنتم تتمتعون بها قبل ان تطأ اقدامكم هذا الوطن المقدس تدعوننا الى القاء السلاح وان نتقلد بدلا منه المحراث اننا ما حملنا السلاح الا دفاعا عن هذا المحراث الذي هو فخرنا اننا نريد ان نحمل المحراث لنحصد منه الخير لنا ولاولادنا ولكن اذا كانت ثمرة اتعابنا تذهب الى بطون رجال امثال من غرمونا آلاف القروش لفقدهرة في السويداء وصفعوا اشرافنا وخيارنا لاستنزاف اموالهم فان السلاح يكون خير ضامن لهذا المحراث اننا نرغب في السلم من صميم الفؤاد واذا آنسنا في خصومنا اليوم هذه الرغبة الاكيدة فاننا نمد اليهم ايدينا ولكن على الشروط التي اذعناها للملأ في منشورتنا السابقة .

وقائع الجبل والغوطة :

عقيب ما مر من الحوادث التي المعنا اليها اخذ الفرنسيون يعززون القوى في درعا واذرع ودمشق وكانوا يختصون المحطات في حوران في الشيء الكثير من معدات الدفاع حتى انهم اتوا بكل ما في الشمال من قوى ورجال .

بارح الجنرال سوله عاصمة الامويين صحبة الكابتين دوكوتيل كي يستطلع

اخبار الجند بين دمشق ودرعا ولكي يغمز من القناة حتى يرى مبلغ ما هنالك من قوى غير انه ماكان قارب قرية المرجانية حتى اعترض سبيله سد من الحجارة وضع خصيصا لقطع الطريق وما ان باشر السائق بازالتها حتى بدت كوكبة من الفرسان اصلت السيارة ومن فيها نارا حامية وامعنت في الفرار الا انها لم تكد تبلغ مرتفعا قصدته حتى ظهر امامها رجال آخرون اطلقوا عليها العيارات النارية فجرح الجنرال في فخذه الايمن والكابتين في ذراعه وفخذه واصيب السائق في كتفه ورغم ما اعترى هذا السائق فانه واصل السير حتى محطة المسمية حيث امتطى الجنرال القطار عائدا الى دمشق فاستدعت السلطة قوة دمرت القرية واعملت النار فيها مما ارغم السكان على الالتجاء الى الجبل .

الجنرال ميشو في باريز :

في ثالث ايلول سنة ١٩٢٥ استدعت وزارة الحربية الجنرال ميشو من سورية لاستطلاع تفاصيل الواقعة التي جرت له في الجبل الدرزي وارسلت مكانه الجنرال غاملان قائدا عاما للجيش الفرنسي في الشرق .

نحن لا ندين الفرنسيين من عندياتنا بل نعيد عليهم اقوال بعضهم لبعض حتى يعلموا اننا رواد حقائق في كل ما نقول ونكتب وليسمع الفرنسيون ما قاله المفوض السامي ساراي في مذكراته على الجنرال ميشو وهو : « لقد ارتكب اخطاء عدة وهو مثقل بالمسؤوليات فلو كان لديه فرق ثلاث كالتي كان يراسها المرشال ليوتي في المغرب الاقصى لبدل وجه الثورة ولكان الجنرال ميشو في عداد مشاهير قادة فرنسا » .

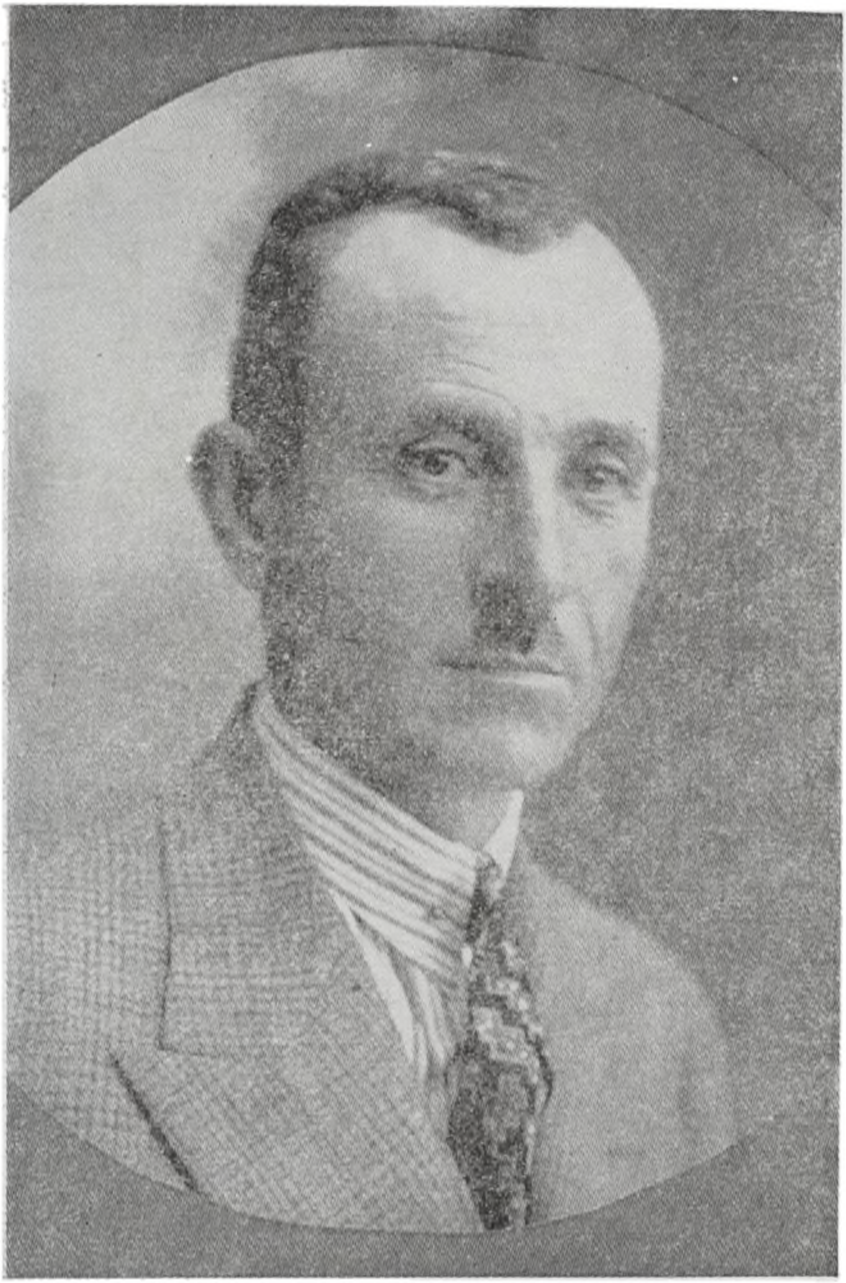
وصل الجنرال غاملان في الثالث عشر من ايلول سنة ١٩٢٥ ثغر الاقليم السوري بيروت يصحب معه قوى للزحف على السويداء كي يقضي على

الثـورة من ان يتـم الخرق على الراتق وقـد وصل دمشـق في الرابعـة عشر منه واستعرض الحامية وفي السادسة عشر من ايلول سنة ١٩٢٥ توجه نحو اذرع وقاد الحملة بنفسـه .

واقعـة المسيفرة :

ما كان الوطنيون الابرار بغافلين عن ما كان يقوم به الفرنسيون من خطط وبرامج للقضاء على الثورة بل كانوا على اتصال تام مع رجال أعدوا خصيصا لاطلاعهم ما خفي على الكثير من الناس وقد عقدوا اجتماعا في قرية عرى لبحث الحال والوضع فأجمع الراي بعد نقاش طويل على خطة اقترح بها المجاهد الكبير محمد عز الدين الحلبي وهي ان يباغت الجيش ابان زحفه في اهم نقطة يصل اليها وليس من نقطة احكم من قرية المسيفرة لانفاذ مابيت القوم عليه فاجتمع ما يناهز الخمسمئة من فرسان بني معروف الاشاوس لصدام عدد من الاعداء لا يقل عن الالفين وقد كان في هذه المعركة من ابناء الشمال نزيه المؤيد وسرحان ابو تركي الديري وقد رسم الوطنيون خطة مفادها الزحف على المسيفرة تحت جنح الظلام حتى يبلغوها قبل فجر السابع عشر من ايلول وبينا كانوا آخذين بالسري وكانوا يوصون بعضهم بعضا بالهدوء التام وعدم اثارة اية حركة توقظ حرس العدو واذ بواحد منهم وهو ابراهيم الاطرش يطلق عيارا ناريا في الفضاء مما دل على انه ممن لا ثقة به ولا اعتماد عليه وانه من صنائع الاعداء ومما دل على انه قد قصد ايقاظ الجند الفرنسي كي يعرقل حركة الوطنيين الاحرار في عمله هذا .

استيقظ الحرس قبل وصول المجاهدين بخمس دقائق على التقريب فاخذوا باطلاق الاسهم النارية في الفضاء لتبديد الظلماء وابتدات معركة شابت لها نواصي الاطفال لروعتها فقد صدق بنو معروف الابطال ما عاهدوا



المجاهد الكبير السيد نزيه المؤيد العظم

الله عليـــه وصمدوا صمود الرجال الرئابيل وناضلوا نضال المستميت واعملوا في الاعداء النار تـــارة والبيض الرقاق طـورا مما ارغم العدو على الانسحاب والالتجاء الى ما كانوا اقاموا من معاقل وحصون داخل القرية وقد احاطوا بها من كل نواحيها لما كان يرد عليهم من النجدات والامدادات . وقد التجأ الجند الى الخنادق الحربية المسلحة التي حمتهم من هجوم المجاهدين .

وما ان اشرقت الشـمـس حتى رأى المجاهدون الابرار ان قسما كبيرا منهم في نفس القرية وكان الجند ضمن دائرة احاطت بها الحصون الصغيرة مـن كل ناحية ومن وراء تلك المحصنات السيارات المصفحة لتحمي بني قومها من مهاجمـة الوطنيين وكـانت قذائف الفريقين تحول دون وصـول احد مـن الطرفين الى بئر كانت هناك كان هذا النصر الذي احرزه الوطنيون قد القـى الرعب في قلوب الاعداء وكـاد ان يكون له ما كان للعرب في واقعة بواتيـه الشهيرة غير ان انشغال الوطنيين بالغنائم واقتسام ما تركـه الجند من عتاد حال دون امكان متابعتهم فلول الجند المهزومـة والتي لو كانوا حولوا ابصارهم عن الغنائم ووجهوها نحو ملاحقة الاعداء ولكن كان شأنهم شـأن عرب الاندلس في انتصارهم بذاك التاريخ .

حلقت الطائرات في سماء مكـان الواقعـة فرأت جموع المجاهدين لاهية بالسلب والغنائم فامطرتهم وابلا من قنابلها شتت فيه شملهم فاضطر محاصروا القرية على الانسحاب كما اضطر الذين كانوا فيها من المواطنين على الانسحاب والتحصن في بيوتهم منتظرين ان يسدل الليل سدوله حتـى يخرجوا تحت جنح الظلام بما غنموه من معدات .

وان نذكر ابطال الوغى في هذه المعركة نرى كلا من شبيب القنطار وحمزة الدرويش وسليم هنيدي في مقدمة من ابلى البلاء الحسن وكانوا موضع التقدير والاعجاب ومما يجدر بالذكر ان كاد المجاهدون على ان ينفذ عتادهم في ابتداء



المجاهدين الابطال فضل الله البربور ، محمد البربور ، هايل البربور

المعركة وانهم في هذا النصر المبين استعاضوا عما فقدوه الشيء الكثير وبما غنموه استطاعوا مواصلة القتال سحابة اليوم .

وكان ممن سقط من الشهداء الابرار الشيخ سعيد الحلبي والشيخ سعيد الحناوي وكامل حاطوم وشحادة قرينة .

وقد قال نزيه المؤيد انه راى بام العين البطل المغوار محمد عز الدين الحلبي يشق النيران التي كانت تتساقط عليه من كل حدب وصوب لانقاذ من انقطع في القرية ولم يكن معه الا سبعة عشرة فارسا . خسر الفرنسيون في هذه المعركة الكبرى ما يربوا على اتسعمائة من الجنود اما العتادوالادوات الحربية التي فقدوها فلا تدخل تحت حصر ولا تحت حد ولا يتجاوز من فقد من المجاهدين الابرار المئتين ومما يؤسف له ويؤلم في هذه المعركة انها انجلت عن فقد بطلين عظيمين كان لهما الفضل الكبير في الظفر بهذه الواقعة هما يوسف الهنيدي وهاني الهنيدي من ثأرا لنفسهما من الاعداء قبل ان يخرا في ساحة الشرف والبطولة صرعى وكان موقف الفرنسيين من هذه المعركة عند المثل القائل « رمتني بدائها وانسلت » فهم قد اخذوا يقنعون الدروز بأنهم لم يربحوا المعركة وانهم هزموا شر هزيمة على ان الحقيقة والواقع يكذبان مايقولونه عن شعب بني معروف اعداءه والداؤه ولولا معركة السويداء التي حدثت في الخامس والعشرين من نيسان سنة ١٩٢٦ لكانت واقعة المسيفرة خاتمة الوقائع وآخر المعارك .

التضحية الحقيقية والشجاعة الفائقة :

« رساس » قرية من قرى الجبل الاشم لها شأنها في الشجاعة والبسالة والمعارك وكان حامي ذمارها ورافع لوائها اسرة آل حمزة الاكارم فكانت كلما دعا داعي القتال ينفر واحد من هذه العائلة الكريمة لحمل العلم والذود

عنه ففي واقعـة المـيفرة استقل واحد من ابناء رجل في الثمانين من عمره. من هذا البيت الكريم علم رساس وتقدم للمعركة وقلبـه على كفه وروحـه. تحوم فوق راسـه يقدم نحو الموت حتى ينال ما يتمناه منـه .

كان هذا الشيخ الجليل اخذ على نفسه السقاء ايام الوغى يوزع الماء من. وكاتين كلما اشتد الظما واستعر القتال فلما التحم الصدام بين الوطنيين. والاعداء كان في المقدمة حامل العلم احد ابناء الشيخ الاربعة وما ان استمات. هذا الشبل حتى نال مناه بالشهادة فانبرى اخوه يحمي العلم بدل اخيه الذي. خر شهيدا وظل يناضل وقد احتضن العلم ويدافع عن مجد رساس حتى. لحق باخيه للقاء ربه على ان الثالث لم يكن اقل شجاعة من اخويه ـ حماسة. وبسالة فانبرى كالسهم يتناول العلم ممن قضى نحبه وينكب على الاعداء. كي يثار لاخويه فقام بما تقتضيه واجب العروبة من قتال مستميت نال. في نهايته مناه من الشهادة فلم يبق من ابناء هذا العجوز الا الرابع فشاء. القوم ان يبقوا عليه فلا يدعوه ينفلت ممن حوله الى مكان الراية واخذها ولكن ابى عليه اباؤه ان يرى ابناء امه وابيه صرعى وهو حي فوق الثرى يتمشى فعاف الحياة واستعذب الموت والقى بنفسه على الاعداء يشبعهم من ذات قلبه وذات نفسه ما جعلهم يألمون اشد الالم منه وان يستهدفوه من. بين جميع الناس لما نالهم منه من ضيق وكرب فقاتل حتى قتل ولحق بمن. تقدمه من اخوته الشهداء الابرار اما الشيخ فقد كان نصيبه من هذه. المعركة شظية اصابته من طائرة القت حممها فناله من ضرها ما حمله. على ظهر بعير كي يأوي الى بيته وقد كان جاهلا ما حدث لاولاده وفلذات. اكباده فانحنت عليه زوجه العجوز واقتعدت منه مقعدا واستبطات اولادها وما كانت لتستبطاهم لولا انها املت بهم ان يحملوا عنها يسير من عبء. تمريض العجوز ومواساته وما كانت لتستبطاهم لولا ان المعركة كانت حامية. الوطيس وان من يتاخر في عودته يحسب لتأخره الف حساب لم يعقد.

الكرى في جفنها سنة من النوم حتى الصباح وكانت كمن يتلظى من الين الم الشفقة على العجوز الجريح والم انشغال البال على شباب اربع كانوا لها زهرة الدنيا وبسمة الفجر كل صباح قلقت وذعرت عندما افتر وجه الصباح ولم يفتر لابنائها ثغر ولم يحضر منهم احد فهلع قلبها واستطار لبها وقالت لا بد من سوء لفلذات الكبد وظلت بين يأس قاتل ورجاء ضئيل حتى شهقت شهقة تمددت على اثرها الى جانب والد ابنائها الذي كان قضى نحبه من تلك الشظية فحار القوم بأمرها واتوا الى بيت متعب الاطرش يزلفون اليه ان ياتي بالزعيم شهبندر عله ينقذها من بين مخالب الاغماء وبراثن الصعقة التي حلت بها فهب رجل الانسانية والوطنية الدكتور شهبندر على الاثر سريعا يلبي النداء واللهفة واتى هذه المراة فاذا هي جثة هامدة واذا بأطرافها قد يبست واذا بنور الوطنية المتلالىء ما يزال يشع ناصع البياض على جبهتها فلحقت ببعلها وبنيها الى دار خلد لا يعتريها عدم .

ففي سبيل الله يا اسرة آل حمزة وفي سبيل الوطن والعروبة ما ضحيتم وما بذلتم وما فديتم وما نلتم من شهادة سجلتموها في لوح التقادير بمداد الدماء . . .

المعامع والجبل :

بذل الجنرال غاملان اقصى ما لديه من جهد كي يزلزل القوة المعنوية في الجبل على اثر معركة المسيفرة وان يقنعهم كما ذكرنا بأنهم خسروا الحرب والحقيقة التي لا يمكن كتمانها انه نجح بما بذله من دعايات في هذا الصدد وان القوى المعنوية في بني معروف في السويداء لم تعد شيئا مذكورا .

مر بنا ان الحامية الفرنسية في البلد الاول من الجبل كانت في حصار شديد تؤتي اكلها بالطائرات التي كانت ترمي لها الجليد بدل الماء مصحوبة



ثلاثة من اشهر قادة الثورة السورية العربية
يتوسطهم المواطن العربي الاول فخامة السيد شكري القوتلي
والى يمينه المغفور له الزعيم الشهبندر والى يساره المجاهد السيد نسيب البكري

بالقوت والارزاق وهكذا استطاعت ان تصبر على القـذى وان تتمسك باهدابه الامـل حتى كان يوم ٢٤ ايلول سـنة ١٩٢٥ وفيـه دخـل الجنرال غاملان الـسويداء فازاح عمن كان محصورا الضيق والكرب والحصار .

تسقى السويداء من ماء يردها من ام صـاد وهي قريـة تبعد عن السويداء قليـلا لهذا عندما دخلت الحملة هذا البلد بعثت باربعين مغربيا من جنودها للماء المذكور كي يحموا حماه .

غير ان الثائرين قد انقضوا عليهم واسروهم واخـذوا باطلاق النار في الظلام مما ارهب الجنرال غاملان وارعبه وخشي ان تكون هنالك خطة حربية مدبرة لحصارهم في البلد اذ انـه كان يسمع الشيء الكثير عن عصابات في الغوطـة تحيط بدمشـق لهذا غادر الـسويداء خلسة صحبة تومي مارتان تاركا كل ثقيل من عتـاد وكل سلاح كبير وقـد بلغ الذعر بـه درجة ترك علـى النـار قدور الطعـام وذهب الى المـسيفرة يتخذها مركزا لاعماله العسكرية من جديـد .

بعد اسبوع من الحادثة التي لمحنا اليها زحف في ثاني تشرين الاول بقوة من المسيفرة قوامها آلاف من الجنود تعززها الدبابات والطيارات والمدافع الضخمة الى عرى وظلت زاحفة حتى شارفت المجيمز فصادفت هنالك شرذمة صغيرة من بني معروف ابدت من ضروب البسالة وصنوف الشجاعة مـا علم الفرنسي كيف يكون الصبر على المكـاره وكيف يمكن للفئة القليلـة ان تثبت امام الفئـة الكثيرة عندمـا تطلب الحتف وتتمنى المـوت وقد كانت معركـة تذكر لبى نداء ربـه فيها البطل المغوار نسيب الاطرش بعد ان ابلى في الاعـداء البلاء الحسن المشكور واما القائد المقدام سعيد العاص فقد اظهر من الفروسية والبسالة ما لايحد بحد ولا يقدر بوصف .

لم يكن عدد الثائرين كافيا لان يقوم بحركة التفاف يحيطون بها بالحملة لذلك رأوا ان اصول الحرب تقضي بترك الفرنسيين يتوغلون بين عرى والمجيمر حتى اذا ما بلغوا الوعور والهضاب في شرقيهما اعملوا فيها القتال وبدا يظفرون مهد الفرنسيون لانفسهم سبيل الحرب بما قذفوا به من قنابل المدافع وقذائف الطائرات وساروا فابتدا القتال بينهم وبين المجاهدين في صباح ٣ تشرين الاول وقد امتد الصدام بين الفريقين طويلا صد المجاهدون ميمنة الجيش الفرنسي في المجيمر فحولت السلطة وجهتها نحو تل الحبس فاحتلوها كما احتلوا عرى اما نبع عرى الذي لا يبعد عن القرية الا اربعة كيلو مترات شرقا فقد حمى الثوار منبعه فلم يستطع الجيش بلوغه .

ظل الثائرون يشغلون الجيش كل ليلة ٤ تشرين الاول بموالات اطلاق الرصاص على معسكر العدو من شمالي عرى وغربيها ومن المجيمر والوعور الغربية وفي الصباح الباكر تقدم فرسان الجيش لاحتلال النبع لما لمسوه من مسيس الحاجة الى الماء فصدهم المجاهدون عنه ولم يمكنوهم منه واخذت قوى الثوار تدنوا من عرى قادمة من الشمال والغرب فانجلى الجيش عن تل الحبس واخذوا يتجمعون في عرى واخذ جيشهم يمتد شرقا نحو رساس مجتنبا كل وعر من الاماكن ثم توجه نحو الشمال قليلا ليكون سيره في السهل الممتد بين رساس والسويداء وعندما بلغ الاولى دخلها بلا مقاومة قط اما المجاهدون فقد هاجموا ساقة الجيش وبعثوا بقوة للاستيلاء على عرى كي يقطعوا على العدو خط الرجعة فقتل قائد هذه القوة من بعد ان استولي على عرى ومن بعد ان غنمت رجال الثورة غنائم عديدة .

اما حمد الاطرش فقد استسلم للفرنسيين عندما احتلوا عرى ابقاء على داره واثاثه غير ان الثوار قد هدروا دمه ونزعوا منه الامارة ونادوا بالامير الحسن نجل يحيى الاطرش ان يحل محله فكان درس بليغ في الوطنية

شائق للدلك المستسلم ولغيره ممن تسول له بمثل فعاله النفس واحتل الفرنسيون رساس وقد اعملوا فيها القتل والتدمير وقطع الاشجار والفتك الذريع بصورة همجية وقد دمروا دار متعب الاطرش اما الثوار فقد صمدوا لهم وحالوا بينهم وبين بلوغ الهضاب القريبة منها خلا تل رساس الواقع في شرقهما الجنوبي .

عندما بلغ بالجيش الفرنسي الظمأ منتهاه وكان صباح خامس تشرين الاول راى ان يتوجه نحو كناكر لورود الماء غير ان الثوار كانوا للعدو بالمرصاد اذ وقفوا وحالوا دونه والماء وكان بين الثائرين البطل الامير حسن الاطرش قائدهم ويوسف الاطرش وشبيب القنطار وسعيد العاص وفؤاد وصياح الحمود حيث صمد هؤلاء الابطال بوجه الجيش الذي كان لا يقل عن الخمسمئة صمود الاسود الكواسر وقد قاموا بما تقتضيه الفنون الحربية خير قيام واعملوا بالفرنسيين الفتك الذريع والتقتيل المريع فاضطر الجنرال غاملان الى بث جنوده المشاة هناك لكن البطل الكبير حمد عامر لاقاهم في جهات تل الحديد ودامت الحرب بين الطرفين حتى العصر وقد مني العدو بخسائر فادحة في هذه المعركة وقد انسحب حمد العامر الى المزرعة حيث قضى ليلته وفي اليوم الثاني تابع الانسحاب الى المسيفرة وقد كان للاشاوس الرئابيل زيد الاطرش وفضل الله الهنيدي وحمزة الدرويش اكبر الفضل في الانتصار بهذه الوقائع غير ان الذي كدر هذا الظفر وعكره استشهاد الباسل حمد العامر وجرح البطل الكبير فضل الله الهنيدي .

على اثر ما رآه الجنرال غاملان من ابطال الوطنية والتضحية تراجع في صباح الثامن من تشرين الاول مع جيشه الى حوران تحميه المصفحات على الثرى والطائرات في السماء وظل في سيره من غير ان يعكر عليه الطريق معكر حتى بلغ قرية كناكر وهنالك انصبت نيران حامية عليه من مسافات

قصيرة ولا نبالغ اذا قلنا من مسافة لا تزيد عن ثلاثماية متر كما ان مدافع الثوار قد اصلته وجيشه قنابل عديدة مما اذعره وقد اشتبك القتال واستعر النضال اذ حملت عليه من الخلف ايضا قوة كبرى لا قبل له بها فانفسد عليه الامر وتبدلت الخطة ولم يعد بقادر على بلوغ بصرى اسكي شام كما كان مقررا فانقلب انسحابه الى هزيمة مخجلة واتجه الى الشمال فرصد له الثائرون في الطرق المؤدية الى اذرع وبصرى الحرير ومنعوه ايضا من كل طريق عدا طريق المزرعة فانتهى به السيار الى قرية التعلة حيث بقي ليلته فيها وقد بارحها في صباح ٩ منه متجها نحو الشمال فوصل ماء المزرعة بلا ان يقاومه احد ولكن عندما شاء ان يسلك السبيل الى بصرى الحرير الفاها مغلقة في وجهه والفى الثوار محدقة به من كل جانب وقد راى اما ان يتشجع فيشق الطريق من امامه او ان يعود الى التعلة فآثر ان يجرب الاولى ففعل ولكن الثائرين كانوا اشد منه مراسا اذ صدوه عما ابتغى فاضطر الى اختيار طريق التعلة حيث نظم فيها قواه وغادرها على جناح السرعة الى المسيفرة وبكر في الغداة الى درعا ثم قصد طفس ومما كان له التأثير الاكبر عليه والذي ارغمه على ان يعود عن الجبل اشتعال الثورة في حماه اذ خاف ان تكون هناك خطة عسكرية مدبرة غايتها القضاء على الجيش لهذا انسحب الى الشمال مسرعا تاركا الجبل .

واقعة الزور الاولى :

ما ان ارتفع صوت الثورة في الجبل ونشبت المعارك التي اتينا على وصفها فيه وحواليه حتى هب الكثيرون من جميع انحاء سورية وجهتهم نحو الجبل الاشم للانضمام الى صفوفها والقتال مع رجالها في سبيل الله والوطن لقد كان الى من ذكرنا من قبل كثير من الابطال المغاوير والقادة الاحرار مرتبة اسماؤهم



الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وصحبه المجاهدون الابطـال

على حروف الهجاء الامير عز الدين الجزائري ، امين رويحة ، آصف السفرجلاني ، ابراهيم صدقي ، ابو عمر خيتي ، بشير الهنداوي ، جميل البيك ، حسن الخراط ، سعيد العاص ، سرحان أبو تركي ، فؤاد سليم ، مصطفى وصفي ، محمد الاشمر ، محمد حجاز ، عبد القادر سكر ، ممدوح واصف وعبد الوهاب آل‌عمرباشا وآلاف غيرهم من الرئابيل الذين يشار اليهم بالبنان وعندما باشر الفرنسيون بالزحف على الجبل راى قواد الثورة وزعماؤها ان خير ما يقومون به هو توسيع نطاق الثورة حتى تتناول غوطة دمشق وجبل قلمون والمناطق الشمالية لتخفيف الضغط عن الجبل وعملا بهذا الرأي السديد غادر المجاهد الكبير نسيب البكري الجبل الاشم الى الصفا لتجنيد عربانها الفيات بقيادة خلف النعير حتى يزحف بهم لمقاتلة الاعداء وكان للسيد المجاهد البكري شان عظيم وتأثير كبير في موقفه من الفرنسيين كما ان حسن الخراط البطل الشهير قد بارح الجبل الدرزي الى الغوطة وكان قد اتى اليه مع آل البكري الاكارم .

هنالك في الغوطة قام هذا العصامي بأعظم الادوار التي يمثلها الوطنيون الابرار ثم انضم اليه كل من المجاهدين الابطال الذين ابلوا احسن البلاء في ميادين الجهاد والكفاح ابو عبده العشي وابو عبده ديب الشيخ وابو صلاح العرجا والسيد محمد الخطيب والشيخ نديم حيث الفوا عصابة رابطت من زور بالا على مقربة من دمشق .

فأرسلت السلطة الفرنسية قوة كبرى من الدرك السوري لقتال هؤلاء المجاهدين الابطال تحت قيادة الرئيس رفيق العظمة فاشتد القتال بين الاسود المجاهدين وبين رجال الدرك السوري بمعركة دعيت بواقعة الزور الاولى ابدى فيها المجاهدون الاحرار كل ما كانوا يملكون من شجاعة وحماسة وفنون في القتال اضطر على اثرها رجال الدرك للانهزام الذي لم يستطع ان يظفر به رئيس الدرك السيد العظمة حتى وقع اسيرا بين ايدي الثائرين المغاوير وقد غنم هؤلاء الابرار ٢٩ حصانا في هذه المعركة .



المجاهد الكبير الشيخ محمد الاشمر
وعلى يمينه السيد صالح عياش وعلى يساره السيد عيسى حنين

واقعـــة الزور الثانيـــة :

وقعت هذه المعركـــة في الســـابع عشر من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ وكان عدد الثائرين ٨٢ فارسا في مقدمتهم الابطال الاشاوس سعيد العاص والشيخ محمد الاشمر وصـــالح عياش وعيـــسى حنيـــن وخيـــر الدين اللبابيـــدي ومحمـــد الخطيـــب وفرحـــــان شرف ومحمد سلمان ويوســـف واســعد الشوفاني وعارف الدرزي وغيرهم ممن لم تتصل بنا اسماؤهم .

نمي الى هؤلاء الابطال ان الحرب قائمة على قدم وساق في الزور قرب المليحـــة وكـــان على رأسـها الفارس المقدام حسن الخراط مزكي نارها اقبـــل هؤلاء المجاهـــدون على مكـــان الواقعـــة في الزور فالتهب اديم المعركة وحمي وطيـــسها وتأزم الهول وتطايرت الرؤوس والاشلاء وانصبت نيران الرشاشات وانفجرت القنابل وتساقطت قذائف الطيارات حتى ان البطل الشهير سعيـــد العاص قال ما معنـــاه : « اتت الطيـارة تكشف مواقعنا فخشي الفرسان علـى خيولهم فعقلوها في قريـــة البلاط وقـــد بقيت الى فرحـــان شرف وسلمان ويوسف والملازم الطيار خير الدين اللبابيدي ثم تبعنا نفر من البدو عزل مـــن الســـلاح فرابطنا قرب العبارة وسرنا في طريق المليحة مسافـــة ٣٠٠ مـــتر حيث خططنا هنالك متاريـــس واخذنا نقارع العدو حتى الغروب وحتى اذا ما نفـــذ العتـــاد منـــا انسحبنا فانسحب امـــا الفارس الكبير محمد عز الدين فقد رابط في طريق جرمانا واتبع العـــدو واعمل فيـــه النار والسيف حتـــى اوصلـــه الى ابواب دمشـــق .

كان ممن لهم صوت مسموع وصدى مرفوع في هذه الواقعـــة وسجل في صفحـــة تاريخه آي الخلود البطل فرحان شرف من صمد صمود الشجعـــان الاكفياء في القتـــال وظـــل يقاتل حتى ظفر بالشهادة في الآخرة وبالذكر الدائم على المدى في الدنيـــا وجرح في هذه المعركـــة ابو علي طربوش الباسل امـــا



في الوسط المجاهد الكبير السيد نسيب البكري وعلى يساره المجاهدون
الابطال السادة ابو صلاح الشربجي وخضر دلول وابو محي‌الدين شعبان
وسعيد القلعجي وعلى يمينه سعيد العاص وعمر الترميني وخالد قلعجي

قتلاهــم وجرحاهم فقد املات اربعــة عشر ســيار بشهادة عبــد الحميد النابلــي احد رجال جيشــهم .

اما بواعث هذه المعركــة فهي ان الفرنســيين خرجوا لحصار البطل حسن الخراط وعصابتــه في الزور وكان عدد افراد هذه العصابة ٩٠ رجلا ناضلوا نضال الاشاوس وقاتلوا قتال الشجعان وابدى الاسد المغوار حسن الخراط في هذه المعمعــة ما لايحدث التاريخ بمثلــه ولا يــسمع انسان بنحوه وظــل كذلك يناضل ويكافح حتى جرح في كتفــه اما البطل الشاب منير الريس فقد ابلى بلاء حسنا وجاهد جهادا عنيفا مما سطر لــه التاريخ اسما مجيدا فــي هذه المعركــة .

اما البلاغات الرسمية فاقرأ ما قالت بصدد هذه الواقعة :

« دامت الحرب في المليحة ٦ ساعات خسر الثوار ١١٥٠ خسرنا خمسة اشخاص فقط » .

ومن هنا يدرك القاريء الكريم مبلغ حقيقة ما كان يذاع بلسان السلطــة الفرنســية من بلاغات عن الثورة .

ثورة حماه مدينــة ابي الفداء والقاوقجي :

على اثر معركة المســيفرة كان حادث لــه قيمتــه التاريخية ولــه شأنــه الكبير في الثــورة ذلك ان البطلين الباسلين منير الريس ومظهر السباعي ذهبــا الى جبــل الــدروز من مدينــة ابي الفــداء عن طريــق شرقي الاردن يصطحبان صــورة اتفــاق لاضرام نار الثورة وقعه كبــار حماه مــآله ان تقــع مناوشــات تمهيدية في اول تشرين الاول في الغوطة وان تزحف على القريتين قوة من الجبــل لا تقل عن مئــة فارس لتكون تحت لواء المجاهد الكريم والقائد

العربي الكبير فوزي القاوقجي وتنضم الى جنوده البواسل فيكونون جميعا تحت امرته . وتضمن الاتفاق ان تبدأ الثورة في حماه في الثاني من تشرين الاول وان لا يعقد الجبل صلحا منفردا بل ان كان الصلح فبالاشتراك باسم الاقليم السوري وتضمن غير ذلك من شروط .

قدم السيدان الريس والسباعي الاتفاق الذي نوهنا عنه الى الزعيم الشهبندر فراى ضرورة الاسراع في قبوله ليخف الضغط عن الجبل باشغال الجنود الفرنسية التي كانت يومئذ في حوران لا سيما من بعد ان تزلزلت نوعا ما معنويات الجبل متأثرة بالدعاية الفرنسية عقيب معركة المسيفرة .

قصد الزعيم الشهبندر واخوانه السلطان فالتقوا به في قرية رساس حيث اوقفاه على ما كان من امر الاتفاق فوافق على ما بيتوا عليه وقال بوجوب الانفاذ بسرعة عندها طلبوا الى السلطان ان يوقعه دليل الموافقة باسم بني معروف حتى يطمئن رجال حماه ففعل وتسلمه البالان نزيه المؤيد ومظهر السباعي وعادا الى الغوطة حيث اعطوه للدكتور خالد الخطيب كي يقدمه الى مجاهدين حماه .

وبالحقيقة كان لهذا الاتفاق شأنه الخطير وتأثيره الكبير على الفرنسيين اذ ان ثورة حماه كما المعنا قبلا كانت هي العامل الاكبر في سحب غاملان جيشه من السويداء من بعد ان احتلها ومن بعد ان كان مزمعا على اخضاع الجبل جميعا فلم يستطع بسبب ابطال حماه وثورتهم .

وان شئت ان تسمع ايها القاريء الكريم عن هذه الثورة التي لها قيمتها في تاريخ الاقليم السوري فاتل ما كتبه براعة نفس البطل العظيم القاوقجي اذ قال :

« عندما كلفت الدخول للجيش الفرنسي وجدت الفرصة ملائمة لانزال

الضربـة التي كنت اتخيلها بالفرنسيين على ان تكون هذه الضربـة ذات مفعول قوي من حيث نتائجهـا الادبية والمادية وان تكـون على شـكل تحرك حماس الشعب وتزيل الاوهـام التي اخذت تثبت في ادمغتهم بقوة فرنسا وقدرتها وان تكون فجائيـة من حيث لا ينتظرونها حتى تضمن النتائج المطلوبة ولهذا كـان يجب احراز ثقـة الفرنسيين من جهـة وثقـة الشعب من جهة اخرى ثم تحري الفرص المناسبة امـا ثقـة العدو فقد تمت بما اظهرته من الفاعلية العظيمة واما ثقـة الشعب فقد ضمنت بما بذلتـه لحماية المصالح والحقوق والدماء التي كانت دوما هدفا للهدر ثم تقوت بواسطة التشكيلات التي بدأت بهـا عن طريق رجال الدين والتي بفضلها نفذت الى الشعب واتممت تشكيلات حزب الله الذي ربط بـه قسم عظيم من سواد الشعب في حماه وخارجهـا بعهود دينية متينـة وكان لانتصارات عبد الكريم البطل على الاسبان واستعداد المرشال ليوتي للاشتباك بالبطل الريفي الامـل بقرب ساعة الفرصة المنتظـرة واخيرا اشتبك الفرنسيـون مع عبد الكريم وكانت الفرصة سانحة عقبتهـا اعمال الفرنسيين الطائشة في الجبل التي ولدت قيامـه فاتسع المجال امامي بزيادة ثقـة الفرنسيين الاضطرارية من جهة وبنشاط الحرب وحماسه من جهـة اخرى تخابرت مع بعض الزعماء في دمشق ـ لايمكني ذكر اسمائهم ـ فيما اذا كانوا مستعدين للثورة او للاشتراك او اذا كان عندهم شيء من هذا القبيل لتوحيد الاعمال فأجابوا بانـه ما فكروا بهذا الموضوع قط وانهم يرونه مضرا جـدا بمصالح سورية قررت البدء بتشكيلاتنا وحدها فقط وقد وسعتها حتى شملت البدو اجمعهم تقريبـا ومن المدن حمص وبعلبـك والمعرة ودير الزور ثم سرت الى وحـدات الجيش السـوري حتى شملت مراكز القريتين وتدمر وحمص وحماه والذين اشتركوا في حلف القسم الديني والشرف من الضباط كثيرين جدا وهؤلاء من الجيش السـوري ومن الدرك والشرطة والكل تعين له واجب خاص بجنود يستميلها بتدبيره وحسن تأثيره واثارة النخـوة

الوطنية والدينية في نفوسهم ثم اخذت اتجول متذرعا بشتى الحجج بين كل مراكز هذه الوحدات واتصل بواسطة الضباط الى الجنود منهم اليمين وكنت المس الحماس والغيرة الملتهبة لما ثم انتقلت الى رجال الوظائف الملكيين فوجدت الكثير منهم الذي ادى اليمين والعهد وتعينت واجبات هؤلاء جميعا التي تكون بعد اعلان الثورة .

اما البدو فتمكنت من اقناعهم بلزوم الاشتراك وذلك بعد ان اثبت لهم استعداد الجيش كله لهذه الثورة التي تنقذ بها البلاد من الفرنسيين ثم بالوعود المالية الخلابة وبرفع الضرائب عنهم ثم بالوعيد ان اسلط عليهم الجيش الثائر ونجعلهم هدفا لنا عوضا عن الجيش الفرنسي ان لم يشتركوا وبعد تجوال دام نحو عشرين يوما تقريبا تمكنت من اخذ مضابط من اكثر الشيوخ البدوية وكذلك فرضت على كل شيخ مقدار المقاتلين من المشاة والفرسان حسب قابلية القبيلة الذي يجب احضاره وبعد اشتراكه بالثورة يتناول كل شيخ راتبه وراتب جنوده واخذت المضابط الموقعة من هؤلاء على هذا الموضوع وجعلت الوعد بيني وبينهم نيران تندلع في مدينة حماه فعند رؤيتها يجب ان يحضروا للمحلات التي تقرر تجمعهم فيها .

ولقد نظمت هيئة حكومية تدير البلاد اعتبارا من ثاني يوم الثورة والتي يكون لها ماليتها من اموال الحكومة والبنوك التي تدخل في حوزتنا والتي اتخذت لها التدابير الاكيدة وقد اشترك بوظائف هذه الحكومة كثير من الاشخاص البارزين الذين لا يمكن ذكر اسمائهم اليوم وبعد ما تمت كل هذه الترتيبات لم يبق الا تعيين اليوم الذي يكون مبدأ الثورة وتعين هذا اليوم على ان يكون ١٢ ربيع الاول اي يوم مولد الرسول الاعظم وكانت في هذه الايام حملة الجنرال غاملان تتوغل في الجبل بموفقيات متتابعة وكان الموقف يتطلب السرعة في الشروع لانه كانت ثقلة الجيش الفرنسي كله في الجبل



صورة المجاهد الباسل ابو عبده العشي

وفي الجنوب ولم يوجد عندهم ما يشغل البال من القوة في الشمال والخوف الوحيد هو ان يتمكن الجيش من اعماله في الجبل وتخمد الثورة بسرعة ويؤمن الامن ثم يفرز قواه الزائدة الى الشمال عندها يتعسر كل شيء لذلك يوم المولد كان موعد مناسب جدا فخرجت قبل هذا اليوم الى البادية بحجة مراقبة قبائل العمارات الآتية من العراق وتطمين اهل القرى وحمايتهم من تعديهم لكي لا يحدث اي حادث يشوش اعمال الجيش الفرنسي في الجبل ويعرقل اعماله في استحصال الظفر السريع فكانت هذه الفكرة معقولة جدا ووجدت تحسينا وتشجيعا في تطبيقها من قبل المستشار فخرجت وتركت المفرزة تسير باتجاهاتها التي اقررتها لها ثم انطلقت بالسيارة الى مشايخ القبائل الذين عاهدوني على العمل لتوثيق العهود واحضارهم للعمل القريب وكنت كذلك اتصل بالذين عاهدوني من المدن في قرى قريبة من حماه وندخل بعض التعديلات على اساسات الحركة وذلك موافقة لطلبهم كي لا تتأخر الحركة وبالنتيجة كان اجتماع « .... » وكان قرار الدخول لحماه ليلة المولد والكل على اهبة العمل الكامل خاصة الجيش والدرك والشرطة فتركت المفرزة في « .... » واخذت قسما من الجنود بالسيارة ودخلت حماه الساعة العاشرة بعد الظهر واجتمعت مع الرؤساء وطلبت ان يحضروا برجالهم الى المحلات التي قررتها لهم ثم ارسلت مفارز صغيرة لقطع المخابرات التلفونية داخل حماه وما بين حماه وخارجها ومفارز اخرى لمحاصرة دور الضباط الفرنسيين لمنع اتصالهم بقطعاتهم والقبض عليهم كي يكونوا رهان عندنا نفتدي بهم عند الحاجة بعض من رجالنا المهمين وكان الموعد للانتهاء من الاجتماع الساعة ١٢ حيث تباشر هذه المفارز عملها اتصلت المفارز بالجيش واستعد الجيش بهذه الليلة وحضر رشاشاته وكان ينتظر الاوامر . مضى على الموعد نصف ساعة ثم ساعة ثم ساعتين ولم يأت سوى « .... » و « .... » ارادوا الانتحار لعدم تمكنهم من جمع رجالهم فان وقت العمل ولا بد من تأجيله الى يوم آخر

فأخبرت الجيش بأن يلتزم السكينة المعتادة الى يوم آخر ثم سحبت المفارز الذين قطعوا بعض خطوط المخابرات ثم ضربت للرؤساء موعد آخر وانسحبت من حماه التي دخلتها على راس دورية لتأمين الامن وبهذه الواسطة تمكنت من اخفاء امر دخولي هذه الليلة ولكي أزيل اثر اي اشاعة يمكن حدوثها ثاني يوم فقد رجعت بالسيارة الى « .... » حيث ارسلت في الصباح تقريرا مفصلا للمستشار الفرنسي اعلمه فيه عن جريان الاحوال حسب ما يرام وعن اضطراري ملازمة قبائل العمارات الذين اخذت اجليهم نحو الشرق لأبعدهم عن المعمورة فوصل هذا التقرير صباحا حيث كانت المدينة امتلأت بأنواع الاشاعات ولكي لا أفوت فرصة وجود الجيش الفرنسي في الجبل ولكي اجعل رفقائي امام امر واقع لا يمكن تجنبه طلبتهم يوم ٥ تشرين الى « .... » للاجتماع والمداولة وكنت في هذا اليوم ارسلت اوامر لفصائل الجيش الموجودة خارج حماه ان تترك مراكزها وتحضر الى مراكز عينتها لها بقصد الهجوم على حماه وان يأتوني ببعض الضباط الفرنسيين مكتوفي الايدي لتكون هذه الحركة هي بداية الثورة التي لا يمكن لاخواننا تجنبها وهكذا كان فلم يتم حضور الاخوان من حماه الا وكانت فصائل هذا الجيش تتحرك حسب الاوامر وكان بعض الضباط الفرنسيين مقيدين تقودهم جنود الثورة لامام الجماعة فالامر وقع وكل من الرؤساء وبعض المشايخ من شيوخ القبائل فالذي شاهد هذا المشهد وحضره ايقن انه اصبح عدو فرنسا من هذه اللحظة فلم يبق علينا سوى تنظيم الحركة وترتيبها وهذا تم ايضا والذي يهمني كثيرا في تنظيم الحركة ان تكون الترتيبات قطعية فيما اذا مست الحاجة لارغام المامورين الملكيين واجبارهم على تنفيذ الخطة والعمل بموجب الاوامر والتعليمات والانظمة الصادرة اليهم اول يوم ولكن الاهم هو نشوب الثورة ثم توسعها وتنظيمها وبعد اتمام الترتيبات وتعيين محل الاجتماع في حماه في دار « .... » افرزت قسما لحماية محل النصارى كي لا تحدث حوادث غير مرضية يستغلها

الخصم سلاحا علينا وتكون حجة قاطعة بيد اعدائنا يوصمنا بالهجمة والتعصب الذميم والقتل والنهب ليكون بيدهم سلاحا ماضيا من هذه الاباطيل مما يؤثر على سمعتنا في الداخل وعلى الراي العام المتمدن في الخارج ضد حركتنا المقدسة ثم جعلت آذان العشاء عن المنارات هو الايعاز للهجوم « باورولة الهجوم ـ وشعاره » .

وصلنا قبل الآذان بنصف ساعة لمحل الاجتماع فلم اجد من كان يجب ان يكون حاضرا بل انما كان قد حضر قسما لا باس به فعدلت الخطة على اثر ما شاهدته من ضآلة الجمع المحتشد .

قررت ان يكون الهجوم اولا على المخافر وتجريد الجنود من السلاح ثم مهاجمة السرايا والاستيلاء عليها واطلاق سراح السجناء واستخدامهم حالا وكانت السرايا مخفورة ومحمية بجنود نظامية اضافة على قوى الدرك ارسلتها السلطة احتياطا من النهار واضطررت لهذا التغيير بوجه خاص لما علمت بان الاوامر التي اصدرتها لبعض الرؤساء بشان سوق فصائلهم الى امكنة الهجوم المعينة لم تصل بعد والمفرزة التي انيط بها تعطيل المواصلات وقطع الطريق بقيادة « .... » لم تتمكن وذلك على اثر وصول مفرزة الارتباط من قبل الضابط الفرنسي « .... » فلم تقم بواجبها وتبين لي بأن بعض الفصائل دخلت المدينة والتحمت مع حامية الثكنات التي امطرتها هاطلا من الرصاص دفاعا عنها وفوق هذا كله فان « .... » الذي كان من الذين يعول عليهم وعليه اكبر واجب فقد ذهب توا الى المستشار واخبره عن الاجتماع الذي حصل والقررات التي اتخذت والترتيبات المصممة والخطة الحربية وهذا الرجل يعد اكبر زعيم بحماه وعلى اثر ذلك فقد ابرق المستشار الى حمص والى الشام والى المندوب في بيروت والى حلب واكد لهم نشوب الثورة في هذه البلدة وفي هذه الليلة وهو من جهة اخرى فقد تذرع بجميع وسائل

الدفاع لتخفيف وطأة الصدمــة وعمل هذا الزعيم كـان سببا لحرماننا مــن مساعدة فصائل الجيش التي كانت هي وهيئة ضباطها على اتم الاستعداد لنجدتنا والاشتراك معنا . بدا الهجــوم على المخافر وتوفقنـا لتجريدهم من اسلحتهم ثم استأنفنا الهجوم الكبير لاحتلال السرايا فاصطدمنا مع الحامية اصطداما عنيفا واشتبكنا معها اشتباكا ودارت بيننا وبينها معارك كانت حامية الوطيس كبدتنا خسائر فادحة بالنفوس واستشهد كثير من رجالنا حيث كان حربهم في العراء في بقعة مجردة من كل استحكام طبيعي او صنعي. وفي هذا الوقت الرهيب اطل القمر علينا من نافذته الابدية ونشر علينا اشعة انواره فنور ساحة معركتنا فتبين للحامية مواطن هجوم رجالنا ومكامن دفاعهم والحامية متمكنة في السرايا ومحصنة فيها جدا ومع كل هذه العوائق الطبيعية والحوائل الصنعية فاننا بفضل التدابير الحاسمة العسكرية فقد تغلبنا على الحامية واضعفنا وطأة دفاعهم ولم تأزف الساعة ١٢/١٠ الا وكان المهاجمــون اشعلوا النــار في السرايا فقتل من قتل من جنود الحامية وفر من فر مــن الثقوب وكان يوجد ثقب في السرايا يوصل حتى اصطبلات دارالعظم فاستفادوا منــه ونجوا من قبضتنا سرنا فاستولينا على السلاح والعتاد وفتحنا ابواب السجون واطلقنا سراح المسجونين وكانت النيران تندلــع في جدران السرايا وفي غرفها الجميلة حتى يكاد لهيبها يعانق كبد السماء فكانت هــذه النيران اصدق رمز لتأديــة الاشارة المطلوبة الى القبائل التي ترصد هذه الاشــارة من شواهق حماه الشرقية وعدا ذلك فقد سيرت السيارات لاعلام القبــائل البعيدة والتي يحتمل عدم تمكنها رؤيــة اللهب المتصاعد وعلى اثر مشاهــدة النيران فقد زحفت جموع من العشائر المسلحة من قبائل . . . و . . . و . . . واشتركت هذه القبائل في الهجوم الذي حدث في اليوم الثاني من نشــوب الثــورة صباحا وصــدت هجمات قوى الفرســان الفرنســية حينما اقدمــته على الخروج .



شرعنا بتطبيق خطتنا الهجومية على المواقع العسكرية الحصينة حيث دارت بيننا وبين حامياتها معارك عنيفة وتبودلت مع هذه الحاميات القنابل اليدوية بدلا من البنادق من ابعاد قريبة جدا فاحترق السوق الملاصق لمركز الحامية وبدات دائرة النيران تتسع في اطراف الثكنة .

ـ خمدت نيران الحاميات المدافعة وقوبلت الطيارات بنيران الثوار المجتمعة واسقطت طيارة بالقرب من حماه تتأجج نارا وتلتهب سعيرا واسقطت طيارة اخرى في اطراف الخط الحديدي جنوبي حماه وكفانا الله شر بلاء الطيارات المستطير على اثر احتراق البعض منها وفي هذه الساعة الرهيبة كنا ننتظر وصول نجدة مفارز ... و ... الذي كان قد وعدنا بارسالها وهذه المفارز من اقوى عناصر قوانا عددا وعدة وعنصرا وسلاحا فلم يف بوعده بل امتطى حضرته مركبة تحيط به حاشيته ومتجها نحو دار المستشار حيث يعرض عليه اخلاصه وارتباطه وتقوية صلته به على جثث الشهداء حيث يؤكد بان الاهالي لا دخل لهم في هذه الحركة وما هي سوى حركة عصيان الجند على الجيش ـ وهنا وصمة عار وفصل مؤلم مثل على جماجم الشهداء لايمكن شرحه الآن ـ .

في جانب اروع صفحة نورانية واشرف صفحة من صفحات الجهاد القومي تقوم بعبء تضحياتها السواد الاعظم من العامية التي هي اكثر الامة العربية وسوادها الاعظم وجنود حريتها واستقلالها بعكس ما هي عليه طبقة الارستقراطية الحديثة من تملق ورياء وخبث ودهاء ومكر وتقرب من الاجنبي المهيمن على البلاد لم يبق امل في اتمام الخطة المطلوبة على اثر الخيانة الكبرى من قبل اصحاب الوجاهات المزيفة ولكن لابد من الوصول الى الهدف المطلوب والغاية المثلى التي اطمح اليها هي ارغام الفرنسيين واجبارهم



المجاهدان الكبيران السيد نسيب البكري والسيد فوزي القاوقجي.
وبعض المجاهدين الابطال يتاهبون لدخول دمشق

على سحب قواهم من الجبل وتوجيهها الى الشمال لكي يتسع المجال امام ابطال الجبل ولكي يتنفسوا الصعداء انفاس حرية العمل وكبح جماح قوى غاملان ونقل ثقل جيوشه وتخفيف عبء وطاتها لذلك يجب ان تأخذ ثورة حماه مفعولا كبيرا وتفعل دورا خطيرا له شانه وتكون حركة خطيرة ومهابة ومخيفة وعامة لهذا قررت مغادرة حماه للاجتماع بعشائر ... « الموالي » فذهبت للحمرة حيث هي مركز فوج افرنسي فقررت القيام بحركة واسعة النطاق وعنيفة جدا فصممت مهاجمة المعرة والاستيلاء عليها وتعطيل المواصلات الحديدية بين حماه والشمال فتمكنت من تنفيذ خطتي الاولى وانهيت الدور الاول حسب المطلوب فهاجمت المعرة مباغتا ومفاجئا سرية الفرسان المعسكرة بها وقتل ضابط افرنسي وغنمنا ثلاث وثلاثون راسا من الخيل وكمية من الاسلحة ومقادير لا بأس بها من العتاد ثم خربت محطة كوكبان وتركت العشائر تعبث بالامن وبعد ان قمت بهذه الاعمال غادرت منطقة المعرة ويممت وجهي شطر الحمرة حيث تقطنها عشيرة ... « الموالي » التي قام بالحركات الاولى البعض من افخاذها والحمرة يعسكر بها فوج افرنسي من المشاة لانها سيف البادية فهاجمت هذه القوة مهاجمة عنيفة وارغمتها على الانهزام بشكل فظيع تاركا خلفه كل اعماله واثقاله من ارزاق وسلاح وعتاد وعلى اثر هذه الحركات واندحار قوى الفرنسيين فقد انتشرت الفوضى بهذه الاصقاع التي عجزت الطيارات عن قمعها ولم تؤثر عليها المدافع التي وضعت بالقطارات وسيرت على امتداد الخط الحديدي وسيرت خصيصا بالقطارات لقمع دابر الفوضى وعلى أثر اطلاق المدفعية قنابلها فقد شدت العرب رحالها ونزحت عن المناطق المهلكة التي تتقاذفها وتنتابها قنابل المدفعية وتؤثر على وضعها الطبيعي الطيارات فهجت اي نزحت من المواقع المجاورة للخط الحديدي واتصلت بالقبائل ... التي تمكنت من قطع كل صلة وتعطيل كل اتصال ما بين دير الزور وحلب وهكذا عمت الفوضى اطنابها باصقاع حماه والمعرة وتوسع نطاق الثورة وشملت الثورة كافة انحاء سورية الشمالية فنجحت ثورة حماه



القائد العربي الكبير فوزي القاوقجي وصحبه المجاهدين
في ميادين البطولة والشرف

بهذا التوسع نجاحا باهرا وضمنت الفوائد المثمرة الآتية .

١ ـ اضطر الجنرال ساراي ان يبرق الى غاملان المظفر في جبل الدروز والذي اكتسح القرن الجنوبي كله وكان على ابواب رساس اي مفتاح القرن الغربي ان يخلي الجبل ويجلي عنه بسرعة ويتوجه بقسم كبير من قواه الى الشمال لتسكين ثائرة ثورة حماه واخمادها بعد ان كان قد احتل السويداء عاصمة الجبل وانقذ حاميتها واستلم الاسرى واستلم امير الجبل الامير حمد من تلقاء نفسه الى الجنرال غاملان من عرى حينما كان معسكرا في رساس .

٢ ـ انسحاب الجيش الفرنسي انقذ الجبل من الاكتساح العام ومن هزيمة شنعاء فتنفس الصعداء واشتد الحماس وازال الياس من النفوس ونهض الجبل من عثرته وتمكنت قوى الجبل من مطاردة الجيش المنسحب وكبدته خسائر فادحة معملة في اطرافه سيف التقطيع مهما امكنهم ولولا استعجاله بالانسحاب لاستحال تراجعه الى هزيمة شنعاء ولكارثة حربية لا تقل شأنا عن كارثة ميشو في المزرعة .

٣ ـ بعد انسحاب الجيش الفرنسي من الجبل لم يبق مايمنع مجاهدي الدروز ومن التحق بهم من سورية بالهجوم على الغوطة وعلى دمشق نفسها والتوسع بالحركات وهكذا اصبحت ابواب دمشق مفتوحة امام مهاجمات الثوار ودخلوها بدون ادنى مقاومة عنيفة ولو كان الراس الذي تزعم حركة دمشق له اقل المام بالفنون الحربية والاضطلاع بالادارة الثورية لكانت النتيجة المتوخاة من ثورة عامة في الشمال حصلت في قلب دمشق وقضي الامر وتمكنت سورية من عقد معاهدة تضمن لها مطاليبها القومية وتحفظ لها شرفها وكيانها وتمحي وصمة عار ميسلون من جبينها الناصع وتسترد ما اضاعته من كرامة وعزة قومية .

٤ ـ دخول دمشق والغوطة كانا من عوامل توسع الثورة في المناطق الاخرى ونشوب الثورات فيها .

٥ ـ اضاع الفرنسيون اقتطاف ثمرة انتصاراتهم في الجبل وعكست الآية فاصبح انتصارهم اندحارا وبدل النصر بالقهر .

ان الاسباب التي ادت الى فشل ثورة حماه في نفس حماه وحرمان سورية من اجتناء ثمرات هذه الثورة الشريفة ترجع الى عوامل عديدة والى اعمال اشخاص لا يمكن البوح الآن بذكر اسمائهم قطعا حرصا على سلامة سمعتهم انما سياتي الوقت الذي تعرف به وكيف استثمر البعض من اغنيائها وكبارها الدماء المهراقة دماء ابنائها المخلصين لتوطيد دعائم نفوذهم وخلاصة القول فان ثورة حماه كانت كالقنبلة التي وجهت الى تخريب مدفع العدو وسددت باتقان ومهارة فاخطاته واصابت عجلة عتاده فانفجرت فيها فاحرقتها واحرقت العتاد وتعطل المدفع بصورة غير مباشرة .

بقلم : فوزي الدين القاوقجي

هذا وقد رفعت لجنة المؤتمر السوري الفلسطيني التنفيذية تقريرا مطولا في شهر شباط سنة ١٩٢٦ الى جمعية الامم عن ثورة حماه اليك ما جاء فيه :

« في الساعة التاسعة من مساء الاحد ٤ اكتوبر ١٩٢٥ هاجم الثوار دار الحكومة وارادوا الاستيلاء على السلاح المدخر في مستودع الدرك فقابلهم الجنود المحافظون برصاص بنادقهم وبعد مقاومة عنيفة دامت زهاء ساعتين استولى الثوار على دار الحكومة وصادروا السلاح الموجود فيها وكان قسم من الثوار قصد مخافر الشرطة وجرد رجالها من اسلحتهم بدون مقاومة وقد انضم بعض رجال الشرطة اليهم وبعد احتلال دار الحكومة والمخافر هاجم الثوار الثكنتين العسكريتين وكانت القوات الموجودة فيهما قد اغلقت الابواب واخذت تقاوم الثوار باطلاق القنابل اليدوية وبرشاشات المتراليوزات ودام

الحصار واستمرت المقاومة العنيفة حتى آخر الليل ولما استولى الثوار على دار الحكومة وتغلغلوا في اروقتها كان لا يزال بضعة افراد من جنود الليبر والدرك في الطابق العلوي يطلقون الرصاص من المنافذ وقد شعروا بأن الطابق السفلي سقط في ايدي الثوار فأشعلوا النار في الطابق العلوي بقصد احراق السراي بمن فيها من الثوار ثم ركنوا من ناحية اخرى الى الفرار فامتد لهيب النار من دائرة الى اخرى حتى عم جميع دوائر الحكومة وشعباتها وقبل ان يتصل لسان اللهيب بادارة السجن احس السجناء بالخطر وكانت الابواب قد خلت من الحراس فحطموا الابواب وخرجوا جميعا .

وقبل شروق الشمس خرجت القوة العسكرية المحاصرة في خان الموقف احدى الثكنتين المحاصرتين حيث كانت اصوات الرصاص انقطعت في ذلك الوقت وجعلت تقبض على من تراه من الاهلين في الطريق وتعمل في اقفيتهم ضربا بكعاب البنادق غير ان الثوار اعادوا الكرة على هذه القوة وهاجموها ففرت من امامهم ودخلت الثكنات وعادت الى حصارها كما كان في الليل المنصرم واشتد الحصار والمقاومة الى قبيل الظهر وكان الجنود المحصورون يلقون القنابل اليدوية المشتعلة من اعلى الجدران ومن نوافذ الثكنة بدون ان يسددوها الى جهة معلومة واخيرا جعلوا يرمون تلك القنابل المشتعلة على المخازن المجاورة للثكنة فشبت النار في تلك المخازن واندلعت فيها السنتها والجنود تطلق القنبلة تلو الاخرى على المخازن بدون انقطاع فلما راى اصحاب تلك المخازن اموالهم تاكلها النيران وهي كل ما يملكون من حطام الدنيا القى بعضهم بنفسه الى مخزنه تحت وابل الرصاص والقنابل وحاول الوصول الى انقاذ شيء من ماله فلم يتمكن وكانت الجنود الفرنسية كلما رات احدا يحاول التقرب من دكانه تلقي عليه قنبلة فينجو بروحه وعيناه ترى وتشاهد ماله تلتهمه النيران حتى ان رجلا يدعى حسن شاكر لم يطق الصبر على مشاهدة ماله يحترق فتقدم الى مخزنه وكانت النيران لم تصل اليه بعد

ففتحه وانتشل دفاتره والنقود الموجودة في صندوقه وبينما هو كذلك رماه جندي من أعلى الثكنة بقنبلة اصابته وهو في داخل مخزنه فاردته قتيلا وشبت النار في المخزن فلم تبق على شيء منه وهكذا ظلت النار تاكل من المخازن وتمتد من واحد الى آخر حتى اتت على ١١٧ مخزنا بما فيها من بضائع واموال ونقود واصبح اصحابها بعد ان كانوا اغنياء بأموالهم فقراء لا يملكون شروى نقير وبعد ظهر الاثنين وصلت قوة من الجند السنغالي والفرنسي فدخلت المدينة بمدافعها ودباباتها ورشاشاتها وجعلت تطلق النار على الطرقات والشوارع كيفما سارت وعلى اي شخص تراه في طريقها من الاهلين فأخلت المواقع المرتفعة من المدينة وصبت نيران بنادقها ورشاشاتها على المنازل الآهلة بالسكان دون ما تمييز بين الثوار والآمنين فخلت الطرق من الناس والتجأ الاهلون الى منازلهم فلم تغنهم منازلهم شيئا حيث أزهقت نفوس كثيرة وهي في بيوتها آمنة مطمئنة برصاص بنادق الجنود المصوبة من شاهق وفي تلك الساعة الرهيبة اشتد البلاء وعظمت النكبة فلم يعد الاخ يشعر بأخيه ولا الاب بابنه ولا الام بطفلها والناس في بيوتهم حائرون مضطربون واعظم الناس مصيبة هم الذين كانت بيوتهم قريبة من المواقع المرتفعة التي احتلها السنغاليون حيث لم يبق بيت الا اصيب من سكانه برجل او امرأة او صبي ثم وصف التقرير الاعمال الشاذة التي ارتكبت في خلال الاضطرابات فعدد ثلاث عشرة حادثة منها حادثة مصرع الدكتور صالح قنباز ومما قاله في هذا الصدد ان الفقيد امضى سحابة يوم ٥ اكتوبر باسعاف الجرحى وقد قام بذلك احسن قيام مما سجله التاريخ على صفحاته بأحرف من نور ولما آب الى منزله مساء اليوم المذكور سمع صوت استغاثة من منزل مجاور له ففتح الباب فراى ابن عمه مطروحا على الارض والدم يتدفق من راسه وقد وقف ابوه قريبا منه لايجسر على الدنو منه فصاح به الدكتور الي الي ولم يكد يأتي على آخر هذه الكلمة حتى اصابته رصاصتان من بندقية سنغالي في راسه فخر

صريع الواجب وظلت جثته مطروحة على الارض زهاء ساعتين حتى خرجت النساء وحملنها الى الدار وعند الصباح احتل السنغاليون المنزل ونهبوا ما وصلت اليه ايديهم من نقود ورياش تقدر بالف جنيه وقبضوا على اخويه محمد وعبد الحميد مما اذعر النساء وارعبهن ومما جاء في التقرير ان الجنود السنغاليين كانوا يقتحمون البيوت والمنازل فيقتلون فيها الرجال والاطفال ويعتدون على النساء ولما شكا بعض الاهالي هذا الامر الى القائد العسكري اجاب بقوله : ان حدوث مثل هذا الامر طبيعي من جنود ظافرة في مدينة ثائرة وفي التاسع منه نشر القائد بلاغا يتضمن بان المدينة اصبح امرها منوطا الى السلطة العسكرية ومحظور على الاهالي التسيار من الساعة السادسة مساء حتى السادسة صباحا وكذلك الاجتماعات العامة والخاصة وقد هدد باطلاق الرصاص على كل من يخالف هذا البلاغ وفي الرابع عشر من شهر اكتوبر عام ١٩٢٥ اذاعت السلطة انذارا الى اهالي حماه جاء فيه بوجوب تسليم مئة بندقية مع قذائفها خلال اربعة وعشرين ساعة وفي حال عدم تلبية الطلب تضرب المدينة بالقنابل .

اذعن الاهلون بامر السلطة فجمعوا البنادق المطلوبة الا اربعا منها لم يتمكنوا من جمعها فاسترحموا من المستشار الفرنسي تمديد الاجل المضروب ليلافوا هذا النقص وليتداركوا جلب بقية البنادق من خارج المدينة فقبل المستشار على شريطة مضاعفة العدد ووجوب تسليم مئتي بندقية حتى عصر ذلك اليوم وفيه لم يتمكن الاهلون من تلبية الطلب وعندها لم يكن من ذلك المستشار الا ان صب قنابل المدافع وقذائف الطيارات على احياء المدينة تترى فهدمت البيوت على اصحابها وقتلت الشيوخ والنساء والاطفال واشتد الكرب وعظم المصاب على الناس فما كان ليسمع الا عويل النساء وصياح الاطفال مما يفجر الصخر عيونا ويقطر من القلب دما .

فتراكض الاهلون من كل حدب وصوب يضرعون الى القائد بنفوس هالعة

وعيون دامعة ان يمنيهم بوقف الضرب فما كان منه الا ان اجابهم بقوله لقد امرت باطلاق مئة وخمسين قنبلة ولم يبق منها الا اربعون فلا بد من اطلاقها وفي نهايتها يجب تسديد مئة بندقية اخرى حتى عصر اليوم واذا لم تلبوا الطلب اعيد الكرة مرة اخرى .

وهكذا توالى اطلاق الرصاص والنار كابد الاهلون خلاله اشد العذاب وذاقوا انواع الآلام واخيرا تمكن القوم من جمع البنادق المطلوبة مع قذائفها وذلك من ابتياعها من الجنود الفرنسية وتسليمها للسلطة الغاشمة .

لم يكتف رجال الاستعمار بما قاموا به من تقتيل وتهديم وتعذيب حتى قبضوا على مئتي رجل من وجهاء حماه واعيانها واخيارها واتوا بهم الى المعتقل العسكري حيث مثلوا بهؤلاء الابرياء اشنع تمثيل وافظع تنكيل مما سطر ذلك على صفحات التاريخ للفرنسيين اسطر الخزي والذل والعار على كر الايام وتوالي الحدثان .

سيدات حماه تحتج :

لم تقتصر الوطنية ولم يقتصر حب الحرية على رجال حماه وشجعانها الابرار فحسب بل كان لسيداتها الحرائر الفعل الكبير في هذا الشان لذلك عندما مر خلف الجنرال ساراي وهو المسيو دي جوفنيل المندوب السامي الجديد في حماه بطريقه الى حلب تقدمت فضليات مدينة ابي الفداء باحتجاج قيم رفعنه اليه يتضمن ما يلي :

« غضبت المقادير باسعادة المندوب على هذه البلاد بسبب سوء معاملة حكامها واولي الامر فيها حتى اصبحت هي وسكانها طعاما لالسن النيران وفريسة للفوضى والاستعباد ولم تات بذنب يستحق هذا العقاب الذي لم يسطر له التاريخ مثالا في القرون الاولى .

انا لنذكر لسعادتك طرفا مما قاسته حماه تلك البلدة الصغيرة الهادئة التي صمتت طويلا عن ظلمها والاستبداد بأهلها اذ لم يكن في ابان تلك الحوادث الدامية سامع او راحم .

١ ــ اباحت السلطة لجنودها القتل والنهب فكانوا اذا تخيل لهم احد في نافذة بيته او في الطريق اردوه قتيلا ذكرا كان او انثى وكم من شيوخ واطفال ونساء قتلوا بلا ذنب ولا جريمة .

٢ ــ توالى القاء القبض على الناس من اي طبقة كانوا فكل من يجدونه خارجا من بيته يسوقونه الى السجن ويوسعونه ضربا ويشغلونه بالاشغال الشاقة . فلما راى السكان ذلك اخذوا يفرون لا خوفا على انفسهم من السجن بل من المعاملة القاسية التي كان يعامل بها المعتقلون ــ تلك المعاملة التي قلما شهد مثلها التاريخ .

٣ ــ واذا دخلوا منزلا للتفتيش عن رجل او للتنقيب عن اوراق نهبوا ما وجدوه من متاع ودراهم والحقوا بنسائه كل انواع الاذى والامتهان حتى اصبحوا ويا للعار يسوقون السيدات المصونات بدلا من ازواجهن الفارين .

وكل ما ذكرناه يا حضرة المندوب السامي من تشويه وجه الفضيلة وتسويد صحائف التاريخ وعدم مراعاة القانون والنظام لا يساوي شيئا بجانب الاطفال الذين كاد ان يقضى عليهم رعبا وذعرا من القاء القنابل واطلاق المدافع التي كانت تصب نارها على البلدة من دون سابق انذار والتي كانت تنهال على السكان انهيالا مريعا لانهم لم يكملوا تسليم عدد البنادق التي فرضت عليهم في مدة ساعتين فقط فكم من منازل عامرة خربت ونفوس بريئة قتلت فمن المسؤول عن هذه الفظائع يا ترى الخ ...



هـذه هي وحشية فرنسـا

فاجعـــــة الشـــام :

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كـان في القلب اسلام وايمان

من يكيد لهذه الثورة ومن لا ينصـف في التحدث عنها هو من يقول بأنهـا كانت نتـاج تعصب طائفـي او عقيب حادث ديني او مظهرا من مظاهر قيـام المسلمين على المسيحيين ان شيـئا من ذلـك لم يكن والمنصف مـن مؤرخـي الغرب عن هذه الثورة المجيدة قد كفانا ان ندلي بالبرهان على حقيقة ما نقول لا سيما وان مراسـل جريدة فرانكفـورت غازل قال يومئـذ مـا تعريبه : « ان الاحياء المسيحية التي تخلى الفرنسيون عن حمايتها في دمشق قـد سلمت من كل تعدي بفضل زعماء المسلمين وعلى فرنـسا ان تـسلم بأن سورية اليوم غير سورية بالامـس وان الوطنـية فيها قد حلت محل الطائفية وقامت تطالب بحقها المهضوم وان النزعات الدينية والمذهبية التي كانت مستولية عليها قـد بادت واصبحت خبرا بعد عين فلا حاجة بنا للتدليل بعد هذا على ان ثورتنا كانت كما تكون كل ثورة من ثورات العالم يسـام بنوها سوء العذاب ويضطهـد رجالها واحرارها فينكل بهم تنكيلا ويقضى على الحريـة لديهم في جميع انواعها من فكرية واجتماعية وتحديث فاذا ما طبع الغير ثورات فرنـسا والمانيا وايطاليا على مرهقيهم وظالميهم والمستعبدين بما طبعوا به ثورتنا يسوغ للمتخرصـين نعتوا تلك الثورات بنعوت تشابه تلك النعوت ان يفعلوا ما يشاؤوا وان يتقولوا ما يريدوا وان يرمونـا بكل هجو من القول .

انا لا نود ان نأتي بالبراهين من غير نفس المسيحيين واعيانهم كالمرحوم غبطة بطريرك الروم الارثوذكـسي غريغوريوس والمحامين الاستاذين ناصـيف ابي زيد ووديع ابي حديد الذي كان يومئذ مدير دائرة التنفيذ الاجنبية وغيرهم فهؤلاء الاكارم هم احياء يرزقون ما عدا غبطـة البطريرك ــ تغمده الله برحمته



الضابط الباسل السيد محمد فائز عيد السفرجلاني
من حماة الاخوة المسيحيين بدمشق

واسكنه فسيح جنانه ـ وها هي احيائهم لا تزال تشهد بما كان يقوم به الثائر نفسه من تأمين ابناء هذا الحي وتطمين النساء والاطفال والشيوخ من حين الى حين وما طواف البطل المرحوم حسن باشا الخراط هنالك بمجهول ولامنسي وما ذهاب الضابط الباسل محمد فائز السفرجلاني الذي كان موضع اعجاب الاخوة المسيحية وتقديرهم على راس وفد حي العمارة المؤلف من السادة الاكارم الامير جعفر الجزائري وعثمان حمزة وعبد النبي السيدة رقية وكاتب الاسطر وغيرهم مرسل من قبل الامير طاهر الجزائري لحماية الاخوة المسيحية في حي باب توما والقصاع ومقابلتهم غبطة البطريرك المرحوم غريغوريوس والاخوة التي المعنا الى ذكرهم فليس ذلك بالامر الذي مر عليه زمن بعيد لا تتذكره القرون والاجيال وكذلك الوفد الذي الفه حي الميدان الكريم من شباب بني الهاشي وبني سكر والشهيد عمر عمر باشا يطوف في الحي المسيحي بالميدان بمكتوم امره وكذلك وفد القيمرية وعلى راسه الصيدلي محمد سعيد المخيش الذي طاف الاحياء المسيحية لحمايتها واطمئنانها ليست كل هذه الوفود بمقصي خبرها فآل هذه الاحياء النبيلة لايزالون يذكرون حتى اليوم هذا الصنيع الجميل بالامتنان والشكران لقد اتسع نطاق الثورة للاسباب التي سبق ان المعنا اليها في بداءة هذا الكتاب مما اقض مضاجع الفرنسيين واقلق بالهم ودعاهم لان ينقلوا القسم الكبير من قواتهم في حوران الى ضواحي دمشق ونفس دمشق حتى يستطيعوا ان يكافحوا الثورة والثوار اذا ما سولت لهم انفسهم ان يخترقوا البلد والعاصمة .

لقد اقاموا حول دمشق ابراجا وحصونا تدرأ عنهم هجمات رجال العصابة وترد عنهم كيدهم فكان رجال السلطة يرتكبون عن طريق جنودهم كل فظيعة من الفعل وكبيرة من الاثم فما كانوا ليتورعون عن احراق القرى بما فيها كما فعلوا في جرمانا والمليحة وزبدين وداريا ودير مجدل وجسرين والبلاط حيث نفر شيوخها واطفالها فرارا من النار يلتجئون الى دمشق



من ضحايا الاستعمار الفرنسي الغاشم
جثث الشيوخ والاطفال القرويين العرب العزل الذين فتك بهم الفرنسيون
انتقاما لهزائمهم المنكرة من الثوار العرب الابطال

ليتفيئوا ظلالها ولذلك فقد اضطر الشباب من سكان هذه القرى لان يتبعوا الثوار ويلتحقوا بالعصابات ثائرين لاعراضهم واموالهم وشيوخهم واطفالهم فازداد عدد افراد المجاهدين وغلى الفكر واضطرب البال وانتكا الجرح على دمشق فما كان سيل المهاجرين من القرى لينقطع اصلا عنها وتحرج الموقف تحرجا لم يسبق له في التاريخ من مثيل .

ففي رابع عشر تشرين الاول شهدت دمشق منظرا يفتت القلوب ويحز النفوس وتندك له الجبال وتسيخ به الارض ذلك ان عاد الفرنسيون الذين بارحوا عاصمة الامويين لمكافحة الثورة ومعهم ستين او سبعين رجلا من الشيوخ القرويين مشدودي الاكتاف زمن خلفهم جمال عليها ما يقارب الاربعة والعشرين جثة من جثث القرويين الموثوقي الايدي القت القبض عليهم سترا لهزيمتها وكتما لانخزالها واضافة للعار على العار اعدمتهم رميا بالرصاص وهم لو كانوا مطلقي الايدي ما كانت من يد تستطيع ان تصوب اليهم بندقية ما ولكن وجودهم عزلا من السلاح واخذهم على حين غرة والكيد لهم بالحيل والدسائس مكن الاعداء منهم ومن وراء ذا وذاك مركبة نقل تقل عددا من جثث الابرياء مكدس بعضها فوق بعض وقد برزت بينها يد تدل على انها لطفل لا يتجاوز العاشرة من سنه .

عرض كل ذلك في ساحة الشهداء في دمشق امام دار البلدية وسراي الحكومة مدة اربع او خمس ساعات امام اعين الرائين والمارين من الناس .

لقد كان لهذا المشهد الاليم تاثيره الكبير على نفوس الرائين وكان له من ناحية ثانية فعل عظيم في اثارة الحفائظ وشحذ العزائم واستنهاض الهمم ودعوة الناس للثورة قصر انوفهم ورغما عنهم .

قامت بذلك من قتل رجال مارة وفلاحين نشيطين القوا بالسيف جانبا ليعملوا بالمحراث حتى لا يقال عنهم ثائرون فلم تجدهم الارض التي بها فلحوا



احدى السيارات الفرنسية التي حطمها الثوار

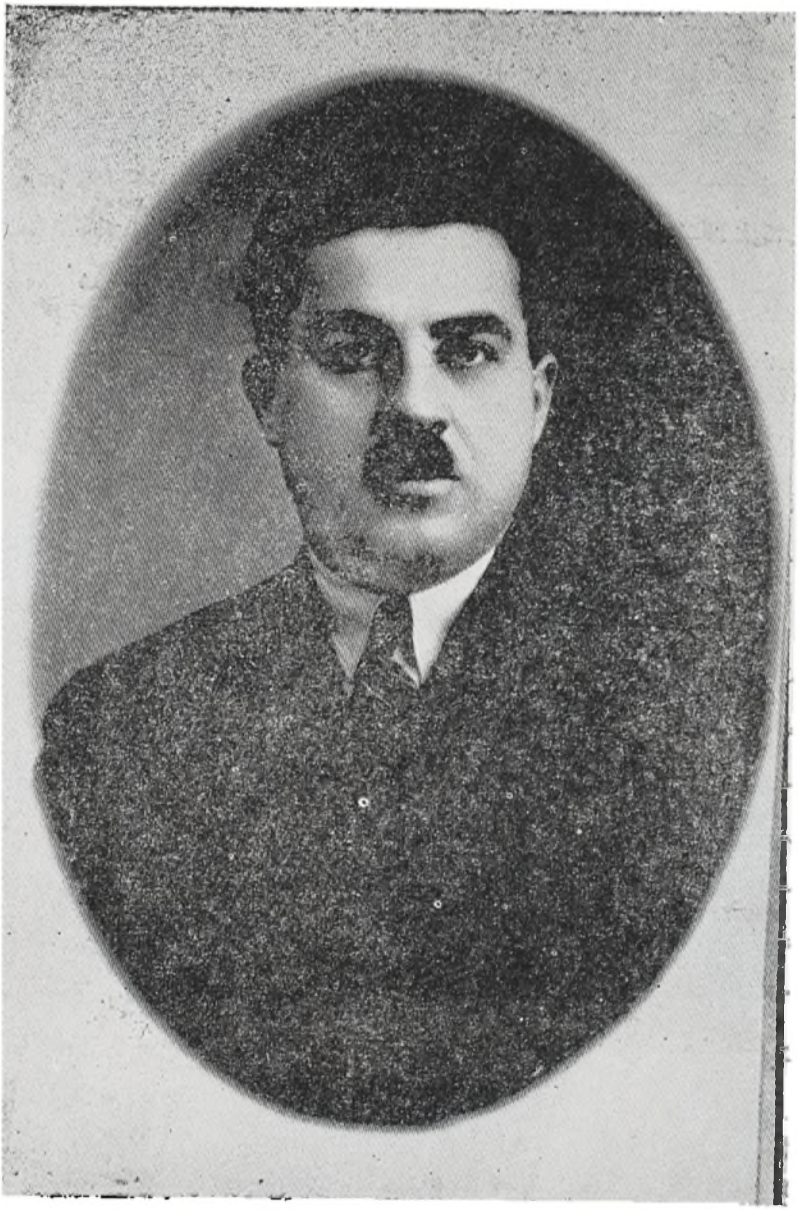
ولا الهدوء الذي اليه جنحوا ولم يخلصهم من غدر الغادرين شيئا اصلا فمن بعد ان عيث السلطة عن نيل واحد من الثائرين اتت بهؤلاء المساكين الذين لم يشهروا سيفا بوجهها ولم يهزوا اسلا عليها لم يقتصر الامر بالسلطة عند هذا الحد بل رافقه كثير من اسر وسجن وتعذيب وتقتيل فكان الى واحد من الفرنسيين ابان مرور هذا المنظر فالتفت هذا الفرنسي عندما راى القتلى يقول الى رفيق له آه Ahça c,est Joli a voir وتعريبه « آه ما اجمل هذا المشهد » فلم ينبث سامعه ببنت شفة ولعله لم يجد احسن من السكوت له جوابا اذ ان القلب مهما قسى والنفس مهما غلظت والشعور مهما اعتراه الصم لا بد وان يظل فيه بقية من حس يحس به فيعلم ان مثل هذا المشهد غير مستحسن اما من طبع الله بطابع العمى على بصره والضلالة على بصيرته والموت على شعوره فهو كالانعام بل اضل سبيلا وقديما قيل : « جناية العجمي جبار » .

من اعالي دمشق كان الرائي نحو الشرق يبصر النيران والدخان يتصاعد فيعلم انها القرى التي المعنا اليها تلتهب وتنهب ما فيها من مواشي وانعام وفرش واثاث ولباس وامتاع ولقد كان مصداق ذلك ما شوهد معروضا للبيع في اسواق المدينة من امتعة واشياء لبني القرى وذويها .

كان صنائع الفرنسيين من بعض ارمن وشركس يعملون هذه الافاعيل التي تمجها النفوس وتبذؤها العيون وتنفر منها الافئدة والكبود .

لقد اتخذت منهم الاضاحي تتقدم بها الى ميادين القتال حتى يعمل فيها الصمصام فتكون عن الفرنسيين فداء ولذا كانت تكافئهم باطلاق ايديهم بهؤلاء المساكين والآمنين الهادئين في القرى سلبا ونهبا وقتلا وتفظيعا .

ظن هؤلاء البله المشدوهين ارباب القرى ان الفرنسيين ارهف حسا وانبل شعورا فلجئوا اليهم بالشكوى من صنائعهم وعمالهم شركسا كانوا او ارمنا



الانساني الفــذ الصيلي محمد ســعيد المخيش
من حماة الاحيــاء المسيحية بدمشق

وراحوا الى مندوب المفوض السامي المسيو اوبوار وغيره من الفرنسيين يرفعون عقيرتهم بالشكوى من ظالميهم فما كان منه الا ان اجابهم بنصيحة قيمة ودرس بالغ عليكم بشراء منهوباتكم من الجند بالمزاد العلني وبالفعل فقد كان القسم منهم يعمل بهذه الوصية وينفذها فامتلأت على الاثر اسواق دمشق وشوارعها بالمواشي والابقار والطنافس والمفروشات وقد ابدت دمشق من الشهامة ما يكتب لها على جبين الدهر بمداد من نور في هذا الشان فهي لم تقبل على شراء شيء مما كان يعرض فيها اصلا مما حدا بالناهبين السالبين النهب والسلب وكان مهمة الافرنسيين حرق القرى بما فيها من بيوت بالنفط والكبريت فكان الشيوخ والنساء والعجز هائمين على وجوههم يشكون الى التوحش فعل التمدين ويدعون على الحضارة راضين بالهمجية ويتوسلون الى الله ان يظلوا على حالهم من بؤس وشقاء في عقر دورهم على ان يبعث اليهم باقوام من جملة اساليب مدنيتهم بعد السلب الحرق وبعد القتل الاجلاء والابعاد .

لا يظنن ظان ان ليس في تلك القرى التي حرقت دورا جميلة البناء كثيرة الزخرف رفيعة العماد فهنالك البيوت العديدة التي بها من الحدائق الغناء والمقاصير والافياء والاحواض وفيها نوافير الماء ما لاعد له ولا وصف ناهيك عما هنالك من طنافس لا تقل عما يرى في اجمل المدن واحضر البلدان ومن اسس ورياش تكدست في الدور بوضع واشكال قل ان يضارعها في المدن من مثيل . ان امثال هذه القرى ليست ملجا الفلاحين الفقراء بل ان ثمة من اعيان دمشق ووجهائها من ترك المدينة انتجاعا للراحة والهدوء عن الضوضاء العدد الوفير . لهذا كانت نكبة القرى نازلة من النوازل التي ضعضعت جانح العاصمة الاموية .

وفي خامس عشر تشرين الاول قصدت قوة من الجند قرية جرمانا التي تبعد خمس كيلو مترات عن دمشق وعندما بلغوها اطلقوا ايديها بما فيها

من ملبوس ومفروش ومواشي وحلي ياخذون كل ذلك حتى اذا ما ايقنوا انها خلت من كل ما غلا ثمنه وخف حمله اعملوا النار فيها كما كانوا يعملونها بغيرها . وصادف ان نجا من الحريق بعض الدور في بعض القرى فعادت نسوة الى بيوتهن التي لم يصلها النار كي تتفقد ما غفل عنه الناهبون الى قسم من نسوة ذهبت ترى ما ترك الردم تحته من اشياء علها تاتي به فتستفيد منه فصادف ان مر اذ ذاك الجند الذين ذكروا ان قسما من تلك القرية لم يحرق دوره ذهبوا لاتمام ما عمدوا اليه فالتقوا بمن ذكرنا من النسوة فسلبوا منهن ما كن يحملن من متاع ورياش ولم يكتفوا بذلك بل تعدوا على العفة والشرف فكانوا وحوشا مفترسة .

لم يطل صبر المتشردين من القرى على هذه الحال بل تجمعوا واستقتلوا وانعكفوا على الجند يصدمونه صدمة الجبار مما الجأه الى الفرار والعودة الى دمشق .

وعلى اثر ذلك فقد ارسلت الحكومة قوة كبرى لقمعهم فالتحم الفريقان ودامت معركة من قبيل الظهر حتى المساء رجعت تلك القوة مقهورة مخذولة تتلمس ابواب دمشق وقد قرب ازيز الرصاص حتى اصبح بين احياء المدينة فاستولى الرعب على النفوس واخذ كل يتوقع الواقعة وترقب سوء المصير .

وفي خلال ذلك كانت تلتهم ثورة حماه الاخضر واليابس كما اسلفنا . سرت في عاصمة بني امية اشاعة ضرب السلطة الفرنسية الجهة الجنوبية من البلد كالميدان والشاغور بحجة لجوء رجال العصابة الى هذين الحيين . فتولى الذعر على اهاليه واخذوا ينقلون بالنساء والاطفال والحوائج منه لغيره من الاحياء . وما ان رأت الحكومة ذلك حتى اذاعت بيانا رسميا انكرت فيه ما اشيع في البلد ونفت ما قيل وهددت كل من ينتقل بشيء

من متاعه بالسجن والجزاء النقدي . وعززت ذلك بارسال قوة من الشرطة الى الحيين المذكورين ترجع اليه النساء والرجال والاطفال قسرا .

على انه في السابع عشر من تشرين الاول عادت شائعة ضرب الحيين من قبل السلطة الفرنسية للظهور حديثا رغم اعلان التكذيب من قبل وايد هذه الشائعة ان اربعا من الطائرات تلقت امرا بضرب حي الميدان باول فرصة . لا سيما وحوادث ضرب حماه قد انتقلت الى دمشق بسرعة البرق فقصد بعض الناس رئيس الحكومة يحملونه على التثبت من الامر لدى المراجع المتصلة بالجنرال ويطلبون اليه ان يتوسط بحفظ المدينة والحيين من الضرب اذ ان العاصمة هادئة لا ثائر فيها وانه اذا كان للسلطة ما يقال بشأن العصابات عليها ان تستهدف مطاردتهم خارج المدينة بدلا من تدمير بيوت الآمنين الهادئين الساكنين .

رئيس الاتحاد السوري ابن بركات :

ضاق الناس بالحال التي مرت بهم ذرعا فلم يعلموا ما يفعلوا ولم يدروا ما يصنعون وباتوا حيارى من يراجعون والى من يشتكون . لهذا قلنا بأن قسما منهم لاذ برئيس الحكومة الذي كان يومئذ صبحي بركات . والحقيقة التي كم كررنا انا نبتغيها في كل ما نكتب تدفعنا ان نصرح ان ذلك الرجل كان في ذلك الحين ساعد الفرنسيين الايمن يبطشون به من شاء الانتقام منه وكان في جملة صنائع الفرنسيين ولا نغالي ان قلنا في مقدمتهم . غير انه على كل ما كان يتصف به من مثل هذه المزايا لا ننكر عليه الرجل ولا نبخسه انه كان يود لو يكون المرجع في كل شيء وان لا يتصل الناس بسواه من رجال الحكومة او السلطة . هذه مزية الاعتماد على النفس من المزايا التي نقرها له ونثبتها . لذلك عندما قوبل بطلب التوسط لدى السلطة بالكف

عن ضرب دمشق او بالاحرى ضرب الحيين اللذين المعنا اليهما قبلا كان على سرور واغتباط . وكان يعتقد بأن المفوض السامي لا يمنعه مطلبا ولا يخالفه في امر ولا يمانعه في راي . وهو على هذه العلل مشهور بالصدق والجراة اذ كان كثيرا ما صرح بكل شجاعته ان رجال حزب الشعب الذين اقصوا عن البلاد ومن جملتهم الزعيم الشهبندر من جملة ضحاياه وانه هو الذي تقدم بمشروع الابعاد فوافقت السلطة ويعني بها المفوض السامي على ذلك .

شرح له الذين قابلوه سوء المصير ووخامة العاقبة ان ظل الجنرال على رايه من حيث ضرب الحيين وفصلوا ذلك بقولهم ان كل من تهدم داره يبعث بالحريم والنساء الى المدينة ويتدارك له سلاحا ما ويلتحق بالثورة فلا يكون من جراء التخريب والتهديم الا ازكاء نار الثورة . فوعدهم رئيس الحكومة خيرا وعاهدهم بأن سيفرغ الجهد في اقناع الجنرال بالعدول عما صمم عليه وقرر .

على ان الحقيقة لم تكن كما قال بها رئيس الحكومة بل انه كان لا يزال يرى وجوب الضرب لسبب ظل مكتوما والذي يتبادر الى الذهن انه كان قد حنق على الاهلين لانهم لم يأتوا لمراجعته في باديء الامر ولم يتخذوا منه المرجع الحقيقي للشكوى .

كان في جملة من قابل الرئيس واحدا افضى اليه رئيس الحكومة بأن كثيرا من موظفي الفرنسيين ملكيين وعسكريين يناصبون المفوض العداء ولذلك كثيرا ما بذلوا كل ما لديهم من جهود مع المراجع الفرنسية في باريز لسحب المفوض السامي لاسباب ناشبة بينهم وبينه على اساس الحزبية او المذهبية او الشخصية غير ان مساعيهم قد باءت بالفشل والخذلان وعندها اخذوا يزينون له ضرب الحيين حتى اذا ما فعل فانهم يبلغون مناهم عن هذه الطريقة طالما اخفقوا في نيله عن غيرها وبفعله الذي يشجعونه عليه يلقون على عاتقه المسؤولية الكبرى فيكونوا بلغوا ما يشتهون من اخذه تحت

المحاكمة والاستجواب بجرم عام .

افضى رئيس الحكومة الى هذا الرجل بهذا الامر الغامض فضعق السامع من هول ما سمع والتبس عليه الامر لا يدري ما يقول ولا ما يفعل وبات ينظر الى الوضع الذي وقف على حقيقته من فم رئيس الحكومة بعين قلقة وبال مضطرب وخاطر مشوش وقد ساوره من الالم ما لايمكن لاحد ان يحده بحد او ينعته بوصف اذ بات مستقبل البلاد وحاضرها بين يدي مفوض طائش ورئيس حكومة ارعن والناس بين الاول والثاني طعمة الاكل ومضغة العاتي فلا بارق امل يعلقون عليه الرجاء ولا ضوء حياة يتشبثون باهدابه كي تعود المياه الى مجاريها .

لقد تلمست هذه الامة النكبى كل سبيل كي تحيا الحياة الحقة وتمسكت بكل حيلة تحتال بها على امم الغرب كي تعيش واياهم في سماء كله رخاء وعلى ارض ليس فيها من عناء فما كانت لتبلغ المنى ولا كانت لتهدي الى اقناع الظالم سبيلا . رفعت عقيرتها بالشكوى كثيرا واحتجت على طرق العنف غزيرا وطيرت البرقيات واحدة تلو اخرى فما كان ليعود عليها كل ما صنعته من فائدة وجدوى .

كان الناس يخشون الفاجعة الكبرى قبل نزولها ويتوقعون الشر قبل حدوثه ويخافون ان تنزل الكارثة ببلادهم والنازلة بارضهم فلا يستطيعون لها دفعا ولا يتمكنون لها منعا على ان الرجال الذين قابلوا رئيس الحكومة يومئذ قد اتفقوا على تأليف وفد فخم يتوسط لدى الجنرال باسماعه صوت الامة ونقله امنيها اليه وان يكون ذلك يوم الاثنين المصادف ١٩ تشرين الاول فاخذ الناس بتاليف هذا الوفد وتنظيم لائحة المطاليب التي يريدون عرضها على المفوض السامي اخذوا بذلك ينتظرون اليوم الموعود حتى ينقذوا الوطن مما كانوا يخافون عليه .

تدمير عاصمة بني امية :

اشرقت شمس الاحد ثامن عشر تشرين الاول ١٩٢٥ وقد علا دارتها فترة واستولى على صقيل وجهها اغبرار يكتنفه اكفهرار واصفرار وكانها منذ طلعتها كانت تنذر روابي قاسيون وبطاح الشام ومآذن دمشق وربوتها بشر مستطير وكان كل هذه البوادر التي تجلى فيها قرص الشمس من صباح ذلك اليوم المشؤوم كانت نذير سوء واعلان دمار او كانه كان الى البوم الناعق الذي يبشر سكان المأوى بالخراب الآتي .

في هذا اليوم الذي انتقلت ساعة النحس اليه كان من الهمجية والبربرية والوحشية ما لم يحدث بمثله تاريخ ولم يذكر عنه قصص ولم يأت على روايته حديث . ما زمن هولاكو وتيمور لانك او نيرون بأشد وطئة واعظم فظاعة واكبر نكالا من يوم الاحد ثامن عشر تشرين الاول .

فلنسق اليك ايها المطالع الكريم حادث ذلك اليوم الرهيب يوم الفزع الاكبر يوم لم ينفع مال ولا بنون ويوم كان لكل امرء في دمشق شان يغنيه لقد توالى نكوص قوى الحكومة في يومي السبت وصباح الاحد الى المدينة مقهورين مذعورين بصورة متوالية وانقضى نهار السبت بتمامه ورجال الثورة الوطنيون يهزمون رجال السلطة في كل معركة وفي كل واقعة واخذوا يتربصون صباح الاحد خروج قوى الحكومة خارج المدينة حتى يناهضونها هناك ويناوئونها ويعلمونها درسا جديدا علاوة على ما كانوا يلقنونها اياه من دروس عدة في فنون القتال ودروس الطعان ومنازلة الاعداء فلم تجرأ على ما يظهر على مبارحة دمشق للقاء الشجعان .

وما ان كانت الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم حتى تراءى الناس

في هرج ومرج وفي اضطراب وتشويش وساعة اخذ فيها كل امرء لا يعي ما يفعل ولا يعلم ماذا يصنع وكانت الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن وقع المصيبة كان شديدا .

اخذ الناس يتراكضون والذعر ملء قلوبهم والخوف يفعم افئدتهم وكل يلتجيء الى حماه ومأواه من غير ان يجرا احد ان يسال الآخر لماذا يفر ويأوي الى داره وما كان يسمع من حين الى حين الا ازيز الرصاص بصورة متوالية وقد اعقب ذلك الازيز قعقعة المدافع وتلا كلاهما افرنقاع القنابل وانفجارها فكان يسمع لصوتها الاجش من وقعها على بعض البيوت والاحياء ما يهيب بالمرء رعبا وفزعا وخوفا .

ثم توالى بعد ذلك طلق قنابل المدافع من قلعة المزة هدفها البيوت الآمنة دون سبق انذار او اشعار وحتى دون ان يكون لدى الرجال الاوروبيين وسفراء الدول ورعايا الاجانب علم بما سيجري ويكون .

لو كنا في عصر للقوانين لهما قيمة او للانظمة لها وزنا او للاقوياء لهم عهد وذمام لقلنا ان ذلك كان خلافا لكل ما ذكر ولكن والاسف يحز النفس ويفري القلب نجهر بالصوت عاليا ان لا عهد لقوي ولا ذمام لغير الضعيف .

اما سبب ذلك الذعر والضرب فهو ان الثائرين الابرار عندما تمادى امامهم انهزام الحكومة ولجوئها الى المدينة جدوا في اثر تلك القوى مطاردين اياها حتى دخلت دمشق وتغلغلت قوى الحكومة في الشوارع وفي الازقة وبين البيوت يولون وجههم شطر حصن يأويهم ومعقل يقيهم وقلعة تذود عنهم سيوف الفرسان المغاوير حتى خافت السلطة من ذلك وحسبت له حسابا كبيرا والمجاهدون الاحرار لا ينفكون عن موالاة طرد رجال السلطة الفرنسية وملاحقتهم حتى القلاع ومن يفهم ان موالاة اطلاق الحكومة الفرنسية القنابل انما كان بسبب دخول المجاهدين عاضمة الامويين نهارا وكان عدد من غزا

دمشق من المجاهدين الابرار مئتي من المرج ومئة من الغوطة ومئة من دروز الجبل وعلى رأسهم المجاهد البطل نسيب البكري وقد انضم اليهم عدد غير قليل من ابطال احياء الشمارة والشاغور وباب السلام وضواحي دمشق تحت امرة كل من الصناديد الإشباوس حسن باشا الخراط ومحمود سلام وابي عبده ديب الشيخ وحسن المقبعة ومحمد الشوفاني وحسن النابلسي وعبد الغني الجلاد وحسن الزيبق وابو عمر خيتي وسعيد الزعيم المجاهد الكريم الذي استشهد غب دخوله دمشق مع الفتى الباسل نصوح ابي الشامات من كان يناضل نضال الشجعان المستميتين حتى لقي ربه يسجل بدمه على صفحات التاريخ اسطورة البطولة والمجد والفخار .

ظل المجاهدون في البلد اياما متوالية وظل طيلة تلك المدة اطلاق القنابل والرصاص متواليا بصورة مزعجة مؤلمة لا يستطيع تحملها بشر ولا تصورها انسان ولا وصفها بنان .

ظفر المجاهدون فاستسلم اليهم عدد وفير من درك وشرطة يتقدمون باسلحتهم اليهم واصبحت اكثر احياء الشام تحت رحمة المجاهدين المؤمنين برسالة الوطنية الخالصة وامتهم فكانوا خير مايوثق به ويعتمد عليه من مكرمة وشهامة وحفظ نظام وسيادة سلام وامان اما من كان مبعثرا في دمشق من موظفين افرنسيين ونسائهم وولدهم فقد هرعوا الى قلعة دمشق لاجئين يحتمون بصياصيها وابراجها وكواتها علهم ان يجدوا منقذا من سواعد الابطال ورصاص المجاهدين .

وقد بلغ اسماع المجاهد الجريء حسن المقبعة ان المفوض السامي قدم الى دمشق ليزور قصر بني العظم في البزورية فشاء ان يقوم بما لم يقم به غيره وان يخطف هذا المفوض من شارع هو في عداد اعظم شوارع دمشق فدخل المدينة ومعه رجاله الاشداء من جهة الشاغور وواصل السير واياهم حتى بلغ القصر الذي كان المفوض حينئذ فيه غير ان البطل الحسن ورجاله



المجاهد الكريم ابو عمر خيتي

الإخبار بما كادوا يصلون القصر حتى كان المفوض فر منه على جناح الرعسة ولم يبق هنالك الا بعض الجنود الفرنسيين اذ اخذوا باطلاق النار على المجاهدين الذين شقوا لهم في طريق النصر سبيلا فسيحا على اثر معركة كانت مجزرة للبشرية وكانت مما تشيب لها نواصي الولدان رهبة وذعرا وقد اشتعلت النيران بنهاية هذه الواقعة في هذا القصر من غير ان يدرك رجال السلطة ما للآثار فيه من قيمة وثمن على عكس ما كان عليه المجاهدون الاحرار من محافظة على الآثار وتجنب اذاها عندما كان الجنود المحصورون يطلقون النار على كل من شبه لهم بانسان ومما لا نستطيع اغفال ذكره من رجال الوطنية الصادقة وعمله المبرور البطل المغوار حسن المقبعة اذ كان في الطليعة وكان يصول على الاعداء ويجول وقد اعمل فيهم فتكا ذريعا وتقتيلا مريعا وقد علا ذكره في الخافقين على مر السنين فهو قد قام بأعظم فرض اقدس من الجهاد والبسالة مما لا يمكن لمؤرخ وصفه مهما اعطي من قوة البيان وطلاقة العنان للبنان . ظل هذا الرئبال يزمجر وفي كل زمجرة نفس تخر امامه وجثة تتحدر على اقدامه صرعى تغسلها الدماء حتى بلغ ما تمناه من نيل الموت في سبيل الشرف والمجد فخر هو الآخر وعلى صفحة وجهه نور يتلألأ فيضيء منه المكان نور الشهادة ومصباح الرحمة وقنديل الجنة والحياة .

كنا لا نود ان نقول ان ذعر رجال السلطة وجبنها تجاه شجاعة الوطنيين وبسالتهم قد اهابت بقوى الحكومة لدخول القلاع والتحصن فيها شان المنهزمين المكسورين المقهورين ولكن قبعهم فيها عدم اصلاء الثوار النار خارج دمشق من ناحية وارضاء للضمير وللتاريخ من ناحية ثانية حدا بنا ان نسجل على رجال السلطة الفرنسية هذا الخذلان المريع . وليس ادل على هذا الذعر الشديد والخوف الاكيد من الاسلاك الشائكة التي نصبت في اعظم شوارع دمشق وساحاتها العامة ونصب الدبابات والمصفحات في كل مكان في قلب عاصمة الامويين كجادة السنجقدار والدرويشية وساحة الشهداء وسواها

من الساحات العامة في المدينة مما اقلق الاهلين الآمنين واودع ارواعهم شديد الخوف طالما رأوا ان رجال السلطة الفرنسية بقواتهم الجهنمية يخشون نفرا ليس لهم من القوى الا السواعد المفتولة والمهندات اليمانية والصدور المفعمة بالايمان والوطنية . ايقن الناس حينئذ ان القوى المعنوية التي تخفق في نفس ثائر لحق ومجاهد لعقيدة ومناضل عن يقين اقوى بكثير من الحديد والفولاذ والنار .

كانت هذه الاسلاك والمصفحات والدبابات تحافظ على دور الحكومة وعلى القلاع وعلى كل مكان يأويه موظف وكان بالحقيقة ليس تحت قبضة الحكومة والسلطة الفرنسية من اماكن الا ساحة السنجقدار وساحة الشهداء والقلعة وسراي الحكومة وان كان فدائرة الشرطة ودائرة البلدية وقسم من الصالحية حتى دار المندوب المفوض السامي وما عدا ما ذكر فهو تحت حراسة الوطنيين المجاهدين الابرار وفي عهدة الثائرين الاحرار وفي ذمة وحمى هؤلاء الليوث المغاوير .

من قائل ان الحكومة قد جنحت الى ترك اقسام المدينة تحت رحمة الثوار خوفا وذعرا وعجزا عن تامين الامن وتوزيع السلام وتوطيد الهدوء والطمأنينة ومن قائل انها كانت تبتغي من وراء ذلك ان تترك الدار تنعي من بناها وان لا تهتم في قوم تعبت في مراسه وعيت عن مكافحة سلاسه .

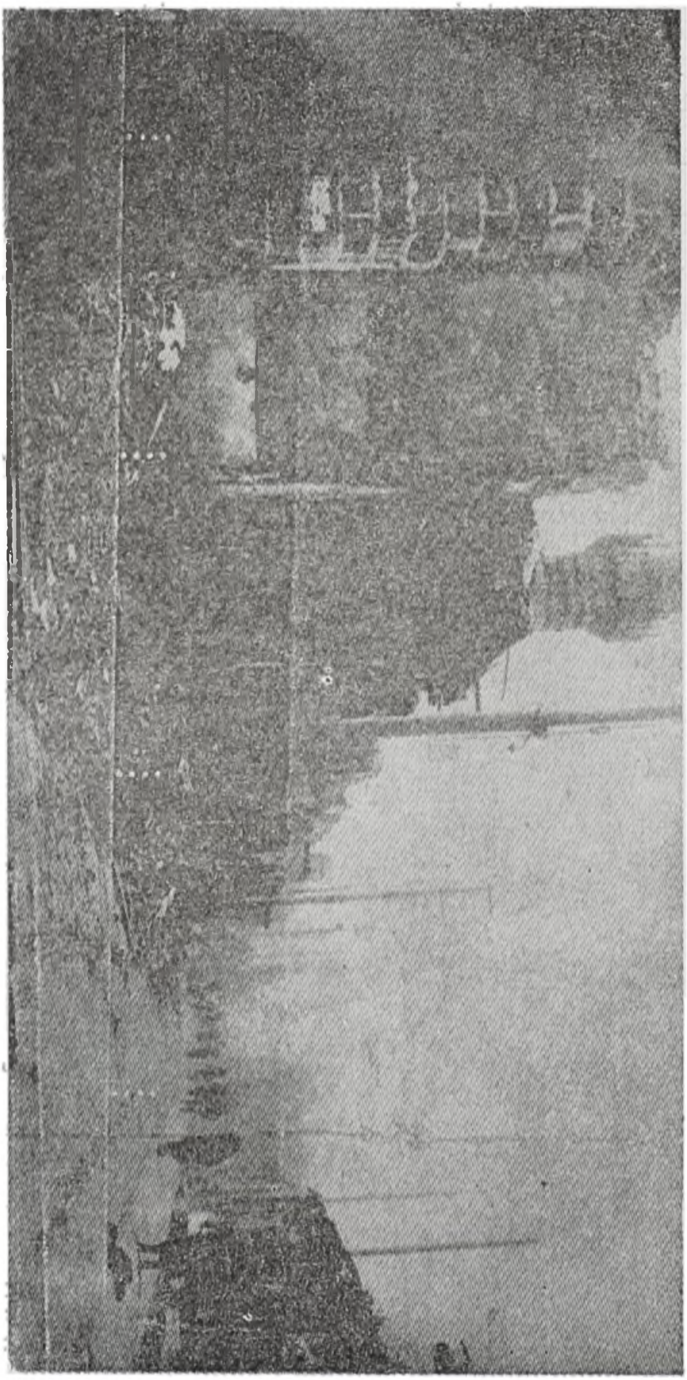
على ان القول الارجح والراي الاصوب والحقيقة التي ذكرها اكثر المؤرخين هي انها رمت من جراء صنيعها هذا الى امر سياسي بعيد ذلك هو ان تستطيع توطيد نفوذها على دعائم متينة وعلى اسس ثابتة وعلى ادلة وبراهين قاطعة . رمت من ذلك الى معركة تقع بين الاهلين وفتنة تحدث بين الاسلام والمسيحيين وحادثة بليغة كالتي دعيت بحرب الستين فتأخذ من كل هذه حجج دامغة على ان هذه الامة التي تناضل وتقاتل زاعمة انها تقوم وراء حق ووراء حرية ولاجل سيادة قومية انما شرذمة من قطاع طريق ولفيفه من لصوص وسفكة دماء وعدد من اناس يبتغون الفتنة باسم المصلحة العامة

وباسم الوطنية والفضيلة والشرف . ظنوا ان الثائرين ممن تمثل في خاطرهم وقام في خيالهم ومر بذاكرتهم من هؤلاء الناس وما علموا أن الامن الذي ساد ربوع دمشق واحياءها التي نفضت السلطة يدها منها كان على غاية من الوطادة وعلى اتم ما يكون من السيادة وعلى اروع ما يمكن ان يكونه امن في اعظم عالم متمدن لم يقع في الاحياء التي تركت الحكومة والسلطة امر المحافظة على ذويها أي حادث من الحوادث ولا ايسة واقعة من الوقائع خلال وجود ذلك الحي تحت سلطة الوطنيين الثوار ..

كانت السلطة تود ان تظهر للعالم الاوروبي أن لاحياة للمسيحيين فيسورية ما لم تكن ثمة دولة اجنبية تحميهم من اعتداء المسلمين ليقيم البرهان على وجوب وجودها بين ظهراني هذه البلاد وربوعها على ان الحقيقة ابت الا ان تظهر ناصعة البياض والا ان تلقم من يجرا على اخفائها حجرا والا ان ترد اسهم الكائد لها الى صدره .

فالبرقيات العامة ذكرت في ذلك اليوم ما معنى تعريبه : « الشائع ان الثوار لم يقوموا بالحقيقة بما يؤخذون عليه بل على العكس فان حسن الخراط زار احياء المسيحيين وهدأ روعهم بقوله انكم اخواننا » وتقرير القناصل المشترك الذي قدمه ونظمه معتمدوا الدول في دمشق قد ايد ذلك واستهجن ضرب الفرنسيين البلد من غير سابق انذار كما انه استنكر على السلطة وضع احياء المسيحيين تحت رحمة الثائرين .

اما ما كان من السلطة واطلاقها القنابل والنار على احياء دمشق فقد استمر ذلك منها من منتصف يوم الاحد ثامن عشر تشرين اول حتى مساء الثلاثاء عشرين منه ولم يعلم بالدقة والضبط عن عدد الذين قضوا تحت الانقاض اما خسائر المدينة المادية فتقدر بثلاثة ملايين جنيه . وكان عدد القتلى من المجاهدين قليلا اما سيارات الفرنسيين فقد كانت مشحونة بجثث الجنود تاتي المستشفى كثيرا جدا .



حلقت في سماء دمشق صباح الاثنين بتاريخ ١٩ تشرين الاول طائرتان فرنسيتان اخذتا باطلاق النار من رشاشاتهما على الدور والمآوي الآهلة بالسكان الآمنين كما تتابع قذف قنابل المدافع من قلعة المزة بعيارات كل قنبلة ١٥ كما كان شأن مدافع قلعة دمشق التي ما كانت تقل عن تلك اطلاقا لقنابلها التي كانت من عيار ٧/٥ والكل يستهدف احياء دمشق وبيوتها من غير تقدير لما ينجم عن ذلك الاطلاق من الاضرار في النفوس والارواح والاموال منقولة وغير منقولة ومن غير ان يقدر مطلقوها مبلغ ما تحدثه من الاضرار في الآثار الفنية التاريخية . وما كان المطل على دمشق ودورها يرى الا اسقفا تركع وتسجد وجدران تخر فتنحدر هاوية على ما تحتها من نساء واطفال وكثيرا ما كان يهرع اصحاب كثير من البيوت الى اقبية وسراديب تقيهم قذف القنابل وتنجيهم اطلاق الرصاص والنار فكانوا يطلون من نوافذ تلك الاقباء على منازلهم الآخذة بالتدمير والحرق والخراب .

لم يقف بالسلطة عند هذا الحد من الفواجع بل اخذت تطلق ظهر ذلك اليوم من افواه المدافع قنابل النفط اللاهبة هدفها دور السكان من غير الثائرين فما ان تمس القنبلة ما تصادفه حتى تشتعل وتصبح من لمسه شعلة واحدة ولهيبا متحدا كالجحيم . دام هذا القذف بهذا الشكل يومان التهمت النار فيهما اكثر من الف قصر من افخم قصور المدينة وابلغ آثارها النفيسة واغلى دورها بناء واثاثا فما كانت تصل قيمة الوسط من هذه الدور عن الالفي جنيه .



دخول الثوار الابطال الى دمشق

ذعر المفوض وفراره :

ادركت السلطة الخطأ الفادح الذي قامت به وشعرت بحراجة الموقف وقالت بامكان تغلب الثائرين على قواها فخشيت عاقبة الامر ونتيجة الحادث ولجأ المفوض .... السامي الى سيارته فامتطاها في الساعة العاشرة من صباح الاثنين وسار تحف به سيارات عديدة للمحافظة عليه يقصد بيروت تاركا دمشق التي اشعل فيها النار وفر . وقد اوجس رئيس الحكومة خيفة على نفسه فازمع على اللحاق بمولاه ولكن عندما صارحه بذلك ابساه عليه ومنعه منه وامره بالبقاء في دمشق فلم يستطع الا الاذعان والرضوخ فرجا المفوض ان يصحب معه عائلته التي كانت عبارة عن زوجه واخته فلبى رجاءه وكان عند ارادته وتودعا وقد بارح المفوض الشام في اتون ملتهب فارا من المعركة في ابان احتدامها وفي اوج لهيبها .

نسيب البكري وعصابات الغوطة والقلمون :

لم ينقطع ازيز الرصاص ولم تسكن قعقعة المدافع ولم تفتر انفجارات القنابل الا ان كان ثواني بين الواحدة والاخرى طوال يومي الاحد والاثنين ثامن عشر وتاسع عشر تشرين الاول . مما ضج له آل دمشق وقاطنوها على الاطلاق ومما جعلهم في حيص بيص فلا يودون ان يوعزوا الى الثائرين الذين حافظوا عليهم فصانوا اموالهم واعراضهم من ايدي السلب والنهب فيطلبون اليهم الانسحاب من بينهم والجلاء عن عاصمة ملكهم ولا هم يريدون ان تظل النار شابة والتدمير مجتاحا والناس فوضى يتطلبون الموت فلا يهتدون اليه .

وكانت السلطة تعلن من حين الى آخر انها لن تكف عما تفعل ما لم ينسحب من دخل المدينة من المجاهدين والثائرين . فبرهن هؤلاء القوم

على نبل ما تنطوي عليه صدورهم من اشرف الغايات نحو هذا الوطن بالفعل لا بالقول فالحوا على ساكني دمشق بأن يسمحوا لهم بأن يتركوا المدينة تكلأها عين الرحمة وترعاها يد الله من كل اذى وتحفظ البقية الباقية منها من ظلم الظالمين .

غادر المجاهدون الوطنيون عاصمة بني امية وتوجهوا للغوطة وكان فيها عصابات ثلاث قوية الاولى عصابة حسن الخراط وقد اقامت في المزور على ابواب دمشق والثانية عصابة جمعة سوسق وكانت تحل في جبال قلمون والثالثة عصابة رمضان شلاش من كانت ترابط في شمالي الغوطة اما المجاهد الكبير نسيب البكري فكانت مهمته الاشراف على هذه العصابات وادارة القيادة العليا في الغوطة والقلمون وقد قام هذا المجاهد العظيم بمهمته التي القيت على كاهله احسن قيام سطر له بالفخر والشكر والمجد .

ضحى وطنيو دمشق براحتهم وآثروا أن تنعم من غير ان يكونوا فيها طالما ان السلطة الفرنسية قالت بعدم الكف عن الضرب ما دام الثوار فيها . فشاؤوا ان يفوا هدوء المدينة بشقائهم وان تتذوق طعم القرارة والسكون من بعد ليل اليل ما شاموا خلاله وضح النهار من دخان القنابل المتكاثف والمنعقد في افق الشام .

على ان القادي الكبير حسن الخراط لم يشا ان يبارح دمشق من غير ان يعلم المفوض السامي بما جبل عليه الثائرون الابرار وفطروا من التضحية الحقيقية والمفاداة الصحيحة والوطنية الاكيدة لهذا بعث اليه بالكتاب التالي بعد ان نزح عن الشام :

من حسن الخراط الى المفوض السامي

« .... اما سياسيا فاني كللت شرف العرب بما هو اهله واستحسن فعلي العالم كله لحسن ادارة رجالي ومحافظتهم على اخواننا المسيحيين والاجانب خصوصا ، وعلى الضعفاء عموما . واما انت فقد نحرت شرف فرنسا وصوبت قنابلك الى قلبها ... انت ممثل فرنسا وانا حارس دمشق . اسرت جندك اسرا شريفا وانت ضربت النساء والاطفال والشيوخ ضربا دنيئا .

حافظت على الآثار القديمة وانت هدمتها يا جنار يا ممثل فرنسا !

كان بودك ان تجعلها دينية اسلامية وتفرق بيننا وبين اخواننا ولكن الله ابى . فضيعت رشدك وخربت الاحياء الاسلامية على رؤوس اهليها آملا ان اقابلك بالمثل ، وقد فاتك اننا عرب ونحافظ على الجار .

انت جنار وقائد الفرق والجيوش ، وانا حارس بسيط ، جمعت عقلي وضيعت رشدك الخ .... »

قبيل ظهر الثلاثاء المصادف بتاريخ ٢٠ تشرين الاول سنة ٩٢٥ يمم قسم من الناس وجهتهم نحو الجنرال غاملان طالبين منه الايعاز الى من يلزم بوقف الضرب واسكات المدافع ابقاء على ما بقي من المدينة قائما وتهدئة للنساء والاطفال والشيوخ فأجابهم بتعذر ذلك حتى الظهر اذ ان الخطة التي اختطها لما تنتهي بعد ويتعذر ذلك ايضا ما لم يرضخ اهل دمشق لتلبية ما فرضته السلطة واداتها لها وذلك مئة الف ليرة ذهبية غرامة حربية وما لم يتقدم بثلاثة آلاف بندقية مصحوبة كل منها بمئة طلق ناري مهددا بأنه اذا سمع عيار واحد من حي من احياء المدينة فانه يدمر الحي باسره وهدد الوفد الذي قابله بانه اذا لم يذعن سكان دمشق لما طلبته السلطة الفرنسية حتى الساعة الخامسة من مساء ذلك اليوم فانه يأمر بهدم البقية الباقية من عاصمة بني امية .

هذا الذي لايمكن ان يكون وهذا المطلب الذي يستحيل ان يلبى وهذا التعجيز والاكراه وحمل الانسان فوق ما يطيق من اين تستطيع مدينة باسرها ان تنفذ ما طلبته السلطة الفرنسية في هذه المدة الوجيزة والبرهة القليلة والزمن الذي لا يتسع لشيء لهذا كان من البداهة بمكان ان ياخذ رجال الوفد باقناع السلطة بتمديد الاجل حتى يستطيعوا ان يكونوا عندما طلبته منه . وبعد اخذ ورد ونقاش وجدال اقتنعت رجال السلطة بوجوب تمديد المدة حتى يوم السبت الذي يلي الثلاثاء المذكور .

بسطنا بين يدي القاريء الكريم ما كان في تلك الايام العصيبة التي مرت بالفيحاء الفناء ولم نشا ان نعلق على ما كان في هذه المدينة التي هي اول مدينة انشات فوق البسيطة شيئا . فالطالع الذي يتمثل وضع دمشق في ذلك اليوم يستطيع ان يقدر لاهاليها ما عانته وكابدته ورضخت له من امر لا يطاق .

تنفس الناس الصعداء بعد وقف الضرب واخذت السكينة والطمأنينة تؤوب بالتدريج الى الارواح والنفوس والقلوب وان كانت طمانينة على دخل وسكينة موقوتة .

ساد سماء دمشق شيء من فترة كالتي تكون بين الصحو والموت والناس تفكر في انفاذ طلب السلطة حيارى لا تعي من اين تستطيع ان تكون عند تلبية الطلب والايام الثلاث التي ضربت مهلة للقيام بالمفروض مرت سراعا جدا لم يدر الناس بها كيف مرت واقبل اليوم الموعود ولم يكن قد قام من دمشق احد بما فرضته السلطة فهلعت قلوب الآمنين القاطنين رعبا وذعرت نفوس الساكنين وجلا من ان تعود السلطة سيرتها الاولى قبل يوم الثلاثاء . وقد زاد في رهبة الناس وجزعها ما اذاعه معتمد بريطانيا مساء الجمعة على رعاياه اذ قال : « نظرا لعدم تسلم السلاح ودفع المال الذي فرض ونظرا لان السلطة ستضرب دمشق بقنابلها مرة اخرى صباح غد فعلى الرعايا البريطانية

ان تؤم دار القنصلية صباح السبت مزودة بما يكفيها من قوت بضعة ايام مصحوبين بالاوراق المثبتة الرسمية » .

كان لهذا البيان الذي اصدرته معتمدية بريطانيا في دمشق اسوأ الوقع واعظم التأثير واعظم التاثير فاصبحت المدينة بحالة ذهول عميق تستسلم للموت وللقضاء والقدر .

بزغت شمس السبت وآن اوان الوعد ولم يعد في دمشق من حيلة تتذرع بها الى السلطة الفرنسية ان تكف عن الضرب ووقعت هذه المدينة الخالدة بين حيص وبيص الى ان تفتقت الحيلة وايا للسلطة الفرنسية العسكرية ذلك هو انها حملت الحكومة المحلية بالتعهد بدفع الغرامة من خزينتها ثم هي فيما بعد تفرضها على الناس وتجبيها كالاموال الاميرية مع ضريبة الاملاك هذا ما كان من امر المال واما البنادق فانها اخذت السلطة باسم البحث عنها تتحرى بيوت العاملين مطلقة يد المتحرين ان يفعلوا اثناء التنقيب والتفتيش ما يشتهون وعندما ايقنت السلطة بان ليس ثمة من بنادق في البيوت اوعزت الى المتطوعة من الشركس والارمن ان تاخذ من القلعة بنادق تبيعها باثمان باهظة حتى ان البندقية ساوت عشرة ليرات ذهبية . وهكذا اخذ الادلون بابتياع البنادق بهذه الاثمان وتسليمها للجان التي خصصت للم السلاح ثم تبدل الامر فاصبحت اللجنة تقبل عن كل بندقية عشر ليرات ذهبية وبهذه العملية تم جمع السلاح المطلوب الذي فرض على المدينة .

نماذج مدنية قرن العشرين ! ...

١ — في اواخر شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٥ بينا كان احد موظفي الاوقاف وهو من الاسر العريقة بالمجد والنبل السيد رضا القضماني قافلا

الى بيته مساء اذ امره سبعة من الجنود الافرنسية للوقوف في احدى المنعطفات وقد اطلقوا عليه النار ارهاباً يامرونه بتسليم ما يحمل من نقود من قبل ان يخيم الظلام بجنحيه على الشام . ومن غير ان يجديه تكاكأ الناس والتفافهم حوله نفعا فلم تتركه رجال التمدين الا وقد افتدى نفسه بما يحمل في جيبه من ١٣ ليرة افرنسية وليرة عثمانية ذهبية .

كانت فصائل الجيش الفرنسي عندما انهزم قافلا للمدينة يصطحب معه عددا من المزارعين والفلاحين فيزجهم في اعماق السجن والقضاء المحلي يجهل خبرهم ولا يعي عنهم شيئا . وما كان هؤلاء القادين للسجن ليعلموا سبب زجهم فيه فكثيرا ما كان سكان دمشق يرون سيارات مقفلة تذهب وتجيء بين القلعة وظاهر المدينة مرتين او ثلاث من غير ان يعلموا ما فيها وما تنقل وتحمل .

٣ ــ اوعزت السلطة بالقبض على عدد من زعماء الشاغور للتحقيق معهم وقد جيء بهم الى دائرة الشرطة وانتدب قاض من قبل المحكمة للاستجواب وفي اليوم الثاني المصادف الاسبوع الاخير من تشرين الاول سنة ٩٢٥ عندما طلب احضارهم اليه اخبره احدهم بان آمر السجن في القلعة اعدمهم جميعا من تلقاء نفسه . واسماء هؤلاء الناس التي ذهبت ضحية الغدر والانتقام بلا جرم مدونة في سجل دائرة الشرطة وقد جرى فيها التحقيق ابتدائي ولم يتم .

٤ ــ في هذه الايام المذكورة كان جنود المغاربة كلما شاء ان يتلهى بذعر الناس وخوفهم ويتسلى بامتاع البصر برؤيتهم يتراكضون خوفا ووجلا يأخذ بندقيته في اعظم شارع من شوارع الشام كسوق الحميدية فيطلق في الفضاء العيارات النارية حتى يفتر ثغره البسام ضاحكا متقهقها من هلع الناس وتراكضهم اثر بعضهم بعضا وليس لاجل التسلي فحسب بل لاجل السلب حتى ينتهز فرصة تلاشي الناس فينقض على الصيارف التي تكون في

السوق ويأخذ منها ما تصل اليه يده من جنيهات وهكذا يقفل راجعا فائزا منتصرا مملئا جيوبه ذهبا .

٥ ـ كانت السلطة الفرنسية العادلة ! تعدم كثيرا من الناس بلا محاكمة ولا استجواب ولا تحقيق حتى ان من نجا من اطلاق القنابل اثناء ضرب المدينة لا ينجو من القاء القبض عليه بعد تلك الحادثة واخذه الى البستان المسمى « بالكركة » في اول الصالحية وهو الكائن وراء دار البعثة الفرنسية اذ كانت السلطة الكريمة تأمر كل من تأتي به اليه بأن يحفر بيده قبره ثم تواريه التراب بعد اطلاق الرصاص عليه فأعدمت بهذه الطريقة وعلى هذا الاسلوب في يوم ٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ مايقارب الثلاثين شابا وكان من بين هؤلاء الشباب واحدا يسمى « علي الفتة » من حي السنانية اصيب هذا الشاب برصاص بعض الجنود فاغمي عليه لكثرة ما نزف من دمه فنقل مع الموتى من رفاقه الى دائرة الشرطة العامرة حيث كانت تنقل اليها عادة جثث من يعدم حتى يؤخذ منها كل مساء لحفر خارج المدينة فلما افاق الجريح من غشيته ورأى الجنود انه لا يزال بقيد الحياة هالهم هذا الامر وبثوا به الى دار البعثة الفرنسية حيث بحث عن حتفه بظلفه كما كان يفعل رفاقه واعدم كما مر .

٦ ـ عندما كانت مدافع الدولة المنتدبة تقوم بتمدين اهالي دمشق واحيائها بالقتل والتخريب وتدمر المنازل على رؤوس سكانها لجا ما يقارب الخمسين شخصا الى منزل الوجيه عبد القادر العجلاني الكائنة بزقاق سيدي عامود ملتجئين اليه فرارا من الموت ولكن ما عتموا ان راوا النار تنهال على المنزل الذي التجاوا اليه فتدافعوا نحو الباب يبغون الخروج وكان المنزل يقابل احد اسوار القلعة الذي كان يتسوره كثير من الجند لرمي من يفزع للهرب من الناس . وما ان فتح الباب حتى اطلق الجند من سور القلعة رصاصه على من شاء الفرار فقتلوا العشرة منهم واخذوا بموالاة رمي النوافذ والابواب

بالرصاص تاركين من السور حتى اضطر الباقون الى نقب الجدران من خلف الدار والهرب تاركين جثث القتلى عند وصيد الباب .

٧ ــ كان احد الجند الفرنسي في ٢١ تشرين الاول في سوق الخضار خان الباشا بدمشق واذ بمرور احد كبراء الهند واعيانهم المدعو رحمة الله خان من مدينة كراتشي جاء دمشق ليذهب منها لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم في يثرب فمر بالسوق المذكور وكان مزدحما بالناس فمرت الجنود الفرنسية مخترقة ازدحام الناس واخذت تطلق الرصاص على من كان هناك من اناس فأصابته فضلا عن ثلاثة ممن كانوا هناك فشاء الهندي أن يعترض على هذا العمل فأرجأ ذلك للطريق الرسمي بمراجعة المعتمد البريطاني وقد فعل .

٨ ــ سمع عيار ناري صادر من حي سوق ساروجة فاسرع رجال السلطة الى الحي المذكور ولما لم يعثروا على مطلقي النار طوقوا احد المنازل حيث لم يكن فيه الا امراتان واطفال اربع فألصقوا التهمة بهؤلاء وامروهم بالخروج من الدار ثم طوقوها بالديناميت واشعلوا فيها النار فكانت انقاض البيت تتطاير في الفضاء غير ان الاليم في الموضوع ليس نسف الدار فحسب بل جهالة مصير العائلة برمتها بحيث لم يعد احد يعلم اين بقيت والى اين فرت وبات امرها مكتوما .

٩ ــ ابان ضرب المدينة بتاريخ ١٨ تشرين الاول خرج طبيب معروف في دمشق يبحث عن مأمن ينجيه وعائلته من القنابل التي تساقطت فاخذ طفله المدعو عدنان الذي لم يبلغ الخامسة ربيعا بيده ومر بشارع الدرويشية يلوح بمنديل ابيض اشارة السلام والاطمئنان ومنعا للجنود من اطلاق النار عليه وعلى طفله وعلى عائلته اذ ان دبابة كانت رابضة في الطريق فما كان من جنود الدبابة الا ان صوبوا قنابل الدبابة على ذلك الطبيب فأصابت شظايا القنبلة رجل الطفل المدلاة فبترتها وهكذا فر الطبيب وحينئذ تفرقت عائلته

شـارع مذر اما جثث القتلى التي ظلت تحت الردم فلم يحصيها عد على وجـه الضـبط غير ان الرواة اجمعت على انـه اخرج من حي الشاغور لوحده يوم واحد ثلاثمائة جثة من قتلى شيوخ ونسـاء واطفال .

١٠ ـ كل ما مر من الحوادث وان يكن على شيء من الفظاعة لا يستهـان بها غير ان مفعوله لا يتجاوز نطاق الحادثة التي وقعت وجرت . اما مافعلته السلطـة من تجنيد بعض مسـيحي لبنان وسوقهم لمقاتلة الثوار في الاقليـم السـوري قصد اشعال الفتنة بين المسـيحيين والمسلمين فهذا عمل لا يمكـن تقدير عواقبـه الوخيمة بوجه الدقة والضبط اذ انها بصنيعها هـذا كـانت ترمي الى ايقاظ الطائفية حتى تفتح المجال لشن الغارة بين طائفتـين متآخيتين متحابتين ظلت تحت ارهاق العدى زمنا طويلا . وهذا بالحقيقة امر ينـكر حتى من قبل نفس الفرنسـيين المنصفين .

هذا ما استطعنا ان نصل اليـه من الفظائع التي ارتكبت في الاقيلم السـوري من قبل رجال الحضارة والمدنية باسم التحضير والتمدين وحسـبنا ان نوجز القول بان الاقليم السـوري وخاصة دمشق اصبحت بعد اسبوع من الفاجعـة لا يمكن للمار اجتياز احيائها وشوارعها لما كان ينبعث فيها من روائح الجثث التي ظلت تحت الردم مدفونة .

على اننا نكتفي بما قاله الجنرال سرايل الى بعض اخوانـه في عاصمـة الفرنسـيين باريز وهو : « ان مئـة وخمسـين قنبلة طاشت في دمشـق » فمن هنا يدرك المطالع الكريم مبلغ رصانة القيادة العامـة العمياء التي كانت تأمـر باطـلاق القنابل ودرجة اهتمامها بارواح الناس . وكم كانت حريصة علـى النفوس والارواح .

ومن هنـا يستطيع القارىء ان يقدر المدنية الاوروبية حق قدرها وان يأخذ الفكرة الصحيحة عن رجال الحضارة حتى يعلم ما ذا يجب على الضعيفـه نحو القـوي .

قال الجنرال ساراي في تقرير له بعث به قبل براحه الاقليم السوري : « ان تهديم دمشق كان مناورة دلت على مهارة المدفعية الفرنسية » .

اما ما كان يجب ان يقال : « فهو ان تهديم دمشق كان صورة تجلت فيها روائع الحضارة الفرنسية في شكلها الطبيعي العاري عن كل طلاء » .

فهذه هي الادارة الحكيمة التي استطاعت الحكومة الفرنسية المنتدبة على الاقليم السوري ان تسوس بها سورية العربية وهذا هو فضل عصبة الامم على البلاد السورية اذ اوفدت اليها باسم تحضيرها من بقر بطون نسائها وقتل الامن من شيوخها وقضي على الاطفال الرضع في اسرتها وهذا هو السلم الذي نصبته الدولة المنتدبة لاهالي هذه البلاد كي يرتقوا درجاته حتى يصلوا الى الاستقلال الذي لا يبلغونه وفي يدهم درهم او في جوانحهم حس من وطنية . فلتعلم جامعة الامم بفدح المصاب الذي بعثت به الى هذه البلاد عن طريق الانتداب ولتعلم ان هذا السهم الذي رمت به الاقليم السوري اصاب عن يد الفرنسيين مقتلا لا قيام له من بعده ابدا .

دمشق تحت الادارة العرفيـــة :

ما ان كان مساء ٢٤ تشرين الثاني — نوفمبر — سنة ١٩٢٥ حتى اذاعت السلطة بلاغا رسميا اعلنت بموجبه اخذ دمشق تحت الادارة العرفية وكذلك حوران بالنص التالي :

١ — تعلن الادارة العرفية في مدينة دمشق وسنجقي دمشق وحوران اعتبارا من ظهر يوم الاربعاء الواقع في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٥

٢ — تخول السلطة العسكرية في المناطق التي اعلنت فيها الادارة العرفية حسب المادة الاولى من صلاحيات القضاء والضابطة التي تقوم بها السلطة الملكية وذلك في الجنايات والجنح التي تقترف ضد سلامة الدولة وسلامة

«المنطقـــة وجيوش الدولة المنتدبـــة والنظام والامن العام وفقا لنصـوص القرار رقم «٤ س» تاريخ ١٠ يناير سـنة ١٩٢٥.

٣ ـ تقوم السـلطة العسـكرية بتطبيق الصلاحيات الملمع اليها بالاتفاق مـع حضرة المفوض السـامي او مندوبـه .

٤ ـ الواجبات الناجمة عن احكام هذا القرار او احكام القرار رقم «٥ س» تتناول جميع الاشخاص الموجودين بايـة صفة كانت في المناطق المعلنة فيهـا الادارة العرفيـــة .

٥ ـ تثابر الادارة الملكيـــة على القيـــام بالصلاحيات التي لم تجرد عنـــه بموجب هذا القرار .

٦ ـ امين السر العام والســلطات الملكية والعسـكرية من فرنسـية وسـورية مكلفون كل فيما يخصـه بتنفيذ احكام هذا القرار .

وقد نشر مع البلاغ الملمع اليـه اعلاه البيان التالي :

قامت عصابات في ضواحي دمشـق بتعديات على الاملاك والاشخاص وقد تجرأ بعض الاشـقياء على احداث الاضطرابات حتى في المدينة نفسـها .

ولهذا فان المفوض السـامي قد عزم عزما ثابتا على الاسراع بدون امهـال لوضع حد لهذه الحالة التي لا تحتمل وهو يدعو الاهالي جميعهم لمساعدتـــه بثقـــة تامـــة للمحافظة على النظام الذي لا بد منـــه ليتمكن كل شخص من ان يعيش ويشتغل في امان وســـلام ورغبة في الوصول الى هذه الغاية فـان الجنرال المفوض الســامي الذي زودتــه حكومة الجمهورية الفرنســية بالسلطة المطلقـــة يعلن الاحكام العرفية في مدينة دمشـق وسـنجقي دمشـق وحوران .

يجب ان يفهم الاهالي ان هذه التدابير لم تتخذ الا لصالحهم والتمكن من اعادة الحياة في اقرب وقت الى مجراها الطبيعي .

على جميع الاهالي ان يراعوا بكل دقة جميع الاوامر والاحكام الصادرة من السلطات العسكرية والمدنية وان يكونوا على ثقة ان لا غاية من هذه الاوامر والاحكام الا الخير العام ولم يوح بها الا الرغبة في المحافظة على مصالح كل فرد من الاهالي واملاكه وحريته لا تبقى الاحكام العرفية الا اثناء الاضطرابات السائدة حاليا ويستعمل المفوض السامي ما في وسعه لاعادة الامن التام في ناحية دمشق فيتمكن اهالي المدن والقرى من العودة الى اشغالهم التي انقطعوا عنها وتتمكن سلطاتها بالثقة والتعاون مع الدولة المنتدبة من وضع التشكيلات الجديدة التي تترتب عليها ادارة البلاد .

صدى الفاجعة :

كان لاخبار الكارثة التي جنحت فوق ربوع الشام صدى مريعا وتاثيرا فظيعا واضطرابا عم العالم وان صحيفة التيمس التي تصدر في عاصمة البريطانيين قد زار مكاتبها الذي يحل دواما في القاهرة دمشق على الفور فوصف هذه الفاجعة بعبارات نجمل تعريبها بما ياتي :

« ... ان الانكسارات التي اصيب بها الفرنسيون والمقاومة التي لاقوها في جبل الدروز قد احدثت اضطرابا عاما فانتشر الثائرون خارج دمشق وانصرف الفرنسيون الى معالجة القرى التي اشتبهوا بأنها تلجيء رجال العصابات ومنذ اسبوعين احرق الفرنسيون قرى عديدة في الجنوب الشرقي من دمشق وجلبوا اربعة وعشرين جثة وطافوا بها على ظهور الجمال في شوارع دمشق الرئيسية وعرضوها في ساحة المرجة « الشهداء » وكانوا يقصدون من هذا المنظر الذي يثير كوامن الصدور ان يحذروا العناصر المقلقة

ولكنه افضى الى احداث تأثير يعاكس التأثير المقصود منه على خط مستقيم فقد هاج غضب الجمهور وسخطه ومما زاد الطين بلة ان كثيرين من القتلى الذين عرضت جثثهم هم من اهالي دمشق وبعد ثلاثة ايام من هذا العمل وجدت خارج باب شرقي ١٢ جثة من جثث الشراكسة الذين يستخدم الفرنسيين كثيرين منهم في القتال كجنود غير نظاميين فهذا الجواب على عمل الفرنسيين يدل على الروح السائد بين الذين اراد الفرنسيون ان يرهبوهم وفي ليل ١٧ اكتوبر هوجم جنود من الفرنسيين وقتلوا في احد الاحياء المتطرفة وبعد قليل اطلقت النار على عدد آخر من الجنود وفي صباح اليوم التالي ظهر في حي الشاغور ستون ثائرا وبعد قليل ظهرت عصابة من دروز جرمانا في حي الميدان وذهبت العصابتان الى الاسواق في وسط المدينة وشجعهما على ذلك اناسا من احياء أخرى هاجموا البوليس وجردوه من سلاحه وجعلوا يطلقون بنادقهم في الفضاء فبثوا الرعب والذعر ولم يكن احد يعرف في الحقيقة ما كان يجري وكان عدم الوقوف على حقيقة الحال سببا في ازدياد القلق ويظهر ان الفرنسيين كانوا يعتقدون من قبل ان الجمهور يوشك ان يقوم بحركة مهمة وان القوات التي تعمل ضدهم اكبر مما هي في الحقيقة على ان الذين راقبوا الحال مراقبة دقيقة يرون ان عدد المغيرين لم يزد قط على خمسمائة .

وفي ظهر اليوم الثامن عشر من شهر اكتوبر ارسل الفرنسيون الدبابات فجعلت تخترق الاسواق بسرعة هائلة وتصب نيرانها ذات اليمين وذات اليسار وفي الساعة السادسة مساء بدا الفرنسيون بضرب المدينة العريقة في القدم ويؤخذ مما عرف حتى الآن انهم لم يستعملوا هذه المرة سوى القنابل الخالية من القذائف ولكن هذا الضرب لم ينقص قلق الجمهور وذهوله واستمر الضرب الليل بطوله .

وفي صباح اليوم التالي سحبت جميع الجنود فجأة من المدينة ومن

جملتهـا احياء المسيحيين وحشدت في حي الصالحية ونقلت جميع عائلات الفرنسيين الى هذا الحي ثم شرعت المدفعية من الساعة العاشرة صباحاً الى مدة اربع وعشرين ساعة تطلق القنابل المحشوة بالقذائف على المدينة وجعلت الطيارات في الوقت نفسه تمطر القذائف وتطلق الرشاشات .

وفي ظهر اليوم العشرين من اكتوبر انقطعت النيران وهي الهدنة التي تسمى هدنة الاربع والعشرين ساعة وقد تركت قذائف المدفعيات واعمال المغيرون آثارا لاتمحى ورايت هذه الاثار في كل ناحية فأحدثت كآبة في نفسي فجميع المنطقة الواقعة بين سوق الحميدية والشارع المستقيم المسمى « سوق مدحت باشا » اصبحت خرابا وجميع مافي السوقين من المخازن قد دمرته نيران الدبابات او قذائف المدفعيات مخزنا بعد مخزن واصيب حي الشاغور باضرار عظيمة وكاد سوق الخراطين يصبح كله كومة رماد وترى المنازل منزلا بعد آخر على وشك الدمار لان القنابل قد خرقت جدرانه ولا شك انها قنابل المدفعية الفرنسية على ان الجامع الاموي العظيم قد نجا لحسن الحظ من النار ولكن جامع السنانية الجميل اصابت احدى القنابل قبته ففتحت فيها فوهة عظيمة ومرت القنابل الاخرى في نوافذه الجميلة المصنوعة من الفسيفساء اما الخسارة التي لا تعوض فهي قصر آل العظم فلم يبق فيه شيء ما من كنوزه فقد نهب بعضها واتلف البعض الآخر ولم تترك منه قذائف المدافع سوى جدران مكان الحريم وتحول الى خراب واصيب سوق البزورية باضرار عظيمة ودمرت منازل العائلات المشهورة كعائلات البكري والركابي والقوتلي تدميرا تاما فالالفاظ تعجز عن الاحاطة بالمعاني التي يوصف بها المنظر الذي تظهر به الآن تلك المدينة المقدسة ومن الصعب تقدير الخسائر التي وقعت من جراء تدمير الابنية وكثيرون من الثقاة من كل نزعة يقولون انها تتراوح بين مليون ومليونين من الجنيهات التركية الذهبية ولم يعرف من القتلى الاجانب سوى رجلين طرابلسيين ورجل انكليزي واحد جريح واذا كانت الجاليات الاوروبية قد استطاعت النجاة

بسهولة فما ذلك بفضل الفرنسيين وحسن تصرفهم بل بتوسط المسلمين وخدماتهم الطيبة فقد سلكوا سلوكا باهرا وجعلوا يبادرون بانفسهم الى توطيد النظام والسهر على الراحة في حي المسيحيين بعدما انسحب منه الجنود وحموه من كل من حاول ان يدخل اليه بقصد النهب وبادر بعض رجال البوليس من المسلمين واخذوا الاوروبيين الى اماكن يامنون فيها فجميع الاوروبيين الذين لقيتهم ممتنون كل الامتنان من هذه المساعدة التي لقوها من المسلمين وفي حين ان الاوروبيين في دمشق لا يستطيعون ان يعبروا عن كل ما يخالج نفوسهم من الامتنان للمسلمين تراهم يظهرون استياء عظيما من ضرب مدينة مفتوحة كدمشق ذات اماكن معروفة رسميا بانها ماهولة بالاوروبيين ومع ذلك ضربت بالقنابل وقد سحبت جميع الجنود من احياء المسيحيين وضربت اماكن الاوروبيين بدون اقل انذار سابق والظاهر ان السلطة الفرنسية قابضة على زمام الحالة ولكن لم ير الى الآن ما يدل على عودة الحال الى مجراها الاصلي نعم انه في وسع الفرنسيين ان يحتفظوا عنوة بالسلام في دمشق ولكن مفتاح الحالة كلها في سورية هو جبل الدروز فما دامت الحالة لم تستقر فيه فستستمر القلاقل من وقت الى آخر او تزداد ويرى العارفون أن فرنسا تحتاج الى قوات اكبر من القوات الحالية لاخضاع الجبل والاحتفاظ بالسلام في بقية البلاد التي كثرت فيها العصابات الآن ومع ذلك ففي الامكان تذليل العقبة فيما يتعلق بجبل الدروز من دون التجاء الى وسائل القمع لان هذه العقبة انما قامت لان الفرنسيين لم يقدروا حالة الدروز النفسية حق قدرها واصروا على اخضاع شعب اشتهر بعزة النفس والرجولية فاذا استطاعوا معالجة الامر بحكمة امكنهم تحويل الدروز من خطر مقيم الى حلفاء .

ولم يقتصر الامر بشأن الكارثة على هذه الصحيفة ومكاتبها بل ان انباءها ما كادت تبلغ عاصمة الفرنسيين حتى هاجت لها الدوائر السياسية اهتياجا كبيرا واخذت امهات الصحف وكبريات الجرائد تكتب الحقوق الطوال

والمقالات الكبار عن ما كان في سورية كما يؤيد ذلك مقال جريدة المانان التي تصدر في باريز والذي كان بعنوان « لقد طال زمن الفضائح في سورية » والمقال الآخر الذي كان بنفس الجريدة ولكن بعنوان « لقد اضر ويضر الجنرال سارايل بسمعة فرنسا كثيرا لعجزه عن متابعة سياسة رشيدة » كما ان جريدة الايكودي باريس نشرت مقالا للمسيو ديكيريليس عنوانه « من الذي يوحي الى سرايل ؟ » قال فيه « ان الانباء الصريحة التي حملها بالامس احد الثقاة والذي غادر دمشق في السابع عشر من تشرين الاول تؤيد ما نشرته جريدة التيمس من المعلومات وان الجنرال سارايل بتدابيره الخاطئة قد اثار فتنة دمشق اما للانتقام من القرويين في ضواحي المدينة الذين ارعبتهم العصابات ... فاضطروا الى مدها بالمؤن واما لاتباع اساليب الارهاب لما لاح له شبح الثورة في المدينة .

وقد اصدر الجنرال سارايل في اوائل شهر اكتوبر امرا الى الفصائل الشركسية والسورية باحراق قرى جرمانا والمليحة وزبدين وداريا . وحدث في قرية دير بحدل من قرى الامير كاظم حفيد الامير عبد القادر الجزائري ان جميع منازلها صب عليها البترول واضرمت النار فيها بلا استثناء فأصبحت اكواماً من الرماد .

« وفي خلال ذلك كثرت حوادث الاعدام السريع رميا بالرصاص وقد شهد الدمشقيون في يوم ١٤ اكتوبر منظرا تنخلع له القلوب وهو منظر اثنين وعشرين جثة من جثث القتلى عرفوا بينها جثث كثيرين من المكارين والقرويين المعروفين في سوق المدينة وقد سير بهذه الجثث في الشوارع وهي في حالة عري تام وقد ربطت الى ظهور الجمال . فسار هذا الموكب المفجع تخفره قوة من الجند ثم وقف في الساعة العمومية حيث صفت الجثث وعرضت على الجماهير ....

« ومن ذلك الحين اخذ السخط والحنق من نفوس العامة من احياء المدينة مأخذه فترك الناس اعمالهم واقفلت المخازن واتخذت المدينة ذلك

المظهر الذي ظهرت به في ايام الفتنــة .

وفي ١٧ اكتوبر اسر الثوار جنود فصيلة فرنسـية فمثلوا بجنودنا التعسـاء وجاؤوا بجثثهم وطافوا بها في احياء المدينة التي ثارت كلهـا . وتبدو مـن ذلك الظروف والاحوال التي ادت الى ذبح جنودنا والى مصائب لا يمكن تلافيها بخطا الجنرال سارايل المنكود وهي احوال تعود المسؤولية فيها اليه .

« انـه دبر في ١٢ يوليو مكيدة دنيئة للدروز بغية القبض على ممثليهم الذين هزا بهم واهانهم قبل ذلك واختطف منهم ميثاق الضمان فقبض عليهم واودعهم السجن بعد مـا دعاهم الى ابـداء مطالبهم . وكانت نتيجة ذلك ان الدروز انتقموا لانفسـهم فأبادوا فصيلة الضابط نورمان واخرجوا الفرنسـيين من جبلهـم .

« وبين اليـوم الثامن واليوم الرابع عشر من شهر اكتوبر لجأ الجنـرال ساراييل الى احراق القرى في ضواحي دمشـق ودبر ذلك الموكب المفجع مـن الجمال المحملة جثثا او سمح بـه فانتقم السكان العرب من جنودنا التعسـاء وثاروا ثورة عامة . فما اسـوأ ذلـك التدبير وتلك الفريزة التي اوحت الـى الجنرال ساراييل مأساة جبل الدروز تلك المأساة التي تعود اسبابها الى اهماله التـام وعدم مبالاته ...

« وتحرج الموقف بعد ذلك ولكن عناده المقرون بالحمق والقسـوة والفظاعة منعه من الاعتراف بخطأه في عدم تبصره في تلك الحوادث وعدم عده اياهـا من الحوادث الخطيرة .

« وماذا يستطيع الجنرال ساراييل ان يجيب عن هـذا السؤال البسيط وهو : لماذا حينما اظهر لك الضباط والموظفون ما في عنادك من الحمق وابلغوك ان الثورة على وشك النشوب ودعوك لمشاهدة الحالة بعيني راسـك لم تذهب وتعاين تلك الحالة ؟ ولماذا لم تذهب من ثلاثة اشهر من دمشق الى السويداء والمسـافة بينهما لا تستغرق اكثر من ثلاث ساعات بالسيارة ؟ » .

وعقدت جريدة التان التي تكاد ان تكون لسان حال الحكومة الفرنسية مقالا طويلا عن كوارث سورية تعريبه :

« اننا لا نبالغ اذا قلنا ان الحالة توجب القلق الشديد ولا بد من البحث في اسبابها ونتائجها فاما الاسباب فلا شك في ان الحالة الحاضرة ترجع اسبابها الى عمل ممثل فرنسا شخصيا والى السياسة التي اتبعها ويلوح الآن لكل من هو بعيد عن التحيز ان مسؤولية الجنرال سارايل مرتبطة باصل مسالة الدروز ارتباطا يوجب الاسف وان التأثير الذي احدثته هذه المسالة في خارج جبلهم يدل بوضوح على ان في الدول السورية الاخرى استياء ونفورا من الدولة المنتدبة ولا يمكن تفسير ذلك الاستياء وذلك النفور الا بالاغلاط وضروب الاهمال الخطيرة التي ارتكبت في تنفيذ الانتداب .

وكذلك كان شان جريدة الاكيون فرانسيز فقد دبجت في صحيفتها ما تعريبه :

« تقول ان الحكومة كذبت امس الاول الاخبار السيئة الواردة عن سورية وذكرت ان الحالة حسنة جدا فيها كلها وفي دمشق بنوع خاص . وهكذا يكون الجنرال سارايل والمسيو بنليفه قد كذبا على الراي العام مرة اخرى .

ونشرت جريدة الجنرال للمسيو سانبريس مقالا تعريبه :

« هل صحيح ما تقوله الصحف الانكليزية من ان الجنرال سرايل اهمل ابسط قواعد حقوق الانسان فامر بضرب دمشق قبل ان يصدر انذارا بذلك لكي يجلو الاطفال والنساء منها وهل صحيح انه لم يبلغ قناصل الدول ماعزم عليه قبل تنفيذه ؟

ويقال فوق ذلك ان هذا العمل ادى الى احتجاج القناصل وتقديم هذا الاحتجاج الى ولاة الامور على يد قنصل المانيا بصفته عميد القناصل . فهل صحيح ان الجنرال سرايل طلب استدعاء قنصل المانيا لهذا السبب ؟ ان هذه المسائل كلها تحتاج الى جواب صريح واضح » .

على أن تقرير الجنرال غاملان قائد الجيش الفرنسي العام في سورية بصدد ضرب دمشق ووقائع الغوطة الذي بعثه بصورة رسمية ينوه نوعا ما عن ما جرى في سورية وان كانت التقارير التي كانت ترسل بهذا رجال الفرنسيين لحكومتهم لم تكن حينئذ على شيء من حقيقته ولا على بعض من امر واقع الا انا ننشر بعضها هنا من بعد ما نقلته الكثير من الصحف الفرنسية بشأن الكارثة وها هو تعريب التقرير المذكور المرسل الى وزارة الحربية الفرنسية في ٣٠ اكتوبر تشرين الاول :

« ثارت الاضطرابات في دمشق يوم الاحد في ١٨ اكتوبر فاحدثت ازمة شديدة دامت ٤٨ ساعة .

« وقد دلت التعليمات على ان هذه الاضطرابات قد ثارت بدافع خارجي من جهة وبدافع بعض العناصر الدمشقية التي تغتنم كل فرصة للمشاغبة على السلطة من جهة اخرى .

« فقد دخلت بعض العصابات المسلحة الاحياء والاسواق وخاصة الشاغور والميدان فتبعهم قسم من الغوغاء في هذه الاحياء بقصد السلب والسرقة ولولا حزم السلطة لكانت الحالة خطيرة .

« وقد اطلقت القلاع مدافعها على الاحياء الثائرة واشتركت الطيارات في هذه العملية فارغم هذا التدبير طائفة من الوجهاء على مراجعة السلطة والموافقة على الشروط المفروضة .

« ومنذ ذلك التاريخ ازداد عدد العصابات في ضواحي دمشق وحماه وكان الثائرون في القرى الدرزية المليحة وجرمانا وجسرين يلقون كل مساعدة وقد اضطر القائد العام في هذه الظروف أن يحشد قسما من الجيش في دمشق لملاحقة الثائرين في ضواحيها فوصلت الى دمشق في ١٤ اكتوبر الفرقة الثانية وكتيبة من الشركسة وفي ١٥ منه وصلت فرقة

من الكتيبة السادسة ثم وصلت في ١٦ منه فرقة اخرى من الكتيبة السادسة وكتيبة من السباهيين وكانت هذه النجدات كلها بمثابة فرق محافظة في بادىء الامر ثم اصبحت بعد امد قريب مكلفة بمقاومة الثائرين وتوطيد الامن في دمشق وضواحيها .

وفي ١٣ منه ارسلت قوة من الجيش الى جرين حيث يقيم بعض الثائرين فتوفقت الى القبض على ١٠٦ منهم وعادت باربعة وعشرين جثة . اما خسائرنا فقد كانت طفيفة واعيدت الحملة في ١٤ منه فاحرق الجيش قرية المليحة بعد ان ثبت ثبوتا لا يحتمل الشك اشتراكها من الثائرين في معظم اعمالهم .

وقد طلب الى قرية جرمانا ان تسلم بنادقها فلم تفعل فاضطررنا الى احراقها في ١٥ وفي ١٧ منه ارسلت فرقة ١١ ــ ٢١ الى دوما باكرا وزارت قرى سقبا وجرين وسواهما بينما كانت كتائب الشركس تحتل جرمانا وتقاتل بعض الذين اقدموا على احتلالها وقامت الثورة في دمشق في ١٨ منه بهجوم على قصر العظم واطرافه كان القصد منه كما تبين الوصول الى المفوض السامي وقد استمرت ٤٨ ساعة . وقد وضع تحت تصرف نسيب البكري ورمضان شلاش منذ امد غير قريب عدد لا بأس به من العصابات كان من الصعب ملاحقتها والقضاء عليها بالرغم من كل التدابير ثم بدأت منذ ذلك الحين الاعتداءات على رجال الجيش المنفردين وقد ثبت الآن ان تلك العصابات كانت تدخل دمشق من جهة الشاغور والميدان بمساعدة بعض الاهالي الذين يشاركونها في اعمالها وكانت تهاجم الجند المنفرد في الاحياء والاسواق وفي ١٨ منه وصل المفوض السامي قادما من بيروت وذهب توا الى ازرع ودرعا يزور مراكز الجيش وبرفقته الجنرال غاملان فكان الثائرون يحاولون بشتى الوسائل الوصول اليه وقد اكد لنا اذ ذاك ان كمينة هيىء في القدم لمهاجمة القطار الذي يقل المفوض السامي من درعا الى دمشق.

وانه لولا تأخر القطار لتمت هذه المؤامرة وتم الهجوم على القطار وحدث لحسن الطالع ان المفوض السامي اراد ان يزور مركز القيادة قبل زيارة قصر العظم فنجى من الهجوم الذي هياه الثوار بعد الظهر واشترك فيه من الاسطحة القسم الاكبر من البيوت المجاورة وقد ارسلت نجدة لقصر العظم وكان الرصاص يتساقط عليها من النوافذ والحوانيت في تلك الاسواق الضيقة حتى ان بعض الجنود قد اصيبوا وهم في داخل سيارة الاسعاف وبعد ان تم للثوار مهاجمة قصر العظم انتشروا في بعض الاحياء واخذوا يطلقون رصاصهم حول القلعة وحول مركز القيادة من النوافذ والابواب والاسطحة ثم اقدموا في النهاية على اضرام النار في حي الارمن في القدم وفي منتصف الليل عاد الهدوء الى المدينة شيئا فشيئا حتى اذا ما انبلج الفجر استيقظت المدينة كعادتها هادئة ساكنة وقد كانت السلطات المحلية هي التي تقوم في الدفاع في ذلك اليوم اما اعمال القيادة الفرنسية فقد انحصرت في انقاذ قصر العظم وتقوية الحامية فيه وانشاء المتاريس حول الحي الاوروبي والمؤسسات الفرنسية الامر الذي حال دون اتساع الحركة وانتشارها وفي اليوم التالي حشدت وحدات الجيش واحتلت المراكز الهامة بشدة وهيات مدافع القلعتين والطيارات للعمل عند اول اشارة وبالرغم من جميع هذه الاستعدادات فقد عاد الثوار لاطلاق رصاصهم هنا وهناك واخذوا يحاولون اعادة الهجوم على قصر العظم وقد ثبت النيران هذه المرة في جوار قصر العظم والقلعة وقام بعض السكان يغتنمون هذه الفرصة السانحة لاصطياد « الرومي » وقد ثبت بصورة لا تدعو الى الشك ان بعض رجال الدرك السوري كان على اتفاق مع الثائرين ومما ساعدنا على حصر الثورة في نطاق ضيق محاصرتنا للثوار في احياء الشاغور والميدان والعمارة واتخاذ كل التدابير التي نستطيعها لقمع الحركة والحيلولة دون امتدادها وانقلابها الى ثورة عامة ومما تجدر الاشارة اليه هنا اننا بالرغم من استعمال المدافع والطيارات فقد حاولنا جهد المستطاع ان تكون الخسائر في الارواح والاموال طفيفة

لا تذكر وبناء على اوامر المسيو اوبوار في اتخاذ كل تدبير يؤدي الى انهاء الثورة ساد الهدوء في المدينة بأقل من اربعة وعشرين ساعة وق اضطررنا في هذه الظروف لاستعمال المدفعية لان هؤلاء الذين يطلقون رصاصهم علينا من النوافذ والاسطحة لا يمكن الوصول اليهم بغير هذه الوسيلة فاطلقت مدافع القلعة قنابلها على جوار قصر العظم والقت الطائرات قذائفها على الشاغور اما حامية قصر العظم فقد احاطت بها النيران من كل حدب وصوب وانقطعت عنا اخبارها وقد انذرنا العائلات الاوروبية بالالتجاء الى المراكز العسكرية قبل اطلاق القنابل ولم يكف الثائرون رغم كل هذه الانذارات عن اطلاق رصاصهم في سوق الحميدية ومدحت باشا والشاغور والميدان والعمارة فاضطررنا لاعطاء الاوامر للقلعة بمتابعة القاء القنابل على جوار قصر العظم وعلى الشاغور والميدان واشرنا على قائد المدفعية بأن يجعل القنابل شبيهة بقنابل التجارب شديدة الصوت قليلة الاذى لالقاء الرعب في نفوس السكان ويظهر ان متابعة القاء القنابل قد هدأ الحالة كثيرا واوصلنا الى النتائج المطلوبة ففي الساعة الثامنة صباحا جاء وفد الى مركز القيادة العليا وعلى راسه الامير سعيد حفيد الامير عبد القادر ثم جاء وفد آخر على راسه حقي العظم وطلبا ايقاف اطلاق القنابل فعقد اجتماع برئاسة مندوب المفوض وافق فيه مندوبوا دمشق على دفع غرامة قدرها مئة الف ليرة تركية ذهبا وتسليم ثلاثة آلاف بندقية وقد اشترطنا عليهم ان يتم تسليم هذه الغرامة صباح السبت في ٢٤ منه والا عدنا الى اطلاق القنابل وقد دفعت الغرامة في الوقت المعين ولم يتمكن المندوبون من جمع البنادق في الوقت المحدد فتدخلت دائرة الاستخبارات في الامر واخذت تبحث عن البنادق وتفتش الدور ومنذ ذلك الحين ودمشق هادئة وقد عاد التجار الى فتح حوانيتهم بعد تردد طويل وقد اصيبت بعض الاحياء بالخسائر وكان القسم الاكبر منها من جراء النيران التي اضرمها الثوار والسالبون اما الطيارات والمدافع والمصفحات فليست مسؤولة الا عن قسم ضئيل من هذه الخسائر وقد عنيت القيادة العامة بأن لاتعمد اليها الا عند الحاجة



من اقطاب المجاهدين الاحرار السادة سليم الاظن ابو حامد ابراهيم
الفحل جميل دلول محمد ابو عبده قــدور

الماساة وتمكنت مع هذا من ان تصل الى النتيجة المطلوبة في حصر الحركة باقل النفقات والخسائر والحيلولة دون تحرك « الافاعي الدمشقية الحقيقية ا هـ »

لقد سعى المفوض السامي الفرنسي سرايل ومن لف لفه من الموظفين الفرنسيين بأن يلقوا تبعة ما فعلوه في سورية على عاتق الحكومة البريطانية بداعي أن انكلترا هي التي مهدت سبيل الثورة وحملت الثوار على شق عصا الطاعة بوجه الحكومة الفرنسية حتى ان هذا المفوض تشكى من سوء تصرف معتمد انكلترا في دمشق المستر سمارت اذ قال بأنه كان يسعى هذا المعتمد بكل قواه لابدال الانتداب الفرنسي على سورية بالانتداب البريطاني وكان يتقول المفوض عن لسان هذا المعتمد انه كان يقول بعدم جراة الفرنسيين على اطلاق القنابل على دمشق ومذكرات هذا المفوض مشحونة بما لاقيمة له من ذكريات اعتمد في كتابتها على دروزي زعم بأنه استلم السلطة فأفضى اليها بكل ما يعلمه من اسرار الثورة .

انا لسنا في حاجة لان ندلي بالبراهين على ان رجال فرنسا في الاقليم السوري هم الذين اشعلوا نار الثورة السورية بسوء ادارتهم وعجز سياستهم وحطة تصرفاتهم حتى ان نفس هذا المفوض قد اعترف في بعض المواقف بأن نشاة الثورة كان لخلاف نشب بين ضابط الاستخبارات على منصب حاكم جبل الدروز وتآمر بعض الموظفين الفرنسيين عليه وها هو بعض ما تضمنه تقرير المفوض الخاص الى وزارة الخارجية الفرنسية .

« فانا اعترف بخطاي لقد تركت في المراكز الهامة وفي الجيش موظفين وضباطا يكرهونني كل الكره ويحاولون الايقاع بي ولقد كنت اعرف ذلك ولكني لم اتخذ في حقهم اي تدبير ظنا مني ان هؤلاء اذا كانوا يكرهونني فانهم لا يكرهون فرنسا وقد كنت مخطئا في هذا الظن وانا لا اتهم دون أن أذكر الاسماء فاني مضطر في مثل هذه الظروف للتصريح بتلك الاسماء وها انا اذكر هؤلاء واحدا بعد آخر : ان الخطأ الذي ارتكبته في سورية هو ابقائي،

على بعض الموظفين الذين يكرهونني ويسعون للايقاع بي واول هؤلاء المسيو غوتيه المندوب المساعد في دمشق ورئيس الغرفة السياسية في المندوبية فقد كان هذا الموظف رئيس جماعة تعمل على مخالفة تعليماتي في الجبل وتأييد سياسة الكابتين رينو وهي سياسة التعاون مع عائلة الاطرش التي يرغب رجالها في الوصول الى الحكم ذلك الكابتين الذي اثار الشغب في دمشق وحاول مفاوضة الدروز الثائرين لتوطيد السلام بأي ثمن ولو قضى هذا السلام على مركز فرنسا ومكانتها ولقد اشرت اليكم في تقرير سابق ان السبب الاساسي في اضطرام نيران الثورة الدرزية كان عبارة عن خلاف بين ضباط الاستخبارات فقد كان احدهما يريد مركز الآخر وهو الكابتين رينو نفسه وكان يرغب في الوصول الى اغراضه بالتقرب من عائلة الاطرش وكان كاربيه يبعدها عنه ولقد كان في عمل هذا الضابط بالنسبة لنفسه على الاقل شيء من المنطق فهو يريد مركز الآخر والوسيلة الوحيدة للوصول الى هذا المركز هو ان يبدل سياسة هذا الموظف الآخر ومن هنا نشبت الثورة على ان من يظن ان الدروز وخاصة عائلة الاطرش سيعمدون الى الهدوء والسكينة اذا عين الكابتين رينو حاكما في الجبل لا يعرف الدروز ولا يعرف احوالهم فلو عين الكابتين رينو حاكما لوجد الدروز حجة اخرى لاثارة الثورة »

لكن التقرير الذي نظمه معتمدو الدول الاوروبية بصدد كارثة الشام بناء على طلب حكوماتهم اثبت ما المعنا اليه من لوم الفرنسيين على ضربهم البلد عن غير سابق انذار وعلى تركهم احياء المسيحيين تحت عطف الثوار ورحمتها ذاكرين للمسلمين اياديهم البيضاء في حماية اخوانهم المسيحيين ومعترفين بأن النصارى يومئذ لم يشكوا امرا الا ان اعترافهم بالجميل لاحد ابطال الثائرين ومشاهيرهم حسن الخراط الذي كان يردد بينهم كلمات « انتم اخوة لنا وعلينا محافظتكم » .

سحب سارايل وتعيين دي جوفنيل مكانه :

بعد ان اعلنت الثورة السورية وبعد ان تم هياج الاقطار الشامية وارتفع في كل مكان صوت العصيان ونهضت رجالات عدة في فرنسا تطالب باقالة سارايل توجه رئيس الوزارة الفرنسية المسيو بنلوفيل والذي كان بعين الزمن وزيراً للحربية يقصد المسيو هريو « اذ كان هذا رئيسا للوزارة التي بعثت بالجنرال سارايل الى سورية » يستطلع رأيه في الموافقة على طلبه من سورية اذ لم يعد في طاقة الفرنسيين المحافظة عليه وكان المسيو هريو في احد المصايف وقد رفض ما طلبه رئيس الوزراء وقال بان كل قرار يتصادم مع ما اقرته الوزارة بشأن هذا المفوض يعد طعنة نجلاء للسياسة التي انتهجتها الوزارة التي اوفدته الى سورية فآب رئيس الوزراء بخفي حنين يحرق الارم غيظاً وظل صابراً على مضض لا يحرك ساكنا حتى كانت فاجعة الشام وحتى نهض العالم المتمدن على قدم وساق فاستدعي حينئذ سارايل الى باريز كي يتقدم بالمعلومات التي لها علاقتها بما وقع في سورية وذلك وفق بيان شبه رسمي صدر يومئذ وفي ثامن تشرين الثاني امتطى المفوض من بيروت الباخرة « اسفنكس » عائداً الى البلاد الفرنسية حتى اذا كان يوم ١٨ منه تقدم الى مجلس النواب الفرنسي بصحبة بريان ودلاديه حيث يقف امام لجنتي الخارجية والجيش النيابيتين فسأل النائب فري في ابتداء الجلسة هل يتقدم الجنرال كمتهم ام بالنية صفة يمثل فقال المسيو بريان انه يأتي لتقديم البيانات الى اللجنتين اللتين طلبتا سماعها وان الحكومة تحتفظ بكل انواع المسؤوليات فادلى الجنرال ببياناته شاكياً مما القاه هو وسلفاه من مصاعب وما كان نصيبه من المسؤولية والتبعات في الحوادث الاخيرة وافاد في شرح وتبيان الاغلاط التي ارتكبها الموظفون المدنيون والعسكريون وخصيصاً شرح ما كان قد قام به الكابتين كاربيه منوها ببعض الخطيئات الادارية التي اتاهـا ،

هذا الكاتب كما وانه على العكس قد اثنى الثناء العاطر على الجنرال ميشو ونوه بشجاعته ومن جملة ما قاله بصدد هذا الجنرال ان جوادين قد صرعا من تحته في المعمعة وعزا الثورة الدرزية الى اختلاط الاجناس وتعدد الاديان وقال بصعوبة سياسة بلاد تعددت اديانهم وتنوعت مذاهبهم واتى على ذكر المقابلات التي جرت بينه وبين آل الاطرش في بدء الثورة وقال بان افراد هذه الاسرة لم يكونوا على وفاق تام لذلك اخفق ولم يفلح في مسعاه وقال بان للحزب الاسلام كثيرين من انصار نشاوا عن الحرب التي كانت ناشبة بين الفرنسيين والريفيين وحصر اكثر الاسباب في اثارة نار العصيان الى انقاص السلطة القوة الفرنسية من الوجهة العسكرية وان الجنود التي كان يؤتى بها من المستعمرات ما كانت لتستطيع ان تحل محل الجنود الفرنسية اما ضرب المدينة بالمدافع لم يكن الا عبارة عن ثماني قنابل اطلق اربعة منها قبل الظهر واربعة من بعده ثم استؤنف ضرب المدينة في اليوم الثاني لوجود الثوار لاثارة الاضطرابات على ان الامر الجلل هو ان بعض القائمين على اطلاق المدافع لم تكن لهم الخبرة المطلوبة في الرماية مما سبب الخطأ في الاستهداف والتسديد نحو المرمى المطلوب ومما سبب اطاشة مئة وخمسين قنبلة في المدينة فتضرر من جراء ذلك مئتان وخمسون منزلا كما اصيب مئة وثلاثة وخمسون انسانا وقال انه لا يطلب ان يكون في سورية سبعون الف جندي عدد الجيش الذي كان عند الجنرال غورو كما وان عشرين الفا وهو عدد الجيش الذي كان في سورية لا يكفي لاعادة النظام وسيادة الامن ونزع الفوضى وقد تقلد منصب المندوب السامي الجنرال دوبور الذي اتى من باريز في شهر تشرين الاول بأمر من وزارة الحربية للتحقق عن الحالة من يوم ٢ تشرين الثاني وظل فيه حتى وصول دي‌جوفنيل المندوب الجديد الى بيروت في ٣ كانون الاول قادما من فرنسا واول ما قام به هذا الرجل هو طلب خمسين الف جندي لاخماد الثورة فاخذت تتوافد النجدات بالتدريج .



المجاهدان الكريمان جاد سلام وهايل سلام

وقائع البلان ووادي التيم :

لقد اتخذ بنو معروف لهم روابي الجبال وقممها منازل ومساكن فهم يمتازون عن بقية الطوائف السورية باختيارهم الاقامة في معاقل الجبال فهم يحلون جبالا ثلاثة متجاورة حوران والشيخ ولبنان ويكادون ان يكونوا منفردين في الجبلين الاولين اما الجبل الثالث فيؤلفون فيه الاكثرية اي في مناطقه الوسطى وبعض جهات الساحل وما عدا ذلك الاغلبية للموارنة ومن عادات هؤلاء الرجال رجال بني معروف ان يشد بعضهم ازر بعض وان يلبوا اذا ما تنادوا لنائبة او ملمة وانهم عندما يدعو داع الى طعان او نزال في احد الجبلين فيضرم النار فترى رجال الجبل الآخر عند الاول شبانا وشيبا اطفالا ورجالا ونساء فلا يقعدهم عن الغارة والنجدة مقعد مهما كان شديدا وهم يسترخصون النفوس ويبذلون الارواح ولا يضنون بالمهج والاحشاء في سبيل ذلك ويقومون به لوجه الله لا يريدون جزاءا ولا شكورا .

اقليم البلان ـ المنطقة الممتدة غربي دمشق الجنوبي المؤلفة من قضاء وادي العجم وقاعدته قطنا ومن قضاء القنيطرة بما يتبعه من سفوح حرمون الشرقية فسكان الجميع هم من الدروز اما قاطنوا السهل فمن الفلاحين السنيين والنصارى والبدو والشراكسة والتركمان وغيرهم ـ . فجريا على القاعدة التي المعنا اليها من النهوض لمؤازرة الدروز بعضهم بعضا كان اول من لبى داعي الثورة جبل الشيخ اذ هب عدد كبير من رجاله متوجها الى جبل الدروز تأييدا لبني الاعمام وقد اشترك هؤلاء مع اولئك في اعظم المعارك الاولى مما كدر السلطة واساءها ومما دعاها ان توزع السلاح على المسيحيين من قرى بلان وان تغريهم بايقاع الشقاق بين ابناء البلد الواحد فلذلك عندما تم للدرزيين جلي حملة الجنرال غاملان عن جبلهم المنيع بشهر ايلول وعندما

انسوا زوال الخطر من ناحيـة وايقنوا بانشغال الفرنسيين حينئذ بحوادث دمشق والغوطة وحماه والنبك قررت قيادة الثورة العليا تعبئة حملة الى اقليم بلان ووادي التيم للمحافظة على الاهلين من تعديات الفرنسيين بناء على دعوة حملها اهل مجدل في قرية كفر اللحا الى زعماء الثورة وبناء ان يستميلوا الشركس وان يفاوضوا الامير فاعور كي ينضم الى الثورة .

وفي نهاية تشرين الاول تالفت هذه الحملة وقائدها زيد الاطرش منضم اليـه كل من مشاهير الثورة فؤاد سليم نزيه المؤيد علي عامر صياح الحمود فضل الله اسد الامير حسن متعب جاد سليمان آل الاطرش شكيب وهاب حمزة الدرويش زكي الدروبي نصري سليم سعيد اليماني ابو تركي سرحان آغا فريد صبري البديوي خليل بصلة اسعد كنج .

سارت هذه الحملة متجهة نحو الغرب تاركة جبل اندروز فاقامت باسطة رواقها على اقليم البلاد متخذة من قرية مجدل شمس معسكرا لها ـ وهي قرية درزية في سفح جبل الشيخ ـ وقد اقتصرت مهمة هذه الحملة على منع اعتداء الفرنسيين عن الآمنين وعلى استمالة الشركس وعلى حمل الامير فاعور للانضمام الى الثورة .

يتالف وادي التين من قرى عدة وبلدان شهيرات في مقدمتها حاصبيا وراشيا ومرجعيون واهالي هذا الوادي خليط من دروز ومن سنيين ومسيحيين عاشوا جميعا في وئام وحب وسلام في ظل الحكومة السورية العربية التي تبعوا لها في العهد الوطني .

اما عندما اكتسحت فرنسا سورية الداخلية عام ١٩٢٠ بعد فاجعة ميسلون واقامت سياسة فرق تسد بين الطوائف المتآخية واوجدت مشاكل داخلية قسمت حينئذ هذه البقعة من العالم وجزئتها على صغر مساحتها الى ممالك ودول ضاربة بما كان يتعالى من اصوات البلاد وذويها تذمرا وشكوى عرض الحائط ولم تلتفت الى العرائض والبرقيات التي كانت

تجمع باسرها بالتألم وباستنكار تلك التجزئة بل كانت تلبي دواما طلب من كانوا
اذلة صاغرين لها رغم انوفها وقسر ارادتهم درءا لانفاذ تهديد طالما ارهبتهم
به السلطة وفي جملة ما نجم عن هذه السياسة الغاشمة تجزئة واقتطاع
وادي التيم عن الجسمان السوري والحاقه بلبنان في اول ايلول سنة ١٩٢٠
بناء على قرار اصدره غورو اذ ذاك مناوءة لارادة قاطني هذا الوادي لهذا في
سادس عشر يوليو عمد الفرنسيون على اثر ثورة الجبل الى العودة الى القاعدة
التي الفنا اليها فرق تسد فاخذت السلطة على توزيع الاسلحة على القرى
الآهلة بالمسيحيين في وادي العجم ووادي التيم فظهر هذا القوم الضئيل كأنه
ينادي بوجوب حماية فرنسا اليه من دون السكان جميعا ونتج عن ذلك ان
هب من لم يشترك في الثورة طالبا اعطائه نصيبه من السلاح لانه اتخذ هذا
القسم الاكبر عمل السلطة في اقتصارها على توزيع السلاح على المسيحيين
فحسب عملا عدائيا تستهدف فيه حياة الباقين واموالهم باعظم الاخطار فهي
فضلا عن انها لم تابه الى ما كانوا يطلبون فانها اخذت تشدد بوجوب جمع ما لدى
هؤلاء من سلاح قديم مما دعا الاهلين لان يتمسكوا في هذا السلاح اليسير
مادامت السلطة آخذة بتوزيع السلاح على المسيحيين ولم تكتف السلطة بما
فعلت بل اخذت تشوق الشباب المسيحي وتزين له التطوع لقتال ابناء وطنه
المجاهدين الاحرار فوجدت في البعض منهم ارضا خصبة لبذر بذور التفرقة
وللانخداع بمعسول الاماني التي كانت تمنيه بها ولم تجز حيلتها على بعض
منهم وعندها الفت ممن اشتهر بسوء السلوك وعرف بالتعصب الذميم المنبوذ
عصابات نجم عن تأليفها ما كانت تتوقعه السلطة من حوادث سيئة اخذت
حفظها الله ! ؟ ! بالعمل على توسيعها وتفشيها في حين ان الرؤساء الروحيين
في ذلك الوادي ادركوا سوء عاقبة هذا الصنيع وتنبؤوا بمغبته المخيفة
فهرعوا الى السلطة الفرنسية يطلبون اليها ان تعدل عما انتهجته من
خطة التسلح ناصحة اياها ان تاخذ على عاتقها بنفسها حماية السكان بقوى
من جندها هذا اذا كانت تقصد من فعلها الحيلولة دون التعدي على المسيحيين



المجاهد الكبير نزيه المؤيد العظم بين رجاله الثوار الاحرار

اما والسلطة لم تكن ترغب بالحقيقة المحافظة على الهدوء بل كانت ساعية بأفاعيلها الى خلق الفتن واضطراب حبل الامن فانها لم تصغ الى طلب الرؤساء الروحيين بل اخذت على العكس تعمل على اخلاء احياء النصارى من الجند رغبة منها في ايجاد المذابح حتى تستغل وتستفيد ما يحدث من عصيان ليتم ما تسعى لاجله ومما يؤيد ما ذكرناه من قضية توزيع السلاح ما ذكره الجنرال ديبور في مجتمع عقد في المفوضية بحضور كل من الاميرين سامي ارسلان وتوفيق ارسلان والشيخ حسين حمادة وغيرهم قائلا : « لقد قيل بأن السلطة وزعت سلاحا على النصارى اجل هذا صحيح ان السلطة وزعت عليهم سلاحا لانهم مهددون » وبذلك تفشى مفعول الثورة وسرى الى اقليم البلان بسبب امعان السلطة باضطهاد وادي العجم والتيم وحمل الكثير من الشباب والرجال على النزوح الى بني معروف في الجبل الدرزي والاستنجاد بقائد الثورة العام السلطان لاسيما من بعد ان فعل التخريب بقراهم فعلا ومن بعد ان كانت القنابل والقذائف تتوالى بالانطلاق على تلك الربوع وهي التي كان يعنيها البلاغ الصادر في ١١ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ الذي تضمن القاء الطيارات القنابل على بعض القرى في الجنوب وعلى القرى التي لم يقطنها مسيحيون .

لقد قلنا بأن زيد الاطرش كان على رأس حملة عسكرت في الاقليم والآن نتابع الحديث عنه فنقول لقد توجه جانب من تلك الحملة الى وادي التيم حيث استولى على حاصبيا في يوم ١١ تشرين الثاني بلا مقاومة قط ذلك لان قائد الحامية الفرنسية فزع الى الشيخ حسين قيس يستاويه بصفته من كبار شيوخ الدروز في الوادي وبصفته مسموع الكلمة لديهم وقد حمله على ذلك ما رآه من ضآلة عدد جنوده وشجاعة اخصامه فما كان من هذا الشيخ الا ان اجاره وحماه واوصله مع من كان لديه من الجند الى النبطية من غير اذى وهكذا احتل الثوار المدينة بين زغاريد النساء وهتافات الرجال واخذوا بتأليف حكومة وطنية يرأسها نسيب غبريل من اعيان المسيحيين وقد قام

في قصر تلك الحكومة يومئذ كل من نزيه المؤيد وصبري البديوي خطيبا في الجمهور يحدثه على مؤازرة الثورة والانضمام الها معددا كل منهما ما ترمي اليه من مبادىء سامية واهداف عليا .

عامل الثوار قاطني تلك المدينة بمنتهى العدل والانصاف واحقاق الحق وازهاق الباطل رغم دخولهم هذا البلد ظافرين محتلين وقد ايدت الصحف الفرنسية والصحف السورية ذلك حتى ان مراسل المقطم قد صرح في سابع عشر تشرين الثاني بما يأتي : « لم يتعرض الثائرون للاهلين بشيء ما بل قاموا تجاههم بكل عطف وانصاف » .

وجاء في العدد الصادر بتاريخ ١٢ تشرين الثاني في صحيفة الفباء الدمشقية ما نصه بالحرف : « ان عصابة زيد الاطرش احتلت حاصبيا وهي تقدر بالف ثائر ولم تمس المسيحيين بسوء » واما جريدة الاحرار التي تصدر في بيروت فقد جاء فيها بالتاريخ نفسه : « ان الثوار لم يتعرضوا للاهلين بل احتلوا دوائر الحكومة وانتشروا في المدينة وقراها ثم احتلوا كوكبا ومرجعيون بلا مقاومة » اما الصحافي الثانه فقد قالت ما يلي : « ومما يجب الاعتراف للثائرين انهم يسيرون بطرق منظمة وانهم بحاصبية اظهروا كل عطف على المسيحيين وكانوا يسمحون للنساء والاطفال بالسفر ولم يتعرضوا لاحد مطلقا بسوء وجل ما فعلوه انهم اعلنوا حكومة سورية مستقلة وصرح زعماؤهم انه لا مأرب لهم مع الاهالي وان مأربهم مع الفرنسيين » .

على ان السلطة التي ما كانت تحجم في كل مناسبة عن قلب الحقائق اذاعت ما يلي : « ارتكب عصاة يقيمون في حاصبيا اعمال نهب وسلب في تلك المقاطعة دون ان يشرعوا في اقل عمل عسكري » .

ان الجهد الذي قلنا ان اقطاب الثورة كانوا يبذلونه من اجل منع الاذى عن الساكنين الآمنين وعن الاخوة المسيحيين قد ظل آخذا بالازدياد عقيب كل نصر او تقهقر لهذا كان هم الزعماء الوحيد المحافظة على هذه المبادىء

تجاه جميع القاطنين على اختلاف مذاهبهم بصورة عامة وتجاه الاخوة المسيحيين بنوع خاص مما اودع حب الثائرين في قلوب الناس ومما حدا بالكثير من اهالي وسكان قرى هذا الاقليم ان تفد على الثائرين طالبة ان يشملوهم بحكمهم العادل وسلطتهم المنصفة الحقة التي كانت توزع العدل بين الناس على السواء من غير ميزة ولا مفضل من ذلك ماكان من مسلمي جديدة مرجعيون ومسيحييها معا وما كان ايضا من اهالي قرية كوكبا تلك القرية التي اتى كاهنها على راس وفد يطلب الى الثائرين ان يتناولوا الغداء على مائدته وان يدخلوا القرية آمنين مطمئنين .

لقد المعنا الى ان قسما من رعاع المسيحيين وحثالتهم او بالاحرى من دهمائهم وغوغائهم كانوا يناوئون الثورة ويمالئون السلطة عز عليهم ان يروا هذا الكاهن الجليل والحبر العظيم يبتغي الانصاف وينشد العدل بما طلب الى الثائرين فآلى على نفسه هذا القسم الذميم ان يقاوم رجال الثورة فاحتشد في مدخل القرية وقابل حمزة الدرويش ومن كان اليه باطلاق النار عليه فوقع من هؤلاء ثلاثة فصاح حمزة بصوت جهوري ما معناه كفوا ياقوم عن القتال واحقنوا الدماء ما استطعتم فوالله ما جئناكم لقتال او نضال او اذلال بل اتينا نحارب الفرنسيين المستعمرين واستهدفنا هذا العدو من دون الناس اجمعين . يا قوم قسما بشرف الدروز وهذه الثورة المباركة انا حقنا الدماء ومنعنا العذاب واعتبرنا هذه القتلى الثلاث فداء عن هذا الوطن ان شئتموهم ان يكونوا كذلك وتأكدوا انكم خاسرون ان جنحتم الى غير هذا وان لم تكفوا عن اطلاق النار ... فلم يصيخوا الى مقاله ولم يصغوا الى ندائه ولم يأبهوا الى ما كان يتجلى في نبرات ندائه وخطابه من صدق وظلوا يصلون نار القتال فعلا رؤوس القوم قتام الحرب واشتد حينئذ القتل والضرب وحمل الثائرون وكانوا قلائل جدا حملة كادت ان تكون معقودة النصر لولا قلة العدد وضآلة العدد فكان من شهداء هذه المعركة ذلك الوطني الكبير والكاهن الفادي الذي اخلص النية في التضحية فكان ذبيح الوطن وظل عيسى في



- المجاهد النبيل اديب سلام

الارض حقق رسالته فكان فداء عن اهل القرية وابناء الرعية . وكان كالمسيح الذي سيم العذاب من اخلص المخلصين اليه اذ فتك بهذا الكاهن الامين واحد من ابناء قريته ورعاياه .

راى قائد الحملة بعد ما جرى ان سداد الراي بالعودة الى حاصبيا وبعدم التقدم الى جديدة ، منعا من حدوث مالايحمد عقباه .

صبر الثائرون اياما اعدوا خلالها حملة لاحتلال الجديدة بقيادة حمزة الدرويش ونزيه المؤيد علهم يرون فيها غير ما كانوا يظنون ان يروه وعلهم يجدوا ان روح التعصب والشقاق التي بذرها العدو والمستعمر قد تلاشت وانقضت ولم يعد لها من اثر وان المسيحية والاسلام تعانقا فلم يحل دون وئامهما صعلوك زنيم او متفرنس ذميم فتوجهوا نحو الجديدة ولما بلغوا قرية ابل السقي التي تبعد عنها نصف ساعة تقريبا اعترضهم اهل هذه القرية التي معظم ساكنيها من الاخوة المسيحيين ودعوا الثائرين الاحرار الى تناول الطعام والمبيت فلبوا الدعوة وقضوا تلك الليلة لديهم وابان السهر والسمر اتى احد الشيوخ الى واحد من زعماء الثورة بكتاب بعث به بطرس كرم احد موارنة شمالي لبنان جيء به الى الجديدة يومئذ لصد الثوار عنها ولتأليف عصابة مارونية امدها الفرنسيون بالسلاح والمال لقتال الرجال الابرار ولايقاع الفتنة والوقيعة بين الاخوة من مسيحيين واسلام . وكان هذا الكتاب مفعما بالسب والشتم والتهديد والوعيد وظن ان يكون جوابه من الثائرين بما هو اهل له من مثل ما كتب غير انه طاش سهمه وصلد زنده وخاب فاله فالثائرون ليسوا على خلق كخلقه وعلى نفس كنفسه ولا على هدف وضيع دنيء كمراميه وامانيه وآماله انهم قاموا بالثورة للذود عن ابناء الوطن الواحد على اختلاف النحل والملل والاديان والاجناس انهم ما قاموا لقتال المسيحي ولو قاتلهم ولا لطعن اليهودي ولو طاعنهم ولا للانتقام من اي واحد من ابناء الوطن مهما اختلف دينه عن دينهم ومهما افترق جنسه عن جنسهم وملته عن ملتهم

وشاؤوا ان يعلنوا لبطرس هذا ما غفل عنه من سمو قصد الثورة وعلو مبداها وشرف رجالها فاجابوه على ذلك الكتاب برديد اوضحوا فيه الغاية من الثورة والغرض من القيام والمارب من هذا القتال والاحتلال والزحف وصرحوا له بانهم اعداء التعصب الطائفي واعداء من يقول به واعداء الفرنسي الذي شدد اواصر التفرقة وباعد بين الاخوة والقى بذور التفرقة والبغضاء بين الاهل والخلان وان الثورة ضد المستعمر افرنسي كان ام غيره وان المسيحيين في مأمن من كل اعتداء مهما اعتدى بعضهم على الثائرين ومهما احب ان ينفذ مطامع الفرنسيين في رجال الثورة فهم يقابلون الشتيمة بالعفو والوقيعة بالصفح ويعلمون الناس كيف يجب ان تكون مكارم الاخلاق وختموا ذلك الرديد بقولهم « الدين لله والوطن للجميع ولكل رأيه ومذهبه واجتهاده ولكم دينكم ولنا دين » .

عادوا ثانية الى حاصبيا ولم يشاؤوا ان يتقدموا الى جديدة من بعد هذا الكتاب لانهم صادقون فيما كتبوا واجابوا ولا يبتغون اهراق دماء احد من الوطن وان الدم المسيحي المهراق لا يقل شانا ومكانة عن دم المسلم المراق هذا اذا لم يكن الاول اغلى على الثائر واعز فلا بدع اذن ان ينكفيء الثائرون جديدة ...

اقبل على حاصبيا بعد ذلك القائد العام في الاقليم زيد الاطرش فذكروا له ما وقع لهم مع بطرس وما كان منهم تجاهه وما بيتوا عليه من عدم الزحف على الجديدة فكان جد مسرورا وامن على ما قالوا واستصوب مافعلوا واذاع المنشور التالي :

الدين لله والوطن للجميع

الى اخواننا المسيحيين في قضائي حاصبيا وراشيا المحترمين اعزهم الله .

١ — ماروني من اهالي شمالي لبنان جاء به الفرنسيون الى الجديدة يومئذ للدفاع عنها والفوا له عصابة مارونية امدوها بالسلاح والمال لقتال الثوار وايقاع الشقاق بين طوائف البلاد واغراء المسيحيين بالمسلمين والمسلمين بالمسيحيين .

بلغنا من الوطنيين الاعزاء ان بعضكم داخلهم خوف من وجود الحملة الوطنية في جوارهم فاخذوا ينزحون توهما منهم ان الثورة الوطنية قد تصيبهم باذى فساءنا هذا الخبر وآلمنا جد الالم لانهم اخوان لنا لا فرق بيننا قانعين بما ردوا به على ذلك الماروني بطرس المسكين وان يصبروا عن دخول وبين اي كان من الطوائف الاخرى وثانيا لان عملهم هذا يؤذي شعورنا لما فيه من عدم الثقة بما اسلفناه من البيانات التي اوضحنا فيها حقيقة الثورة الوطنية ولقد اضطررنا بسبب موقفكم هذا الى مخاطبتكم بصفتكم الطائفية على حين اننا لم نفعل ذلك تنزيها للثورة الوطنية من شوائب النزعات البعيدة عن الروح القومية . ولكننا راينا بعض السذج لم يدركوا الاغراض النبيلة التي ترمي اليها ثورتنا هذه فاسرعنا ببياننا على هذه الصورة تطمينا لهم واننا نرجوا ان نثبت لكم عن قريب ان المبدا الرئيسي الذي تستند عليه حركتنا القومية هو ما صدرنا به هذا الكلام : « الدين لله والوطن للجميع » .

معركــــة راشيــا

بعد ان رسخت اقدام الحملة في اقليم البلان على ما مر وبعد ان وطدت سلطانها في قضائي القنيطرة ووادي العجم وتناولت حاصبيا ايضا نمي اليها ان واقعة وقعت بين دروز راشيا والحامية التي فيها وان السلطة قــامت هنالك بما تقشعر منــه الابدان ويندى منــه وجــه الانسان وانــه لا مروءة لصابر عن نجدة ولا نخوة لقــاعد عن لهفة ولا صبر لمن يحمل بين جانحتيــه وفي راســه شرف والبلد العــامر باخوتــه يندك واهاليه تــيء وتذبح وتسام سوء العذاب .

ثارت ثائرة الدم العربي في من كانوا معرسين بحاصبيا فأرسلوا تحت امرة حمزة الدرويش قسما كبيرا من قواهم كان من بينها نزيــه المؤيد واسد الاطرش وشكيب وهاب وصبري فريد البديوي فألفوا قوة توجهت نحو راشيا لانقاذ من بقي من اهلهــا سالما من الاذى . وما ان مشوا نحو تلك القرية يسيرا حتى صادفوا في الطريق عوائل عدة نزحت عن راشيا لما عانوه فيها من ذل وتصب وعنة . بارحوهــا بوضع مؤلم وبحال يدمي وبمنظر ومشــهد يحز النفوس والاحســاس . تلاقى رجال الحملة بشيخ فر يقود بقرته وقد حملها ما يلتحف ويفترش ، وبعجــوز جرت وراءهــا حمارا اركبت عليــه صغارها العديدين ، وبهيفاء فاقت البــدر جمالا تــاقط لؤلؤ دمعها من نرجس عينيها لقتل خطيب او حبيب او واحد من ذويها وبأم ثكلت ابنها فمزقت الخــدود وشقت الجيوب وملأت ولاويلها تلك الجبال والبطاح ، وبطفل حز السير قدميه فــال دما يتجمد كــل ما سار نجيعا . تلك لعمرك مرائي تفتت الاكباد وتهلع النفوس وتقلق القلوب . وتهيب باقــى الافئدة لأن يهيب الى راشيا لينقــد من فيها من الاهلين فما بالــك بمن راى ذلك وهو ذاهب للثار ممن فظع ونكل

ونضح . رات رجال الحملة ما راوا فكان هذا المشهد شاحذا لهممهم وغازا لسيرهم ومهمازا يدفعهم لان يطيروا لو استطاعوا كي يبلغوا البلد الذي نضح باهلها وبدع .

ساروا يبتغون راشيا فوصلوها بالعشرين من تشرين الثاني وفيها عدد من الجند الفرنسي لجا الى القلعة يتحصن فيها فيدرا عنه عادية الردى من يد الثائرين وقد صمم هذا العدد على الدفاع حتى النهاية فأجتمع وفد وجا حمزة الدرويش ان ينجلي عن البلد حتى لا يرمي بلدهم بالقنابل من قبل رجال السلطة وحتى لا يندك كل صرح فيه وبنيان باعمال التدمير . فقال حمزة بعدم الامكان الاصغاء لما طلب اليه وبوجوب الاحتلال مهما كلف الامر وبانه مامور بانفاذ ما يحمل من اوامر فلا مجال للعدول عن الدخول اليه .

كانت القلعة تدعى بقلعة الامراء الشهابيين وهي واقعة في منتصف الطريق تطل على جهات المدينة الاربع وكانت تبعد عن موقع الثائرين خمسمئة متر تقريبا وكان في كل منفذ من منافذها او شق من شقوقها او سطح من سطوحها اكياس من الرمل وحوائل حجرية لحماية من خلفها من رصاص المجاهدين وكان عدد من لجا اليها للتحصن فيها مؤلف من ٣٥٠ جنديا فرنسيا ومئة وخمسين ماروني تجند في الجيش الفرنسي و ٧٠ مسيحي تطوع من اهل راشيا لمقاتلة الثائرين الذين ما كان يقل عددهم عن الالفين .

ففي زوال الاحد في ٢٢ تشرين الثاني هاجم الثائرون القلعة وانقسموا فرقا ثلاثة واحدة تقتني السلالم العادية الخشبية واخرى وبيدها القنابل اليدوية الى لحف مغموسة بالنفط يتقدمون القلعة وثالثة وراءهم وهي حملة البنادق .

تقدمت هذه الفرق وقد استخفت بالموت فلم تحسب له حسابا ولم تقم له وزنا وانبرت تطلبه من رصاص تلك القلعة وكواها فصدقت الحملة عليها وتلقت وابلا من رصاصها كبرد من السماء في يوم حر قائظ واستلمت

كل فرقة جهة من جهات القلعة تهاجمها هجوما دونه انقضاض الصواعق ووثبات الاسود وكان كل من الهاجمين وطن نفسه على ان يكون سلما يصعد على جثته اخوه من خلفه حتى يبلغ مناه فيفتك يقاتل من خر صريعا وبذا استشهد من متسلقي السلالم ما لايقل عن مئتي بطل اشوس صنديد . الا ان الامر الذي لا ندحة عن ذكره هو انه ما كان ليتجندل في اسفل السور واحد ما لم يكن قد القى بما يحمله بيده ولو قطعة من نار يلقي بها داخل القلعة وظل العدد الكثير من الثائرين يخر صريعا في ساحة الشرف والمجد حتى ارتأى قسم من الابطال ان يبادروا بالهجوم على بابي القلعة الشرقي والغربي وان يعمدوا الى احراقهما بالنار وكسرهما بالفؤوس وكان على كل باب قوة فخلف الباب الشرقي فرقة السباهية التي كانت تقابل الثائرين بالسلاح الابيض وخلف الباب الغربي فرقة من الروس كانت تطعن المجاهدين بالحراب .

حمى وطيس المعركة وجاد الثائرون بالارواح عن سخاء وما كان يتقهقر واحد منهم حيا وما ولى احد منهم ظهره لوجهه بل كان يتقدم الى الامام والى الامام وابرز كل مجاهد ما يؤيد يقينه بالله وطلبه الاستشهاد في سبيله وتدافع الثائرون الى الموت تدافع الجياع على القصاع واقتحم القسم منهم مدخل الباب الغربي حيث يبدأ به سرداب طوله عشرة امتار بعرض مترين فما كان يلجا ثائر الا وينتهي منه الى الموت وما كان يخلص منه مجاهد ويوشك ان يكون في ساحة القلعة حتى يقابله واحد من الروسيين بحربة فيتجندل فيحل محله ثان يكون نصيبه كالاول وهكذا حتى تكدست جثث الشهداء بعضا فوق بعض فكان هم القسم من المجاهدين ان يسحب تلك الاجسام الطاهرة الى خارج القلعة حتى يتخذ من تراكمها مرقاة يصعد به الى السطح وبذا استطاع لفيف من المجاهدين ان يتسلق الى سفح قبو لا يعلو من الخارج اكثر من امتار خمس واخذ يساعد الفرقة المهاجمة من ناحية الجنوب بما كان من قطع لاهبة لاسعار النار .

وكانت الفرقة التي داهمت الجنوب بقيادة البطلين المؤيد واسعد الكنج. فارتأى الاول المؤيد أن يعمد الى شق طريق في منازل الجهة الغربية الجنوبية للوصول الى عقب جدران القلعة واخذ مع اخوانه للعمل بذلك وما ان اصبح الصباح حتى كان المجاهدون امام اسلاك شائكة في آخر النفق وقد بلغ الثائرون اسفل الجدران والجند تشرف عليهم من الاعلى وقد اصبح من المتعذر على الثائر ان يخرج الى دائرة الاسلاك مادام الجند مرابط على سطح القلعة لهذا احدث المجاهدون في بعض جدران المنازل انقاب وقف رهط منهم وراءها بقيادة البطلين اسد الاطرش وصبري البديوي وطفق هؤلاء الاشاوس يلقون النار على الجند القائمين على حراسة الجدار الذي اصبح تحته المجاهدون. وظل اطلاق النار كذلك الى ان اضطر الجند على الجلاء فأمن المجاهدون الذين باسفل الجدار من رصاص الاعداء غير ان الجند قد ادرك ما رمى المجاهدون اليه فأخذ يرميهم بالقذائف اليدوية من وجهات عدة فثار ثائر الابطال وتقدموا من الاسلاك الشائكة فاقتلعوها بأبلغ ما يكون عليه المقاتل من جراة وحماس واندفعوا كالسيل تحت النيران المتدفقة وتحت حبائل الرصاص التي توالت واتى قسم منهم بسلمين طويلين شدا بعضا الى بعض حتى صارا واحدا طويلا والقوا به على جدار القلعة البالغ خمسة عشر مترا وشاء كل واحد منهم ان يذهب الى ربه عن اهون سبيل واقرب الفجاج فانبرى يصعد هذا السلم كل منهم حتى اذا ما بلغ منتهاه اصابته مرمية القته ممددا على الثرى وكان في مقدمة الفائزين بالشهادة البطل المغوار نسيب الاسعد ثم اعقبه الشهيد الباسل حامد كمال وتوالى الصعود من الثائرين. كما توالى الرمي من الجند فقضى من البواسل الابطال عدد كبير كان مثال الوطنية ودليل التضحية عندها فكر البطل المؤيد بوسيلة يدخل القلعة فيها تلك هي ان يعمد الى القاء قذائف يدوية عديدة بصورة متواليه على خلف الاستحكام من غير ان يصعد اليه او ان يشرئب بعنقه على جداره . وقد نفذ ذلك بالفعل فاخذ باطلاق القنابل واحدة بعد واحدة فكان يسمع المجاهدون



المجاهد اللامع صبري فريد البديوي

على اثر انفجارها صراخ السنغال وعويلهم وعدوهم فوق السطح وقد اصابت منهم مقتلا عظيما . فاشتد ساعد المجاهدين ولمسوا صواب هذا الراي فصعد المجاهد المؤيد وخلفه البطل حميد الشامي وسلطان مرعي وابراهيم حمودة وصبري البديوي والمجاهدين يطلقون القنابل على الجند ويعملون النار في كل الجهات والنواحي فارتبك الفرنسيون لهذه المباغتة واخذوا بالفرار من ناحية الى

ناحية حتى لجا قسم كبير منهم الى غرفة في القلعة سقفها قريب من الاستحكام الذي كان المجاهدون فيه فاشعل الثائرون النار في سقف الغرفة فالهب وتساقط حممه عليهم وقد رهبوا من ذلك وفزعوا منه فزعا كبيرا وفروا الى أقبية القلعة في الدور الارضي يطلقون النار وخصيصا كانوا يطلقون النار وكانوا يطلقون في السماء صواريخ اشارة الاستنجاد اذ كانت هذه القذائف الآخذة في السماء صعودا تنشر انوارا وهاجة حمراء تعم الافق نورا شديد السطوع زمنا طويلا والفى بقية المجاهدين ممرا الى اسفل السلم مغطى بأحجار قليلة اقتلعوها فخلصوا منه الى القلعة واندفقوا كالسيل ينشدون ويهللون ويكبرون وحطم المجاهدون الآخرون الذين كانوا بقيادة البطلين شكيب وهاب وحمزة الدرويش ابواب القلعة فدخلوها وقد ابلوا بالاعداء البلاء الحسن وكان معهم البطل صبري البديوي ورجال الشام وابطال المجدل . وكانت الطائرات تحلق فوق راشيا كل النهار من غير ان تلقي بالقنابل على البلد تفاديا من ان تصاب القلعة وخصت بقنابلها كل شخص قاصدا راشيا او خارجا منها ، رمت على القلعة لفافات من ورق تحمل توقيع الجنرال غاملان خطابا الى قائد الحامية تعريبها : « ستصل النجدات الى راشيا في الوقت المقرر لها كي تحيط بالدروز نهنئكم بدفاعكم المجيد » .

General Gamlin
C dt Arme
Rachaya 2? Novembre midi 30

Colonelles arriveront à Rachaya a date prevue
raison encerclement Druses
vous adresse felicitations pour Belle defense
Signé G. Gamlin

ثم دخل المجاهدين القلعة وبدأوا يتجولون في انحائها ومنعطفاتها فالفوا في غرفة منها بعضا من جنود القناصة اللبنانية وما ان شعر هؤلاء الجنود بالمجاهدين قد بلغوهم حتى اخذوا يصيحون مستنجدين : « نحن بوجه سلطان باشا ووجهكم » ويقصدون بذلك انهم في حمى قائد الثورة العام وفي حماهم وانهم قد سلموا امرهم اليهم وان حياتهم اصبحت بين يديهم فكرمى للقائد العام سلطان باشا الاطرش وكرمى للعروبة التي استجاروا فيها والنخوة التي لجؤوا اليها عفا المجاهدون عنهم فلم يمسوا واحد منهم باذى . على رغم ما كانوا ابدوه من صنوف المقاومة والعناء في القتال مما لم يقم به نفس الفرنسيين نحو المجاهدين . وعلى هذا فقد تم النصر المبين للمجاهدين الصابرين بدخول القلعة من ناحيتها الجنوبية في الساعة الثانية من بعد ظهر الاثنين بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ مما يذكر للابطال الاشداء من الفعال بالشكر والتقدير والثناء في هذه المعارك التي لم يسبق لها في الثورة السورية من مثيل ما قام به كل من نزيه المؤيد ، وحمزة الدرويش وشكيب وهاب واسعد الكنج واسد الاطرش ، وصبري البديوي وفرحان عبدالله وحسن القنطار وسلمان مرعي ونجيب يوسف علم الدين وحميد الشامي وابراهيم حمودة واخوانهم الابطال المغاوير الذين رفعوا راس الثورة السورية عاليا والذين ابدوا من اصالة الراي وسداد الفكر وصواب الحجى مرفوقا كل ذلك بالمفاداة والتضحية التي ذهبت في الورى مثلا ما مهد لهم سبيل الظفرباحتلال القلعة وقهر الاعداء .

أما من كان سببا من اسباب النصر وعلما بارزا من اعلام الجهاد ووسيلة من الوسائل الحقيقية التي بنى عليها اولئك الابطال ذلك النصر المبين فكانوا حجرا اساسيا في ذلك البناء العالي من المجد والذين كانوا اللبن التي اقيم عليها صرح ذلك الفخار فكانوا شهداءه هم حسن حمود الصفدي وفارس حمود ومحمد السلقي وقاسم الفعلق وغيرهم مما لم تتصل بنا اسماؤهم



المجاهدون الابرار : عبد القادر سكر ، الامـير عز الدين الجزائري ، سـعيد العـاص ، فارس عقيـل

كانوا غرة في جبين هذه المعركة الوضاءة .

ما ان استقر بالمجاهدين المقام في القلعة حتى كانت النجدات من الفرنسيين قد اخذت بالزحف واحدة تلو اخرى في منتصف ليل الاثنين اتت فرقة من رياق الى اسفل المحيته وقد اركزت مدافعها الثقيلة واخذت تلقي القنابل حول القلعة وسارت فرسانها تحميها المدافع فقامت هذه الفرسان بحركة التفاف من جبل ضهر الاحمر الى سهل كفر قوق غربي راشيا وشمالها والى جهات بستان عين الابوة والعقبة جنوبا كما ان فرقة من جزين نهضت في نفس الوقت ونامت في قرية كفر مشتا غربي راشيا ناحية مدافعها الجبلية تحت كنيسة كفر مشتا مطلقة المدافع من هنالك على راشيا وقد تقدمت عساكرها تحت حماية المدافع في هضاب بيت كيفا وكروم المنشار التابعة لراشيا .

فرأى الثائرون حينئذ ان ينسحبوا الى حاصبيا قبل ان يحدق الجند بهم من كل طرف وقبل ان يستولي عليهم فيقعون اسرى بين يديه وبذلك اشتبك المجاهدون مع الجند التي وصلت الى راشيا فشق الثائرون لانفسهم طريقا في الناحية الشرقية الجنوبية من جبل الشيخ مارين بعين عطا وانسحب بيت العريان وبعض دروز القرى الشمالية لقرية عيحا . فاستولى الجيش صباح ٢٢ منه على راشيا من بعد ان قتل في هذه المعركة كل من الكومندان تينه والكابتين غرانجيه وقد تولى مكان الاخير الكابتين جروس دي مارليان فكانت معركة راشيا من اعظم المعارك التي نشبت بين المجاهدين والسلطة الفرنسية بما اظهره الثائرون من الشجاعة والبسالة .

لقد كان شكل الثورة السورية تبدل كثيرا عما آل اليه اخيرا لو كتب للمجاهدين البقاء في القلعة زمنا ما يتمكنون من بعده من الزحف على رياق وزحلة ولكن هكذا كانت مشيئة الله ولا مراد لحكمه وهكذا تهدمت اعظم بيوت راشيا واصبحت قاعا صفصفا خرابا يبابا .

الحكمين الوطني والافرنسي

مما سنأتي على ذكره من حوادث يستطيع المطالع الكريم ان يرى الفرق بين ما كانت عليه البلاد الواقعة في وادي التيم ابان رضوخها للوطنيين الثائرين وابان رضوخها للفرنسيين المتمدنين :

١ ـ بعد أن انجلى الثوار عن منطقة حاصبيا في رابع كانون الاول قصد كنيسة عين قنية اثني وعشرين امراة وفتاة من النصارى مصحوبات بكاهن الكنيسة . فعندما اقتحم الجند الفرنسي البلد ثم باب الكنيسة هاجموا من كن هنالك وانبروا بالاعتداء على عفاف الفتيات هناك ومما يروى عن الفظاعة التي ارتكبها هؤلاء الجند بألم واسف شديدين ان اغمي على واحدة من تلك النسوة لعديد ما تعاقب عليها من جنود . وعندما سمع اهالي قرية الخيام بامرها هب الكثير منهم الى استطلاع خبرها بالذات ورؤية ما جرى لها بالعين فآبوا مستنكرين ما راوها به من وضع ومشفقين على ما اصابها من حادث وبامكان المحقق المدقق ان يتثبت من هذه الحادثة المفجعة .

٢ ـ عندما احتل الضباط الفرنسيون راشيا دخل ثلاثة منهم منزل احد اهاليها وهو م.س فاعملوا فيه النهب من بعد ان اتوا الافعال الشنيعة الرذيلة مع زوجة ذلك الرجل وشقيقته على مشهد ومراى منه وغادروا الدار وعلى مناكب الجنود اكداس الطنافس والامتعة .

كان الرجل من احد التبعة البريطانية . فما ان تم له ماذكرنا حتى هرع الى بيروت يطلع المعتمد البريطاني على ما جرى له ولآل بيته . فاهتم المعتمد لهذه القضية واسرع توا الى الجنرال ديبور يطلعه على الامر فكان جوابه ما تعريبه « ان البلد يا سعادة القنصل في حرب والبلد الذي يكون هذا شأنها لا يمكن إن يمنع الجند من التعدي » .



المجاهدون الابرار السادة :
في الوسط ابو عمر ديبو وعلى يمينه حسن رعد وعلى شماله زكي الحلبي
من الخلف الامير احمد الشهابي محمود خيتي الشيخ نجيب رعد عبد الكريم

٣ - بين العوائل الدرزية في راشيا عائلة زاكي التي يرأسها الشيخ نعمان زاكي قاضي المذهب الدرزي والسنيين اشتهر هذا الرجل وعائلته بموالتهم الفرنسيين ومواساتهم لجرحاهم ولما يعلمه افراد اسرته من هذه الموالاة للسلطة وسابق معروفه مع الجند فانه ظل في راشيا على اثر جلاء الثوار عنها ولم ينسحب منها ظانا ان الفرنسيين اصدقاء صميمين له يتناول اذاهم سواه ويحل عذابهم لغيره ونقمتهم ممن لم يلقون اليهم بالمودة . اما ما كان من اصدقائه الاكارم واعزائه الاوفياء رجال السلطة الفرنسية عندما دخلوا راشيا في ٢٦ تشرين الثاني وعندما استقام لهم الامر واستقرت الحال فانهم فكروا بذلك الصديق الحميم واسرته الكريمة واحبوا ان يوفوها اجر الاخلاص لهم وان يجزوها عما اسلفتهم من صنيع جميل خير جزاء فراحوا يتفقدون هذه العائلة المبرورة حتى عثروا بافرادها وعددهم تسع بين امراة ورجل فجمعوهم واوقفوهم الى احد الجدر صفا واحدا واتاهم ضابط برتبة ملازم افرنسي يستمريء القائد بامرهم فاجابه متهكما بهم بقوله ما تعريبه : « هيء لهم بطاقات سفر درجة اولى ولكن للصين » عانيا بما قال التهكم على معتقدات الدروز اذ يعتقدون بالتقمص بعد الموت وانتقال الروح الى الصين . فصدع الملازم بامر قائده واحسن اعطاء البطاقات التي كانت عبارة عن طلق ناري من مسدسه يخترق صدر كل منهم رغم وجود نساء بينهم .

قال احد ضباط لبنان الذين رافقوا الجيش الفرنسي عندما راى هذه الفاجعة : « ان افظع ما ارتكبه الفرنسيون في تاريخ حياتهم هو ما فعلوه باسرة زاكي لغير جرم او ذنب » .

٤ - بين سكان زغرتا - لبنان - رجل تطوع في الجيش الفرنسي او بالاصح زين له التطوع فكان في عداد رجال القناصة اللبنانية وكان يدعى غطاس كرم طاف بقرى درزية واقعة في قضاء حاصبيا وراشيا فعمل وجماعته اثناء الطواف بهذه القرى السلب والنهب والنار وعندما بلغوا قريتي الريمة

والقطرانة نهبوا الاموال والمواشي بما فيها سبعمائة راس من الماعز يملكها رجل يدعى ابو احمد اصاب احد رجال العصابات المسيحية منها وهو يوسف الزيلع مئة وخمسين راسا . ومما يجدر بالذكر ان بين افراد هذه العصابة رجالا من الجناة العصاة ارتكبوا جرائم القتل بلفيف من بني معروف فحوكموا امام المجلس العسكري وقد برا ساحتهم فاشترك هؤلاء المجرمون في نهب القرى ومن بينها جزين وما جاورها فاطلقت السلطة يدهم يعملون مايشاؤون من نهب وسلب وتعكير صفو .

٥ ـ عقيب احتلال الفرنسيين حاصبيا واشعالهم دور الدروز والسنيين استفظع ساكنوا قرية الخيام هذا الامر واستهجنوه وهرعوا الى القومندان كوستون يشكون اليه ما فعله الجند . فما كان من هذا القائد الا ان قال لهم : « ان الحكومة هي التي امرته باشعال النار في بيت سامي شمسي فاعمل فيه النار تنفيذا لامرها . وان مابقي من البيوت المحروقة فالمسيحيون من اهالي حاصبيا وكوكبا وراشيا هم الذين اشعلوا النار فيها . وان التبعة والمسؤولية عليهم لاعليه » . وقد قصد بما قال اثارة الحفائظ في نفس الدروز على المسيحيين علهم يهتاجوا فيغيرون على النصارى بذبح عظيم .

٦ ـ ذكر احد الشيعة من اهالي قرية الخيام التابعة الى حاصبيا لـ ا بك خ من اعيان صيدا ووجهائها ان الجند الفرنسي احرق في حاصبيا اربع نساء من الدروز عجزن عن اللحاق برجالهن ولم يبق الجنود على باب او نافذة الا وقد اتخذوا منها الوقود والمسيحيون جميعا واقفون على هذه الفظائع ولكن لا يجرؤون على ذكرها . حتى ان احد المسيحيين الاشراف اديب قطيط صرح بقوله : السلطة هي التي تنهبنا ولولا ما فعله اشياعها وصنائعها غطاس وبطرس كرم من اعمال شائنة ما كان الثائرون ليدخلوا مرجعيون وقد امن على ذلك احد مسيحيي مرجعيون السيد مراد علوية . كان النصارى يستطيعون الجهر بما شاهدوه لولا مخافة ان تنتقم السلطة منهم من جهة ولولا ان ينقطع عنهم



المجاهدون البواســل محمد الشعراوي ابو جود العــاتي
رشيد الجوخدار ، ابو ياسين الخانجي ، ابو حامد الشربيني

التعويض الذي وعدوا به .

٧ ـ كانت في بلدة راشيا عانس في العقد الخامس من العمر عجوز شمطاء تقزز منها النفوس وتبتعد عنها الرجال . فعندما دخل الجيش الفرنسي هذه البلد واقبل عليها الجند رغم ما ذكر بوضعها الذي كانت فيه وقد ارتكبوا معها الفعل الدنيء وقد اخذوا يتوالون عليها الواحد بعد الآخر حتى بلغ عدد من واقعها سبعة عشر جنديا . وما ان علم بالامر احد اقربائها « ي.ن » حتى خف الى جريدة البرق البيروتية يطلب الى صاحبها ان ينوه بهذه الحادثة فذعر صاحب الجريدة على جريدته وخاف ان تمنى بالتعطيل .

اجتزانا هذه الحوادث القليلة واقتصرنا على ذكرها تاركين عددا كبيرا جدا من نوعها يضيق بنا رحب هذا الكتاب عن تعدادها .

فمن المقايسة بين ما قام به الثائرون المجاهدون من صنيع وفعل ابان دخول هذا الوادي تحت قبضتهم ومن بين هذه الافاعيل والفظائع التي ارتكبها رجال ينتحلون اسم المدنية ويدعون بالحضارة يتضح الفرق العظيم والبون الشاسع بين هؤلاء المتمدنين واولهك المتوحشين فليسجل التاريخ على كل منهما ما يستحق من رمي بالمدنية او الهمجية .

الحملة على الاقليم ثانية :

جهز متعب الاطرش حملة بقيادته من بني معروف وصلت في اواسط كانون الاول ديسمبر من عام ١٩٢٥ قرية الكفير من اعمال حاصبيا اقامت فيها يومين وبارحتها لتهاجم مركز «شوبا» الكائنة في شرقي حاصبيا والمشرف ذلك المركز على كل هاتيك النواحي . لقد حصنه الفرنسيون تحصينا عظيما واركزوا فيه احد عشر مدفعا كبيرا وكثيرا من المدافع الرشاشة ولذلك عندما اقترب الثائرون من ذلك المركز اصلاهم نارا حامية ابعدهم بها عنه

فآبوا حتى اذا ما بزغ الفجر ومد الصباح رواقه تابعوا السير الى قرية المحيته اذ علموا بوصول مئتي جندي من الفرنسيين اليها . وبوصول الجند المحيثة اعملوا النار فيها واسرعوا بالعودة على الفور الى ثويا من غير ان يلتقوا بالثائرين الذين تبعوهم وتسللوا بين الادغال والشعاب حتى بلغوا ثولا وقد حصروها خمسة عشر ساعة كادوا ان يحتلوها لولا فرقة من الموارنة شهماء ؟! خرجت واحاطت ليلا بالثائرين من جهة الجنوب فهاجمتهم فاصبحوا بين نارين اضطروا حينئذ للارتداد الى الكفير وقد قصدوا قرية عين عطا ومجدل شمس واليك ايها القارىء الكريم نص الكتاب الذي بعث به متعب الاطرش الى اهالي مرجعيون :

جناب الاجلاء الاماجد الحاج محمد افندي وعلي افندي وخنجر افندي العبد الله وعموم آل عبد الله في قرية الخيام المحترمين .

بعد سؤال خاطركم نعرفكم انه واصل انذار لتحت يد الحاج عبد الله ابو سمره واخيه يوسف بو سمرة من ابل السقي لاجل يبلغوه لمسيحي حاصبيا ومرجعيون فعند اطلاعكم عليه تفهمون مضمونه . والا ان الخطة التي اتخذت قبلا لم تكن مدربة لاننا غرب الديار وحصل من ورائها ما حصل .

وعليه أن قدر الله باشرنا بتدابير جديدة منظمة والتوفيق على الله . اكدوا ايها الافاضل اننا لا نقصد الاعتداء على احد بل نحن مقاومون رجال فرنسا الذين يريدون استعمار بلادنا ونحن لسنا ضد رجالها الاحرار الذين يريدون لنا كل خير . اما من جهة المسيحيين الذين تسلموا اسلحة من الحكومة بقصد مقاومتنا سوف نريهم منا ما يستحقونه وخصوصا اهالي راشيا الفخار الذين يضيقون على رجالنا العابري الطريق وقد قتلوا منهم حصانا وجرحوا واحدا من الذين يعتمد عليهم .

ثم بلغنا ان مسيحيي بلدتكم نهبوا حاصبيا ودخلوا مع الفرنسيين اليها فاذا استحسنتم ابلاغهم بارجاع ما نهبوه حيث لا يمكننا التغاضي عنهم وترك

حقا عندهم ولولا نظركم عليهم لكنا غير عاجزين عن تأديبهم فاذا لم يقبلوا نصيحتكم عرفونا .

لقد صادرت رجالنا بعض المكارين الذين اتوا من بلدتكم الى القنيطرة وصار تركهم اكراما لكم فبلغوا المكارين ان لا يعودوا ثانيا الى القنيطرة خوفا من وقوع سوء التفاهم ودام بقاكم .

حرر في ٢٥ جمادي الثانية سنة ١٣٤٤

اخوكم متعب الاطرش

واقعة بلدة وبيلا

جرت بعد ضرب الشام في غوطة دمشق معارك عدة اجدرها بالذكر معركة بلدة وبيلا اذ انقت الرعب في قلوب المستعمرين واخمدت من حماسهم واوهت من عزائمهم وباتوا لا يجرؤون على تخطي المخافر التي اتخذوها مركزا ثابتا لصد الهجمات الفجائية المتكررة .

لقد ارتأى الثائرون ان يتخذوا من الحرب اسلوب الدفاع لقاء هجوم العدو مع ارسال قوى لتطويقه وبذلك كانوا يحدثون فيه الفوضى والاضطراب والصعق ويحولون بينه وبين عتاده فيضطر الى التراجع والتقهقر ....

لقد وقعت بلدة وبيله من غير ما كان المجاهدون يفكروا فيها ارتدى سليم المفتي ثوب الخيانة جهارا وفاخر فيه وباهى وقام بتاليف عصابة من مريضي النفوس ضعاف الايمان لقتال الوطنيين فأقسم البطل نزيه المؤيد على قتله فقاد خمسين فارسا ووجهته الميدان ولما ان جاوره اصطدم بالجند الفرنسي فاصطنع الانهزام والانسحاب مستدرجا ذلك الجيش الى وبيله حيث وافاه متعب الاطرش من قرية الست بثمانين فارسا وهناك



البطل الرئيس عبد الوهاب عمر باشا

هناك لعب السيف في نحور الاعداء ورقابها فاشتفى غليل الوطنيين من دمائهم وارتوى المجاهدون من نجيع كان ينفر من الاباهي والاوارد كفورات من الماء وقد احس الابطال الصناديد كسعيد العاص وعلي الاطرش وعبد القادر سكر وعبد الوهاب عمر باشا وخير الدين اللبابيدي الطيار وعمر عمر باشا ومن كان اليهم من المجاهدين الاحرار بهذه المعركة ذهبوا لنجدة الاخوة المجاهدين دليلهم ابو عبده سكر وحما وطيس المعركة حتى اصبح الثائرون يتقارعون مع العدو بالقنابل اليدوية واغار البطل المغوار محمد عز الدين الحلبي برجاله على الاعداء ينجد اخوته الثائرين وظل يلاحقهم حتى محطة القدم وقد استشهد مؤيد شرف وعشرة من الدروز وقد ابلى بالجند والجيش اعظم البلاء وظلت رحى الحرب دائرة منذ الصباح الباكر حتى الساعة السابعة مساء وفيها تم انهزام الجيش وانسحابه وتقهقره تاركا من خلفه الغنائم للمجاهدين وقد ربح الثائرون الابرار احد عشر رشاشا و١١٣ بندقية و٨٠ حمل عتاد مالئا بقتلاه تلك البطاح الفساح والاراضي الشاسعة . اما الجرحى فكانت اكثر من ستمئة عدا الجثث التي ظلت على قنية المياه .

بلغت الحماسة والبطولة بالثائرين مبلغا دفع البطل سعيد العاص لان يعمل القتل في فلول الجيش ومنهزميه والفتك بهم لوحده حتى ابواب القشلة العزيزية في حي الميدان وحتى هناك على بابها رمى احد الضباط بعياره الناري فأرداه قتيلا وعاد الى اخوته يعلن ما ذا فعل وما كان على يده . اما خسائر المجاهدين من قتلى وجرحى فانهم لم تتجاوز الثمانية عشر تقريبا .

على اثر هذا الانهزام المريع والتقهقر الشنيع اخذت مدافع السلطة الفخيمة ! تستر هذا الفشل المريع باطلاقها قنابلها وبدفعها طائراتها للتحليق والقاء القذائف حتى جن الليل وخيم .

كانت الغوطة في تلك الايام تحت نفوذ العصابات وسلطتها فتغلغل رجالها وانتشروا في قلمون والنبك وبلغوا قرية القصير وهددوا حمص شمالا وانتشروا في وادي بردى غربا دائبين على نسف الخط الحديدي بين بيروت ودمشق فعطلوه وعطلوا سير القطارات عليه مرارا عدة اما من ناحية الجنوب فقد انتشروا على طول خط حديد درعا دمشق يعملون على نسفه من حين الى حين ومن آونة الى اخرى مما ازعج السلطة واهاب بها دواما لتوزيع قواها على طول الخط للتصليح مرة وللمحافظة اخرى وبذا لم يهدا للسلطة الفرنسية بال طوال تلك المدة .

معركة حمورة

احاط الجيش الفرنسي بقرية جوبر وضيق الحصار عليها لما كان يقوم به اهلها نحوه من عجب عجاب مما لم يسبق لمثله شبيه في التاريخ من شجاعة ، الى فن حرب ، الى قتل عدو ، الى اضطراب وتشويش في الجيش ما خلد لها في صفحات التاريخ حتى لدى الفرنسيين انفسهم ذكرا مجيدا وعملا حميدا وشجاعة صارت مضرب الامثال .

بلغ الثائرين الاحرار ما عليه هذه القرية من تضييق حصار فهبوا لمساعدتها وكان ذلك في السابع عشر من كانون الاول من عام ١٩٢٥ وقد الفوا حملة برئاسة البطل الكبير محمد عز الدين الحلبي ومعه كل من الابطال البواسل سعيد العاص ونزيه المؤيد ومنير الريس وخير الدين البابيدي وابي عبده سكر ومحمود ابو يحيى وسلامة الزير ومحمد الخطيب ويمموا وجههم لانقاذ جوبر فمروا بقرية حمورة حيث اشتبكوا بمن كان هنالك من الجند فتأزمت المعركة في داخل هذه القرية ــ حمورة ــ فأبدى فيها هؤلاء الصناديد الاشداء ما اشتهر عنهم في مثلها من بطولة وشجاعة واقدام وقد كاد ان يقبض على المجاهد الوطني منير الريس لو لم تدفع عادية الاعداء عنه ثيابه التي كان يرتديها والتي كانت تشابه



المجاهد الكبير الطبيب الجراح اللامع السيد امين رويحة وعقيلته الكريمة
وسط لفيف من المجاهدين الابرار السادة : سعيد العاص
وابو عبده فارس عقيل وصالح الشواني

بلونهــا وشكلها ثياب الشركس فاختلط بهم فتشابه الامر بشأنه وهكذا نجا مــن شرهم باعجوبة غريبة ورد الله عنــه فتــك الاعداء الظالمين .

نفذ عتــاد الثائرين في آخر هذه المعركــة فاصطدم الفريقان وجهــا لوجــه واستبسل المجاهدون الاحرار استبســالا عظيما وقد انقذ الموقف كلٌ من المغاوير نزيــه المؤيد والمرحوم محمد علي الدروبي واخوة لهم آخرون كــان لصنيعهم اكبر التأثير واعظم الوقع على الاعداء .

وان مما اشتهرت به هذه الواقعة كثرة الآثام ، وغزارة الجرائم وتعدد التنكيل والاعتداء على الاعراض في تلك القرية بصورة ووضع لم يجرا على اقترافها حيوان وناهيــك عما كان يقوم به الجند من ذبح اطفال ، وقتــل شيوخ وفضح نســاء وحرق ارزاق وناهيك ايضا عما قام به هؤلاء الطغمــة اللئــام من هدم بيوت وبقر بطون وتقطيع شيــع .

لقد كان المجاهد منير الريس يرى بعينه من مخبأه في احد الحقــول التي لــم تصلها النــار ما كان يقوم بــه وحوش الانســانية من كــل عمــل همجي ترتعد لذكره الاجســام والنفوس والقلوب فتجاوز عدد القتلى مــن هؤلاء الابرياء الخمســين انســانا كما بلغت قتلى الجيش اثني وستين جنديا قتال الثائرين ابان الشتاء امر لا يطيقه الجنــد ولا يصبر عليه الجيش لاسيما في الغوطة لهذا لجات السلطة الى تأسيس مخافر في القرى الآتية : دوما ، اوتايــا ، خرابو ، الشبعة ، ســنة الله في خلقه ولن تجد لســنة الله تبــديلا فمن هذه السنة ان تفتر غالبــا حدة القتال في الشتاء وان تهدأ العاصفــة فيــه نوعا ما وان لا يسخر النضال في ابانــه كما يكون في غيره لهــذا ارتأى المجاهدون ان يعسكر البطل الكبير فوزي القاوقجي والمجاهد الباسل سعيد العاص ورجالهما في النبك وجهات الشمال وان يتمركز قسم كبير من مجاهدي الغوطــة مــع الوطني المقدام محمد عز الدين الحلبي ومن لديه من الدروز البواســل في الجبل المنيــع وان يظلّ في منطقة الشام كل مــن

الابطال نزيه المؤيد وابي عبده سكر وزكي الحلبي وابي قاسم الدرخباني والمهايني وغيرهم وقد استطاع هؤلاء الاشاوس جميعا ان يعملوا في الحقل الوطني والجهاد الاقدس ما لاقبل لاحد غيرهم ان يعمله وقد تركوا في تاريخ حياتهم صفحة من ألمع الصفحات في هذه الثورة الوطنية الكبرى فقد ثبتوا الموقف رغم تبلبله ووطدوا الاركان على تزعزعها واستطاعوا لان يبعثوا التفاؤل بالنفوس رغم ما كانت تطلع به على الناس التقارير طافحة بالتشاؤم والتذمر .

سكنت في الغوطة العاصفة في فصل الشتاء ولم يعد للحوادث من اثر مذكور اللهم الا ما كان من اغتيال البطل الشجاع حسن الخراط من قبل الشركس في الحادي والعشرين من كانون الاول بقرية يلده . وما كان ايضا من مقتل الكولونيل فرن في وقعة الشبعة وقد سكت الفرنسيون عن خبر مقتله سبعة اشهر وكان الفضل في هذه المعركة الظافرة للبطل الكبير الشهيد شوكت العائدي « من برز بعز الفعال في القتال واعظم المزايا في النضال ومن علم الفرنسيين في الحرب دروسا كانوا بحاجة ماسة اليها وقد كتب بدم قلبه على صفحات التاريخ اسطر الوطنية الحقة والبطولة الخالدة والتضحية الكبرى » .

قال نزيه المؤيد ما معناه في رسالة : « لقد ارهفنا العزيمة على ان نأتي بما يعكر صفو السلطة ويخضد من شوكتها ويشوش عليها الامر ويربكها في كل مكان فاخذنا بمهاجمة الخطوط الحديدية التي تشل من حركتها والتي هي لها بمثابة الشرايين في الجسم فنسفنا في بحر يومين فقط خط شام درعا وخط شام بيروت واقتعدنا سبعة ايام على خط بيروت دمشق نتربص بالفرنسيين الدوائر فهزمنا في غضون هذه الايام القلائل حملتين كبيرتين فرنسيتين شر هزيمة وبسبب نفاذ طعامنا وقلة علف خيلنا اضطررنا بحكم الضرورة لان نعود الى الغوطة وهناك استطعنا ان نسترد

ما غرب من عزمنا وان نستعيد ما شرد من قوتنا وان نجمع الشمل وننظم الشأن وان ندعو للجهاد والذود عن الحياض فلبى نداء الواجب معنا عدد غفير التقفناه من كل قرية فرضناه عليها بسلاحه وعتاده وكان صادف اذ ذاك رجوع البطل ابي عبده ديب الشيخ من الجبل فكانت له اليد البيضاء بهذه المهمة فشكرنا له يده وقد اخذت جموعنا تزداد يوما عن يوم حتى بلغت آلاف مؤلفة وبذلك تمكنا من تجهيز الحملات الى القلمون والاقليم لشد ازر الاخوان هناك » .

مما تقرأ ايها المطالع العزيز من رسالة هذا البطل النزيه تدرك ما لاقى في سبيل احياء هذه المنطقة هذا الشجاع واخوته المجاهدين الابرار من عناء وخير ما نتقدم به اليهم جميعا قولنا لهم انهم رجال حق وانهم قاموا بواجبهم خير قيام وهم خير من يعتمد عليهم في الليلة الدهماء والوقعة السوداء وبهذا بلاغ .

المندوب السامي لسورية ولبنان في القاهرة والشام

اذيع في عاصمة الفرنسيين في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ المرسوم الذي صدر بانهاء المسيو هانري دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ مفوضا ساميا من قبل فرنسا في سورية بدلا من سلفه سارايل وفي الثالث عشر من ذلك الشهر حصل مكاتب جريدة الاهرام بباريز من ذلك المفوض على حديث سياسي اوضح فيه وجهته السياسية في سورية وافاض بالبحث عن ذلك بما فيه كفاية وقد قال ما تعريبه : « القد جاء الوقت الذي تعمل فيه السياسة عملها فاذا كان لا بد من استعمال القوة فانني

ساستعملها ولكن استعمالها يحزنني لان ما اريد عمله هنالك هو المساعدة في تنظيم الاستقلال الوطني تنظيما يجعل فرنسا واوروبا توافقان عليه وقال انه سيجعل شعاره في سورية احترام الجميع وسيضع نصب عينيه المستقبل لا الماضي فيجب ان يستانف العمل على قاعدة جديدة وانه وهو رجل غير عسكري سيعمل بروح رجل غير عسكري وان وطنيته تساعده على فهم وطنية الآخرين ، وقال « واذا كان الدكتور شهبندر يريد الرجوع الى سورية ففي وسعه الرجوع اليها بلا خوف » .

وكان الامير جورج لطف الله في عاصمة الفرنسيين فدارت بينه وبين المسيو ديجوفنيل مباحثات سرية من جهة كما دارت بين المسيو جايار وزير فرنسا المفوض في مصر يومئذ وبين الامير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية محادثات من جهة ثانية فكان الاتفاق على ان يكون ما سياتي من المباديء اساسا لحل المعضلة السورية متعهدا الامير ميشيل باقناع اللجنة مبدئيا بالقبول اما المباديء فهي :

١ ـ تدعى جمعية تاسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية .

٢ ـ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية منطبقا على كرامتها .

٣ ـ يفصل في مسالة الوحدة السورية في المستقبل بين أولي الشأن انفسهم .

٤ ـ تنشا ادارة وطنية حائزة على ثقة البلاد .

٥ ـ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فيبقى لاهله .

كما اتفق الفريقان على ان يتقابل المندوب السامي مع رجال اللجنة التنفيذية في القاهرة وان تعلن هذه المباديء ويباشر بانفاذها .

بينما كان المسيو دي جوفنيل في عاصمة بلاده دعا اليه الامير شكيب ارسلان حتى اذا ما بلغ عاصمة الفرنسيين والتقى بداعيه تجاذبا اطراف الحديث بما يجب ان يكون لحل المعضلة السورية ووقف القتال وقد طلب المندوب الى الامير تنظيم المشروع الذي يراه لحل المشكلة السورية فنظم الامير ما يلي :

« عقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة تكون محالفة النظير لنظيره يتعهد السوريون في هذه المحالفة بأن لا ياخذوا متخصصين فنيين الا من فرنسا ولا يعقدوا قرضا الا في فرنسا . ولا ياخذوا ضباطا اذا لزمهم من ذلك لتدريب جيشهم الا من فرنسا . واذا عجزوا بالانفراد عن استثمار منابع الثروة في بلادهم لا يستمدون الا من مال فرنسا وصناعة الجديد الى عاصمة البريطانيين حيث يتصل بوزير خارجيتها المستر اياه ووعد بذلك خيرا وفي التاسع عشر من ذلك الشهر توجه المفوض شامبرلن ومما شاع عن هذه الزيارة انها بغية الحصول على ما يمكن بلوغه السوري . اذا نشبت حرب مع فرنسا يتعهد السوريون بتقديم عدد من فرنسا . اذا هجم هاجم على سورية تتعهد فرنسا بتعضيد الجيش

تناول المفوض الجديد من الامير المشروع الذي المعنا اليه وقال بدرسه او اتخاذ قاعدة بحرية في سواحل لبنان ».
الدولة السورية فيما لو رضيت حكومة لبنان بابقاء حامية فرنسية في لبنان الجند لمساعدتها يتم الاتفاق عليه بشرط ان تجهزه فرنسا . لا تعارض من المعلومات التي يتخذ منها ما يساعده على مواجهة المعضلة السورية ولكي يقف على دخائل السياسة البريطانية في الشرق الادنى واساليبهاالديبلوماسية وقد تناول طعام العشاء الى كل من المستر شامبرلن والمستر ايمري وزير مستعمرات انكلترا وسلخ معهما ساعتين تحدث اليهما فيها عن وضع سورية وقد اتفقوا على الاسراع في تعيين الحدود بين سورية وفلسطين من

ناحية والحدود بين سورية والعراق من ناحية ثانية . وعلى تعاون الحكومتين في ربوع الشرق تضامنا وتكافلا .

احتجاج عاهل العرب

جلالة الملك حسين بن علي

لقد بعث جلالة الملك حسين بن علي من مقره اذ ذاك في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ الى رئيس جامعة الامم محتجا على ما جرى في سورية بالنص الآتي :

« بصفتي المعلومة الاساسية اقدم لفخامتك وللهيئة الموقرة احتراماتي ثم اجلب انظار كمالات مزاياكم الى المعاملات الجارية في عموم سورية ونتائجها المؤدية الى محو العرب والمؤثرة حتى على شرف المقصد الاساسي من تشكيل وتاسيس هيئتكم المعظمة سيما بعد اعلان الحلفاء بصورة رسمية انهم لم يخوضوا غمار الحرب الا لخلاص الشعوب المظلومة واعادة حقوقهم ومنافعهم الا ان العرب لا تشملهم مقاصد تلك التاسيسات ولكن بلاغ العظمة البريطانية اخيرا لمخلصكم بان هيئتكم الموقرة قررت انتداب عظمتها ايضا على معان والعقبة ضمن انتدابها على عمان الشرق العربي يخالف ذلك وعليه فالمرجو من الفخامة اصدار القرار القطعي الصريح بمصير بلادنا معاشر العرب وتطبيق قوانين وقواعد الانتداب الاساسية على ما ترى انتدابه من بلادهم والا فالعرب لهم الفخر في الحكم عليهم بان يكونوا ضحية لمصالح الحلفاء واخلاق المدنية الحاضرة ».

اخفـاق المفاوضات

رأى رئيس اللجنة التنفيذية وجوب اطلاع بعض من اخوته من الاعضاء على ما دار بينه وبين المسيو جايار وقد فعل فقالوا بقوله وارتأوا عليه ان تدعو اللجنة اكبر عدد ممكن من رجال القضية السورية للمداولة والاتفاق على القواعد التي بحث بشأنها وجرى الاتفاق عليها وعلى هذا عقدت اللجنة اجتماعا ضم عددا كبيرا ممن اشتغل بالقضية الوطنية بعضه من الاسكندرية والبعض الآخر من القدس وسورية وتباحثوا فيما يجب ان يقدم للمندوب كمذكرة غب وصوله وبحثوا الاسس المعروضة من غير ان يعلموا انه اتفق عليها مبدئيا فوضعوا صيغة جديدة تختلف عن تلك الاسس من وجوه عديدة وفي الثلاثين من الشهر المذكور وصل المندوب الى القاهرة وقد حل في فندق الكونتيننتال فادب له الامير ميشيل لطف الله مادبة شاي فائقة في قصر الجزيرة وفي صباح اليوم الثاني من وصوله زاره وفد اللجنة وقد قدم اليه المذكرة التالية :

« ليست الحركة المنتشرة الآن في سورية سوى مظهر جديد من مظاهر العقيدة الوطنية العامة القائمة على مبدأ الجامعة القومية والاستقلال الضامن للكيان القومي بجميع مظاهره شأن كل امة كاملة الخصائص ويكفي أن نلقي نظرة سريعة واحدة على تاريخ هذه الحركة الحديثة لكي تتبين لنا القواعد العمومية التي يمكن ان يبنى عليها حل مرض للمشاكل الناشبة الآن . ليس التنازع الذي كان موجودا بين العنصرين العربي والتركي في السلطنة العثمانية بخاف على من له المام بتاريخ تركيا الدستوري الحديث فقد اصطدم مبدأ القومية العربية والمطالبة بنظام خاص لبلاد العرب الخاضعة للتاج العثماني على الرغم مما كان للعرب من المساواة العامة مع الترك امام القانون من جميع

الوجوه وكان من جراء ذلك ان الجمعيات العربية عقدت مؤتمرها المشهور في باريز سنة ١٩١٢ للتوسع في تنظيم الحركة العربية ووضع المسالة العربية بين امهات المسائل التي تقتضي الحل في تركيا فشعر الترك بخطر الموقف وحاولوا تلافي الحالة بالتساهل مع العرب والاعتراف لهم ببعض ما كانوا يطلبونه فاصدروا ارادة سنية باجابة بعض تلك المطالب ولكن العرب لم يرضوا عنها لذلك كان هم الترك ان يغتنموا فرصة الاحكام العرفية في اثناء الحرب الكبرى للقضاء على المسالة العربية فساقوا زعماء الحركة الى مجلس عرفي في عاليه « لبنان » وحكموا بالاعدام على العدد الاعظم من كبرائهم ونفذوا الحكم في ساحتي بيروت ودمشق العموميتين المعروفة كل منهما الآن باسم ساحة الشهداء ولكن العرب وفي مقدمتهم السوريون لم تفتر عزائمهم ولما يؤسوا من الترك صاروا مستعدين لاستمالة الحلفاء لهم الى مساعدتهم على دولتهم توصلا لاستقلالهم فلما نالوا من الحلفاء عامة ومن انكلترا وفرنسا خاصة وعودا عديدة باستقلالهم حمل ذلك الوفا منهم على التطوع في جيوش الحلفاء وثار الحجاز باجمعه على السلطنة العثمانية وتالف جيش عربي خاص مؤلف من جميع الولايات العربية لمقاتلة الترك وانتهى الامر بفوز الحلفاء وشهد اللورد اللنبي نفسه في احد تقاريره بالفضل العظيم الذي كان للحملة العربية في انتصاراته في فلسطين ضد الترك ولكن الغرض الاساسي الذي تكبد من اجله السوريون خاصة والعرب عامة جميع هذه الضحايا لم يتحقق منه شيء وقد كانوا يعلقون آمالا كبيرة على مبدا حق تقرير المصير الى ان جاءت اللجنة الاميركانية الى سورية ووقفت على آراء الاهالي في مصيرهم ثم سافر الامير فيصل الذي كان يحكم المنطقة الداخلية في سورية باسم القائد البريطاني العام الى اوروبا ووصل الى تفاهم مع وزارة الخارجية الفرنسية لتنظيم دولة سورية وتعيين علاقات فرنسا بها وعاد آملا ان يحمل اهالي البلاد على قبول هذا الاتفاق ولكن لم يكد هذا الاتفاق يعرف حتى ثارت عليه ثائرة الاحزاب واجتمع مؤتمر سوري نادى باستقلال البلاد التام

بوضع دستور لها واقام حكومة ديموقراطية بادرت في الحال الى تنظيم الادارة وعاشت خمسة اشهر برهنت في خلالها على ما قامت به من تنظيم فروع الادارة واقرار الامن ووضع اساسات الرقي العلمي والاقتصادي على ان السوريين لا يقلون كفاءة عن كثير من الامم المستقلة في اوروبا نفسها ولكن السلطة الفرنسية لم تمهل هذه الحكومة فجهز الجنرال غورو حملة عسكرية اقتحم بها دمشق والمدن الداخلية الاخرى واحتل البلاد والغى استقلالها وجيشها الفتي وبادر الى وضع اسس جديدة للادارة برايه الشخصي ولكن الحركة الوطنية لم تسكت بل ظلت مستمرة في الشمال بقيادة ابراهيم هنانو بك احد الزعماء الوطنيين ودامت من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢١ وظهرت في الوقت نفسه حركة في حوران على اثر احتلال دمشق دامت ستة اشهر وظل القتال متواصلا في بلاد العلويين من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ وظهرت الثورة الاولى التي قام بها سلطان باشا الاطرش في سنة ١٩٢٢ ودامت ستة اشهر وكانت الادارة الفرنسية في سورية في خلال ذلك مضطربة لا تستقر على حال ففي اواخر سنة ١٩٢٠ مزق الجنرال غورو البلاد الى خمس دول لكل منها حكومتها وعلمها وفي السنة نفسها سلخ قسم من شمالي البلاد واعطي لتركيا مع ان الفرنسيين تسلموا ذلك القسم من الانكليز وتعهدوا في المادة التاسعة من معاهدة سايكس بيكو ان لاتتنازل احداهما عن الاراضي الواقعة ضمن منطقتها بدون رضى الاخرى وشعرت السلطة الفرنسية ان هذا التمزيق ليس حلا طبيعيا فعمدت الى الجمع بين بعض الاجزاء التي فرقتها والفت حكومة الحلف السوري سنة ١٩٢٢ وجمعت فيه بين حكومة دمشق وحكومة حلب وحكومة بلاد العلويين ولكنها رات بعد ذلك مرة اخرى ان تضيق نطاق هذا الحلف ففي سنة ١٩٢٣ عدلت عن النظام القديم وفصلت بلاد العلويين عن تلك الوحدة والفت حكومة الدولة السورية من حكومتي دمشق وحلب السابقتين فقط ولم يكن هذا الحلف ايضا مرضيا لاحد بوجه من الوجوه فعندما ظهرت الثورة الحالية بادر زعماؤها باعلان مطالبهم بمنشور

اذاعوه بكل مالديهم من وسائل الاذاعة وتناقلته الصحف وهو يعيد اسس الحكومة التي وضعها المؤتمر السوري في دمشق في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ تحقيقا لرغبات الامة بأسرها ولا بد لنا من الاعتراف بأن الظروف الحالية في سورية تتضمن عوامل وحقائق جديدة تستحق ان توضع موضع الاعتبار فاذا كان يراد وضع حل للمشاكل الحاضرة يبنى على الاخلاص والرغبة الحقيقية في التفاهم فلا نظن ان سورية تابى ذلك ولكن ليس في وسع احد في الوقت نفسه ان يشير باي حل يتجاهل ماضي الحركة الوطنية في سورية والدماء التي اهرقت من أجلها والجهود التي بذلت في سبيلها والضحايا العظيمة التي جاد بها اهل البلاد عن طيبة خاطر من اجل اغراض الحركة الوطنية فالوطنية الحقيقية هي التي تحترم وطنية الآخرين كما تحترم نفسها واذا سئلنا رأينا في هذا الحل بصفة احزاب تعمل لتحقيق المثل الاعلى الذي تنشده البلاد لا نستطيع سوى ان نبرز برامجنا الاستقلالية ونطلب تحقيقها فاذا كان يراد بالحل المطلوب اعادة السكينة الى البلاد السورية فهذا الوفد يرى أنه من الممكن ان تتخذ القواعد التالية اساسا للبحث :

١ ــ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي واما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ــ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية موقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التاسيسية .

٣ ــ تدعى جمعية تاسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل والخارج .

٤ ــ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة

معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ــ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية الموقتة .

٦ ــ تسجيل الاتفاق لدى عصبة الامم ودخول سورية في عداد هذه العصبة .

فاذا كانت الحكومة الفرنسية تجد في هذه المباديء العامة اساسا للتفاهم فنحن نرى ان تصدر تصريحا بذلك وان تنتدب هيئة من قبلها تجتمع بهيئة القائمين بالحركة الوطنية وتضع الهيئتان بالاتفاق بينهما قواعد توقيف القتال والاساليب اللازمة لتطبيق هذه المباديء ــ أ ء » .

عندما وقف المندوب على ما جاء في المذكرة والفى الفرق بينه وبين ما تم الاتفاق عليه بعيدا جدا من حيث الجوهر حار في امره ولكنه اخفى في نفسه شعوره ومرماه واظهر غير ما بطن وقال بأنها وفاقا لمباديء الثورة الفرنسية وقد طلب الوفد اليه ان يبدا النقاش واياه على اساسها فابى كما انه ابى التصريح عن الخطة التي رسمها لنفسه وقال بالاحتفاظ بها الى ما بعد بلوغه سورية وانه يكتفي اذ ذاك بالاصغاء الى مايبيت عليه السوريون من أمر وانفضت المقابلة بلا جدوى رغم استمرارها ساعة وعشرين دقيقة ثم ارتأى الوفد مقابلة المندوب مرة اخرى لعله يستطيع في هذه المرة ان يبلغ ما لم يستطعه من قبل ولكن الوقت لم يكن ليسمح اذ ذاك بذلك لهذا تم الراي على انتداب احد اعضاء الوفد ليقوم بهذه المهمة مع المندوب وبالفعل فقد قابله واظهر له ان الوفد لم يكن بمرتاح الى ما افضت اليه المقابلة الاولى فقال المندوب من الواجب ان يسار في تخفيض المطالب رويدا رويدا وكان يقصد بما قاله اعادة السلام اولا الى البلاد واضاف بانه لا يعتقد بقدرة الوفد على ان يؤثر تأثيرا ذا شان بهذا الصدد واردف قائلا بانه على استعداد لبحث لكل مقترح

لاعادة السلام على ان اللجنة لم تكتف بذلك بل بعثت اليه في مساء ذلك اليوم بالكتاب الآتي :

« ان شعور الوفد السوري الذي تشرف بمقابلتكم اليوم صباحا بالواجب الملقى على عاتقه تجاه الحوادث التي صبغت ارض سورية بالدم ورغبته في وضع حد لحالة البلاد الحاضرة والوصول الى سلم دائم قائم على الثقة المشتركة والاعتراف بالمصالح المتبادلة يحملانه على ان يقترح عليكم الاقتراح التالي : وهو ان يسافر وفد من قبلنا في الحال الى سورية للعمل على حقن الدم ولتمهيد طريق صالح للمفاوضة بين جنابكم ومندوبي زعماء الثورة ولكي تكفل التوفيق والنجاح لهذا المسعى يرجو منكم الوفد السوري بابلاغه موافقتكم على المباديء التالية وقد وردت في المذكرة التي تشرفنا برفعها اليكم في هذا الصباح :

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او للانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ـ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التاسيسية .

٣ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل وفي الخارج .

٤ ـ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيها على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعية » .

كان المندوب غائبا في وليمة اعدت له عندما ورد اليه الكتاب الذي المعنا اليه ولم يصل ليده الا في الساعة الحادية عشرة غب عودته الى النزل فاسرع بالجواب بما يلي :

« مصر في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ الساعة ١١ ليلا . حضرة السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني .

من بواعث اسفي الشديد ان يكون الحل الذي تقترحونه غير مستطاع القبول بتاتا وان يكون في هذه الدرجة من قلة المطابقة للمحادثة التي دارت بيننا في هذا الصباح والتي حفظت محضرها ومن البديهي ان لايكون للمهمة التي تطلبون مني بكتابكم اناطتها باللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني حظ من التوفيق ولااريد ان ادعكم تعتقدون لحظة واحدة انه يسع فرنسا ـ كما تشيرون عليها ـ ان تنكث بالعهود التي قطعتها على نفسها امام خمسين دولة ثم انني كما تشرفت وصرحت لكم ساعلن بياني على رؤوس الاشهاد في سورية نفسها ولذلك اصارحكم القول من دون مرارة انه كان من الافضل لو لم يكتب كتابكم وفي هذه الحالة كان اعادة السلم الى سورية اسرع واسهل وانني اخشى ان تكونوا آخذين في تحمل تبعة الاضطرابات والمصائب التي لابد من ان تقع هذا وثقوا ياحضرة السكرتير العام باحترامي وافي » .

وفي الثالث من كانون الاول اذاعت اللجنة ما ياتي :

« بعد ما نشر المسيو هنري دي‌جوفنيل المندوب السامي الجديد في سورية ولبنان الكتاب الذي ارسلته اليه اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري

الفلسطيني في ٣٠ نوفمبر الماضي ورد عليه قبل ان تتسلم اللجنة هذا الرد ببضع ساعات لم يبق بد للجنة من ان تذكر في هذا البيان الوجيز خلاصة ماجرى بينها وبين جنابه مرجئة الى موعد قريب نشر التفاصيل والمستندات في بيان مطول تلقت اللجنة تلغرافا من وطني كبير في باريز تاريخه ١٧ نوفمبر الماضي ابلغها فيه ان المسيو دي جوفنيل سيعرج على القاهرة في طريقه الى بيروت ويود ان يقابل وفدا من اللجنة ومن حزب الشعب وغيرهما وعلمت اللجنة بعد ذلك ان هذا التلغراف ارسل بعد ان اطلع عليه المسيو دي جوفنيل وبعد ان ارسل كتابا بخطه الى ذلك الوطني في المعنى نفسه واردفه هو نفسه بحديث نشرته الصحف بتاريخ ٢٦ نوفمبر في مصر قال فيه انه سيقابل اللجنة التنفيذية والاتحاد السوري في مصر فعقدت اللجنة جلسة خاصة للبحث في هذا الموضوع في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وقررت اجابة الدعوة وابلغ هذا القرار الى المسيو دي جوفنيل ثم جاء احد السوريين الوطنيين من باريز بتاريخ ٢١ نوفمبر الماضي وافضى الى اللجنة بمعلومات مفصلة عن محادثات متعددة دارت بينه وبين المسيو دي جوفنيل وعرض على اللجنة قواعد اساسية لحل المشاكل الحاضرة في سورية وانشاء نظام الحكم فيها واكد للجنة ان المسيو دي جوفنيل يعتبر هذه القواعد اساسا صالحا للتفاهم ولا يرى فيها ماينافض الخطة التي يريد اتباعها ورغب في ان تطلع عليها اللجنة والاحزاب السورية الوطنية ففضل ذلك الاخ الوطني ان يحملها بنفسه ويأتي بها الى مصر وكان المسيو دي جوفنيل واقفا على ذلك ، وهذه ترجمة تلك القواعد عن اصلها الفرنسي المحفوظة في اللجنة .

١ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب العام المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية .

٢ ــ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية ومنطبقا على كرامتها .

٣ ــ يفصل في مسألة الوحدة السورية في المستقبل وبين أولي الشأن انفسهم .

٤ ــ تنشأ ادارة وطنية موقتة حائزة على ثقة البلاد .

٥ ــ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فانه يبقى لاهله .

فعقدت اللجنة جلسات متعددة للنظر في هذا الموقف الجديد دعت اليها كل من في مصر من رجال الاحزاب الاستقلالية لتسترشد بآرائهم فتقرر بالاجماع ان تقدم اليه مطالب معينة تفسر بمقدمة وجيزة عن تاريخ الحركة الوطنية في سورية ووضعت المذكرة والمطالب وتالف الوفد الذي يجب ان يطالب المسيو دي جوفنيل وتحدد موعد المقابلة قبل وصول المسيو دي جوفنيل الى مصر وبعد وصوله قابله الوفد في الموعد المعين اي يوم الاثنين في ٣٠ نوفمبر الساعة التاسعة صباحا وقدم اليه مذكرة مختومة بالمطالب وعليها طابع اللجنة التنفيذية وتوقيع السكرتير العام فتناولها المسيو دي جوفنيل يدا بيد واطلع عليها ولاحظ انها بختم اللجنة فقط وسال هل هي تمثل راي اللجنة او آراء الجميع فأجيب انها تمثل آراء الجميع وقدم اليه كشفا باسماء الوفد كله والحزب الذي ينتمي اليه كل منهم .

ثم قال جنابه انه من السهل الاتفاق على المباديء ولكن يجب وضع اساليب التنفيذ فاجابه السكرتير العام باسطا نظرية الوفد في كيفية التعاون بين فرنسا وسورية وقال له في الختام ان هذا هو النصيب الذي نقدمه نحن لهذا التعاون ثم اراد جنابه الوقوف على وجوه المسالة السورية المختلفة فبسطت له وكان يقول في خلال المحادثات انه لا يمكن عقد معاهدات الا بعد تاليف الحكومة ولا تتالف الحكومة الا بعد انعقاد المجلس التاسيسي ولا يدعى المجلس التاسيسي الا بعد استتباب السلام فعندما خرج الوفد من لدنه

قابله حد اعضاءه على انفراد وخاطبه في وجوب وضع حل عملي وباحثه في الطريقة المؤدية الى ذلك .

وعلى اثر ذلك عقدت اللجنة التنفيذية جلسة عند الظهر وقررت ان ترسل اليه في الحال كتابا تعرض فيه وساطتها لاعادة السلام ولكنها كررت طلبها السابق اولا على المباديء التي وضعتها في مذكرتها هذه :

١ ـ تتالف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ـ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدا السيادة القومية في الداخل وفي الخارج يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيه على مبدا السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعية .

ثم ارسلت اللجنة الكتاب الى المسيو دي جوفنيل مع رسول خاص في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه فظل الرسول يتردد على الفندق حتى الساعة التاسعة فلم يجده فاضطر في النهاية ان يترك له الكتاب في الفندق وقد تسلمه جنابه بعد عودته ليلا ورد عليه ذلك الرد الذي اذاعه في

الصحف فاجابته اللجنة عليه بالكتاب الآتي :

القاهرة في اول ديسمبر سنة ١٩٢٥ حضرة ....

« اتشرف بان ابلغكم وصول الكتاب الذي ارسلتموه في ٣٠ نوفمبر الماضي الى نجيب بك اشقير السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ولما كنا نعمل من اجل توفير السلام والرخاء لبلادنا المحبوبة ونعتقد اننا نمثل الراي العام اقترحنا الحلول التي كانت موضوع مذكرتنا وكتابنا اللذين قدما اليكم في ٣٠ نوفمبر الماضي وتعتقدون ياصاحب السعادة ان تساهلا اقل سخاء مما اقترحناه يقرب سورية من فرنسا ومن السلام. ولكننا نشعر والاسف ملىء نفوسنا ان الامر لن يكون كذلك على انه مهما تكن الاقتراحات الافرنسية التي تقبلها سورية فلا يمكن الا ان نبتهج بما ينتج عنها من السلام والرخاء وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول وافر احترامي .

ميشيل لطف الله

رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني.

فاللجنة التنفيذية اذن لم تحد قيد شعرة عن الخطة التي سلكتها من باديء الامر ولم يكن في الامر مناورة ولا طلبت منه في كتابها غير ما طلبته في مذكرتها ولكنها رغبة في حقن الدماء واعادة السلام الى نصابه وتمهيدا لتحقيق المطالب التي طلبتها عرضت عليه وساطتها اذا وافق على المطالب التي قدمتها اليه والتي لا تختلف من حيث الاساس عن القواعد السابقة الذكر التي عدها في باريز موافقة لآرائه وما زالت اللجنة تعتقد ان اجابة تلك المطالب هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الغاية وتوطيد سلام دائم في البلاد ».

فهذا جميع ما جرى يومئذ وقد ظل اغلبه بطي الكتمان على ان ما لا ندحة لنا من الالماع اليه هو ان مندوب فرنسا المفوض المسيو جابار قد امتعض امتعاضا عظيما لفشل المفاوضات وتزعزع مركزه حتى الصقت به

بعض الدوائر الفرنسية المسؤولة عن الاخفاق الذي مني به المفوض السامي حتى انه قيل باعداد قرار احالته على الراتب! وقيل بان وزير مصر المفوض في باريس قد دافع عنه وانه لولا ذلك لما ظل في عمله .

لقد كان بعض العسكريين الذين اتوا من بيروت الى الاسكندرية لاستقبال المندوب فصحبوه للقاهرة ، على علم بما تم بينه وبين اللجنة التنفيذية وقد رأوا على اسارير وجهه احرف القنوط والكدر ظاهرة جلية فراوها فرصة لا ينبغي افلاتها ويقتضي اغتنامها للاصطياد بالماء العكر فهونوا عليه امر الثورة وجملوا له وجوب الصمود لها واقنعوه بانها لاشيء يذكر ولا لها اهمية قط وشجعوه على الظهور بمظهر القوي القادر الباطش ولما لم يكن الى جانبه وحواليه غير هؤلاء العسكريين المستعمرين ليبسط له جوهر الحقيقة ولكي ينير له سبيل الامر اسلس لهم قيادا واستسلم الى مشيئتهم وتركهم يمنون اراداتهم عليه وسنرى قريبا انهم كانوا هم العقبة الكأداء في اخفاق كل مفاوضة جرت بعد ذلك .

العودة الى التفاوض

لم يقعد فشل اللجنة بعزيمتها عن اتمام السعي وراء المصلحة ولم يتسرب القنوط اليها من ناحية ما بل كانت شديدة الايمان بامكان الوصول الى حل سلمي يرجع به الحسام الى غمده والسيف الى قرابه فأشارت على احد المتصلين بها ان يبعث من قبلها الى المندوب السامي بكتاب في صدد المعضلة فكتب اليه في الرابع من كانون الاول من القاهرة الكتاب التالي :

« انني عظيم الاسف بسبب الحادثة التي جرت في مصر والتي تناقض كل المناقضة ما شاهدتموه من الحالة الروحية والرغبة الشديدة في الاتفاق والتفاهم على ان هذه الحالة الروحية لما تتغير واستعداد النفوس ما زال على

ما كان ومع ذلك فاني اوجه نظركم الى الامور الآتيـة :

١ ـ ان اللجنة راغبة في التفاهم ووضع حد لسفك الدماء ولكنها لاجل الوصول الى هذه الغايـة واقناع الذين بيدهم السلام رات ان تقترح طريقـة للأزمـة وهذه الطريقة لا يمكن نجاحها الا اذا وثقت من موافقتكم على بعض القواعد الاساسية .

٢ ـ ان هذه القواعد بينت في المذكرة التي قدمت اليكم في الصباح .

٣ ـ ان اللجنة لم تكن تريد ان تطالبكم في تطبيق سريع لخطتها وكانت مستعدة للبحث في الاسباب والاحتمالات .

٤ ـ ان الكتاب الذي وصل الى يدكم في الساعة الحادية عشرة ارسل منذ الساعة الرابعة بعد الظهر وكانت اللجنة تتوقع ان يصل اليها الجواب وتبحث معكم في الاتفاق اذا كان ممكنا بعد سفركم .

٥ ـ ان القواعد التي قدمها الوفد لكم قائمة على الاسس التي بحثت فيها معكم في باريز غير ان اللجنة اثارت مسالة الغاء الانتداب والجلاء عن البلاد وكان من الممكن الاتفاق على هذه القواعد بطريقة مرضية للفريقين ».

* * *

وفي السابع من الشهر المذكور اجاب المندوب برسالة ضمنها ما يلي :

« نعم ان الحالة مؤسفة وانت تعلم ماذا صنعت في لبنان الكبير فانـه سيبدأ يوم الخميس بوضع دستوره وكان افضل لسورية لو انهـا بدلا مـن ان تحارب تضع قانونها الاساسي وسنرى بعد ذلك الامور الاخرى وفضـلا عن هذا فانني من الآن تردني الانبـاء من شمالي سورية وهي تبرهن على ان الخصومات على وشك احداث حنق وتألم بين اجزاء سورية المختلفة وهمـا شديدان بقدر ما رايت من اثرهما في سورية ولبنان وانت تصنع حسنا اذا قدمت الى هنا وقابلتني يوم الثلاثاء بتاريخ ١٥ ديسمبر مثلا » .

موقف الندوة اللبنانية من الثورة السورية

قرر المجلس النيابي اللبناني العتيد ! في جلسة اول كانون اول (ديسمبر) سنة ١٩٢٥ القرار التاريخي الهام بأكثرية مطلقة تبلغ العشرين نائبا وبمخالفة كل من المخلصين الى لبنان اكثر من اخلاصهم الى سورية وهم ارسلان والداعوق وبيهم وتلحوق .

اما القرار الذي يرفع لبنان به راسه عاليا لذاواته لغته وتاريخه وعنعناته التاريخية فهو القرار التالي : كما اقترح ان يكون نصه جناب العبقري النائب دموس :

« لما كانت حوادث العصيان التي ابتدات في جبل حوران قد تطاير شرورها الى الاطراف الجنوبية الشرقية من لبنان فتناولت حاصبيا وراشيا ومايتبعهما من القرى المجاورة فالحقت بالبلاد ضررا فادحا بالاموال والارواح .

ولما كانت هذه الحوادث في قرانا التي على الحدود غير مسندة الى مبدأ يبررها .

ولما كانت حكومة لبنان المحلية مجهزة بجيش نظامي يرد غزوات الطامعين وكانت على ثقة تامة من حماية الدولة المنتدبة للبلاد عند الحاجة قياما بعهدها الذي قطعته مع جمعية الامم .

ولما كانت قوة الجندرمة المحلية على قلة عددها قد قامت بواجبها أثناء مهاجمة الحدود . ولما كان لبنان بانفصاله سياسيا عن جارته سورية وجبل الدروز يرغب في البقاء في عزلته وحياده التامين . ويعتبر تصدي الخوارج لمهاجمة اطرافه تعديا على استقلاله وافتراء محضا على حريته ومصالحه فان هذا المجلس يقرر ما يلي :

١ ــ ان هذا المجلس يعتبر هجوم الثوار على حاصبيا ومرجعيون وراشيا تعديا على استقلال لبنان وحرية سكانه .

٢ ــ يرفع هذا المجلس شكره بالنيابة عن البلاد الى الدولة المنتدبة الكريمة لما قامت به حتى الساعة من التضحيات بالارواح والاموال للذود عن حياض لبنان والعمل على سلامة سكانه وضمان استقلاله .

٣ ــ يقدر مفاداة الجندرمة اللبنانية حق قدرها ويثني على ثباتها وشجاعتها .

٤ ــ يؤكد هذا المجلس للدولة المنتدبة بقاء البلاد على ولائها لها ومحبتها التقليدية غير المتزعزعة .

٥ ــ يطلب هذا المجلس من دولة الحاكم ابلاغ الدولة المنتدبة هذا القرار بالصورة الرسمية .

انا لا نود ان نكيل اللوم والنقد الى لبنان لاننا نعلم ان الذي سيطر عليه هو الذي املى مثل هذا القرار ولكن الملامة اذا شئنا ان نوجهها فانما نوجهها الى الاكثرية التي لم تعضد الاقلية في ساعة نفس لبنان الحبيب ورجاله المخلصون يعلمون ما يربطهم بامهم سورية من اواصر .

بماذا يتكلم لبنان وبماذا تتكلم سورية ومن اي عرق تحدر الاول وما هي النعنات والتقاليد والاعراف التي تسيطر عليه ولا تسيطر عليها وما هو الفارق البعيد بين البلدين حتى لا تتحسس سورية بما يحسه لبنان وحتى لا يشعر لبنان بما يصيب سورية وهل النفع الذي يصيب البلد الواحد منهما من البعد والنوى بدرجة لا يصل الى الآخر حتى يستبيح المجلس النيابي اللبناني لنفسه ولوطنه ان يقطع انفه من وجهه فيبتر صلاته بسورية وهي منه كالقلب من الجسم وهو منها كالدماغ من الراس .

كيف يستطيع لبنان ان يحيا بمعزل عن سورية واين يستطيع ان يبعث

بالبضائع التي تأتي اليه من البحر ان لم تتلقفها بلاد الداخل وليس سوى سورية من بلاد لذلك ؟ . بماذا يستطيع العيش لبنان اذا نفضت سورية يدها من العلاقات به والاواصر معه ؟ وبأي يد تمكنت الندوة اللبنانية ان تسجل على نفسها سبة الدهر وعار الابد بالتخلي عن عنصريتها وقوميتها وتاريخها بمثل ما اصدرته مما المعنا اليه من القرار المؤلم الفظيع على اننا نعود فنقول في كل بلد اناس ممن لا ينظرون الى ابعد من انوفهم فيورطون امتهم ووطنهم في هوة سحيقة لا قرارة لها بما يتخذونه من مقررات تعود على بلادهم وامتهم بالضرر البليغ وبهذه الكلمة الجارحة بلاغ ونهيه .

وصول المفوض الى لبنان

كان المندوب السامي في اول كانون الاول ديسمبر في الثغر في بيروت، وقد استقبل بالحفاوة الشائقة .

وفي ثالث الشهر المذكور زار مجلس لبنان التمثيلي وقد القى فيه خطابا اليك تعريبه :

حضرة الرئيس والسادة النواب

« في الساعة التي نزلت فيها من الباخرة في ميناء بيروت سلمني الحاكم، المسيو كايلا القرار الذي وضعه المجلس النيابي للبنان الكبير ليشكر فرنسا التي كان جيشها سعيدا بوجود الدرك اللبناني الى جانبه « يقاتل للدفاع عن الاراضي اللبنانية ولحماية سكانه وللمحافظة على استقلاله » .

وكما ترون ايها السادة انني استعمل نفس العبارات التي اوردتموها في قراركم واني اعيد قراركم نفسه ذاكرا بتأثر مشرب بمعرفة الجميل انكم، رجوتم مني ان انقل رسميا الى حكومة الدولة المنتدبة تأكيد تعلق اللبنانيين

الذي لا ينفصم بالامة الفرنسية .

ثم قال : « ان عهد الاستشارات قد انتهى وانه قال امس عند وصوله ويكرر قوله اليوم ويريد ان يصل الى اقصى الحدود وهو « السلام لمن يريد السلام والحرب لمن يريد الحرب » وانه حدد بهاتين الكلمتين خطة لا يمكن للرجال ولا للحوادث ان تحوله عنها ثم قال انه سيطلب الى الحاكم ان يدعو المجلس التمثيلي الى دورة استثنائية لوضع دستور لبنان وانه اذا ارادت بقية الدولة ان تشترك في فوائد الانظمة الحرة فهي تعرف الطريق . ومن العبث ان يعرض العصاة علي شروطا او ان يطلبوا مني وعودا فان العمل الذي اقوم به هنا هو الجواب فالحرب الآن لم يبق لها مبرر » .

فرد عليه رئيس المجلس بالشكران والامتنان والتقدير والاعجاب وفي العاشر من هذا الشهر اذاع المفوض الى سكان سورية جميعا البيان التالي : ــ

« أيا كنتم مسلمين او نصارى او اسرائيليين ومهما تكن الطوائف التي تنتمون اليها اخاطبكم مخاطبة الصديق واقول :

« مصيركم في يدكم »

في هذا اليوم العاشر من شهر ديسمبر يجتمع عند اخوانكم اللبنانيين المجلس الذي انتخبوه وقد كلفته المناقشة في القانون الاساسي وانتخاب حكومة للبلاد ولكان الامر كذلك في دولتي سورية وجبل الدروز لو ان هؤلاء يتمتعون كاللبنانيين بما يتعلق بالسلام من الخير والحسنات .

ان هنالك لسوء الحظ اقلية مصرة على متابعة حرب لا تنال من فرنسا ولا تضيرها فهي قصية عن هذه البلاد وهي اعلى من ان تصل اليها يد فهذه الحرب تشقي البلاد السورية باستنزاف خزينتها وتدمير قراها ومزروعاتها وتشريد النساء والاولاد عن مآويهم وتأخير تنظيم الاستقلال

الســوري .

اني لا الحق بهذه الاقلية مجموع الشعب السوري فان هذا الشعب يميل الى العمل في الهدوء والسكينة والحصول على تأسيسات حرة مميزات الشعوب الجانحة الى السلام .

فان تكن الحرب تضطرني الى ان اعهد الى الجيش في الانفراد بالدفاع عن دمشق ضد العصابات فاني لا الهو مع ذلك عن السهر على انماء واسعاد الانحاء السورية الاخرى التي لا تزال امينة للانتداب والسلام .

فانا اذن ادعو السوريين الحازمين المخلصين وجميع الوطنيين الصادقين الى معاضدتي في ظل العدالة والقوة الفرنسية لتأمين سلامة الاشخاص وانماء ثروة البلاد وتوسيع الحرية الوطنية التي هي في نظري سبب وجود الانتداب الفرنسي في هذه البلاد » .

على اثر وصول المفوض السامي الى لبنان وسورية بذلت في سبيل الاصلاح والتوفيق مساع عدة لم تقترن بالنتيجة المرجوة اذ كان المفوض يشترط في كل مرة خضوع الثوار والقاء السلاح حتى تستطيع فرنسا ان تجود بما تسمح به نفسها من نظام وقانون واليك الجهود التي بذلت والوفود التي الفت .

الوفـــــود

اول ما الف للوساطة والتوفيق وفد الامير امين ارسلان اذ اتصل هذا الوفد باحد مساعدي المسيو دي جوفنيل وهو المسيو مليا فقررا على السفر على راس وفد الى جبل الدروز للصلح والوئام ولكي لا يحمل هذا الوفد مسؤولية الفشل لم يجنح الى وضع قواعد للمفاوضة . وكان صحبة الامير

الاساتذة فوزي الغزي ولطفي الحفار وعفيف الصلح وقد بارح هذا الوفد دمشق في السابع عشر من كانون الاول الى درعا ومنها الى عرى وهناك كان سلطان باشا وزعماء الثورة وقد الح الامير بوجوب المصالحة شارحا ضرر متابعة الحرب .

وقد رد عليه السلطان واخوانه بانهم لا ينزعون الى المصالحة ما لم تتعهد السلطة باجابة مطاليب الامة ولخصوها بما يلي :

١ ـ توحيد الحكومات السورية .
٢ ـ اعلان عفو عام بلا قيد ولا شرط .
٤ ـ تاليف حكومة موقتة يرضى عنها الثوار .
٤ ـ عقد معاهدة بين فرنسا وسورية .
٥ ـ تعويض المنكوبين عن خسائرهم .

وقد آب الوفد الى بيروت يطلع المفوض على مطاليب الثوار فكان جوابه الرد والرفض .

وفي التاسع عشر من كانون الاول امر المفوض الجنرال اندريا قائد منطقة دمشق بأن يعمد الى تاليف وفد من عاصمة بني امية يتقدم الى المندوب بما يطلب . فعقدت لهذه الغاية اجتماعات عدة في بهو البلدية افضت الى انتخاب عشرين وجيها هم السادة فارس الخوري محمد الكرد علي الامير سعيد الجزائري فوزي الغزي رشدي الصفدى احمد اللحام لطفي الحفار احمد الحسيبي اكليل المؤيد شاكر الحنبلي ابو الخير الموقع عبد القادر الخطيب يوسف لينادو عبد المحسن الاسطواني شكري الشربجي عطا الايوبي حسني العمري زكي المهايني معروف الارناؤوط عارف القوتلي . فاتفقوا على تقدم ما يلي :

١ ــ انشاء حكومة وطنية موقتة .
٢ ــ تدعو هذه الحكومة الشعب لانتخاب مجلس تأسيسي انتخابا حرا .
٣ ــ وحدة سورية بحدودها الطبيعية .
٤ ــ تأجيل العقوبات المتعلقة بالثورة .

لقد نمي الى المفوض السامي ما بيت عليه الرجال من قرار فبعث الى الجنرال اندريا يصرح له برفضه استقبال الوفد او التفاهم معه ما دامت عاصمة الامويين في ثوران وما دام الثوار متقلدي السلاح .

ثم في الحادي والعشرين من شهر كانون الاول ابرق المفوض الى الجنرال اندريا يقول له بانه جعل بعد ظهر الثلاثاء المصادف بتاريخ ٢٢ كانون الاول موعدا لمقابلة الوفد . فسافروا الى بيروت وقبل الموعد المضروب بساعات اتى من المفوضية رسول الى الفندق الذي حل به الوفد قائلا بأن المندوب يرغب بمقابلتهم منفردين . فعقدوا جلسة حينئذ اجمعوا فيها على اعلان رفض هذا الطلب واعلام المفوض بانه اذا لم ينزل عند ارادتهم من حيث المقابلة مجتمعين يعودون من حيث اتوا فاظهر المفوض استعداده لقبولهم حسب ما شاءوا .

وفي الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم دخلوا عليه وقد قدموا له مطاليبهم واستمرت المقابلة نصف ساعة ثم تمنى ان لو يجتمع لكل واحد منهم على انفراد ليطلع على رايه . فكان له ما شاء ثم انه في الساعة السابعة اتوه على اجتماع فادلى اليهم بالبيان التالي :

« سمعتكم جميعا واطلعت على مطالبكم ودرستها باهتمام كبير حاسبا حسابا للارتجال الذي لا يقوم عليه عمل دائم في حين اننا نريد القيام بعمل وطيد واني انتظر منكم ان تعملوا معي بقدر امكانكم في سبيل السلام فالسلام

هو شرط العفو والدستور ويخشى ان تفضي اطالة الحركات العدائية في سورية الى الخراب والجوع . فقولوا هذا للمقاتلين الذين يحاربون انفسهم ويحاربون تحقيق امانيهم وآمالهم نفسها لانهم لو القوا السلاح لاستطاعوا الاشتراك في الانتخابات التي ستجري في كل مناطق سورية المتمتعة في الوقت الحاضر بالسلم . كما اني افوض اليكم القول لهؤلاء المقاتلين الذين لم يرتكبوا جرائم تتعلق بالحق العام والذين لم يتولوا اية قيادة في تلك الثورة ان كل من جاء منهم في مدة خمسة عشر يوما الى مركز قيادة الكولونيل اندريا العامة وسلم سلاحه يستطيع العودة الى منزله بدون خشية . واما الزعماء الذين يقدمون خضوعهم في المهلة نفسها فلا يسعني ان اعدهم قبل السلم الا بتأمين حياتهم واني اتمنى من كل قلبي ان لا يكرهوني على استخدام النجدات التي امدتني بها بلادي كي اتمكن في وقت قريب من القول لفرنسا ان تمتنع عن ارسال الجنود فلنسرع في توطيد السلم وتوطيد الدستور الذي يتلوه وفي ايجاد جو يساعد على المناقشة في المشاكل الكبرى بأجمعها من دون ان يكون هنالك مجال لاتهام الدولة المنتدبة بالرغبة في الضغط على اي كان وبدون ان تتهم اية مدينة كانت بالسعي للاجحاف بالمدينة الاخرى » .

« اما الآن فقد تقررت الانتخابات حيث يسود السلام بيد انها ستجري في سنجقي دمشق وحوران بعد تاريخ الغاء الاحكام العرفية بشهر على الاكثر وان المجلس التمثيلي الذي سيكون وليد هذه الانتخابات يستطيع تقرير الدستور واعضاؤه الذين يقررون شكل الحكومة لا انا ولا انتم » .

« في لغتكم مثل عربي احبه كثيرا يقول ـ صديقك من صدقك لا من صدقك ـ ولقد سمعت اقوالكم جميعا فاسمحوا لي ان اسرد على مسامعكم حكاية كان في احد البلاد الجميلة رجلان فاضلان ابتاعا قطعتين من الارض واسعتين فقضى احدهما وقته في بناء الجدران حول ملكه وكانوا يتهمونه

عن خطـا او عن صواب بانه يعتدي على ملك هذا وذاك فاختصم مع كـل الجيران وتشاجر معهم وانتهى به الامر الى الافلاس قبل ان ينتهي مـن بنـاء منزلـه على ان الآخر اهتم أولا ببناء منزله وباتخاذ ذلك المنزل مـكنا لـه وبدعوة اصدقائه اليـه فازدادت ثروته وكان سعيدا ومحبوبا من جيرانـه الذين وثق معهم العلاقات الاقتصاديـة التـي لا غنى عنها لنجاحـه ونجاح الآخريـن » .

« فهذه هي الطريقة السلمية التي انصحكم باتباعها ــ لقد استقبلت منـذ وصولي وفودا عديدة ابدت آراء مختلفة وليـس في وسـع وفد من الوفـود ولا في وسعي انـا ان نقرر مصير هذه البلاد فالامر منوط بالانتخابات فاعملوا ايها السـادة على توطيد السـلم في القريب العاجل والسـلم يتيح لسورية ان تقول كلمتها وهكذا تكونون قد خدمتم وطنكم وبلادي تشكر لكم اعمالكم هـذه لانهـا تتمنى السـعادة لكـل البـلاد المشمولـة بالانتـداب كما اني اتمنى سعادتـكم » .

راي الوفـد ببيان المفوض

بعد ان وقف الوفد على ما جاء ببيان المفوض قرر التمسـك بمطالبـه والف لجنة من السـادة عارف القوتلي وفارس الخوري ورشدي الصفدي كي تتصل بالمسيـو ميليـا فتقدم اليه تعليق الوفد على جـواب المندوب . واليك نص ما تسلمه المسيو ميليـا :

« يرى الوفـد ان التصريحات التي تفضل بها المندوب السامي لا تكفـي لاجابة رغائب الامـة وتلبيـة مطالبها المشروعة ولا يستطيع الوفد ان يتفاءل بهـا لتحقيق الرغائب واعادة السلام الى البلاد لان الفقرة الاولى التي تضمنت مطالب الوفد بخصوص العفـو العـام لم تقترن بنتيجـة كافيـة كي تقنع

الثائرين وتحملهم على التسليم لانها تتضمن شرط تسليم السلاح لنيل العفو ولا يخفى ان دروز حوران لا يقدمون على تسليم السلاح ما دامت البادية وسائر البلاد المجاورة لهم مسلحة .

« ولقد حاولت الدولة العثمانية مرارا عديدة تجريد جبل الدروز من السلاح فلم تستطع ذلك وكل من اخذت بندقية عاد فاقتنى بدلها ولو ببذل كل ما لديه فقبل ان تتخذ التدابير الكافية لأمن البادية ومنع غزوات القبائل لا يميل الدروز الى تسليم اسلحتهم وعلى هذا يكون هذا الشرط حائلا دون الاستفادة من منحة العفو .

« اما الثائرون الآخرون الموجودون في جوار دمشق وسائر المناطق السورية فان اكثرهم غير مسلحين بالبنادق او الاسلحة الحربية الاخرى فمن اذعن منهم واقبل على التسليم تطالبه السلطة بالسلاح الذي كان بيده وهو لا يستطيع تسليم سلاح حربي لانه لا يملكه فيفضي ذلك الى حبه وارهاقه لاجل تسليم السلاح ويكون هذا حائلا دون تمتعه بالعفو ومانعا لغيره عن اقتحام التسليم وعلى ذلك يبقى هذا الشرط عثرة في سبيل انفاذ هذا الامر والوفد يرى ان وضع هذا الشرط يعرقل المساعي الصلحية التي جاء لاجلها .

« واما منع العفو عن الزعماء فهو ايضا حائل دون الوصول الى الغاية المطلوبة لان هؤلاء الزعماء يمتنعون عن بذل نفوذهم في سبيل اخماد الثورة والقاء السلاح ما داموا غير آمنين على حريتهم والتمتع بالعفو المنتظر كما أن هيئة الوفد لا تستطيع ان تؤثر في الثائرين الا بواسطة هؤلاء الزعماء وعلى ذلك ترى ان العفو لا يفيد بالطريقة المطلوبة الا اذا منح للزعماء والافراد على حد سواء . ومهما كانت بيانات المفوض السامي مشيرة الى سلامة حياة الزعماء وضمانها فهي لا تضمن لهم الحرية بل تجعلهم عرضة للمحاكمة والسجن

ولا ينتظر ان يذعن هؤلاء ويجارون الوفد في خطته السلمية ما لم يطمئنوا بانهم يستفيدون من العفو فائدة عاجلة .

وطلب الوفد انشاء مجلس تأسيسي لوضع الدستور على قاعدة السيادة القومية وكان يأمل ان المفوض السامي بالاستناد الى تصريحاته العديدة يتفضل باجابة هذا الطلب بصورة صريحة بيد ان القرار الذي نشرته الصحف اليومية جاء مضعفا لهذه الامنية ومهددا الدولة السورية بخطر جديد للتجزئة لانه تضمن اجتماع نواب كل لواء على حدة وتقرير الروابط السياسية بين لوائهم والالوية الاخرى حتى اذا قرر احد الالوية او احدى الولايات الانفصال عن الوحدة الحاضرة يجاب الى ذلك وبهذا يتيسر لدعاة الانفصال ان يمثلوا دورهم بدسائس جديدة لتمزيق البلاد السورية وانشاء دول جديدة فيها علاوة على العدد الموجود في حين ان استشارة الالوية بواسطة ممثليها قد تمت في المجالس التمثيلية السابقة فقد قرر مجلس النواب الحلبي الانضمام الى دمشق كما قرر مجلس النواب الدمشقي الانضمام الى حلب وتألف من المجلسين مجلس واحد قام بوظيفته مدة سنتين وعلى ذلك يكون الاستفتاء قد تم بالطريق القانوني واصبحت الوحدة بين حلب ودمشق قضية محكمة لم يعد من الجائز الرجوع اليها واعادة الاستفتاء مرة ثانية ولو صح ذلك لجاز تكرر هذه الاعادة كلما اجتمع مجلس تمثيلي جديد فالوفد يرى ذلك افتئاتا على الوحدة السورية ويعد هذا القرار مهددا بتمزيق جديد وهو قادم لطلب توسيع الوحدة وضم البلاد المسلوخة » .

« ان هذه القاعدة المسنونة في قرار الانتخاب المذكور هي محصورة في الالوية السورية فقط في حين ان الالوية اللبنانية لم تكلف مثل هذا الاستفتاء بل ترك الامر للمجلس النيابي العام يقرر فيه مجتمعا . فاذا كان الاستفتاء اللوائي يطبق في سورية يصبح من الواجب تطبيقه في لبنان

«ايضا وعندها تنتخب كل محافظة على حدة ويجتمع النواب في مركز المحافظة ويقررون البقاء مع لبنان او العودة الى الوحدة السورية . فالوفد يرى ان التفريق بين لبنان وسورية في المعاملة على هذه الصورة مجحف بحقوق سورية وهادم لوحدتها » .

« وما زالت الاقضية الاربعة التي سلخت عن دمشق في سنة ١٩٢٠ تلح بالرجوع الى تلك الوحدة وقد احتجت الحكومة السورية في ذلك الحين على هذا السلخ غير القانوني واحتفظت بحق الاعتراض عليه واقامة الدعوى بشأنه عندما تسنح الفرص وبما ان الانتداب هو الحكم بين الدول السورية عند وقوع خلاف على اي امر كان فالسوريون اليوم يرفعون الدعوى لدى ممثل الانتداب على دولة لبنان الكبير ويطلبون استرداد هذه الاقضية بعد سماع مدافعاتهم بشأنها في طريق الاتصال بين دمشق وحلب بالسكة الحديدية واكثرية سكانها يطلبون ذلك وبعد ان يسمعوا حكم ممثل الانتداب يبقى حق استئنافه الى المراجع العليا كالوزارة الفرنسية وجمعية الامم ولما كان من المسلم به ان للسوريين الحق بعد انتهاء الانتداب بالمطالبة بحدودهم الاصلية فاذا لم تكن هذه الحدود غير مؤسسة منذ الآن على قاعدة المساواة وحفظ الحقوق يبقى باب النزاع مفتوحا ولما كانت وظيفة الانتداب اليوم تأسيس الحدود على سلم دائم ووفاق ابدي بين المقاطعات السورية فليس من الحزم ان يترك سبيل النزاع ميسرا لهذه المقاطعات ولا يعقل ان ترضى سورية الداخلية في وقت من الاوقات ان تبقى محرومة من منفذ على البحر وبما ان مدينة طرابلس وملحقاتها تطالب بالعودة الى الوحدة السورية لانها ميناء حمص الاصلية ولا تستطيع الدولة السورية ان تعيش بدون هذا المنفذ » .

فاذا كانت الدولة المنتدبة تريد ان تؤسس سلما دائما بين السوريين فما

عليها الا ان تنصفهم وتعطي كل ذي حق حقه منذ الآن ولا تترك باب الشر مفتوحا ...

« وينص قانون الانتخاب الذي اصدره المندوب على اجراء الانتخابات بحسب القانون الاخير الذي سنه الجنرال فيجان على اساس القضاء ومنع الترشيح على غير سكان القضاء الذين مر ستة اشهر على اقامتهم فيه وبما ان المجلس المنوي انتخابه هو مجلس تأسيسي فانه يتعذر وجود نواب صالحين لوضع الدستور في كل قضاء من هذه الاقضية واذا بقي هذا القرار نافذا يخرج معظم النواب من سكان القرى الذين ليس لهم خبرة كافية في مثل هذا العمل الهام فالوفد يطلب ان يطلب ترشيح اي سوري كان في كل قضاء من اقضية البلاد السورية . ولما كان هذا القانون مؤسسا على الطائفية وفيه حرمان للاقليات من حقوق الترشيخ بصورة لم يسبق لها مثيل في الاصول النيابية فالوفد يرى ان تزال هذه الفوارق ليتمتع جميع ابناء الوطن بالحقوق العامة .

« ان مهمة الوفد سلمية صرفة وقد عرض على المندوب الاسس التي يعتقد انها صالحة لارضاء الشعب السوري واعادة السلام الى البلاد وهو بما له من الخبرة يلح في الرجاء بقبولها لتنال سورية استقلالها مع الاحتفاظ بصداقة فرنسا ومحبتها على قاعدة النفع المتبادل .

صبحي بركات يستقيل

لقد اسفرت نتائج تاليف الوفد وسفره الى بيروت ، استقالة رئيس الحكومة السورية صبحي بركات اذ عد مطالبة الوفد المندوب بانشاء حكومة موقتة وموافقة المفوض على ذلك تحديا لحكومته فبعث في الثاني والعشرين من كانون الاول الى المندوب بالكتاب التالي :

« ياصاحب السعادة

« ان المشكلات الحاضرة التي استعصى حلها تدعوني لأن اقدم اليكم استقالتي واني كرجل وطني يشاطر هذه الامة شعورها ويعاني امورها منذ عهد طويل الامد لا بد لي وانا في الساعة الاخيرة من الحكم ان الفت نظركم الى ان هذه البلاد لا يستقر قرارها الحقيقي ولا تعود لها امانيها وطمانينتها الا اذا أجيبت الى مطالبها العادلة مثل تاليف مجلس تأسيسي يضع قانونها الاساسي على اساس السيادة القومية وانشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسؤولة عن سياسة البلاد وادارتها وان يعلن فيها عفو عام بدون استثناء الا فيما يتعلق بالحق الخاص وان تؤيدوا سورية في دخول عصبة الامم .

« وبقيت مسألة ذات عقد كثيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تؤلف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التي اضيفت الى لبنان من جانب آخر فان حل هذه المسألة يحتاج الى اقدام وبعد نظر لان الوطنيين السوريين يعتبرون ان بلادهم وحدة حقيقية في العادات والتقاليد والآمال والآلام والعنصر واللغة . وهنالك كذلك عوامل اقتصادية وجغرافية هي على جانب عظيم من الاهمية واني لا ارتاب انكم ببعيد نظركم وصحة رايكم وما جبلتم عليه من الكرم وحب الخير تستطيعون ان تذللوا المصاعب كلها وتسلكوا في هذه البلاد سياسة جديدة لا علاقة لها بالقديم تقرب منكم القلوب وتؤسس بين بلادكم وبين سورية صلات ود ثابتة تنسي النفوس مافيها من احزان وحسرات وتضمن للجميع سلاما دائما ورخاء شاملا » .

رئيس الحكومة السورية الجديد

عندها شاء المفوض ان يعهد بتأليف الحكومة الموقتة الى الشيخ تاج الحسني من اعلن قبوله بهذه المهمة مبدئيا وذلك في الرابع والعشرين من كانون الاول وقد وضع برنامجا واسع النطاق مشترطا قبوله حتى يضطلع

بأعباء الحكم فنشأت مفاوضات بشأنه بين المندوب وبينه ظلت خمسة عشر يوما واسفرت عن الفشل لرفض المندوب ذلك البرنامج واليك نصه :

« أقدمت الوزارة الحاضرة على تقلد امور البلاد وهي عالمة بثقل المهمة الملقاة على عاتقها في هذه الازمة الشديدة التي تحتم على كل وطني ان يبذل قصارى مجهوداته لتحقيق رغائب الامة وانقاذها من الاخطار التي تحدق بها من كل جانب وستعمل على ايجاد طريقة حل يكون فيها مقنع ومرضاة للسوريين من غير ان تناقض المصالح الفرنسية الحقيقية . وستضع نصب عينيها تشييد اركان سلام دائم يرضى عنه جميع ابناء الوطن سواء المقيمون والنازحون حتى يتعاونوا على انهاض البلاد من عثارها واقالتها من كبوتها وتخليصها من الكوارث التي كادت تقوض اركانها وتهد بنيانها واننا نتحمل أعباء هذه الحالة برباطة جأش ونخاطر بانفسنا في سبيل الامة وسلامة الوطن . ولكننا حبا في بلوغ الغاية المنشودة وتحقيقا لرغائب الامة التي تسعى وراءها لم نجد بدا من العمل على القواعد الآتية :

١ ــ تحقيق الاستقلال بوضع قانون البلاد الاساسي على قاعدة السلطان القومي ودعوة مجلس تاسيسي عام للبلاد السورية للقيام بهذا العمل .

٢ ــ تاليف دولة واحدة من سورية الحاضرة وجبل العلويين وجبل الدروز على ان تدار على قاعدة اللامركزية بحسب ما يقرره المجلس التأسيسي العام واسترداد الاقضية الاربعة وهي البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا التي كانت سلخت عن سورية سنة ١٩٢٠م بقرار عرفي على غير رغبة اهلها وبالرغم من مواقعها الجغرافية وضرورة المواصلات بكونها جزءا لا ينفك عن سورية اما سائر الاقاليم التي اضيفت الى لبنان فانه ينبغي ان تؤلف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها وتقرر مصيرها وعلاقاتها السياسية اذا لم يكن الاتفاق في شأنها مع حكومة لبنان .

٣ ــ معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية ولا تكون نافذة الا اذا ابرمها البرلمان.

السوري على شرط ان تكون مؤسسة على قاعدة السلطان القومي للسوريين. مع حفظها لفرنسا في النفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي ما لا يتعارض مع ذلك السلطان القومي .

٤ ـ دخول سورية في جمعية الامم .

٥ ـ الجلاء التدريجي متى تالفت في البلاد السورية قوى امن كافية .

٦ ـ التعويض عن منكوبي الثورة .

٧ ـ اصلاح النظام الاجتماعي والنظام النقدي .

٨ ـ توحيد القضاء بحيث يكون مؤسسا على قاعدة السيادة القومية مع حفظ حقوق الاجانب والسوريين معا .

٩ ـ تحقيق العفو العام عن جميع الذين اشتركوا في الثورة في انحاء سورية المختلفة مع حفظ الحق الشخصي لاربابه .

١٠ ـ اطلاق يد الحكومة في ادارة البلاد .

١١ ـ لما كانت البلاد السورية من البحر المتوسط حتى حدود العراق آهلة بأمة واحدة تؤلف بينها وحدة اللغة والعنصر والتقاليد والآمال ولما كان جبل لبنان قد خص بادارة ممتازة بسبب ضرورية محلية فان الواجب يقضي بان تقدر هذه الضرورة بقدرها وبان لا تتجاوز مكانها .

وقد ختم بيانه بكلمة جاء فيها ان الوزارة تؤلف لادراك السلام وتاسيس قواعد صداقة بين الفرنسيين والسوريين على ان تقوم على اسس الثقة المتبادلة والمنفعة المتقابلة « انها تعتمد على تايد الشعب ومؤازرة عقلاء الامة » .

الحكم المباشر

لما كل المسيو دي جوفنيل عن ان يتعاون مع احد من الوطنيين لتقليده اعباء الحكم فقد جنح في التاسع من شباط سنة ١٩٢٥ الى تعيين المسيو بيو اليب حاكماً على سورية بقرار تعريبه ما يلي :

« ان ادارة وتسيير الاعمال الادارية في دولة سورية تؤمن بعناية وتحت سلطة المندوب فوق العادة للمفوض السامي لدى دولتي سورية وجبل الدروز المسيو بيو اليب وذلك الى ان يوضع نظام نهائي بعد انتهاء الانتخابات وبعد انتهاء المندوب المفوض السامي من انتخاب مساعديه » .

المفاوضات في الجبل

لما اخفق المفوض بمساعيه بمصر وبيروت ارتأى على الجنرال اندريا ان يتصل ببني معروف وان يحبب اليهم العودة للسلام فبعث اليهم من درعا البلد الذي كان مقره في الخامس والعشرين من كانون الاول - ديسمبر - بالبيان التالي :

« ان الكولونيل اندريا حاكم جبل الدروز يعلن للشعب الدرزي ولشيوخه بان الدروز المتمردين قد انكسروا في راشيا كما انهم وسوف ينكسرون دائما كلما ارادوا السير ضد الفرنسيين . ان الدروز المتمردين قد تمكنوا ان يباغتوا في شهر اغستوس الماضي فرقا صغيرة من الجنود السورية لم تتخذ - نظرا لعدم اعتقادها بمراوغة سلطان الاطرش وبعض الشيوخ الآخرين - جميع الاحتياطات الواجب اتخاذها للقاء عدو حقيقي غير ان الفرنسيين ينظرون اليوم بعيون مفتحة ويدركون بان الشعب الدرزي هو عموما طيب السريرة وبان اغلب المشايخ يعترفون بان فرنسا قد اصلحت احوال البلاد على ان الفرنسيين

يعرفون ايضا بأن الشيوخ سلطان ومتعب وزيد وعامر وزيد الاطرش لم يحافظوا على حرمة الكلام الذي اعطوه وما برحوا يدفعون بالشعب الدرزي الى العصيان والتمرد رغبة في ارضاء مطامعهم الشخصية ولانهم يقبضون دراهم من الاجانب .

ان سلطان الاطرش كتب لي زاعما « يعني الرد على كتابه الاول ولم يفرق سلطان باشا بين سورية وجبل الدروز بل يعتبرهما بلادا واحدة » انه يطلب استقلال سورية (كذا) مهملا التكلم عن جبل الدروز اذن فهو لا يرغب في استقلال جبل الدروز بل يريد ان يحكم البلاد تحت امرة امير من امراء العرب فيامر وينهي اذ ذاك كسيد مطلق وكون العنف والاستبداد من طبعه لايصرف ادارة الامور بغير العنف والقساوة فيصبح عندئذ الشعب الدرزي شعبا تعيسا وتئنون تحت نير كالشهبندر الذي بعد ان يقذف بكم في هاوية النحس وسوء الطالع يصرف كل جهوده وهمه الى ابتزاز جميع ما يصل اليه من دراهمكم واموالكم .

اني بصفتي حاكما للدولة الدرزية اوجه الكلام الى الشيوخ اصحاب النظر الثاقب في الامور والعقلاء الذين يعرفون حقيقة سلطان ومتعب ويثقون بأن ليس من سبيل الى انتظار عمل صالح منهم والى الشعب الدرزي كافة قائلا للجميع احذروا من الانقياد بعد الآن لسلطان فهو يسير بكم الى الخراب والتعاسة . اني رجعت حديثا من بيروت حيث واجهت المفوض السامي وطلبت منه الاستقلال الاداري التام لدولة الدروز وقد تم هذا الامر ووعد بتحقيقه رئيس الجمهورية الفرنسية ولذا فان مشايخ الدروز سوف يستطيعون تعيين حاكم ينتخبونه بذاتهم بثلاثة اشهر عقب التسليم العام وانا سوف اعمل بنفسي لخيركم كما فعلت الى الآن غير اني سابذل جهودا اعظم عندما تاتون بذاتكم لمقابلتي والتسليم بين يدي « لاتترددوا ابدا ولا تنتظروا قط » .

فقد قلت لكم قبل الآن ان شروط التسليم تزيد ثقلا كلما تأخرتم عن نبذ العصيان وتقديم الطاعة .

انني قد انذرتكم بأن حملات فرنسية قوية جدا ستزحف عليكم في الربيع القادم فويل لكم اذ ذاك لان الشقاء والتعاسة سينزلان بقراكم وبعيالكم وبحلالكم وبمواشيكم .

« اني قد انتهيت من قراءة تاريخكم فوجدته طافحا بالامور الجميلة فأنتم اشداء في الحروب يلذ لي انا الفرنسي التحدث معكم ولكن تعالوا الي في درعا انكم سيمكنكم العودة بعد مواجهتي الى بيوتكم كما انكم ستلمسون عند مواجهتي عظيم اخلاصي للدولة الدرزية لانني مجرد من الاغراض الشخصية في حين ان سلطان والاجانب الذين يغرونكم اليوم لا يفكرون الا بانفسهم وبالدراهم التي يأملون الحصول عليها من الجنوب او من دمشق .

انني عازم على جمع المجلس عن قريب في درعا فالشيوخ الذين يأتون سيناقشون معي في القانون العتيد الذي سيعطى للدولة الدرزية وسنعتبره مع المامورين الجدد ونقرر امر السلام ويرجع العمران والفلاح الى بلادكم مع رجوع الطمأنينة فاذا لم يتم ذلك ضربت المجاعة اطنابها في الجبل لانكم لن تستطيعوا حصد ما زرعتموه فالحملات الفرنسية ستمنعكم من ذلك فتنهب اذ ذاك قراكم وتذهب طعمة للنار وتباد ويخرب جميع ما لكم من الحلال .

ان الدروز سوف يندحرون كما اندحروا في السويداء ورساس وراشيا .

ان لي ثقة في حسن ادراك شيوخ العائلات الكبرى وانني على انتظار في درعا ولكن انذركم بعدم التاخير ان كنتم ترغبون في عودة السعادة الى دياركم . واني اطلب من الحق سبحانه وتعالى ان يلهمكم الى ما به خيركم وان يرفق بأحوالكم وبكم » .

كما انه اذاع في اليوم الاول من يناير عام ١٩٢٦ البيان التالي :

« الى عموم الرؤساء الروحيين والجسمانيين للجبل وسائر الشعب الدرزي المحترمين .

« لقد بينا لكم قبل الآن بانه يعز علينا ويؤسفنا جدا ان نراكم كل يوم تسبحون زيادة في بحر الجهالة والشقاء بمداومتكم على القيام بالحركات الافسادية واهراق دمائكم العزيزة دون جدوى . انكم شعب مخدوع لانكم تقتلون اولادكم في سبيل مصلحة هي غير مصلحتكم والذين من وراء دورهم يدفعون بكم الى الموت والخراب مسرورين جدا من امكانهم استخدامكم في سبيل غاياتهم ومطامعهم الخصوصية .

ايها الدروز ان امة بني معروف لم تكن في زمن من الازمان مستعبدة ونحن الذين منحناكم الاستقلال وجعلنا جبل الدروز دولة مستقلة مساوية لدولتي حلب ودمشق . وقد عملنا هذه الامور لمصلحتكم بالرغم من معارضة اعدائكم الذين لم يكونوا مسرورين ابدا من حظكم بل متكدرين غاية الكدر من رؤيتكم مساوين لهم في المجالس وفي مقاعد الحكومة وفي الاحتفالات الرسمية وامام كبراء وعظماء الارض الذين كنا نعزمهم لزيارة جبلكم لاعلاء جاهكم .

وانتم ايها الدروز المحترمون تعرفون جيدا كل هذه الحقائق وتعلمون حق العلم بالاختبار انا نحن الفرنسيين لسنا كقواد تركيا ممدوح باشا وسامي باشا وغيرهما من الذين كانوا يؤمنون زعمائكم وعامتكم ويحنثون بوعودهم ولسنا ايضا كالدولة العربية التي ارادت ان تجعل جبلكم متصرفية بسيطة يخضع لاموري دمشق ويلتجيء لعجرفة مشايخ عربان البادية !
ايها الدروز الاجلاء هل رايتم في زمانكم تاجرا من اهل المدن يحترم حقوق فلاح مادية كانت او ادبية .

كلا والف كلا فانتم ايها الدروز شعب نشيط وذو باس ونحن معاشر الفرنسيين احفاد بونابرت الكبير الذي كان اعظم ملوك الارض طرا والذي لما اتى الى عكا فاتحا احبكم وكتب لاجدادكم الكرام الذين احبوه ايضا عدة تحارير بخط يده فمن ذلك الذكرى العزيزة وغيرها نقدم لكم النصح والخير

اولا وان عقلاءكم يعرفون ان احفاد نابليون كثيرون جدا وان نفوسهم تتجاوز الاربعين مليونا عـدا وحكمهم يسود من اطراف المغرب الى اقاصي الهند الصينية على اكثر من مئتي مليون من الرعايا يستحيل عليكم مهما كنتم اصحاب بأس ان تحرزوا عليهم النصر النهائي او تتغلبوا عليهم نظرا لشهرتهم بتاريخ العالم واتساع سلطانهم المترامي الاطراف خاصة وهم معتمدون كل الاعتماد ومصممون النية على الرجوع الى الجبل والعودة اليـه مهما كلفهم الامر وانتم تدركون ان فرنسا اليوم تفضل مائة الف مرة ان تمحى برمتها من وجه الارض على ان لا تعود الى الجبل وهي عازمة اذا اضطرها الامر ان تجلب مائة طابور لهذه الغاية اذ ان شرفها وسمعتها كدولة معظمة يقضيان عليها بالرجوع اليـه .

لكن فرنسا وان كانت شديدة البأس فهي ايضا كبيرة الحلم واسعةالصدر وهي ام المدنية والعمران وتعرف ايضا ان تفرق بين الحنطة والزيوان وبين الجاني والضحية وكما ان اصابع اليد البشرية هي غير متساوية ففرنسا الزكية المشهورة بانسانيتها ستعرف جيدا أن تفرق بين الذي حارب من تلقاء ارادته وبين الذي حارب غصبا عنـه وبين المعاند وبين النادم لان الذي يعاند يظن نفسه مصيبا في حال ان جميع الناس عرضة للسهو والخطا ...

ان فخامة المفوض السامي المسيو هنري دي جوفنيل الذي كان في باريز نائبا لجمعية الامم قد صرح بصوت جهوري وعال تسمعه جميع الاقطار السورية انني ساحارب كل من يريد الحرب واسالم كل من يريد السلم ان هذه الجملة الذهبية ستلمع في تاريخ فرنسا مظهرة في وقت واحد عزمها القاطع وحلمها وقدرتها على التفريق بين الذين يريدون الحرب وبين الذين يحاربون بالرغم عنهم لانا نحن نعلم امورا كثيرة عن الجبل ونعرف ان نفرق كما يقتضي بين الحنطة والزيوان كما قدمنا .

اني اردد على مسامعكم بان فرنسا تضمن سلامة راس كلّ من يقدم خضوعه بالحال وتؤمن حياته فقدموا خضوعكم بالحال بلا تردد ولا امهال واستسلموا الى فرنسا فما فرنسا الا ام حنون لكم تعالوا اليها ولا تخافوا ...اذا تركوا الغير يخدعونكم هل اصبحتم ايها الدروز عبيدا لاهل الشام وسكان شرقي الاردن ؟ انني اقول لكم الحق ان صبر فرنسا كبير غير ان له حدودا واليوم الذي يفرغ فيه صبر فرنسا تندمون حيث لا ينفع الندم وتأسفون على عدم استماع نصائحي ولكن هيهات بعد فوات الآوان .

انا انذركم بأنه ستأتي ساعة لا تسمع فيها ضراعة ولا رجاء يوم تزحف الجيوش على الجبل بقواتها القاهرة فلا تبقي ولا تذر وتدمر وتحرق وتبيد جميع الاملاك للذين لم يقدموا قبل ذلك اليوم طاعتهم وخضوعهم لفرنسا .

ايها الدروز اني انتظركم الآن بدرعا وكل واحد منكم يستطيع المجيء عندي وانا احلف لكم بشرف الجنرال اندريا انني اتركه في جميع الاحوال يرجع حرا لبلاده بدون ادنى معارضة وفي اي وقت يريد الرجوع لكن اياكم ثم اياكم ان تتأخروا بعد او تنتظروا بعضكم بعضا وان يقول واحدكم متى ذهب الآخر انا اروح فانني احذركم من ذلك كل التحذير تعالوا الي كل واحد بمفرده لان الساعات والايام تمضي بسرعة مر السحاب ويوم العقاب صار اقرب مما تظنون والسلام على من اتبع الهدى وسمع النصيحة واهتدى الف سلام »[٢] .

ما ان وقع هذا المنشور بين يدي عبد الغفار باشا الاطرش ووقف على ما فيه حتى بعث بكتاب الى الامير امين ارسلان مع رسول يدعى الشيخ اسماعيل عبد الدين يتضمن جواب آل معروف على ذلك البيان وهو ما يأتي :

« المسيو دي جوفنيل المندوب السامي الفرنسي

« القت الطيارات مع قنابلها نشرة فيها السؤال للدروز عن سببه

استمرارهم في الحرب الى ما ورد فيها فيافخامة المندوب نرجو ان يكون للحقيقة عندك مكان واسع حتى اذا اردت ان تطلع على حقيقة اسباب الثورة وما سبقها منذ ٦ سنوات في اماكن مختلفة من البلاد السورية يتيسر لك ذلك دون ان تضطر الى قبول التقارير الرسمية المبنية في الاكثر على معلومات غير صحيحة كما وقع لاسلافك .

الدروز لم يعتدوا على الفرنسيين بل صبروا على شدة وقوة وامور مخالفة لمصالحهم وللعدل مدة طويلة وفي اثناء ذلك كانوا يجربون بكل الوسائل اسماع شكواهم الى ممثل فرنسا فكانت مساعيهم السلمية هذه تذهب سدى حتى تفاقم الامر وانفجرت هذه الثورة فكان ما كان ...

فالدروز يا فخامة المندوب السامي يحاربون في سبيل حرية البلاد السورية واستقلالها وحقوق معترف بها وفي سبيل شرفهم الذي اهين مرات عديدة وكل منصف يعذرهم في ذلك ويعذرهم اذا تنبهوا هذه المرة لعدم الوقوع في خطيئات سياسية حتى لا يبقى سبب لتكرار الحروب ومعلوم فخامتكم ان الثقة لا تتولد في النفوس لمجرد صدور الوعود فان التجارب الماضية التي جربت في زمن اسلافك الثلاثة لم تترك في نفوس السوريين عموما والدروز خصوصا اثرا من الثقة والاعتماد لذلك ليس من الامور الهينة في الحاضر اقناع الشعب الدرزي وجميع الثوار بترك السلاح بلا قيد ولا شرط .

ان حقوق الشعوب الطبيعية التي لا تستطيع قوة بشرية قتلها او اخفاءها هي نفسها من دواعي الثورة فمتى صار الاعتراف بها للشعب السوري ووضع العمل بها على اساس متين يكفل حلول الوفاء محل الجفاء فلا يبقى باعث لتجدد القتال ولا العداوة وهذا الاساس قد آن لحكومة الشعب الفرنسي الحر الذي سبق الجميع الى طلب حقوقه بثورة دموية هائلة ان تضعه فتكسب صداقة

شعب كامل وتزيل من النفوس اثر السيئات الماضية التي سببت هذه الثورة وغيرها من قبلها .

اظهرتم فخامتكم اشفاقكم على نساء الدروز واطفالهم من الجوع وغيره وفي الحقيقة ان الطريقة التي اتبعها الجيش الفرنسي في رمي قنابل الطيارات والمدافع على المنازل والبيوت الماهولة بالنساء والاطفال هي اشد من الجوع والبرد وتدل على قساوة لا يمكن ان ينكرها منصف كفخامتكم ونؤكد لكم ان هذه القساوة المنوعة بين الدول هي التي جعلت عموم الدروز يشعرون بالحقد الشديد على السلطة الفرنسية ويصممون على مواصلة القتال ويظهر لنا من عبارات هذه النشرة التي نحن في صددها ان فخامتكم لم توفقوا بعد الى تطهير محيطكم من الاشخاص الذين يحاولون تغطية غلطاتهم السياسية والادارية بوضع التقارير والاعتماد على بضعة اشخاص لا قيمة لهم بيننا ولا يقدرون ان يؤثروا في شيء جوهري بل يسيرون وراء المنافع الشخصية ونعتقد انه من الضروري ان نبين لفخامتكم ان الدروز ليسوا كما يصورهم لكم البعض ولا يمكن ان يلعب بهم احد فقائد الثورة سلطان باشا الاطرش قد جعلت له القيادة برضى العموم من دروز وغيرهم وقد سار على الخطة التي اجمع عليها الراي العام وكنا نظن يافخامة المندوب انكم تقدرون عواطفنا الوطنية حق قدرها فلا تتهمونا باننا آلة بيد الاجانب لذلك نكرر لفخامتكم اننا نطلب حقوق طبيعية مشروعة لا غبار عليها ولا يوجد في تحقيقها ما ينافي مصلحة الشعب الفرنسي الحر .

والخلاصة اننا نؤكد لفخامتكم انكم باجابتكم البلاد الى مطالبها تخدمون الانسانية ووطنكم خدمة كبرى تسجل لكم بمداد الفخر ومن اهم هذه المطالب الاعتراف بالاستقلال اواستبدال الحالة الحاضرة بشكل يتفق عليه يضمن لفرنسا مصالحها دون ان تتحمل الخسائر العظيمة في المال والرجال ودون ان تضطر البلاد لحمل السلاح دائما للوصول الى غاية شريفة لا تعجز

حكومتكم عن تحقيقها بصورة سلمية والبلاد يا فخامة المندوب غير مستعدة لقبول التجزئة المضرة وحيث ان جمعية الامم هي الهيئة التي اتفقت على ايجادها دول العالم المعظمة ومنها حكومة فرنسا لاجل منع الخصام بين الشعوب فنحن نرى ان يكون الاتفاق الذي تطلبه البلاد مسجلا لدى جمعية الامم وغني عن البيان ان هذه النقاط كلها لا يمكن حلها بواسطة النشرات والمخابرات غير الرسمية بل تتخذ لها طرقا اخرى كاعتماد مفوضين يمثلون الجميع » .

الامضاء : الشعب الدرزي

جواب المفوض

وقف المفوض على فحوى جواب الشعب الدرزي فرد عليه بالرسالة التالية وذلك بتاريخ ٢٧ يناير عام ١٩٢٦ :

« ايها السادة : افهم جيدا ان الشعب الدرزي يريد تجنب الوقوع في غلطات جديدة حتى لا يقع في حروب جديدة كما جاء في الكتاب الذي ارسل الي .

اذا كان الشعب يطمح الى الحصول على حقوق مشروعة كما صرح به الكتاب نفسه فاني مستعد كل الاستعداد ان امنحها له وفقا لميثاق جمعية الامم والانتداب كما منحتها للبلاد اللبنانية والسورية التي لم يقع اضطرابات فيها انما لا يمكن المطالبة بهذه الحقوق المشروعة الا بالوسائط المشروعة ...

فليكف الشعب الدرزي عن الحرب فيقدم له قانون اساسي بالاتفاق مع السلطات الوطنية ذات الصلاحية تراعى فيه حقوق جميع الاهالي الساكنين في الجبل ومصالحهم وتمنياتهم .

يشكل المجلس وهو يصرح اذا كان يريد تاليف امة مستقلة ويريد الارتباط بدمشق وهو ينتخب رئيس الحكومة اذا بقي الجبل مستقلا واذا كان الامر خلاف ذلك اجتمع ممثلوا الدروز مع ممثلي المناطق الاخرى التي تطلب ذلك لتعيين حكومة واحدة والاقتراع على قانون اساسي واحد ..

تطلب فرنسا من السوريين والدروز والعلويين واللبنانيين ان يصونوا بالاشتراك حدودهم الخارجية المشتركة وان يتعهدوا بعدم استعمال القوة للفصل في الاختلافات الخارجية ولكنهم يلجأون في ذلك لتحكيم الدولة المنتدبة .

جاءت فرنسا الى هذه البلاد لتكون حكما ولتكفل رفاه شعوب سورية ولبنان بعضهم تجاه بعض ولتقدم للجميع مساعدة اختباراتها الفنية حتى ترشدهم في طريق التقدم ونجاح البلاد والسلم والعدل هذا ما ترمي اليه فرنسا فعلى الذين لا يسعون الا للخير العام ان يجتمعوا حولها ولا حاجة في ذلك لمخابرات سرية . ان التصريحات العلنية هي تعهدات اقوى جدا من الاتفاقات السرية والشعب بجملته وجمعية الامم هما كفيلان لهما فما على رؤساء الشعب الدرزي الا ان يلقوا سلاحهم حتى يبدأ التنفيذ . السلم يولد الحرية اما الحرب فلا تولد الا الشقاء والخراب والجوع . اما بقية الشروط التفصيلية فما على رؤساء الدروز الا ان يسألوا عنها المسيو بير اليب والجنرال اندريا فاني فوضتهما بكل السلطة التي لدي » .

لم ينجح المفوض باقناع الشعب الدرزي بان يرضخ الى شروطه المغمضة الملفقة وهكذا فشل هذه المرة ايضا كما ان سبق له الاخفاق في غيرها من قبل وقد آثر بنو معروف مواصلة القتال والضرب بعز وشهامة على ان يرضخوا لاستعباد عن رضى وطواعية .

فشل السلطة في قضية الانتخابات

عندما وصل المفوض الى بيروت كان حائرا بالطرق التي يجب عليه ان ينتهجها لانهاء الثورة فكان من جملة ما دبره هو اعلان الانتخابات في جميع سورية خلا لبنان . متخذا من استثناء هذه الطرق حجة الاطلاع على الراي العام مما أخاف العقلاء وجعلهم يتشاءمون من ذلك . على ان الوفد الدمشقي عندما كان في بيروت كان اول ما لفت نظره الى تلك النواحي واول ما حذره من الاقبال على ذلك غير ان المفوض قد اصر على انفاذ خططه فاذاع في ثالث وعشرين كانون الاول سنة ١٩٢٥ ديسمبر القرار الذي تعريبه ما يلي :

« ان المسيو دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ والمفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان الكبير وبلاد العلويين وجبل الدروز .

باعتبار الاضطرابات التي تسود قسما من سنجقي دمشق وحوران والتي اخرت موعد الانتخابات والتي لا يمكن ان تؤخذ الاكثرية بجريرة الاقلية ...

وباعتبار عدم وجود مجلس تمثيلي يعطل اشغال المفوضية العليا والحكومة السورية ان كان من جهة الميزانية او من الحكومة او من جهة المصالح العامة وتقدم البلاد ورقيها حيث لا يمكن معرفة افكار وآراء ممثلي البلاد الا بالتئام المجلس .

وباعتبار ان الانتخابات اذا لم يكن في الامكان ان تجري في الانحاء التي تسودها الاضطرابات بسبب وجود حالة عرفية بها فلا شيء يمنع حصولها في الانحاء الاخرى التي تسودها السكينة .

وباعتبار ان مصلحة سورية الاسراع باجراء الانتخابات في المحال التي يتمتع اهلها بالسكون والحرية لاجراء انتخاب حر .

وبناء على اقتراح السكرتير العام تقرر ما يأتي :

المادة الاولى ـ تجري انتخابات الدرجة الاولى للمجلس التمثيلي في الانحاء التي لا يوجد فيها حالة عرفية بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٢٦ وانتخاب الدرجة الثانية في ٢٢ منه .

المادة الثانية ـ تجري الانتخابات في السناجق الاخرى بعد شهر من رفع الادارة العرفية فيها .

المادة الثالثة ـ قبل اجتماع المجلس التمثيلي يجتمع مندوبو كل سنجق وولاية في المحل الذي يعينوه بانفسهم ويعبرون عن تمنياتهم في الموقف السياسي الذي يرونه موافقا في السناجق التي يمثلونها وباقي الدوائر العمومية السورية .

المادة الرابعة ـ يجمع المندوب السامي بعدئذ ممثلي السناجق معتبرا بقدر الامكان التمنيات التي كانوا ابدوها بموجب قاعدة التسلسل التي قد قرروا تشكيلها .

المادة الخامسة ـ المجلس او المجالس التي تكون تالفت بهذا الشكل تتبع التعليمات الاساسية المعينة في المادة السابعة من القرار ٢٩٨٠ المؤرخ في ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٤ لحينما يتم تشريع القانون الاساسي . ويمكنهم في الساعة التي يعينونها ان يصدقوا على القانون وذلك بموجب الصلاحية المعطاة لهم بموجب صك الانتداب أ هـ » .

اما قاطنوا لوائي حمص وحماه فانهم ابوا ان يشتركوا في هذه الانتخابات عندما وضح لهم خطرها ولقد عيت رجال السلطة هناك عن ايجاد من يرشح نفسه فاخذت باعمال الارهاب والاعتقال فاتهمت في حمص بتاريخ ٢٥ يناير احد عشر وجيها بجريرة مناواة الانتخاب وقد ابعدتهم الى ارواد وهم السادة هاشم الاتاسي ، مظهر الاتاسي ، وصفي الاتاسي ، شكري الجندي ، توفيق الجندي ، نورس الجندي ، مظهر ارسلان ، راغب الجندي ، رفيق ارسلان

عبد القادر مراد يحيى خانكان وها هي صورة البيان الذي نظمه مجلس بلدية حمص داعيا لمقاطعة الانتخابات :

« نحن اعضاء المجلس البلدي في حمص بحسب التمثيل المشروع الذي حمله من الشعب الحمصي وبالنظر لما شعرنا به من اجماع الاهالي على مقاطعة انتخاب المجلس التمثيلي بحسب القرار الاخير لمخالفته للاماني الوطنية ــ قررنا تنفيذا لرغائب الشعب الذي ائتمنا على مصالحه رفض الاشتراك باجراء هذا الانتخاب .

« رئيف رسلان ، محمد مظهر الاتاسي ، محمد راغب الجندي ، علي الجندي ، شكري الاخرس ، عيسى فركوح ، عبد الرزاق الاخرس ، عبد المجيد الزهراوي » .

على ان مجلس بلدية حماه لم يكن اقل وطنية من زميله في حمص اذ اعلن مقاطعة الانتخابات في ٦ يناير بقرار اليك نصه :

« نحن اعضاء المجلس البلدي بحماه بالنظر لما تحققناه من اجماع الاهلين على مقاطعة انتخاب المجلس التمثيلي بموجب القرار الاخير لمخالفته للاماني الوطنية وبحسب تمثيلنا المشروع الذي ائتمنا عليه من قبل الشعب الحموي فتنفيذا لرغائبه ومصالحه قررنا رفض اشتراكنا في الانتخاب .

رزق الله فرح ، احمد الدريعي ، الحاج سليم عدي ، عبد الرزاق الاسود محمد البرازي ، محمد عدي » .

وان المجلس الاداري في نفس المدينة كان قاطع ايضا الانتخابات وابى بمجموعه ان يساهم فيها .

كان حاكم سورية الفرنسي المسيو بير اليب في عاشر يناير في بلدة حمص مجتمعا الى وجوهها محبذا لهم العمل في الانتخابات فاجابوه :

« انهم آسفون جد الاسف لما بلغت اليه الحالة الحاضرة من سوء تفاهم بين الشعب ورجال الدولة المنتدبة مما ادى الى مقاطعة الانتخابات وانهم

كانوا يتمنون ان يحوم طائر الامن فوق سائر اصقاع الاقليم السوري حتى يشترك جميع افراده باختيار الاكفياء لتمثيل الامة في مجلسها النيابي المنتظر غير ان انفراد بعض المدن باجراء الانتخابات دون بعض فيه ما فيه من تجزئة البلاد الامر الذي يتجنبه كل وطني مخلص » .

ثم ولى وجهه شطر حماه لعله يستطيع ان يكون له هناك من النجاح في حمل الحمويين على المساهمة في الانتخابات غير ما لقيه من اهالي حمص . ولكن ما كاد يتصل برجالها حتى كان موقفهم منه نفس موقف رجال حمص في ذاك الصدد . فلم يقعد به الاخفاق عن اتمام سيره الى حلب حيث كان مصيره الفشل ايضا من اهاليها .

عاد المسيو بير اليب والحنق بالغ منه منتهاه لما مني به من عدم النجاح ووضع تقريرا اسهب فيه بشرح ما اطلع عليه من الوضع السوري رفعه الى المفوض السامي فتناول منه بتاريخ ١٢ يناير كتابا تعريبه ما يلي :

« تناولت تقريرك عن الرحلة التي قمت بها مؤخرا في حمص وحماه وحلب واني على رايك في استنتاجاتك .

ان الكولونيل مارتان المثبت في وظيفة المندوب المعاون يتعلق اذن في كل المسائل التي تتناول النظام العسكري . يمكن ان يظل هذا النظام ما دامت هذه النظم ليس لها ممثلون .

ليس منا يوجب علينا العجلة . اني قررت ان امنح البلاد قوانين اساسية تقيها لمستقبل بعيد من الحرب الاهلية والحرب الدينية والحرب الاجنبية التي هي فريستها من اجيال عديدة سواء اتطلب الامر شهورا ام سنين فلذلك لا اهمية له . فأنا عندي الوقت الكافي .

لقد جردت فرنسا في اثناء الحرب سبعة ملايين ولم تضطر الى تجنيد رجل واحد زيادة من جيشها للقيام بالاعمال الحربية في المغرب الاقصى وسورية

واحتلال الجانب الشمالي من نهر الرين . اما نفقاتها في سورية فهي لا توازي ستة اجزاء من الف جزء من ميزانيتها السنوية اي ان الجهود لا تثقل كثيرا على عاتقها . ومن جهة اخرى ماهي الصعوبات العسكرية التي تقوم بواجبها بازاء الصعوبات التي اعترضتنا في مدغسكر وفي تونس وفي المغرب وفي الهند الصينية وفي اوروبا ؟ ان الجمهورية الفرنسية لم تتراجع قط عن مهمة شرعت فيها وقد انتهت جميع حروبها بالانتصار .

فانا اشعر اذن بشفقة كبرى تجاه الذين يتصورون ان السوريين والدروز يتمكنون بواسطة الخديعة او القوة من صدنا عن مقاصدنا فأرجوك ايها الصديق العزيز ان تعمل بصبر وحزم لتبديد هذه الاوهام التي ولدها الجهل وان تهتم الاهتمام التام ذاته في هدم سوء التفاهم الذي حاول بعض ذوي المطامع ايجاده بين سورية وفرنسا .

حال بعضهم ثلاث مرات في شهر واحد دون الدستور والسلم : حالوا دون ذلك في القاهرة بمطالبهم غير المعقولة وفي جبل الدروز بردهم مساعي الوطنيين الذين كانوا يرمون الى تخليص اخوانهم من توالي الجوع والشقاء والموت وفي بيروت بعملهم على اخفاق مساعي الشيخ تاج الدين في تأليفه الحكومة ولمحاولتهم معاكسة الانتخابات .

انني اكره جد الكره السياسة الخفية ففي الخفاء تعد المؤامرات التي تشقى بها الشعوب اما الحياة فلا بد لها من النور .

عندما تلقيت استقالة رئيس الدولة السورية اردت ان انشيء نظاما دستوريا في كل مكان يساعد به السلام على ذلك .

كان في وسعي ان اجري الانتخابات في حلب والاسكندرونة وبلاد العلويين فأجريتها اما في دمشق وجبل الدروز فما كانت الاضطرابات لتسمح باجرائها ففكرت ان قاضي دمشق يقدر على تاليف حكومة موقتة .

ولو وفق الشيخ تاج الدين في مسعاه لكان بتقريبه السلم قرب موعد

الانتخابات في دمشق ولتمكنت البلاد السورية من الاشتراك بالمناقشة في مصير مقدراتها . فلسورية لا لفرنسا ان تقول اذا كانت تريد ان تكون متحدة او منفصلة .

لقد تناولت مضابط متعارضة من حلب والاسكندرية وانطاكية . ان طريقة المضابط تكاد لا تغني شيئا واني قد رايت بعض الاسماء على عريضتين مختلفتين في المبدأ ولذلك رايت من الواجب ان الجا الى الانتخابات التي هي واسطة الشعوب المتمدنة للاعراب عن رايها . ولو كان تم الصلح قريبا في دمشق لكنت مستعدا كما صرحت للشيخ تاج الدين ان اعرض قرارات الناجق على الجمعية التاسيسية ولكانت اكثرية هذه الجمعية قررت الامر قرارا نهائيا .

ولو كان جبل الدروز الآن في حالة سلم لكان تمكن من اختيار دستور وحكومة ولو كانت دمشق متمتعة بالسلام لتمكنت من انتخاب ممثليها في الجمعية التاسيسية والمناقشة بالاشتراك مع بقية الجهات السورية . كل ما اطلب من سكان الاراضي الواقعة تحت الانتداب يوم يتم الصلح هو ان يتفاهموا فيما بينهم والشيء الوحيد الذي اعارضهم فيه عندئذ كما اعارضهم الآن هو ان يدعوا تنفيذ مآربهم بالقوة .

ان حقوق الضعفاء والاقوياء في نظر فرنسا هي متساوية فيجب اذن ان يجري تحكيم الدولة المنتدبة في الاختلافات التي تنشا بين الجهات المختلفة من الاراضي الواقعة تحت الانتداب .

ان العالم المتمدن لا يفقه كيف ان السوريين لا يتمكنون ضمن هذا الاطار المرن الواسع من ان يمنحوا نفوسهم دساتير الشعوب الحرة . اما مسائل الحدود الداخلية فمن الجنون التكلم فيها في الساعة الحاضرة فليهتم السوريون في تنظيم سورية قبل ان يطمحوا الى توسيعها .

انا على يقين من انك تساعدهم على ذلك بنزاهة تامة تجاه جميع العناصر والمذاهب وبعطف قوي على المسلمين والنصارى على حد سواء . فانا بكل

ثقة اذن اراك تأخذ على عاتقك هذه المهمة . فتش عن السلم ولكن ان لم يقدموا؟ لك الا الحرب فاقبل الحرب » .

الفتن في حلب

من البداهة ان يكون في البلد الواحد رجال جبلوا على الوطنية وآخرون على الرجعية وان يقاطع الانتخابات في حلب الاكثر الاغزر وان يشذ ويكون من الخوارج نفر من الارمن وبعض لئام المسيحيين لا من كرامهم ويسير ممن دعوا بالمسلمين عرفوا بمصانعة السلطة ودهانها وان يرضخوا لها في كل مطلب ويذعنوا لامرها في كل مأرب وان يكونوا مطيتها التي تمتطيهم كالانعام لبلوغ هدف من اهدافها وطعن للامة من طعناتها . فكان راي هذه الفئة الضئيلة الاشتراك في الانتخابات مما اهاب بالوطنيين في حلب ان يبرقوا في ٦ يناير سنة ١٩٢٦ الى المفوض السامي بالبرقية التالية محتجين على الانتخابات وطالبين وقفها وها هي نص البرقية :

« قرار فخامتكم بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ جاء صدمة لآمال الامة اذ يقضي بان يكون انتخاب المجلس النيابي على اساس اللواء ويعطيه حق تقرير المصير في الارتباط مع الالوية الاخرى مما يفسح مجالا للدسائس الرامية الى الانفصال عن الوحدة السورية اذ تكون الاكثرية العظمى في المجلس من اهل الاقضية والقرى الذين لا تؤهلهم خبرتهم لمعرفة صالح البلاد والنظر في القانون الاساسي ولا يملكون حرية الفكر بدليل توقيعهم مضابط الانفصال التي اكرهوا عليها بقوة الدرك والمستشارين والقائمقامين مع عدم معرفة ما وقعوا عليه فنلفت نظركم الى ان اجراء الانتخابات في جزء من البلاد السورية منفصلا عن البقية وعلى هذا الشكل مخالف للنظريات الصحيحة .

نحتج على هذا القرار ملتمسين اجابة مطالبنا التي تقدم بها الى فخامتكم الوفد الدمشقي » .

التواقيع : عاكف الجابري وعبد الحميد الجابري والمهندس اسماعيل ،

باقي والطبيب علي رامز باقي والطبيب عبد الرحمن الكيالي والصيدلي سعاد جلبي وابراهيم هنانو والمحامي عبد القادر سرميني والصيدلي نعمان ونس ورشيد كتخدا ومصطفى كتخدا والنائب محمد ربيع المنقاري والصيدلي احمد الكواكبي والمحامي احمد منير الوفائي وعبد الودود كيالي وصبحي الاميري والمحامي احمد راشد المرعشي واسعد ابراهيم باشا والنائب محمد فاخر الجابري والشيخ طاهر الكيالي ومحمد زكي مير والحاج نوري الجسري واحمد الرفاعي » .

لم يشأ المفوض ان يصغ لنصيحة الوطنيين وان يعمل لوقف الانتخابات بل اصر على مباشرتها في الموعد الذي قرر لها فلم تجد حلب ندحة عن اعلان استنكارها لما تصادم به السلطة رغباتها . فأضربت على العمل وتعطلت عن اتيان مشاغلها وتوقف المسلمون عن المساهمة فيها وظل الاضراب طوال يوم السبت . عندها تنبهت السلطة الى انها مخفقة في عمليتها اذ ما ظل المشرفون على الاعمال الانتخابية من المسلمين كذلك استبدلتهم بنفر من مشايعيها وممالئيها فأجهدوا نفوسهم طويلا ولكن لم يفوزوا بطائل وعندها صدر قرار في مساء السبت مآله تمديد اجل الانتخاب حتى مساء الاحد وبذا اصطدم القرار المذكور مع القانون وعلاوة على ذلك فقد تضمن وجوب اتمام الانتخابات في ٤٨ ساعة رغم كل ظرف وموقف .

وقد القي القبض في مساء السبت على كل من احمد الرفاعي ، الحاج ربيع المنقاري ، سعد الله الجابري ، منير العمادي ، عبد اللطيف الكيالي ، عبد الجليل الكيالي ، زهير جابري ، الحاج محمود ابو صالح وغيرهم وقد القت السلطة نطاقا حول دور عدد من الزعماء تحجز حريتهم مانعة اياهم من مبارحة بيوتهم ...

ولقد أذيع لمقاطعة الانتخابات بيان بالنص التالي :

« في هذا الوقت العصيب وبينما الامة تسعى لتحقيق وحدتها السياسية

ومبادئها القومية على الاسس التي اجمعت البلاد على المطالبة بها عمدت المفوضية الفرنسية الى اجراء الانتخابات للمجالس التمثيلية في حلب وفي بعض الالوية كل على حدة مهملة الركن الاعظم والاهم منها لتكون هذه المجالس آلة لتجزئة البلاد وتفريقها فالحلبيون المخلصون لوطنهم يترفعون عن ان يكونوا سببا لهذه التجزئة المميتة فاجمعوا بالاتفاق على عدم الاشتراك في هذه الانتخابات وقرروا مقاطعتها ورائدهم في مشروعهم الاخلاص والثقة في حمية مواطنيهم الكرام .

فيا ايها الحلبي المخلص لوطنك وقومك اجعل رائدك الذمة والضمير فانت حر وليس من قوة تجبرك على الانتخاب فلا تعبأ باعتقال او تهديد ايا كان مصدره لانك في حماية الامة التي خلق القانون لضمان حريتها واحترام ارادتها والسلام عليكم » .

ظلت حلب مضربة يوم الاحد ايضا مما اثار الم الفرنسيين ودعاهم الى اعتقال كثير من مقاطعي الانتخاب . فكدر ذلك الاهلين فتجمهروا يطلبون اطلاق سراح المعتقلين وابرق الزعماء الى المفوض السامي بالبرقية التالية :

« الحلبيون رائدهم القانون قاطعوا الانتخاب لانه لايتفق مع مطالب الامة السورية . الانتخاب حق لا اكراه فيه ولا عقاب عليه لكن السلطة الفرنسية وترجمان البعثة وموظفي الاستخبارات ومأموري الشرطة والبلدية يستعملون وسائل الاكراه والتهديد ويجبرون الناس على الانتخاب . ولقد اوقف بعض من لم ينتخب ووضعت اوراق مزورة في الصناديق وعزل رؤساء المناطق وصرخ المنادون باسم البلدية من لم ينتخب يقع تحت طائلة الجزاء . وحبس عدة اشخاص للارهاب بلا سبب قانوني ومدد اجل الانتخاب يوما ونصفا كل هذا كي تحرم الامة حقوقها المقدسة التي خلق القانون لحمايتها وتضعف الثقة بامكان تنفيذ مبادئكم السامية التي جئتم لاجلها فنحتج على هذه الاعمال المغايرة للحق والحرية طالبين وضع حد لها ليبقى الشعب حرا » .

« التواقيع : ابراهيم هنانو وربيع المنقاري وسعد الله الجابري والدكتور

عبد الرحمن الكيالي واحمد الرفاعي وجميل ابراهيم باشا وجميل فنصه » .

تجمهر الناس في الجامع الاموي الكبير في حلب لاداء صلاة العصر يوم الاحد فصعد المنبر الشيخ طاهر الكيالي يدعو الحاضرين الى المؤازرة والمعاقدة وتوحيد الكلمة على طلب الاماني المشروعة حاضا اياهم على الاخلاد للهدوء . وقد غادروا المسجد بمظاهرة كبرى يؤمون دار الحكومة لاطلاق سراح المعتقلين يتقدمهم تلاميذ المدارس وهم يهزجون بالاناشيد الحماسية وما ان بلغوا دار الحكومة حتى اقتحموها ينادون بحياة الاحرار وباسقاط الانتخابات المزيفة طالبين اخلاء سبيل المعتقلين عندها خرج مرعي باشا الملاح حاكم حلب يدعو الناس الى التفرق واعدا اياهم بالسعي في اخلاء سبيل المعتقلين فاعتلى منكب احد الناس شاب دار بينه وبين الحاكم الحوار الآتي :

ـ لماذا سجنت هؤلاء الاحرار ؟ .. فاجابه :

ـ والله يا بني انا ما قبضت على احد ولا عندي خبر !!..

ـ اذن ليس لك من الامر شيء ...

ـ نعم ..

ـ نطلب منك اخلاء سبيلهم فورا ...

ـ لا استطيع ذلك ...

ـ اذا كنت لا تستطيع فلماذا لا تستقيل ؟ ....

ـ انا ذاهب الى مندوب المفوض السامي للبحث معه ...

اقبل وفد من العلماء لمقابلة الحاكم وقد خرجوا جميعا واياه يقصدون دار المندوب المفوض الذي رفض مقابلتهم مما زاد في استيائهم ضغثا على ابالة ومما اثار حفيظتهم ودعاهم لان يقسموا بكل محرجة من الايمان الا ان ينتقموا .

ابان ذلك وصلت قوة من السنغال والمغاربة ودبابات الى دار الحكومة باغتت الجماهير باطلاق النار فتشتتوا من بعد ان قتل خمسة عشر رجلا

وجرح اربعون واعتقل ثلاثون فاقفلت المدينة برمتها وساءت الحال واشتد الكارث ووقفت حركة البلد فألف المفوض محكمة استئنافية لمحاكمة مقاطعي الانتخابات فحكمت بالاحكام الآتية :

« حكمت على السيدين عبد القادر ناصح الملاح وجميل ابراهيم باشا حكما وجاهيا بالسجن ستة اشهر وغرامة « ٤٠٠ » فرنك وحكمت غيابيا على السادة ابراهيم هنانو ومحمد توفيق الحكيم واحمد ناصر آغا وبسيم القدسي وفاخر الجابري والمحامي عبد القادر سرميني ورشيد كتخدا ومحمد الهبراوي ومحمد الهاشم وحسين الفداوي وعبود كله بالسجن سنة واحدة وغرامة ٤٠٠ فرنك ما عدا السيد فاخر الجابري والمحامي عبد القادر السرميني فقد ارسلا الى المحكمة تقارير طبية تنبيء بمرضهم الا ان المحكمة اعتبرت هذه التقارير غير نظامية فرفضتها . وحكمت على الشيخ راغب الطباخ صاحب المطبعة العلمية وابنه السيد محمد بغرامة ١٢ ليرة لطبعهما النشرة الخاصة بمقاطعة الانتخابات .

وقد اجلت المحكمة الى وقت آخر النظر في قضية باقي المتهمين المعتقلين الذين ارسلوا الى قلعة ارواد وهم السادة : سعد الله الجابري والدكتور عبد الرحمن الكيالي والحاج ربيع المنقاري واحمد الرفاعي ومنير العمادي ...

بعثت السلطة بنجدات الى حلب لتهدئة الحال وقد اعتقلت الكثير من الرجال وابعدتهم الى ارواد واليك اسماء هؤلاء الافذاذ : عبد الرحمن الكيالي طاهر الكيالي ربيع المنقاري الحاج عثمان الشراباتي سعد الله الجابري احمد الرفاعي صلاح الدين الجابري منير العمادي .

اما اختفاء الزعيم ابراهيم هنانو وعجز السلطة عن اعتقاله فقد ادى الى رواج شوائع عدة قال بعضهم بانه قصد الحدود لاشعال النار والفتن كما فعل في عام ١٩٢٠ وبعضهم قال بانه غادر حلب للانضواء تحت لواء الثورة في الغوطة وبعضهم قال غير ذلك الى ان بدد اوهام هذه الشوائع بظهوره فجاة تحت سماء حلب يسلم نفسه للسلطة في الشهباء .

اكبرت فيه السلطة هذه الجراة وعظم امره لديها فما كان منها ان اصابته بسوء بل اطلقت سراحه .

رغم جميع ما مر من الحوادث المقلقة المزعجة من جراء الانتخابات في حلب فانها تمت على رغم كل ما كان وجرى وقد فاز بالقوة كل من صبحي بركات رشيد المدرس غالب قاطر اغاسي شاكر نعمت الشعباني ميشيل جنادري سليم جنبرت رحمون نحماد .

كان هؤلاء الرجال ممن اعتمدتهم السلطة واخرجتهم بحرابها ظنا منها بانهم سيمالئونها وسيرمون اليها ما تشاء ولكن ما عتمت ان ساء فالها وطاش سهمها وصلد زندها ومنيت برجال اول ما قرروه في مجلسهم المطالبة بالوحدة السورية مما ازعج الفرنسيين وعكر صفوهم وشغل بالهم ودعاهم لاصدار قرار لحل المجلس ولم تعد السلطة لتدعوه مرة اخرى لاجتماع ما .

مسلموا لبنان والوحدة السورية

انشغل مجلس لبنان التمثيلي بوضع دستور جديد لبلاده فتألف جمع من كبار المسلمين منتهزين فرصة انشغال المجلس التمثيلي اللبناني في خامس كانون الثاني بدار جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية بناء على دعوة من القاضي والمفتي موجهة اليهم وهنالك ناقشوا الاسئلة التي بعث بها رئيس المجلس المذكور الى مسلمي بيروت وقد صاغوا الرد الآتي :

« من المعلوم ان رغائب ومطالب الطائفة الاسلامية التي هي الاكثرية الساحقة في البلاد التي الحقت بمتصرفية لبنان منذ اعلان لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ هي رفض هذا الانضمام وطلب الالتحاق بالاتحاد السوري على قاعدة اللامركزية وقد كررت احتجاجها على هذا الانضمام الذي وقع رغم ارادتها ومن دون استفتائها في ظروف عديدة وقدمتها مرارا الى المفوضية العليا وباريز وجمعية الامم وهي حاوية لجميع الحجج القاطعة والاسباب المشروعة

لرفض هذا الانضمام وآخر احتجاج قدمته شفاهيا بواسطة وفد من اعيان الطائفة الاسلامية وخطيا الى فخامة المفوض السامي وعليه قررت الطائفة الاسلامية في بيروت بالاجماع مغتنمة فرصة ورود الاسئلة الموجهة اليها من اللجنة الدستورية ان تعيد تثبيت احتجاجاتها السابقة على الحاقها بلبنان ورفض الاشتراك في الاسئلة الموجهة اليها من اللجنة المشار اليها في ما يتعلق بسن الدستور اللبناني وتؤيد ونكرر طلب الرجوع الى ما كانت تحفظه لنفسها بشان الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية في كل وقت وزمان »

وهذه اسماء الذين اشتركوا في هذا الاجتماع :

« الشيخ احمد عباس والداماد احمد نامي وانيس الشيخ وبدر دمشقية ـ رئيس بلدية بيروت ـ والمحامي جميل الحسامي وجميل بدران والدكتور حسن الاسير وحسن قرنفل والدكتور حليم قدورة وحسن القاضي وحسن القباني والمهندس حسن المخزومي وخير الدين النحاس وخليل دعبول والحاج رشيد اللاذقاني والشيخ رضا القباني وزكريا النصولي والدكتور سامح الفاخوري وسليم الطبارة وشريف خرما وطه المدور وعبد الله بيهم وعارف رمضان وعمر الداعوق ـ عضو بيروت في المجلس التمثيلي ـ والحاج عبد القادر القباني ـ مدير الاوقاف ـ والشيخ عبد الكريم ابو النصر ـ نقيب الاشراف ـ والشيخ عبد الباسط الانسي والدكتور عبد الرؤوف حمادة ومحمد المخزومي ومحمد الفاخوري ومحمد عمر نجا ومحمد الباقر وخير الدين الاحدب ومحمد اللبابيدي ويوسف النحاس والشيخ عبد الرحمن المجذوب وحسن البنداق » .

مقاطعة الانتخابات في بعلبك

عقد المجلس البلدي في بعلبك اجتماعا قرر فيه ما يأتي :

« من المعلوم ان رغائب ومطالب الاكثرية الساحقة في البلاد التي الحقت

بمتصرفية لبنان منذ اعلان لبنان الكبير عام ١٩٢٠ هي رفض هذا الانضمام وطلب الالتحاق بالاتحاد السوري على قاعدة اللامركزية وقد كررت احتجاجاتها على هذا الانضمام الذي جرى بالرغم عن ارادتها وبدون استفتائها في ظروف عديدة وقدمتها مرارا الى المفوضية العليا وباريس وجمعية الامم وهي حاوية لجميع الحجج القاطعة والاسباب المشروعة لرفض هذا الانضمام وآخر احتجاج لها قدم بصورة شفاهية بواسطة وفد من اعيان الطائفة الاسلامية وبصورة خطية الى فخامة المفوض السامي فعليه قرر مجلس بلدية بعلبك منتهزا فرصة وصول الاسئلة الموجهة اليه من اللجنة الدستورية اعادة تثبيت الاحتجاجات السابقة من الاكثرية الساحقة على الالتحاق بلبنان ورفض الاشتراك في الاسئلة الموجهة اليه من اللجنة المشار اليها فيما يتعلق بسن الدستور اللبناني ويؤيد طلب الاكثرية الساحقة في البلاد التي الحقت بمتصرفية لبنان بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على قاعدة اللامركزية في كل وقت ولهذا لا يرى مجلسنا لزوما لاعطاء الجواب على هذه الاسئلة ولا ارسال مندوبية ـ وقد نظم هذا القرار ورفع لرياسة المجلس النيابي في دولة لبنان الكبير باتفاق الآراء ـ .

صيدا والوحدة

نظم مسلموا صيدا بيانا طلبوا فيه الانفصال عن لبنان والالتحاق بسورية بعثوا به لرئاسة المجلس التمثيلي نصه ما يلي :

« قد علم لدى ممثلي الجمهورية الفرنسية في البلاد السورية من حين اعلن ما يدعونه دولة لبنان الكبير كما انه علم لدى مجلسي البرلمان والوزراء في فرنسا ولدى جمعية الامم نفسها ان جميع افراد الطائفة الاسلامية التي تؤلف الاكثرية الحقيقية في هذه البلاد لم يرضوا عن الحاقهم بمتصرفية لبنان القديمة ذلك الالحاق الذي ارغموا عليه ارغاما يؤيد ذلك الاحتجاجات

العديدة التي قدمت الى كبار الرجالات والهيئات السياسية والفرنسية والى جمعية الامم في ازمنة متعاقبة في كل الخمس السنوات التي وجدت فيها دولة لبنان الكبير والآن تغتنم الطائفة الاسلامية فرصة تكليف المفوض السامي المسيو دي جوفنيل المجلس اللبناني تنظيم القانون الاساسي لتظهر رغباتها الاكيدة في الانفصال عن ما يسمونه لبنان الكبير والانضمام الى الوحدة السورية على اساس اللامركزية .

وعلى هذا فقد قررت الطائفة الاسلامية في صيدا باجماع الآراء على اثر ورود الاسئلة الموجهة اليها من اللجنة الدستورية عدم الاشتراك في سن الدستور اللبناني وتكرير طلباتها الحقة بشان الالتحاق بالوحدة السورية على اساس اللامركزية ملتمسين تحقيق امانينا عملا باحترام حقوق الشعوب المقدسة » .

وتبع ذلك عشرات التواقيع كلهم من زعماء ووجهاء صيدا .

طرابلس الشام والوحدة

وابرق تجار ووجهاء وشباب وعمال طرابلس الشام برقيات يطلبون فيها الانضمام الى سورية كما انه جاء من عكار مثل ذلك .

الوحدة في جبل عامل

لم يكن شأن قاطني جبل عامل من حيث تطلاب الوحدة السورية باقل من عكار وطرابلس الشام لذلك بعثوا بالمضبطة التالية للمندوب السامي :

« نحن اهالي جبل عامل منذ الحاقنا بلبنان الصغير ما زلنا نرى الغرم علينا والغنم له ندفع الضرائب ولا ينفق علينا منها سوى القليل حتى نرى حقنا مهضوما معه فلا نعطى من الوظائف ما نستحقه ومعلوم ان هذا الاستئثار شديد على النفوس جدا لذلك نطلب من عميد الدولة المنتدبة المسيو دي جوفنيل فصلنا عن لبنان بانشاء ادارة مستقلة تحت اشراف الدولة المنتدبة وان

آمالنـا وطيدة بعدل المفوض السـامي وانصـافه ان يجيب طلبنا هذا الذي هو حق وعدل » .

التواقيع : احمد رضا ، محمد التامر ، راشد عـيران ، حسين الدرويش، النائب نجيب عـيران ، النائب السـابق فضل الفضل ، علي جابر ، سليمان مروة ، علي عبـد الله ، خنجر عبد الله ، اسماعيل خليل ، محمد جابر ، عبد الحسين ، محمود الامين ، السـيد علي بدر الدين احمد حاج سعيد صباح » .

كما ان وجهاء مسلمي اللاذقية ابرقوا الى المندوب برقية طلبوا الوحـدة فيها بالنص الآتي :

« باسم الاكثرية باللاذقية نلتمس اعلان الوحدة السورية واشتراكنا بانتخابات المجلس التاسيسي السوري » .

اضطراب الفرنسيين لطلب الوحدة السورية

عظم الامر على المفوض السـامي ان يهب المسلمون في لبنان هبة واحـدة طالبين الانضمام الى الوحدة السـورية كما اخابهم ان يتضامن السوريون في الداخل وان تجتمع كلمتهم على نبذ الانتخاب والتمسك بالوحـدة فايقن بخسران الصفقة وادرك ان من اشار عليه بالانتخاب كان سافه الراي خـاطىء الفكر سيء التدبير لذلك الغى الانتخابات في الداخل وسعى باتخاذ تدبير لايقاف حركة الانفصال في لبنـان واذاع بلاغا في ١٧ كـانون الثـاني سـنة ١٩٢٦ هذا تعريبه :

« يتلقى منـذ زمن المفوض الســامي كثـيرا من المضابط المعارضة بعضها بعضا فمنها ما يرمي الى اقتطاع هذا القسم او ذاك من لبنان ومنهـا ما يطلب ابقاء الحدود الحالية على ماهي فهذه المضابط غير مفيدة .

ان شكل الانتخابات الذي يسمح للاهالي بأن يجهروا بأصواتهم في اوقات

منظمة هو افضل كثيرا من هذه العرائض فان الاول هو نداء للشعب وهذه نداء لولي الامر . ولهذا قرر المفوض السامي ان تكون الانتخابات لاحقة للسلم في كل مكان . ان الذين يواصلون عداءهم للانتخابات او يمتنعون عن الاشتراك فيها يتنازلون بأنفسهم عن استعمال حقوقهم ويرى المفوض السامي ان من الواجب عليه ان ينبههم الى ذلك .

اما الذين يتعرضون للحدود فانهم يثيرون عداوات الجنسيات والاديان ويجعلون الاتفاق بين الدول مستحيلا .

وهكذا فانهم يقفون في وجه الوحدة الحقيقية التي تقوم بتوثيق علاقات المودة والمصلحة » .

حل حاكم لبنان مجلس بعلبك البلدي بقرار اصدره في سادس عشر كانون الثاني اذ انه لم يطلب الانفصال عن لبنان فحسب بل ارتكب بنظر السلطة مخالفة كبيرة .

عمر الداعوق والوحدة

كان في مجلس لبنان التمثيلي رجال لم يقصد بهمتهم اكثريته الممالئة للسلطة عن ان يرفعوا الصوت تحت قبة ذلك المجلس يدوي عاليا بمطاليب البلاد الحقة ولم يكونوا على قلتهم الا الرجال الذين اسمعوا الخارج وما وراء البحار مطاليب الامة اللبنانية العربية طالبين تحقيق الاماني فلم يقصروا باداء رسالة الوطن حقها ولم يكن مفعول السلطة لتخفف من حماس هؤلاء الرئابيل الافذاذ .

ان المجاهد باللسان والقلم وبكل مناسبة عمر الداعوق النائب بالمجلس التمثيلي اللبناني واخوته في الجهاد الوطنيين الاحرار قد قاموا باوفر قسط من الوطنية نحو امتهم فقد ابرق الوطني الحر والنائب الجريء عمر الداعوق

الى سكرتير جمعية الامم عن طريق المندوب السامي البرقية التالية :

« انا الموقع على هذا عمر الداعوق نائب بيروت اتشرف بان ابسط لسعادتكم ما يلي : ـ

اولا ـ ان فريقا من نواب بيروت وطرابلس وصيدا والبقاع ، مع كونهم اقلية عددية الا انهم يمثلون اكثرية السكان الذين تتألف منهم الجمهورية اللبنانية ، قد قدموا اثناء المناقشة في الدستور اللبناني اقتراحا احتجوا فيه على ضم الاراضي التي يمثلونها الى لبنان دون ان يؤخذ راي اهاليها قبل ذاك الضم فهم يطلبون ان تؤلف هذه الاراضي دولة مستقلة ادارية مرتبطة باتحاد لا مركزي مع لبنان القديم وسورية .

ثانيا ـ بعد ان وافق المجلس التمثيلي بالاكثرية على الدستور اللبناني قرأ حضرة مندوب المفوضية العليا التحفظات للمجلس وقال ان هذه التحفظات غير خاضعة للمناقشة . ولكي تطلع جمعيتكم الموقرة على احتجاجنا على ضمنا غير المشروع ولكي تعلموا ان هذه التحفظات لم توضع موضع المناقشة ولم يوافق عليها المجلس التمثيلي اجزت لنفسي ارسال هذا البيان اليكم .

وتفضلوا يا حضرة السكرتير العام بقبول اعتباري الفائق » .

العودة للنضال :

لقد كان الاخفاق لزيم كل التدابير التي اتخذها المفوض السامي ولم يكتب له النجاح في واحدة منها قط على ما مر بالقارىء الكريم ، لقد احبط مسعاه في القاهرة وفي سورية وفي لبنان وكان كلما فشل في راي من الآراء ومهمة من المهمات زاد اوار الثورة ضراما واتسع نطاق العصيان انتشارا . وكان كلما عمد الى وسيلة من الوسائل وباء بالخذلان اكسب ذلك الثائرين قوة على قوتهم وايمانا بوجوب المثابرة على الثورة زيادة على ايمانهم . لذلك ارتأى ان لابد له من ان يعود الى القمع بالشدة فاستنجد بفرنسا طالبا معونتها

بقوات كبيرة يعزز مركزه وتقمع الفتنة التي ما زالت نيرانها تأج اجيجا ووردت القوات بكثرة حتى قيل انه بلغ عدد الجنود الفرنسية في الاقليم السوري ١٠٠ الف جندي في ذاك العهد وكلها بمعدات حربية حديثة من دبابات الى طائرات ومن رشاشات الى مدافع وهكذا .

لم يقف المفوض عند هذا الحد بل عمد الى تاليف كتائب من الشركس والارمن والاسماعيليين والنصيرية والموارنة ليستعين بها على اخماد نار العصيان الذي كان مندلع اللسان . انبعثت هذه القوى في جميع الانحاء السورية في عاصمة الامويين وضواحيها وفي وادي التيم واقليم البلان وفي جبال قلمون وفي حمص وحوران فاشتبكوا مع المجاهدين بمواقع ومعارك استبسل فيها كل من الفريقين استبسالا شديدا وكانت افعال الجيش الفرنسي في زمن المسيو دي جوفنيل نفس افعاله في عهد غيره مما المعنا في ما مر من الوقائع من اعمال وحشية لا ياتيها انسان ولا يقوم بها ذو وجدان فمن صلب وقتل الى نفي وحرق ومن فرض غرامات الى اذى وعذاب. وهنا لم يصدق فال من ظنوا بان مندوبا ساميا غير عسكري كالمسيو دي جوفنيل يكون ارفع نفسا واسمى حسا وادنى الى الرأفة منالا من غيره ممن كان لا تتصل الرحمة بقلبه ولا يمت الاشفاق والحدب لسبب الى فؤاده . وقد ظن هؤلاء الخاطئون ان المسيو دي جوفنيل قد يحمل العسكريين ان يكونوا اخف وطأة في زمنه منهم في ازمان سلفه ولكن كان هؤلاء المتفائلون بعيدا جدا عن جادة الصواب والحقيقة اذ سفه رايهم بفعله وخطأ حدثهم بعمله واراهم ان لا فرق بين مدني او عسكري طالما ان الفرنسي في غير بلاده ...

ان الفارق بين المدنيين والعسكريين انما يكون في فرنسا فحسب واما في خارجها فالجميع على الاجنبي سواء .

لقد كان للمتفائلين حق بان يحسبوا ما حسبوه بالمسيو دي جوفنيل لما وجدوه عليه من لباقة وسياسة ومران . وحق لهم ان يظنوا به ما ظنوا من بعد ان راوه يتقرب من رجال الانكليز ويحكم الصلات معهم ويزور عاصمتهم قبيل تعيينه ثم عندما راوه يزور القدس الشريف عقيب بلوغه الاقليم السوري وقضاءه اياما ضيفا على المندوب السامي في فلسطين ولما راوه من زيارته قاعدة الملك في تركيا انقرة وحلوله ضيفا على الحكومة التركية وعقده معاهدة منح فيها هؤلاء ما كانوا يودونه من الاقليم السوري مما جعل الحكومة الفرنسية تستنكر منه ذلك وتعترض عليه . ثم ان اتصال هذا المفوض بمندوب ابن السعود في دمشق وتقريبه اياه منه ومنحه النجديين من الامتيازات ما لم يكن لهم من قبل . واعترافه بالاضافة الى حكومته بابن السعود عندما احتل الحجاز ملكا كل هذا كان مدعاة لان يظن الناس والاكثرون عددا منهم ان هذا المفوض يفرق عن غيره من سابقيه سياسة وحكمة وادارة . ثم اننا لا ننسى اتصاله على اثر تقلده منصبه الجديد بالمخلصين الوطنيين من السوريين في اوروبا وفي ابدائه لهم كل ما لديه من رغبة بالتفاهم معهم كما اننا لا نزال نذكر ما كان منه في مصر مما مر بالمطالع الكريم ومما لا نرى من حاجة لان نعيد هنا ما المعنا اليه قبلا .

عندما القى نفسه بين احضان الفشل المريع لم يجد بدا من الاستسلام لليأس ومنه الى ايدي العسكريين مما رفع عقيرة الناس بالشكوى والتألم مما اضطره لان يغادر البلاد في ثامن وعشرين مايس سنة ١٩٢٦ يتعثر باذيال الاخفاق والخيبة .

خطط الفرنسيين الحربية وقواهم العسكرية

واصل الفرنسيون ارسال القوى الى الاقليم السوري نجدة لذوي السلطة فيه فاثبتوا حامية في حمص يقودها الجنرال مارتي واخرى في عاصمة

الامويين تحت امرة الجنرال اندريا وقد اعدوا حملتـان في دمشق مهمـة الاولى قتال المجاهدين في شمالي الغوطة بامرة الكولونيل ماسبت والاخرى لمنازلتهم في شرقها بقيادة الكولونيل فرن كما اقـام الفرنسيون ابان فصل الشتاء مخافر عسكرية ست كبيرة في داخل الغوطة افعموها سلاحا وعتادا الاول في دوما والثاني في اوتايـا والثـالث في شبعا والرابـع في خرابو والخامس في بويضان من المرج والسادس في براق على حدود جبل الدروز الشماليـة لتحول دون اتصال ثائري الجبل بثائري الغوطـة كما انهم نشروا على طول الخط الحديدي الحوراني قوات كبرى واقاموا مخفرا عسكريا في بصرى اسكي شام وآخر في بصرى الحرير ومثله في المسمية والمسيفرة كما انهم قد اركزوا معسكرين كبيرين في درعا وفي ادرع استعدادا للقتال وجمعوا قوى كبرى في جنوبي لبنان فألفوا حملة يقودها الكولونيل ليما نجأ تكور كي يعمل على مطاردة الثوار في وادي التيم والبلان وبذلك لم يات اوان الربيـع حتى كـانوا قد فرغوا من تدابيرهم العسكرية ومن مخططاتهم الحربية .

هذا من ناحية الفرنسيين واما الاحرار المجاهدين فانهم عندما رسخت اقدامهم في الغوطـة في فصلي الخريف والشتاء نشروا نفوذهم فيها واخذوا يشنون الغارة على الشام من حين الى حين فيدخلون اسواقهـا ويعودون ظافرين كما بسطوا نفوذهم على سكة حديد دمشق بيـروت حتى ان نفس المفوض السامي كان يخشى زيارة دمشق في باديء الامر وحتى انه ما جرؤ على زيارتهـا الا بعد ان مضى شهران ونيف على وصوله بيروت اذ خشي ان يؤخذ من قبل الثـوار اسيرا . . .

اتصلت عصابات الشمال بعصابات جبل قلمون فوحدوا مناهجهم ونشروا سلطة فعلية على المنطقة التي تمتد من شمالي حمص حتى جبل الدروز واتخذوا النبك مركزا لهم اما اهل البلاد فقد اقبلوا على تأيدهم كل التايـد واخذوا بالانضمام اليهم زرافاتا ووحدانا واليك نص الميثاق القومي الذي اقروه :

« نحن سكان جبل قلمون واهالي قضاء النبك نتعهد لان نخضع لاوامر الجيش الوطني ونقدم الرجال والمال والعتاد اللازم لاجل انقاذ الوطن من ايدي المستعمرين وتحرير سورية كلها بحدودها الطبيعية واننا نهرق آخر نقطة من دمائنا في سبيل استقلالنا ونحافظ على نص المقررات الاخيرة . نعلن لعموم اهالي المنطقة في جبل قلمون والنبك انا عزمنا على مكافحة العدو حتى النتيجة الحاسمة ولاجل وصولنا لهذا القصد المقدس قد قررنا المواد الآتية :

١ ــ يعتبر كل وطني سوري عربي مجاهدا ومن يخالف يعد خائنا ويحاكم في المحكمة الثورية .

٢ ــ تؤلف في كل قرية هيئة او لجنة خاصة تكون من وجهاء القرية ويعهد اليها تنفيذ المقررات .

٣ ــ يجند من كل قرية مجاهدون بنسبة عدد نفوسها .

٤ ــ تكفل القرى مؤونة الجيش وعتاده حتى النهاية .

٥ ــ كل من يترك الجيش ويفر يعد خائنا للوطن ويعدم .

٦ ــ بمناسبة اعلان الجهاد لطرد العدو فجميع الدماء والبغضاء القديمة ترفع من الصدور » .

وظائف اللجان

« ان اللجنة المشكلة في كل قرية هي المسؤولة عن اعاشة المجاهدين وتدبير الذخائر اللازمة والقاء القبض على كل خائن والحث على الجهاد واجبار المقتدرين على شراء السلاح وتسليح من لا قدرة له .

الاعاشة : « يخصص مستودع في كل قرية ويجبى من الاهالي باسم اعشار تخصص هذه مستقبلا بموجب الوصل الذي سيعطى باسم الحكومة الثورية السورية . يجب ان يكون على راس مجاهدي كل قرية احد الوجهاء



المجاهدون الابطال السادة الشيخ محمد حجاز الكيلاني ، سعيد عكاش
احمد غازي ، محمود حجاز الكيلاني ، حميد الجديني ، محمد علي الكيال
محمد الجاجة ، قدور الغزي ، اسعد اللحام ، كامل الريحاوي ، محمدالحبانية

ويكون مربوطا بهيئة القيادة من الوجهة الحربية وعليه تبليغ المقررات الى لجنة القرية لتنفيذها .

« بما ان جهادنا المقدس لاجل تحرير البلاد فيجب علينا الاتفاق والاتحاد عملا بامره تعالى » .

نفوذ الثائرين

لقد قويت شوكة الثوار في وادي التيم واقليم البلان فسيطروا على قضائي وادي العجم والقنيطرة وتغلغلوا في قرى وادي العجم وبسطوا نفوذهم على هضابه وكانوا يتقدمون من غير منازع ولا معارض . اما شانهم في منطقة دمشق الغربية التي تمتد من ابواب دمشق حتى الزبداني فانه لا يقل عن شانهم في وادي التيم والبلان .

اما الجبل المنيع ونعني به جبل الدروز فقد اصبح بكامله في قبضة الثوار بحيث لم يعد للفرنسيين من معسكرات ومآوي الا مراكز ضئيلة في حوران على الخط الحديدي بين درعا ودمشق فلا يجسر احد ان ينفذ الى الداخل ولا يجرؤ واحد ان يتغلغل في البلاد .

معركة النبك الكبرى

لقد تجمعت في قلمون عصابات اربع هي عصابة جبل قلمون وعصابة النبك وعصابة عكاشة وعصابة حسن الخراط وقد بعثت السلطة بمئة جندي وسيارات ست كبيرة مصفحة يقودها ضباط الدرك فبرز المجاهدون اليهم فاشتبكوا واياهم في البساتين وكان عدد هؤلاء لا يتجاوز الخمسة والعشرين اسدا والتحم القتال وابتدات المعركة فاسر الثائرون الضابط بهيج وجلوهم عن اربع رشاشات كبيرة واثنين صغيرين وعددا من سيارات الركوب .



من مشاهير قادة الثورة الابطال الامير عز الدين الجزائري ، نسيب البكري
سعيد العاص ، مع المجاهدين المغاوير السادة ابو شاكر القلعجي ، ابو حامد
الشربيني ، خليل بصري ه احمد العلفيتي ، توفيق سوقية ، سعيد الاظن
محمد خشيفاتي ، عيدالشربجي ، ابودياب الدوماني ، فارس عقيل وغيرهم

ظلت المناوشات على هذا الوجه تتعاقب خلال تشرين الاول من عام ١٩٢٥ وفي كل منها كان النصر يعقد لواؤه للمجاهدين الابرار وكان كل ذلك مقدمة وتمهيدا للمركة الكبرى التي المعنا اليها في هذا العنوان . اما سبب المعركة التي سناتي على وصفها فذلك ان عيون زعماء الثورة ووجهاءها وعلى راسهم المجاهدين الكبيرين فوزي القاوقجي وسعيد العاص قد قرروا جميعا ان يجعلوا من النبك قاعدة للثورة في قلمون من بعد ان عملت الفوضى مفعولها ومن بعد ان اثرت المعاملات الشاذة التي ارتكبت هنالك تاثيرا سيئا لا سيما وان موضع النبك موقع يتناول حمص وحماه بنفوذه اذا ما كان هنالك من الرجال من يستطيع ان يؤمن الشوكة هنالك والسلطان .

ان مركز النبك لم يخف على السلطة ولم يغب عنها انها لها مفعولها وتاثيرها اذا ما تمركز المجاهدون فيها لهذا اعدت السلطة قوة كبرى يقودها الجنرال مارتي الفرنسي المختص بالحروب الجبلية وكانت هذه القوة تحدوها اربعة آلاف جندي مشاة والفا جندي فارس ومعداتها وثماني مدافع وكذلك مصفحات وعدد حربية كاملة بما فيها سبعون رشاشا .

وصف البطل الاكبر تلك المعركة الدامية بما يلي :

« أما نحن فلم نجد متسعا من الوقت لاتمام ترتيباتنا بيد اننا تمكنا من جمع ثمانماية مقاتل من انحاء القلمون وقررنا ان ندافع عن النبك اولا في جهات قارة شمالا ثم في النبك نفسها وذلك لاستكشاف قوته ولضربه في مضيق عيون العلق ضربة مادية تؤثر في معنوياته ولا توصله الى النبك الا منهوك القوى » .

قلنا ان المجاهدين قد صمموا على ان يجعلوا من النبك مركزا لهم ولذلك ففي الحادي عشر من اذار عام ١٩٢٦ احتل المجاهدون المشاة قارة كما دخل الفرسان دير عطية ليطوقوا الجناح الايسر للجيش الفرنسي وما ان كان اليوم الثاني عشر من الشهر الملمع اليه حتى كان المجاهدون قد اعدوا له في مضيق عيون العلق ما ينبغي ...



من قادة الثــورة الاحرار السادة نسيب البــكري وفوزي القاوقجي
ومظهر البكري مع المجاهدين الكريمين ابو محي الدين شعبان وناجي الجم

وقد تقابل الجمعان فكان في المقدمة المغوارين البطلين فوزي القاوقجي وسعيد العاص وكان معهما خمسة عشر ابيا حرا . راى هذان القائدان قلة عدد رجالهما وضآلة ثائريهما فراوا من الحكمة الاخلاد للسكينة وعدم النبس بنت شفة فلم يطلقوا عيارا ما . وظلوا كذلك كالجبال الرواسي صامدين حتى بات منهم الجيش على قاب قوسين او ادنى وهنالك اخذوا يصلونه نارا حامية قابلهم بالحمم كالبراكين الثائرة ولكن استطاع القاوقجي الحربي واخوه العاص ان يصدوا حملة الاعداء عليهم مقدار ساعتين ونصف من الزمن هازئين بالصفحات التي كانت توالي اطلاق القذائف ترى وضاحكين بالمدافع التي كانت مقاذيفها تفري الصخر وتشق الارض وتحصد الخلق كل هذا ما كان يرعد للبطل الاكبر القاوقجي قلبا ولا كان لينال من نفسه شيئا ولا كان ايعمل بالعاص وباخوانه عملا اذ كانت المفرقعات بأيدي هؤلاء الصناديد وفي راسهم البطلين او بالاحرى قوتهم الكبرى القاوقجي والعاص اشد فعلا بالاعداء من كل ما كان العدو يرميهم به من حمم ولا نستطيع ان نسكت عن ما قام به ايضا البطل العزيز حسن الخراط في هذه المعركة من اعمال عظام سجلت له على صفحات التاريخ بمداد من نور ...

ان للتنظيم اثره الكبير والخطط الحربية مفعولها الاعظم وللقائد المحنك المجرب فضله الذي لا ينسى لا سيما في مثل حرب العصابات التي يقل فيها عادة عدد المجاهدين ويضؤل مقدار العتاد الديهم والمعدات فالقائد الخبير في مثل هذه المواقف يدير حركة رجاله على اصول الكر والفر فعندما يرى وجوب الاقدام والحملة على العدو ومهاجمته ومقارعته ، يأمر به اما عندما يرى ان الحكمة تقضي بالاحجام وبالانسحاب وبالتراجع للوثوب عند اللزوم يقول فيه لذلك كان القاوقجي العظيم واخيه العاص الكبير من هذه الرجال النادرة والقواد الكبيرة والابطال الحكيمة رايا تاخر النجدة وقلة العدد برجالهما كما ادركا كثرة العدو وتوفير العدد لديه وتالبه على الثائرين من كل ناحية لهذا اتفقا البطلان على ان يوعزا لاخوانهما المجاهدين بالانسحاب بلباقة ودهاء

وخبرة حتى تم ذلك بمعونة الله اذ القى الضباب حينئذ سجوفه فانسدلت عليهم في تلك الساعة تخفيهم عن عيون الاعداء .

تراجعوا رويدا رويدا بكل هوادة ولين الى النبك وهنالك هاجموا الجيش وقد امطروه نارا من خلف ما اعدوه من استحكامات اقاموها على الفن الحديث من حيث يتمكن كل منها ان يدافع بالنار عن بقية الاستحكامات .

وقعت الواقعة في صباح الرابع عشر من اذار وظلت حامية الوطيس متاججة الاوار يندلع لهيبها من حين الى حين حتى كان العصر وهنا خطر للمجاهد الاكبر والقائد الاعظم القاوقجي ان يفسح المجال للعدو من احتلال المصح الهولاندي الواقع غربي البلد وذلك لحيلة حربية وردته وسنرى ماكان من هذه المكيدة التي نصبها هذا القائد الحربي لاعدائه فاوقعهم فيها . نفذ هذا البطل الاعظم ذلك واستطاع العدو بخيلائه وكبريائه ان يحتل المستشفى الذي المعنا اليه ولكن ما كادان يستقر المقام برجال الجيش هناك حتى باغتهم المجاهدون بقوة كالصواعق انقضت عليهم فقارعوهم على ابواب المصح وطردوهم منه شر طردة وهزموهم اشنع هزيمة واحتلوه رغم انوف الاعداء وبذلك استعادوا جميع ما فقدوه بهجمات ثلاث متواليات فربحوا من العدو عددا وافرا وسلاحا عظيما وخيلا كثيرة . وفوق ذلك فقد صمدوا مصفحتين فعطلوهما . . .

وقد بدت في السماء طلائع خذلان العدو وظهرت الخسائر فيه كبرى اذ اصبح مدافعا بعد ان كان مهاجما وخمدت ناره بعد ان كانت متاججة وتعددت الثغر فيه بعد ان كان متراصا .

اما ما لانستطيع نكرانه فهو ان موالاة القتال اورثت المجاهدين نقصا بعتادهم الذي ربحوه فراوا من الحكمة ان لا يظلوا حتى تنفذ ذخيرتهم مخافة ان يقعوا حينئذ بأيدي الاعداء ووجدوا ان الوضع الحربي يتطلب التراجع تدريجيا حتى يكون الخطر بعيدا عنه .



من اشهر ابطال الثورة المجاهد الكبير السيد صبري العسلي
وسط اخوانه المجاهدين الاحرار بحسب حروف الهجاء السادة احمد العسلي
حكمت العسلي ، خير الدين اللبابيدي ، فائق العسلي ، ممدوح العظم
محمود عزيزية ، الامير نسيب شهاب وغيرهم

على ان الجيش عندما مني بهذه الخسائر كان على وشك أن ينسحب نهائيا لولا ان انجلى المجاهدون عن البلد فتقوى من جاشه وثبت من عزمه وهدأ من روعه فعاد الى احتلال البلد مجددا .

اجمع الزعماء الفنيون قاطبة على ان هذه المعركة هي من اكبر المعارك في القلمون اذ بدا فيها نظام الثورة واستبسال رجالها وشجاعة ابطالها وحنكة قوادها وخبرة زعمائها فهي من المعارك التي لا يغفل التاريخ ذكرها ويذكرها في جملة الوقائع الذهبية التي رفعت راس الثورة السورية عاليا ولقد احرز عند الله الاجر ولدى الناس الذكر فنال الشهادة التي طمع فيها وسعى سعيه لها في عيون العلق ثمانية عشر شهيدا منهم فؤاد رسلان من اهالي مدينة حمص والملازم ابراهيم صدقي من مدينة دمشق .

اما ماخسره العدو فقد قال البطل الكبير سعيد العاص : « خسائر العدو في اليوم الاول ثلاثة ارباع مدفعيته وفي اليوم الثاني اربعمئة قتيل » .

كانت اسود هذه المعركة التي هي احدى المعارك العظمى كل من الابطال الصناديد المشاهير والزعماء العظماء في طليعتهم القاوقجي الاكبر وسعيد العاص وصبري العلي وفائق العلي وحكمت العلي وزكي الحلبي وصادق الداغستاني ومنير الريس والطيار خير الدين اللبابيدي ويونس الخشور ومصطفى الشيخ عرابي وخالد القيصر وحسن الخراط واحمد منلا الكردي وابو مصطفى الحرستاني وابو شريف شرف وجميل العلواني وغيرهم مما لم تتصل بنا اسماؤهم .

ومما لا بد من الاتيان على ذكره هو ان اهالي النبك قد ابلوا الاعداء بلاء حسنا وانهم ذبوا عن حياض بلدهم بشجاعة وحماس وقوة مراس ذودا عن الوطن المشاح وعن الاغراض التي كان العدو يتوعدها من حين الى حين ويتهدد ربات الجمال فيها .

عندما كانت حملة الجنرال مارتي آتية الى النبك كانت جنودها ورجالها يقومون بكل مخجل مندي من قتل وسلب ونهب ومن اعتداء على شيوخ عجز

واطفال رضع وفتيات ابكار ونساء محصنات وتدمير للمآوي وحرق للمساكن واتلاف للطرف والنفائس من كل اثاث ورياش .

كان جيش المدنية ورجال الحضارة يفعل افاعيله هذه ويذيع بالخافقين انه قام باعمال انسانية لا يستطيع احد نكرانها من اطعام جياع وايواء متشردين وتوزيع اللبن على الرضع ممن لم تبلغ الفطام .

لقد اعلنوا في الملايين انهم رجال عدل وانصاف وقد حق لهم ان يقولوا ذلك اذ انهم انصفوا من عدم تركهم احدا من هؤلاء الوحوش يدب على الثرى لكثرة ما وزعوا من رصاص الرشاشات وما القوا من قنابل الطيارات وما قذفوا من حمم الدبابات وما اهلكوا من نفوس بريئة معصومة لا ذنب لها ولا جريرة الا انها خالدة هادئة وادعة ولكونها ليست افرنسية . فاذا كان هذا هو الذنب الذي استحقت عليه الموت فلتفاخر المدنية برجالها ولتباهي الحضارة بأقطابها ولتدل عصبة التمدين بما بعثت به لهذا الشرق المسكين !!. . .

ثورة قطنا :

لم تشأ ان تكون قاعدة وادي العجم اقل من بقية قراه قياما بالواجب لذلك قد سرى اليها لسان الثورة فتناولها على يد قائد مخفرها النائب الدركي الباسل احمد البارافي .

اخذ هذا الشجاع البارافي يعمل للثورة ما اوتي من قوة واقناع يستثير الحماس القومي ويستنهض الشعور الوطني حتى استطاع ان يضم اليه نفر من الجنود وبعض من الكرد في سعسع وعندها في العشرين من اذار سنة ١٩٢٦ اخذ بتعطيل الهواتف وقطع اسلاكها وايقاف المخابرات بينها وبين دمشق وداهم دار الحكومة فيها بهجوم عنيف قتل فيه الرئيس الدركي زكي الجاجة والعريف يوسف وكان من الافذاذ الذين ارسخوا اقدام الثورة.

هناك ورفعوا منار الجهاد في ذاك البلد كل من احمد بارافي ومحمد شريف الكردي ومحي‌الدين اغا قرجولي . فأعملوا النار في السراي من بعد ان أسروا الجنود الموالين للحكومة والسلطة وقد فكروا بان البقاء في البلد من بعد ما كان منهم فيها ليس من الصواب ولا من سداد الراي لذلك اخلوها تفاديا من ان تطوقهم قوة تاتيهم فيقعون في الاسر .

غادرها هؤلاء المجاهدون الاغيار وظلوا نائين عنها عشرة ايام اعادوا الكرة عليها فيما بعد ومعهم الثائر الدرزي الشهير محمود كيوان واخوانه المجاهدون الاحرار وهنا التقى الفريقان فكانت ساعة قتال ابرز فيها الرجال الثائرون من ضروب الحماس وصنوف المراس ما مني العدو بالهزيمة تاركا من وراءه ما يقرب من مئة قتيل فاستطاعوا ان يحتلوها ثانية رغم انف العدو وقسر ارادته وقد خسر الابطال نفرا قليلا منهم الضابط الشجاع الشيخ خطار الذي لم يذهب رخيصا فقد ابلى باعدائه قبل موته بلاء حسنا ثائرا لنفسه قبل ان يقضي نحبه .

بعد ان استقر بالمجاهدين المقام في قطنا عولوا على الجلاء عنها منسحبين الى الفوطة كي يقوموا بواجب الجهاد هناك ايضا .

الزحف الفرنسي على مناطق الثورة :

اخذت طلائع الربيع تبدو واخذت طلائع العدو تزحف اذ انها كانت تلك الجيوش مع الطبيعة في غفوة الكرى فلما هبت تلك هبت هذه ولما استيقظت الطبيعة من سباتها نهضت قوى الفرنسيين من سهادها وهكذا آلت رجال السلطة الفرنسية على نفسها ان تسيق الحملة في هذه المرة فترسل شيئا مما علق بها من ادران الفشل المتوالي ولعلها بالغة ما رمت اليه واستهدفته من قراع الثائرين وصدمهم الى ان يجلوا عن المناطق التي اجلوها عنها من قبل ...

ولقد مر بنا ان السلطة باشرت هذه الخطة التي اختطتها بالزحف على قلمون بقيادة الجنرال مارتي وقد المعنا الى ما كان من تلك الحملة مع الابطال المجاهدين . واليوم شاءت القيادة الفرنسية العليا ان تجعل المرحلة الثانية من عملها الاتجاه نحو اقليم البلان ووادي التيم المتلاصقين فجهزت لهذه الغاية قوتين عظيمتين غادرتا دمشق يوم ثالث نيسان اولاهما تحت امرة الجنرال مارتي التي تالفت من قواه التي رافقته من حمص وثانيتهما بقيادة الكولونيل ماسيت وجهتها سعسع ومجدل شمس .

لقد شاءت الحملة الاخرى ان تتصل بحملة الكولونيل ليمانفرانكور التي اتمت تجهيزها في صيدا سائرة بخيام جسر العجر وجهتها مجدل شمس مستقر المجاهدين في وادي التيم واقليم البلان ومركزه الاكبر وهي الواقعة فى منحدر جبل مرحون – جبل الشيخ – بمكان متوسط بين دمشق والقنيطرة وقطنا وحاصبيا وراشيا .

كان رجال السلطة العسكرية الافرنسية آلوا على انفسهم قمع الثورة بأي شكل كان وعن اية طريقة كانت مهما كان السبيل المؤدي الى هذه الغاية شائكا مستنكرا مستهجنا وقديما سار الفرنسيون ويسيرون على قاعدة « الغاية تبرر الواسطة » . فمهما كلفت الغاية لبلوغها من احسن ومحن ونكبات تصبها على الناس اجمعين ما تحجم عن اتيان ذلك طالما انه موصلها الى هدفها الذي استهدفته وسددت رميها اليه لذلك كانت وضعت رجال الحملات نصب اعينهم التدمير والفتك الذريع والتخريب والتقتيل والتنكيل وكل انواع المآسي وكل انواع المدنيات الاوروبية والحضارات الجهنمية فليس بدعا اذا ما سارت هذه الحملات على هذه الاسس والاركان في سيرها متخذة هذه الافاعيل المخجلة المؤلمة ذرائع ووسائل لبلوغ الاهداف والمرامي . ومن البداهة ان تحرز بعض الظفر في بعض الاحيان او اغلبها ما دامت تحارب قوما لاعتاد لهم الا القلوب الطافحة بالايمان الوطني والنفوس الزاهرة بالعقيدة القومية والصدور الملتهبة بنار الحرية وطبيعي ان تستطيع اخذ كثير من هؤلاء الناس

اخذ عزيز مقتدر . على ان مالا ينكر على رجال الثورة شديد طعانهم وكبير صمودهم وعظيم قتالهم الذي كم مرة علم الفرنسيين مواقع النزال . فاذا ما ظفر الفرنسيون على شرذمة من الاحرار الوطنيين الذين هم عزل بالنسبة اليها بالحقيقة النصر لهم والخذلان لهذه القوى التي كانت تتدرع تارة بالحديد المصفح خوف الاجسام وتارة بالاسلاك الشائكة خوف القلوب وتارة بالحمم من الطائرات في السماء خشية هذه النفوس الابية الشماء فانتصار الكمي المدجج بالسلاح على اعزل خلو من كل ما يجرح او يؤذي من الوسائل الحربية هو بالحقيقة فشل للاول ونصر وفخر ومجد للثاني . فالمجاهدون بالنسبة الى الفرنسيين على هذه البندقية في ايدي الاول والسيف وعلى جميع انواع المعدات الحربية في يدي الثاني تجعل الاول اعزلا والآخر كميا وهذا المثل ينطبق بحقيقته على الوطنيين والفرنسيين .

لهذا استطاعت هذه الحملات العظمى في ثالث عشر نيسان ـ ابريل ـ ان تحتل مجدل شمس بعد صدام عنيف دارت رحاه بينها وبين الابطال المجاهدين ولكن مما يرفع راس الثائرين عاليا ان السلطة الفرنسية ما استطاعت ان تحتل مجدل شمس وفيها حجر على حجر بل استطاعت ان تحتل ارضا بلقعا بورا دمرتها عندما كانت مشيدة البنيان شامخة الذرى بطائراتها الحربية فجعلت منها خرابا يبابا ينعق البوم فيه .

اتخذت السلطة من هذه القرية مركزا حربيا كما اتخذت من القنيطرة ومرجعيون وحاصبيا قواعد ايضا والذي يهنأ الفرنسيون عليه انهم ما استطاعوا ان يخترقوا وادي التيم ومعظم قرى الدروز القائمة في جبل الشيخ الا بعد ان هدموها تهديما وجعلو منها بلاقع .

وبعد أن امن الفرنسيون مراكزهم في قلمون وفي اقليم البلان اعدوا العدة لمهاجمة الجبل الاشم فألفوا قوات كبرى روى بعض المؤرخون انها ناهزت العشرين الفا من كل من المسيفرة وازرع وبصرى اسكي شام .

ان المعارك التي خاضتها الرجال العسكريون مع بني معروف من قبل قد دعتهم لان لايستهينوا بالجبل وان يعملوا امام خصم عنيد ليس من اليسر والسهولة الاستيلاء على عرينه بالدرجة التي يمكن للمرء ان يتخيلها بله التفكير الاول . فالسلطة عالمة بما انطوى عليه هذا الشعب الابي من كل شجاعة وحماس وحمية كتب له في اكثر المواقع ان لم يكن بأجمعها الظفر المبين والنصر المكين على الفرنسيين . لكل هذا خشي الفرنسيون ان يمنوا بالفشل في هذه المرة كما كان شأنهم في غيرها بكثير من المرات فجمعوا شملهم ووحدوا صفوفهم وقاموا بحملة صادقة من نواح متعددة تكسبهم الظفر وتربحهم المعركة لذلك قالوا بوجوب الزحف على الجبل من وجهات ثلاث في آن واحد وقد اقاموا قواعد حربية في هذه البلاد التي ذكرناها السيفرة وغيرها سلطوا فيها المدافع الضخمة على القرى الدرزية المقابلة لحوران قصد ضربها في اول وهلة .

كان بنو معروف على علم عليم بما اريد بهم وكانوا غير جاهلين ما نصبه العدو لهم من حبائل ومكائد وما اتخذه لاخضاعهم من وسائل وذرائع وكانوا يذكرون ما كان من هزيمة الجيش الفرنسي عقيب معارك تشرين الاول من عام ١٩٢٥ يوم انهزم الجيش شر هزيمة واندحر اعظم اندحار وولى وجهه شطر الغوطة عساه يبلغ مناه من ثوارها من بعد ان عجز عن بلوغ مآربه في الجبل .

وقد كانت رجال السلطة تعزو عدم انتصارها الى شح الماء هناك وكانت تقول بان القوة الصغرى تعجز عن ان تقتحم تلك البقاع كما ان الجيش اللجب يقضي فيها من الظما وكانت تود ان تحتل صلخد في الجنوب وبناء قلاع في الغرب ...

على ان الحقيقة ليست كذلك وان الفرنسيين ذعروا لسوء المغبة في دمشق وحمص وحماه وحلب ولذلك عادوا الى الغوطة كما المعنا . لقد استطاع

دي جوفنيل ان يحدث في الجبل دعاية واسعة النطاق له والفرنسيين حتى ان احد مشايخ بني معروف وهو اسماعيل عبد الدين من السويداء كان انتدبه بعض الزعماء لكي يقدم كتابا الى الكومندان كوستيلير يتضمن ما يريدونه منه من المطاليب فعاد الشيخ اسماعيل المذكور الى السويداء في الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ يبلغ القوم ما اجابه به كوستيلير ردا على الرسالة قال له :

« لا اسمح هنالك ان يكون في الجبل زعيم وان هذه المفاسد هي من الدكتور شهبندر وهو رجل فرمسون لا دين له والشروط التي نطلبها هي أن تعيدوا جميع اسلحة فرنسا وتؤدوا ثمن الخيل الاميرية التي بعتموها في شرقي الاردن وتعيدوا بناء القلعة وسائر دوائر الحكومة الى حالتها السابق وتضعوا سلاحكم في محل تأمنون عليه وتأتوا خاضعين بعد اخراج الدكتور شهبندر من الجبل ولا بأس ان تجتمعوا للمذاكرة ولكن على شرط ان تضعوا في مقدمة رسالتكم اشارة خضوعكم ثم توقعوها لا بصورة فردية بل بعدد كبير من الرجال منعا للزعامة التي تأباها فرنسا ولا بد من استدعاء جميع العصابات التي تعبث بالامن خارج الجبل وانني لا اضمن العفو عن احد » .

ان ارتداد الجيش في ذلك الحين وعودة الجبل ورجاله الى مزاولة الاعمال والراحة يسيرا من عناء الطعن والضرب كل هذا كان مدعاة للم الشعث وشحذ الهمة والتأهب للنضال عندما يأتي آوانه وقد كان فشل مفاوضات الصلح التي دارت خلال كانون الثاني وعلى الاخص جواب كوستيلير التي كانت خطيئة أضيفت الى خطيئة سارايل الاولى التي امتنع بها عن مقابلة الزعماء كل هذا كان من قبيل الحافز والمهيج لبني معروف لا سيما ما أضيف على ذلك من تهديد اندريا ووعيده وجبروت دي‌جوفنيل وخيلائه مما اوقد نيران الحماسة في القلوب واجج ضرام الحمية في النفوس فعاهدوا الله وانفسهم على مواصلة القتال حتى الموت وحتى الحياة الابدية الخالدة وهي الشهادة وعكفوا على بعضهم بعضا يعجمون عود رجالهم ويغمزون من قناتها

فيرون ماذا يصنع القوم عندما يلتقي الجمعان ففازوا بالنتيجة التي هدات ارواعهم وسكنت نفوسهم وامنت لهم مواصلة الطعان تعاهدوا على ان ترسل كل قرية محاربين من ابطالها للتناوب الى ان ينبلج الفجر لذي عينين والى ان يكتب الله لهم الحياة ابدا او الموت سرمدا .

واتفقوا على ان يرسل ايضا الى الكومندان كوستيلير قائد درعا رسالة تتضمن مطاليب الثورة وان يطلبوا اليه تقديمها الى المفوض السامي وانه المسؤول عن عدم تقديمها وقد قرروا تشكيل لجنة تدير الجبل ثم اخذ الجمع بالتذاكر في امر حملتين ترجح احداهما على الاخرى الاولى حملة الغوطة والثانية حملة اللجاه وحوران وقد بحثوا أي الحملتين يجب ان تكون هي المرسلة فتقرر بالاكثرية هذه الاخيرة لاسباب كانت بنظر من ارتآها وجيهة وقد كانوا على حق فيما ذهبوا اليه لقرب المكان من الجبل من ناحية ولانه اذا كتب لها الظفر تنهض بالعبء الثقيل عن الغوطة وتخفف الوطأة عن المناطق الشمالية السورية .

محاولة اغتيال الزعيم الشهبندر

من الغريب جدا ان تجنح السلطة الفرنسية الى اسلوب بالحقيقة مهين فهذه الزوبعة التي اتخذتها السلطة الفرنسية للتشفي من الزعيم والانتقام منه لا يجنح اليها شجاع شريف عندما عيت عن ان تنال منه منالا في ساحات الشرف وفي مواطن السياسة لجأت الى نفر هزيل الايمان ضعيف الضمير مريض الوجدان قد نال منه الجبن منتهاه وبلغت به الضعة والذلة والدناءة احط دركة لقد استعانت بمن وصفناه كي يغتال الزعيم شهبندر الذي لم يكن له من جريرة يستحق عليها ما ارادوه له الا منتهى الاخلاص وآخر درجات التضحية واعظم ضروب المفاداة في سبيل الوطن والحرية والشعب العربي في سورية والعرب اجمعين .

كان هذا الكومندان الشجاع كوستيلير احد رجال عسكري فرنسا الذين لهـا ان تباهي بهم يخشى ان يلقى رجال بني معروف فينتزع من بينهم خصمه الالد الزعيم الشهبندر فلجا الى ظاهر القنطار وابراهيم الاطرش يغريهما بالمال ويمنيهما باطيب الآمال ويغدق عليهم من الوعود ما لم يستطع مفوضه السامي ان يبر بواحدة منها لاغتيال الزعيم الشهبندر .

لقد شاء هذا الضابط الباسل ان يفر من المعركة وجها لوجه وان يكتب لـه بذلك آية الظفر لو استطاع الى ذلك سبيلا ولكن انى له ان ينال من زعيم مخلص مبتغاه وهو الذي يخشى المعركة ان تثور والطعان ان يتم والواقعة ان تقع وقد كان عهدنا بكوستيلير ان يكون على شيء من جراة وشهامة وشجاعة ولكن ما ارانا اياه قد جعلنا نغير عقيدتنا وان نعدل عن راينا ونتأكد من اننا كنا واهمون .

لقد كانت السيدة المصونة ... التي تمت الى الوجيه الكبير السيد ابراهيم حاصباني من القرابة بسبب انبل قصدا من ظاهر القنطار وابراهيم الاطرش اذ انها ابى عليها اباؤها وعروبتها ان تسف الى هذه الدركة الدنيئة من الغدر واللؤم والخيانة فلم تسكت على هذه المؤامرة الوضيعة الحقيرة الدنيئة وذهبت الى الزعيم الشهبندر في التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٩٢٦ تعلمه بما كان قائلة بأن مالا وفيرا قد ارصد لانفاذ هـذه المؤامرة الوضيعة وقد ايد ابو محمود نسيب صخر للزعيم الشهبندر ان ابراهيم الاطرش وعده بخمسمئة ليرة عثمانية ذهبية ان مكنه من مباغتة دار الزعيم ليلا وفتح له باب حجرته فما كان من السيد الكريم ابو محمود المذكور الا ان رفض باباء وشمم ما عرضه عليه هذا الوغد اللئيم فكان بذلك اعظم مضحي واكبر فادي وقد استحق من العرب قاطبة الثناء الاغزر والشكر الاعطر والتمجيد والتخليد كما وان نفس الوجيه السيد الحاصباني المذكور قد اكد له تكليف الفرنسيين لظاهر القنطار باغتيال الزعيم لقاء خمسة آلاف ليرة عثمانية ذهبا لا سيما وان اسماعيل عبد الله قد ذكر هذا النبأ للمجاهد الكبير عبد الغفار باشا الاطرش .

معركة السويداء الكبرى

بعد ان قام المجاهدون الابرار بالتمهيد الى يوم الطعان والقتال لجأوا يتحرون رجالهم ليعلموا مبلغ الوطنية فيهم فأخذوا يتصفحون تاريخ اعمال كل رجل من رجالهم البوارز فراوا ان في القوم لا بد من زعانف يقتضي ازالتها لانها كالجراثيم الفتاكة في الجسم وقالوا بوجوب القضاء على هذا القسم الضار من البشر وما هو الا ذلك الجاسوس الذي اكل لحم اخيه لحما ميتا والذي مالأ السلطة وداهنها وسعى امامها على اخيه الذي عاش وابى ان يعيش زمنا طويلا . راوا ان فارس الاطرش في قرية ذيبين وعبده الاطرش في قرية المجيمر من هذه الجراثيم الفتاكة او بالاحرى من الطفيليات التي تعيش بالذل والغفلة والجبن والنذالة فلا تستطيع ان تذر قرنها الا اذا خيم الدجى او اذا كان القوم في غفلة كان هذان النذلان خائني العشيرة والوطن خرجا على بني معروف في نضالها ولم يكونا لوحدهما فحسب بل ان هنالك كل من اخوتهم في الخيانات نجيب عامر وتركي عامر وعبد الكريم نصر هؤلاء الذين آثروا ان يكونوا في جانب الجبن والرعددة على ان يكونوا في جانب المجد والفخار فهم شاءوا ان يسموا في عداد الخائنين بانضمامهم للفرنسيين على ان يكونوا في صفوف الوطنيين المجاهدين . اجمع الراي على حرق بيوت هؤلاء الخونة جميعا وتطهير الشعب الدرزي من هذه الادران التي ما شاء ان تظل عالقة به فتدنسه .

عقد زعماء الوطنية اجتماعا في قرية داما ـ اللجاه ـ في الخامس والعشرين من شباط سنة ١٩٢٦ بدار المجاهد الكبير شبيب القنطار حضره عدد كبير من الزعماء سلطان باشا وعبد الغفار باشا والمرحوم الامير حمد وعقلة القطامي وصياح الحمود وسلمان وفضل الله آل الاطرش ومن العوامرة علي وهائل والامير عادل ارسلان وتوفيق حيدر وعلي عبيد وجابر الصغير

وغيرهم كانت الغاية من هذا الاجتماع البحث في الدعوة التي اذاعها المسيو دي جوفنيل حاثا فيها على السلام فاجمعوا على مجاوبته بكتاب شديد اللهجة خلو من العبارات الديبلوماسية ومن الالفاظ السياسية .

اننا لا نبخس الناس اشياءهم ولا نقول للمخطيء اصبت ولا للمصيب اخطات ان دي جوفنيل على علاته وعلى ما هو عليه لا يخرج عن كونه مندوب لدولة كبرى كفرنسا لها نفوذها ولها مكانتها ولها حولها وعظمتها تحت الشمس فليس من الحكمة ولا من المصلحة في شيء ان يجنح الابطال المجاهدون الى مخاطبة المفوض السامي بتلك اللهجة القاسية التي ما كان حريا بهم ان يستعملوها في مخاطبة رجل كدي جوفنيل ولذلك فاننا نسطر لهم هذه الخطيئة التي ما كنا نود ان يقترفوها ولو كان المسيو دي جوفنيل بالحقيقة غير بار بوعد وغير منفذ لعهد وقد اجمع المجاهدون على مجاوبته بطلب الجلاء عن سورية عقيب اجتماع المجلس التاسيسي بشهرين مما دعاه لان يجيبهم بعدم المسالمة او المفاوضة ما لم يخضع الثائرون ويلقوا السلاح وفي اليوم الثاني برح المجاهدون هذه القرية الى لب اللجاه فكانوا يحتلون ما يمرون به من الاماكن من غير مقاومة تقريبا من ذلك قرية جدل . سيطروا على اللجاه واتخذوه موقعا لغاراتهم على مواقع الفرنسيين في حوران وعلى الاخص للاغارة على الخط الحديدي بغية عرقلة النقل الفرنسي .

هذا ما كان من الوطنيين اما ما قام به الفرنسيون فهو انهم عقدوا العزيمة على التوجه نحو السويداء وبداوا في الزحف عليها يوم ثالث وعشرين نيسان عام ١٩٢٦ وكان القائد في هذه الحملة الجنرال اندريا سار الجيش وقد شقت الطائرات امامه السبيل فاغارت في الثاني والعشرين من نيسان المذكور على قرى الجبل كأم الرمان وصلخد وعرى وكانت تمطر كل من هذه المواطن والاماكن وبالا من القنابل والقذائف كانت الطيارات من السماء والمدافع الضخمة الراكزة في الاماكن التي المعنا اليها في حوران تصب الحمم والقذائف تترى زحف الجيش الفرنسي في هذه المرة من ناحيتين فسارت الحملة الاولى صباح

الاثنين والعشرين من نيسان مبارحة اذرع حتى وصلت قرية الفازية فاحتلتها بلا حادث اما الحملة الثانية وهي التي كانت دعيت بالقوات الرئيسية والتي كان نفس الجنرال اندريا يقودها فانها غادرت السفرة صباح الثالث والعشرين من نيسان متجهة الى قرية ام ولد وقد احتلتها من غير مقاومة كان الثائرون قد اجمعوا على ان لا يشتركوا مع الجيش بعراك حتى يستطيعوا انفاذ الخطة التي عزموا على تحقيقها لذلك كانت الحملة تسير بكل امان واطمئنان من غير منازع ولا معارض مما دفع الحملة الاولى للزحف من الفازية صباح الرابع والعشرين من نيسان محتلة في الزوال تل الحديد قاضية فيه ليلها كما استولت الحملة الثانية على قرية عرى وبذلك تم للحملتان الالتقاء والسير في صباح الخامس والعشرين من نيسان المذكور الى السويداء فاخذ الجيش بضرب هذه المدينة في الصباح الباكر من يوم الاحد المذكور وظلت رجال المدفعية توالي الضرب حتى كانت الساعة الثانية من الصباح وفيه اقلعت قليلا وتريثت يسيرا وظلت ربع ساعة ثم استانفت الرمي وظلت احدى عشر طائرة في السويداء ترميها بالنار المتواصل والقوى تبعث بالقذائف من كل ناحية وصوب من السماء والارض حتى الظهر ولقد اشتد اطلاق القذائف لدرجة كان يبعثر الاحجار ويملأ السماء دخانا فإنحجبت الغزالة عن الانظار وفي الزوال كان الجيش في السويداء بعد معركة ما تهاون القائد العام السلطان واخوانه المجاهدين الابطال فيها قليلا ولا كثيرا ولا ولوا وجوههم عن الموت يسيرا او غزيرا ولا تركوا للخصم مجال الظفر بهم وفي يدهم سلاح او لدى ذويهم عتاد ... اجل راى المجاهدون ان الخطط الحربية تقضي بالارتحال من بعد ان نفذت من بين ايديهم كل وسائل الدفاع ومن بعد ان راوا ذلك تركوا المجال للعدو يعمل ما يشاء ولكل حادث حديث .

ولى المجاهدون وجههم شطر الشرق ونزل السلطان ورجاله الاشاوس على عين الخشبة وتوجه الزعيم الشهبندر ومن كان اليه نحو قرية سالة حيث كان من قبل قد التحق به من جنود التونسيين الفارين من الجيش

الفرنسي قبل معركة السويداء عدد غفير فمنهم من سافر بعدها الى عمان. ومنهم من توجه الى الفوطة وقد استبسل الكثير فكان شهيد الوغى بكل. فخار اما الآخرون من المجاهدين فقد قصدوا العنات وغيرها من قرى المقرن الشرقي وكانوا على اتصال مع بعضهم بعضا .

لقد ضحى الزعيم الدكتور الشهبندر براحته ونظامه الخاص في كل موطن من مواطن الثورة وكان واقفا نفسه وشخصه على مداواة الجرحى ومعالجة المصابين من الثائرين ومذ كان المجاهد والحكيم امين رويحة وزملائه الاطباء والصيدلي سليمان المصراني ليقلوا جميعا عن الزعيم الشهبندر. حيث كانوا يقومون باسعاف من هو بحاجة الى اسعافه فيضمدون للمجروح جراحه ويواسون للمكلوم آلامه فكانوا يخففون بذلك الكثير من العناء على هؤلاء الابطال فكانوا لما قاموا به اعظم وقع واجمل اثر .

الداماد احمد نامي وبيئته

لم يأل المفوض السامي جهدا في السعي وراء ايجاد من يساعده على تهدئة الثورة بتأليف حكومة وطنية وقد حاول عبثا ان يجد من يأخذ بيده على انفاذ مراميه مما جعله ان يستأنف العودة على الشيخ تاج عله يستطيع ان يقنعه بما اراد من التعاون واياه فاصطدم باصرار الشيخ على تنفيذ برنامجه فانعكف على الاتصال بالرئيس الجليل هاشم الاتاسي والزعيم الكبير ابراهيم هنانو عله يجد عندهما ما فقده لدى غيرهما من التعاون معه فما كان نصيبه منهما الا الاعراض والرفض مشترطين لاجابة سؤله اجابته مطاليب البلاد وعندما بلغ به القنوط منتهاه ولى وجهه شطر الداماد احمد نامي من رضي بأن يتولى رئاسة الحكومة السورية والذي شدد في عزم المفوض على اعلان هذا الحدث السياسي في سورية ما رآه من احتلال اندريا الى السويداء اذ ثاني يوم دخول الجيش الفرنسي قاعدة الجبل اصدر المفوض في



من مشاهير ابطال الثورة الطبيب الجراح الكبير امين رويحة
مع المجاهد الباسل ابو شاكر القلمجي

الثالث والعشرين من نيسان قرارا جاء في مادته الاولى :

« عينت الداماد احمد نامي بك رئيسا لدولة سورية الى ان يلتئم البرلمان. الى ان ينتخب قانونا ويعين بنفسه رئيس الدولة » .

وفي الثامن والعشرين من الشهر المذكور اذاع الداماد بيانه التالي :

« لقد قاسمت واقاسم جميع اماني الشعب السوري وقد تالمت واتالم لجميع آلامه واذا كنت اتحمل اليوم مسؤولية الحكومة الموقتة فذلك لكي اساعد سورية على تحقيق امانيها وعلى تخفيف آلامها اننا لا نقدر ان نصل الى غايتنا بالقوة بل بالمخابرات وبالاعتماد على الحق وليس علينا ضد الدولة المنتدبة ان ننال نجاحا بل بمساعدتها وليس بمحاربة اخواننا الذين ولدوا على ارض هذا الوطن مثلنا نوجد الوحدة السورية بل باستمالتهم الينا ان الثورة قد كلفت الوفا من الضحايا البشرية وخربت مدنا كاملة وحكمت على الغلال ان تهرأ تحت الاشجار وفي الحقول بل انها زادت في عمق الهوة التي تفصلنا عن الاسكندرونة والعلويين ولبنان في حين ان ضروريات حياتنا الوطنية تأمرنا ان نطمر هذه الهوة بفتح منفذ على البحر لحلب ودمشق وستسعى حكومتي لنيله بالطرق السلمية .

ومن جهة اخرى سنتخابر مع الدولة المنتدبة لاعطاء الانتداب شكل معاهدة مستمدة من المعاهدة المعقودة بين انكلترا والعراق واخيرا فاننا نعجل بانتخاب جمعية تأسيسية يعترف بواسطتها بحقوق جميع السوريين في استعمال الحرية والاستقلال .

فليثق الشعب السوري ويصبر فالنجاح امامنا انه يكفي لمحق سنابل القمح النافعة مطرة واحدة من البرد غير انه يلزم اياما عديدة بل اسابيع وشهور لينمو القمح ويحين الحصاد تلك هي شريعة الحياة التي لا يمكن نكرانها .

فاذا سرتم معنا على طريق هذه الشريعة ترون اذ ذاك نهاية العذاب والشقاء وتحققون رويدا رويدا في السلم والراحة مطاليب القلوب السورية ».

وفي الثلاثين من الشهر الملمع اليه كان المفوض والداماد في دمشق يعملان لتاليف الوزارة وقد صادفتهما عقبات شديدة وبالجهد الجهيد حتى تمكن الداماد ان يضم الى وزارته قسما من العناصر الوطنية فالفها في رابع مايس سنة ١٩٢٦ من الرجال الآتية : فارس الخوري للمعارف لطفي الحفار للزراعة والري حسني البرازي للداخلية شاكر نعمت الشعباني للمالية يوسف الحكيم للعدلية واثق المؤيد للاشغال العامة .

ونشرت هذه الحكومة الموقتة برنامجها الذي اقره المفوض السامي :

« الى الشعب السوري الكريم :

غير خاف على احد ما بلغته الكارثة الحاضرة من ايقاع الدمار والبلاء في هذا الوطن السوري المحبوب فقد تواترت عليه المصاعب المفجعة في الاشهر العشرة الماضية حتى كادت تقوض ما بناه لنفسه من آثار الحياة والعمران وبات الحذر شديدا من الاتيان على ثمرات جهود الاجيال السالفة والجيل الحاضر .

لقد اصبح الموقف رهيبا وكاد يقضي على شعاع الامل بالخروج من هذه المآزق الضيقة ولم يعد منصب الحكم والولاية يستهوي احدا في هذه الايام العصيبة .

عندما دعينا لتسلم ازمة الادارة في سورية وقفنا برهة موقف التردد والحيرة متهيبين اقتحام هذه الغمرة وقبول ما فيها من التبعة ونحن عالمون ان انهاض هذا الوطن من كبوته واقالته من عثاره يحتاج الى مفاداة ابنائه ومغامرتهم باشخاصهم .

نحن نعلم ان للامة السورية حقوقا مشروعة تريد ادراكها وتعمد في نيلها على قوة الحق التي لا تغالب وبحسب هذه العقيدة ما زلنا من القائلين بوجوب العمل بالطرق الدستورية والوسائل القانونية . ومهما كانت نتيجة الثورة الحاضرة لا تتبدل امانينا الوطنية ولا تضعف عزائمنا عن متابعة قضيتنا والمطالبة بحقوقنا بالطرق السلمية المشروعة تلك الاماني التي كانت الامة

تسعى وراء تحقيقها منذ عهد قديم .

جاء المسيو دي جوفنيل المفوض السامي واعلن انه قادم لانالة الشعب السوري حقوقه وقد مرت بضعة اشهر والمفاوضات تجري بينه وبين السوريين لايجاد اسلوب ملائم تحل به المشكلة الحاضرة بانالة السوريين حقوقهم وازالة اسباب شكاويهم وهو معدود من نوابغ الفرنسيين ومشبع بروح الحرية والانصاف . وله في جميع الامم مواقف كثيرة وله مزايا بارزة في نصرة الحق وتأييد العدل .

قبل ان وافقنا على تلبية الدعوة بتأليف حكومتنا الحاضرة وضعنا امامنا في ساحة التأمل والاعتبار امورا كثيرة تتناول قوة الحق في جانب قضيتنا الوطنية والوعود المكتوبة والشفهية التي تلقيناها من فخامة المفوض السامي وشخصية هذا العميد البارزة في العالم الاوروبي مع الثقة المتبادلة بينه وبين حكومتنا السورية ولزوم الاعتماد المتقابل والتعاون الحقيقي بيننا وبين الفرنسيين لنتمكن من الاستفادة بعملهم وخبرتهم ولتعود الى البلاد سكينتها وسلامتها وما ادى اليه فقدان الثقة ومساوىء الادارة الماضية من خراب بلادنا وتدميرها وخطأ الموقف السلبي حيال كوارث البلاد الحيوية والاقتصادية وحيال الامن المضطرب والاموال المندثرة والدماء المسفوكة .

بعد ان تاملنا كثيرا في هذه الامور وقابلناها مع معكوساتها في الكفة الاخرى قضى علينا العقل والغيرة الوطنية ان نستخير الله ونعالج هذا الامر ونحن معتمدون في نيل النجاح على مؤازرة الشعب السوري الكريم وتاييده في هذه المهمة الشاقة . وقد عاهدنا انفسنا ان لا نجازف بشيء من حقوق الامة المشروعة .

ان حكومتنا قد اتخذت قاعدة لاعمالها البرنامج الآتي تسعى لتحقيقه :

١ ــ دعوة الجمعية التأسيسية لتولي سن دستور البلاد على قاعدة السيادة القومية .

٢ ــ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية لمدة ثلاثين

سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الامتين مماثلة للمعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السوري ويحتفظ فيها لفرنسا بالنفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي فقط على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية .

٣ ـ تحقيق الوحدة السورية بالوسائل التي باشرنا باجرائها منذ الآن وستظهر للامة نتائجها المثمرة في القريب العاجل انشاء الله .

٤ ـ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والاجانب معا .

٥ ـ تاليف جيش وطني بحيث تتمكن البلاد الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد .

٦ ـ طلب ادخال سورية في عصبة الامم واعطائها حق التمثيل الخارجي اسوة بالعراق .

٧ ـ درس اصلاح النظام النقدي الحالي واعادة الاساس الذهبي في عملة البلاد الرسمية بصورة تدريجية .

٨ ـ استحصال العفو العام عن جميع اصحاب الجرائم السياسية مع الاحتفاظ بالحقوق الشخصية .

٩ ـ استحصال قرار بالغاء الغرامات الحربية عن دمشق وغيرها .

١٠ ـ ايجاد طريقة للتعويض على منكوبي الثورة .

هذا هو الهدف الاصلي من برنامج حكومتنا الموقتة لاعادة السلام وتحقيق اماني البلاد بالسرعة الممكنة . ولما كان هذا البرنامج يحقق قسما كبيرا من الاماني الوطنية وحقوق البلاد فاننا نرجو من الامة السورية الكريمة مؤازرتنا لنتمكن من تنفيذه باقرب وقت مستطاع والله من وراء القصد » .

على اثر تاليف الوزارة اخذ المفوض يفاوض الحكومة الحديثة في قضايا البلاد . وظلت هذه المفاوضات تدور بين الجانبين نحوا من اسبوعين فكان ممثل الجانب السوري فيها مجلس الوزراء ويمثل الجانب الفرنسي بها

المندوب الممتاز في دمشق بير اليب ورئيس الاستخبارات في المفوضية العليا الكولونيل كاترو واشترك نفس المفوض بها ايضا .
كانت خاتمة هذه المباحث توقيع المفوض السامي على وثيقتين أولاهما تتضمن ما جاء في البيان الوزاري ومواده العشرة ـ نشرناهما حديثا ـ . وثانيتهما تتعلق بطريقة انفاذ كل مادة من مواد البيان العشر وهذه لما تنشر بعد ...
ناول المندوب الداماد رسالتين خطهما بيده مخاطبا اياه بهما معترفا بالاولى بحق سورية ان تحصل على ثغر بحري متعهدا باعطائها طرابلس وعكار على طول الخط الحديدي الى بعلبك حيث تتصل طرابلس الشام بدمشق راسا من غير ان يمر الخط الحديدي بأرض لبنانية . كما انه اقر في الوثيقة الثانية بوجوب الوحدة السورية واعدا بتحقيقها على اساس التفاهم بين فرنسا وسورية من ناحية وبين سورية ولبنان من ناحية اخرى . والرسالتان مؤرختان في اواخر شهر نيسان سنة ١٩٢٦ وهما محفوظتان لدى الداماد ولم تنشرا .
لقد وقف بعض الزعماء البطريرك واميل اده على ما كان بين المفوض ورجال الحكومة السورية فآل الاخير على نفسه ان يقوم باقناع ابناء طائفته بعدم ادائها ممانعة ما بصدد ضم طرابلس الشام الى سورية وتوثيقا لذلك فقد وقع بخط يده على الوثيقة المتعلقة بالوحدة ومما استطاع الداماد ان يتفق عليه مع المندوب هو ان تتحقق الوحدة السورية عن طريق المفاوضات وذلك بعقد معاهدة بين الحكومتين السورية واللبنانية تتعهد كل منهما للاخرى بعدم اللجوء الى السلاح وبعدم الجنوح الى اي نوع من انواع الشدة في سبيل حل مشكلات الحدود . وان تتضمن المعاهدتان سلخ الاقضية الاربعة وطرابلس الشام وعكار عن لبنان وعند الاختلاف بين الحكومتين يكون المندوب السامي حكما بينهما والحكم الصادر عنه قابل للتمييز لدى جامعة الامم .
كأنا بالمفوض السامي لا يلقي الكلام الا على عواهنه وكانا به عندما يتكلم ،

يضمر في نفسه الاخلاف بالوعد والنكث بالعهد .

فمن بعد ان وعد بما المعنا اليه وعاهد الحكومة السورية بما نوهنا به من عهود صريحة لا لبس فيها ولا ابهام ومن بعد ان آلى على نفسه تحقيق الوحدة السورية بسلخ الاقضية الاربعة وطرابلس الشام وعكار عن لبنان واعادتها الى احضان امها سورية كان خامس عشر مايس سنة ١٩٢٥ وفيه اعلن موافقته على دستور لبنان الجديد الذي ينص بصراحة تامة على ان اراضي لبنان وحدة لا تتجزأ ولا يجوز التنازل عن قسم منها وانه يجب انشاء جمهورية ذات نظام برلماني تتالف من مجلسين . وبالفعل فقد تم ذلك في السادس والعشرين من مايس فاحتفل بتاليفها احتفالا رسميا منقطع النظير .

لم يكن العهد برجال فرنسا ام الحرية الذين توفدهم الى هذه البلاد ان يكونوا كمن لا يحفظ الا ولا عهدا ولا يرعى ودا او زماما وانا اذا كنا نأسف لشيء فانما اسفنا ان الرجل الكبير تكون مكانته بنسبة ما يحافظ على كلمة يقولها او وعد ينجزه هذا ما تعلمه الامم الشرقية المتهمة بالوحشية وهذا ما تحافظ عليه رغم ما تنعت فيه من الاوربي فما قول العالم المتمدن بمندوب سام يعد اليوم ويخلف فيما يليه من ايام يعد ويؤيد وعده بخط يده بوثائق رسمية فما قيمة الصكوك اذن ؟ طالما ان حكومة مع حكومة لا تقيد واحدة منها بما تم الاتفاق عليه خطيا اذن لا ذنب لفرد من افراد الناس اذا انكر مفعول صك من الصكوك التي تقيده طالما ان المجموعة الكبرى لامة عظمى كفرنسا لم تستنكر على ممثلها في الشرق ان ينكث ما عاهد وينقض ما وعد ...

كنا نربأ بالمفوض السامي ان يكون الى هذا الحد متراجعا فيمحو ماسجل على نفسه بيده ويقول في الغد عكس ما قاله اليوم . ان هذا الموقف المترجرج الذي وقفه المفوض وهذا العمل المتناقض الذي عمله المندوب قد لفت نظر وزير سوري اذ لم يستطع السكوت عن سؤال المفوض عن كيفية التوفيق والجمع بين الكلامين فقال له المندوب : « لا ارى فرقا بين دستور لبنان

وبيان الحكومة السورية ما دامت وزارة الخارجية وجمعية الامم لم تصادق عليهما فلهما وحدهما حق البت في هذه الشؤون وفصل الخلافات » .

وبارح المفوض في الثامن والعشرين من مايس من تلك السنة بيروت قافلا الى باريس فلم يعد ولم تعد تلك الوثائق بسفره من قيمة اصلا . اذ ان نفس المندوبين الذين تعاقبوا من بعده لم يقيموا لها وزنا رغم انها صدرت منه بالاضافة الى امته والى حكومته والى فرنسا بأسرها . ومن العجب العجاب ان القرار الذي يصدره رئيس محكمة من المحاكم في اي بلد من بلاد الله يحترمه الرئيس الذي يليه ويقوم بانفاذ احكامه مهما كان مخالفا لراي هذا الاخير لانه صدر بالاضافة للمركز الذي اعتلاه الرئيس الجديد فكم بالحري ان تعتبر الحكومة الفرنسية ومن خلفها الشعب الفرنسي ما يبرمه ممثل لها في بلد من بلدان العالم مع اي كان .

انا بما نقول هنا نحافظ على نفوذ فرنسا الادبي في الشرق وان نمحصها الود المصفى ونخلص لها الحب الصادق لما ذكرناه حتى تعلم ان التاريخ لايزال يسطر لكل امة ودولة وشعب حسناته وسيئاته واقواله وافعاله . وانا اذا ما كنا نطلب اليها ان تحافظ على المواثيق والعهود التي قطعها رجالها للغير نكون قد طلبنا اليها ان لا تترك المؤرخين واقلامهم بايديهم يسجلون على هذه الحكومة العريقة بالحرية وبالمحافظة على حقوق البشر غمط حقوق الانسان على رجالها وهي ساكتة مكتوفة الايدي لا تعيد ولا تبدي . انا نلجأ الى الشعب الفرنسي النبيل ان يسمع ما فعلت رجال حكومته وان يرى اخلافها عهدها ونقضها ميثاقها فلعله يتلافى آجلا ما لم يدر به على ما نعتقد في السابق ..

فواجع الميدان

الميدان حي من اشرف احياء الشام عديد السكان عريق المجد يتصل بالغوطة واسا جنوبا وشرقا وغربا بين اهله وبين البادية آصرة شديدة ورابطة وثيقة ووشيجة متينة وعلى الاخص بحوران وجبل الدروز ولقد تطبع الكثير من اهالي هذا الحي الكريم بطبائع البداوة فلخ معها زمنا طويلا تربى فيها

على الوفاء والمروءة والمحافظة على الاخلاق العربية الكريمة .

يتالف هذا الحي الكبير من اقسام ثلاثة الميدان الفوقاني وهو يكاد ان يكون جزءا من البادية تقريبا . والميدان الوسطاني وفيه اهراء الحبوب ومقر تجارها والميدان التحتاني وهو القسم الاقرب منها الى دمشق .

لقد انجلى الفرنسيون عن هذا الحي تمام الجلاء وتركوا اهله تحت سلطة الثائرين كي ينتقموا منهم من ناحية ولكي يوقعوا العداوة والبغضاء من بين ابناء الوطن الواحد فلعل الثائرين المجاهدين يعتدون على اخوانهم المسيحيين فيكون للسلطة ما تريد وهي التي كانت بكل مناسبة وبكل حين وزمان تود لو تنتهز الفرصة للايقاع بني هذه الامة حتى تفرح بما يحزن الشعب ويؤلمه. وقد مر بنا ان الثورة كانت أعلى هدفا وانبل مقصدا وارفع مطلبا .

لما توالى خذلان المتطوعة في قتال الوطنيين المجاهدين ورأوا انفسهم لا قبل لهم بأولئك وانهم اقصر باعا في ميادين النضال من مقارعة الابطال ومجالدة الرجال عمدوا الى الوسيلة التي علمهم اياها الجيش الفرنسي وامرهم بها تلك اتيان الآمن الهادىء الوادع في حماه وفي مستقره يزعجونه بالسلب تارة والنهب طورا والقتل احيانا . فانبروا الى هذا الحي الكبير يعملون فيه ايديهم فياخذون من المتاع والرياش والاثاث في تلك الدور ما تصل اليه ايديهم ويعودون لاقتسام الغنيمة الباردة حتى اذا ما استقر بهم المقام من بعد ان نزعوا من البيوت ما فيها من فرش وطنافس ورياش نشب الخلاف فيما بينهم على القسمة فبعضهم كان يود لو يحصل على ما لم يدع لغيره مما غنم شيئا والبعض الآخر يود ان يستاثر بالجميع فلا يعطي احدا شيئا وهكذا اشتعلت نار الضغينة بين هؤلاء النهاب السلاب ولولا ان الفرنسيين قد حالوا بينهم وبين ما اختلفوا عليه لاتسع الخرق ولعمت الفوضى بينهم ولكان فيهم ما يسر الاعداء ويؤلم الاخوان .

لم يقتصر الامر على المتطوعة من ارمن وشركس في حوادث النهب والسلب بل زحف عدد من الجند الفرنسي يناهز عدده المئة تتقدم هذا الجيش

المصفحات والدبابات وقد كان يقوده مدير الامن العام الفرنسي المسيو بيجان فأسرف هذا الجيش بالتنكيل والتعذيب والنهب والسلب واتيان الموبقات والمنكر .

لقد انتهكت متطوعة الارمن حرمة المساجد فحطموا مصابيح جامع باب المصلا وجامع جنيد وجامع سيدنا صهيب وحرقوا هنالك المصاحف ونهبوا منها السجاجيد واتوا من الآثام ما يخجل الانسان !!...

لقد ضج اهل الحي بهذه الاعمال البربرية وتألمت دمشق على ما اصاب احد اثمانها من نكبات وويلات وذهبوا يؤلفون وفدا من رجال الميدان يؤم الجنرال اندريا سائلا اياه منع الاذى وكف الاعتداء والاكتفاء بما كان فطيب هذا الجنرال خاطرهم واظهر لهم كأنه استاء جدا وكانه ليس له علم بما جرى ووعدهم خيرا رادا ماسلب الى اهله اما السلطة المحلية فانها اعترفت بالامر واذاعت بلاغا في ١٨ شباط نص على ما يأتي :

« بناء على شكوى الاهلين ومراجعتنا للجنرال اندريا بشأن اعتداءات الارمن والشركس اصدر الجنرال امرا باخراج ١٨ شرطيا ارمنيا ووعد باجراء تحقيق وانزال العقاب بالمعتدين وامر بوضع اليد على الاشياء المنهوبة واعادتها الى اصحابها » .

رغما عن ان الجنرال اندريا قد اقر بما كان من السلب والنهب فانه عاد بعد ان هدات الحال قليلا وسكن ثائر الامة وهيجانها يطلق سراح من قام بالسلب مما كدر السوريين وآلمهم وازعجهم كثيرا واقلقهم ومما دعى وجهاء دمشق على اثر ذلك ان يعقدوا اجتماعا في دار البلدية يضم نخبة القوم وعيونهم للبحث بما كان من السلطة وقد كان بين المجتمعين محام هو الاستاذ ناصيف ابي زيد له المكانة العليا والوجاهة بين الاخوة المسيحيين فقال يومئذ « نحن مسلمون ومسيحيون متضامنون في المطالب وان الارمن يرتكبون فظائع تقشعر لها الابدان فيجب ان نطلب من دولة الانتداب احد امرين اما منع هذه الفظائع ومعاقبة مرتكبيها واما السماح لنا بالمهاجرة من البلاد » ...

وذهب العلامة الكبير فارس الخوري الى الجنرال اندريه يسأله عن الاسباب التي اهابت بالسلطة لان تقوم بهذه الاعمال الارهابية فاجابه حفظه الله : « قولوا للثوار بأن يتركوا السلاح » فقال له الاستاذ الخوري انتموا المسؤولين عن حمايتنا فأجابه ثانية : اذهبوا الى الثوار وطالبوهم بترك السلاح ! » .

لقد اراد الجنرال من وراء ذلك ان يعلم الناس في صراحة وجلاء انه سيستمر على قتل النساء والاطفال وهدم البيوت وحرق الدور وانتهاك حرمة المساجد ما دام الثائرون يمتشقون الحسام وكأنه كان يود ان يقول بان السلطة الفرنسية اعجز من ان تبلغ مناها من الثائرين وان تقمع الفتنة لذلك عمدت الى هذه الوسائل التي لا تشرف موقف فرنسا في الشرق لا قليلا ولا كثيرا . لقد عددت صحف دمشق هذه الفظائع واتت على وصفها فكانت موضع مطالعة القارئين حتى ان جريدة المقتبس الغراء التي لا يزال عددها الصادر في التاسع عشر من شهر شباط قيد ذاكرتي ونصب عيني قد اتى على ذكر حادثة لما يرن صداها بصدري تلك ان احد جنود المتطوعة من الارمن بعث الى زوجته في بيروت بقاطرة تامة مكدسة فيها السجاد المنهوبة من منازل دمشق ومساجدها تكديسا وقد ابرقت الحكومة المحلية الى محطة رياق تستوقف هذه الشاحنة لذلك فان ما قراته من هذا النبا المزعج لمما يؤلم كل واقف عليه مدرك منه ما كان يقوم به اذ ذاك متطوعة الارمن والشركس من كل ما يدمي ويؤلم ولو شئنا ان نعدد جميع ما جرى من نكبات لضاق بنا نطاق هذا الكتاب لذلك نجتزء منها الاحصاء التالي :

١ ـ نهب جميع الحوانيت وحواصل القمح الممتدة من باب المصلا حتى الميدان الفوقاني ويقدر عددها بألف حانوت وحاصل .

٢ ـ نهب اثاثات ورياش ستمئة منزل في حي الميدان وتجريد نساء هذه المنازل من الحلي والمصوغات وقطع اصابع بعضهن .

٣ ــ احراق عشرة دور وعشرين دكان وهدم مئة دار .

٤ ــ قتل مئتي نسمة من السكان الابرياء بين رجل وامراة .

٦ ــ دخول بضعة جنود من الشركس على دار عمر عمر باشا في حي الميدان واطلاقهم الرصاص عليهم وقد اعترف بالحادثة البلاغ الرسمي الذي اطلعنا عليه في عدد الف باء بتاريخ ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٥ اليك نصه :

« ان الموالين من الشركس الذي اصيب زعيمهم بجروح في الميدان ذهبوا على الفور الى نجدته وقتلوا عمر عمر باشا » .

لقد عقد اعضاء المجلس البلدي في دمشق اجتماعا قرروا الاحتجاج فيه لدى الجنرال اندريا على ضرب المنازل وهدمها وحرقها في الميدان فأجاب بان المنازل لا تمس ولا يعتدى عليها وعلى اثر ذلك نشر في الثامن عشر من شباط البلاغ الآتي :

« وجه متصرف دمشق انظاري الى الشكايات العديدة التي يبديها الشعب من متطوعة الشركس فالسلطات المنتدبة لم تقصد باعمالها العسكرية سوى ان تجعل السلم يسود هذه الارجاء وان تحفظ حياة الشعب وامواله من اي مذهب او اعتقاد كان ومن جهة اخرى فهي لا تعتني بانزال العقاب الا بالذين يخلون في الامن العام ويقلقون الراحة والسكينة وقد امرت باجراء التحقيقات بخصوص هذه الشكايات التي اذا ثبتت سانزل العقاب الصارم بحق المتسببين فيها وقد اخذت الاحتياطات اللازمة لمنع تجدد مثل هذه الشكايات مرة اخرى وهذا طبقا لرغائب السلطة المنتدبة وبهذه المناسبة اوجه نظر الشعب الى الفلطات اليومية المرتكبة ضد جنودنا عند مرورهم في حي الميدان او في غيره وعلى الطلقات النارية التي توجه اليهم من البيوت او من مآذن الجوامع التي يجب على كل انسان ان يحترمها واني احذر الاهالي بان مثل هذه الحالة تجبرني على اخذ الاحتياطات اللازمة والصارمة معا واستخدام الوسائل العسكرية التي تؤدي الى الخراب وكل ذلك لتامين سلامة جنودنا انني اطالب

الى الشعب بأن يضع حدا لمثل هذه الاعمال التي لا يمكن ان تفيد بل بالعكس فانها تجلب التعاسة والشقاء فالسلام على الذين يتبعون الطريق المستقيم ».

وقد عطلت دمشق اعالها احتجاجا على تلك الفظائع مضربة محتجة وقد آزرها في ذلك الاخوة المسيحية وبعثت عصبة الميدان في الثورة الكتاب التالي :

« لجنة الثورة السورية الوطنية في الغوطة وضواحي دمشق عصبة الميدانيين : الى سماحة استاذنا ومولانا الشيخ بدر الدين الحسني المحترم .

« سلام الله عليكم وبعد فانت اليوم امام المسلمين في جميع البلدان السورية ان لم نقل في جميع الاقطار الاسلامية والهدى الذين يهتدون به والعلم الفرد الذي يسيرون وراءه ان نيران الثورة تشتعل في جميع انحاء البلاد والقتال قائم على قدم وساق وان ابناءك يقومون بواجبهم حيال بلادهم ولا يخرجون عن اوامر خالقهم وسنن نبيهم ولا يتعرضون لاخوانهم الذميين ولا يقاتلون غير الاجنبي وهم الى الايام الاخيرة ما كانوا يطلبون منكم غير الدعاء ومراقبة الاحوال حسب عادتكم لتنهجوا المنهج الذي ترونه لازما عند الاقتضاء لقد خرج الفرنسيون في جميع حركاتهم عن نظامات الحرب فقبلنا ذلك ولم نتقم منهم على اعمالهم بغير قتال جنودهم ولكنهم اليوم اباحوا للارمن الذين اتخذوهم انصارا لهم انتهاك حرمة دور المسلمين في حي الميدان فاخذوا ينهبون ويقتلون البريئين والبريئات والغرض من ذلك هو اجبار اهل الميدان على الرحيل من حيهم بعد ان اصبح الميدان خارج الحصار الذي اختطوه حول المدينة واضطروا قبله سكان قرى الغوطة بقنابل طياراتهم الى هجر قراهم ظنا منهم بأن الثوار يرحلون من الغوطة ولما لم يجدهم ذلك نفعا عادوا فقالوا لاهالي القرى ارجعوا الى قراكم نرغب اليك ياسماحة الامام ان تقنع الفرنسيين بأن يحترموا القوانين ولا ينتهكوا حرمة دور المسلمين وان لهم ان يقاتلونا نحن معشر الثوار ولهم علينا ان نأتي الى قتالهم في المكان

الذي يعينونه لنا وان المآسي التي مثلها رجلهم الخواجا بيجان ونال عليها وساما ولم تمثل في عصر من العصور وعلم بها الخاص والعام كافية ان كانوا يعقلون . ان جيوشنا اليوم التي تقابل حملات فرنسا مهما كانت كبيرة بحمد الله من العار ان تسمى عصابات لان العصابات لا تقاتل جيوشا وانما تقاتل سرقة واختلاسا وكان من الحق ان يعاملونا معاملة قانونية اي معاملة جيش لجيش فلا يقتلوا اسرانا وعندئذ نعاملهم بالمثل ولكنهم ابوا الا ان يمثلوا افظع صفحة من صحف التاريخ فهنيئا لهم بها قد بعثنا الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس بكتاب افهمناه فيه انه ان لم يقلع الفرنسيون عن هذه الاعمال البربرية ويرفعوا تعديات الارمن عن المسلمين الآمنين الذين لا علاقة لهم بالثوار تقابل بالمثل حي المسيحي المملوء بالارمن والنصارى من الذين يكيدون للثوار وفي الكتاب تفصيل لقوم يفقهون ونرغب اليك يا سماحة الامام ان تفهم الفرنسيين انهم ان لم يرتدعوا عن مثل هذه الاعمال الدنيئة وانهم اذا كانوا يريدون ان يقلبوا الحركة الى حركة دينية فان المسؤولية تقع عليهم وعندئذ ستاتي سماحتكم الينا ونمشي تحت لوائكم باسم الدين رضيتم ام كرهتم وندعوا باسمكم مسلمي سورية الى الجهاد ولتقوم اوروبا بعدئذ على المسؤول من كلينا ــ السوريين والفرنسيين ــ ونحن لدينا الوثائق العديدة الكثيرة التي يمكن ان نثبت للعالم بها بان فرنسا مازالت تعمل منذ قامت الثورة السورية على اضرام النار بين المسلمين والمسيحيين لتجد لها انصارا في اوروبا ومن حمد الله نيتها السيئة هذه قد شاعت وذاعت وعلم بها الخاص والعام وان الثوار قد تحاشوا كثيرا ان يقعوا في شباكها قبل ان يعلم الناس بحقيقة نيات فرنسا وتعلم بذلك اوروبا المتمدنة وختاما تفضلوا يا سماحة الامام بقبول اعظم احتراماتنا مولاي .

١ شعبان سنة ١٣٤٤ — باسم عصبة الميدان

توفيق المهايني وعبد القادر سكر

كما ارسلت الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس في انطاكية وعموم بلاد الشرق الكتاب الآتي :

« الى غبطة بطريرك الروم الارثوذكس في انطاكية وعموم بلاد المشرق الانخم . ياصاحب الغبطة :

ليس المجال مجال تفصيل وتطويل فالرب والسموات والارضون وكل انسان منصف يقرر بأن الثوار عامة والدمشقيين منهم خاصة قد تحاشوا كل المحاشاة ان يمسوا اخوانهم النصارى بسوء رغم كل ما يشيعه ويذيعه عنهم الفرنسيون وعمالهم من بعض نصارى البلاد وفي مقدمتهم الموارنة وذلك لانهم قد ادركوا منذ قام ــ رجل فرنسا مسيو كربيه ــ حاكم جبل الدروز السابق ينادي يوم دخل الثوار مدينتهم دمشق للمرة الاولى « اين انتم يا نصارى دمشق اليوم يومكم » اجل لقد ادركوا بان الفرنسيين يريدون ان يقلبوا الثورة السورية من ثورة وطنية الى قتال ديني ويرغبون في ان يقتتلون ابناء البلاد ولكن اخواننا النصارى لم يدركوا هذا الغرض السيء ولعلهم ادركوه وحبذوه رغبة في بقاء فرنسا .

لقد ضربت دبابات الفرنسيين شوارع الميدان مرارا وقتلت كثيرين من الابرياء والبريئات من شيوخ ونساء واطفال في الشوارع والنوافذ فلم نحرك ساكنا وكنا نكتفي بقتال الجند الباغي فقط ثم نسفوا البيوت وقاموا بتهديمها ونهبها باسم فتح الشوارع فكذلك لم نلتفت لغير قتال الجند ولكنهم اليوم أباحوا للنصارى الارمن نهب النساء المسلمات الآمنات الفقيرات اللواتي لم يستطعن ان يرحلن من الميدان وليس لهن اقل علاقة بالثوار فو الذي رفع السماء ان لم يغير الفرنسيين اعتبارا من تاريخ وصول هذا الكتاب الى غبطتكم واطلاعهم عليه ذلك المنهج البربري لنضطر الى مقابلتهم بالمثل فننهب ونقتل اهالي الحي المسيحي المملوء بالارمن وغيرهم من النصارى الذين يكيدون للثوار والتاريخ والعالم المنصف يجيز لنا ذلك ما دام الفرنسيون يبيحون للارمن

والنصارى الذين قد اتخذوهم لهم انصارا نهب بيوت المسلمين الابرياء وانتهاك حرمة نساء المسلمين الآمنات ثم نعتهم ايانا بلا خجل ولا وجل بالسلابين وما دام نصارى لبنان يقومون علينا ويتهموننا بأن ثورتنا ثورة دينية واننا نقتل النصارى رغم علمهم ببراءتنا من ذلك واننا وشرف العرب الذي هو عندنا كل شيء ليشجينا ويؤلمنا كل الالم اضطرارنا لانتهاج هذا المنهج الوحشي ولكن لسنا بملومين والبادي اظلم .

وهذا الكتاب هو الوثيقة التاريخية التي ستبرزها اذا لم يرتدع الفرنسيون عن اعمالهم ومضينا نحن في عملنا ونفذنا انذارنا واراد نصارى لبنان ان يتهمونا بالتعصب الديني واننا نلفت نظركم يا صاحب الغبطة باننا معشر الثوار قد تحملنا فوق الطوق والامثلة على ذلك كثيرة وان الذين كادوا الينا من ابنائكم كثيرون فلم نتعرض لاحد منهم كل هذا تحاشيا من ان نتهم بالتعصب . وختاما فالبلاد بلادنا وبلادكم فنلفت نظر غبطتكم الى لزوم اقناع وكيل غبطة بطريرك انكاثوليك الذي يأتمر الفرنسيون بأمره ان يوعز الى هؤلاء بان يرفعوا الحيف عن الابرياء والبريئات ولا نريد اكثر وليس من العدل والانصاف اذا كان الشارع كما يسميه الذين اختطوا حول مدينة دمشق قد جعل الميدان خارج الحصار ان يعمدوا الى مثل هذه الوسائل البربرية ليضطروا سكان الميدان الى هجر محلتهم وهي تؤلف ثلث المدينة هذا ومن انذر فقد اعذر .

وتفضلوا ياصاحب الغبطة بقبول فائق الاحترام .

باسم عصبة الميدان

توفيق المهايني عبد القادر سكر

على ان الاستاذ الحسني لم يدع هذا الامر جانبا بل اهتم له كثيرا فبعث بواحد من تلامذته الاستاذ الشيخ رفيق السباعي لمقابلة الجنرال اندريا كي يخبره باستياء المحدث الاكبر من ذلك احتجاجه على هذه الاعمال البربرية

فرد الجنرال بالجواب الآتي وقد اذاعه على الصحف كبلاغ صدر بتاريخ ٢٠ شباط ما يلي :

« يا صاحب السماحة :

ان سكرتيركم الشيخ محمد رفيق السباعي اخبرني عن بعض شكاوى اهالي الميدان ضد اعمال متطوعتنا الشراكسة الذين كما يزعم يقتلون النساء والاولاد والشيوخ . وانه يا ذا السماحة لمن المؤسف ان تكون الحقيقة التي على هذا الشكل محرفة ايضا فالتجول ممنوع في الميدان الفوقاني والحافلات لا تذهب الى هناك بسبب وجود العصابات في جميع منعطفات الطرق وقد اضطررت لتكليف المتطوعة الشركس بتفتيش المنازل لتوقيف الثوار الملتجئين اليها وهؤلاء المتطوعون الشراكسة لا يقتلون الا الذين يقابلونهم بالطلقات النارية ويمنعونهم من القيام بوظيفتهم واؤكد لكم فضلا عن ذلك ان بعض العصابات يلتجئون الى بعض الجوامع ويتخذون المآذن مركزا لهم يطلقون منها النيران على عساكرنا ومتطوعتنا وهذا العمل بدون شك مؤلم لاننا نحترم الجوامع ونرغب ان تكون محترمة من الجميع في كل وقت فاتوسل اليكم ياصاحب السماحة ان تدعو ائمة هذه الجوامع وان تمنعوهم من السماح للثوار بدخول هذه الاماكن المقدسة التي نريد ان تبقى على احترامها لانهم اذا تحدونا فالسلطة العسكرية تضطر لتسليط قنابل مدافعها حيث ما وجد الثوار وعندها اكون شديد الاسف لاضطراري الى استعمال هذا التدبير وانني اكرر لسماحتكم ان التعليمات الصريحة المعطاة لجنودنا والمتطوعين تنص على احترام النساء والاولاد والشيوخ والاموال ولكنه قد يتفق ان تصيب بعض الرصاصات الطائشة جماعة من الابرياء . ياصاحب السماحة ساستعمل الاجراءات الصارمة لانزال العقاب بالثوار ولتنظيف مدينة دمشق لحاجة ماسة لاقرار السلام وان سماحتكم تشاركونني في هذا الراي وعلى الاهلين المسالمين ان لا يسمحوا

للثوار بالالتجاء اليهم على الاقل وبذلك يسهلون للجنود مهمتهم الشاقة اذا كانوا لا يريدون ان يغيثوهم واني اكلف سعادة متصرف دمشق ان يقابل الجميع وان يطلع سماحتكم على مجريات الاحوال وتفضلوا يا صاحب السماحة بقبول فائق اعتباري مع احترامي » .

اما دمشق الهائجة فقد وضع اهلوها احتجاجا بعثوا به الى قناصل الدول في المدينة بالنص التالي :

« ان تهديم القرى ودك صروح العمران وتقتيل الابرياء وسلب اموال المحايدين هو كل ما وصل من المدنية الفرنسية الى سورية التي جاءت فرنسا لتمدينها وتدريبها على الحياة الاستقلالية وقد صرنا نعتقد بعد الذي رأيناه ان الحرية والعدالة محصورة بين جدران باريز لا تتعداها الى بلاد الانتداب والى الساعة التي وطأت بها فرنسا الاراضي السورية لم نر سوى مرتبات باهظة ونفقات سفر وسيارات وخدم ومركبات لموظفيها تستحلهم من دم الشعب السوري الذي رزح تحت باهظ الضرائب وكلما رفعنا عقيرتنا بالاحتجاج على مثل هذه الاعمال والتصرفات الغريبة الشاذة قالوا يد اجنبية تدفعنا لذلك ولسنا بحاجة لتذكيركم بان الثورة السورية ما نشأت الا بسبب سوء تصرف رجال الانتداب وطيشهم وتعمدهم قتل البلاد حكما قاسيا وابتزازهم الاموال بصورة مخجلة ان الثوار لم يقصدوا من ثورتهم الوطنية البحتة سوى اصلاح ما ارتكبته فرنسا من السيئات والسياسة الخرقاء والنزق والحمق الذي يرافق جميع اعمالها وليست هذه الثورة سوى مظاهرة مسلحة لان البلاد السورية التي تانف الاستعمار قامت بالاحتجاجات الكثيرة على تجزئة البلاد وتصرفات رجال الانتداب فكانت كالصارخ في واد وليست الثورة السورية مذهبية ولا طائفية رغم ما بذله رجال الانتداب من جهود لالباسها اللباس الديني والطائفي فقد سلحوا مسيحيي حوران ووادي التيم وضواحي حمص ودمشق وبالاخص الارمن ورعاع الشركس واغروهم

بالفتك بالآمنين من المسلمين ونهب اموالهم وقتل الشيوخ والاطفال والتمثيل بالناس وبقر بطون الحاملات وتقطيع ايديهن طمعا في حلاهن واحراق الدور وانتهاك حرمات المعابد والمساجد ومع ذلك فقد ظلت الثورة وطنية ولم تنقلب الى طائفية فضلا عن ضرب مدينتي دمشق وحماه الآمنتين بالمدافع المدمرة والقذائف المحرقة ان الحكومة الفرنسية التي عجزت مع مالديها من قوة ومن الجنود ومن المعدات عن صد الثوار عن ابواب دمشق تطلب من الفلاح البائس المسكين الاعزل ان يقوم بما عجزت عنه وان الاعمال الفظيعة البربرية التي ارتكبها الارمن المتطوعون في الجيش الفرنسي برئاسة ضباط فرنسيين مما تقشعر لهوله الابدان فقد مشوا تحت العلم الفرنسي صباح الاربعاء بتاريخ ١٧ فبراير سنة ١٩٢٦ الى حي الميدان المسالم فمثلوا بالنساء والاطفال وسلبوا الدور والمنازل وهدموها واحرقوها وقتلوا الشيوخ ونهبوا المعابد والمعاهد الدينية ومزقوا الكتب الالهية المقدسة وقتلوا المسالمين الابرياء مما حملنا على لفت نظر سعادتكم الى النتيجة السيئة التي يخشى من وقوعها فقد لايستطيع علماء المسلمين منع شبانهم من القيام بعمل مماثل فيقتلون الارمن وينهبون اموالهم والمسؤولية في هذه الحالة لاحقة بموظفي فرنسا وخاصة بجمعية الامم التي تسمع بما يقع من فظائع وتتغاضى عنها وقد تجاوز عدد القتلى والجرحى والمصابين في هذا الحادث المؤلم الحد المعقول والهيئات الوطنية باذلة الجهد لوضع احصاء دقيق للضحايا وقد ثبت ذلك بموجب تقارير الشرطة اليومية وبلاغات المتصرف واذاعات الجنرال اندريا ولا ريب ان دول اوروبا لا ترضى ان يعامل الشعب السوري المسالم مثل هذه المعاملة السيئة وهذا ما دعانا الى رفع احتجاجنا لسعادتكم راجين ابلاغه للدولة التي تمثلونها لتظهر لفرنسا سوء الخطة التي تسير عليها ولتسعى لوضع حد لهذه الاعمال ولاعطاء البلاد حقوقها المشروعة وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

اما ثوار الغوطة فقد نشروا ما يلي :

« يا رجال الشرطة والدرك . قد رايتم ما حل بابناء وطنكم سكان حي

الميدان من هتك العرض وقتل الاطفال الرضع وسلب الاموال من جانب متطوعة الارمن بدون مسوغ سوى التعصب الديني الذميم ولذلك ندعوكم باسم الوطنية ان تفروا من الخدمة ولو ادى ذلك الى قطع رزقكم مدة من الزمن وانتم ياجنود المستعمرات ويا من يخدعكم المستعمرون بقولهم انكم تدافعون عن ابناء دينكم من السلب والنهب فانتبهوا واعلموا انكم لا تقتلون سوى ابناء دينكم وما جئتم من اقاصي المعمور الا تحت القاعدة المرعية لدى المستعمرين وهي ان ابناء الاسلام يعضد بعضهم بعضا .

وانت ايها المندوب يا من تدعي انك قدمت الى سوريا حاملا لواء السلام والعدل يامن لا تفتأ تنادي ان رجال الثورة هم رجال سلب ونهب انا نناشدك وطنيتك هل اعتدى احد من رجال الثورة على عرض مسيحي او قتل طفل وقطعه اربا اربا كما فعل جيشك المنظم او هل سمعت عن احد منهم انه اختص مسيحيا بفريضة دون غيره من ابناء دينه فاياك نخاطب قائلين وليشهد العالم المتمدن انك ما اتيت الى هذه البلاد الا لتعيد عهد نيرون فيها وانتم ايها الموظفون يجب عليكم ان تستقيلوا من وظائفكم وانتم يا ابناء هذا الوطن البائس من مسلم ومسيحي ويهودي نناديكم ونستحلفكم بابنائكم ووطنيتكم ان تقاطعوا الارمن في بلادكم مقاطعة ابدية تلجئهم الى الهجرة لبلادهم والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه والسلام » .

كانت السلطة تتحرى الرسائل المختلفة لاثارة حفيظة الامة واستفزاز مكامن موجعات الشعب او بالاحرى كانت تنزع الى تحدي السوريين حتى يدرأوا عن انفسهم عادية العدى فتتخذ من ذلك حجة تنتقم بها منهم وكانت تبعث بجندها كي تتحرش بالناس حتى اذا وقعت الواقعة تسللت من ذلك بايعاز ان الثائرين الذين اطلقوا النار على رجالها فحملوها على الدفاع عن رجالها بالقاء القنابل على الدور الآمنة تارة وعلى قتل كثير من الوادعين برصاص طائش من جهة وبرصاص الثوار من جهة اخرى لهذا كان في السادس والعشرين من شهر نيسان سنة ١٩٢٦ شرذمة من الجند

الفرنسي تخترق حي الجزماتية في الميدان وقد ارادت هذه الشرذمة ان تباغت الناس هنالك بما يدفعهم الى الاعتداء عليها فيكونوا للسلطة من ذلك سبب وجيه للحرق والتدمير والنهب والسلب والقتل وما ان اطلق رجال هذه الدورية الرصاص في ذلك الحي حتى اصطدم بطبيعة الحال مع بعض ممن لا يقدرون الغرض الذي ترمي اليه السلطة ولا يدركون الغاية التي من ورائها ان تبعث بنفر من رجالها لذلك عم الاضطراب هناك وانتهت المعركة التي نشبت بين الجند والاهلين عن قتل جندي واحد لقاء اشخاص عديدين من السكان ...

عندها لجأت السلطة الى الوسيلة الوحيدة التي طالما كانت تود انتهاجها والسير عليها تلك هي تدمير المنازل بالقذائف وحرق الدور بالنيران والنفط. وقد سرى اللهب من خان محمود آغا الياسين حتى اواخر الجزماتية فالتهم ما يناهز المئة بيتا مع مسجدين وحوانيت عديدة .

وقد اذاعت السلطة بلاغا بررت فيه فعلتها بأن الثائرين كانوا مختبئين في تلك البيوت اطلقوا النار على رجالها فاضطرت على الاثر ان تطلق يد جندها بالتدمير تارة وبالحرق والقتل طورا . على ان الحقيقة لم تكن كذلك ولم يكن ما اشتمل عليه البلاغ بصدق . كانت تبتغي السلطة الفرنسية من ارهاق الناس وتعذيب الآمنين ان يهرعوا الى اداء الغرامات المفروضة عليهم . حتى انها كانت تجنح الى اتخاذ اساليب منكرة لتادية الغرامات كقطع المياه من الاحياء ومنع النور وغير ذلك مما يؤلم الناس كما يؤيد هذا الشأن البلاغات التالية :

١ ـ بلاغ رسمي من الجنرال فاليير .

« انه في حالة امتناع اهل الميدان الى تاريخ ٢٨ نيسان سنة ١٩٢٦ عند الساعة السادسة من الصباح عن تادية غرامة الالف ليرة عثمانية ذهبية المفروضة عليهم في ١٥ اذار سنة ١٩٢٦ من قبل الحاكم العسكري لمنطقة

دمشق يصير قطع مياه عين الفيجة للداعي المذكور ».

« ٢ ـ بلاغ : يوجد بعض قرى في الغوطة او بعض احياء في المدينة فرضت عليها غرامات فهذه القرى تعرض نفسها لعقوبات شديدة في حالة عدم تنفيذها وهذه العقوبات تنفذ بدون اعلان سابق عنها » .

وقد اسفر قطع المياه عن حي الميدان امتناع اطفاء الحريق مما اهاب باللجان الوطنية السورية ان ترفع احتجاجها لمعتمدي الدول الاجنبية في دمشق على اثر حادثة ١٦ نيسان الملمع اليها . ونص الاحتجاج ما يأتي :

« لسعادة قنصل دولة ..... الفخيمة

يؤسفنا جدا ان نعيد احتجاجنا لسعادتكم هذه المرة ايضا عن الاعمال الشاذة التي ياتيها رجال الدولة الفرنسية في سورية وكنا نود ان نرى لاحتجاجاتنا السابقة تاثيرها الحسن بايقاف تلك الاعمال الوحشية والرجوع الى القوانين الدولية والقواعد الانسانية واذا بهذه الدولة تزيد فظائعها مع الاهلين وكأن الانتداب التي اودعته جمعية الامم لمساعدة سورية وانهاضها مكافأة لما بذلته من الضحايا في الحرب العامة بجانب الحلفاء كان عبارة عن ما شاهدتموه من حرق وهدم ودك صروح المدنية والعمران وسلب الاموال ومشاركة السوريين بأموالهم وجعلهم ارقاء في بلادهم :

١ ـ تحمل المصفحات تنكات البنزين وتلقيها على الاماكن في الميدان على النحو الذي فعلته في زمن ساراي .

٢ ـ يقوم الضباط والجنود بنهب الاثاثات الموجودة في مساجد الميدان من السجاد الفاخر فلا يجدون وسيلة لاخفاء جرم تلك الدناءة الا بايقاد النار في المساجد الموجودة في حي الميدان .

٣ ـ يدخل الجنود للاحياء بداعي تعقيب آثار الثوار يوم لاتجد احدا امامهم فيدخلون الاماكن الخالية من الرجال يملؤون سياراتهم المصفحة مما

تصل اليه ايديهم من اثاثات المنازل ثم يوقدون فيها النـار .

٤ ــ لعب ولد من اولاد الازقة بمفرقعات العيد في السـوق فظنها الجنـد المرابط في حصن باب الجابيـة عيارا فصوب الجند المدفع الرشاش على المارة حتى اصاب اثني عشر قتيلا من اطفال ونساء ورجال .

٥ ــ حين ما يبلغ السلطة مرور احد من الثوار في حي من الاحياء ترسل المصفحات لاطراف ذلـك الحي وتطلق القنابل على المارة كما فعلتـه بسوق مدحت باشا وماذنة الشحم .

٦ ــ يقوم الجيش المتطوع بتجريب البنادق في اقفيـة المارة وقد فعـل هذا في اماكن متعددة اخرى بشيخ محيالدين فاصابوا ثلاثة اشخاص .

٧ ــ يمر جمال امام الجنرال اندريا عند الباب الشرقي حين كان يتفقـد حصونه يحمل قنبا فيامر الجند بايقاد النار في القنب فيحرق الجمل ولما يتعد الجمال المسكين بضع خطوات نادبا حظه على فقـده ماله فلا يشعر الا والرصاص يلقى عليـه فيرديه صريعا .

٨ ــ تواصل المدفعية القاء قنابلها والطيارات قذائفها على القرى واطراف احياء الشام والميدان والشاغور للهدم والقتل وقد مات بسـبب ذلك من اطفال وشيوخ وعجزة وكـل ذلـك بقصد الارهـاب ولغرض النهب دون ان يراعى القـانون ...

٩ ــ يسنون القوانين التي تأتلف مع مصلحة البـلاد ويجلبون الموظفين الاجانب فكانت ميزانية الدولة وثروتها لاطعام المعدمين منهم ولجلب الفقـر للبلاد حتى اصبحت نصف الميزانيـة لجيوشـهم من الموظفين والنصف الآخر للموظفين الآخرين على قاعدة غريبة ثم يقولون بتحسن الحالـة ويرتكبـون انواعا من النهب المنظم تحت اسم الانتداب ومن خالفهم او من عرفـوا منـه رائحة المعارضـة اعتقلوه باسـم سلامة الدولة ...

١٠ ــ مشى الجند الفرنسي ــ يوم ٢٢ نيسـان سنة ١٩٢٦ ــ حاملين ما

نهبوه من القرى علنا كأنهم آتين من فتح وما علموا انهم يحاربون ثوارا يطالبون بحق اقرت لهم بـــه الامم .

١١ ـ يذيع الجنرال اندريا في اليوم الذي قتل فيه جندي بمأذنة الشحم ان هذه الجناية فظيعة سيحكم بها العــالم المتمدن ويذيـــع الجنرال فاليـــه ان الاطفائية ارادت اطفاء الحريق من الميـــدان ولكن الثوار منعوهم وان جمعيـــة الامم ستحكم على اعمالهم .

ان ممثلي الدول وعصبة الامم الذين انتـــدبوا فرنســا لا شـــك شاهـــدوا اعمالها التي سردنا بعضـــا منها ومثات من الحوادث اليومية التي تشاهدونهـــا وتقشعر منها الابدان ترضى بحكمكم بهذا الامـــر اذ ليــــس فيـــكم من يجهلها او يرتكب عار الكذب كما يرتكبون من تضليل الراي العـــام ومخالفة الحقائق على النحو الذي سلكه رجال فرنــــا بـــورية ولنا الحق ان نعد هذه الاعمال وهذه البلاغات الكاذبة احتقارا لممثلي الدول واحتقارا لجمعية الامم وانتهاكا لحرمـــة الحريـــة والانـــانية .

١٢ ــ تريد فرنـــا ان تبني لهـــا مركزا في الشرق ولا شك ان هذا المركز لا يبنى على جماجم الـــسوريين وعلى انقاض بلادهم وان القلوب لاتمتلك بالمدافع والطيارات ولكن الذي يمتلكها العدل والانصـــاف .

١٣ ـ تدعي فرنـــا انها جاءت لانهاض سورية ومعاونتها فهل خفى على ممثلي الدول ان هذا التمدين ينحصر بما قدمنا من النهب والسلب وحصـــد النفوس بالمدافع والطيارات والمصفحات فمعاونتنـــا التي يزعمونها انما هـــي ابادتنا واعاشة فريق دون آخر .

١٤ ــ اذا كان مارايناه من تلك المدنية وكانت سورية عبارة عن مطعـــم للمعدمين وعن مجزرة لوحوش فرنـــا فاننا بما اظهرناه من تعقل وحكمة علـــى تحمل تلك الفظائع التي لم تسبق في تاريخ العالم يجب ان تكون الوصايـــة للسوريين على فرنـــا فانهم احق بها فمن الامور المسلم بها ان المنتدب والوصي

يجب ان يكون امينا على وصايته خبيرا باحوال الموصى عليه عالما بحقوقه وواجباته ومن المؤسف لم نر في تلك الوصية صفحة واحدة تليق بحمل تلك الوصاية التي القتها اليها جمعية الامم .

١٥ ـ لسنا ندري أن كان السوريون الذين برهنوا على مقدرتهم في العالم كله وعلى نشاطهم هل يكون نشاطهم ذلك وبالا عليهم ويقدم وطنهم ضحية المطامع ؟؟ . . .

١٦ ـ نعلم ان اوروبا تعمل لمناصرة الانسانية وتخفيف الويلات عنها ولخدمة العلم ونشره وتاسيس جمعيات الرفق بالحيوان فضلا عن الانسان لكن فرنسا تفردت بشعور وحشي مجرد عن العواطف البشرية فهلا تشعر جمعية الامم ان هناك امة قد تجاوزت العقل والمنطق بفظائعها وقوتها والقتل بلا تفريق بين النسوة والاطفال والشيوخ والرجال في القرى والمدن لمجرد مرور الثوار او لان عواطفهم مع الثوار وكيف لا يصبح حب الثورة غريزيا في نفوسهم ويزدادون ايمانا بحب وطنهم والدفاع عنهم وعن شرفهم وهم يرون فظائع لا تقع تحت حصر يرتكبها الفرنسيون باسم الوصاية والانتداب . . .

« خاتمة ـ ولما كنا على ثقة ان ممثلي الدول وجمعية الامم لا ترضى استمرار تلك الاعمال الوحشية والخروج عن القواعد المألوفة وكان للصبر حد جئنا ببيان الوقائع الجارية باختصار راجين اعطاء نتيجة سعيكم بهذا الشأن محتجين على سكوتكم ايضا طالبين تبليغ احتجاجنا هذا لدولكم المعظمة لانصافنا وتفضلوا بقبول فائق الاحترامات سيدي » .

❋ ❋ ❋

كان السلطة الفرنسية لم تجد في دمشق حيا من الاحياء تصب نقمتها على رجاله وتفرغ جماع انتقاماتها في اهله وقطانه ويبلغ كرهها اياه الى درجة لا حد لها مثل حي الميدان فانها من بعد ان صبت عليه جامات الغضب وفاجعات الدهر وحملات الايام مرتين شاءت ان تكون هذه الثالثة

من نوعهـا حتى لايستقر لواحد من ذويـه قرار ولا يهدأ له بال لذلك نراهـا، قد سيرت فجر سابع مايس قوة من رجالها حاصرت هذا الحي من الشـرق كما بعثت بقوة اخرى على طريق السكة الحديدية حاصرته من الغرب والجنوب كما تقدمت في عين الزمن قوة ثالثة من الشمال وهـكذا بدات قـوات ثلاث مباغتـة الحي من النواحي التي المعنا اليها والنـاس في الكرى غرقى بما اريد بهم لا يعلمون . وما ان كانوا في عز الغفوة وفي شدة الغفلة وقد عقدت على اجفان القوم سنة النوم حتى كـان رسل المدنية يقتحمون الـدور فيحطمون ابوابها عنـوة بكل قسوة وشدة فينفتح بعضها امامهم بعد معالجة شـديدة فيقتلون كل من بلغوه فيها من نسـوة وشيوخ واطفال . وكانوا من ناحية ثانية يأتون الاهراء ومخازن الحبوب والحوانيت فيصدعون الابواب وينسلون الى الداخل كي يطلقوا ايديهم نهبا وحرقا .

كانت الطائرات من السـماء ، وكانت الدبابات في العراء ، وكان الجند فيما بين ذلـك يعلقون صفائح النفض من اموال غير منقولة فيعملون الحريق في تلك الاماكن فتنفجر هنالك النـار كانهـا ينبوع ثرار وهـاج يمور بالماء مورا .

كانت المدافع الفرنسـية في باب شرقي وفي البرامكة وفي المزة تنهال على حي الميـدان بأنواع القذائف والقنابل والحمم .

ما مرت من الزمن ساعة على ايقاد النار حتى امتدت من طرف الى طرف وحتى كان اللهب يعمل عمله في كل صف من صفي هذا الحي فينعقد لـواء النـار ويلتئم عقد الدخان فيتصل كل جنب بأخيه فيـه مما لا عين رأت افظع من ذلـك ولا أذن سمعت بأهول مما كـان . كـم من دار خربت منقضة على ذويهـا الهـادئين الغارقين في بحر من النـوم وكم من سيدة اطلقت النـار عليها لانها كانت تحاول الخلاص والهرب من بين السنة النار فكانها كـانت تستجير من الرمضاء بالنـار ...

تشرد القـوم والتاث النـاس وحار ابناء ذلـك الحي بما يصنعون فـلا مأوى يأوون اليـه ولا ملجأ يلجؤون له الا ان كان ماقام البعض عند المساء من

ايداع فريق من النسوة محطة القدم لامتطاء القطار الى دمشق . على ان ذلك ايضا لم يكن لينجيهن من بين مخالب الجند الذي كمن لهن في قلعة هنالك فلهن من القطار وبيتهن لديه ليلة الله اعلم بما جرى لهن فيها ...

ام الداماد رئيس حكومة دمشق لفيف من الميدانيين يستغيث به على ما حل فيه فكأن في اذنيه وقر عن سماع المشتكى وكان يقول بان لا حق له بالتدخل في امر عسكري بحت ناصحا اياهم بطرد الثائرين من بين ظهرانيهم حتى يأمنوا نقمة فرنسا وغضبة السلطة مهونا عليهم امر الغرامة بالحث على دفعها وهي ذات المبلغ البسيط الذي لايتجاوز الالف ذهب عثماني . وبلغ بالداماد امر صم الآذان عن الاصغاء درجة لم يسمح معها لمضخات الاطفاء ان تلبي طلب الوفد بقمع النار قائلا بان هذا الموضوع من خصائص السلطة الفرنسية .

أطلق سراح الميدانيين والميدانيات اللواتي اعتقلن في القلعة على ما اسلفنا وسمح لهن بان يقدمن المدينة فتوجهن نحو دار الحكومة مستغيثات فمانعهن الجند من التقدم فقصدن الفندق الذي يقيم الداماد فيه . فرفض قبولهن لديه ودعا فصيلة من الجند لحراسته . فذهبن الى دار المندوب الممتاز فردهن أسوأ رد مما حدا بهن لان يقفلن الى باب المصلى راجعين عاملين في اطفاء الحريق الذي لما يزل متقدا . وعندما حاول الجند ان يحول بينهن وبين غايتهن آثرن الهجوم عليه فيمزقهن برصاص بنادقه من ان يرجعن القهقرى منخذلات وآثرن الموت على رؤية النار تلتهم ديارهن .

اما في المساء فقد ذهبت المضخات للاطفاء .

لقد بلغ عدد الذين قضى نحبه تحت الردم او خر صريعاً بالرصاص المئة وخمسين انسانا . ولا يقل عدد الدور والحوانيت والاهراء التي هدمت او احرقت عن الالف لما في ذلك من بيوت مزينة بالآثار النفيسة القديمة . ولا نكون مبالغين اذا ما قلنا بأن الميدان قد خسر بهذه الفاجعة ما لايقل عن مليون من الليرات العثمانية الذهبية .

هرع القوم الى معتمدي الدول الاجنبية في دمشق يطلعونهم على ما جرى وكان . والتقى وفد منهم بقائد حامية دمشق الجديد يعلن له ما كان للحي وما آل اليه من الخراب والدمار فأجابهم بأن السلطة عمدت الى النار عندما رات فيه الثوار .

عم الفزع الاكبر كل دمشق وراح الناس فيها يخشون سوء المصير ونعية ذلك الصنيع والبلاغ التالي الرسمي الذي اعلنته الحكومة السورية في عاشر مايس يؤيد ما حل بالميدان من نكبات وهاهو بنصه :

« في الوقت الذي شرعت الحكومة الوطنية الجديدة باعمالها وقعت حادثة الميدان المؤلمة التي نشرت السلطة العسكرية بيانا بشأنها وعليه قامت الحكومة بما تستطيعه من الاعمال لاجل تخفيف ويلات المنكوبين من اهالي الميدان وغيرهم وللافاة خسائرهم ولما رات الحكومة ان اهالي الاحياء المجاورة للميدان ينتقلون من بيوتهم خشية ان يصيبهم ما اصاب جيرانهم وكانت واثقة من اخلاص الاهلين جميعا واخلادهم الى السكينة وكان تنقلهم بالحالة المشهودة مما يزيد في ضررهم فقد قررت بعد الاتفاق مع السلطة العسكرية ان تبلغهم وجوب بقائهم في أماكنهم مطمئنين هادئين وان تتخذ جميع التدابير لمنع دخول الثائرين الى المحلات الاخرى واذا لا سمح الله تشبث الثائرون بالدخول اليها رغما عن كل التدابير غير ناظرين الى العواقب الوخيمة التي تنتجها مثل هذه المحاولة فان الحكومة العسكرية ستقوم بانذار الاهالي قبل اطلاق القنابل على الاحياء .

وعليه تنتظر الحكومة الوطنية من الاهلين داخل المدينة وخارجها ان يساعدوها بسكونهم وتعقلهم ويمنحوها الوقت الكافي لاتمام مهمتها التي ترمي الى تحقيق اماني البلاد واقرار السلام وهي ستقوم باتخاذ التدابير اللازمة للوصول لهذه الغاية باقرب ما يمكن والسلام » .

موقف الوزراء الوطنيين من الحكومـــة

لقد مر بنا ان الحكومة الحديثة التي اخـذت على عاتقهـا تهدئـة الحال وتـسكـنـة الخاطر كانت اذاعت على الامة بيانا حددت فيـه جهودها واعلنت انها ان لم تبلغ هذه الاماني لا بد عائدة عن العمل مـع السـلطة الى صفوف الامـة . فما ان رات هذه الحكومة الجديدة ما حل بالميدان من كارثة وما كان من المجلس النيابي من قرار بشان الوحدة حتى تبدل موقف الوزراء الوطنـيين فيها وحتى قالوا بعدم مشاطرة الحكومة الراي في كل ما يجري ضرا بالوطن لذلك وقف كـل من الوطنـيـين فارس الخـوري ولطفي الحفار . وحـسني البرازي من الداماد موقفا صريحا لا ترجرج فيـه ولا تردد وقالوا له بالعمل في احد الامرين اما ان ينضم اليهم فيعملوا معا واما ان يمالىء ويماشي عبيد الانتداب فيكون اليهم وبذلك تنتهي مهمتهم . عندما سكت الداماد عن الجواب لم يجدوا بدا من الاستقالة ولم يجدوا بدا من اعـلان امتناعهم عن مشاركـة الحكومة في العمل .

عند ذلك راى الفرنـسيون ان يحملوا الداماد على اصدار قرارفي١٢ يونيوبحل الوزارة بعلـة عـدم التجانس وفي منتصف الليـل اعتقلت السلطة الوزراء الوطنـيين المستقيلين واحتفظت بهم في دار الحكومة حتى اذا ما كان الصباح ابعدوهم الى الحـسجة كما انها القت القبض في عين الزمن على كل من الاحرار فوزي الغزي وبـدر الدين الصـفـدي واديب الصفـدي وابعدتهم الى حيث الوزراء كما انهـا في نفس اليـوم الفت الوزارة من العناصر المعتدلة فلم يعد في الحكـم عنصر وطني واقتصرت الحكومـة على التعـاون مـع العناصر المواليـة للفرنسيين .

قبل القـاء القبض على الوطنـيين وابعادهم الفت حكومة الداماد لجنة من

اعضائها للعمل بقضية الثورة كما انها الفت وفدا تحت امرة العلامة الشيخ بدر الدين الحسني من السادة الشيخ هاشم الخطيب وانور البكري وزكي المهايني واحمد اللحام والامير طاهر الجزائري بغية اقناع الثوار بالخضوع والاستسلام كما انتدبت الوجيه عثمان الشراباتي فسافر الى عمان وجبل الدروز للتفاهم مع الزعماء . ومن البداهة ان ما من لجنة من هاتين اللجنتين قد نجحت بمهمتها لما كان من حادث الميدان ونفي الوزراء الوطنيين مما لم يعد لهذه الوزارة من مكانة .

* * *

كانت رحى المفاوضات تدور في الجبل الاشم بين القائد العام السلطان والزعيم الشهبندر تلك المفاوضات التي كانت ترمي الى اقامة النظام بين الغوطة والجبل واتخاذ الخطة الواحدة التي يجب السير عليها من قبل الكل اذ ان الجميع ادركوا ضرورة التعاقد والتآزر لا سيما من بعد ان اخفق المسيو دي جوفنيل في مفاوضاته مع الوطنيين .

كان الزعيم الشهبندر بين مؤتمري دامة في الخامس والعشرين من شباط فتقرر ان تكون اللجاه معقلا للثورة وحصنا للثائرين وتقرر في السويداء بأن يكون مصطفى وصفي قائدا للغوطة . وفي بالا أقر المجلس الوطني الكبير تعيين القائد المجاهد فوزي القاوقجي قائدا عاما للغوطة .

غادر الزعيم الشهبندر في العاشر من نيسان سنة ١٩٢٦ قرية جدل في اللجاه من بعد ان اجتمع بالسلطان طويلا ومن بعد ان تم الاتفاق بينهما على وحدة الخطط السياسية عندها اطمأن الزعيم الى ما كان بينه وبين السلطان فبلغ في الثاني عشر من نيسان المذكور قرية قرحته في طريقه للغوطة ..

الغوطة وتنظيماتها

لقد ادرك مجاهدوا الغوطة ماينبغي للثورة من نظام وانتظام وخطط ومنهاج وما تحتاجه من قواعد ثابتة واسس قويمة تقوم عليها اركانها ودعاماتها

لذلك عقد رؤساء الثورة اجتماعا خلال شباط سنة ١٩٢٦ وقرروا ما يأتي :

١ ـ يؤلف من مجموع عصابات الغوطة وضواحي دمشق وحدة تامة توزع على المناطق الحربية بحسب الضرورة الحربية واحوال المنطقة .

٢ ـ يؤلف مجلس عام يسمى « المجلس الوطني للجنة الثورة السورية في الغوطة وضواحي دمشق » ينتخب اعضاؤه من قبل رؤساء الثوار بتفويض خطي .

٣ ـ تقوم كل عصابة بالحركات الحربية في منطقتها براي مشاورها العسكري اما الحركات العامة فتكون بقرار من المجلس .

٤ ـ تخصص كل عصابة مفرزة من رجالها لتوطيد الامن في منطقتها وتأمين المواصلات مع المناطق المجاورة لها .

٥ ـ يحمل رجال كل عصابة شارة خاصة بهم تميزهم عن سواهم ولا يجوز لاي مجاهد كان ان يترك عصابته المسجل فيها ويلتحق بغيرها .

٦ ـ الجاسوس الذي يقبض عليه في احدى مناطق الثوار يحال ـ بعد ان يضبط زعيم تلك المنطقة افادته الاولية ـ الى المجلس الوطني لينظر في أمره ويصدر بحقه الحكم النهائي .

٧ ـ يلاحق المجلس الوطني ملاحقة شديدة الذين يعتدون على الاهلين ويدعون انهم من الثوار ويعاقبهم اشد عقاب ويطرد من صفوف المجاهدين المجاهد الذي ياتي عملا يخرج به عن غرض الثورة النبيل .

٨ ـ المناطق الحربية تبين وتحدد في نظام توزيعها .

٩ ـ صلاحية المجلس ووظيفته توضح في نظام تاليفه ومضبطة انتخاب اعضائه .

ثم اتوا على المناطق فوضعوا لها نظاما حسب ما يلي :

« المنطقة الاولى ـ اراضي باب السريجة وقبر عاتكة وما بين المزة وداريا والحد بينهما وبين المنطقة الثانية الخط الحديدي .



من اشهر قـــادة الثـورة
المجاهد الكبير نسيب البكري
رئيس المجلس الوطني الاعلى للثورة السورية



من اشهر قادة الثورة

في الوسط الزعيم الدكتور عبد الرحمن شهبندر وعلى يمينه السيد فوزي البكري وعلى يساره حلمي ابو خضرة فالسيد نسيب البكري ممتطين صهوات خيولهم الاصيلة في ميادين البطولة والشرف

المنطقة الثانية ـ تمتد من اراضي حي الميدان والشاغور وقرى بيلا وبلدا وعقربا حتى قرية عبادة والحد بينها وبين المنطقة الثالثة نهر بردى .

المنطقة الثالثة ـ تمتد من حدود نهر بردى حتى جسر نهر تورا والحد بينها وبين المنطقة الرابعة الطريق بين دوما ودمشق .

المنطقة الرابعة ـ تمتد من حدود المنطقة الثالثة الى مركز قضاء دوما .

المنطقة الخامسة ـ تمتد من حي الاكراد حتى عدرا .

المنطقة السادسة ـ من سهل القابون حتى صيدنايا ومن دمر حتى الزبداني .

المنطقة السابعة ـ من عدرا الى النبك حيث تتصل بعصابات الشمال » .

وثورة كهذه على أسس وقواعد ومناطق منظمة لا بد لها من مجلس اعلى ولا بد لهذا المجلس من نظام يسار عليه لهذا ارتأوا ان يكون النظام الآتي :

١ ـ يؤلف المجلس من عشرة اعضاء ينتخبهم زعماء الثورة في المناطق المذكورة آنفا .

٢ ـ ينظر المجلس بهيئته المجتمعة في القضايا العدلية والادارية .

٣ ـ ينقسم المجلس الى ثلاث لجان وهي :

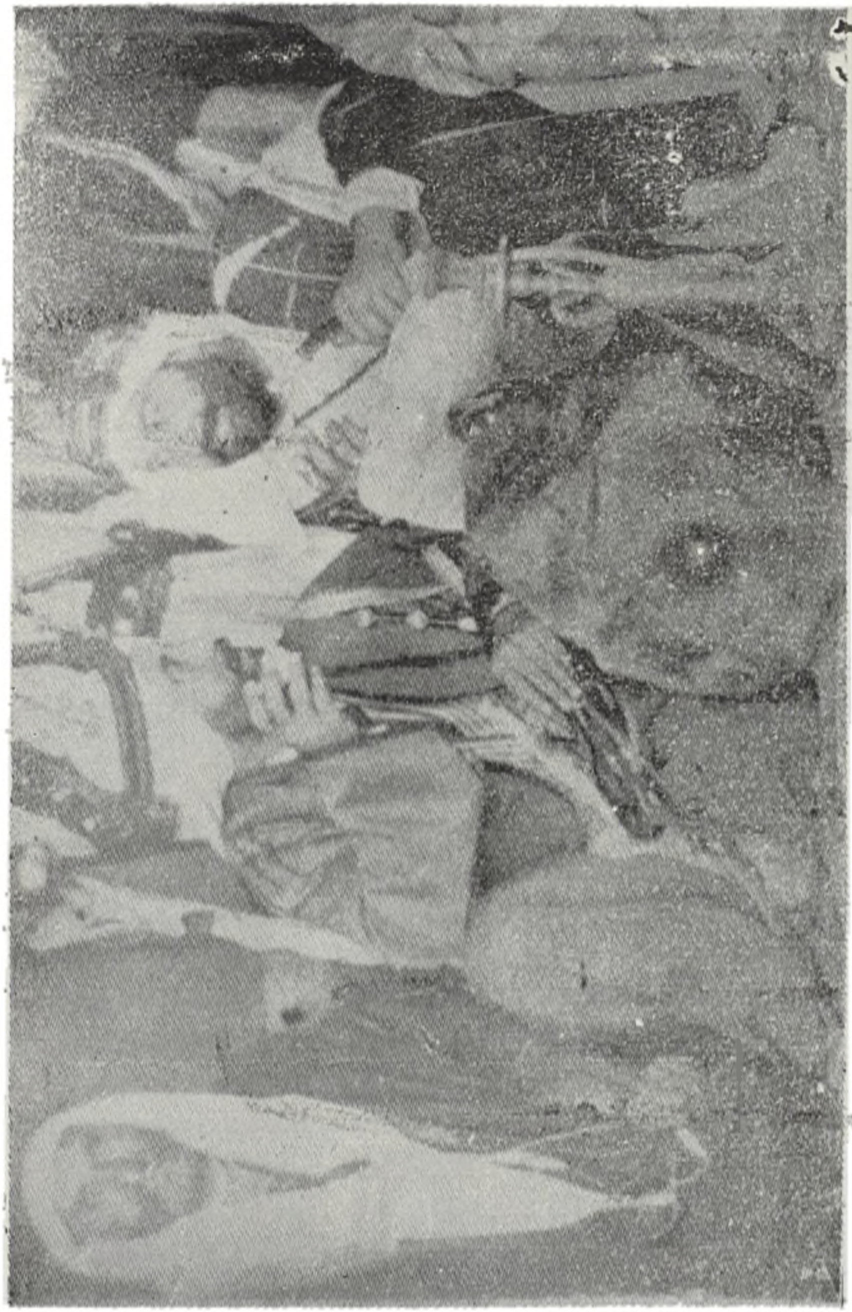
١ ـ اللجنة المالية .

٢ ـ لجنة الحركات الحربية .

٣ ـ لجنة الدعاية والاستخبارات .

٤ ـ وظيفة اللجنة المالية جمع الاموال والاعانات لتامين اعاشة الثوار ومهماتهم وفقا لنظام خاص يضعه لها المجلس الوطني .

٥ ـ وظيفة لجنة الحركات الحربية تنظيم الخطط الحربية وقيادة الثوار في مواطن القتال وابلاغ التعليمات الى المشـورين العسكريين والسهر على توطيد الامن في مناطق الثوار وتأمين المواصلات بينها وبين المناطق المجاورة .



من مشاهير أبطال الثـورة الاحرار
السيـدين فوزي البكري ـ عميد آل البكري
ـ والرئيس نسيب البكري يتحدثان عن الثـورة

٦ ـ وظيفة لجنة الدعاية والاستخبارات بث الدعاية وحض الاهالي على الثورة والقتال في مناطق الثوار ومدينة دمشق وجمع الاستعلامات السرية عن حركات الجيش الفرنسي ومقاومة دعايته واذاعة النشرات الاسبوعية عن اخبار الثوار وحركاتهم .

٧ ـ للمجلس الوطني طابع رسمي خاص .

من بعد وضع النظام لا بد من اعضاء لهذا المجلس الوطني يسيرون دفة الامور وفق ما ينبغي من اصول وقانون فاختار الزعماء لهذا المجلس الهيئة بقرار نصه ما يأتي :

« نحن عموم رؤساء الثوار في مناطق الغوطة وضواحي دمشق قد انتخبنا اعضاء للمجلس الوطني كلا من السادة زكي الحلبي ، شوكت العائدي نزيه المؤيد ، زكي الدروبي والرئيس محمود حمدي السمان ، فائق العسلي ، احمد الحصني ، جميل شاكر صبري ، فريد اسماعيل القلعجي ، محمد الشيخ علي ديبو وفوضناهم تفويضا مطلقا ليسيروا في اعمالهم حسب قرارنا الذي اتخذناه في ٢٥ فبراير سنة ١٩٢٦ باجماع الآراء والقرارات والاحكام التي يصدرها المجلس الوطني بعد الآن تسري على الجميع وزعماء الثوار هم القوة التنفيذية لهذا المجلس وعليه نظمنا مضبطة انتخاب اعضائه هذه الموقعة بامضاءاتنا تحريرا بتاريخ ٢٧ فبراير سنة ١٩٢٦ ورأس المجلس في جميع الادوار نسيب البكري .

اجتمع هذا المجلس للمرة الاولى فكان ذلك في اول اذار عام ١٩٢٦ واتخذ القرارات التالية :

١ ـ ان يعهد بأعمال اللجنة المالية الى السادة نزيه المؤيد وعلي ديبو ومحمد الشيخ .

٢ ـ ان يعهد بأعمال لجنة الحركات الحربية الى الضباط زكي الحلبي وشوكت العائدي وصبري فريد .

٣ ـ ان يعهد بأعمال لجنة الدعاية والاستخبارات الى السادة فائق العسلي
٤ ـ ان يعهد بأمانة السر الى السيد فائق العسلي .

بأمانة السر الى السيد فائق العسلي .

اقام الزعيم الشهبندر في الغوطة يسيرا حتى كان احد الايام وفيه علم من ثقة ما يعده الفرنسيون من معدات الزحف على السويداء فما قر قراره ولا هدأ باله ولا سكن خاطره لتلك الحوادث فقرر السير قافلا الى الجبل حيث يشرف هناك على الوضع السياسي الحربي الذي يجب ان يستعد له الثائرون الابرار امام حملة الاستعمار .

وصل السويداء وقد شاهد المعركة التي دارت فيها في الخامس والعشرين من مارت سنة ١٩٢٦

عندما بلغ الفرنسيين قدوم الزعيم الشهبندر الى الغوطة هالهم الامر وكبر عليهم واقلقهم ورمى التبلبل فيهم ولم يجد رجال السلطة ما يهدىء من ثائرهم اتجاه ذلك الا اتخاذ التدابير لمطاردته . لذلك بعثوا بالطائرات تحلق في السماء ضاربة بالنار الاماكن التي نزل بها فكان صنعهم هذا لسانا ناطقا بما اعتلج في قلوبهم من ذعر وما قام في نفوسهم من خشية لحلول الزعيم في الغوطة .

ومن تصفح البلاغ الرسمي الذي نشره حاكم دمشق العسكري الجنرال فالير على الاهلين في الغوطة في الثالث من مايس سنة ١٩٢٦ يدرك المطالع الكريم مبلغ ما كان يعتلج في صدور رجال السلطة من قلق واضطراب واليك نص البلاغ :

« لا احجم مع ما اشعر به من الاسف عن عمل الاعمال العسكرية التي اصبحت ضرورية ازاء عمل الشهبندر الذي لم يتجرأ على البقاء في الجبل على اثر اقتراب جنودنا بل جاء يحدث حركة جديدة . وهو بعد ان سبب

الشقاء للدروز يعمل للقضاء على رخاء هذه المقاطعة الجميلة ويبذر بذور الفوضى والموت في كل مكان يطأه . فاذا لم يسلم السكان الشهبندر وعصابته فلا يستحق لهم ان يستغربوا اذا اعتبروا مسؤولين معه .

اني ادعو قرى الغوطة الى السكون والهدوء والامتناع عن العداء ولا احجم في حالة الرفض عن استعمال الوسائط العسكرية التي تضمن اقرار النظام بسرعة » .

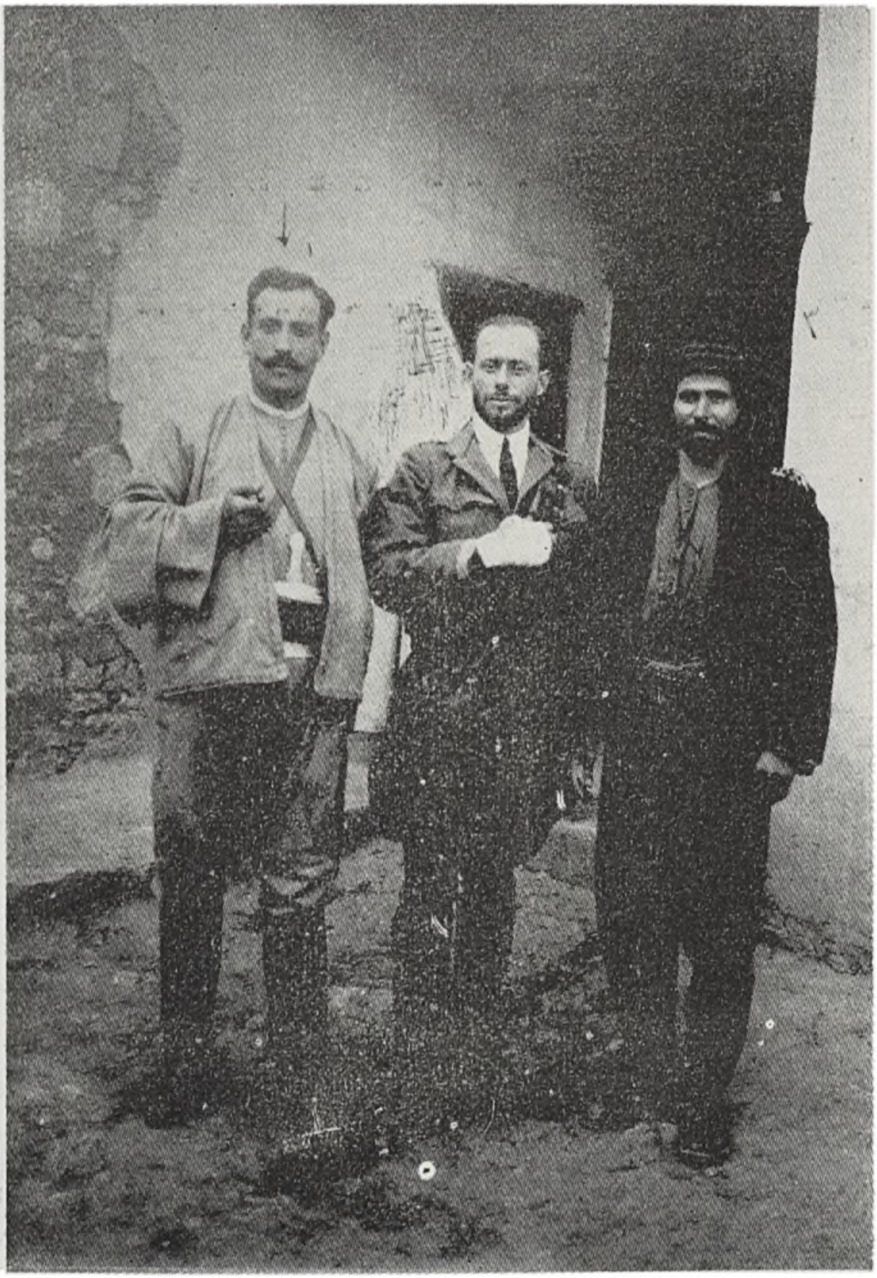
رسخت اقدام الفرنسيين في السويداء على ما مر بنا وامنوا الجبل وخضوعه لنفوذهم فما عادوا ايكترثوا لشيء فيه يزعج ولم يعد امامهم من معكر ومنغص الا الغوطة التي مازالت شاقة عصى الطاعة وما زال رجالها الاحرار يجهرون بالعصيان فما ان هدأ بال الفرنسيين في الجبل الاشم حتى فكروا بما يخضعون به الغوطة كما اخضعوا الجبل .

لقد اعدت السلطة حملات عدة لمهاجمة الثائرين في الغوطة واتخذت خطة مآلها مباغتة الثائرين فيها من الغرب والشرق والشمال والجنوب وكل ناحية بعين الزمن وبنفس الوقت دفعة واحدة فاخذت القوى الفرنسية بالزحف عليها بتاريخ ١٩ يوليو سنة ١٩٢٦ وقد اقبلت حملة بقيادة الجنرال ماسيت من ناحية الجبل الاشم كما قدمت حملة اخرى من المليحة حوران كما اطلت الحملة الثالثة من جبل قاسيون في دمشق هابطة طريق برزة وكما مشت الحملة الرابعة من عاصمة بني امية في الطريق العام للغوطة والخامسة اتت من النبك والقطيفة وبذلك اطبقت القوات جميعا على الغوطة من كل جهة ومن كل ناحية .

كان صباح تاسع عشر يوليو وفيه احتدم القتال على طريق دوما فعسكرت الحملة الثالثة في اوتايا واخذت تضرب القرى بمدافعها زاحفة على حوش الفارة فامتد بذلك خط القتال من حوش الريحاني حتى خرابو واوتايا فاحتشدت عصابات الغوطة في تلك القرى للقراع والنضال . . .

عندما يقرا القارئ ما قامت به السلطة من هذه المعدات والقوات وما تاهبت له من ادوات وآلات يفزع على الثائرين ويظن انهم اخذوا كل ماخذ وانهم اضحوا في قبضة اليد وتحت متناول الكف وانهم لم يعد لهم من حيلة ولا وسيلة للانقاذ والنجاة على ان الله الذي ربطوا به امانيهم وعلقوا عليهم امالهم ومقاليدهم واتكلوا بحقيقة على تقاديره وسلموه شؤونهم ارأف واشفق واعطف واسمى من ان يكلهم الى عدوهم ..

دارت الدورات وصمد المجاهدون امام الحديد والنار فما كانت لتثني عزائمهم او لتهن اصبارهم او لتضعف هممهم عن مقارعة الباطل وعن مجالدة الاستعمار وعن مقاتلة الاعداء الآسرين لذلك ايد الله المجاهدين بأيد من عنده وبقوة من لدنه وانجز وعده ـ وكان حقا علينا نصر المؤمنين ـ تشتت العدو في كل صقع واندحر في كل مكان وولى الهزيمة في كل معركة خاضها في تلك الجهات وظل الحرب سجالا منذ تاسع عشر يوليو سنة ١٩٢٦ حتى الخامس والعشرين منه فما كان لينتصر في الشفونية وحوش الدوير او في كفر بطنا وجسرين احد من الجند المهاجم بل كان يضطر دائما للتراجع والتقهقر في كل حملة يحملها او هجمة يهجمها ولذلك كان عندما يخفق مرة لا يجد ما يشفي به غليله الا حرق القرى الآمن اهلها الوادع قطانها وغير قتل الاطفال الابرياء والنساء الضعفاء والشيوخ العجز .. وما كان النبات لينجو من شر العدو وآفاته بل كان يتناول اذاه اذ يقطع الماء عنه بغير ما سبب او جريرة اذا ما ذكرنا هذه العناية الربانية التي كلأت الوطنيين المجاهدين ومدتهم بجند من عندها فاننا نذكر الى جانب ذلك ما من الله به عليهم من تلك الشخصية الفذة والدماغ النير والعبقرية التي تجسمت في الخطط الحربية والترتيبات العسكرية التي قام بها القادي الكبير والغازي العظيم والمنتصر بالحق وقاهر الاستعمار في كل الديار ذلك هو فوزي القاوقجي فقط وانا لا نود ان نلقبه بما يلقبه به الغير اذ ان له من نصره



في الوسط القائد الفذي الكبير فوزي القاوقجي وعلى يمينه المجاهد الباسل
السيد ابو محي الدين شعبان وعلى يساره المجاهد الرئيس نسيب البكري

الخفاق في آفاق الطباق خير لقب وخير مديح وخير ما يميزه به عن سواه من كل نعت ولا ادل على حقيقة ما عددناه في الانتصارات التي حازها المجاهدون في هذا الموضوع من نص البيان الذي نشره القاوقجي عن هذه المعارك في اوائل اغستوس سنة ١٩٢٦ بقوله :

« ان العدو الذي قد بذل من الاهتمام والاستعداد مدة عشرين يوما لجمع سائر قواه المتفرقة من انحاء سورية بقصد مهاجمة الغوطة وتطويقها قد تقدم في ١٩ يوليو سنة ١٩٢٦ للمراكز التي اختارها للاحاطة من الشفونية الى حوش الدوير وهاجم مواقعنا الدفاعية من الوراء والجناحين في ٢٠ منه واستمرت المعارك بشدة زائدة حتى ٢٥ منه فكان في كل معركة يخوضها يعود منها مندحرا وذلك بفضل ترتيباتنا الدفاعية وبطولة مجاهدينا وقد شتتنا قطعات العدو خلال المعارك التي دارت في جسرين وكفر بطنا والتجأت بعض اجزائه المشتتة الى كفر بطنا فحوصرت وهوجمت ليلة ٢١ هجوما شديدا كلفه ضحايا عديدة حتى انه من شدة الضغط طلب كثير من المحصورين الامان وقد اضطر العدو لاستخدام قواه الاحتياطية واستمرارها لانقاذ المحصورين فنصبنا له شركا اوقعنا فيه المحصورين والمنجدين وقضينا على البقية الباقية من الحملة المشتتة واتلفنا قسما كبيرا من المنجدين فأعاد العدو حملاته في الايام الاخيرة فكان نصيبه الفشل في النهاية كنصيبه في البداية وهكذا قد قضينا على احلام العدو وآماله المبنية على هذه القوة ولما اخفقت جميع حركاته وحاق به الخذلان والخسران قام ينتقم لنفسه بحرق القرى والمحصولات وقتل الاولاد والنساء ومنع الماء عن المزروعات وقد قمنا الآن بتنسيقات جديدة في الجيش وجعلنا الخدمة اجبارية واصبح لنا جيش نظامي بكافة معداته الحديثة من الغنائم الحربية واخرى احتياطية ولما بلغ الخبر جبل الدروز خصصت نجدات قوية وقد وصلت مقدمتها مع قائدها متعب الاطرش وتمثل الاخاء الدرزي السوري والرابطة المتينة في هذه



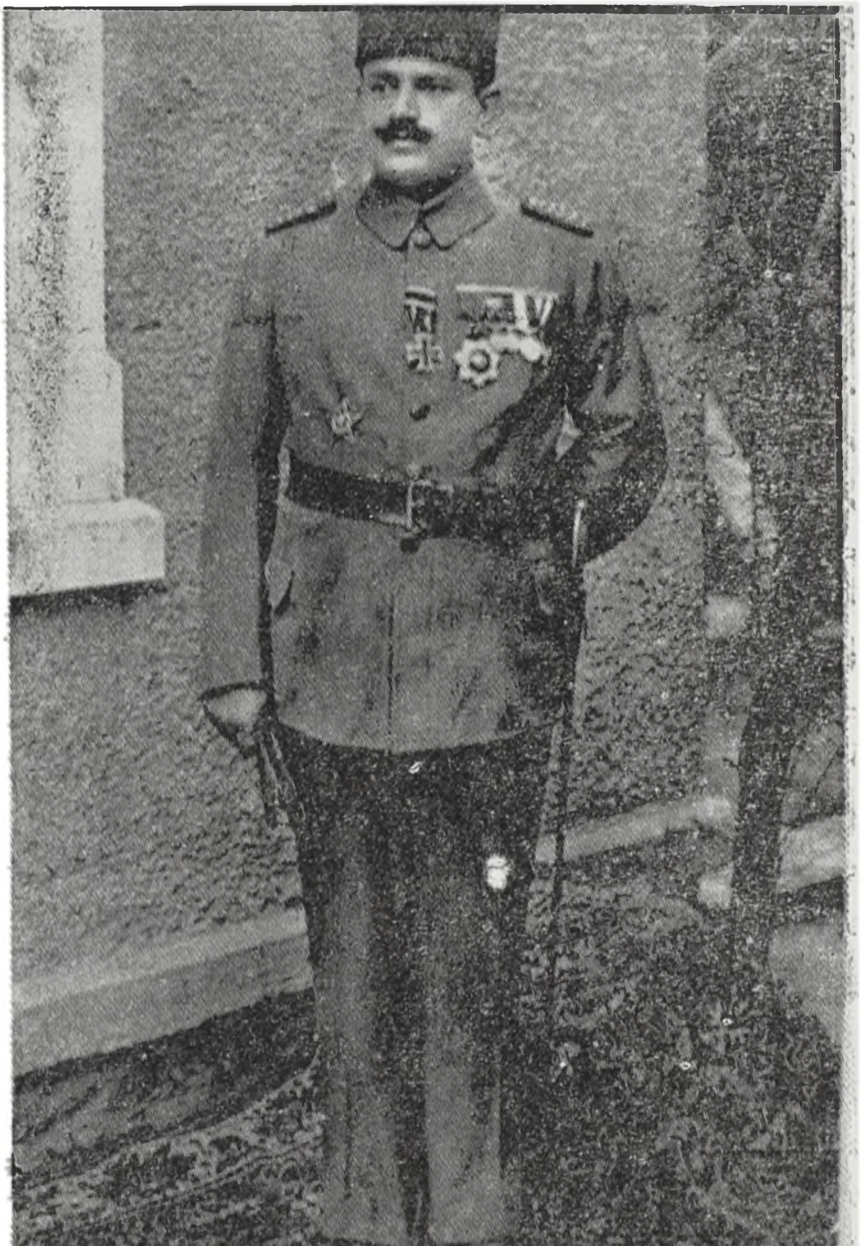
من اشهر ابطال الثـورة وقادتها المجاهدين الاحرار الواقفون من اليسار ابو محي الدين شعبان ، سعيد الاظن ، ابو عبده فارس ، الامير عز الدين الجزائري سعيد العاص توفيق القلعي . الجالسون من اليسار ابواحمد محمدعلي الكيال الدكتور محمد علي الشواف ، ابو سليمان العلبي ، هزاع ايوب

الآونة العصيبة . ان خسارة العدو تتجاوز الفا بين قتيل وجريح وفقيد وخمسمئة من الخيل والبغال وكثير من الضباط والطيارين وقد وقعت بأيدينا اوراق مهمة من الضباط المحصورين وبينها اوراق فينغ الذي قتل في معارك جسرين كفر بطنا وبين هذه الاوراق برنامج تطهير الغوطة وخرائطها وخسارتنا اثنان واربعون جريحا ومعظمها طفيفة وسبعة عشر شهيدا »

اتينا على ما قام به القاوقجي في تلك الناحية وعددنا ما كان منه واما ما كان من بقية الابطال المجاهدين الذين ما كان صنيعهم لينسى او جهادهم ليمحى او ما قاموا به من صدق الله ما عاهدوه عليه ليبلى بل نذكر لهؤلاء في الغزلانية وشبعا بمزيد الشكر ما قاموا به من حملة صادقة وصمود كبير حيث كانت هناك عصابة العهد والقائد مصطفى وصفي والضابط الباسل آصف السفرجلاني والرئيس محمود حمدي وكل من الابطال المجاهدين صالح سلو وممدوح عمر باشا وجميل البابا وسعيد غنيم وعصابة المليحة وزيدين يقاتلون في سبيل الله وفي سبيل اعلاء الوطن قتالا استحر فثبت واستبسل كل منهم استبسالا سطر لهم على صدر الدهر بمداد الفخر آيات الشكر .

وان ننس لا ننسى ما كان من البطل الضابط السفرجلاني من كل تضحية ومغامرة وشجاعة كادت ان تودي بحياته لما اصيب به من جراحات خطرة ذودا عن حياض هذه الربوع .

اما المغوار الهمام ابو محيالدين شعبان ورجاله الاحرار عصابة برزة فانه عند وادي منين بطريق صيدنايا اصطدم بقوة فرنسية على ضآلة عدد رجاله وكثرة عدوه ثبت هؤلاء المجاهدون وظلوا بين كر وفر الى ان استطاعوا ان ينسحبوا الى قرية برزة ناجين بأنفسهم من بعد ان اوقعوا بالعدو خسارات كبرى فتبع بهم الجند ولحق فيهم من بعد ساعات سبع اذاقوه فيها صنوف العذاب ومرارات الالم . وقد وقفت على ابواب القرية تناضل وتدافع



من اشهر قادة الثورة اللواء اركان حرب مصطفى وصفي باشـــا

حتى اقبل الظلام وحينئذ تمكنوا من ان يولوا وجوههم شطر الجهة الشرقية حيث رابطوا فيها اما الجند فانه عندما دخل القرية اعمل النار فيها خرقا وسلبا .

بعد ان رأى الفرنسيون من ثبات المجاهدين ما لم يخطر لهم ببال اخذوا يتحصنون في الكروم بعد معارك الفزلانية وشبعا اما القائد مصطفى وصفي والضابط آصف السفرجلاني ورجالهما الابطال فانهما توجها الى الجبهة الجنوبية والتقيا بالمجاهد الكبير الاستاذ الشيخ محمد الاشمر حيث كان هذا البطل يصلي الاعداء نارا حامية مناضلا ومجاهدا لهذا فقد اشترك المجاهدون جميعا في القتال والنضال وابلوا بالاعداء بلاء حسنا حتى قاموا باعظم واجب مفروض شكروا عليه .

انسحب الفرنسيون بعدها الى دمشق وعندها انتقل القائد مصطفى وصفي الى منطقة جرمانا والمليحة مشتركا مع عصابتها ابان انسحاب الفرنسيين في الاشعري وبيت سوى وكفر بطنا لدمشق وقد اشتبك خلال ذلك هؤلاء المجاهدون مع الفرنسيين بمعركة قوية .

ان قسما من الفرنسيين قد انقطع في كفر بطنا وقد طوقه المجاهدون وظلوا كذلك حتى الصباح وفيه التقت عصابة المهد والقائد مصطفى وصفي والضابط آصف السفرجلاني ورجالهما مع المجاهدين الابطال واصف وممدوح وعبد الوهاب آل عمر باشا وابو محي الدين شعبان وقد التفوا جميعا وتألبوا على العدو فدارت معركة بين الفريقين اخذ الجند خلالها يطلق النار من ثقوب الجامع هناك على المجاهدين من مسافة لا تزيد على الامتار السبع ودارت رحى القتال بصورة شديدة فكان من المبرزين فيها غير من سبق ذكره واصف وعبد الوهاب وممدوح آل عمر باشا والباسل اسعد سلام اذ انهم كانوا من الرماية على قدرة فائقة استطاعوا فيها اسقاط دائرة العدو اذ ذاك وحتى ان احدهم المجاهد ممدوح قد جندل من الفرنسيين لوحده



من اعلام الثـورة الابطـال
الضابط النبيل آصف السفرجلاني

ما ينوف عن سبعة عشر جنديا حاولوا الفرار من الحصار فلم يبلغوه وقد وقع شهيدا في هذه الواقعة البطل الرئيس محمود حمدي فكان منتقما وثائرا قبل ان يخر صريعا .

ما ان بلغ رجال السلطة خبر حصار قسم من الجند في كفر بطنا حتى وجهوا قوة من دمشق عن طريق عين ترما لانقاذ المحاصرين في كفر بطنا وقد استطاعوا بالحقيقة ان يجلوا الثائرين عن هذه القرية وان ينقذوا رجالها لما كانوا عليه من عدد وفير ومعدات غزيرة وقد اشتبكت هذه القوة عند عودتها الى دمشق من مجاهدين فكانت مناوشات عدة بين الفريقين كرا وفرا .

من البديهي ان ينفر القوم الى قتال العدو عندما يروه قادما عليهم ليوقع فيهم لذلك كانت في نواحي التل معارك دامية اظهر فيها رجال الثورة الاحرار وزعمائها من ضروب البطولة وصنوف الاستبسال وانواع الشجاعة والصمود بما لا يصبر عليه الا خيار الناس حزما واعلاهم عزما واثبتهم جاشا .

لقد كان البطل القاوقجي والامير عز الدين وشوكت العائدي من الرجال الافذاذ الذين قاموا بواجب القتال والصبر على الكريهة والنزال خير قيام سطر لهم اعلى الامثال مدى الحياة . ناهيك عما كان المغوار الباسل زكي المرادي والشجاع الدامي شوكت البطامي يقومان به في قرحتا من كل ثبات وشجاعة ونضال كما نذكر بالاكبار ما كان من بسالة الشاب ممدوح عمر باشا الذي ابلى احسن البلاء ولم يكن التاريخ لينسى ما كان من مجيد الفعال وحميد الاعمال في معارك حوش الريحاني وخرابو واوتايا من عصابات وابو عبده العشي وابو عبده ديب الشيخ ومحمود خيتي وغنيم خيتي ويونس الخنشور وابو عمر ديبو .

بلغ المجاهدين ان الفرنسيين مزمعون على مباغتة الزور كما ان قوة اخرى لهم ـ رابطت في الجهة المقابلة من ناحية المليحة سعيا وراء القيام بمعونة القوة الاولى لتطويق المجاهدين وحصرهم لذلك التامت عصابات عديدة وانضمت بعضا الى بعض للحيلولة دون مبتغى الفرنسيين فمن تلك العصابات التي اجتمعت وتوحدت لتأليف مجموعة واحدة تستطيع ان تصمد وتثبت امام الهجوم الفرنسي العظيم عصابات جوبر وبرزة وعين ترما والمهد وبعضا من ابطال الدروز في جهات الزور .

احكم الفرنسيون خططهم الحربية وهنالك حصنوا انفسهم بمتاريس وحصون كانت لهم درعا واقيا من هجمات المجاهدين وترسا صد عنهم عاديات الثائرين فحدثت هنالك معارك كانت بين الاقدام والاحجام حسب الظرف الحربي والموقع والعدو والعدد فكان الثائرون يظهرون في هذا السبيل من ضروب الحنكة في القتال وصنوف الخبرة في الطعان ما جعلهم بالحقيقة يعدون وان فروا وانسحبوا من ابرع المقاتلين واحمد النازلين اذ انهم وان لم يظفروا بعدوهم ولم ينتصروا عليه الا انهم استطاعوا على ضآلة عددهم وقلة معداتهم وعديد عدوهم ومعدات خصمهم وقوته الكبرى وتفننه بالحرب وخططه ومناهجه ان يستطع ان ينفذ ما رسمه من خطة وما اختطه من منهاج وما سعى اليه من مآرب في حصرهم بل تمكنوا من التفلت من بين يديه والانسحاب من اشراكه والتملص من الحبائل التي حاكها لهم فلم يستطع ايقافهم فيها .

مما يذكر لرجال الثورة بمزيد الاعجاب والتقدير ما كان منهم جميعا وما كان من بعض من رجال من الصبر على المكاره والصمود امام النزال والنكبات بصورة لم يحدث التاريخ عن احد استطاع ان يقوم بمثلها . فليس من الرجولة والبطولة ان ينبري فرد لمقارعة الف بعددهم وعديدهم بل من البسالة والشجاعة ان يستطيع هذا الشخص الفرد النجاة بنفسه بأسلوب وبحيلة

تفتقهـا له ذاكرتـه الخصبة فيستطيع ان ينجو من خطر أكيـد ومـوت نحوه سديد .

داهمت القوى الفرنسية الزور من كل ناحية وظفرت بمواقـع الثائرين الذين تمكنوا من الانسحاب ولم يبق من فلول المجاهدين الا خمس لم تتصل بنا اسماؤهم الذين تمكنوا من الانسحاب وآخر مااستطعنا ان نعلم منهم المجاهد الصامت واصف عمر باشا .

اصبح العدو من هـؤلاء الخمسة على بضعة امتـار ولم يعـد من وسيلة للفرار والانهزام ولا من القتال والاقدام فما كان من هؤلاء الشجعان الا ان تحروا مخبأ يقيهم انظار العدو ان تقع عليهم ولم يكن هنالك من مكان يصلح لذلـك الا قنـاة جللها كثير من السياج الملتف على نثير الاشجار مشتبكا مـع قش يابس جلبب القناة انحدروا متردين فيـه اخفاهم تكاثفـه عن الابصار ومـن المضحك المبكي مرور الجيش بأسره ومعداته وادواته الحربية الضخمة قريبا جدا من غير ان يستطيع واحد من هؤلاء الرجال ان يتنفس النفس الطبيعي مخافة ان يصعد وينخفض من فوق صدره ما اخفاه عن العيون .

ومما يضحك ويبكي ايضا مرور احد الكلاب الذين يرافق الجيش علـى المعتاد قريبا من هؤلاء المختبئين . ومن المشهور في الكلب فرط حس الشـم بصورة يعين الجيش كثيرا . فان ذلك الكلب عندما استنشق اريج الانسـان هناك اخذ ينتبه ويقف ويبحث بيده بين السياج قريبا منه فهنالك قـدر ايها القارىء العزيز ما حل بالمتواريين حينئذ وما اعتراهم من جزع وذعر وخوف ان تنكشف حيلتهم وتظهر دخيلتهم وقدر ما ذا تصور لكل منهم من الفـزع الاكبر بمرور انواع الفظائع على ذاكرته في تلك الساعة هـل هي الشنق ام الصلب أم الرمي بالرصاص ام الذهـب ام اتخاذ كل منهم هدفا يتعلم به الجند الرمي ام وام الى غير ذلك مما لا يستطيع ان يقدر موقفهم بصورة قريبـة من الحقيقة الا من أتيـح له في حياته ان وقف موقفهم .

لعل القاريء العزيز بحاجة لان يعلم ما ذا كانت نتيجة بحث الكلب عنهم. وهل اهتدى اليهم فكشف امرهم . فنقول كان الله اراف واعطف واشفق من ان يجعل رجاله الذين يقاتلون في سبيله على خجالة وحياء امام عدوهم . فقد أعمى الله بصيرة هذا الكلب فلم يفلح بالاهتداء لهم ومرت الدبابات والمصفحات على مقربة منهم مع جند كثير ظل مدى طويلا سائرا فوق الجسر الذي كان قريبا جدا منهم فلم يظفر ولله الحمد واحد من الجيش بهم وهكذا اسبل الله على هؤلاء المختبئين ستره فلم يفضح لهم امرا . ونجوا بعناية الله وفضله من موت اكيد محقق مبرم .

اما ما كان منهم عقيب ابتعاد الجيش فانهم نفضوا غبار الماء ورشاش الماء وآثار الاشجار والاقشاش التي كانت علقت بهم وانبروا يلتحقون بأخوانهم المجاهدين يشكرون الله على ما انقذهم من برائن عدوهم .

لم يندحر الثوار المجاهدون عن شيء يسير او عن امر غير ذي بال كانت كل النواحي التي حلوا بها نارا وحمما وجحيما عليهم فقد كانت المرامي تتوالى من نواحي عديدة ومن مصادر كثيرة ومن جهات مختلفة وقد توالى اطلاق القنابل من المدافع ثمان واربعين ساعة بلا انقطاع فقد اشتركت بالقاء النار والحمم الطائرات والدبابات والمدافع من روابي المزة ومن البرامكة ومن معمل القزاز في باب شرقي ومن قصر البللور ومن قمم جبل الاكراد وكان عدد الجيش الفرنسي يربو على الثمانية عشر الفا لذلك لقد كان من الحكمة والحنكة والدهاء ان ينجو الثائرين بانفسهم تلقاء هذه القوى التي لا تقاوم ومن النصر لهم والظفر انهم تمكنوا من ان يفلتوا مما اريد بهم .

عاد الجيش في الثاني والعشرين من يوليو سنة ١٩٢٦ الى دمشق ليرتاح من عناء القتال والصدام وليتاهب الى استئناف العمل .

كانت المعارك قليلة جدا ولم تعد كما كانت عليه من قبل لان المجاهدين



المجاهد الباسل السيد ممدوح عمر باشا المشهور بابي فهد مدير سجن الغوطة

قد اختطوا لانفسهم خطة في القتال جديدة وحولوا منهاجهم الحربي من ان يكونوا منظمين كما مر بنا آنفا الى اتخاذ قاعدة حرب العصابات دستورا للعمل حديثا اذ ان القوة الكبرى يجب ان يكون امامها قوة تضارعها والا فعلى القائد المدرب ان يتخذ اشغال العدو هدفا لاقلاقه وازعاجه فيكون وقع هذا النوع الحربي عليه اشد وادهى وامر .

اما الفرنسيون فلم يهدأ لهم بال تمام الهدوء ولم يرتح لهم ضمير تمام الراحة ما لم يستطيعوا ان يؤسسوا في الغوطة مواقع ومراكز تطمئنهم بأن لا يتمكن الثائرون من العودة لمهاجمتهم فيها ولذا فقد كان الرابع والعشرين من يوليو المذكور وفيه عاد الجيش الى استئناف القتال ومواصلة النضال ومتابعة النزال في الغوطة واخذ في كل يوم من الصباح الباكر يسير اليها ليؤمن نفوذه هناك مانعاً عودة الثائرين عليها . وكان عدد الحملات التي سيرها الفرنسيون منذ ابتداء الثورة حتى اواسط يوليو المذكور يبلغ ٥٢ حملة فلم يصد بالحقيقة من قدرة للمجاهدين على أن يعيدوا الكرة وان يحتلوا الغوطة اذ ان الفرنسيين قد اخذوا بهدم الحوائل والدكوك القائمة بين الحدائق والبساتين وقطعوا كثيرا من الاشجار الضخمة تشفيا منها وانتقاماً لمواراتها الثائرين عن انظارهم ودمروا كثيرا من البيوت وقطعوا الماء عن القرى مما كاد ان يقضي على الكثيرين من الآمنين عطشا وظمأ ناهيك عما كانت تقوم به السلطة اذ ذاك من انشاء المخافر والمراكز في جميع انحاء الغوطة مشحونة بالمدافع والجند كما احاطها الفرنسيون بسلسلة من حصون حصينة ومتاريس منيعة حالت دون اقدام الثائرين على دخول الغوطة او التجول فيها في كل امة من الامم لفيف من خائنين لئام يزين لهم ضعف الضمير ومرض الوجدان والجبن المستولي عليهم حب الانضمام الى الاعداء والكون مطايا الاستعباد لذلك كانت السلطة منصورة على الثورة بامثال هؤلاء الرعاديد الادنياء الاذلاء وبسبب مصافات الود لها منهم تمكنت من الانتصار اخيرا على الغوطة ومن

بنهـا امثال هؤلاء الانذال بين ضعاف الايمان بالثورة ان يقنعوا من يستطيعون اقناعه بوجوب موالاة الفرنسيين وصد المجاهدين ودفع غارة الثائرين ابقاء على مصالحهم الشخصية ومنافعهم الذاتية .

معـارك بعلبـك

من جملة المجاهدين الذين قاموا بالقسط الوافر من الجهاد الوطني زعيم عصابة بعلبك توفيق هولو حيدر من كان موظفا في دمشق خلال اغسطس سنة ١٩٢٥ ومن قصد قرية اللبوة الواقعة بين حمص وبعلبك عندما اتخذ الفرنسيون قرارا باعتقال رجال حزب الشعب اخذ هذا الباسل يتربص الدوائر بالسلطة الفرنسية ويعد العدة لايقاد نار الفتن هناك ومن جملة مزايا هذا الشهم انه اشترك في ايلول سنة ١٩٢٥ ولفيف معه من رجاله في حرب عصابات جبل قلمون وانه قاد حملة في شهر تشرين الثاني من نفس العام على مدينة حمص وكان على دهاء حربي بدا واضحا فيه عندما دعاه اهلوها لاحتلالها فلم يفعل وآثر التريث ثم توجه نحو الغوطة وغادرها للويداء وكان في جملة مؤتمري دامة وفي عداد الهاجمين على اللجاه واحتلالها . وفي اوائل نيسان سنة ١٩٢٦ كان في ربوع بعلبك يضرم نار الثورة فيها وما ان علم الفرنسيون بأمره حتى جهزوا قوى بعثوها للقبض عليه فكانت عاقبة امرها معه خسرى اذ هزمها في الرابع عشر من نيسان المذكور شر هزيمة مشتتا اياها في كل واد وفي الثامن عشر من مايس سنة ١٩٢٦ باغت بعلبك واحتلها حربا فما استطاعت قوة ان تقف امامه ولا ان تحوله عن مرامه وكان يؤثر حرب العصابات والاشغال على الحرب المنظمة لذلك ما كان يستقر ناشيا حلاوة الظفر في بلد ما بل يعمل فيها ما يتحدث به الناس عنه وما يزعج اخصامه وينكفيء راجعا الى اشغاله في بلد آخر وفي ١١ يونيو سنة ١٩٢٦ أعد

الفرنسيون حملة كبرى زحفت من رياق وراس بعلبك في قطارات عديدة يناهز مجموعها الخمسة آلاف جندي تدعمها الرشاشات والدبابات والطائرات والمدافع وما ان نزلت فجر اليوم المذكور في محطة اللبوة وما كادت تبارحها سائرة الى القرية لمداهمة العصاة بمسافة اربع كيلو مترات الا وانهال عليها وابل الرصاص كالامطار واوقع الذعر في صفوفها ورجالها فنكص الجند على الاعقاب الى المحطة خاسرين يلوذون بأكناف القاطرات لكي تقيهم عاديات العدا وانهزم الجند تاركين في ساحات الوغى عتادا وقتلى وجرحى غنمها الثوار بين زغردة النساء واناشيد الابطال واهازيج الشباب وجئن نساء القرية يحملن الى المغاوير زادا وماء يزغردن مما دعا الجيش لان يظن ان هنالك نجدة اقبلت تعمل في فلوله السيف والنار فما كان منه الا ان اركن للفرار .

وقد اتصل هذا الزعيم الباسل توفيق هولو حيدر بزعماء بني معروف في اوائل اغسطس سنة ١٩٢٦ باقيا هناك حتى اواسطه للعمل على خطة جديدة للقتال يختطونها وعدا الى ربوعه يعتصم في جردها حتى اذا ما علم الفرنسيون بأمره جهزوا قوة كبرى لنزاله كان الظفر له فيها حليفا وكان الخذلان لاعدائه اليفا وقد استطاع هذا الاسد ان يثأر للشهيد العربي الكبير احمد مريود من قاتله الكابتين بوافان فارداه قتيلا .

اما في شتاء سنة ١٩٢٧ وبعد ان وطد الفرنسيون نفوذهم في معظم اماكن الثورة ومن بعد ان سيطروا على مناطق الثائرين فانه غادر معتصمه الى الجبل الاشم باقيا هناك الى جانب اخوانه المجاهدين .

المجاهدون في وادي التيم واقليم البلان ثانية

ما عتمت السلطة ان غادرت وادي التيم واقليم البلان بعد ان ظنت بأن الامر قد استقام لها عقيب احتلال مجدل شمس وانها دوخت هذه المنطقة

بحيث لن تقوم للثائرين فيها قائمة فيما بعد وما لبثت السلطة ان عادت الى مراكزها حتى عاود المجاهدون الكرة على تلك الربوع بقيادة الامير عادل ارسلان والشهيد احمد مريود والبطل شكيب وهاب وهنالك دارت رحى القتال بين المجاهدين وبين الاعداء بما فيهم قسم من الشراكسة وبعض مسيحى تلك البلاد وظل الطعان آخذا جهده وبالغا شدته حتى تم للمجاهدين في اواخر شهر مايس احتلال نفس مجدل شمس وبسط النفوذ على لبنان الشرقي تقريبا وقد اشتد ساعد الثائرين الابطال وقويت شوكتهم لدرجة بعثوا بها في الثلاثين من مايس انذارا الى مدينة زحلة طالبين اليها فيه الخضوع الى سلطانهم واداء الفين وخمسمئة ذهب عثماني جزية لهم عنوان الخضوع وما ان بلغ مدينة زحلة هذا النبأ العظيم حتى قلقت واضطربت وهبت تؤلف وفدا قوامه مطران الروم الارثوذكس ووكيل مطران الكاثوليك ورئيس دير الآباء اليسوعيين ورئيس البلدية ولفيف من الوجوه كي يقابل المستشار الفرنسي وكي يطلعه على ما كان من المجاهدين معهم وما ساد المدينة من فزع لاسيما من بعد ان بلغهم ما قامت به الحكومة الفرنسية من نقل اضابيرها الرسمية ومعاملاتها الى بيروت وتقدم الوفد اليه بالمطاليب التالية :

١ ــ جلب قوة لا تقل عن ٣٥٠٠ جندي لزحلة لحمايتها .

٢ ــ توزيع ١٥٠٠ بندقية على الشبان بوثائق على ان يعاد هذا السلاح للسلطة بعد ان تبرهن الحالة على عدم حاجة الاهالي اليه .

٣ ــ الترخيص للاهالي بشراء السلاح .

هدا المستشار ثائر الوفد وطمأنهم وقال بانه سيطلع القائد العام على هذا الامر الجلل وطلب اليهم ان يخلدوا الى السكينة والهدوء وان لا يخشوا شيئا .

اما المجاهدون فانهم لم ينجزوا وعدهم ولم ينفذوا وعيدهم ولم يهاجموا زحلة ولم يقابلوا فردا من اهاليها بسوء .

مر بنا ان معقل الغوطة قد تضعضع وان الضعف قد سرى الى صفوف الثائرين في الجبل والوهن قد تسرب . وان الثورة السورية قد دال امرها وتغير حالها ولم تعد فيها تلك النزوة الناجحة والنار المتأججة لذلك في اواسط شهر اغسطس رأى الامير عادل ارسلان ان يبارح اقليم البلان بمن اليه من صحب ورجال فتوجه الى قرية العادلة الواقعة جنوب الغوطة ومنها اخذ طريقه نحو اللجاه حيث تحصن فيه وعرس بشاطئه .

كان مقر قيادة الثورة في الغوطة قرية حتيتة وكان هنالك المجاهد الكبير سعيد العاص ففي الثامن عشر من نيسان سنة ١٩٢٦ غادر هذا المجاهد المقر الملمع اليه يبتغي النواحي الشمالية لاشعال نار الثورة فيها . فسلك سبيل الضمير وانحدر منها الى قلمون وسار حتى قرى : اكروم واكوم وكفرنون وقنه والموسه والخوخ وبساتين والسهلة ولهذه القرى مركز حربي جغرافي عظيم وهي تتصل من الغرب بجبال عكار ومن الشمال بجبال العلويين ومن الشرق بسهل الهرمل ومن الجنوب بجبال لبنان واهاليها من مسلمي الشيعة .

كان مقر قيادة الثورة في الغوطة قرية حتيتة وكان هنالك المجاهد الكبير الباسل منير الريس وفائق الكيلاني وعلاء الدين الكيلاني وشاكر السباعي ورشاد ملص ومحمد علي الدروبي ومحمد علي النابلسي وكان من زعماء تلك النواحي المجاهد المغوار زين مرعي جعفر واقاربه الشجعان فشقوا عصى الطاعة على الحكومة فجهزت السلطة قوة لملاحقتهم تتألف من ١٥ فارساً يقودهم عبد الملك الدرزي كان من زين الشعان او بالحري من زين الرجال الا انه نازل هذه القوة وصمد لها حتى استطاع قتل واحد منها واسر الباقي وقد انضم اليه ابان ذلك المجاهد الباسل سعيد البري وقد نسف قسما من الخط الحديدي قريبا من وادي خالد فتوقف سير المواصلات وتعطلت الطريق بين حمص وطرابلس .



من اشهر ابطال الثورة المغاوير المجاهـد الكبير منير الريس

وبعد ان بلغ سعيد العاص القرى التي ألمعنا اليها التي تسمى اكروم انضم اليه لفيف من ثائري حمص بامرة المضحي والمفادي الشجاع نظير النشواتي فعملوا يدا واحدة واتخذوا خطة ترمي الى مداهمة حمص ليلا وتجريد رجال المخافر من عتادها والسطو على الجند ثم العودة عند انبثاق الفجر الى اكروم . نفذوا ذلك حرفيا وقاموا بهذا الدور اجمل قيام فاضطرب ولاة الامور في طرابلس الشام وعكار والضنية وقلقوا وانفعلوا واتخذوا كل ما لديهم من وسيلة شديدة للدفاع عن تلك الربوع .

وفي رابع مايس بينما كان سعيد العاص ورجاله جميعا قافلون من مهاجمة حمص باغتهم اهل النصيرية من سكان قرية خربة غازي وخربة التبن وسرجة الحجر والحجر الناعم وام الجارتين وقرحا وخربة وام العظام وقد صمد الثائرون وقاتلوهم قتالا عنيفا مما دفع اهل النصيرية الى الحيلة فصاحوا بالمجاهدين « عليكم امان امير المؤمنين » وقالوا ليس من حاجة لامتشاق الحسام فيما بيننا وتعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم نتفاهم ونتصافى . فانطلت هذه الخديعة والحيلة على الثائرين فباحوا اليهم بالمودة واستسلموا لهم فما كان من هؤلاء الا ان اطبقوا عليهم وانتزعوا سلاحهم منهم وابلغوا السلطة ما كان فبعثت بقوة تستلمهم واليك من اخذته السلطة من المجاهدين الاكارم : نظير النشواتي وحسين جراد وعبد الكريم العاص وسعيد شهلا ومرعي التركماني وعبد الله المغربي وحسين النابلسي وعقلة الدندشي .

ما ان تسلم الضابط الفرنسي هؤلاء الابطال الا وقد تناول مسدسه يرمي كل واحد منهم بالرصاص فردا فردا ثم اعاد الكرة مرة ثانية عليهم واحدا واحدا وامر الجند بان تطرحهم هوة اعدها لذلك وعاد الى حمص . وكله ثقة بانهم قد اصبحوا جثثا لا حراك فيها .

بعد رحيل الضابط افاق المجاهد المائت الحي نظير النشواتي وتحامل على نفسه حتى وصل الى حمص فالتجا الى احد بيوتها واستدعى طبيبا يشفيه

مما فيه ويضمد له جراحه فاتاه احد رجال الانسانية الاطباء الحقيقيين وقام بما عاهد الله عليه من تلبية نداء المستغيث ورد لهفة اللهيف وظل قائما على معالجته حتى كتب له الشفاء فابى على هذا الشهم المجاهد اباؤه بان يظل قابعا في الدار فالتحق باخوانه المجاهدين الابرار يعاود القيام بالواجب الوطني واستبقى رجال النصيرية عندهم من رجال العصابة محمد علي الدروبي نجل محي الدين الدروبي وعلاء الدين الدروبي — وهو من خيرة المثقفين المتعلمين — فكان استاذا في مدرسة الطفيلة حتى اعلان الثورة وفيه انضم اليها وعمل تحت رايتها » .

عاد اهالي النصيرية عن استبقاء هذين المجاهدين لديهم وسلموهما الى الفرنسيين وقد اعدمتهم السلطة في حمص من بعد عذاب فظيع وتنكيل مريع لم يحدث التاريخ باسوا منه اصلا .

عقيب هذه الخيانة النكراء والجريمة الشنعاء والجبن البادي للعيان هب اهالي تلك الربوع للانتقام من الخونة الانذال فاتسع نطاق الثورة وتفشى امرها هناك واذاع قائد الثورة في الشمال البطل سعيد العاص على سكان الجبل الغربي البيان التالي :

« اخواننا البواسل زعماء عشائر الحمادية الاماجد .

ازفت ساعة العمل وايقظتنا صرخة انقاذ الوطن ونحن عصبة امير المؤمنين وستكون خطتنا الجهاد عملا بقوله تعالى : — وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وانفسكم — وقوله : — كتب عليكم القتال كما كتب على الذين من قبلكم » .

« ويجب علينا ان نعمل بقوله تعالى : — واعدوا لهم ما استطعتم من قوة — وقوله : — ولا تقولوا لبعضكم كما قال بنو اسرائيل لنبيهم : اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون — بل قولوا : الى الجهاد الى الجهاد الى اخذ الثار الى انقاذ الوطن من براثن المستعمرين الاشرار ، الوطن وطنكم والشرف شرفكم وانتم عصبة امير المؤمنين فيجب علينا ان نخلد ذكر جيشه الخالد بأعماله

الخالدة ولا نكون دون اخواننا الدروز وانتم من خيرة العرب بل انتم خيار من خيار وانتم اهل الشجاعة والشهامة والنجدة والنخوة حاشا نفوسكم الابية ان تقيم على الذل وتخضع للعدو حاشا شهامتكم ان تستسلم اترضون بهتك العرض وانتم حماة العرض والدين .

« لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى — حتى يراق على جوانبه الدم »

اصبح مقر الثائرين في قرية عين التينة منضما اليها المضحي الكبير نظير الشواتي وعصابة حماه تحت امرة الكانفيد (١) واستقروا هناك لموالاة اعمال الثورة .

في اواسط مايو ازمع الفرنسيون على احتلال اكروم فهيئوا قوات كبرى قسموها على حملات لتامين هذه الغاية فسارت حملة من حمص وثانية من الهرمل وثالثة من وادي خالد وحلقت الطائرات في السماء للاستكشاف والقاء القنابل .

اما المجاهدون فقد اعدوا العدة للقاء هذه القوى واختطوا لانفسهم خطة مآلها ان يكون الصدام في وادي فيسان فبدات في الثامن عشر من مايس حركة الطعان والنزال في ناحيتين : الشرقية وفيها التقى البطل سعيد العاص ورجاله الاشداء بالحملة القادمة من حمص وصدموها واخذوا يعملون فيها فتكا ذريعا حتى المساء وقد انعقد لواء النصر لهم فهزموها شر هزيمة .

(١) عصابة الكانفيد مؤلفة من شباب حماة البواسل لقتال الفرنسيين ومن والاهم . اقامت في الجبل الاعلى حينا وفي جبل شمشو احيانا وهددت حماه مرات عديدة . وباغتت في قرية مورك وعصابة صبحي اللاذقاني قوة الدرك الحموي التي كان يراسها عبد الله الشركسي قائد درك حماه فقتلت هذه العصابة خمسة من رجاله ولم ينج عبد الله الشركسي رئيسها الا فارا بلباس امراة وعلى ان ذلك ايضا لم ينجه منهم اذ ان الشهيد رزوق نصر احد رجال العصابة قد تبعه الى حماه واغتاله فيها جهارا .

وفي الجنوبية وقد التقى الجعافرة البواسل فيها بالحملة الآتية من الهرمل المؤلفة من بعض اللبنانيين وجراكسة ونصيرية وقد بذل الجعافرة الابطال في هذه المعركة منتهى التضحية واعظم المفاداة وتحمس القوم حتى ان النساء شاركتهم في القتال وقد ابلوا في ذلك احسن البلاء وظلت رحى الحرب دائرة بين هؤلاء المجاهدين الابرار والاعداء حتى المساء وقد اشترك مع هؤلاء الجعافرة الصناديد البطل الكبير سعيد العاص ورجاله الابرار من بعد ان دحروا تلك الحملة فوضعوا عدوهم بين نارين . وقد كانت هذه المعركة مفخرة الثائرين مدى الاجيال اذ انهم ارغموا قائد الحملة الفرنسي ان يتزيا بالزي العربي حتى ينجو من ان يقع في ايديهم من بعد ان جرح جروحا بليغة . وقد غنم المجاهدون غنائم عدة بين خيل وبنادق وعتاد كما انهم خسروا في هذه المعارك ١٤ بطلا شهيدا بينهم امراة باسلة شهيدة .

عقيب هذا الظفر نشر قائد الحملة البلاغ التالي :

« أخواني الاعزاء ابناء المنطقة الشمالية :

نعلمكم يا انسال الابطال الاماجد الذين فتحوا الامصار والممالك وكانت راية نصرهم تخفق فوق رؤوسهم اينما حلوا ، ونزف اليكم هذه البشرى العظيمة بشرى انكسار الحملات التي هاجمت الجبل الغربي الشامخ تراث آبائنا واجدادنا فان حملة الهرمل كسرت شر كسرة ومزقت شر ممزق واما حملة حمص فقد جرح قائدها وبادت . وفقدت الحملتان معظم قواهما وقتل منهما زهاء ٦٠٠ واسر ٧٠ جنديا وسقط في ميدان القتال تسعة ضباط فرنسيون وغنم المجاهدون غنائم عظيمة من اسلحة وذخيرة وخيول يتجاوز عددها المئة وقتل ابو خزنة وتركت الاسرى بوجه سعد الله حمادة حرمة لعوائد البلاد ولانهم من ابنائها فيجب عليكم ان تكونوا متحدين وتثابروا على جهادنا متوكلين على الله حتى آخر نقطة من دمائنا فنطلب منكم المعونة والنجدة وامدادنا بالمال والرجال والله يحفظكم » .

بعد هذه المعارك العظيمة وبعد خذلان الفرنسيين صممت السلطة على حشد قوى جديدة في قرية زيتا وتأهبوا لغارة يقمعون بها ثورة الابطال المجاهدين .

بارح رجال الثورة وحلوا في قرية حميرة وقد وصل اذ ذاك الوطني المجاهد قاسم شوك من ثوار نضية ومصطفى علي شنديب وقد اتصلا بالقيادة وسار الكل الى مرجحين التأم اجتماع من كبار الشيوخ والزعماء وقرروا مبدئيا ان يؤلفوا جيشا وطنيا يدعى جيش امير المؤمنين وقرروا المطالبة بالانفصال عن لبنان واقسموا اليمين الآتية :

« نحن زعماء الجبل العربي نقسم بكتاب الله وبمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرف امير المؤمنين اننا سنخدم اوطاننا ونضحي بالغالي والرخيص في سبيل انقاذ الوطن وان لا نشذ عن المقررات العامة ونعمل بموجب الشرع الشريف والله على ما تقول شهيد » .

ثم اتخذوا قرارا بمطاليبهم بعثوا بنسخ منه الى كل من القائد العام السلطان واللجنة التنفيذية بمصر والزعيم الشهبندر والوفد السوري في اوروبا والى جامعة الامم . نصه ما يلي :

« نحن الموقعون ادناه زعماء عشائر الهرمل وبعلبك قد عاهدنا الله ورسوله على ان نمد حركتكم الوطنية وثورتكم الشريفة باموالنا وانفسنا وارواحنا وان لا نأتي بحركة سلمية اصلا ما لم تتفق كلمة المجالس السورية الوطنية للثورة العامة وزعماء الحركة السياسية امثالكم وبما اننا من الشعب الاسلامي العربي فان مطالبنا هي مطالبكم المشروعة السياسية ونرجو من دولتكم تبليغ جميع زعماء الحركة السياسية اخوانكم في الخارج واسماعهم اصواتنا واعلامهم مطالبنا وبالاخص الجمعيات السورية في اميركا واوروبا باننا نود الرجوع الى حضن امنا سورية وطننا التاريخي المحبوب وقطع علاقتنا وانفصالنا عن لبنان الصغير انفصالا تاما فنامل من وطنيتكم حين قيامكم

بالمفاوضات السياسية والسلمية بان لا يغيب عن بالكم وتنسوا المطالبة بحقوق اخوانكم لانه لا يمكن تامين حياتنا في داخل لبنان اصلا حيث حقوقنا السياسية والقومية مهضومة وستبقى مهضومة ابد الدهر . وها نحن نؤيد مطالبنا المشروعة بالسلام وباشتراكنا في الثورة العامة ولا نترك سلاحا من ايدينا ما لم نعد الى حضن امنا سورية حيث منطقتنا محصورة بين حمص وبعلبك وطرابلس ومرفا اقتصادياتنا حمص وجميع معاملاتنا مع الداخلية وقد اهديت الهرمل لقمة سائغة للبنان مع انها سورية جغرافيا وتاريخيا . وقد علمتم كسرنا للحملات الفرنسية التي زحفت لاكتساح بلادنا واخضاع جبلنا الاشم ومجموع نفوسنا يتجاوز العشرين الف نسمة وكلنا عرب مسلمون فنرجوكم التكرم بالاسراع في اجابة ملتمسنا واعادة حقوقنا السياسية واعلامنا نتيجة المفاوضات ونعاهدكم على ان لا نلقي سلاحنا ما لم نصل الى غايتنا الاساسية وهدفنا الاسمى وهو الرجوع الى حضن امنا سورية والله يجعلكم ذخرا للامة العربية . في ٣٠ مايو سنة ١٩٢٦ »

واتخذوا قرارا آخر مآله تولية البطل المجاهد حسن طعان القيادة العليا بالنص التالي :

« نحن زعماء عشائر الحمادية الموقعون ادناه قد تعهدنا على انفسنا بتأليف جيش مؤلف من جميع العشائر باسم جيش امير المؤمنين على ان يكون لكل عشيرة قوة خاصة مرتبطة بالقيادة العليا المنحصرة برئاسة المجلس الاعلى الوطني للجبل الغربي وعلى ان تخضع العشيرة لجميع التعليمات الصادرة من رئيس المجلس ويكون هذا الجيش من حيث التقسيمات العشائرية مرتبطا برئيس المجلس المنتخب بالاكثرية وهو الشيخ حسن طعان دندش وعليه نوقع » .

وقد اتفق الجميع على ان تقسم منطقة القتال على العصابات حسب ما يلي :

« عصابة بعلبك من رياق الى بعلبك وعصابة حسن طمان دندش من بعلبك حتى راس اللبوة وعصابة اولاد جعفر من اللبوة الى القصير وعصابة حمص من القصير حتى حمص .

لم يشأ لبنان الشمالي ان يقبع في معزل عن الثورة السورية ولم تشأ سير الضمنية ان تكون اقل حظا من اخواتها البلاد السورية العربية في المساهمة بالواجب الاقدس الوطني . ولم يشأ المجاهد الكبير سعيد العاص ان يكون في نجوة من تلبية النداء عندما يدعى اليه لهذا غادر الاكروم في الرابع عشر من يونيو مع بعض رجاله متوجها الى الضنية وقد كان تقدمه رجاله ليمهدوا السبيل لاستقباله فوصلوا قرية كفر حبوا بعد غز المسير يومين فنشب عراك بين المجاهدين والفرنسيين ابدى فيها الثائرون من انواع الكسر على الاعداء ما اذهلهم وابهتهم ودحرهم شر اندحار ثم تابع الوطنيون سيرهم الى قاعدة الضنية وهنالك قاموا بتاليف حكومة نظامية واجروا للجنود جرايات وخصصوا للمجاهد المنظم ثلاث دنانير فرنسية في كل شهر واربع منها للقائد واثنتان للشرطي . وكان عماد الثائرين ومستندهم آل شوك الاكارم وآل شنديب العظام .

سعيد العاص في لبنان الشمالي والسلطة

تقع على مقربة من سير زغرتا فشاء المجاهد سعيد العاص أن لايحرم هذا البلد من شرف الجهاد ولا ان يكون اقل تيها وافتخارا من غيره . على انه بالحقيقة كان يرمي الى هدف اسمى من هذا ومقصد انبل من ذلك هو ان يكف رجال الموارنة عن العدوان على اخوانهم المسلمين تفاديا من ان يوقع العداوة والبغضاء بين ابناء المذاهب المختلفة في البلد الواحد . هذا من ناحية ومن ناحية اخرى ما كان يود ايضا ان يعمل الفتنة بينه وبين اناس يكن لهم في فؤاده كل تبجيل ولو عادوه ويضمر كل محبة ولو اساءوه . فما كان

يود ان يشن الغارة على الموارنة حتى لا يتخذ اعــداؤه واعداؤهم من صنيعه هذا حجة على عدم النضوج السياسي في السوريين . لكل هذا بعث البطل الكبير سعيد العاص بالكتاب التالي الى موارنة زغرتا :

« الى وجوه زغرتا المحترمين :

علمت بأن تعدياتكم تزداد يوما فيوما على اخوانكم المسلمين وتعرضكم لابناء السبيل من قبل بعض الجهلة وسلبهم اموالهم على قارعة الطريق فنحن قيامنا قومي بحت وهدفنا اعداء الوطن الفرنسيون اما انتم فلكم ما لنا وعليكم ما علينا اذا عدتم الى الصراط المستقيم احبطتم اعمال هؤلاء حيث هذه الاعمال تولد ضغائن بينكم وبين جيرانكم المسلمين فادعوكم للاقلاع عن الاعمال المخلة بحقوق الجوار ومصالح الوطن واذا تماديتم في التمرد فلا حرج علينا ولا تثريب . ونحن نتعهد لكم طالما انتم على الحياد ان لا يمسكم سوء منا فادعوكم للتفاهم معنا والسير على خطة تتفق مع المصلحة الوطنية وتعيدكم الى الصواب فارجوكم اعلامي عن خطتكم والسلام عليكم . في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ » .

فردوا عليه في العشرين من يونيو بما يلي :

« الى الزعيم العسكري الاركان حرب سعيد العاص المحترم .

« قد صار الاطلاع على كتابكم المؤرخ في ٩ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ وعرض فحواه على وجوه زغرتا وقد فهم مضمونه وتتشرف باعطاء الجواب عليه بالصورة الآتية :

١ ــ انه لم يحصل من الزغرتاويين اعتداء على اخوانكم المجاهدين ولم يحدث حادث سلب على قارعة الطريق خلافا لما اتصل بكم لانه لم يتعود الشعب الزغرتاوي على مناواة جيرانه وخصوصا المسلمين منهم وخصوصا عند عدم الاعتداء على الممتلكات والارواح ضمن منطقة زغرتا واذا رجعتم الى تاريخ علاقتنا مع الامة الاسلامية المجاورة لنا يتضح لكم جليا باننا

لم نكن بوقت من الاوقات معادين لهم ولا لمبادئهم وحركتنا التاريخية غايتها المحافظة على كرامتنا واراضينا معا .

٢ ان خطتنا تجاه حركتكم هي الحياد طالما لم يحصل اعتداء من قبلكم على اراضينا وجوارنا المسلمين معا الذين تعودوا ان يضعوا ما عندهم تحت حماية زغرتا .

٣ ـ اننا لا نرى من الضروري الاجتماع بحضرتكم للتفاهم مبدئيا اذ اننا متفقون على عدم التعدي والله يحفظكم » . ـ وجوه زغرتا

فجاوبهم في الحادي والعشرين منه بالرد التالي :

« الى حضرات اخواننا وجوه زغرتا المحترمين .

وصلنا كتابكم وشكرناكم على احساساتكم وعواطفكم العربية وشهامتكم اللبنانية ان بقاءكم على الحياد هو عين الصواب الآن حيث فيه سلامة بلادكم والمصلحة الخاصة والعامة وحبا في ذلك فقد عممنا لجميع مناطق الثورة بالامتناع عن كل اعتداء على اي فرد كان بلا تفريق في الجنس والمذهب وباستطاعتكم ان توعزوا لاخواننا المسيحيين بالعودة الى اوطانهم فهم واملاكهم في عهدتنا واذا حصل عليهم اقل اعتداء فنحن مسؤولون واذا لم يحضروا فالتبعة ملقاة على عواتقهم فيما اذا صار على اموالهم شيء لا سمح الله من قبل بعض الاشرار الذين لا يخلو منهم اي مكان ولا مانع من ان تجهزوا كل عائلة بوثيقة من قبلكم بشرط ان يلزموا الحياد ويثابروا على اشغالهم وان لا يتجسس احد منهم على حركاتنا الحربية والسلام » .

وقد اذاع على اهالي الضنية في تاسع ذي الحجة البيان التالي :

« لي الشرف ان اعلم الجمهور ان زعماء الثورة في الضنية يؤمنون جميع السكان الذين غادروها خوفا على اموالهم وانفسهم واملاكهم فهم في حصن منيع على جميع املاكهم وانفسهم اذا عادوا لاعمالهم في المنطقة في خلال اسبوع واقاموا في قراهم وكل من لا يلبي الدعوة فماله حلال للمجاهدين

وامواله تصادر باسم الثورة الوطنية » .

واعقبه ببلاغ الى المسيحيين في الضنية نصه ما ياتي :

« الى اخواننا في الوطن مسيحي الضنية :

ان خطتنا في هذه الثورة هي ان الدين لله والوطن للجميع وان المصلحة الوطنية فوق كل مصلحة وباستطاعتي ان أؤمنكم على اموالكم واعراضكم فيما اذا عدتم لاشغالكم وخدمتم وطنكم كاخوانكم المسلمين فلكم ما لهم وعليكم ما عليهم واعلموا اننا اخوان في القومية واللغة والتقاليد والجنس والعادات ولكم دينكم ولنا ديننا ولا فرق بيننا وبينكم ونحن منكم وانتم منا فأدعوكم وانتم احرار الى الانخراط في صفوفنا اذا اردتم واما اذا احببتم البقاء على الحياد فانتم احرار ايضا فغايتنا استقلال بلادنا وتحريرها من الاستعباد ومنفعتنا في منفعتكم والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه فأدعوكم يا نسل قحطان وعدنان للانضمام الى اخوانكم والله يحفظم » .

لقد اكبر الفرنسيون جراة الوطنيين وذهلوا لها وما كانوا ليظنوا ان تبلغ الشوكة والسلطان بالمجاهدين درجة يقتربون بها من طرابلس الشام واقتحامهم بابا من ابوابها وهي الضنية وفزعوا ان يمتد نفوذ الثائرين الى طرابلس الشام فيكون على رجال السلطة من العار ما لاحد له ولا وصف وخافوا أن يداهمهم الوطنيون في طرابلس الشام ويحتلوها فاعدوا العدة فورا وحشدوا قوات عظمى احاطوها بالحصون والمتاريس وعززوها بالاسلاك الشائكة واقاموا المدافع الضخمة منعا لكل طاريء وفي التاسع والعشرين من يونيو زار اميرال الاسطول الفرنسي في البحر الابيض ميناء طرابلس على ظهر بارجته وقد صعد الى البر يقصد دار الحكومة وهنالك اتى له الفرنسيون بوجوه المدينة واعيانها فخاطب هؤلاء بقوله لهم ما معناه : « اني اسمع دوما بان الاهلين يفكرون في العصيان على الحكومة ومماشاة الثائرين فاذا ماحدثت واحدا نفسه باشعال نار الثورة في هذا الثغر متفقا مع بعض الاهلين فانه حينئذ

يعرض المدينة الى الدمار اذ اني لا اتردد لحظة عندئذ بضرب المدينة بقنابل مدرعاتي البحرية » .

وما ان اتم قوله حتى ودعهم قافلا بالبارجة الى بيروت وقد لجأت الحكومة الفرنسية الى الوسيلة التي طالما لجأت اليها عندما ترى قريبا من بلد ما تتاجج نار الثوران تلك هي اعتقال من عرف بالوطنية واشتهر بالحرية والدفاع عن الحقوق القومية فهي سرت على هذه القاعدة في مدينة طرابلس الشام فاعتقلت الوطنيين الاحرار عبد الحميد كرامة مفتيها الاسبق والدكتور يسار الشهير وعارف الحسن وحسن العلي وولده محمد وخضر المصطفى .

وقد عمدت من ناحية ثانية للعمل على القضاء على الفتنة بطرق استعملتها كثيرا تلك هي الاستعانة ببعض ابناء البلد الواحد على ابنائه الآخرين فقد اتصلوا ببعض من وجوه عكار والضنية ممن عرفوا بمسايرة الانتداب والاستعمار واتخذوا من هؤلاء الاوائل المتحركة اداة ينفثون عن طريقها السموم ويؤثرون على الضمائر والوجدانات وكان هؤلاء الانذال مطايا ومراكب يركبهم الاجنبي ويمتطيهم الفرنسي لتأمين اهدافه السامة ومراميه البغيضة وغاياته التي لا تشرف من يعينه عليها وقد سعى هؤلاء الخونة لدى مني آل شوك وآل شنديب السعي الحثيث لاقناعهم بأن يستسلموا للسلطة طالما انها تعفو عنهم ولا تنال احدا منهم بأذى كان المعهود والمفروض ان لا يظفر ولا يبلغ هؤلاء القوم الجبناء من مآربهم شيئا ولكن استطاعوا على ما يظهر في المدة الاخيرة ان يؤثروا على بعض ممن يؤخذ بالحيل وتنطلي عليهم الدسائس فانخدع بعض منهم وظنوا ان ما قيل لهم حق وعدل وان الفرنسيين عند عهودهم ولكن سرعان ما كانت نبوءة الثائرين اصدق من سعي الساعين وخداع المرائين وابعد نظرا بالسلطة واسد رايا برجال الانتداب فالفرنسيون لم يفوا بعهودهم لهؤلاء المستسلمين بل قادوهم كمجرمين الى محاكم بيروت حيث يلفظ الديوان العسكري حكمه عليهم فكان نصيب هؤلاء الاغرار المنخدعين

حكم القضاء العسكري عليهم بالموت وهكذا تقرر اعدام كل من عبد الواحد حمدان شوك وقاسم شوك ومحمود علي خضر ومرعي حسن شنديب .

نظر المجاهد سعيد العاص نظرة في النجوم وقال لا بد من النزوح عن هذه الربوع طالما ان كثيرا من الانصار قد بدت على هممهم بوادر الفتور وطالما لمعت باسارير جبهاتهم سيماء التضعضع والتردد وقال الجلاء قبل الوقوع في قبضة الفرنسيين خير من حدوث ما لايكون في الحسبان ولم يشأ ان يبارح تلك البلاد ما لم يقف بزعماء الحركة الوطنية في طرابلس الشام وجوارها على ما ينبغي ان يعلموه فبعث بالبيان الآتي اليهم :

« اخواني الاماجد . علمتم بالتطور الجديد الذي تطورته الحركة الوطنية في هذه الربوع الجميلة بعد تلك الانتصارات الباهرة التي احرزناها على المستعمرين ولكن اصابع زينب لعبت في المدة الاخيرة بواسطة الذهب الرنان او بالحري الورقة السورية التي اخذت دورها المشين ففككت عرى اتحاد جبل المتاولة كما ان دسائس عبود عبد الرزاق ــ من أعيان عكار ومن انصار الفرنسيين ــ فككت عرى اتحاد الضنية فقد خدع بيت شوك وحملهم على استسلام مشين مما ادى الى تمزيق القوى وتفريقها فصرت أعزل وحيدا في منطقة الضنية ولم يبق معي سوى ابي علي طاهر وكذلك فالدعاية الهائلة التي نشطها الفرنسيون بالمال حملت آل جعفر على الاستسلام فرضوا بأن يسلموا خمسين بارودة للحكومة وفي هذا اليوم اجتمع زعماء الجبل كلهم بالمستشار الفرنسي في الهرمل لعقد اتفاق نهائي واستمال عبود عبد الرزاق كثيرا من الاسافل وسجلهم كجنود في الجيش الفرنسي لقتالنا ومما يوجب الاسف ان حسن طعان الدندش راس حركة المتاولة تطوع عند السلطة وانخرط في زمرة الخونة لقاء مئة ليرة سورية يتقاضاها شهريا وهكذا شلت حركة المقاومة في المنطقة وبناء على هذه الاعتبارات وبسبب خضوع آل شوك ونزوح معظم سكان الضنية وانخراطهم في الجندية واخلاء القرى وفقد مواد

الفداء انسحبنا من هذه المنطقة لجلب القوى والقيام باعمال حاسمة فلا تعتمدوا على احد من بعدنا في هذه الديار ولا بد من سحق هؤلاء الخونة فتدبروا اموركم ونظموا صفوفكم ولا تركنوا الى الخونة فالحق ابلج والباطل لجلج واذكرونا مثل ذكرانا لكم والله في عونكم » .

انقاذ الداغستاني للخليلي ورجاله من قلعة دمشق والتحاقه بالثورة

لم تنحصر رجال الوطنية بالقيام بالواجب في حومات الوغى وساحات القتال ولم تقتصر على مصادمة الاعداء وقتل الالداء في ميدان الحرب ومعامع القتال بل كانت المروءات والشهامات قائمة في قلوب ونفوس رجال الثورة داخل المدن وخارجها بين رحى الحرب وبين هداة الاطمئنان وكان كل من رجال الحرية السورية يشعر بالواجب فيقوم به وراء منضدته كاخيه الذي يقوم فيه خلف متراسه وحصنه وصوره وكما كان المجاهد ينبري الى تلبية النداء بحسامه وبندقيته كان الوطني الشهم السوري العربي يلبي داعي الوطن من خلف منضدته بيراعه وقرطاسه .

وفيما نسوقه للقارىء اللبيب من حادث جلل وقع في قلعة دمشق يتخيل له هول الموقف ومبلغ الجراة والبسالة التي قام بهما ممثل دور الوطنية الشريف على مسرح الوظيفة بكل جأش رابط وبكل حزم وعزم شديدين زكريا الداغستاني احد موظفي السجن في قلعة دمشق على ذكاء وقاد وجراة لا مثيل لها بتواضع وخفاء بلا جعجعة ولا مراء وشاءت الاقدار ان تظهر هذا الرجل بما انطوت عليه نفسه الابية ووجدانه الطاهر وقلبه الكبير من كل ما يعلي شأن المرء ويرفع من مقامه بين اقرانه كان هذا المتواضع الابي يقوم بمعاونة مدير السجون الاهلي بدمشق في نفس القلعة الواقعة بمنتصف دمشق تقريبا وتفصيل الحادث الذي قام بتمثيل دوره هذا الجريء هو ان السلطة اتت بوجوه حوران واعيانها الى سجن القلعة متسلمة اياهم من حكومة الشرق العربي وهم سلطان الطيار – شيخ عرب ولد علي – ورجال عصابة الشيخ مصطفى الخليلي من مشاهير شيوخ حوران وهم ضيف الله الصالح ومحمود النعيمي وسالم العبد وابي يحيى الديراني وغيرهم مما كان يشار



البطل زكريا الداغستاني واخوه المجاهد عزت الداغستاني

اليهم بالبنان بالشدة والباس وكان هؤلاء البواسل يحطون الرحال في اراضي شرقي الاردن تارة وفي اراضي اللجاه تارة اخرى وكانوا يدهمون التخوم السورية وحدودها من حين الى حين فيشغلون القوى الفرنسية ويقلقون راحتها من وقت الى وقت وقد كانت السلطة الفرنسية قبضت على الشيخ الخليلي واودعته السجن الفرنسي في قلعة دمشق انتظارا لحكم القضاء العسكري فيه وكانت الاواصر بين رجال السجن الاهلي والسجن العسكري الفرنسي في قلعة دمشق وطيدة المعاملات متينة الاواصر بالشؤون التي تتعلق بكلا موقوفي السجنين العسكري والملكي كان الداغستاني على صلة كبرى بكل من الضابطين الباسلين عبد الوهاب عمر باشا والشهيد ابراهيم صدقي تجمعهم رابطة الصداقة منذ ايام الجيش الفيصلي وتوحد بينهم المبادىء السياسية تحدثوا جميعا بشان الخليلي والطيار ورجالهما ووجوب انقاذهم من السجن حتى لا يكونوا اعضاء اشلاء في وقت احوج الثورة اليهم فيه . لا سيما وان من الواجب انقاذهم لما كان يسمع عن ازماع السلطة الحكم عليهم بالاعدام تشفيا مما كان يبلغها عنهم من توجيه التهم الاليمة المهمة عليهم من قبل السلطة الفرنسية والمحاكم العسكرية والى هؤلاء الاشاوس الثلاث الداغستاني وعمر باشا وصدقي اجتماعاتهم بنظام تهيئة للخطط واعداداً للوسائل التي تفضي بالنتيجة لتمهيد سبيل الهرب بوجه الابطال المعتقلين وبعد الدرس الدقيق اجمع الراي على منهاج لو استطاعوا انفاذ احكامه لتحور نظم الثورة من وضع الى وضع ولكانت في اللجاه والصفاة حركات ترمي الى تحرير البلاد بالنتيجة قبل اندلاع نار الثورة السورية بزمن والذي افسد تطبيق هذه الخطة عن الاصابة قلة عدد الذين كان اشتراكهم في العمل واجبا من ناحية ونقصان الوسائط المقتضية من ناحية ثانية مما دعاهم لتاجيل تنفيذ ذلك الى وقت اكثر ملاءمة ومناسبة .

ذر قرن الثورة السورية وكان في عداد رجالها البطل المغوار عبد الوهاب عمر باشا والمجاهد البار ابراهيم صدقي وقد لبى هذا الاخير نداء ربه في سبيل الله والوطن .

كان للطيار وللخليلي ورجالهما شأن يذكر في كل الاوساط الوطنية لهذا النام عقد اجتماع في دار الوطني الكبير الوجيه المعروف احمد القضماني

وكان في جملة حاضريه المجاهدين الكريمين شفيق عمر باشا وعبد القادر آغا سكر وقد تالف هذا الجمع لمباحثة الداغستاني الباسل بأمر هذين الرجلين الطيار والخليلي وتهيئة العدة لانقاذهما مع رجالهما للاسباب المارة الذكر ولكي لا تكون ايضا اراضي حوران في معزل عن الثورة وفي نجوة من الاشتراك بها فارتأى الداغستاني ان يرتدي عشرة من الاخوة الذين يعتمد عليهم ثياب الدرك وعلى بذة واحد منهم شارة العريف وان يأتي هؤلاء الاخوة الى القلعة في وقت يحدده لهم من بعد ان يكون قد اودع هذا العريف كتابا رسميا من نائب الجمهورية يتضمن طلب الطيار والخليلي لحضور المحاكمة وتكون السيارات المعدة لنقلهم جاهزة امام باب القلعة حتى اذا ما نفذ ذلك التحق بهم الداغستاني مغادرا وظيفته وانفاذا لهذه الخطة فقد اتفق مع احد الخياطين على صنع اللباس الملمع اليه كما انه هيأ في عين الزمن مذكرة نائب الجمهورية موقعة بصورة رسمية خطابا لمدير السجون بتسليم الطيار والخليلي لرجال الدرك ليصير مثولهم امام المحكمة .

وبينما كان الداغستاني يقوم بذلك كان المجاهد شفيق عمر باشا يهيء الرجال التي تم الاتفاق على دورهم ليمثلوه وكان الاجتماع يتوالى بين حين وحين في منزل السيد القضماني الى ان فوجئوا بأحد الايام بتعقيب السلطة عبد القادر اغا سكر وعندها لم يجد هذا المجاهد بدا من الاشتراك في الثورة السورية فكان شأن الشهيد شفيق عمر باشا إذ لبى داعي الوطن لما رآه من تشديد السلطة وارهاقها اياه بالطلب لهذا فشلت خطة الداغستاني وبدأ يفكر بوسيلة اخرى عله ينفذ ماربه فيها وبعد ان حمى وطيس الثورة السورية عقيب تدمير السلطة الفرنسية بعض الاحياء بدمشق لدخول الثائرين اليها وبعد ان باتت عاصمة الامويين تحت متناول القنابل وهدفا لمدافع الجيش

وبينما كان نطاق الثورة آخذا بالاتساع بتراخي الزمن زار احد زعماء الاكراد المرحوم احمد الملا السيد الداغستاني واطلعه على ما عول عليه من الالتحاق بالثورة السورية وانه جاء لوداعه خصيصا ولاستطلاع رايه في مهاجمة القلعة واحتلالها واسر الضباط الفرنسيين المرابطين فيها مع عائلاتهم رهينة منع الضرب عن دمشق فبعد اعمال الروية وبحث الوضع على ضوء الحكمة والتعقل تم اتفاقهما على ما ياتي :

اولا ـ ان يلتحق الملا بالثائرين وان يهيء منهم خمسين رجلا مدججين بالسلاح الذي يجب ان لا يتجاوز مسدسا وخنجرا وقنبلتين يدويتين وان يؤتى بهم العاصمة مترقبين ساعة دخول الاهلين لزيارة اقاربهم مسجوني دمشق فيدخلون القلعة حاملين الطعام كأن لهم اقارب سجناء وعندها يدخلون فيها ويندسون بين الطوايا بحيث لا تقع عليهم عين انسان .

ثانيا ـ يتوزع هؤلاء الرجال على المراكز العسكرية المعهود اليها بحراسة الابراج وانهاء المساجين حسب الحاجة في كل نقطة عسكرية قائمة ويترقب كل منهم الاشارة الرامية الى الهجوم والمداهمة وعندها ينقض كل من هؤلاء الاسود على الخفراء لتجريد كل منهم من عتاده واتخاذ مركزه .

ثالثا ـ يكون العدد الوفير من السجناء الشجعان في باحة السجن العامة على اهبة الهجوم على مدخل السجن والنزوح عنه بيسر ولين فلا يكون اتجاههم غير متقلدي المفاتيح ويكون نصيب هؤلاء الخفراء نصيب غيرهم عند مداهمة الثائرين لهم .

رابعا ـ كل هذا ومئات الثائرين على مقربة من مداخل دمشق منبثة في بساتين احيائها وحدائقها مترقبة سماع اصوات الرصاص حتى تهرع للحملة على القلعة بهجوم مباغت سريع وهنالك يتم الاستيلاء على المعدات والذخائر ...

هذا ما اتفق عليه الداغستاني والملا وما تعاهدا على انفاذه وقد رميا من تطبيق هذا البرنامج الى جعل الفرنسيين تجاه امر واقع من حيث منع الضربه

.ووضع دستور لها واقام حكومة ديموقراطينة بادرت في الحال الى تنظيم الادارة وعاشت خمسة اشهر برهنت في خلالها على ما قامت به من تنظيم فروع الادارة واقرار الامن ووضع اساسات الرقي العلمي والاقتصادي على ان السوريين لا يقلون كفاءة عن كثير من الامم المستقلة في اوروبا نفسها ولكن السلطة الفرنسية لم تمهل هذه الحكومة فجهز الجنرال غورو حملة عسكرية اقتحم بها دمشق والمدن الداخلية الاخرى واحتل البلاد والغى استقلالها وجيشها الفتي وبادر الى وضع اسس جديدة للادارة برايه الشخصي. ولكن الحركة الوطنية لم تسكت بل ظلت مستمرة في الشمال بقيادة ابراهيم هنانو، بك احد الزعماء الوطنيين ودامت من سنة ١٩٢٠ الى سنة ١٩٢١ وظهرت في الوقت نفسه حركة في حوران على اثر احتلال دمشق دامت ستة اشهر وظل القتال متواصلا في بلاد العلويين من سنة ١٩١٩ الى سنة ١٩٢١ وظهرت الثورة الاولى التي قام بها سلطان باشا الاطرش في سنة ١٩٢٢ ودامت ستة اشهر وكانت الادارة الفرنسية في سورية في خلال ذلك مضطربة لا تستقر على حال ففي اواخر سنة ١٩٢٠ مزق الجنرال غورو البلاد الى خمس دول لكل منها حكومتها وعلمها وفي السنة نفسها سلخ قسم من شمالي البلاد واعطي لتركيا مع ان الفرنسيين تسلموا ذلك القسم من الانكليز وتعهدوا في المادة التاسعة من معاهدة سايكس بيكو ان لاتتنازل احداهما عن الاراضي الواقعة ضمن منطقتها بدون رضى الاخرى وشعرت السلطة الفرنسية ان هذا التمزيق ليس حلا طبيعيا فعمدت الى الجمع بين بعض الاجزاء التي فرقتها والفت حكومة الحلف السوري سنة ١٩٢٢ وجمعت فيه بين حكومة دمشق وحكومة حلب وحكومة بلاد العلويين ولكنها رات بعد ذلك مرة اخرى ان تضيق نطاق هذا الحلف ففي سنة ١٩٢٣ عدلت عن النظام القديم وفصلت بلاد العلويين عن تلك الوحدة والفت حكومة الدولة السورية من حكومتي دمشق وحلب السابقتين فقط ولم يكن هذا الحلف ايضا مرضيا لاحد بوجه من الوجوه فعندما ظهرت الثورة الحالية بادر زعماؤها باعلان مطالبهم بمنشور

اذاعوه بكل مالديهم من وسائل الاذاعة وتناقلته الصحف وهو يعيد اسس الحكومة التي وضعها المؤتمر السوري في دمشق في ٨ مارس سنة ١٩٢٠ تحقيقا لرغبات الامة باسرها ولا بد لنا من الاعتراف بأن الظروف الحالية في سورية تتضمن عوامل وحقائق جديدة تستحق ان توضع موضع الاعتبار فاذا كان يراد وضع حل للمشاكل الحاضرة يبنى على الاخلاص والرغبة الحقيقية في التفاهم فلا نظن ان سورية تابى ذلك ولكن ليس في وسع احد في الوقت نفسه ان يشير باي حل يتجاهل ماضي الحركة الوطنية في سورية والدماء التي أهرقت من أجلها والجهود التي بذلت في سبيلها والضحايا العظيمة التي جاد بها اهل البلاد عن طيبة خاطر من اجل اغراض الحركة الوطنية فالوطنية الحقيقية هي التي تحترم وطنية الآخرين كما تحترم نفسها واذا سئلنا راينا في هذا الحل بصفة احزاب تعمل لتحقيق المثل الاعلى الذي تنشده البلاد لا نستطيع سوى ان نبرز برامجنا الاستقلالية ونطلب تحقيقها فاذا كان يراد بالحل المطلوب اعادة السكينة الى البلاد السورية فهذا الوفد يرى أنه من الممكن ان تتخذ القواعد التالية اساسا للبحث :

١ ــ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي واما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او الانفصال منها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ــ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية موقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التاسيسية .

٣ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل والخارج .

٤ ــ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة

اخفـاق المفاوضات

رأى رئيس اللجنـة التنفيذيـة وجوب اطـلاع بعض من اخوتـه مـن الاعضاء على ما دار بينـه وبين المسيو جابار وقد فعل فقالوا بقوله وارتأوا عليـه ان تدعو اللجنة اكبر عدد ممكن من رجال القضية السورية للمداولـة والاتفاق على القواعد التي بحث بشأنها وجرى الاتفاق عليها وعلى هذا عقدت اللجنـة اجتماعا ضم عددا كبيرا ممن اشتغل بالقضية الوطنية بعضه مـن الاسكندرية والبعض الآخر من القدس وسورية وتباحثوا فيما يجب ان يقدم للمندوب كمذكرة غب وصوله وبحثوا الاسـس المعروضـة من غير ان يعلموا انـه اتفق عليها مبدئيا فوضعوا صيغة جديدة تختلف عن تلك الاسـس مـن وجوه عديدة وفي الثلاثين من الشهر المذكـور وصل المندوب الى القـاهرة وقـد حل في فندق الكونتيننتال فادب له الامير ميشيل لطف الله مادبـة شاي فائقـة في قصر الجزيرة وفي صباح اليـوم الثاني من وصوله زاره وفـد اللجنة وقد قدم اليه المذكرة التالية :

« ليست الحركة المنتشرة الآن في سورية سوى مظهر جديد من مظاهر العقيدة الوطنية العامة القائمة على مبدا الجامعة القومية والاستقـلال الضامن للكيان القومي بجميع مظاهره شان كـل امة كاملة الخصائص ويكفي أن نلقي نظرة سريعـة واحدة على تاريخ هذه الحركة الحديثة لكي تتبين لنا القـواعد العموميـة التي يمكن ان يبنى عليها حل مرض للمشـاكل الناشـبة الآن . ليس التنازع الذي كان موجودا بين العنصرين العربي والتركي في السلطنة العثمانية بخاف على من لـه المام بتاريخ تركيا الدستوري الحديث فقد اصطدم مبـدا القومية العربية والمطالبـة بنظام خاص لبـلاد العرب الخاضعة للتاج العثماني على الرغم مما كان للعرب من المساواة العامة مع الترك امام القانون من جميع

الوجوه وكان من جراء ذلك ان الجمعيات العربية عقدت مؤتمرها المشهور في باريز سنة ١٩١٣ للتوسع في تنظيم الحركة العربية ووضع المسألة العربية بين امهات المسائل التي تقتضي الحل في تركيا فشعر الترك بخطر الموقف وحاولوا تلافي الحالة بالتساهل مع العرب والاعتراف لهم ببعض ما كانوا يطلبونه فاصدروا ارادة سنية باجابة بعض تلك المطالب ولكن العرب لم يرضوا عنها لذلك كان هم الترك ان يغتنموا فرصة الاحكام العرفية في اثناء الحرب الكبرى للقضاء على المسألة العربية فساقوا زعماء الحركة الى مجلس عرفي في عاليه « لبنان » وحكموا بالاعدام على العدد الاعظم من كبرائهم ونفذوا الحكم في ساحتي بيروت ودمشق العمومتين المعروفة كل منهما الآن باسم ساحة الشهداء ولكن العرب وفي مقدمتهم السوريون لم تفتر عزائمهم ولما يؤسوا من الترك صاروا مستعدين لاستمالة الحلفاء لهم الى مساعدتهم على دولتهم توصلا لاستقلالهم فلما نالوا من الحلفاء عامة ومن انكلترا وفرنسا خاصة وعودا عديدة باستقلالهم حمل ذلك الوفا منهم على التطوع في جيوش الحلفاء وثار الحجاز باجمعه على السلطنة العثمانية وتألف جيش عربي خاص مؤلف من جميع الولايات العربية لمقاتلة الترك وانتهى الامر بفوز الحلفاء وشهد اللورد اللنبي نفسه في احد تقاريره بالفضل العظيم الذي كان الحملة العربية في انتصاراته في فلسطين ضد الترك ولكن الغرض الاساسي الذي تكبد من اجله السوريون خاصة والعرب عامة جميع هذه الضحايا لم يتحقق منه شيء وقد كانوا يعلقون آمالا كبيرة على مبدا حق تقرير المصير الى ان جاءت اللجنة الاميركانية الى سورية ووقفت على آراء الاهالي في مصيرهم. ثم سافر الامير فيصل الذي كان يحكم المنطقة الداخلية في سورية باسم القائد البريطاني العام الى اوروبا ووصل الى تفاهم مع وزارة الخارجية الفرنسية لتنظيم دولة سورية وتعيين علاقات فرنسا بها وعاد آملا ان يحمل اهالي البلاد على قبول هذا الاتفاق ولكن لم يكد هذا الاتفاق يعرف حتى ثارت عليه ثائرة الاحزاب واجتمع مؤتمر سوري نادى باستقلال البلاد التام،

بينما كان المسيو دي جوفنيل في عاصمة بلاده دعا اليه الامير شكيب
ارسلان حتى اذا ما بلغ عاصمة الفرنسيين والتقى بداعيه تجاذبا اطراف
الحديث بما يجب ان يكون لحل المعضلة السورية ووقف القتال وقد طلب
المندوب الى الامير تنظيم المشروع الذي يراه لحل المشكلة السورية فنظم
الامير ما يلي :

« عقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة تكون محالفة النظير
لنظيره يتعهد السوريون في هذه المحالفة بان لا يأخذوا متخصصين فنيين
الا من فرنسا ولا يعقدوا قرضا الا في فرنسا . ولا يأخذوا ضباطا اذا
لزمهم من ذلك لتدريب جيشهم الا من فرنسا . واذا عجزوا بالانفراد عن
استثمار منابع الثروة في بلادهم لا يستمدون الا من مال فرنسا وصناعة
الجديد الى عاصمة البريطانيين حيث يتصل بوزير خارجيتها المستر
إياه ووعد بذلك خيرا وفي التاسع عشر من ذلك الشهر توجه المفوض
شامبرلن ومما شاع عن هذه الزيارة انها بغية الحصول على ما يمكن بلوغه
السوري . اذا نشبت حرب مع فرنسا يتعهد السوريون بتقديم عدد من
فرنسا . اذا هجم هاجم على سورية تتعهد فرنسا بتعضيد الجيش

تناول المفوض الجديد من الامير المشروع الذي المعنا اليه وقال بدرسه
او اتخاذ قاعدة بحرية في سواحل لبنان ».
الدولة السورية فيما لو رضيت حكومة لبنان بابقاء حامية فرنسية في لبنان
الجند لمساعدتها يتم الاتفاق عليه بشرط ان تجهزه فرنسا . لا تعارض
من المعلومات التي يتخذ منها ما يساعده على مواجهة المعضلة السورية ولكي
يقف على دخائل السياسة البريطانية في الشرق الادنى واساليبهاالديبلوماسية
وقد تناول طعام العشاء الى كل من المستر شامبرلن والمستر ايمري
وزير مستعمرات انكلترا وسلخ معهما ساعتين تحدث اليهما فيها عن وضع
سورية وقد اتفقوا على الاسراع في تعيين الحدود بين سورية وفلسطين من

ناحية والحدود بين سورية والعراق من ناحية ثانية . وعلى تعاون الحكومتين في ربوع الشرق تضامنا وتكافلا .

احتجاج عاهل العرب

جلالة الملك حسين بن علي

لقد بعث جلالة الملك حسين بن علي من مقره اذ ذاك في الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ الى رئيس جامعة الامم محتجا على ما جرى في سورية بالنص الآتي :

« بصفتي المعلومة الاساسية اقدم لفخامتك وللهيئة الموقرة احتراماتي ثم اجلب انظار كمالات مزاياكم الى المعاملات الجارية في عموم سورية ونتائجها المؤدية الى محو العرب والمؤثرة حتى على شرف المقصد الاساسي من تشكيل وتأسيس هيئتكم المعظمة سيما بعد اعلان الحلفاء بصورة رسمية انهم لم يخوضوا غمار الحرب الا لخلاص الشعوب المظلومة واعادة حقوقهم ومنافعهم الا ان العرب لا تشملهم مقاصد تلك التاسيسات ولكن بلاغ العظمة البريطانية اخيرا لمخلصكم بأن هيئتكم الموقرة قررت انتداب عظمتها ايضا على معان والعقبة ضمن انتدابها على عمان الشرق العربي يخالف ذلك وعليه فالمرجو من الفخامة اصدار القرار القطعي الصريح بمصير بلادنا معاشر العرب وتطبيق قوانين وقواعد الانتداب الاساسية على ما ترى انتدابه من بلادهم والا فالعرب لهم الفخر في الحكم عليهم بان يكونوا ضحية لصالح الحلفاء واخلاق المدنية الحاضرة ».

ما غرب من عزمنا وان نستعيد ما شرد من قوتنا وان نجمع الشمل وننظم الشأن وان ندعو للجهاد والذود عن الحياض فلبى نداء الواجب معنا عدد غفير التقفناه من كل قرية فرضناه عليها بسلاحه وعتاده وكان صادف اذ ذاك رجوع البطل ابي عبده ديب الشيخ من الجبل فكانت له اليد البيضاء بهذه المهمة فشكرنا له يده وقد اخذت جموعنا تزداد يوما عن يوم حتى بلغت آلاف مؤلفة وبذلك تمكنا من تجهيز الحملات الى القلمون والاقليم لشد ازر الاخوان هناك » .

مما تقرا ايها المطالع العزيز من رسالة هذا البطل النزيه تدرك ما لاقى في سبيل احياء هده المنطقة هذا الشجاع واخوته المجاهدين الابرار من عناء وخير ما نتقدم به اليهم جميعا قولنا لهم انهم رجال حق وانهم قاموا بواجبهم خير قيام وهم خير من يعتمد عليهم في الليلة الدهماء والوقعة السوداء وبهذا بلاغ .

المندوب السامي لسورية ولبنان في القاهرة والشام

اذيع في عاصمة الفرنسيين في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ المرسوم الذي صدر بانهاء المسيو هانري دي جوفنيل عضو مجلس الشيوخ مفوضا ساميا من قبل فرنسا في سورية بدلا من سلفه سارايل وفي الثالث عشر من ذلك الشهر حصل مكاتب جريدة الاهرام بباريز من ذلك المفوض على حديث سياسي اوضح فيه وجهته السياسية في سورية وافاض بالبحث من ذلك بما فيه كفاية وقد قال ما تعريبه : « لقد جاء الوقت الذي تعمل فيه السياسة عملها فاذا كان لا بد من استعمال القوة فانني

سأستعملها ولكن استعمالها يحزنني لان ما اريد عمله هنالك هو المساعدة في تنظيم الاستقلال الوطني تنظيما يجعل فرنسا واوروبا توافقان عليه وقال انه سيجعل شعاره في سورية احترام الجميع وسيضع نصب عينيه المستقبل لا الماضي فيجب ان يستانف العمل على قاعدة جديدة وانه وهو رجل غير عسكري سيعمل بروح رجل غير عسكري وان وطنيته تساعده على فهم وطنية الآخرين ، وقال « واذا كان الدكتور شهبندر يريد الرجوع الى سورية ففي وسعه الرجوع اليها بلا خوف » .

وكان الامير جورج لطف الله في عاصمة الفرنسيين فدارت بينه وبين المسيو دي جوفنيل مباحثات سرية من جهة كما دارت بين المسيو جايار وزير فرنسا المفوض في مصر يومئذ وبين الامير ميشيل لطف الله رئيس اللجنة التنفيذية محادثات من جهة ثانية فكان الاتفاق على ان يكون ما سياتي من المبادىء اساسا لحل المعضلة السورية متعهدا الامير ميشيل باقناع اللجنة مبدئيا بالقبول اما المبادىء فهي :

١ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية .

٢ ــ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية منطبقا على كرامتها .

٣ ــ يفصل في مسألة الوحدة السورية في المستقبل بين اولي الشأن انفسهم .

٤ ــ تنشأ ادارة وطنية حائزة على ثقة البلاد .

٥ ــ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فيبقى لاهله .

كما اتفق الفريقان على ان يتقابل المندوب السامي مع رجال اللجنة التنفيذية في القاهرة وان تعلن هذه المبادىء ويباشر بانفاذها .

الصحف فأجابته اللجنة عليــه بالكتاب الآتي :

القاهرة في اول ديـسمبر سنة ١٩٢٥ حضرة ....

« اتشرف بأن ابلغكم وصول الكتاب الـذي ارسلتموه في ٣٠ نوفمبـر الماضي الى نجيب بك اشقير السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر الـسوري الفلسطيني ولما كنــا نعمل من اجل توفير الــسلام والرخاء لبلادنا المحبوبــة ونعتقد انــا نمثل الراي العــام اقترحنا الحلول التي كانت موضوع مذكرتنا وكتابنا اللذين قدما اليكم في ٣٠ نوفمبر الماضي وتعتقدون ياصاحب السعادة ان تساهلا اقل سخاء مما اقترحناه يقرب سورية من فرنــا ومــن الـسلام ولكنا نشعر والاسف ملىء نفوسنــا ان الامر لن يكون كذلك على انه مهما تكن الاقتراحات الافرنــسية التي تقبلها سورية فلا يمكن الا ان نبتهج بما ينتج عنها من الــسلام والرخـاء وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول وافر احترامي .

ميشيل لطف الله

رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني

فاللجنة التنفيذية اذن لم تحد قيد شعرة عن الخطة التي سلكتها مــن باديء الامر ولم يكن في الامر مناورة ولا طلبت منه في كتابها غير ما طلبته في مذكرتها ولكنها رغبة في حقن الدماء واعادة الــسلام الى نصابه وتمهيــداً لتحقيق المطالب التي طلبتها عرضت عليه وساطتها اذا وافق على المطالب التي قدمتها اليــه والتي لا تختلف من حيث الاساس عن القواعد الــسابقــة الذكر التي عــدها في باريز موافقة لآرائه وما زالت اللجنة تعتقد ان اجابة تلــك المطالب هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ هذه الغاية وتوطيد سلام دائم في البلاد ».

فهذا جميع ما جرى يومئذ وقــد ظــل اغلبــه بطي الكتمان على ان ما لا مندحــة لنــا من الالماع اليــه هو ان مندوب فرنــا المفوض المسيو جايار قد امتعض امتعاضا عظيما لفشل المفاوضات وتزعزع مركزه حتى الصقت بــه

بعض الدوائر الفرنسية المسؤولة عن الاخفاق الذي مني به المفوض السامي حتى انه قيل باعداد قرار احالته على الراتب وقيل بان وزير مصر المفوض في باريس قد دافع عنه وانه لولا ذلك لما ظل في عمله .

لقد كان بعض العسكريين الذين أتوا من بيروت الى الاسكندرية لاستقبال المندوب فصحبوه للقاهرة ، على علم بما تم بينه وبين اللجنة التنفيذية وقد رأوا على اسارير وجهه احرف القنوط والكدر ظاهرة جلية فراوها فرصة لا ينبغي افلاتها ويقتضي اغتنامها للاصطياد بالماء العكر فهونوا عليه امر الثورة وجعلوا له وجوب الصمود لها واقنعوه بأنها لاشيء يذكر ولا لها اهمية قط وشجعوه على الظهور بمظهر القوي القادر الباطش ولما لم يكن الى جانبه وحواليه غير هؤلاء العسكريين المستعمرين ليبسط له جوهر الحقيقة ولكي ينير له سبيل الامر اسلس لهم قيادا واستسلم الى مشيئتهم وتركهم يملون اراداتهم عليه وسنرى قريبا انهم كانوا هم العقبة الكأداء في اخفاق كل مفاوضة جرت بعد ذلك .

العودة الى التفاوض

لم يقعد فشل اللجنة بعزيمتها عن اتمام السعي وراء المصلحة ولم يتسرب القنوط اليها من ناحية ما بل كانت شديدة الايمان بامكان الوصول الى حل سلمي يرجع به الحسام الى غمده والسيف الى قرابه فاشارت على احد المتصلين بها ان يبعث من قبلها الى المندوب السامي بكتاب في صدد المعضلة فكتب اليه في الرابع من كانون الاول من القاهرة الكتاب التالي :

« انني عظيم الاسف بسبب الحادثة التي جرت في مصر والتي تناقض كل المناقضة ما شاهدتموه من الحالة الروحية والرغبة الشديدة في الاتفاق والتفاهم على ان هذه الحالة الروحية لما تتغير واستعداد النفوس ما زال على

٢ ـ تحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق يعقد بينهما ويكون محققا لمطالب سورية ومنطبقا على كرامتها .

٣ ـ يفصل في مسالة الوحدة السورية في المستقبل وبين أولي الشأن انفسهم .

٤ ـ تنشأ ادارة وطنية موقتة حائزة على ثقة البلاد .

٥ ـ يعلن عفو عام بدون استثناء اما الحق المدني فانه يبقى لاهله .

فعقدت اللجنة جلسات متعددة للنظر في هذا الموقف الجديد دعت اليها كل من في مصر من رجال الاحزاب الاستقلالية لتسترشد بآرائهم فتقرر بالاجماع ان تقدم اليه مطالب معينة تفسر بمقدمة وجيزة عن تاريخ الحركة الوطنية في سورية ووضعت المذكرة والمطالب وتالف الوفد الذي يجب ان يطالب المسيو دي جوفنيل وتحدد موعد المقابلة قبل وصول المسيو دي جوفنيل الى مصر وبعد وصوله قابله الوفد في الموعد المعين اي يوم الاثنين في ٣٠ نوفمبر الساعة التاسعة صباحا وقدم اليه مذكرة مختومة بالمطالب وعليها طابع اللجنة التنفيذية وتوقيع السكرتير العام فتناولها المسيو دي جوفنيل يدا بيد واطلع عليها ولاحظ انها بختم اللجنة فقط وسأل هل هي تمثل راي اللجنة أو آراء الجميع فأجيب انها تمثل آراء الجميع وقدم اليه كشفا بأسماء الوفد كله والحزب الذي ينتمي اليه كل منهم .

ثم قال جنابه انه من السهل الاتفاق على المباديء ولكن يجب وضع اساليب التنفيذ فاجابه السكرتير العام باسطا نظرية الوفد في كيفية التعاون بين فرنسا وسورية وقال له في الختام ان هذا هو النصيب الذي نقدمه نحن لهذا التعاون ثم اراد جنابه الوقوف على وجوه المسالة السورية المختلفة فبسطت له وكان يقول في خلال المحادثات انه لا يمكن عقد معاهدات الا بعد تاليف الحكومة ولا تالف الحكومة الا بعد انعقاد المجلس التاسيسي ولا يدعى المجلس التاسيسي الا بعد استتباب السلام فعندما خرج الوفد من لدنه

قابله حد اعضاءه على انفراد وخاطبه في وجوب وضع حل عملي وباحثه في الطريقة المؤدية الى ذلك .

وعلى اثر ذلك عقدت اللجنة التنفيذية جلسة عند الظهر وقررت ان ترسل اليه في الحال كتابا تعرض فيه وساطتها لاعادة السلام ولكنها كررت طلبها السابق اولا على المبادىء التي وضعتها في مذكرتها هذه :

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او الانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ـ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التاسيسية .

٣ ـ تدعى جمعية تاسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل وفي الخارج يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعية .

ثم ارسلت اللجنة الكتاب الى المسيو دي جوفنيل مع رسول خاص في الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه فظل الرسول يتردد على الفندق حتى الساعة التاسعة فلم يجده فاضطر في النهاية ان يترك له الكتاب في الفندق وقد تسلمه جنابه بعد عودته ليلا ورد عليه ذلك الرد الذي اذاعه في

٥ ـ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية المؤقتة .

٦ ـ تسجيل الاتفاق لدى جمعية الامم ودخول سورية في عداد اعضاء هذه الجمعية » .

كان المندوب غائبا في وليمة اعدت له عندما ورد اليه الكتاب الذي المعنا اليه ولم يصل ليده الا في الساعة الحادية عشرة غب عودته الى النزل فأسرع بالجواب بما يلي :

« مصر في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ الساعة ١١ ليلا . حضرة السكرتير العام للجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني .

من بواعث اسفي الشديد ان يكون الحل الذي تقترحونه غير مستطاع القبول بتاتا وان يكون في هذه الدرجة من قلة المطابقة للمحادثة التي دارت بيننا في هذا الصباح والتي حفظت محضرها ومن البديهي ان لايكون للمهمة التي تطلبون مني بكتابكم اناطتها باللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني حظ من التوفيق ولااريد ان أدعكم تعتقدون لحظة واحدة انه يسع فرنسا ـ كما تشيرون عليها ـ ان تنكث بالعهود التي قطعتها على نفسها امام خمسين دولة ثم انني كما تشرفت وصرحت لكم ساعلن بياني على رؤوس الاشهاد في سورية نفسها ولذلك اصارحكم القول من دون مرارة انه كان من الافضل لو لم يكتب كتابكم وفي هذه الحالة كان اعادة السلم الى سورية اسرع واسهل واني اخشى ان تكونوا آخذين في تحمل تبعة الاضطرابات والمصائب التي لابد من ان تقع هذا وثقوا ياحضرة السكرتير العام باحترامي واسفي » .

وفي الثالث من كانون الاول اذاعت اللجنة ما ياتي :

« بعد ما نشر المسيو هنري دي جوفنيل المندوب السامي الجديد في سورية ولبنان الكتاب الذي ارسلته اليه اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري

الفلسطيني في ٣٠ نوفمبر الماضي ورد عليه قبل ان تتسلم اللجنة هذا الرد ببضع ساعات لم يبق بد للجنة من ان تذكر في هذا البيان الوجيز خلاصة ماجرى بينها وبين جنابه مرجئة الى موعد قريب نشر التفاصيل والمستندات في بيان مطول تلقت اللجنة تلغرافا من وطني كبير في باريز تاريخه ١٧ نوفمبر الماضي ابلغها فيه ان المسيو دي جوفنيل سيعرج على القاهرة في طريقه الى بيروت ويود ان يقابل وفدا من اللجنة ومن حزب الشعب وغيرهما وعلمت اللجنة بعد ذلك ان هذا التلغراف ارسل بعد ان اطلع عليه المسيو دي جوفنيل وبعد ان ارسل كتابا بخطه الى ذلك الوطني في المعنى نفسه واردفه هو نفسه بحديث نشرته الصحف بتاريخ ٢٦ نوفمبر في مصر قال فيه انه سيقابل اللجنة التنفيذية والاتحاد السوري في مصر فعقدت اللجنة جلسة خاصة للبحث في هذا الموضوع في ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٥ وقررت اجابة الدعوة وابلغ هذا القرار الى المسيو دي جوفنيل ثم جاء احد السوريين الوطنيين من باريز بتاريخ ٢٤ نوفمبر الماضي وافضى الى اللجنة بمعلومات مفصلة عن محادثات متعددة دارت بينه وبين المسيو دي جوفنيل. وعرض على اللجنة قواعد اساسية لحل المشاكل الحاضرة في سورية وانشاء نظام الحكم فيها واكد للجنة ان المسيو دي جوفنيل يعتبر هذه القواعد أساسا صالحا للتفاهم ولا يرى فيها ماينافض الخطة التي يريد اتباعها. ورغب في ان تطلع عليها اللجنة والاحزاب السورية الوطنية ففضل ذلك الاخ الوطني ان يحملها بنفسه ويأتي بها الى مصر وكان المسيو دي جوفنيل واقفا على ذلك ، وهذه ترجمة تلك القواعد عن اصلها الفرنسي المحفوظة في اللجنة .

١ ــ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع بطريقة الانتخاب العام المباشر لوضع نظام البلاد الاساسي على قاعدة السيادة القومية .

معينة يحافظ فيه على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

٥ ــ يسحب جيش الاحتلال من اراضي الدولة السورية حالما تؤسس الحكومة الوطنية الموقتة .

٦ ــ تسجيل الاتفاق لدى عصبة الامم ودخول سورية في عداد هذه العصبة .

فاذا كانت الحكومة الفرنسية تجد في هذه المباديء العامة اساسا للتفاهم فنحن نرى ان تصدر تصريحا بذلك وان تنتدب هيئة من قبلها تجتمع بهيئة القائمين بالحركة الوطنية وتضع الهيئتان بالاتفاق بينهما قواعد توقيف القتال والاساليب اللازمة لتطبيق هذه المباديء ــ أ ء » .

عندما وقف المندوب على ما جاء في المذكرة والفى الفرق بينه وبين ما تم الاتفاق عليه بعيدا جدا من حيث الجوهر حار في أمره ولكنه اخفى في نفسه شعوره ومرماه واظهر غير ما بطن وقال بانها وفاقا لمباديء الثورة الفرنسية وقد طلب الوفد اليه ان يبدأ النقاش واياه على اساسها فابى كما انه ابى التصريح عن الخطة التي رسمها لنفسه وقال بالاحتفاظ بها الى ما بعد بلوغه سورية وانه يكتفي اذ ذاك بالاصغاء الى مابيت عليه السوريون من أمر وانفضت المقابلة بلا جدوى رغم استمرارها ساعة وعشرين دقيقة ثم ارتأى الوفد مقابلة المندوب مرة اخرى لعله يستطيع في هذه المرة ان يبلغ ما لم يستطعه من قبل ولكن الوقت لم يكن ليسمح اذ ذاك بذلك لهذا تم الراي على انتداب احد اعضاء الوفد ليقوم بهذه المهمة مع المندوب وبالفعل فقد قابله واظهر له أن الوفد لم يكن بمرتاح الى ما افضت اليه المقابلة الاولى فقال المندوب من الواجب ان يسار في تخفيض المطالب رويدا رويدا وكان يقصد بما قاله اعادة السلام اولا الى البلاد واضاف بانه لا يعتقد بقدرة الوفد على ان يؤثر تاثيرا ذا شان بهذا الصدد واردف قائلا بانه على استعداد لبحث لكل مقترح

لاعادة السلام على ان اللجنة لم تكتف بذلك بل بعثت اليه في مساء ذلك اليوم، بالكتاب الآتي :

« ان شعور الوفد السوري الذي تشرف بمقابلتكم اليوم صباحا بالواجب الملقى على عاتقه تجاه الحوادث التي صبغت ارض سورية بالدم ورغبته في وضع حد لحالة البلاد الحاضرة والوصول الى سلم دائم قائم على الثقة المشتركة والاعتراف بالمصالح المتبادلة يحملانه على ان يقترح عليكم الاقتراح التالي : وهو ان يسافر وفد من قبلنا في الحال الى سورية للعمل على حقن الدم ولتمهيد طريق صالح للمفاوضة بين جنابكم ومندوبي زعماء الثورة ولكي تكفل التوفيق والنجاح لهذا المسعى يرجو منكم الوفد السوري بابلاغه موافقتكم على المباديء التالية وقد وردت في المذكرة التي تشرفنا برفعها اليكم في هذا الصباح :

١ ـ تتألف الدولة السورية من جميع الاراضي التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي اما لبنان فيجب ان يستفتى جميع سكانه في الانضمام الى هذه الدولة او للانفصال عنها استفتاء حرا مباشرا .

٢ ـ تؤسس حالا في البلاد حكومة وطنية مؤقتة حائزة على ثقة الامة تباشر الانتخابات للجمعية التأسيسية .

٣ ـ تدعى جمعية تأسيسية للاجتماع مؤلفة بالانتخاب العام المباشر وهذه الجمعية تقرر نظام البلاد الاساسي على مبدأ السيادة القومية في الداخل وفي الخارج ..

٤ ـ يلغى الانتداب وتحدد العلاقات بين فرنسا وسورية باتفاق الى مدة معينة يحافظ فيها على مبدأ السيادة القومية ولا يعد مبرما الا بعد موافقة البرلمان السوري عليه .

الاساتذة فوزي الغزي ولطفي الحفار وعفيف الصلح وقد بارح هذا الوفد دمشق في السابع عشر من كانون الاول الى درعا ومنها الى عرى وهناك كان سلطان باشا وزعماء الثورة وقد الح الامير بوجوب المصالحة شارحا ضرر متابعة الحرب .

وقد رد عليه السلطان واخوانه بأنهم لا ينزعون الى المصالحة ما لم تتعهد السلطة باجابة مطاليب الامة ولخصوها بما يلي :

١ ـ توحيد الحكومات السورية .
٢ ـ اعلان عفو عام بلا قيد ولا شرط .
٤ ـ تاليف حكومة موقتة يرضى عنها الثوار .
٤ ـ عقد معاهدة بين فرنسا وسورية .
٥ ـ تعويض المنكوبين عن خسائرهم .

وقد آب الوفد الى بيروت يطلع المفوض على مطاليب الثوار فكان جوابه الرد والرفض .

وفي التاسع عشر من كانون الاول امر المفوض الجنرال اندريا قائد منطقة دمشق بأن يعمد الى تاليف وفد من عاصمة بني امية يتقدم الى المندوب بما يطلب . فعقدت لهذه الغاية اجتماعات عدة في بهو البلدية افضت الى انتخاب عشرين وجيها هم السادة فارس الخوري محمد الكرد علي الامير سعيد الجزائري فوزي الغزي رشدي الصفدى احمد اللحام لطفي الحفار احمد الحسيبي اكليل المؤيد شاكر الحنبلي ابو الخير الموقع عبد القادر الخطيب يوسف ليادو عبد المحسن الاسطواني شكري الشربجي عطا الايوبي حسني العمري زكي المهايني معروف الارناؤوط عارف القوتلي .
فاتفقوا على تقدم ما يلي :

١ ـ انشاء حكومة وطنية موقتة .
٢ ـ تدعو هذه الحكومة الشعب لانتخاب مجلس تاسيسي انتخابا حرا .
٣ ـ وحدة سورية بحدودها الطبيعية .
٤ ـ تأجيل العقوبات المتعلقة بالثورة .

لقد نمي الى المفوض السامي ما بيت عليه الرجال من قرار فبعث الى الجنرال اندريا يصرح له برفضه استقبال الوفد او التفاهم معه ما دامت عاصمة الامويين في ثوران وما دام الثوار متقلدي السلاح .

ثم في الحادي والعشرين من شهر كانون الاول ابرق المفوض الى الجنرال اندريا يقول له بانه جعل بعد ظهر الثلاثاء المصادف بتاريخ ٢٢ كانون الاول موعدا لمقابلة الوفد . فسافروا الى بيروت وقبل الموعد المضروب بساعات اتى من المفوضية رسول الى الفندق الذي حل به الوفد قائلا بان المندوب يرغب بمقابلتهم منفردين . فعقدوا جلسة حينئذ اجمعوا فيها على اعلان رفض هذا الطلب واعلام المفوض بانه اذا لم ينزل عند ارادتهم من حيث المقابلة مجتمعين يعودون من حيث اتوا فأظهر المفوض استعداده لقبولهم حسب ما شاءوا .

وفي الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم دخلوا عليه وقد قدموا له مطاليبهم واستمرت المقابلة نصف ساعة ثم تمنى ان لو يجتمع لكل واحد منهم على انفراد ليطلع على رايه . فكان له ما شاء ثم انه في الساعة السابعة اتوه على اجتماع فأدلى اليهم بالبيان التالي :

« سمعتكم جميعا واطلعت على مطالبكم وسادرسها باهتمام كبير حاسبا حسابا للارتجال الذي لا يقوم عليه عمل دائم في حين اننا نريد القيام بعمل وطيد واني انتظر منكم ان تعملوا معي بقدر امكانكم في سبيل السلام فالسلام

الذي لا ينفصم بالامة الفرنسية .

ثم قال : « ان عهد الاستشارات قد انتهى وانه قال امس عند وصوله ويكرر قوله اليوم ويريد ان يصل الى اقصى الحدود وهو « السلام لمن يريد السلام والحرب لمن يريد الحرب » وانه حدد بهاتين الكلمتين خطة لا يمكن للرجال ولا للحوادث ان تحوله عنها ثم قال انه سيطلب الى الحاكم ان يدعو المجلس التمثيلي الى دورة استثنائية لوضع دستور لبنان وانه اذا ارادت بقية الدولة ان تشترك في فوائد الانظمة الحرة فهي تعرف الطريق . ومن العبث ان يعرض العصاة علي شروطا او ان يطلبوا مني وعودا فان العمل الذي اقوم به هنا هو الجواب فالحرب الآن لم يبق لها مبرر » .

فرد عليه رئيس المجلس بالشكران والامتنان والتقدير والاعجاب وفي العاشر من هذا الشهر اذاع المفوض الى سكان سورية جميعا البيان التالي : —

« ايا كنتم مسلمين او نصارى او اسرائيليين ومهما تكن الطوائف التي تنتمون اليها اخاطبكم مخاطبة الصديق واقول :

« مصيركم في يدكم »

في هذا اليوم العاشر من شهر ديسمبر يجتمع عند اخوانكم اللبنانيين المجلس الذي انتخبوه وقد كلفته المناقشة في القانون الاساسي وانتخاب حكومة للبلاد ولكان الامر كذلك في دولتي سورية وجبل الدروز لو ان هؤلاء يتمتعون كاللبنانيين بما يتعلق بالسلام من الخير والحسنات .

ان هنالك لسوء الحظ اقلية مصرة على متابعة حرب لا تنال من فرنسا ولا تضيرها فهي قصية عن هذه البلاد وهي اعلى من ان تصل اليها يد فهذه الحرب تشقي البلاد السورية باستنزاف خزينتها وتدمير قراها ومزروعاتها وتشريد النساء والاولاد عن مآويهم وتأخير تنظيم الاستقلال

الـــــوري .

اني لا الحق بهذه الاقلية مجموع الشعب الـسوري فان هذا الشعب يميل الى العمل في الهدوء والسكينة والحصول علىتاسيسات حرة مميزات الشعوب الجانحة الى السلام .

فان تكن الحرب تضطرني الى ان اعهد الى الجيش في الانفراد بالدفاع عن دمشق ضد العصابات فاني لا الهو مع ذلك عن السهر على انماء واسعاد الانحاء السورية الاخرى التي لا تزال امينة للانتداب والسلام .

فانا اذن ادعو السوريين الحازمين المخلصين وجميع الوطنيين الصادقين الى معاضدتي في ظل العدالة والقوة الفرنسية لتامين سلامة الاشخاص وانماء ثروة البلاد وتوسيع الحرية الوطنية التي هي في نظري سبب وجود الانتداب الفرنسي في هذه البلاد » .

على اثر وصول المفوض السامي الى لبنان وسورية بذلت في سبيل الاصلاح والتوفيق مساع عدة لم تقترن بالنتيجة المرجوة اذ كان المفوض يشترط في كل مرة خضوع الثوار والقاء السلاح حتى تستطيع فرنسا ان تجود بما تسمح به نفسها من نظام وقانون واليك الجهود التي بذلت والوفود التي الفت .

الوفـــــود

اول ما الف للوساطة والتوفيق وفد الامير امين ارسلان اذ اتصل هذا الوفد بأحد مساعدي المسيو دي جوفنيل وهو المسيو مليا فقررا على السفر على راس وفد الى جبل الدروز للصلح والوئام ولكي لا يحمل هذا الوفد مسؤولية الفشل لم يجنح الى وضع قواعد للمفاوضة . وكان صحبة الامير

١ ـ ان هذا المجلس يعتبر هجوم الثوار على حاصبيا ومرجعيون وراشيا تعديا على استقلال لبنان وحرية سكانه .

٢ ـ يرفع هذا المجلس شكره بالنيابة عن البلاد الى الدولة المنتدبة الكريمة لما قامت به حتى الساعة من التضحيات بالارواح والاموال للذود عن حياض لبنان والعمل على سلامة سكانه وضمان استقلاله .

٣ ـ يقدر مفاداة الجندرمة اللبنانية حق قدرها ويثني على ثباتها وشجاعتها .

٤ ـ يؤكد هذا المجلس للدولة المنتدبة بقاء البلاد على ولائها لها ومحبتها التقليدية غير المتزعزعة .

٥ ـ يطلب هذا المجلس من دولة الحاكم ابلاغ الدولة المنتدبة هذا القرار بالصورة الرسمية .

انا لا نود ان نكيل اللوم والنقد الى لبنان لاننا نعلم ان الذي سيطر عليه هو الذي املى مثل هذا القرار ولكن الملامة اذا شئنا ان نوجهها فانما نوجهها الى الاكثرية التي لم تعضد الاقلية في ساعة نفس لبنان الحبيب ورجاله المخلصون يعلمون ما يربطهم بأمهم سورية من اواصر .

بماذا يتكلم لبنان وبماذا تتكلم سورية ومن اي عرق تحدر الاول وما هي الصفات والتقاليد والاعراف التي تسيطر عليه ولا تسيطر عليها وما هو الفارق البعيد بين البلدين حتى لا تحس سورية بما يحسه لبنان وحتى لا يشعر لبنان بما يصيب سورية وهل النفع الذي يصيب البلد الواحد منهما من البعد والنوى بدرجة لا يصل الى الآخر حتى يستبيح المجلس النيابي اللبناني لنفسه ولوطنه ان يقطع انفه من وجهه فيبتر صلاته بسورية وهي منه كالقلب من الجسم وهو منها كالدماغ من الراس .

كيف يستطيع لبنان ان يحيا بمعزل عن سورية واين يستطيع ان يبعث

بالبضائع التي تأتي اليه من البحر ان لم تتلقفها بلاد الداخل وليس سوى سورية من بلاد لذلك ؟ . بماذا يستطيع العيش لبنان اذا نفضت سورية يدها من العلاقات به والاواصر معه ؟ وباي يد تمكنت الندوة اللبنانية ان تسجل على نفسها سبة الدهر وعار الابد بالتخلي عن عنصريتها وقوميتها وتاريخها بمثل ما اصدرته مما المعنا اليه من القرار المؤلم الفظيع على اننا نعود فنقول في كل بلد أناس ممن لا ينظرون الى ابعد من انوفهم فيورطون امتهم ووطنهم في هوة سحيقة لا قرارة لها بما يتخذونه من مقررات تعود على بلادهم وامتهم بالضرر البليغ وبهذه الكلمة الجارحة بلاغ ونهيه .

وصول المفوض الى لبنان

كان المندوب السامي في اول كانون الاول ديسمبر في الثغر في بيروت وقد استقبل بالحفاوة الشائقة .

وفي ثالث الشهر المذكور زار مجلس لبنان التمثيلي وقد القى فيه خطابا اليك تعريبه :

حضرة الرئيس والسادة النواب

« في الساعة التي نزلت فيها من الباخرة في ميناء بيروت سلمني الحاكم المسيو كايلا القرار الذي وضعه المجلس النيابي للبنان الكبير ليشكر فرنسا التي كان جيشها سعيدا بوجود الفرك اللبناني الى جانبه « يقاتل للدفاع عن الاراضي اللبنانية ولحماية سكانه وللمحافظة على استقلاله » .

وكما ترون ايها السادة انني استعمل نفس العبارات التي اوردتموها في قراركم وانني اعيد قراركم نفسه ذاكرا بتأثر مشرب بمعرفة الجميل انكم وجوتم مني ان انقل رسميا الى حكومة الدولة المنتدبة تأكيد تعلق اللبنانيين

ما كان ومع ذلك فاني اوجه نظركم الى الامور الآتيــة :

١ ـ ان اللجنة راغبة في التفاهم ووضع حد لسفك الدماء ولكنها لاجـل الوصول الى هذه الغايــة واقناع الذين بيدهم الســلام رات ان تقترح طريقــة للازمــة وهذه الطريقة لا يمكن نجاحها الا اذا وثقت من موافقتكم على بعض القواعد الاســاسـيــة .

٢ ـ ان هذه القواعد بينت في المذكرة التي قدمت اليكم في الصباح .

٣ ـ ان اللجنة لم تكن تريد ان تطالبكم في تطبيق سريع لخطتها وكــانت مستعدة للبحث في الاســباب والاحتمالات .

٤ ـ ان الكتاب الذي وصل الى يدكم في الســاعة الحادية عشرة ارســل منــذ الســاعة الرابعة بعد الظهر وكــانت اللجنة تتوقع ان يصل اليها الجواب وتبحث معكم في الاتفاق اذا كان ممكنا بعد سفركم .

٥ ـ ان القواعد التي قدمها الوفد لكم قائمة على الاسس التي بحثت فيها معكم في باريز غير ان اللجنة اثارت مســالــة الغــاء الانتــداب والجلاء عن البــلاد وكــان من الممكن الاتفاق على هذه القواعد بطريقة مرضـيــة للفريقين » .

* * *

وفي الســابع من الشهر المذكور اجاب المندوب برسالة ضمنها ما يلي :

« نعم ان الحالة مؤسـفة وانت تعلم ماذا صنعت في لبنان الكبير فانــه سيبدأ يوم الخميس بوضع دستوره وكان افضل لسورية لو انهــا بدلا مــن ان تحارب تضع قانونها الاســاسـي وسنرى بعد ذلك الامور الاخرى وفضــلا عن هذا فانني من الآن تردني الانبــاء من شمالي سورية وهي تبرهن على ان الخصومات على وشك احداث حنق وتألم بين اجزاء سورية المختلفة وهمــا شديدان بقدر ما رايت من اثرهما في سورية ولبنان وانت تصنع حسنا اذا قدمت الى هنا وقابلتني يوم الثلاثاء بتاريخ ١٥ ديسمبر مثلا » .

موقف الندوة اللبنانية من الثورة السورية

قرر المجلس النيابي اللبناني العتيد ! في جلسة اول كانون اول (ديسمبر)، سنة ١٩٢٥ القرار التاريخي الهام بأكثرية مطلقة تبلغ العشرين نائبا وبمخالفة كل من المخلصين الى لبنان اكثر من اخلاصهم الى سورية وهم ارسلان والداعوق وبيهم وتلحوق .

اما القرار الذي يرفع لبنان به راسه عاليا لذاواته لغته وتاريخه وعنعناته التاريخية فهو القرار التالي : كما اقترح ان يكون نصه جناب العبقري النائب دموس :

« لما كانت حوادث العصيان التي ابتدات في جبل حوران قد تطاير شررها الى الاطراف الجنوبية الشرقية من لبنان فتناولت حاصبيا وراشيا ومايتبعهما من القرى المجاورة فالحقت بالبلاد ضررا فادحا بالاموال والارواح .

ولما كانت هذه الحوادث في قرانا التي على الحدود غير مستندة الى مبدا يبررها .

ولما كانت حكومة لبنان المحلية مجهزة بجيش نظامي يرد غزوات الطامعين وكانت على ثقة تامة من حماية الدولة المنتدبة للبلاد عند الحاجة قياما بعهدها الذي قطعته مع جمعية الامم .

ولما كانت قوة الجندرمة المحلية على قلة عددها قد قامت بواجبها اثناء مهاجمة الحدود . ولما كان لبنان بانفصاله سياسيا عن جارته سورية وجبل الدروز يرغب في البقاء في عزلته وحياده التامين . ويعتبر تصدي الخوارج لمهاجمة اطرافه تعديا على استقلاله وافتراء محضا على حريته ومصالحه فان هذا المجلس يقرر ما يلي :

« ان المشكلات الحاضرة التي استعصى حلها تدعوني لأن اقدم اليكم استقالتي واني كرجل وطني يشاطر هذه الامة شعورها ويعاني امورها منذ عهد طويل الامد لا بد لي وانا في الساعة الاخيرة من الحكم ان الفت نظركم الى ان هذه البلاد لا يستقر قرارها الحقيقي ولا تعود لها امانيها وطمأنينتها الا اذا اجيبت الى مطالبها العادلة مثل تاليف مجلس تاسيسي يضع قانونها الاساسي على اساس السيادة القومية وانشاء حكومة دستورية تكون وحدها مسؤولة عن سياسة البلاد وادارتها وان يعلن فيها عفو عام بدون استثناء الا فيما يتعلق بالحق الخاص وان تؤيدوا سورية في دخول عصبة الامم .

« وبقيت مسألة ذات عقد كثيرة وهي مسألة الوحدة السورية بين الحكومات التي تؤلف الدولة السورية وجبل الدروز وبلاد العلويين من جانب والبلاد التي اضيفت الى لبنان من جانب آخر فان حل هذه المسألة يحتاج الى اقدام وبعد نظر لان الوطنيين السوريين يعتبرون ان بلادهم وحدة حقيقية في العادات والتقاليد والآمال والآلام والعنصر واللغة . وهنالك كذلك عوامل اقتصادية وجغرافية هي على جانب عظيم من الاهمية وانني لا ارتاب انكم ببعيد نظركم وصحة رايكم وما جبلتم عليه من الكرم وحب الخير تستطيعون ان تذللوا المصاعب كلها وتسلكوا في هذه البلاد سياسة جديدة لا علاقة لها بالقديم تقرب منكم القلوب وتؤسس بين بلادكم وبين سورية صلات ود ثابتة تنسي النفوس مافيها من احزان وحسرات وتضمن للجميع سلاما دائما ورخاء شاملا » .

رئيس الحكومة السورية الجديد

عندما شاء المفوض ان يعهد بتأليف الحكومة الموقتة الى الشيخ تاج الحسني من اعلن قبوله بهذه المهمة مبدئيا وذلك في الرابع والعشرين من كانون الاول وقد وضع برنامجا واسع النطاق مشترطا قبوله حتى يضطلع

بأعباء الحكم فنشأت مفاوضات بشأنه بين المندوب وبينه ظلت خمسة عشر يوماً واسفرت عن الفشل لرفض المندوب ذلك البرنامج واليك نصه :

« اقدمت الوزارة الحاضرة على تقلد امور البلاد وهي عالمة بثقل المهمة الملقاة على عاتقها في هذه الازمة الشديدة التي تحتم على كل وطني ان يبذل قصارى مجهوداته لتحقيق رغائب الامة وانقاذها من الاخطار التي تحدق بها من كل جانب وستعمل على ايجاد طريقة حل يكون فيها مقنع ومرضاة للسوريين من غير ان تناقض المصالح الفرنسية الحقيقية . وستضع نصب عينيها تشييد اركان سلام دائم يرضى عنه جميع ابناء الوطن سواء المقيمون والنازحون حتى يتعاونوا على انهاض البلاد من عثارها واقالتها من كبوتها وتخليصها من الكوارث التي كادت تقوض اركانها وتهد بنيانها واننا نتحمل اعباء هذه الحالة برباطة جاش ونخاطر بأنفسنا في سبيل الامة وسلامة الوطن . ولكننا حبا في بلوغ الغاية المنشودة وتحقيقا لرغائب الامة التي تسعى وراءها لم نجد بدا من العمل على القواعد الآتية :

١ ـ تحقيق الاستقلال بوضع قانون البلاد الاساسي على قاعدة السلطان القومي ودعوة مجلس تأسيسي عام للبلاد السورية للقيام بهذا العمل .

٢ ـ تأليف دولة واحدة من سورية الحاضرة وجبل العلويين وجبل الدروز على ان تدار على قاعدة اللامركزية بحسب ما يقرره المجلس التأسيسي العام. واسترداد الاقضية الاربعة وهي البقاع وبعلبك وحاصبيا وراشيا التي كانت سلخت عن سورية سنة ١٩٢٠م بقرار عرفي على غير رغبة اهلها وبالرغم من مواقعها الجغرافية وضرورة المواصلات بكونها جزءا لا ينفك عن سورية اما سائر الاقاليم التي اضيفت الى لبنان فانه ينبغي ان تؤلف مقاطعة مستقلة تنتخب نوابها وتقرر مصيرها وعلاقاتها السياسية اذا لم يكن الاتفاق في شأنها مع حكومة لبنان .

٣ ـ معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية ولا تكون نافذة الا اذا ابرمها البرلمان

ايضا وعندها تنتخب كل محافظة على حدة ويجتمع النواب في مركز المحافظة ويقررون البقاء مع لبنان او العودة الى الوحدة السورية . فالوفد يرى ان التفريق بين لبنان وسورية في المعاملة على هذه الصورة مجحف بحقوق سورية وهادم لوحدتها » .

« وما زالت الاقضية الاربعة التي سلخت عن دمشق في سنة ١٩٢٠ تلح بالرجوع الى تلك الوحدة وقد احتجت الحكومة السورية في ذلك الحين على هذا السلخ غير القانوني واحتفظت بحق الاعتراض عليه واقامة الدعوى بشأنه عندما تسنح الفرص وبما ان الانتداب هو الحكم بين الدول السورية عند وقوع خلاف على اي امر كان فالسوريون اليوم يرفعون الدعوى لدى ممثل الانتداب على دولة لبنان الكبير ويطلبون استرداد هذه الاقضية بعد سماع مدافعاتهم بشأنها في طريق الاتصال بين دمشق وحلب بالسكة الحديدية واكثرية سكانها يطلبون ذلك وبعد ان يسمعوا حكم ممثل الانتداب يبقى حق استئنافه الى المراجع العليا كالوزارة الفرنسية وجمعية الامم ولما كان من المسلم به ان للسوريين الحق بعد انتهاء الانتداب بالمطالبة بحدودهم الاصلية فاذا لم تكن هذه الحدود غير مؤسسة منذ الآن على قاعدة المساواة وحفظ الحقوق يبقى باب النزاع مفتوحا ولما كانت وظيفة الانتداب اليوم تأسيس الحدود على سلم دائم ووفاق ابدي بين المقاطعات السورية فليس من الحزم ان يترك سبيل النزاع ميسرا لهذه المقاطعات ولا يعقل ان ترضى سورية الداخلية في وقت من الاوقات ان تبقى محرومة من منفذ على البحر وها ان مدينة طرابلس وملحقاتها تطالب بالعودة الى الوحدة السورية لانها ميناء حمص الاصلية ولا تستطيع الدولة السورية ان تعيش بدون هذا المنفذ .

فاذا كانت الدولة المنتدبة تريد ان تؤسس سلما دائما بين السوريين فما

عليها الا ان تنصفهم وتعطي كل ذي حق حقه منذ الآن ولا تترك بابه الشر مفتوحا ...

« وبنص قانون الانتخاب الذي اصدره المندوب على اجراء الانتخابات بحسب القانون الاخير الذي سنه الجنرال فيجان على اساس القضاء ومنع الترشيح على غير سكان القضاء الذين مر ستة اشهر على اقامتهم فيه وبما ان المجلس المنوي انتخابه هو مجلس تأسيسي فانه يتعذر وجود نواب صالحين لوضع الدستور في كل قضاء من هذه الاقضية واذا بقي هذا القرار نافذا يخرج معظم النواب من سكان القرى الذين ليس لهم خبرة كافية في مثل هذا العمل الهام فالوفد يطلب ان يطلب ترشيح اي سوري كان في كل قضاء من اقضية البلاد السورية . ولما كان هذا القانون مؤسسا على الطائفية وفيه حرمان للاقليات من حقوق الترشيح بصورة لم يسبق لها مثيل في الاصول النيابية فالوفد يرى ان تزال هذه الفوارق ليتمتع جميع ابناء الوطن بالحقوق العامة .

« ان مهمة الوفد سلمية صرفة وقد عرض على المندوب الاسس التي يعتقد انها صالحة لارضاء الشعب السوري واعادة السلام الى البلاد وهو بما له من الخبرة يلح في الرجاء بقبولها لتنال سورية استقلالها مع الاحتفاظ بصداقة فرنسا ومحبتها على قاعدة النفع المتبادل .

صبحي بركات يستقيل

لقد اسفرت نتائج تأليف الوفد وسفره الى بيروت ، استقالة رئيس الحكومة السورية صبحي بركات اذ عد مطالبة الوفد المندوب بانشاء حكومة موقتة وموافقة المفوض على ذلك تحديا لحكومته فبعث في الثاني والعشرين من كانون الاول الى المندوب بالكتاب التالي :

« ياصاحب السعادة

الثائرين وتحملهم على التسليم لانها تتضمن شرط تسليم السلاح لنيل العفو ولا يخفى ان دروز حوران لا يقدمون على تسليم السلاح ما دامت البادية وسائر البلاد المجاورة لهم مسلحة .

« ولقد حاولت الدولة العثمانية مرارا عديدة تجريد جبل الدروز من السلاح فلم تستطع ذلك وكل من اخذت بندقية عاد فاقتنى بدلها ولو ببذل كل ما لديه فقبل ان تتخذ التدابير الكافية لأمن البادية ومنع غزوات القبائل لا يميل الدروز الى تسليم اسلحتهم وعلى هذا يكون هذا الشرط حائلا دون الاستفادة من منحة العفو .

« اما الثائرون الآخرون الموجودون في جوار دمشق وسائر المناطق السورية فان اكثرهم غير مسلحين بالبنادق او الاسلحة الحربية الاخرى فمن اذعن منهم واقبل على التسليم تطالبه السلطة بالسلاح الذي كان بيده وهو لا يستطيع تسليم سلاح حربي لانه لا يملكه فيفضي ذلك الى حبسه وارهاقه لاجل تسليم السلاح ويكون هذا حائلا دون تمتعه بالعفو ومانعا لغيره عن اقتحام التسليم وعلى ذلك يبقى هذا الشرط عثرة في سبيل انفاذ هذا الامر والوفد يرى ان وضع هذا الشرط يعرقل المساعي الصلحية التي جاء لاجلها .

« واما منع العفو عن الزعماء فهو ايضا حائل دون الوصول الى الغاية المطلوبة لان هؤلاء الزعماء يمتنعون عن بذل نفوذهم في سبيل اخماد الثورة والقاء السلاح ما داموا غير آمنين على حريتهم والتمتع بالعفو المنتظر كما ان هيئة الوفد لا تستطيع ان تؤثر في الثائرين الا بواسطة هؤلاء الزعماء وعلى ذلك ترى ان العفو لا يفيد بالطريقة المطلوبة الا اذا منح للزعماء والافراد على حد سواء . ومهما كانت بيانات المفوض السامي مشيرة الى سلامة حياة الزعماء وضمانها فهي لا تضمن لهم الحرية بل تجعلهم عرضة للمحاكمة والسجن

ولا ينتظر ان يذعن هؤلاء ويجارون الوفد في خطته السلمية ما لم يطمئنوا بانهم يستفيدون من العفو فائدة عاجلة .

وطلب الوفد انشاء مجلس تاسيسي لوضع الدستور على قاعدة السيادة القومية وكان يأمل ان المفوض السامي بالاستناد الى تصريحاته العديدة يتفضل باجابة هذا الطلب بصورة صريحة بيد ان القرار الذي نشرته الصحف اليومية جاء مضعفا لهذه الامنية ومهددا الدولة السورية بخطر جديد للتجزئة لانه تضمن اجتماع نواب كل لواء على حدة وتقرير الروابط السياسية بين لوائهم والالوية الاخرى حتى اذا قرر احد الالوية او احدى الولايات الانفصال عن الوحدة الحاضرة يجاب الى ذلك وبهذا يتيسر لدعاة الانفصال ان يمثلوا دورهم بدسائس جديدة لتمزيق البلاد السورية وانشاء دول جديدة فيها علاوة على العدد الموجود في حين ان استشارة الالوية بواسطة ممثليها قد تمت في المجالس التمثيلية السابقة فقد قرر مجلس النواب الحلبي الانضمام الى دمشق كما قرر مجلس النواب الدمشقي الانضمام الى حلب وتألف من المجلسين مجلس واحد قام بوظيفته مدة سنتين وعلى ذلك يكون الاستفتاء قد تم بالطريق القانوني واصبحت الوحدة بين حلب ودمشق قضية محكمة لم يعد من الجائز الرجوع اليها واعادة الاستفتاء مرة ثانية ولو صح ذلك لجاز تكرر هذه الاعادة كلما اجتمع مجلس تمثيلي جديد فالوفد يرى ذلك افتئاتا على الوحدة السورية ويعد هذا القرار مهددا بتمزيق جديد وهو قادم لطلب توسيع الوحدة وضم البلاد المسلوخة » .

« ان هذه القاعدة المسنونة في قرار الانتخاب المذكور هي محصورة في الالوية السورية فقط في حين ان الالوية اللبنانية لم تكلف مثل هذا الاستفتاء بل ترك الامر للمجلس النيابي العام يقرر فيه مجتمعا . فاذا كان الاستفتاء اللوائي يطبق في سورية يصبح من الواجب تطبيقه في لبنان

هو شرط العفو والدستور ويخشى ان تفضي اطالة الحركات العدائية في سورية الى الخراب والجوع . فقولوا هذا للمقاتلين الذين يحاربون انفسهم ويحاربون تحقيق امانيهم وآمالهم نفسها لانهم لو القوا السلاح لاستطاعوا الاشتراك في الانتخابات التي ستجري في كل مناطق سورية المتمتعة في الوقت الحاضر بالسلم . كما اني أفوض اليكم القول لهؤلاء المقاتلين الذين لم يرتكبوا جرائم تتعلق بالحق العام والذين لم يتولوا اية قيادة في تلك الثورة ان كل من جاء منهم في مدة خمسة عشر يوما الى مركز قيادة الكولونيل اندريا العامة وسلم سلاحه يستطيع العودة الى منزله بدون خشية . واما الزعماء الذين يقدمون خضوعهم في المهلة نفسها فلا يعني ان اعدهم قبل السلم الا بتأمين حياتهم واني اتمنى من كل قلبي ان لا يكرهوني على استخدام النجدات التي امدتني بها بلادي كي اتمكن في وقت قريب من القول لفرنسا ان تمتنع عن ارسال الجنود فلنسرع في توطيد السلم وتوطيد الدستور الذي يتلوه وفي ايجاد جو يساعد على المناقشة في المشاكل الكبرى باجمعها من دون ان يكون هنالك مجال لاتهام الدولة المنتدبة بالرغبة في الضغط على اي كان وبدون ان تتهم اية مدينة كانت بالسعي للاجحاف بالمدينة الاخرى » .

« اما الآن فقد تقررت الانتخابات حيث يسود السلام بيد انها ستجري في سنجقي دمشق وحوران بعد تاريخ الغاء الاحكام العرفية بشهر على الاكثر وان المجلس التمثيلي الذي سيكون وليد هذه الانتخابات يستطيع تقرير الدستور واعضاؤه الذين يقررون شكل الحكومة لا انا ولا انتم » .

« في لغتكم مثل عربي احبه كثيرا يقول ــ صديقك من صدقك لا من صدقك ــ ولقد سمعت اقوالكم جميعا فاسمحوا لي ان اسرد على مسامعكم حكاية كان في احد البلاد الجميلة رجلان فاضلان ابتاعا قطعتين من الارض واسعتين فقضى احدهما وقته في بناء الجدران حول ملكه وكانوا يتهمونه

عن خطـأ او عن صواب بانه يعتدي على ملك هذا وذاك فاختصم مع كـل الجيران وتشاجر معهم وانتهى به الامر الى الأفلاس قبل ان ينتهي من بناء منزلـه على ان الآخر اهتم أولا ببناء منزله وباتخاذ ذلك المنزل مسكنا له وبدعوة اصدقائه اليـه فازدادت ثروته وكان سعيدا ومحبوبا من جيرانـه الذين وثق معهم العلاقات الاقتصاديـة التـي لا غنى عنها لنجاحـه ونجاح الآخريـن » .

« فهذه هي الطريقة السلمية التي انصحكم باتباعها ـ لقد استقبلت منـذ وصولي وفودا عديدة ابدت آراء مختلفة وليـس في وسع وفد من الوفـود ولا في وسعي انـا ان نقرر مصيـر هذه البلاد فالامر منوط بالانتخابات فاعملوا أيها السـادة على توطيد السـلم في القريب العاجل والسلم يتيح لسورية ان تقول كلمتها وهكذا تكونون قد خدمتم وطنكم وبلادي تشكر لكم اعمالكم هـذه لانهـا تتمنى السـعادة لكـل البـلاد المشمولـة بالانتـداب كما اني اتمنى سعادتـكم » .

راي الوفـــد ببيان المفوض

بعد ان وقف الوفد على ما جاء ببيان المفوض قرر التمسك بمطاليبه والف لجنة من السـادة عارف القوتلي وفارس الخوري ورشدي الصفدي كي تتصل بالمسيو ميليـا فتقدم اليه تعليق الوفد على جـواب المندوب . واليك نص ما تسلمه المسيو ميليـا :

« يرى الوفـد ان التصريحات التي تفضل بها المندوب السامي لا تكفـي لاجابة رغائب الامـة وتلبيـة مطالبها المشروعة ولا يستطيع الوفد ان يتفاءل بهـا لتحقيق الرغائب واعادة السـلام الى البلاد لان الفقرة الاولى التي تضمنت مطالب الوفد بخصوص العفـو العـام لم تقترن بنتيجـة كافيـة كي تقنع

٥ ـ تقرر اللجنة القرارات الخطيرة بالاشتراك ولا يبت في اي امر حربي كلي او بوظيفة حربية مستقلة الا برأي القائد وتناط بالقائد جميع الاعمال الحربية ولا يجوز لاحد ان يتدخل بالاعمال العامة .

« ملحق : الكسب الهامل اي الغنم الذي يحصل بدون قوة هو مال عام للقضية واما الكسب الذي يحصل بالقوة اي في اثناء القتال فاذا كان بندقية او حصانا فهو للغانم واما اذا كان مقادير كبيرة فتحفظ باسم المصلحة العامة وتمنح مكافاة للغانم ..

« تعين الغرامات الخاصة والعامة بقرار خاص وجميع ما يرد من الاعانات يعتبر كمال خاص للقضية ومحظور جدا على اي رئيس كان التصرف بالاموال العامة وممنوع جدا القيام باعمال اللصوصية من اي كان كما ان الاعمال الفردية ممنوعة ايضا » .

توجه المجاهدون نحو الغوطة حتى وصلوا قرية الهيجانة ومنها الى بحرة العتيبة فالعبادة فالقاسمية وما ان صاروا على منافذ الغوطة حتى نشبت بينهم وبين القوى الفرنسية معركة لم تكن بذي بال اذ هزمها الثائرون ودخلوا القاسمية عنوة وتابعوا السير الى الشابية وفيها دار للحكومة وهي ناحية فيها مدير لادارة شؤونها وشؤون ما يتبع لها من القرى . وقد احتلوها وضبطوا اضابيرها وبارحوها الى حوش خرابو حيث دخلوه عنوة ومنه ساروا نحو الزور « زور بالا » للتحصن فيه كما كان شأن العصابة الاولى في باديء الثورة .

علم الفرنسيون بمكان الثائرين وقد كانوا على غيظ شديد لما كان من الوطنيين في الغوطة فهاجموهم بجند كثير وعتاد عظيم وداهموا الثائرين من كل جانب فقامت سوق الحرب هناك قياما فظيعا واشتد الهول وتضاعف الجهد وحمي وطيس القتال وامتد امد العراك سبع ساعات متوالية استشهد فيها كثير من الثائرين بينهم بطل الميدان الشهيد ابي خالد نجيب .

لقد كان موقف هذه الاسود بين تلك الادغال موقف الرئابيل على ابواب العرائين داهمها من الدخلاء والخوارج ما استفز في رؤوسها حمى الذود والزب والدفاع فكرت على هؤلاء الاجانب تصدم حديدها الملتوي امام فولاذ القلوب وترد نارها المتاججة بجحيم من ايمان يصهرها صهيرا ويذيبها ذوبا. وتدفع الغارات بتيار جارف ياتي على المداهم المهاجم كما تاتي النار على القش اليابس هنالك كان الزئير يتجاوب صداه في تلك الربوع والحماس يشتد من حين الى حين فيحمل القوم على عدوهم حملات صادقات يبرهنون له من هو العربي اذا استثير واستغضب واستبيح حماه . فكانوا صخرة على العدو هدها السيل من عل . وكانوا لا يبالون بما تمطره السماء عليهم من قنابل وما تفجره الارض عليهم من قذائف وبما يتوالى فيهم بين الفينة والفينة من رصاص لانهم فقدوا كل حس في تلك الساعة الا حس تطلاب النصر عن طريق الموت والا حس الاندفاع على العدو بحزم وعزم لا يعرف انيا ولا يعرف كللا . وانا لنذكر ما كان من آل العلي وسواهم من المجاهدين الابطال وفي طليعتهم المجاهد الكبير صبري العلي من البلاء الحسن والتضحية الجسيمة وضروب القتال في معارك الغوطة مما يسجل للجميع بالتقدير والاعجاب والاكبار .

وظلوا كذلك والنار تعمل فيهم العمل الذريع والفتك المريع غير ان نارهم كانت ما تصل الارض ولا تذهب الا بجسد لذلك كان تاثيرهم على القوى تاثيرا عظيما وفتكهم فيها فتكا بليغا وافناؤهم الكثير كان افناء وبيلا .

لقد سالت في هذه المعركة الدماء وديانا وتصاعدت الانات تصاعدا كان يشق عنان السماء وتعالت اصوات الاستغاثة من الاعداء تخترق السبع الطباق فكانت معركة تمتاز عن سواها من المعارك بالهول الذي يخيم فيها واقام في جوها وتناول كل افق من الآفاق فيها ...



من ابطال الثـــورة المغاوير المجاهد الكبير السيد صبري العسلي

وظلوا كذلك حتى اقبل الظلام وهنالك جمع بعض الاحياء جرحاهم وقد حملوهم الى دمشق للاعتناء بهم والباقي الصحيح من الثائرين لم يقنع بغير الزحف على قلمون . وهنا عندما احست القوى الفرنسية بهم عمدت الى مطاردتهم فتفرقوا عند مرابا فتوجه الامير عز الدين برجاله في طريق حمورة وسلك سعيد العاص سبيل الاشعري وعاد عنه فسلك طريقا آخر غيره حتى بلغ حوش فارة وواصل السير الى أن كان الصباح فاذا به قريبا من قصير دوما . فخشي ان يعلم به الاعداء فيظفرون به فكمن في كهف هناك بمساعدة الاهلين حتى كان المساء وفيه توجه نحو القلمون الى ان بدت تباشير الصباح وعندها التجأ الى الشعاب وطفق يسير ليلا وينام نهارا حتى بلغ الشرق العربي ..

اما الامير عز الدين الجزائري فقد توجه نحو عين الصاحب بطريق دريج فباغته الجند هناك فدار بينه وبين الفرنسيين عراك صارم وقتال هائل ونضال مميت ابدى فيه الامير الكبير من الشجاعة والبسالة والمقدرة مما سطر له في قلوب اعدائه اعترافا بالبطولة والشجاعة والفتوة ، كان الامير يجد في القتال لكي يبلغ العين فيتحصن في مغارة فيها وقد تم له ما اراد فوصلها ولكن بعد جهد جاهد وعناء زائد وفقد رجال ابرار . وهناك تحصن فيها واصلى من كان يقترب من الجند نحو الكهف نيرانا حامية جدا ومن البداهة ان الجيش قد التف حول مكان الامير التفاف الهالة بالقمر او السوار بالمعصم وما كان هذا الجمع الحاشد ليقف مكتوف الايدي لا يعيد ولا يبدي بل كان يحاول المحاولة الشديدة العظمى ان لو يصل الى الاسد الرابض الحامي عن حماه وبذلك كانت تشتد رحى القتال وكان يحمى الوطيس بين الفريقين حموا كالنار سعيرا وقد اشتد اوار الجلاد بين الفريقين فكان بنسبة ضآلة عدد المجاهدين معكوسا شجاعة وبسالة وتضحية وكان يستحر النضال كلما زاد زمن الحرب وقد ابدى الامير ورجاله من الصمود والاستبسال

في هذه الواقعة ما يحير ويذهل ويدهش لا سيما واخوته سعيد اليماني ونعمان الجيرودي واحمد التلفيتي والصخري فهؤلاء قد قضوا شهداء في ميدان الشرف اذ بذلوا الجهد الجهيد للوصول الى الجبل فلم يبلغوه فخروا دون الوصول اليه صرعى يبتسمون للموت لانهم قاموا بما ينبغي عليهم فسمت نفوسهم ورقت ارواحهم وكانت في آفاق السماء تبتغي عليين .

ظل الامير الباسل في غاره يزمجر زمجرة الاسود ويثب وثبة الرئابيل ويدور مجاهدا دورات الابطال ويكر على الاعداء من نفس كهفه كر الليل على النهار . وظل كذلك حتى الزوال وقد تكاكأت مفرزات الجيش من كل حدب وصوب توالي رمي مكانه بالرصاص والنار وكان عددها يبلغ الالف رجلا . فرغم هذا العدد العديد ما كانت هذه القوى لتجرأ على مهاجمته في معتصمه لانه قد جندل منهم اكثر من سبعين قتيلا وافعم ساحة الحرب من اشلاء الاعداء فاشتد الامر على المجاهدين وازداد الكرب وعظم البلاء وسقط عدد كبير منهم فداء عن الوطن ولم ينج من هؤلاء المجاهدين البواسل الا تسعة ابطال فقط .

ضاق الامر بالامير ذرعا ولم يعلم الفرنسيون وسيلة للوصول اليه الى أن اسعفهم بعض ممن جف ماء الانسانية في عروقهم ونضب دم البشرية من اجسادهم وذهب من نفوسهم وقلوبهم الوجدان والضمير والشرف فدلوا الاعداء الى مقر هذا الاسد عن طريق مجهول غير مألوف وواصلوا السير فيه الى ان كانوا امام الكهف من الناحية التي يعلم البطل الامير انها تؤدي الى مكانه وهناك فاجاه العدو ومن معه بالقذائف اليدوية التي كانت تتفجر لديه والتي اصابت شظية من واحدة منها ساعده وقتلت رفيقه ابا قاعود أحمد وكان حينئذ عتاد الامير قد نفذ ولم يعد لديه رحمة الله عليه من الذخيرة والرصاص ما يمهد له سبيل الدوام على الجهاد طويلا ناهيك عما

كان يؤلمه من جرح ساعده فاستيأس واستبسل وقفز من الغار يهم بالخلاص فما كان من الجند الا ان تألبوا عليه واحاطوا به وسدوا دونه كل مسلك . وانهالوا بالنار يصلونه بها دراكا وتباعا فاستقتل رفيقاه المغربيان وأبليا من دونه البلاء الحسن وذبا عنه يدفعان الاعداء زمنا طويلا وحلقت في تلك الساعة في السماء اثنتي عشرة طائرة فباغته احد ضباط الجركس حاجي بك وفي يمينه قذيفة صائحا بالاسد الشجاع بما معناه « ايها الامير سلم تنج » وما كان يدري وقع كلامه في نفس رجل دلل على وطنيته وجولته وشجاعته في كل ميدان من ميادين القتال وفي كل ساحة من ساحات الشرف فما كان يخطر ببال هذا الجركس انه كان يخاطب رجلا له نفس الامير وقلب الملك وروح اعاظم الرجال بل كان يظن انه يوجه كلامه الى رجل مثله لا يقدر الحياة ولا الموت ولا يعرف الشرف ولا المروءة ويجهل الوطنية والوطن والواجب والحق . اكبر الامير الشجاع من ذلك الوغد ان يطلب اليه سلاحه وما درى ان السلاح لا يعطى وفي المرء عرق ينبض او فؤاد يخفق فثار الامير بوجه هذا الرجل يقول : « لقد خسئت ايها اللئيم فاني ما امتضيت سلاحي وارهفت من غرب حدته لاتخلى عنه الى مثلك سريعا وما استل فارس صارمه الا ليغمده في الاحشاء لا ليسلمه الى الاعداء فرارا من موت طالما سعى اليه » قال هذا واردف يضيف على ما قال « خذها من يد امير وهكذا التسليم » ... وما ان اتم آخر كلمة من فيه حتى كان مسددا نحو الشركسي مسدسه يطلق النار عليه مما دفع ذلك الضابط لاطلاق رصاص بندقيته عليه من يد ترتعد برجفة الموت وصفعة الجبن وفي النفس الاخير . ولكن كانت اصابت من ذلك البطل الصنديد مقتلا وبالحقيقة قد فتحت امامه سبيل المجد وشقت طريق الفخار ونصبت سلما بينه وبين السماء ليبلغ جنات عدن محمولا على اجنحة ملائكة الله جزاء وفاقا .

عندما يحز بنا الالم نفسا من شركي ما لايظن اشراف الشراكة «اننا نبخس الناس اشياءهم او اننا نكون معتدين .

انا لنذكر للمحسن احسانه كما نجازي المسيء باساءته واننا لنسجل العمل اليسير المجيد ، بالشكران والثناء المزيد . وكما نحمل على من يطعن الامة والوطن في صميمها ننحني ونبارك ونشيد بذكر من يقيم نحوها بيسير من عمل .

مهدنا بهذه الكلمة اعترافا بفضل احد متطوعة الشراكسة الذي كان في ذلك الحادث شاهد عيان . فان هذا الشركي الشريف لم تقو نفسه على رؤية ذلك الامير لما رآه منه من حمية وتضحية وسمو ان يجهز عليه وهو حتى لم يستطع ان يدافع عنه فغلى اجيج الحس النبيل في صدر هذا الشركسي النبيل وكبر عليه ان ير الشجاعة تنحر والبسالة تغور ففر من الجيش الى بلاده يترك في نفوس سورية والسوريين له اعظم الاثر الخالد والامتنان مدى الدوران ...

للطبيعة فلتة وللامم في بعض الاحيان غلطة وعلى المؤرخ المنصف ان لا يترك شاردة ولا واردة الا احصاها . نحن لا ننكر اننا في كثير من المواطن كنا نشجب على الفرنسيين ما قاموا به من تدمير للدور وقتل للاطفال وغير ذلك من الافاعيل التي لا يقرها اخو وجدان او ذو ضمير . اجل نحن لاننكر ذلك والى جانب ذلك نذكر للفرنسيين ما يعملونه من انسانية وان قل ذلك منهم – وتجلة واحترام . كما كان شانهم عندما جيء بجسمان البطل العظيم والمجاهد الكبير المرحوم الامير الجزائري الى المستشفى العسكي وما كان من الجنرال فاليه قائد دمشق عندما اخذ بتسليمه لاهله بحضور المندوب الممتاز المسيو بير آليب وما فاه به من الكلم راثيا ومؤبنا ممتدحا للامير خصالا ومزايا ومعترفا بما انطوى عليه ذلك البطل من شجاعة فائقة وبسالة

خارقة وقال كبير منحنيا بكل احترام واجلال رافعا قبعته بكل تجلة وتعظيم يقدس في ذلك الجثمان نفس الموت ونفس الحياة بآن واحد وما كان رفاقه الحضور باقل موقفا منه من فقيدنا الحبيب . وبذلك سجلوا على افئدتنا لما كان منهم في ذلك الموضع شيئا من سلوى وعزاء .

وعلى الاثر لم يعد من عصابة في الغوطة فكان الامير رحمه الله هو شعلة الحماس ووقدة الشعور ولهيب الهمم حتى اذا ما خبا ذلك الضوء الذي كان متألقا انطفأت جذوة كل شيء في تلك الربوع ...

موقف بريطانيا من الثورة السورية

لقد كان يتراآى الى الفرنسيين ان دولة بريطانيا هي التي كانت تمد الثورة السورية وتغذيها حتى استطاعت ان تدوم المدة التي ظلتها شابة الاوار . وكان من الرجال الذين قام تلقاء الفرنسيين بذلك الجنرال ساراي والجنرال غاملان اخذا على نفسيهما القيام باقناع الراي العام الفرنسي ووزارة الحربية الفرنسية وكأن هؤلاء الرجال يدعمون ملفقاتهم وترهاتهم والاكاذيب بتقارير لا صحة لها وباقوال باطلة لا ظل لحقيقتها وقد زعم الجنرال غاملان في رسالة سرية بعث بها الى وزارة الحربية في فرنسا انه يدعم مدعاه الذي ادلى به والذي نوهنا عنه بشهادة زعيم درزي معروف كان واقفا بحكم مكانته السامية على كل شيء بشأن الثورة السورية وشد الانكليز ازرها وما كان ليتورع هذا الجنرال عن ان يسند الى البريطانيين انهم كانوا يوالون نجدة الثائرين بالذخيرة والمآكل والمال . وقد امتد به الامر الى انه كان يعزو تردد الكثير من ضباط الانكليز على الجبل للقيام بتوزيع الميرة والارزاق والذهب .

دبج الجنرال ساراي في الخامس والعشرين من اغسطس كتابا الى صديق له قال له فيه ما معناه : « انا لا اعتقد بأن للبلشفية يدا في الحوادث الاخيرة

بل ان التدخل الفعلي هو من الجانب البريطاني واستطيع البرهان على ذلك ومن تصفح مذكرات هذا الجنرال يرى انها ملأى بالوثائق التي وضعت وضعا للتدليل على تلك المفتريات الجائرة .

قد يقول القاريء الكريم ما الذي يحدو بهؤلاء الرجال لان يلفقوا مثل هذه الاكاذيب وان يدبروا امثال هذه الاباطيل ولعله يدرك من غير ان يورد هذا السؤال من ان موقفهم المرجرج امام الشعب الفرنسي والموقف غير المشرف الذي وقفود في هذه الربوع والذي اثار حفيظة الرأي العام الفرنسي عليهم دعاهم لان يلتمسوا سبيل ما يعتذرون به امام الامة الفرنسية فراحوا يقولون انهم ارغموا على ركوب ذلك المركب الخشن وعلى سلوك تلك السياسة الغاشمة مندفعين بذلك المبرر الذي اوجدود من لاشيء . وهم بصنيعهم هذا شاؤوا ان يحدثوا في ارواع الامة الفرنسية النبيلة انهم قاموا بما قاموا به من الاعمال التي لا يقرها اخو الحجى ولا يقول بمثلها ذو لب قمعا لثورة نفخ في نارها يد غريبة اجنبية . وبذلك كانوا يرهبون الجمهرة الغفيرة من الراي الفرنسي بأن اهالي البلاد في رضى عن الحكم الفرنسي غير مستثقلين ظله ولا متبرمين به وان التدخل الاجنبي هو الذي اضرم ثورة ما كان ليندلع لسانها لولا ذلك التدخل .

على ان الحقيقة التي لا نكران لها ولا مرية فيها هي ان انكلترا كانت في كل الادوار التي تعاقبت على سورية ابان الثورة البا على الثائرين سعيا وراء ارضاء الفرنسيين . والتدابير التي لجأت اليها بريطانيا العظمى في الشرق العربي فحالت دون تخطي الثائرين الحدود السورية مجتازة تخوم الشرق العربي وارسال انكلترا في اوائل اغسطس الدبابات والمصفحات لهذا الغرض كل هذا دليل واضح على ان بريطانيا لم يكن لها اقل علاقة او مدخل في

الثورة السورية . واذا كان من البراهين ما يؤيد حجج بعض الفرنسيين امام الراي العام الفرنسي فبرهان بريطانيا على عكس ذلك انذارها كلا من الثائر المعروف اذ ذاك حسن الحكيم والمحامي الشهير سعيد حيدر بوجوب براح عمان غب وصولهما الى تلك الديار في الرابع عشر من ايلول عام ١٩٢٥ يوم ان قدموا على تلك المنطقة من الجبل الاشم . وسفرهما فورا الى معان التي كانت يومئذ تابعة لاراضي الحجاز خير ما تجنح به بريطانيا على ما الصقه بها الجنرال غاملان والجنرال ساراي وسواهما .

ودليل اكبر من كل هذا تدلل به انكلترة على تلفيق تلك الانباء الباطلة قبضها على الاستاذ جميل مردم عندما كان في حيفا بأواخر ايلول من تلك السنة . وغير ذلك من البراهين والدلائل التي تدعم حقيقة موقف الانكليز من الثورة السورية حتى ان الامير عبد الله جمع شيوخ شرقي الاردن لاقناعهم عدم التدخل بالثورة السورية خصيصا وهددوهم بالعقاب عند المخالفة وكذلك الجنرال بيك باشا قائد الجيش العربي العام في الشرق العربي جمع شيوخ اربد واطلعهم على وجوب التزام الحياد التام تلقاء الثورة السورية وعدم محاربة الفرنسيين وعدم السفر الى سورية . وفي العشرين من ايلول سنة ١٩٢٥ اذيع في قاعدة شرقي الاردن بلاغا رسميا بالنص التالي :

« رعاية لقواعد الحياد التام بسبب حوادث سورية الحاضرة لا يسمح لأي كان بان يعبر الحدود الفاصلة بين شرق الاردن وسورية من بعد الغروب حتى الفجر ويجوز في اثناء النهار عبور الحدود بشرط ان يقدم العابر نفسه الى احد المراكز الآتية :

في المفرق : الى قائد فصيلة الجيش العربي .

في الرمثا : الى قائد فصيلة الجيش العربي .

في أم قيس : الى الحاكم .

وقد شاء اهل فلسطين القيام بتظاهرة وطنية تأيدا لسورية فمنعتهم الحكومة فاحتجت اللجنة التنفيذية في القدس داعية المسلمين الى الدعاء بعد صلاة الجمعة يوم ١٨ ايلول سنة ١٩٢٥ والمسيحيين الى القداس يوم الاحد في ٢٠ منه للابتهال الى الله تعالى بمعونة الثائرين وان يؤيدهم بنصر من عنده .

واحتجاج اهل فلسطين واضرابهم يوم مجيء دي جوفنيل ومروره فيها وكتابة البعض على جدران القدس الشريف باحرف ظاهرة (ليسقط المسيو دي جوفنيل جلاد سورية) واضراب ثالث الحرمين القدس كل ذلك دليل على ما ذكرناه .

وقد شدد البريطانيون على الثائرين في الازرق وضيقوا عليهم تضييقا شديدا ومنعوا الكثير من الرجال من الاقامة فيه .

وفي العاشر من نيسان اعلنت الادارة العرفية في الازرق بمرسوم اذيع في عمان كما ياتي :

« بما ان البلدان الواقعة حول الازرق اصبحت بحالة قلق اعلن لاشعار آخر ان المنطقة المبينة في ما ياتي هي خاضعة للحكم العرفي وكل من يخالف — ضمن حدود هذه المنطقة اوامر السلطة العسكرية يعرض نفسه للمحاكمة امام مجلس عسكري ويجازى بالعقوبات التي تشير بها السلطات العسكرية . ان المنطقة المعلن فيها الحكم العرفي هي محاطة بخط بين المراكز الآتية :

« من تلول الرقيات — حمام الصارة — قصر العمرة — ومن آخر نقطة واقعة الى جنوب قصر العمرة الى طريق بغداد — وطول طريق بغداد الى جبل كرما — شمالي غربي تلول الشبهات — شمالي تخوم شرق الاردن الشمالية » .

وان القائد البريطاني في الازرق لم يكن اقل حماسا وانتصارا للفرنسيين من شرقي الاردن اذ اذاع في الثالث عشر من نيسان سنة ١٩٢٧ البيان التالي:

« حيث ان الاوامر الصادرة التي تقضي بأن تستعمل منطقة الازرق ملجأ للنساء والاولاد ولغير المحاربين فقط لا ملجأ للحاربين او مكانا للحرب والقتال لم تنفذ ، لذلك فقد اعلنت الحكم العرفي في الازرق والمنطقة المجاورة له وقد اتخذت الترتيبات لارسال قوة من الجند لتنفيذ اوامري هذه . ان الاولاد والشيوخ مسموح لهم في البقاء بالازرق على ان لا يسمح للرجال المسلحين ومن يرى قائد القوة بأن وجودهم في المنطقة مما يهدد السلام في البلاد بالبقاء في تلك الآونة ولذلك فاني آمر جميع هؤلاء بأن يغادروا منطقة شرق الاردن » .

وقد اصدر الكابتين كروب قائد منطقة الازرق في سابع عشر حزيران سنة ١٩٢٧ المنشور التالي :

« بما ان الشروط التي بموجبها تمكن مساعدة الموجودين في المنطقة العسكرية الآن للرجوع الى اوطانهم فقد اعلنت واذيعت فاني اعلن هنا بأن جميع الذين ليسوا من سكان شرق الاردن والذين ليس لهم وسائط معيشة ظاهرة في الازرق يجب عليهم العودة لاوطانهم بدون تأخير وعليه اعطوا مهلة ١٤ يوما من تاريخ هذا الاعلان حتى يمكنهم تجهيز انفسهم للرحيل وبعد انتهاء هذه المدة يطرد من المنطقة كل من يخالف هذا الامر » .

واستطاع الفرنسيون عن طريق مدير استخباراتهم الكولونيل ارنو ومستشار درعا وقاضي المذهب الدرزي الشيخ محمود ابو فخر ان يقنعوا بمعونة الكولونيل كوكس معتمد بريطانيا في عمان والكولونيل ستراد فورت قائد الطيران البريطاني في الازرق كلا من عبد الغفار باشا الاطرش وعلي الاطرش واسد الاطرش ومتعب الاطرش بالاستسلام للسلطة الفرنسية فاستسلموا .

الثورة والعصبة

سبق لنا القول في غير هذا المكان من الكتاب ان اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني قاموا بالخدمات الجلى في البلاد الاوروبية دفاعا عن

القضية السورية وسعيا وراء ابلاغ البلاد امانيها . وقد اتينا على نشر الجانب الكبير من تلك المذكرات والتقارير ولا نرى بدا من اثبات البرقيات والاحتجاجات والكتابات التي نحن بحاجة الى سردها تنويرا للراي العام السوري العربي واعترافا بجهود هذه اللجنة الكريمة ومساعيها وهاهي البرقية التي بعثت بها الى جمعية الامم في الثامن من ايلول سنة ١٩٢٥ :

« قررت اللجنة التنفيذية ان ترفع الى جمعيتكم المحترمة مرة اخرى ما تتمناه من ظفر المباديء التي قامت عليها اعظم هيئة انشئت لاقامة العدل والسلام ولتكون ملجا للشعوب المظلومة وتستميحكم اللجنة عذرا بتذكيركم بانها كانت ترفع اليكم كل سنة شكاوى ومطالب الشعب في سورية وفلسطين ولكن يظهر أن الاهتمام اليسير الذي لقيته تلك المطالب من جمعية الامم دفع قسما من الاهالي الى اليأس وافضى الى حالة محزنة تتخبط فيها البلاد اليوم وتظهر هذه الحالة ظهورا محزنا في الدماء التي تسفك والقرى التي تدمر فاللجنة ترجو مرة اخرى من جمعيتكم المحترمة ان تتدخل في الامر وان لايقتصر تدخلها على وضع حد لاعمال التخريب التي تجري في سورية الآن لمنع القتال من ان يتطور تطورا يجر الكوارث بل يتناول على الاخص سماع صوت الشعب الذي يطلب العدالة في سورية وفلسطين وذلك بارسال لجنة تحقيق تبحث عن اسباب الثورة الحقيقية وتقف على شكاوى الاهالي وتسمع اصواتهم مباشرة بطريقة لا تشوبها شائبة وها ان اهالي تلك البلاد التاعسة يضعون في جمعية الامم وتدخلها المباشر بقية ما عندهم من امل في العدل والانصاف وما برحوا يعدونها الملجأ الوحيد » .

وها هي المذكرة التي تضمنت مقترحات الامير شكيب ارسلان بشأن القضية السورية المقدمة من قبله الى المسيو دي جوفنيل عندما طلب هذا الاخير الاجتماع بالاول في عاصمة الفرنسيين وسلمه اياها :

« نعترف بأن فرنسا تقدر على تدويخنا بالقوة لكننا واثقون بأن شرفنا القومي يأبى الا ان نرفع رؤوسنا فيما بعد عند كل فرصة ملائمة ولهذا نرى انه لا يصعب لاجل مصلحة الامتين ايجاد شكل وئام وسلام بين فرنسا وسورية يضع حدا لاسباب النزاع بيننا .

ان فرنسا منذ سبع سنوات قد بذلت مليارين ونصف مليار من الفرنكات في سورية وتلف نحو عشرة آلاف عسكري من جيشها ـ لم تدخل في هذا الاحصاء قتلى الحرب السورية الى الساعة الحاضرة ـ وقد خسرت في البلاد العواطف التي كانت تعتمد عليها حتى في الاوساط الكاثوليكية . افلا يمكن النظر في حل لهذه الازمة يغنيها عن اطراد الخسائر المستمرة التي هي مضطرة اليها واسترداد العواطف التي خسرتها ؟

نعم انه مع حسن النية ونظرة صائبة في مطالب الفريقين يمكن الوصول الى ذلك . فالسوريون يطلبون قبل كل شيء استقلالهم التام الناجز نظير سائر الممالك المستقلة ويبتغون التمتع التام بسلطانهم القومي . ويريدون اذن ان يكونوا داخلين في جمعية الامم اي انهم يريدون الاستمتاع بجميع نتائج الاستقلال من الوجهة الفعلية ومن الوجهة القانونية .

ان اخواننا اللبنانيين يريدون لانفسهم دولة مستقلة بنفسها . فنحن نبتغي هذا الخلاص لدولة لبنان كما لدولة سورية . الا ان هذه الاقضية الثلاث صيدا وصور ومرجعيون ومقاطعات طرابلس واقضية البقاع وبعلبك وراشيا وحاصبيا يكون لها الحق باعطاء الاصوات العمومية ان تختار اي القطرين تريد ان تتبع سورية او لبنان . اما بلاد العلويين فتدخل ضمن سورية .

ومن جملة نتائج الاستقلال الآتي حق كل من سورية ولبنان في التمثيل السياسي الخاص في البلدان الاجنبية . ثم انه لاجل الاعتراف بالضحايا التي بذلتها فرنسا في سورية ولبنان يعترف نواب الشعبين السوري واللبناني لفرنسا بعدد معلوم من المنافع الاقتصادية تلخص فيما يأتي :

السوريون يتعهدون باستثمار خيرات بلادهم الطبيعية اي انهم اذا لم

يقدروا على القيام به مستقلين بانفسهم لا يلجاون الا الى راس المال الفرنسي والصناعة الفرنسية وان جميع قروض الحكومة والبلديات لاتعقد الا في فرنسا . وان مدربي الجيش السوري يؤخذون من ضباط الجيش الفرنسي. وان تعليم اللغة الفرنسية يكون عاما الزاميا ولا يكون في جمهورية سورية حامية فرنسية لكن اذا اشتهى لبنان ذلك فان سورية لا تعارض فيه كذلك في قضية القاعدة البحرية التي يجوز لفرنسا ان تطلبها . واخيرا لاجل توطيد العلاقات الاخوية بين الامتين تعقد محالفة بين فرنسا وسورية الى ثلاثين سنة وتضع سورية في حال الحرب تحت تصرف فرنسا عددا من الجند يصير الاتفاق عليه وانما نزارة دخل سورية تمنعها من تجهيز هذا العدد من الجند فتترك امر تجهيزهم وتسليحهم للدولة الفرنسية كما ان هذه الدولة تأخذ على نفسها ان تخف لمعاونة سورية في حال الخطر

ان تعيين شكل الحكومة في المستقبل يتعلق بارادة الشعب التي تظهر بواسطة نوابه المنتخبين بصورة قانونية . فاذا تم الاتفاق ووقع عليه تؤلف لجان من المتخصصين لوضع جزئيات الادارة الجديدة .

على ان الاتفاق على الخطوط العامة لهذا القرار يجب ان يعقد مع زعماء الاحزاب الوطنية ولا يدخل في ذلك المامورين .

واذا كان ثمة شك في قبول الشعب بهذه الاقتراحات تعين جمعية الامم لجنة مؤلفة من رجال من البلدان المحايدة ويكون انتخاب هؤء الرجال بالوفاق من كل من الطرفين فتذهب هذه اللجنة الى البلاد لتحقق ما اذا كانت هذه المطالب مطابقة لرغائب الاهلين ام لا .

فاذا وقع على الاتفاقات او وجدت حاجة الى تحقيق لجنة تذهب من قبل جمعية الامم واكملت التحقيقات واتت بها تعلن فرنسا الامان العام حتى يمكن الرجوع الى الحالة المعتادة وتنصرف العساكر الفرنسية تدريجيا وتقوم مظاهر الود مؤذنة بالحالة الجديدة وحينئذ تبدا المحبة الاكيدة . واما في

دور الانتقال الذي يسبق استتباب الحكومة المنتظمة فيرضى نواب الشعب السوري بالاستعانة بآراء اخصائيين اوربيين يؤخذون من البلاد المحايدة ويكلفون الموازنة على توطيد ادارة منتظمة في البلاد » اه .

وفي منتصف كانون الاول سنة ١٩٢٥ نشرت سكرتيرية جامعة الامم عن الثورة السورية ما يلي :

« تعقد لجنة الانتدابات الدائمة في روما في ١٦ فبراير في الساعة الحادية عشرة صباحا اجتماعها الاستثنائي الخاص بدرس تقارير الحكومة الفرنسية عن ادارة الانتداب في سورية ولبنان وتؤلف هذه اللجنة من المركيز تيودولي الايطالي رئيسا والسنيور فريري واندارادا البرتغالي والسنيور ليوبولد بالاسيوس الاسباني والمسيو روم الفرنسي والسر فريدريك لوجارد الانكليزي والمسيو بيار ادرتس البلجيكي والمسيو فان ريس الهولندي والسيدة حنة بوجدويكسيل الاسوجية والمسيو شيوكي ياماناكا الياباني والمسيو وليام رابار السويسري والمسيو حريشو مندوب مكتب العمل الدولي اعضاء » .

على ان المسيو كلوزون ممثل فرنسا في لجنة الانتدابات اذ ذاك صرح قائلا :

« ان اللجنة واقفة على الاضطرابات القائمة في جبل الدروز . وقد اتخذت الحكومة الفرنسية الوسائل اللازمة لاعادة الامن الى نصابه وبدات تنفذ الآن هذه الوسائل فانقذت قوة يقودها الجنرال غاملان الى السويداء في ٢٤ سبتمبر واخلت سلطة الحكومة المنتدبة تعود الى جبل الدروز بحيث جاء كثيرون من زعماء الثورة في ١١ اكتوبر وقدموا الطاعة للسلطة الفرنسية وفي ١٨ منه قدم رؤساء الدين في قنوات وافراد اسرة عامر الطاعة وطلبوا الامان على ان حمد بك وسلطان باشا الاطرش لا يزالان لاجئين الى الجبل ولم يسلما سلاحهما بعد . ثم ان بعض المحرضين من السكان انتهزوا فرصة الثورة

في جبل الدروز وحاولوا احداث اضطرابات حمص وحماة ودمشق بمساعدة فريق من البدو الذين دابهم السلب والنهب ولكن هذه الاضطرابات قمعت على التوالي بكل سرعة وان تهمل الحكومة الفرنسية تدابير تعيد الطمأنينة التامة الى النفوس موقتة بأن لجنة الانتدابات الدائمة سترى نتيجة مجهوداتها في اجتماعها الاستثنائي المقبل .

« ان صك الانتداب يقضي على فرنسا في سورية ولبنان كما تعلمون بأن تسن نظاما اساسيا لهذين البلدين قبل ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ وقد الفت لجنة لهذا الغرض برئاسة المسيو بول بونكور تضم بين اعضائها اثنين من البرلمان واحد المشترعين وكثيرين من موظفي وزارة الخارجية واحد اساتذة كلية الحقوق واحد الموظفين في مجلس شورى الدولة وبدأت هذه اللجنة في وضع النظام الاساسي (الدستور) لسورية ولبنان بالاتفاق في الرأي مع السلطات المحلية مراعية مصالح السكان السوريين واللبنانيين وآمالهم .

وان اهم ما يعني به المسيو بول بونكور واعضاء لجنته هو تأمين التعاون التام بين ممثلي السكان المفوضين في القيام بهذه المهمة الدقيقة بالاتفاق مع المندوب السامي وعلى قاعدة الاستقلال الذاتي الواسعة النطاق المنصوص عليها في عهدة جمعية الامم وفي صك الانتداب وذلك مع مراعاة جميع العوامل السياسية والجغرافية والطائفية .

« واننا نؤمل ان تساعة الروح الحرة التي تشرف على استشارة السكان على تعزيز الثقة بين الاهلين والدولة المنتدبة تعزيزا يسترعي الانظار . ويشير التقرير الاضافي الذي تقدمه الحكومة الفرنسية الى السكرتيرية العامة في يناير سنة ١٩٢٦ الى نتائج عظيمة في هذا الموضوع . وهو التقرير الذي سيمكن لجنة الانتدابات الدائمة من الوقوف على الحقائق وابداء ملاحظاتها في الاجتماع الذي تعقده في شهر مارس » .

وقد بعثت اللجنة التنفيذية لدى المؤتمر السوري الفلسطيني بمصر جمهرة من البيانات والمستندات الى لجنة الانتدابات في الجمعية الامية كي يصار الى درسها في الاجتماع الخاص للثورة السورية بروما في السادس عشر من شباط سنة ١٩٢٦ بتقرير مؤرخ في الرابع من الشهر المذكور واليك نصه :

« يا صاحب السعادة :

كنا قد قدمنا الى سعادتكم بمناسبة اجتماع الجمعية العمومية السادسة لجمعية الامم بيانا مفصلا عن تنفيذ الانتداب في سورية ولبنان كما كنا نفعل في السنوات السابقة . وقد تحققنا الآن والالم ملء نفوسنا ان نظام الانتداب الذي نفذته الحكومة الفرنسية قد افضى الى النتائج المهلكة التي يردد العالم كله صداها السيء في الوقت الحاضر كما كنا نحاذره .

وقد هال حرج الموقف اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني وخشيت وقوع العواقب الوخيمة التي تعرضت سورية لها فاسرعت وطلبت من جمعية الامم مرارا متعددة ان تتدخل تدخلا مباشرا لحجب الدماء بأرسال لجنة تحقيق في الحال الى مكان الوقائع .

ولكن آلام سورية واستغاثات احزابها السياسية في الخارج لم تستطع ويا للاسف ان تمنع لجنة الانتدابات من تأجيل فحص الحالة في سورية الى موعد بعيد هو ١٦ فبراير . فاغتنمت السلطة الفرنسية فرصة هذا التأجيل ولم تتردد في استخدام جميع ما لديها من الوسائل لكي تخمد بالحديد والنار لهيب الثورة التي اضطرمت نيرانها .

على انه لم يبق ادنى شك في مسؤولية عمال الانتداب عن اثارة ثورة جبل الدروز وقد اتضحت هذه المسؤولية كل الوضوح من تقارير الموظفين الفرنسيين ومن التحقيقات التي اجراها اشخاص كثيرون من جملتهم مسيو

كيرلس الذي اوفدته جريدة ايكودي باري الى سورية لدرس الحالة فكتب سلسلة مقالات عديدة . مؤيدة بالمستندات كشف فيها الحجاب الذي كان مسدولا على الفضائح الادارية الفرنسية .

وقد ارسلنا اليكم بتاريخ ٢٩ يناير الماضي المستندات الآتية :

١ ــ نسخة من بيان مفصل عن وقائع دمشق .

٢ ــ نسخة عن عريضة قدمها فيضي الاتاسي متصرف حماه الى المندوب السامي الفرنسي عن ثورة حماه .

٣ ــ نسخة من كتاب الاستقالة الذي قدمه نسيب مسلم الخياط قائمقام الزبداني بسبب ضرب مضايا .

٤ ــ نسخة من احتجاج قدمته سيدات حماه الى المندوب السامي الفرنسي

وهذه المستندات توضح تطور الثورة وامتدادها وتبين وسائل التنكيل والارهاق التي استخدمتها السلطة الفرنسية بدعوى قمع الثورة . وقد ورد فيها وصف لكارثة دمشق وكارثة حماه وتدمير القرى الآمنة في جوار دمشق ومما يزيد في قيمتها انها مستندات صادرة من رجال ذوي صبغة رسمية من انصار الانتداب ومقدمة الى ممثل فرنسا . ونضيف اليها الآن المستندات الآتية :

١ ــ تقرير عن وقائع دمشق .

٢ ــ تقرير عن وقائع حماه .

٣ ــ تقرير عن وقائع وادي التيم ــ حاصبيا وراشيا ــ .

٤ ــ تقرير عن سلسلة من الفضائح التي ارتكبتها الجنود الفرنسية .

وقد استقينا الوقائع المذكورة في البند ٤ من مصادر مختلفة اخصها

بالذكر البلاغات الرسمية الفرنسية والجرائد السورية . وكل ما نقلناه عن الصحف لم تصدر السلطة تكذيبا له . وقد حرصنا على ان لانذكر اية واقعة لم نتثبت من صحتها .

ونقدم مع هذه المستندات بيانا مفصلا بعنوان (المسألة السورية المفاوضات مع مسيو دي جوفنيل في باريس ومصر وبيروت) واضفنا الى هذا البيان ملحقين ـ الاول هو المذكرة التي قدمتها اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني الى مسيو دي جوفنيل في مصر . والثاني الكتاب الذي كتبته اللجنة اليه . وفي ذيل البيان تقرير من الدكتور عبد الرحمن شهبندر عن اسباب الثورة ومطالب البلاد .

وهذا البيان يظهر جليا ان جميع المساعي التي بذلها فريق من كبراء السوريين وممثلوا الاحزاب السياسية في سورية وفي الخارج قد اصطدمت بتعنت السياسة الفرنسية واصرارها على السير في خططها الاستعمارية .

فبناء على ماتقدم :

ولما كان اعطاء فرنسا الانتداب على سورية مناقضا للمادة الثانية والعشرين من عهد جمعية الامم اذ لم يكن لرغائب الاهالي الاعتبار الاول في اختيار الدولة المنتدبة فضلا عن كون اللجنة الاميركية التي طافت سورية سنة ١٩١٩ قررت ان ٩٠ بالمائة من الاهالي يعارضون في اعطاء فرنسا الانتداب على سورية .

ولما كان الامن لم يستقر قط استقرارا تاما في سورية منذ احتلتها الجنود الفرنسية بل كانت الثورات متعاقبة في جميع الاقطار السورية وابلغت وقائعها الى جمعية الامم في حينها .

ولما كانت مهمة الانتداب تقضي على فرنسا بأن تصون وحدة الاقطار السورية ولكنها اجرت مفاوضات مع تركيا رغبة في الحصول على عطفها

وسلمتها قسما من الاراضي السورية وقبلت حدودا مصطنعة لسورية تركت البلاد تحت رحمة جيرانها من الشمال (اتفاق انقرة) .

ولما كان الغرض المعترف به من الانتداب هو ازالة اضرار الحروب ومساعدة البلاد على الترقي والفلاح وارشاد الامة في سيرها الى الاستقلال . ففعلت فرنسا عكس ذلك اذ حولت سورية الى ساحة حرب عم فيها الخراب وتراكمت انقاضه كما وقع في دمشق وحماه والقنيطرة وحاصبيا وراشيا وفي جميع انحاء البلاد . وبدلا من ان تساعد على ترقي البلاد زادت الحالة الاقتصادية حرجا بانشاء بنك امتص ما في البلاد من الذهب وجعلت تداول الاوراق التي اصدرها الزاميا وهي اوراق معرضة لجميع التقلبات فافضى ذلك الى اضعاف الثقة المالية في البلاد والغت الحقوق السياسية التي كان السوريون يتمتعون بها عندما كانوا في السلطنة العثمانية وحرمتهم في تقرير مصيرهم . وقسمت سورية الى دول ارهقتها بالضرائب لتسد حاجات جيش من الموظفين لا فائدة منه .

ولما كان حكم الشعب بالقوة مكروها في كل حين . وكانت فرنسا قد اثارت الاحقاد بسلوك موظفيها ونزعت كل ثقة من النفوس وجعلت الشعب السوري يعتقد ان فرنسا تسعى الى ابادة قسم من الاهالي ليستفيد قسم آخر .

ولما كان عدم تدخل جمعية الامم في العراك الحالي يسوق البلاد الى الخراب التام ويوجد في الشرق مباءة للاضطرابات الوخيمة من جميع الوجوه ...

فاللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني تناشد جمعية الامم بكل ما فيها من قوة لفحص الحالة الجديدة التي اوجدت في سورية وتأمر في الحال بأرسال لجنة تحقيق تضع قرارا عن الموقف وتعيد الى سورية السكينة والسلام والى جمعية الامم سمعتها الحسنة وثقة الشعوب المكلفة حمايتهما .

وترى اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ان فرنسا قد فشلت في القيام بانتدابها وان على جمعية الامم ان تعيد النظر في القرار الذي منحتها به هذا الانتداب فتعطي سورية الاستقلال الكامل الذي ما برحت تطالب به .

ولا يسع جمعية الامم ان تنظر بعدم اكتراث الى اطالة حرب مدمرة تجتاح سورية وتفرقها في دماء ابنائها . ولا تستطيع ان تتبرأ من المسؤولية الخطيرة عن الاعمال المريعة التي ترتكب في هذا الوقت » .

وقد وصل الى عاصمة ايطاليا في اوائل شباط سنة ١٩٢٦ رجال الوفد السوري لحضور الجلسة التي المعنا اليها الى ان لجنة الانتدابات ستعقدها فيها . وقد رمى الوفد من وجوده ابان ذلك من تاثير ذلك ان استفهم ملك ايطاليا صباح ثامن عشر شباط من مندوب فرنسا عن وضع سورية وضرب دمشق .

وقد رفع المسيو دي جوفنيل بيانا عن الثورة السورية الى لجنة الانتدابات كي تبحثه هذه اللجنة في رومة . كما ان روبير دوكسه المندوب الفرنسي لدى جامعة الامم كان في العاصمة الايطالية ليجيب على ماقد تسأله اياه اللجنة ابان تدقيق التقرير .

وقد كان يتضمن هذا التقرير شيئا عن الاضطراب السياسي في الجبل الاشم وكان هذا التقرير على امور لم تكن منطبقة على حقيقة الوضع السوري بصورة صحيحة ولم يكن ما أسند الى السوريين لاسيما ما عزي الى بني معروف على شيء من الصحة مما اهاب بالوفد السوري الى تفنيده بتقرير رفعه الى لجنة الانتدابات في تاريخ الحادي والعشرين من شباط فكذب :

١ ـ ما زعم عن نقص الاعمال الفنية عند السوريين في حين ان الاحتلال قضى على يسر البلاد تماما .

٢ ـ ما اتهم به الوطنيين السوريين في مصر وحزب الشعب فقد قالوا انه من البديهي ان تؤيد الجالية السورية في مصر القضية الوطنية . اما الاعلانات التي قيل انها ارسلت الى الثائرين فهي وسيلة يقصد منها ايهام الراي العام بانه لولا هذه الاعانات لما نشبت الثورة في سورية .

والقول بأن هنالك اناسا يسعون للحصول على عرش سورية من المضحكات فجميع السوريين لا يرمون الا لغرض واحد وهو استقلال بلادهم في ظل نظام ديمقراطي ومعلوم ان حزب الشعب مؤلف من فئات ديمقراطية ومفكرة .

٣ ـ اما فيما يتعلق بمحاولة المسيو دي جوفنيل وضع دستور للبلاد فان السوريين لم يحتجوا على ان ولاة الامور في بلادهم هم من المسيحيين او من الترك بل احتجوا لانهم راوهم خدمة للاجانب .

٤ ـ اضرب السوريون عند الاشتراك في الانتخابات الجزئية لاسباب اهمها فساد الاساليب الانتخابية التي ارادت السلطة ان تجعلها على اساس محلي طائفي وان تكون على درجتين بقصد تمزيق وحدة البلاد وتحويلها الى سناجق وانشاء مجالس تمثيلية لا تمثل البلاد تمثيلا حقيقيا .

٥ ـ رد الوفد السوري ايضا على ما جاء في تقرير المسيو دي جوفنيل عن سعي سلطان باشا الاطرش الى الانفصال .

٦ ـ نفى الوفد ما قيل عن اشتداد الاحقاد الدينية والسياسية .

٧ ـ بحث في تمزيق الوحدة السورية .

٨ ـ اشار الى وسائل العلاج التي اقترحها المسيو دي جوفنيل وقال انها وسائل غير ناجعة » .

وقد ادلى المسيو روبير دوكه ابان درس التقرير الفرنسي بتصريحات راى بها ان يمن على الحلفاء بما حملوا دولته من عبء المسؤولية وما سببوا

لها من تضحية كبرى من جراء ما انقود على عاتقها من امر الانتداب على سورية وقد حمل على السوريين بأنهم لم يساعدوها على تحرير بلادهم ولا على الزب عن حدودهم .

وقد استوضحت اللجنة عن مهمة ممثلي فرنسا في العلاقات الخارجية فقال المسيو روبير دوكه : « طلبت الحكومة الفرنسية من السوريين من يساعدها ابان بحث توزيع الديون وانشأت معتمديات في مصر والولايات المتحدة والبرازيل للاهتمام بشؤون المهاجرين » .

وقد اخذت اللجنة تبحث النظام الاداري للبلاد المنتدب عليها فافضى المسيو دوكه بالاسباب التي اوجبت اقامة الحدود الحالية للبنان ، وتوزيع السلطة بين الحكومة المحلية والسلطة المنتدبة . وقد راى المسيو دوكه ان اهم الامور الحالية هو انشاء هيئة مشتركة بين جميع الدول السورية لضمان الاستقلال الذاتي في كل منها مع مراعاة ما تتطلبه البلاد من حياة اقتصادية مشتركة .

في الرابع والعشرين من شباط سنة ١٩٢٦ كان يذاع في العاصمة الايطالية ان رئيس لجنة الانتدابات المركيز يتودلي اجتمع بالوفد السوري للمرة الرابعة وانه تبلغ منه برقيتين من القاهرة تتناولان ما طغى على سورية من حوادث وآلام وقد افضى الرئيس في الجلسة بذلك اليوم ان جامعة الامم لم تتعرض الى توزيع الانتدابات وبذلك لم يعد في طوق لجنة الانتدابات حل ما يتطلبه السوريون بشأن الغاء الانتداب او تعديله ولا ان يأخذا ذلك بنظر الاعتبار على ان ثلاثة من المندوبين في اللجنة شاؤوا ان يقام ببحث ما ذكر بشأن سورية ولكن لم توافق الاكثرية على ذلك ولم تعتد بما ارتأوه وفي السادس من مارت ارفض عقد اللجنة فاعلنت هذا الانفضاض واتخذت تقريرا فصلت فيه خلاصة مناقشاتها وفي الثامن من ذلك الشهر رفعته الى مجلس عصبة الامم خاتمة اياه بالملاحظة التالية :

« ان فرنسا تصرح على الملأ انها لا تبغ في سورية ولبنان اي غرض سوى مساعدة الشعوب التي يعترف من الآن فصاعدا بسيادتها واهليتها للحصول على المقدرة التي تمارس بها هذه السيادة بنفسها فيجب ان يسلم بأن الامتناع عن التعاون لتنفيذ الانتداب لا يعجل حلول يوم التحرير العام بل يؤجله فما يظهره السوريون الوطنيون من نفاذ صبر يبدو في بعض الاحيان في شكل عدم اكتراث للانتداب او اعداء له يجب ان يتحول بعد الآن الى تعاون ودي وتأمل اللجنة ان الجهود التي بذلتها بعض الاحزاب السورية حتى الآن في منع نجاح سياسة الدولة المنتدبة في البلاد وفي الطعن في هذه السياسة في الخارج تخصص بعد الآن لتقويتها » .

لقد اخذ المسيو اوندن مندوب اسوج في مجلس العصبة لدراسة ذلك التقرير فعلق عليه بشرح من قبله رفعه الى المجلس باجتماعه المنعقد خلال شهر نيسان سنة ١٩٢٦ وقد اقرته العصبة بعد نقاش قصير وها هو تعريب ذلك :

« ان الاضطراب الذي ساد سورية فلم يسمح للدولة المنتدبة بان تقدم تقريرها حتى الآن جعل مجلس جمعية الامم يقترح على لجنة الانتدابات الدائمة في دور انعقادها في شهر اكتوبر الماضي ان تطلب الى الحكومة الفرنسية تقديم تقرير خاص عن الحالة في هذه الاراضي السورية يفحص في اثناء اجتماع غير عادي كان يجب ان يعقد في شهر فبراير من هذه السنة وقد اقر المجلس في اجتماعه يوم ٩ ديسمبر الاخير اقتراح اللجنة هذا كما تعهدت الحكومة المنتدبة بارسال التقرير المطلوب وقد تبين بجلاء من التقرير الذي قدمته اللجنة الدائمة للانتدابات عن اجتماعها الثامن غير العادي انها فحصت تقرير الدولة المنتدبة فحصا دقيقا ودرست مجمل الحالة في الاراضي المشمولة في الانتدابات وان محاضر الاربع والعشرين جلسة التي عقدت في خلال مدة تزيد عن ثلاثة اسابيع والتي ستبلغ الى المجلس والى اعضاء الجمعية باسرع ما يستطاع من الوقت ان هذه المحاضر تنطق بالجهود الصادقة

التي بذلتها اللجنة الى الوصول للاسباب الحقيقية التي اوقعت الاضطرابات في سورية وتشهد بما اسداه المسيو روبير ديكه ممثل الحكومة الفرنسية المفوض من مساعدة قيمة للجنة واني اعتقد ان هذا التقرير وما تضمنه من الفصول التي تعلل المشاكل التي صادفتها الحكومة الفرنسية في تطبيق الانتداب في سورية وبعض خطيئات ارتكبت في اعمال الادارة وحوادث هي اصل لما وقع في جبل الدروز كل ذلك سينير الراي العام عن الاعمال التي عملت في الاراضي المشمولة بالانتدابات ويساعد الدولة المنتدبة على حل المشاكل التي تواجهها ولا اكاد اراني في حاجة الى القول ان المجلس سيقدر تقديرا عظيما الجهود التي ستسعى الدولة المنتدبة ان تبذلها في المستقبل لاحاطة لجنة الانتدابات احاطة تامة بالحوادث التي تحدث بالاراضي المشمولة بالانتداب وذلك بأن تقدم لها من دون ابطاء جميع الوثائق التي قد يهمها الاطلاع عليها وفي جملتها نتائج التحقيق الدقيق الذي دعي المسيو دي جوفنيل الى اجرائه وقد اقر خبراء الجمعية الاخصائيون باتفاق الآراء تقرير اللجنة ولما كانوا قد حققوا ما جاء فيه تحقيقا دقيقا فانه يلوح لي انه ليست هنالك حاجة ما الى ان يفحص المجلس بالاسهاب الامور العديدة التي عالجتها اللجنة وقدم عليها ممثل الدولة المنتدبة المفوض ملاحظات في تعليقه الملحق بهذا التقرير وعليه اتشرف بأن اقترح طبقا للطريقة المتبعة احالة هذا التقرير الى الدولة المنتدبة والرجاء منها بأن تتفضل بمنحه ما يستحقه من عناية واهتمام ومع هذا فاظن ان هنالك شيئا من الالتباس في نقطة من نقط تقرير اللجنة وملاحظات الممثل المفوض للدولة المنتدبة فيما يختص بابلاغ جمعية الامم الاتفاق الجديد الذي عقده المسيو دي جوفنيل في انقره فاللجنة لا تستند الى روح المادة الثالثة من صك الانتداب وحده بل تستند ايضا الى المادة الرابعة التي تنص على ان (تضمن الدولة المنتدبة اراضي سورية ولبنان من كل ضياع او استئجار يقع عليها او على قسم منها ومن وضع اية مراقبة لسلطة اجنبية عليها) والذي يلوح لي انه يجب ان يستخرج بالضرورة من

نصوص هذه المادة ان المراقبة الاجبارية على الصلات الخارجية للاراضي المشمولة بالانتداب وهي للدولة التي دعيت لتكون منتدبة بموجب المادة الثالثة من صك الانتداب لا تستلزم منح الدولة المنتدبة حق التنازل بمحض سلطتها المفردة عن جزء من الاراضي المنتدب لها ايا كان او مهما كان يسيرا ويجب

علي قبل اقتراح اقرار القرار ان الفت النظر الى شدة حرج الحالة في الموقف الحاضر اذ ان حركة الثورة لم تنته حتى الآن ويظهر ان الاراضي المشمولة بالانتداب لا تزال تتحمل خسارة لا يستهان بهما في الارواح والممتلكات ولا يسع المجلس الا ان يواصل درس الحالة بقلق شديد راجيا ان الجهود التي يبذلها أولوا الشان تؤدي الى وضع حد لهذه الثورة في القريب العاجل . ومهما تكن البواعث والاسباب التي بعثت على هذه الثورة ومهما تكن التبعات وقد عولجت هذه الامور المختلفة باسهاب في تقرير لجنة الانتدابات وفي محاضر جلساتها فان اللجنة ترى ان افضل حل ممكن وموافق هو تعاون جميع هيئات الاراضي السورية تعاونا صميما صادقا مع الدولة المنتدبة لتوطيد السلام ولانشاء ادارة اعتيادية طبقا للسياسة التي كانت موضوع تصريحات المسيو روبير دوكه الحديثة والمسيو دي جوفنيل بصفة كونهما ممثلين للحكومة الفرنسية والتي نالت موافقة لجنة الانتدابات عليها من دون تردد واريد بهذا الصدد ان الفت بوجه خاص نظر المجلس الى الفقرتين الاخيرتين من تقرير اللجنة اللتين انقلهما بنصهما (ان فرنسا تعلن انها لا تتبع في سورية وفي لبنان غاية ما سوى مساعدة الشعوب التي يعترف من الآن فصاعدا بسيادتها واهليتها للحصول على المقدرة التي تمارسها في هذه السيادة بنفسها ويجب اذن التسليم بان رفض التعاون في تنفيذ الانتداب لا يعجل حلول يوم تحرير البلاد تحريرا كاملا بل يؤجله فما يظهره السوريون الوطنيون احيانا من نفاذ الصبر في شكل يدل على عدم الاكتراث للانتداب او على عداء له يجب ان يتحول بعد الآن الى تعاون ودي وتامل

اللجنة ان الجهود التي بذلتها بعض العناصر السورية حتى الآن لعرقلة نجاح سياسة الدولة المنتدبة في البلاد وللطعن في هذه السياسة في الخارج توقف بعد الآن على تعزيزها وتأييدها).

(ان الدولة المنتدبة تؤكد علنا وصراحة ان لا غرض لسياستها سوى انشاء حكومة حرة في سورية ولبنان وقد برهن المسيو دي جوفنيل المندوب السامي الفرنسي الجديد بتصريحاتها واعماله على ان يوافق كل الموافقة على هذه السياسة فمن السهل على الذين يعيشون في ظل تلك الادارة ان يقدموا معاونتهم للدولة المنتدبة ليكون ذلك دليلا على حسن نيتهم ورضائهم وفهمهم المقصد السامي منها ولما كانت هذه الغاية متفقة مع غاية الدولة التي تقوم وقتيا بمهمة الوصي السياسي عليهم فيجب ان تتجه جهودهم الى تعجيل تحقيق تلك الغاية وتشجيعها فالاصرار على الثورة بعد الآن يجب ان لاتستنكره الدولة المنتدبة وحدها ومعها جمعية الامم بل جميع الذين في سورية ولبنان وفي الخارج الذين يودون ان يروا السلام والرخاء والحرية تسود البلاد التي تمزقها اليوم الخصومة الدموية العميقة) وانا واثق بان المجلس على اتفاق فى الرجاء وان هذه الاماني التي اعربت عنها هاتان الفقرتان تلاقي تايدا تاما من جميع اولي الشأن سواء كانوا من سكان البلاد انفسهم او من عمال الدولة المنتدبة فهم يستفيدون استفادة تامة ومباشرة من فخر تطبيق البرنامج الذي حددته المادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ومن تطبيق الانتداب نفسه في سورية وارى شخصيا ان افضل اسلوب تسير عليه الدولة المنتدبة هو أن تنشر في جميع الاراضي المنتدب لها هذا النص الذي يعبر عن رغائب الدوائر المختصة بجمعية الامم في السياسة التي تمنحها اعظم تايد ودي واتشرف بأن اقترح اقرار القرار الآتي :

« لما كان مجلس جمعية الامم قد فحص تقرير الحكومة الفرنسية عن الحالة في سوريا لسنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ (تقرير وقتي) كما فحص عدة عرائض وتقرير لجنة الانتدابات الدائمة والملاحظات المقدمة على هذا التقرير

من قبل الممثل المفوض للسلطة المنتدبة والتقرير الذي قدمه له المقرر يقرر (ارسال تقرير اللجنة وتقرير المقرر الى الحكومة الفرنسية ودعوتها الى التفضل بمنحهما ما يستحقان من اهتمام » .

عقدت لجنة الانتدابات في السابع عشر من يونيو في مركزها اجتماعا عاديا حضره الوفد السوري مبرزا مستنداته ووثائقه ملحا عليها ان تعمل على اقناع الفرنسيين بايقاف الهدم والتدمير وانصاف سورية والنزول عند مطاليبها وكان المسيو دي جوفنيل في ذلك الاجتماع في الذات يرفع تقريرا عما كان في سورية فدار الحوار بينه وبين اللجنة ساعات ثلاث افرغ جهده في اقناعها بتبرير ضربه دمشق بالقنابل بدافع ضرورة عسكرية ومبررا تعدد الدول في سورية بأن ذلك وفاقا للروح الديني والعهد الاقطاعي ولم يفطن الى انه وقع بالتناقض عندما اكد بان انتخابات لبنان الاخيرة اذ ذاك كانت متفقة الكلمة على رغم الاختلافات الدينية وقد زعم بانه انزل العقاب بمن لم يحسن القيام بسلطانه من رجال الجندية وحاول بأن يقيم الدليل على عدم احترام السوريين الا القوة معتبرين كل لين وسخاء من الطرف الفرنسي عجزا وضعفا وان الشرقيين قاطبة لم يركنوا الى جامعة الامم مفسرا ميثاق لوكارنو ائتلافا اوروبيا على آسيا ثم عرج على القول بأن الثائرين يطلبون انسحاب الجند الفرنسي الذي لو تم لكان هنالك مذبحة شاملة حاملا على الوفد السوري واعضاء اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني حملة شعواء زاعما ان سورية لم ترض عنهم مدافعين عنها وقد كلف رئيس لجنة الانتدابات المسيو دي جوفنيل ان يتقدم ببيانات واضحة عن شؤون معينة مجلة خاصة دفعا لازعاج الدولة المنتدبة وارتباكها وكانت جلسة سرية خصوصية حضرها بعد زوال ذلك اليوم المسيو دي جوفنيل وحده مجيبا على ما وجه اليه من اسئلة واليك تعريب ما دار بينه وبين اللجنة ماخوذا عن محضر الجلسة الرسمية :

« فتحت الجلسة فقال الرئيس انه يشكر المسيو دي جوفنيل على ما ابداه

بقدومه على التعاون معنا وقال المسيو اورتس انه تساءل مرارا كيف يتفق ان تكون المعارضة صادرة من اقلية كما قال المسيو دي جوفنيل في جلسة الصباح في حين ان جمعية الامم تلقت شكاوى كثيرة صادرة من جمعيات سورية عديدة في اوروبا وفي اميركا وجميعها معارض للدولة المنتدبة ما عدا عددا قليلا نادرا جدا منها فأجابه هذا انه اذا كانت اللجنة تريد ان تحصل على اكداس من العرائض فانه مستعد لارسالها فليس اسهل من الحصول عليها وان هذه العرائض صادرة من اناس مقيمين في خارج سورية اما الذين في الداخل فهم مخلصون للانتداب يرحبون به وانهم يستقبلون ممثلي فرنسا بحماسة في تنقلاتهم فلاحظ المسيو اورتس انه ما دام عضوا في لجنة الانتدابات فلا يستطيع ان يكون شاهدا على مظاهرات الحماسة وعرفان الجميل التي ذكرها المسيو دي جوفنيل فالاصوات الوحيدة التي تصل اليه ترتفع بالشكوى وما دام يجد في العرائض التي يتلقاها عريضة واحدة للدولة المنتدبة مقابل ٣٠ او ٤٠ بالشكوى من اعمالها فهو يتساءل لماذا لا تحتج العناصر التي تحبذ الانتداب على التهم التي تتهم بها الدولة فأجاب المسيو دي جوفنيل ان العرائض صادرة من اناس لا سلطة لهم وانه لا يريد ان يأبه لعرائض لا تصدر من هيئات رسمية ويجب ان لاتخدع اللجنة بالعرائض ويجب ان لا يذهب عن البال ان الارتياح اعظم حتما من الاستياء فلاحظ المسيو اورتس ان المسيو دي جوفنيل تكلم في الصباح عن حركة العصيان وقال انها خاضعة لرؤساء يوحدون مجهوداتهم فهو يريد ان يعرف من هم هؤلاء الرؤساء الذين اوجدوا اتفاقا بين فريقين كانا منقسمين كما كانت الحالة حتى الآن بين دمشق وجبل الدروز فمن الممكن ان العناصر التي تلزم للحكومة يمكن استخراجها من هؤلاء الرؤساء ويخطر له ان فرنسا حكمت تلك البلاد لاناس لا نفوذ لهم وكان الآخرون ضدها فأجاب دي جوفنيل ذاكرا عددا من الزعماء وقال ان سلطان الاطرش موجود بلا شك وهو ذو سلطة ولكنه اذا وضع في منصة الحكم كان عرضة في الحال لمعارضة شديدة وقد بذل السعي في كل

حين لوضع درزي في راس حكومة الجبل ولكن صعوبة تثبيته هي التي قضت بتعيين حاكم افرنسي على البلاد فليس في البلاد رئيس وطني يطيق سلطة منافس له ومن رؤساء العصيان الآخرين الامير عادل ارسلان فهو من عائلة درزية من جبل لبنان منقسمة على نفسها انقساما كبيرا . والدكتور شهبندر الذي هو مسلم سوري اثرت في نفس المسيو دي جوفنيل لهجته في بعض رسائله وتساءل عن امكان استخدامه ولكن يظهر انه ذو فكر كثير التردد والتقلب على انه من الخطر ان يجعل ثوار الامس رؤساء وقد جربت هذه التجربة بصبحي بركات وعين رئيسا للحكومة السورية فعين اصدقاءه في مراكز كثيرة مدفوعا بشعور رئيس عصابة قديم فكان ذلك سببا لاثارة معارضة تكاد تكون عمومية وفضلا عن ذلك فان هذا المثال شجع رؤساء آخرين على العصيان معتقدين ان ذلك مقدمة للوصول الى منصة الحكم والى جانب الرؤساء الذين لهم شيء من القيمة اشخاص عديدون لا قيمة لهم ومعظمهم عاديون يستحيل عليهم ان يفعلوا شيئا آخر ولا شك في ان الموقف يسهل وتستفيد السلطة الفرنسية من ذلك لو قدمت لها البلاد رؤساء ولكن الحالة ليست كذلك قط ولم يحكم دمشق في اي عصر من العصور رجل دمشقي وكان صلاح الدين نفسه رجلا كرديا من الموصل .

فسال المسيو ارتس كيف يمكن الوصول اذن الى جعل البلاد تحكم نفسها بنفسها .

فاجابه مسيو دي جوفنيل ان الرؤساء يعدون للرئاسة بالتعليم والتربية وقد اخترت البرنس احمد نامي رئيسا للحكومة السورية لانه الوحيد الذي لقيته ووجدت انه ذو كلمة يركن اليها .

فذكر المسيو مرلن ان المسيو دي جوفنيل قال في جلسة الصباح انه لجأ الى الشعب بازاء الصعوبات التي سببها له رؤساء ذو طابع اقطاعية لكي

يمين وكلاءه بنفسه افلا يمكن جعل الاهالي يعينون الذين يعدونهم جديرين، بحكمهم بدلا من اجهاد النفس بالسعي الى ايجاد رجال قادرين على الحكم بين الاقطاعيين .

فأجاب المسيو دي جوفنيل ان هذه الوسيلة الوحيدة التي يلوح له انها طبيعية وممكنة فالرجال الذين يصلون الى ادارة شؤون البلاد ادارة ثابتة مستقرة عملا بالوكالة التي تعطى لهم يجب اخراجهم من سواد الشعب بفضل التعليم .

فلاحظ رئيس اللجنة انه قد جرت انتخابات وان مسيو دي جوفنيل ذكر رقما مؤثرا عن نسبة الناخبين الذين اشتركوا فيها ولكن الحكومة اتهمت بانها ادارة الانتخابات بوسائل العنت وابعدت عددا من المعارضين قبل اجرائها وارسلتهم الى مكان اقامة الزامية .

فأجاب مسيو دي جوفنيل ان الامر لم يكن كذلك وانه سافر هو بنفسه لكي يأمر باجراء الانتخابات في سورية في كل مكان لم تكن فيه ادارة عرفية في ٢١ ديسمبر اي في يوم استقالة صبحي بك بركات وجعل يوم ٨ يناير موعدا لاجراء الانتخابات فلم يكن الوقت اذن كافيا لاعدادها ولم يصدر امرا باقامات اجبارية . اما ماجرى من هذا النوع في حلب فقد كان بعد الانتخابات، لا قبلها والسبب الذي دعى اليها هو مقاطعة منظمة فالانتخابات قد جرت اذن بسرعة وبحرية .

فسأل مسيو فلان ريس المندوب السامي عما فعله رئيس حكومة سورية اخيرا وكيف انه حل وزارته وارسل ثلاثة من وزرائه الى محل اقامة الزامية .

فأجاب مسيو دي جوفنيل ان هذا الحديث صحيح فقد تمسك احمد نامي بك رئيس الحكومة بوجوب تعيين عدد من المتطرفين في وزارته . وتدخل مسيو دي جوفنيل لكي لا يكون فيها منهم اكثر من نصف الوزراء ولكن هؤلاء المتطرفين نظموا مؤامرة بالاتفاق مع العصابات فلم يجد احمد نامي بك بدا من

طلب الاذن بارسالهم الى محل اقامة الزاعية .

وسأل رئيس اللجنة ماهي مسؤولية الوزراء تجاه البرلمان ؟ ؟

فأجاب مسيو دي جوفنيل بانه لا يوجد برلمان في دمشق حيث لا يمكن رفع الادارة العرفية .

وقال مسيو رابار انه لا يعلق اهمية كبيرة على العرائض وهي في بعض الاحيان تنهال دفعة واحدة كأن احد الناس ضغط على زر كهربائي لارسالها كلها في وقت واحد من جميع انحاء العالم . ولكنه يريد ان يذكر بعض الوقائع التي اوجدت الشك في نفوس اعضاء اللجنة . وذكر اسم كراين وحادثة بلفور وتقارير بعض القناصل وان بعض السياح الذين بينهم احد اصدقائه الشخصيين لم يكادوا يستطيعون النزول الى بيروت والسفر منها وان البلاد غاصة بالجنود وان الدولة المنتدبة اضطرت الى تبديل خمسة مندوبين ساميين وان المراقبة عمومية وان المسيو دي جوفنيل ذاته ذكر انه يكفي ان تظهر الدولة المنتدبة ارتياحها الى احد السوريين لكي يكون ذلك هادما لسمعته .

فقال المسيو دي جوفنيل ان الامر لا يتعلق بارتياح الدولة المنتدبة بل انه عندما يوضع رجل في منصة الحكم ينازع في الحال كما يجري في كل مكان ولكن هذه الحال في سورية اشد منها في كل مكان آخر .

ورد المسيو دي جوفنيل على الوقائع التي ذكرها مسيو رابار واحدة فواحدة ولاحت له انها مناقضة لما ذكره مسيو دي جوفنيل من ارتياح الاهالي . وقال مسيو دي جوفنيل ان الشرق كان يجري دائما على خطة « انكيس كومين » الذي كان يسعى الى التفريق بين الاوربيين وهذا ما يجري في سورية فان احد السوريين يقابل احد الفرنسيين ويقول له انه يستطيع ان يتفاهم بسهولة معه ولكن يوجد فرنسي آخر فيه جميع العيوب يحول

دون الاتفاق . فيجب على الاوروبيين ان يفكروا في هذا المنهج ويشعروا انه من الضروري لهم ان يتساندوا في الشرق . وهذا الميل يوضح ما جرى عند ذهاب بعثة كراين فقد شاع ان سورية ستوضع تحت الانتداب الاميركي ونتج من ذلك حركة كان المستر كراين ضحيتها . اما فيما يتعلق بمستر بلفور فان الصهيونية التي هي غول الجميع في سورية هي التي كانت السبب . ففي الوقت الذي قام فيه مستر بلفور بسياحته لم يكن احد يطيق ان يسمع شيئاً عن الصهيونية وهذا هو الذي سبب المظاهرات في دمشق ضد مستر بلفور فلم يجد الانتداب الفرنسي الذي لم يكن مسؤولا عنها بوجه من الوجوه بدا من حماية مستر بلفور ممثل الصهيونية بقوة البوليس .

اما السياح الذين لم يستطيعوا ان يسافروا من بيروت فالسبب في ذلك يعود الى طبعهم فقد لاقى المندوب السامي سياحا في سورية كلها واستطاع اعضاء مؤتمر الآثار اخيرا ان يتجولوا في البلاد ويزوروا حلب وبعلبك وتدمر . فاذا كانوا لم يذهبوا الى دمشق فلأنه لم يكن لهم الوقت الكافي ولكن من الممكن الذهاب اليها بالقطار كما تذهب الى باريس او بالطريق العادية التي سلكها مسيو دي جوفنيل نفسه ولم يصبه فيها اقل سوء فيجب أن لا تغتر اللجنة بالحوادث . نعم ان السلطة ليست محبوبة في سورية اكثر منها في كل بلد آخر ولكنها تحب بين وقت وآخر وفي هذا بعض المزية . اما الثورة في جبل الدروز فانها في طور الانتهاء . وليست البلاد غاصة بالجنود فيها نحو فرقتين ومن المهم ان تزول الشكوك من نفوس اعضاء اللجنة لانها متضامنة مع الدولة المنتدبة .

فصرح مسيو رابار انه ما من احد اعظم اقتناعا منه بالضرورة المطلقة القاضية بالتعاون مع الدولة المنتدبة فهذا التعاون لا بد منه لكي يسير النظام سيرا حسنا ولهذا الفرض ذاته اراد ان يبسط ما يخالج نفسه بحرية تامة .

وقال السر فريدريك لوجارد انه يعتقد ان الادارة العرفية ما زالت موجودة في جزء كبير من البلاد ويامل ان يكون في المستطاع رفعها قريبا وحصرها في ساحة الاعمال العسكرية حيث يفهم ضرورة وجودها

فاجاب مسيو دي جوفنيل انه استطاع ان يلغي الادارة العرفية من حوران ولم يجد بدا من ابقائها في دمشق وجبل الدروز والاقليم الواقع بين حمص وطرابلس حيث عادت العصابات الى التكون مغتنمة فرصة انشغال الجنود في الجنوب وسيلغي الادارة العرفية في وقت ممكن ولكنه لا يستطيع ان يحدد هذا الوقت . وعلى اثر ذلك يبدا اجراء الانتخابات وتعطى البلاد دستورا .

فسال المسيو فان رئيس اللجنة المندوب السامي عن الاسباب التي حملت الجنود الفرنسيين على مهاجمة حي الميدان الممتد في حوض المدينة الجنوبي وهل أخلى الاهالي هذا الحي ولجاوا الى المدينة قبل الهجوم .

فاجاب مسيو دي جوفنيل ان معظم السكان كانوا قد رحلوا فالبعض الذين بقوا كانوا على اتصال بالعصابات وربما كانوا مشتركين معها . وكان يجب ان تتوفر الجنود لكي يمكن حراسة الميدان وجعله ضمن نطاق الحماية الذي يحيط بالمدينة . وكان جميع السكان الاتقياء قد لجاوا الى داخل المدينة .

وكانت مخافر الحماية المجاورة لحي الميدان عرضة للهجوم على الدوام في الليل وكان الثوار قد نظموا الحي وحفروا فيه الخنادق واقاموا الاستحكامات وبقي فيه عدد من السكان لان امراة قتلت وجاءت اثنتان او ثلاث امام الجنود في يوم الهجوم وطلبن منهم حمايتهن وارسلن الى داخل المدينة .

وسائل السر ف . لوجارد ممن يتالف الجنود المكلفون بالقمع فاجاب

مسيو دي جوفنيل ان فيهم كثيرين من الجنود الجزائرية وفيهم جنود فرنسيون ايضا يحتلون المدن ويوجد ايضا جنود سوريون وجندرمة لبنانية . ويحدث ان الارمن والجركس المجندين في القوات المحلية يتهمون كما اتهموا . وترتكب الجندرمة اللبنانية احيانا مثل هذه المساويء . على ان النهب هناك من المساويء المتأصلة في البلاد فتقضي الحالة في بعض الاحيان بتسريح فصائل كاملة . وقد امكن تاليف جندرمة لبنانية من اناس منتخبين ويقدم العلويون جنودا ايضا كالجركس وهم الآن في ايدي ضباط من الفرنسيين ويتصرفون بكل دربة ونظام . ويوجد ايضا كوكبة او كوكبتان من الكرد وكوكبة من الدروز ستتلوها ثانية بعد ذلك .

فسأل السر ف . لوجارد هل هؤلاء الجنود في ايدي ضباط من الفرنسيين فأجاب مسيو دي جوفنيل نعم ولكن اصحاب الرتب العسكرية الصغرى هم من غير الاوروبيين ويوجد منهم ايضا بعض الضباط ويجب ان ينتظم الجيش الوطني الذي سيحل محل القوات الفرنسية شيئا فشيئا ولكن هذه المهمة صعبة جدا .

وسأل رئيس اللجنة مسيو دي جوفنيل هل صحيح ما شاع انه يهتم كما اهتمت اللجنة في رومة بمسالة النقد التي احدثت استياء في سورية .

فأجاب المسيو دي جوفنيل ان هذه المسالة موضوع اهتمامه وانه عمل كثيرا لادخال حرية النقد وان جميع انواع النقد تستعمل في سورية الآن وفضلا عن ذلك ففي النية احداث نقد جديد وهو الآن موضوع البحث .

وقال الرئيس انه اذا لم تكن بقيت اسئلة توجه الى المندوب السامي فقد حان الوقت لتقديم الشكر اليه ويجب ان يعلم وهو الخبير بشؤون

جمعية الامم ان اللجنة لا ترغب بتاتا في احداث مصاعب للدولة المنتدبة ولكنها تعد مهمتها مهمة جديدة وهو يعرف جيدا بلدان الشرق الادنى معرفة شخصية فلا يدهشه ما يلاقيه مسيو دي جوفنيل من المصاعب .

فشكر المسيو دي جوفنيل للرئيس واللجنة اصغاءهما الى بياناته . وقد استطاع ان يظهر صعوبة مهمته التي لا تحتوي في الواقع الا الصعوبات وسعى الى تنوير اللجنة اعظم تنوير ممكن لانه لا بد من التعاون بين الدولة المنتدبة ولجنة الانتدابات وهو تحت تصرف اللجنة ويحترمها احتراما عظيما وقد اعطاها ايضاحات على اعظم ما يمكن من الصراحة جوابا على الاسئلة التي سئلت فهو يظهر كل امتنانه لما شهده من الاصغاء والعطف » .

على هامش عصبة الامم

من المفروض في جامعة الامم ان تكون بمركز القاضي الذي لا يحيد عن احقاق الحق واعلان العدل قيد انملة ومن المنتظر من اعظم جمعية تنصب نفسها انها مثال القسطاس المستقيم لا بين فرد وفرد بين امة وامة او دولة ودولة ان تكون على حياد تام فلا تتحيز ولا تحابي والواجب في الحاكم ان لا يحكم بعلم شخصه فكيف تسنى لرئيس جامعة الامم ان يؤمن على اقوال المسيو دي جوفنيل بقوله : « بانه يعرف بلدان الشرق الادنى معرفة شخصية فلا يدهشه ما يلاقيه ـ المسيو دي جوفنيل ـ من مصاعب .

انا لا نخفي جمعية الامم اننا كنا نود ان نرى فيها مثالا اكبر للاخذ بناصر الضعيف . واننا عندما وقفنا على ما كان منها من التحيز الى المسيو دي جوفنيل لم نكن بعالمين انها ستضرب عرض الحائط بمقرراتها هي نفسها وبمقترحاتها وهي التي وضعتها وبقوانينها التي فرضتها وما كنا

عالمين بأنها تظل باقية من بعد ان رأينا الاعتداء يقع تلو الاعتداء على امة من الامم التي زجت نفسها في عداد اعضائها ـ كالحبشة ـ فلم تدافع عنها الدفاع المطلوب ولم تناصرها المناصرة الواجبة . وما كنا نظن بان يبلغ بها الضعف المعنوي والمادي درجة يفقدها الحس والشعور بأن الواجب عليها ان تعلن فسخها وابطالها طالما انها لا تستطيع ان تنفذ ما تبرمه او ان تملي ارادتها على احد اللهم الا ان كان ضعيفا وعندي انها لو انصفت لاضافت على اسمها الجملة التالية « الضعيفة المغلوبة على امرها امام القوي » فليعد المسيو دي جوفنيل الى الحقيقة وليقل بان الشرق على حق اذا كان اساء الظن بجمعية الامم وفسر ميثاق لوكارنو بانه ائتلاف اوروبي على اشياء ولكن لا عفوا فليس هو ائتلاف اوروبي على آسيا فحسب بل هو ائتلاف القوي على الضعيف اوروبيا كان ام اسيويا .

كان الوفد السوري في جنيف مدة اقامة المسيو دي جوفنيل هنالك لا سيما وقد تقدمت ذلك بوادر من دوائر عليها في باريز تشف عن طلب حل لتلك المشاكل على طريق التفاهم والاتفاق وكان ختام هذه الاجتماعات سماح الحكومة الفرنسية للوفد بأن يؤم عاصمة الفرنسيين فكان فيها خلال شهر تموز مجتمعا برئيس اللجنة التنفيذية الامير ميشيل لطف الله وقد دارت بين الجميع مباحث عدة دامت زمنا طويلا استمد خلالها الوفد من اللجنة تعاليم وافية فكان في يده برنامج عام وافق الكل عليه ليكون اساسا للمفاوضة واليك نصه :

١ ـ يشترط باديء ذي بدء ان تعترف الحكومة الفرنسية باستقلال البلاد التام وبحقها في التمثيل الخارجي وتؤلف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة وتوقيف حالة الحرب ثم يشرع بانتخاب المجلس التاسيسي انتخابا حرا مباشرا بالاقتراع العام ليتولى سن الدستور وتعيين شكل الحكومة والدولة على اساس السيادة القومية ـ على ان لا تجري في غضون الانتخابات

حركة عسكرية لا من الخارج ولا من الداخل ـ واما الانتخابات الحالية فانها تلغى بطبيعة الحال .

٢ ـ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلائق المتقابلة بين الامتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق مع مراعاة الفروق بين البلدين ورقي السوريين ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السوري ومجلس النواب الفرنسي ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وارجحية في المشروعات الاقتصادية على شرط عدم الاختلال بالسيادة القومية وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الامم التي تضمن تنفيذها .

٣ ـ تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام واقضية عكار وحصن الاكراد وبعلبك التي هي جزء من الوحدة الطبيعية اما بقية البلاد التي ضمت الى لبنان فيستفتى اهلها بتقرير مصيرهم .

٤ ـ توحيد النظام القضائي على اساس السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والاجانب معا .

٥ ـ ادخال سورية في جمعية الامم .

٦ ـ تاليف جيش وطني في مدة ثلاث سنين بحيث تتمكن القوات الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد ويتم الجلاء التام في خلال هذه المدة .

٧ ـ اصلاح النظام النقدي واعادة العملة على الاساس الذهبي حالا في كافة البلاد السورية واللبنانية والغاء امتياز البنك السوري وضمان اوراق النقد السوري المتداولة او تبديلها .

٨ ـ العفو العام عن جميع اصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولا شرط وبدون الاحتفاظ بالحق الشخصي المضمون بطبيعة الحال .

٩ ـ الغاء الغرامات الحربية بتمامها مع اعادة كل ما اخذ حتى الآن بهذا الاسم سواء اكان في دمشق ام في غيرها من المدن والقرى .

١٠ ـ تعويض منكوبي الثورة .

لم تسفر تلك المفاوضات عن نتيجة محمودة المغبة اذ ان الاتفاق ما كاد ان يكون على المسائل الجوهرية حتى تغلب انصار البطش والاستعمار في سورية على دعاة الوئام والسلام مما اهاب بالوزارة الخارجية الفرنسية ان تبلغ الوفد بارجاء البت فيما تم الاتفاق عليه من الشروط الى ما بعد سفر المندوب الجديد الفرنسي في سورية ولبنان المسيو بونسو (١) والى ما بعد قيامه هناك بالتحقيق . حتى اذا ما عاد الى فرنسا ابلغت الوفد ما يقر قرارها عليه بهذا الصدد . هنالك لاحظ الوفد ان الحكومة الفرنسية ترمي الى وقف المفاوضات بصنيعها ذاك هذا اذا لم تكن قد ذهبت الى قطع المفاوضات بتاتا . لذلك توجه الوفد الى جنيف رافعا الى جامعة الامم البيان بمساعيه في باريس .

لقد كبر الامر على رجال الاستعمار في سورية ان تتنزل فرنسا لمفاوضة وفد سوري تعترف عليه حكومة باريز وقد راى هؤلاء الرجال بهذا التنازل ضعة وحطة يقلل من هيبتها وسمعتها في الشرق مستعينين على حمل وزارة الخارجية على قطعها كل صلة بالوفد بكبار المستعمرين في قاعدة الفرنسيين. مهددين الحكومة بعدم انفاذهم اي مشروع يتم الاتفاق عليه بينها وبين الوفد مما اضطر الوزارة لان تنزل عند رغبتهم وان يكون منها من وقف المفاوضات ما كان .

(١) في الرابع عشر من اغسطس انهى المسيو بونسو مندوبا ساميا لفرنسا في سورية ولبنان خلفا لسلفه المسيو دي جوفنيل الا أنه لم يمارس رؤية شؤون منصبه الا في الحادي عشر تشرين الاول من تلك السنة .

على ان هؤلاء المستعمرين قد تجاوزوا اكثر من ذلك اذ اذاعوا في اواسط اغسطس سنة ١٩٢٦ في عاصمة الامويين بلاغا رسميا بالتعريب الآتي :

« شاعت اشاعات بأن مفاوضات دارت في باريس تتعلق بحوادث سورية الحالية فليكن بعلم كل انسان انه لا يمكن عمل مفاوضة في باريز لاعادة السلم الداخلي الا بعد انتهاء الثورة واستسلام الثائرين .

ان الاوامر الواردة من الحكومة الفرنسية تقضي بالسير بحزم لارجاع الامن الى البلاد . وما لم تدرك هذه النتيجة فمن العبث التفكير باقل مفاوضة » .

وما ان وقف الوفد السوري في جنيف على هذا البلاغ حتى بعث الى الصحف المصرية في خامس ايلول سنة ١٩٢٦ البلاغ التالي :

« اطلعنا في بعض جرائد سورية على بيان نشرته السلطة المحلية هناك متضمنا تكذيب الخبر الذي تناقلته الجرائد بوقوع مفاوضات صلحية بيننا وبين الحكومة الفرنسية في باريس .

فهذا التكذيب لايقوي سمع السلطة المشاراليها في تحري الصحة والصدق بل الحقيقة ان الوفد السوري لم يكن ليذهب الى باريس من تلقاء نفسه ولا يقدر فعلا ان يذهب الى باريس الا باشارة رسمية واذا كانت المفاوضات الصلحية التي استمرت عدة جلسات لم تسفر عن اتفاق نهائي فلم يكن الوفد السوري هو المسؤول عن هذه الحالة بل وقوف المفاوضات انما نشا عن اختلاف آراء ذوي الحل والعقد من الفرنسيين انفسهم وعليه نشفع هذا التكذيب بتكذيب آخر وهو انه لا اثر من الصحة لما ذكرته بعض الجرائد الباريسية من وقوع خلاف بين اعضاء الوفد بعضهم مع بعض او بين الوفد والملك فيصل الذي لم يتدخل في هذه المفاوضات وان لا صحة ايضا لوضع مسألة العرش السوري موضع المناقشة اذ كان تعيين شكل الحكومة المستقبلة

يعد اليوم امرا متعذرا وهو على كل حال منوط بارادة الشعب السوري العربي الذي بالبداهة لا يبحث فيه اصلا بل ينشد الاستقلال والحرية في ظلال الوحدة والجمهورية .

الميثـــاق الوطنـي

لقد نمي الى المجاهدين في اواخر حزيران سنة ١٩٢٦ ابان وجودهم في الازرق ان جلالة ملك العراق فيصل الاول عازم على ان يكون في اوروبا عن طريق الصحراء مجتمعا بزعماء الثورة للاطلاع على ما يشاؤون من مطلب اذ انه سارع وراء التدخل في حل القضية السورية بين ابنائه الوطنيين وفرنسا عن طريق الصلح اذا استطاع واذا لو يتفق الثائرون على برنامج معين يعمل جلالته على تحقيقه . لهذا فقد عقد الزعيم الشهبندر وحسن الحكيم وسعيد حيدر عدة اجتماعات في الازرق وضعوا في ختامها ميثاقا وطنيا بعث به الزعيم في السابع والعشرين من حزيران الى السلطان الذي اقره :

١ ــ اعتراف الحكومة الفرنسية باستقلال سورية التام وبحقها في التمثيل الخارجي وتاليف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة ثم يشرع في انتخاب المجلس التاسيسي انتخابا مباشرا بالاقتراع العام فيتولى سن الدستور وتقرير شكل الحكم على اساس السيادة القومية .

٢ ــ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين فرنسا وسورية المستقلة لمدة ١٥ سنة تعين فيها الحقوق والواجبات والعلاقات المتقابلة بين الامتين على مثال المعاهدة المعقودة بين بريطانيا والعراق مع مراعاة الفروق بين البلدين ورقي السوريين ولا تكون هذه المعاهدة نافذة الا بعد تصديقها من البرلمان السوري ومجلس النواب الفرنسي ويحتفظ فيها لفرنسا بموقع خاص وارجحية في المشروعات الاقتصادية على شرط عدم الاخلال بالسيادة القومية

وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الامم وتضمن تنفيذها .

٣ ــ تحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام واقضية عكار وحصن الاكراد وبعلبك التي هي جزء من الوحدة بطبيعة الحال . اما بقية البلاد التي ضمت الى لبنان فيستفتى اهلها في تقرير مصيرهم .

٤ ــ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية بصورة تصون حقوق الوطنيين والاجانب معا .

٥ ــ دخول سورية في جمعية الامم .

٦ ــ تأليف جيش وطني في خلال ثلاث سنوات بحيث تتمكن القوات الفرنسية من الجلاء التدريجي عن البلاد على ان يتم الجلاء التام في هذه المدة .

٧ ــ اصلاح نظام النقد واعادة العملة على اساس الذهب والغاء امتيازات البنك السوري وضمان اوراق النقد السوري المتداولة او تبديلها .

٨ ــ العفو العام عن جميع اصحاب الجرائم السياسية بدون قيد ولا شرط وبدون احتفاظ بالحق الشخصي المضمون بطبيعة الحال .

٩ ــ الغاء الغرامات الحربية كلها مع اعادة ما اخذ حتى الآن بهذا الاسم سواء اكان من دمشق ام في غيرها من المدن .

١٠ ــ التعويض على منكوبي الثورة .

التقاء عاهل العراق بالزعماء

وضع الوطنيون البرنامج الذي اتفقوا على تسليمه للملك فيصل الاول

كي يعمل على تحقيق ما جاء فيه واتخذ فريق منهم سمته نحو بغداد في الثاني من تموز عام ١٩٢٦ كان في مقدمتهم الزعيم الشهبندر برفاقة كل من سلامة الاطرش والامير حسن الاطرش ونزيه المؤيد ويوسف العيسى ومتعب الاطرش وعلي دوقان الاطرش وعلي مصطفى الاطرش وغيرهم وساروا الى الجنوب من القيادة وبعد ساعة اطلت سيارة من بعد فاذا هي سيارة الملك المقصود . وكانت جلسة اقتعد فيها الزعماء مقعدا والفوا ندوة هناك مع الملك ومع من كان برفاقته من رستم حيدر وتوفيق السويدي وتحسين قدري وعندها ناولوا جلالة المليك الميثاق فكان جد معجبا بما تضمنه من حكمة وحنكة وانصاف . ثم اقترح الزعيم وضع بيان يتضمن توكيل فيصل الاول بالكلام باسم الوطنيين منتدبين رئيس اللجنة التنفيذية الامير ميشيل لطف الله وامين سرها العام نجيب شقير والوفد السوري في اوروبا وسعيد حيدر للانضمام الى جلالته في التفاوض .

عود على بدء

عاد الزعيم الشهبندر الى العمل المجدي الجدي في الثورة فتوجه نحو قرية من قرى حوران المتطرفة وهي البويضة ليثير في بعض من الحورانيين شعلة الحماس وليودع في نفوسهم وجوب العمل على انقاذ الوطن من براثن الاعداء وقد عقد اجتماعا هناك كان من حضوره نسيب البكري وفواز البركات وعلي خلقي وخلف التل وعقلة القطامي وعواد الماضي وسليمان السودي وابن اسماعيل الترك والشيخ سعيد الباني والشيخ محمد حجازي ، واتفق الكل على المباشرة بالعمل بارسال مفرزة من البدو تشغل الاعداء على الحدود وقد كان ذلك بمعرفة الشيخ درداح وصايل من رجال بني صخر .

توجه الزعيم الى الجبل الاشم للمرة الاخيرة في اول تشرين الاول عام

١٩٢٦ بصحبة كل من نسيب البكري وعبد الغفار باشا الاطرش وعلي عبيد وجاد الله الاطرش . وقد بلغوا غرابة وخربة الخازمة في صباح اليوم التالي مارين امام الجيش الفرنسي المعسكر بتل الخضر في قرية امتان . فكان هذا المرور شجاعة نادرة اذ ان الطائرات كانت محلقة فوق رؤوسهم لتتبين مواقعهم وقد عقد الزعيم الشهبندر والسلطان في خربة الخازمة جلسة هامة ختامية لها علاقتها باللجنة العليا ترمي الى التنظيم الاداري الذي ام الجبل الزعيم لاجله فلم ينته البحث ولم يفض الى نتيجة ما . وما ان امسى المساء حتى خرجوا منها لشدة قربها من معسكر الفرنسيين ولكثرة العيون المبثة هناك والارصاد وخرجوا الى العراء ليلا وقد التف المجاهدون بهم فنام البعض على قطع من صخر وظل الآخر يرعى النائمين بالمناوبة وهكذا حتى لاح نور الصباح وقد عقدوا جلسة في مغارة الديكة لاتمام ما وقفوا عنده من البحث . وبينما كانوا كذلك واذ بفارس فرج من الغاربة واسماعيل الحجلة من المشقوق وسليم الجرمقاني من صلخد قادمين من لدن الفرنسيين يرجون الكف عن الاعمال والاشغال هناك زاعمين بأن الفرنسيين ملبين مطاليب البلاد فوعد الوطنيون بالنزول عند ذلك الطلب خلال أسبوع واحد على شريطة ان يلزم الجنود مراكزهم وان تبدأ المفاوضات فكان ذلك خدعة من المجاهدين وتسويف من الوطنيين حتى يبتوا على ما يريدون .

أسبل غول الليل على عروس النهار برقع الظلام فانتحى السلطان والزعيم والمجاهد نسيب البكري ناحية وساروا خلسة يتعشون في بيت شيخ الطلانات الواقعة على مرمى النار من معسكر الفرنسيين في تل الخضر .

وما ان كان الهزيع الاول من الدجى حتى توجهوا نحو الازرق وقد بلغوه راد ضحى الاثنين رابع تشرين الاول من عام الف وتسعمئة وست وعشرين وهو تاريخ هجرة الزعماء من الجبل للمرة الاخيرة .

الزعيم الدكتور شهبندر شخصية معروفة في الغرب قبل الشرق وفي

اوروبا قبل البلاد العربية ما هو رجل علمي يريد ان يتهدى بنور علمه الوهاج كل فريق وان تسير على نهجه كل فئة لهذا طلبت الولايات المتحدة اليه ان يوافيها هنالك فأبى عليه اخلاصه الوطني ان يدع البلاد السورية ورجالها في غمرة من دجى ليل حالك . فاهتم للامر كثيرا وعني بمعالجة الحال واعتمد قبل السفر ان يعقد اجتماعا لذلك الغرض خصيصا فكان منه ذلك في العشرين من تشرين الاول من العام الملمع اليه في بيارة تدعى « البيارة التركية بيافا » الى كل من زعيم فلسطين الحاج امين الحسيني وحسن الحكيم والحاج عثمان الشراباتي وقد اجمع الكل على التنظيم والحؤول دون توزيع الاعانات افرادا . وعلى تشكيل لجان يعهد اليها امر التوزيع وعلى وضع موازنة ثابتة للجهاد . وقد تقرر ان تكون حصة الجبل خمس وخمسين في المائة والغوطة ثلاثين في المائة واللجاه خمسة عشر في المائة من مجموع الاعانات الواردة وكان من حضور الاجتماع راشد الذوق ، عجاج نويهض ، حلمي ابو خضرة ، وفي الساعة الاولى من بعد زوال سابع وعشرين تشرين الثاني سنة ١٩٢٦ بارح الزعيم منطقة الثورة نهائيا للعراق متفقا من اخوانه الوطنيين ومع زعيم فلسطين الاستاذ الحسيني .

غادر هذه الربوع تلبية للدعوة التي وردته من الولايات المتحدة على ما المعنا يرافقه مظهر البكري الى وفد المجاهدين للعراق الذي كان على راسه حسن الحكيم ومن اعضائه محمد الشريقي وعبد اللطيف العسلي وقد وصلوا الرمادي بعد ايام ثلاث فكان الاحتفاء بهم والاقبال على استقبالهم عظيما جدا عجيبا للغاية وقد حلوا ضيوفا على الرحب والسعة في الزوراء فكانوا اهلا فيها وطئت سهلا وكان من الزعيم الشهبندر ما كان من افتتان وخلب وبالعقول لعب فكان سحبان ابن وائل اذا ما خطب وكان النابغة الذبياني اذا ما اجج واقنع وكان رسول البيان والافصاح والاعراب اذا ما اسهب وفصل واطنب فلا بدع بعد ذلك اذا ما جمع القلوب على حبه ووحد النفوس على

احترامه وكاكا الجميع على الانصياع لامره .

كانت مقابلات الزعيم واحاديثه في كل انحاء القطر الشقيق العراق الحبيب لهجة اللاهج وذكر الذاكر وترديد النوادي والمجتمعات وقد عممت الصحف ذلك واعادت ذكره الرسائل ودونت ما كان منه القراطيس مما اوجس في نفوس البريطانيين خيفة فحالوا دون السماح له بمغادرة بلاد الرشيد وطلبوا اليه ارجاء النزوح الى الولايات المتحدة لما بعد المؤتمر الذي دعي اليه .

فتظاهر بانه يود ان يغز السير الى اوروبا عن طريق مصر فاذنت حينئذ له بذلك فغادر في السابع من مايس عام ١٩٢٧ عاصمة العباسيين على متن طائرة فامسى في غزة هاشم حتى اذا ما انبلج فجر الاحد وذر قرن الغزالة يومئذ بدا فجاة في القاهرة بين آله وصحبه مما اغاظ فرنسا وبريطانيا على قدومه للاقليم المصري ودعاهم للاحتجاج على ذلك .

الاقليم المصري الشقيق الاكبر الى الاقليم السوري اظهر في كثير من المواطن عطفه على السوريين ومد اهم يد المعونة عند اللأواء وعند المدلهمات من الليالي فكان بارق الامل الوطيد وكان المرجع الحبيب الفريد وكان ترتيله انفجر للشريد الطريد ينشدها كلما دجى من حوله ليل الخطوب واحلولك .

فتح صدره للزعيم وبسط ثراه لرجل الوطنية الصحيح ومد رواق سمائه الفخور يظلل به ذلك الرجل الآوي اللاجيء العائد الى كنف احرار الشرق الادنى ابطال مصر وزعمائها الاحرار .

هنالك تقابل الزعيم بالزعيم والتقى الاخلاص بالاخلاص ووجدت التضحية تضحية مثلها فهش كل للآخر وبش وانبرى زعيم الشرق يناضل عن الزعيم السوري ويحامي ويدافع ويصمد امام الدولتين العظيمتين صمودا ما كان

وهذه المعاهدة تسجل لدى جمعية الامم وتضمن تنفيذها .
لغير سعد باشا زغلول من اجل الشهبندر في سبيل الاقليم السوري وظل هذا الزعيم العظيم يناضل ويقنع ويأتي بالحجج الدوامغ على وجوب بقاء هذا الضيف العزيز الغالي اللا اعز منه ولا اغلى في القاهرة حتى كانت مشادة سياسية عنيفة ومحاولات ديبلوماسية سحيقة وحتى كان آخذ ورد كبيرين افضى الى انتصار الحق على الباطل وظفر المروءة بالنذالة واخضاع قوى الاعداء الى الوطنية فسمح له بالبقاء هنالك . وهنالك كان محل اكبار الوجوه وكان اعجاب الاعيان وموضع تجلة واعجاب الجميع حتى عاد الى وطنه عام ١٩٣٧ محفوفا بالاكبار والاجلال .

اما ما كان من السلطان اذ ذاك فقد اثر البقاء في البادية قريات الملح يومئذ ثلاث سنوات قاسى فيها امر العذاب وعانى خلالها من الصبر على الجوع وعدم توفر الزاد لذويه ما لا يطيق الصبر عليه الا اولو العزم من الرسل واولو الهمة من مثل السلطان .

ثم توجه بعدها نحو الكرك وظل هناك يصمد للحدثان ولضربات الايام ولنوازل القضاء صابرا حتى اشرق اليوم المجيد باصدار العفو عنه عام ١٩٣٧ فدخل دمشق محمولا على الاعناق تقديرا لما قام به فظللت دمشق سحابة من سعادة وهناء ورخاء بمقدم قائدها العام الحقيقي السلطان محمولا على الاعناق والاكف تقديرا لما قام فيه وما صبر عليه وما كان منه طوال تلك الايام التي خالها السوريون قرونا وهكذا كان عام ١٩٣٧ حيث دخل الزعيم الشهبندر وسلطان الاطرش في طليعة المجاهدين الابطال عاصمة بني امية دخول ملوك بني امية اليها رافعين الراس عالين الهام ناصعين الجبين محرزين الظفر المبين . .

مساعي الوفد

التأم عقد جامعة الامم السنوي العام في ايلول عام ١٩٢٦ فبعث الوفد

بالصرخة التالية اليها :

« حضرة صاحب السعادة رئيس الاجتماع السابع لجمعية الامم .

كان لنا الشرف نحن الموقعين على هذا مندوبي المؤتمر السوري الفلسطيني واحزاب استقلال سورية ان بسطنا في مذكرتنا المؤرخة في ٧ يونيو سنة ١٩٢٦ لمجلس جمعية الامم وللجنة الانتدابات الدائمة في الوقت عينه حالة بلادنا الباعثة على الالم والحزن طالبين منهما ان يتدخلا بنفوذهما السامي لاجل اعادة الامور الى مجراها الطبيعي في سورية .

وقد قلنا في تلك المذكرة ان المواطنين السوريين عملا بنصائح ومشورات لجنة الانتدابات في الجلسة التي عقدتها في روما ونوهت فيها بمزايا الاتفاق المباشر مع فرنسا اخذوا يبذلون المساعي عند السلطات الفرنسية للبحث عن وسيلة للاتفاق وحمل الحكومة الفرنسية على التسليم بمشروعية الاماني السورية وان تلك المساعي لم تجد نفعا لان الحكومة الفرنسية صرحت بلسان مندوبيها المسؤولين بأنها تبغي مواصلة الحرب الى ان يخضع السوريون من غير شرط ولا قيد .

والظاهر ان الدولة المنتدبة اعتقدت ان في استطاعتها التوصل الى تهدئة البلاد تماما بقوة السلاح وسياستها برمتها مبنية على هذه الفكرة ونعني بها فكرة اخضاع سورية بالقوة .

ومما يجب ذكره هنا انه رغما من الدم الذي لا يفتأ يهرق منذ ١٥ شهرا ورغما من الحملات العسكرية التي يتوالى توجيهها الى سورية لا تزال البلاغات الرسمية الفرنسية تصر على وصف المعارك الدائرة في البلاد المعهود في امرها الى جمعية الامم انها ليست الا تدابير بوليسية بسيطة ولا تفتأ تؤكد بان الهدوء قد استتب تماما . وليس لهذه الدعوى ظل من الصحة بدليل الحقائق الواقعة التي تنطق بافصح بيان بما ينفيها .

وعندنا ان هذه الطريقة التي جرت عليها فرنسا تناقض الغرض الانساني الذي تسعى اليه جمعية الامم .

فامام خطورة الحالة التي تتفاقم يوما فيوما رأينا من المفيد ان نتبع الى النهاية نصائح مجلس الجمعية واردنا ان ننسى الاربعة عشر الف قتيل — انظر التقرير المقدم الى السكرتارية العامة في يونيو سنة ١٩٢٦ — والضحايا الابرياء من النساء والاطفال وتدمير المدن التاريخية والقرى الزاهرة . فسافرنا في شهر يوليو سنة ١٩٢٦ الى باريس ولبثنا فيها اربعين يوما نبذل اقصى ما عندنا من المجهودات لكي نتوصل مع ولاة الامور الفرنسيين الى اتفاق يضع حدا لهذه الحالة السيئة . وقد اجتمعنا مرارا عديدة بصاحب السعادة المسيو دي جوفنيل المندوب السامي فاظهر هذه المرة من روح المسالمة ما لا يسعنا الا ان نذكره بالحمد والثناء ولكن حين اوشكنا ان نصل الى اتفاق تام وقعت امور غامضة لا يد لنا فيها وكان من جرائها ان وقفت المفاوضات بغتة وعندئذ بذلنا مساعي شديدة لاستئناف المحادثة بقصد الوصول الى اتفاق يرضي الفريقين عملا براي لجنة الانتدابات فذهبت مساعينا ادراج الرياح واضطررنا الى العودة الى جنيف لاجئين الى عدل جمعية الامم وانصافها لنبسط المجهودات التي بذلناها رفقا للرغبة التي اعربت عنها .

واذا كان قد ظهر لنا ما نذكره بالدهشة والالم وهو تلك الاصوات التي ارتفعت مؤخرا في مجلس جمعية الامم للقضاء على ذلك التصرف المحمود الذي اظهرته لجنة الانتدابات الدائمة حين اقترحت ان تسمع اقوال مندوبي الشعوب ذات الشان فان صدورنا لا تزال عامرة بالامل بأن مجلس جمعية الامم لا يحيد عن مهمته المقدسة وان الحجة التي كثيرا ما لاكتها الالسنة بوجود دسائس خيالية لا تثنيه عن اتمام الواجب عليه للعدالة والانسانية .

وقد كان لنا الشرف ان صرحنا في عرائضنا السابقة تقريبا في مذكراتنا التي قدمناها الى المجلس والى الجمعية العمومية والى لجنة الانتدابات الدائمة بأن من اهم اسباب الهياج الطائل في سورية سياسة الاستعمار التي تتجلى بأعمال العنف والشدة واحداث الفرقة بين طوائف الاهلين والقضاء على كل حرية . فعلى هذه الامور الثلاثة تتكيء السلطات المحتلة لتايد سلطانها . ومن البراهين القاطعة على هذه السياسة ادارة البلاد بالارهاب وتقسيم سورية الى اربع دويلات وضم اراضي احدى هذه الدويلات الى الاخرى من غير رغبة سكانها الذين لا يفتأون يحتجون على ذلك كما يؤخذ من تلغراف مؤرخ في ٥ سبتمبر سنة ١٩٢٦ قدمناه الى السكرتارية العامة وهذا نصه :

« نحن الموقعين على هذا التجار واصحاب الاملاك والمحامين والاطباء والمهندسين الممثلين للراي العام في البلاد التي ضمت الى لبنان من دون رضاء سكانها ننتهز فرصة اجتماع مجلس جمعية الامم فنكرر احتجاجنا على الحاق بلادنا بلبنان بناء على ما يسمونه قانونا اساسيا سن من غير اشتراكنا وعلى غير ارادة الاهلين بدليل ان النواب عنا أبوا الموافقة عليه في جلسة مجلس النواب اللبناني التي عقدت في ١٩ مايو ونطالب بالوحدة السورية على اساس السيادة القومية ونرجو ان تتدخل جمعية الامم تدخلا فعليا توصلا الى حل المسألة السورية حلا عادلا طبقا لمبدأ الحق واماني السكان الاجماعية » .

وقد ارسل هذا التلغراف من فلسطين لتعذر ارساله من الأراضي المشمولة بالانتداب الفرنسي .

ولا شك في ان ارادة اهالي البلاد لم تظهر حتى الآن بأجلى من مظهرها في هذا التلغراف . ومنه يرى ان قانون البلاد اساسي الذي كان ينبغي ان يصدر عن هذه الارادة وان يكون من عملها وحدها طبقا لروح المادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ومباديء القانون العام الحديث وضعته السلطات الفرنسية بمحض ارادتها وهي تحاول ان تفرضه على الاهلين بالتدليس والخداع او

بما يشبه ذلك .

ان السلطات المشار اليها لا تروم ان تتصل بممثلي اغلبية الشعب ولا تزال تعدهم اعداء فرنسا لا لسبب الا لانهم يطالبون بحقوق بلادهم المشروعة وهي لا تريد ان تفهم ان الاهلين ما قاموا قومتهم الا مدفوعين باليأس بعد ما تبين لهم ان السلطات الفرنسية انكرت مباديء جمعية الامم وحقوق الامة المشروعة جدا وبعد ما رأوا ان مطالبهم الحقة قد ضرب بها عرض الحائط .

فبعد كل هذا يتعذر علينا ان نصدق ان جمعية الامم التي تجتهد في ان تقوم بتبعاتها الادبية تأبى بعد ١٥ شهرا انقضت في القتل والتخريب ان تتوسط في انقاذ بلادنا من طائلة الخراب التام ووضع حد لحالة يخشى ان تكدر صفو الامن في الشرق الادنى .

ان جمعية الامم هي الحكم المكلف اصدار حكمه في الاختلافات القائمة بين الدولة المنتدبة واهالي البلاد المشمولة بهذا الانتداب .

وانا نرى بالنظر الى خطورة الحالة ولاجل ان تتمكن جمعية الامم من تكوين راي نهائي قاطع عن الحالة في سورية ان يعمل تحقيق ونظن ان الدولة المنتدبة لا يسعها ان تعارض في مثل هذا التحقيق الا اذا خشيت ان يفضح نور الفحص اعمالها فاذا ارسلت جمعية الامم الى سورية بعثة لجمع المعلومات عن حقيقة الحالة وحقيقة اماني الامة فانها لا تكون بذلك الا عاملة بروح عهد جمعية ولا شك ان سلطة الاشراف التي لها قانونا ستمكنها اذا استعملت حق الاستعمال من تكوين راي صحيح عن حالة يالم لها ضمير كل رجل متمدن .

ونحن نعترف ان راي الجمعية لم يؤخذ في صحة الانتدابات من الوجهة القانونية ولا في طريقة توزيعها ولا في ابرامها ولكننا نعلم ان سلطة الجمعية

الادبية السامية تجعل من الميسور لها ان تطلب ان لا تسفك الدماء باسمهما وبهذا الروح نتقدم بعريضتنا اليكم انتم الذين تمثلون اسمى مظاهر الضمير البشري على وجه العالم المتمدن ونطلب العدل لبلادنا التعسة آملين ان تظلوا امناء في خدمة العدالة والحرية اللتين هما غرض الشعوب الاسمى وان تتفضلوا باعارة ملتمسنا ما هو جدير به من العناية بعد ما طال اصطبارنا .

وتفضلوا ياسعادة الرئيس وياحضرات الاعضاء بقبول فائق احترامنا » .

ما كان الوفد ليدخر جهده في بسط القضية السورية امام اية هيئة سياسية يرى فيها امكان انصافه لهذا لم يهمل مراجعة المؤتمر الراديكالي الاشتراكي الفرنسي ومؤتمر جمعية حقوق الانسان المنعقدين في فرنسا في شهر اكتوبر عام ١٩٢٦ مما جعل المؤتمرين يدونان في جملة اعمالهما المسالة السورية . فقد كانت مطالب الوفد نفس المطالب التي تضمنها البرنامج الآنف الذكر وكان لهذا العمل اثره الحسن لدى المؤتمرين اذ اعتقد كل منهما بحسن نوايا السوريين ووجوب احلالها محل الاعتبار اللائق واتخذكل منهما دليلا على رغبة الجانب السوري بالتفاهم الحقيقي .

وقد نمي الى الوفد السوري الفلسطيني ان مجلس العصبة قرر باجتماعه الاخير منح فرنسا مهلة اشهر ست لتقدم مشروع دستور سورية . فبعث الوفد الى امين سر العصبة العام بالاحتجاج التالي :

« جنيف في١٢اكتوبر سنة ١٩٢٦ .

سعادة السكرتير العام لجمعية الامم .

نتشرف بان نرفع اليكم مايأتي : علمنا ان مجلس جمعية الامم الذي كان يجب أن يتلقى في اثناء اجتماعه الحالي مشروع دستور لسورية ولبنان ومكاتبة تتعلق باتفاق كان ينبغي ان يوضع بين فرنسا والشعب السوري عملا بنصائح لجنة الانتدابات قد امهل ممثل فرنسا ستة اشهر اخرى لكي يسمح

للحكومة الفرنسية باستشارة المجالس المحلية .

فنتشرف بان نلفت انظار جمعية الامم الى ان هذه المهلة الجديدة ستجر ويلات جديدة على سورية التي تنتظر بسالة وشمم منذ سنين ان ترى عدالة وانصافا من هذا المجتمع الدولي .

ان هذه هي المهلة الثالثة التي تطلبها فرنسا من جمعية الامم . ولكنها لا تريد منها ان تسعى الى ايجاد حل يتفق مع مطالب الشعب السوري بل ان تنتهز فرصة اخرى كما فعلت حتى الآن لكي تبيد بالحديد والنار كل سعي الحرية والاستقلال اللذين عدتهما جمعية الامم نفسها من اسس عهدها واعمالها النافعة .

فنحن نعتقد والياس ملء نفوسنا ان الواجب يقضي علينا بان نحتج على تاخير حل هذه المسالة مرة اخرى . ولم نعد نعلم متى تريد جمعية الامم ان تتدخل لصيانة البلاد الموضوعة تحت حراستها لكي تضع حدا نهائيا للمذابح التي ترتكب باسمها كل يوم . ونتشرف ياحضرة السكرتير العام بان نتقدم اليكم بوافر احترامنا » .

المسيو بونسو وموقفه من البلاد

كان المفوض السامي الجديد المسيو بونسو في مدينة بيروت في الحادي عشر من تشرين الاول سنة (١٩٢٦) آتيا من عاصمة حكومته وقد نشر على اثر قدومه انه سيعمل على درس الاوضاع عن كثب معلنا انه لم يات عملا ما ، ما لم تتم دراسته للحالة التي كانت عليها البلاد وما لم يحط بحقيقة الوضع الاحاطة التامة . وما ان مكث قليلا حتى نزح الى دمشق ومنها الى الجبل الاشم ومنه عائدا الى حلب فدير الزور فبيروت .

وقد بعثت اليه اللجنة التنفيذية في رابع كانون الاول سنة ١٩٢٦ الكتاب التالي تأييدا لما سعت اليه من حب التفاهم مع حكومته ونزولا عند ارادة عصبة الامم وما اسدته الى اللجنة من نصائح واليك الكتاب :

« يا صاحب السعادة لم تنقطع اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني منذ اوائل القتال الذي خضب سورية بالدماء واشتهرت اسبابه لدى الخاص والعام عن بذل مساعيها لاعادة السلام على اسس توفق بين امانينا الوطنية ومصالح فرنسا الحقيقية .

هذه الفكرة هي التي كانت رائدا لنا في محادثاتنا الاولى مع المسيو دي جوفنيل في القاهرة في شهر نوفمبر سنة (١٩٢٥)وهي التي كانت رائد وفدنا عندما استأنف المفاوضات في باريز في شهر يوليو (١٩٢٦) وكان يرجى ان تنتهي هذه المفاوضات بسرعة ولكنها توقفت لاسباب لا دخل لنا فيها ولكي يستطيع المندوب السامي الجديد ان يقف بنفسه على حقيقة الحالة في سورية فنحن نرجو من سعادتكم الآن ان تبلغونا اذا كنتم ترون ان الوقت قد حان لاستئناف المفاوضات والسعي بالاشتراك معكم وبروح الوفاق والتعاون الخالص لايجاد حل يقضي الى حسم النزاع واعادة السلام الى البلاد ووضع علاقات بين فرنسا وسورية مؤسسة على الثقة المتبادلة وصيانة اماني امتنا الشرعية ومصالح فرنسا الحقيقية .

فاذا كنتم توافقون على هذا الاقتراح الصادر عن اخلاص وتنزه عن [illegible] فنحن مستعدون لاستئناف المحادثات بالطريقة والشكل اللذين ترونهما مفيدين » .

ثم عاود المفوض السامي الجديد الكرة على دمشق كي يقف على رغائب الاهلين .

لقد استعدت دمشق لهذا الامر فانقت وفدا زاره في السابع عشر من كانون الاول وقدم له المطالب التالية :

« ١ ــ اسدال ستار على الماضي والتعامل على اساس روح معاهدة لوكارنو ٢ ــ دعوة جمعية تاسيسية تسن الدستور على اساس السيادة القومية ٣ ــ تحويل الانتداب الى معاهدة تعقد بين الحكومة الوطنية والدولة المنتدبة لمدة ثلاثين سنة ٤ ــ تحقيق الوحدة السورية ٥ ــ توحيد النظام القضائي على قاعدة السيادة القومية ٦ ــ تأليف جيش وطني ٧ ــ ادخال سورية في جمعية الامم وتخويلها حق التمثيل الخارجي ٨ ــ اعلان عفو عام ٩ ــ ايجاد طريقة للتعويض على المنكوبين .

كما ان سكان حماة وحمص ودير الزور قدمت اليه مطاليبها .

وكذلك عندما زار حلب تقدم منه الاهلون بطلبات تتحد روحا ومعنى مع مطاليب المدن الاخرى . وقد وعدهم بان تكون المعاهدة التي ستنعقد بين سورية وفرنسا شبه معاهدة العراق .

وعندما مر باللاذقية وفد من مسلميها مقدما اليه نفس المطاليب .

وعندما عاد الى بيروت طلب الى رؤساء الطوائف وزعمائها وضع تقرير مفصل عما ينبغي ان يؤخذ به من كل تدبير لمعالجة الوضع اذ ذاك فحصل على ما اراد واخذ يدقق كل ذلك .

لم يجب المفوض السامي اللجنة التنفيذية على كتابها الا ان اقامته في سورية لم تطل مدتها اذ بارحها الى عاصمة بلاده في اوائل شباط عام «١٩٢٧» مزودا بالتقارير والمطاليب التي رفعت اليه ليطلع اولي الامر على نتيجة ابحاثه ولكي يعلم الخطة التي يجب عليه ان يسير عليها .

وخلال مارس سنة (١٩٢٧) كان المسيو بونسو في جنيف كي يحضر

اجتماع عصبة الامم وهنالك اتصل به الوفد السوري الذي وقف على ان المقامات المسؤولة الفرنسوية تود ان تعود الى المفاوضة التي انبت حبها خلال اغسطوس الماضي . وان هذه المقامات كانت تود ان يبدأ الجانب السوري بطلب التفاهم امام جمعية الامم . فبعث الوفد بكتاب الى مجلس العصبة بالنص التالي :

« جنيف في ٨ مارس سنة (١٩٢٧) الى سعادة رئيس مجلس جمعية الامم . يا صاحب السعادة .

علمنا نحن الموقعين على هذا مندوبي اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ان الحكومة الفرنسوية شارعة في عرض مشروع للمشكلة السورية على جمعية الامم فننتهز هذه الفرصة لنصرح مرة اخرى برغبتنا الاكيدة الصادقة في اقرار العلاقات بين فرنسا وسورية على اساس الولاء والوفاق ونرى ان الواجب يقضي علينا بازاء ذلك بان نصرح جهارا اننا لما كنا لم نقصد قط الى غرض شخصي ولم نعمل الا لنيل حرية سورية واستقلالها فلا نجد اي مانع يمنعنا عن الموافقة على كل حل ينطبق على اماني الامة السورية ونحن نامل ان تتغلب روح الحكومة الفرنسوية والشعب الفرنسوي الحرة على جميع المصاعب المتراكمة في سبيل الوفاق » .

وتوجه الوفد الى باريز على الاثر بغية اتمام المفاوضات معه ، فمكث اياما لم يمكن له خلالها ما اراد فقفل راجعا الى جنيف من بعد ان تاكد له ان الفرنسيين غير ميالين الى الاتفاق واياه ولا الى اجابة شيء من مطاليب البلاد وان فرنسا قد قصدت من كل ما قامت به من تعليل سورية بمعسول الاماني والتسويف والمماطلة وقمع كل حركة بالقوة بدليل ما جاء في المذكرة الفرنسية التي نشرت في شباط عام « ١٩٢٧ » وتعريبها ما يلي :

« ان حوادث سنة (١٩٢٥ — ١٩٢٦) كانت ثقيلة الوطأة على سورية وعلى

فرنسا على السواء ويظهر ان معظم الاحزاب السياسية السورية اليوم اخذت تدرك ان النظام والسلام ضروريان لتقدم البلاد ويسرها ومما يسر ذكره ان شهوة المطامع السياسية خفت وحلت محلها الرغبة البادية في كل مكان في تعاون فرنسا وسورية فالفرصة سانحة اذن لاتفاق الاحزاب السورية على برنامج يشمل الحد الادنى للمطالب التي يمكن قبولها من جانبهم او من جانب فرنسا وحول هذا البرنامج يؤلف من الاتحاد لاسداء اعظم ما يمكن اسداؤه من الخير للشعب السوري وليس هناك تناقض ما بين هذا النوع من التهادم السياسي واحتفاظ كل حزب من هذه الاحزاب بغاية وطنية لا يفكر احد في معارضتها ومكافحتها وتكون القاعدة الاساسية لهذا البرنامج قبول الانتداب الفرنسي باخلاص وولاء على ان ينفذ هذا الانتداب كما تصوره مؤتمر السلام وحددته جمعية الامم ان الانتداب مطابق لفكرة الاستقلال الوطني لانه سبيلا موصل الى هذا الاستقلال وهذا هو شعور المنتدبين الذين تقوم مهمتهم الاصلية على تنظيم السيادة القومية لسوريا ولبنان وغني عن البيان ان تنظيم الحريات للسوريين وتهيئة اسبابها بتعاون صريح بين المنتدبين والشمولين بالانتداب هو المادة الاولى من البرنامج السياسي الذي يجب ان يلتف حوله جميع العقلاء وذوي النيات الحسنة ورب قائل يقول وفي اي حدود جغرافية يزول هذا العمل والجواب على ذلك هو ان لبنان والمقاطعات التي تؤلف سورية لا تتمنى الا الاشتراك في الحياة ولا يسع فرنسا الا ان تحترم هذه الرغبة ولذلك سيظل لبنان مستقلا عن جيرانه اما حدوده فتحدد نهائيا باتفاق مع هؤلاء الجيران واذا تعذر الاتفاق فيحال الامر الى التحكيم ويجب ان يذعن الجميع لقراره واما الاستقلال الاداري للمقاطعات فيجب الاحتفاظ به كمسالة من مسائل النظام الداخلي اذ لا يوجد سبب ما يحول دون حله طبقا لرغائب الشعب . ان فرنسا المنتدبة لا تعد سورية كمستعمرة ولا كبلاد مشمولة بالحماية فهي تساعدها لان جمعية الامم عهدت اليها في هذا الواجب الدولي الذي هو جم المتاعب . وامنيتها الوحيدة هي ان تقوم بالواجب عليها لان العهد

المقطوع واجب الاحترام وبذلك تجد عوضاً ادبياً واقتصادياً مقابل ما بذلت من الرجال وما انفقته من الاموال مما يعترف به جميع المفكرين من السوريين .

وان نتائج مثل هذه الخطة من جانب فرنسا يجب ان تظهر باعمال تطابق الاماني الوطنية السورية .. اي بالسير نحو الوحدة الوطنية بانشاء نظام حكومي دستوري يطابق فكرة السواد الاعظم من المواطنين ويقبلونه عن طيبة خاطر وتخفيض عدد الموظفين الفرنسويين الى ادنى حد ممكن على ان يكونوا مستشارين فقط لا موظفين لهم حق التنفيذ وانشاء مليشيا وطنية بالتدريج بضباط من الفرنسويين يعهد اليها في صون النظام في الداخل ومراقبة الحدود .

واما فيما يختص بالشؤون الخارجية فاذا كان مفهوم الانتداب يجبر فرنسا على ان تمثل سورية سياسيا فانها لا ترى مانعا يمنع من وجود موظفين سوريين يعملون بالاتفاق التام مع ممثلي الدولة المنتدبة للدفاع عن مصالح اخوانهم المقيمين في الخارج رمزاً للسيادة الوطنية .

ان قبول الاحزاب السورية لهذه القواعد العامة مع تنازلها عن آرائها في الامور الثانوية عن طيبة خاطر يمكن سورية من افتتاح عهد من السلام واليسر ويسهل لها جلب الاموال الضرورية لان هذه الاموال لا سبيل اليها الا اذا كفل للمقرضين الضمان الوافي على ثبات الحالة السياسية .

وفي هذا باعث آخر يبعث الوطنيين السوريين على ان يقفوا حول برنامج وسط معتدل يظهر ان قبوله هو الطريقة الوحيدة المفيدة لتهيئة وسائل الاستقلال القومي التام الذي يطابق تحقيقه رغائب جميع الفرنسويين والسوريين على السواء » .

آب المفوض السامي الى بيروت في اواسط حزيران مصحوبا بالبرنامج الذي زودته به حكومته في تلك المرحلة وقد اذاعه رسميا في سادس وعشرين

تموز عام ١٩٢٧ بالنص الآتي :

« لقد تسنى مرارا عديدة للمفوض السامي في خلال مدة اقامته في فرنسا ان يوضح للحكومة الفرنسية وللجان الامور الخارجية في مجلسي الشيوخ والنواب نتائج التحقيق الذي قام به عن الحالة في سورية ولبنان وان ينقل اليها بوجه خاص الاماني التي بسطت لديه مدة اقامته الاولى وتجواله في البلاد المشمولة بالانتداب .

وقد جرى له منذ عودته مفاوضات عديدة مع رؤساء الدول اوضح خلالها آراء ومقاصد الدولة المنتدبة وابان لهم نقاط الخطة الاساسية التي سيواصل امر تحقيقها بالاتفاق مع الدولة المشمولة بالانتداب وهي :

اولا ـ لما كانت فرنسا عملا بمنطوق صك الانتداب « المادة الاولى » قد القي على عاتقها ـ ان تمهد السبيل لنمو سورية ولبنان نموا تدريجيا كدولة مستقلة ـ وان تحفظ الاستقلال الداخلي على قدر ما تسمح به الظروف فهي تستمر على اتمام المهمة المعهودة اليها من قبل جمعية الامم ولا وجه للبحث في امكان عدولها عنها .

صفة هذه المهمة ـ ان تطبيق نص المادة الثانية والعشرين من معاهدة فرسايل ظهر انه ذو دقة خاصة في الشرق حيث الطوائف المختلفة التي تقيم في اراضيه قد بلغت منذ زمن بعيد درجة من الرقي جعلها في الصف الاول بين الدول الاكثر تطورا في الشرق الادنى فالدولة المنتدبة مع تأييدها الامن والسكينة وهما الركنان الاساسيان لكل تطور سياسي لم تغفل عن تحقيق امنية هذه الطوائف غير ان تأويل هذه الاماني صادف حتى الآن عراقيل لا يستهان بها نظرا لما بينها من التناقض الكثير .

وكان الاهتمام بتحقيق اماني هذه الطوائف هي الفكرة المتواصلة التي

اوحت بالسياسة الفرنسية ولم تزل الدولة المنتدبة ثابتة على هذه الخطة وموطدة النية على النزول عند هذه الاماني ما دامت ضمن دائرة النظام والسكينة وما دامت لاتمس حقوق الاقليات التي ايدتها المعاهدات ولا تخالف ما تقتضيه المصالح العامة الكبرى للبلاد .

ثانيا ـ استمرار السياسة الفرنسية والقانون الاساسي ـ ان هذه السياسة التي حددها مسيو دي جوفنيل بوضوح نالت موافقة الحكومة الفرنسية وجمعية الامم فوجب ان يفصح عنها بصراحة في القانون الاساسي وهذه هي السياسة التي سيبقى المفوض السامي الجديد متمسكا بها .

على ان النظام النهائي لبلاد الشرق المشمولة بالانتداب الفرنسي سيكون قبل كل شيء من وضع الذين يهمهم امره فالدول ضمن نظامها الحالي الذي هو ثمرة جهود ثماني سنوات جديرة بأن تبحث في شؤون مصلحتها وفي ازالة المنازعات بعضها مع بعض كما انها جديرة بأن تعقد كل اتفاق جديد من شأنه ان يزيد التوفيق بين المصالح التي لم تكن في وقت من الاوقات متفرقة ولا منفصلة فالدولة المنتدبة ستبذل قصارى جهدها في عقد اتفاق عام وستقوم بوظيفة الحكم في ما قد يحصل من المنازعات اما اذا كانت قد رغبت في جعل النظام الجديد على اساس موافقة الاهلين عليه فلا يسعها ان تنسى المهمة التي وكلت اليها فاذا لم يحصل اتفاق عمدت الى التدابير اللازمة لاجل المحافظة على السكينة وضمان المستقبل وستبلغ تلك التدابير وتنفذ الى جمعية الامم .

ثالثا : ـ الحكومات المحلية ووظيفة الانتداب ـ لقد تم حتى الآن تقدم كبير من هذا الوجه وسلمت الدولة المنتدبة مقاليد السلطة الى الذين يهمهم الامر في كل جهة اعيد اليها نظام ثابت وامكن فيها بفضل الهدوء والسكينة استطلاع رأي الامة وتاليف حكومات نظامية فعلى الحكومات المحلية ان تعمل مافيه مصلحتها الخاصة بمشورة ومساعدة الدولة المنتدبة . ان تجديد التنظيم الجاري في دوائر الانتداب المؤدي الى لامركزية اتم والى التقريب بين

الشورة والعمل واجتناب تراكم هيئات المراقبة سيزيد رغبة الدولة المنتدبة وضوحا وجلاء فيما يختص بمساعدة الدول المشمولة بالانتداب في تطورها السياسي والاسراع به فتحقق حينئذ تماما الامنية المنصوص عليها في عهد جمعية الامم .

رابعا : ـ النظام والامن ـ اعيد النظام واصبح الامن سائدا اليوم ضمن الحدود ولقد بذلت الدولة المنتدبة للوصول الى هذا الغرض جهدا عظيما وقبلت تقديم ضحايا تدل دلالة واضحة على انها تريد ارادة لا تتزعزع ان تصل الى نتيجة حسنة لمهمتها الكبرى التي بها توثق عرى الصداقة النهائية بين فرنسا والبلاد المشمولة بالانتداب .

ويجب ان تتايد فوائد السلم بالتعاون الادبي والتعاون المادي بين تلك الدول نفسها فان السلم هو خير منهاج لها وكل عمل يجري بدون هذا السلم سواء من الوجه السياسي أم الوجه الاداري ام الاقتصادي او المالي لا يثمر الثمرات المرجوة منه بل يكون عبثا بلا جدوى وهذا يجعل ما تطلبه الدولة المنتدبة من اشتراك تلك الدول على وجه معقول في الاعباء التي تستلزمها صيانة الامن طلبا مشروعا .

ولا يستفاد من هذا التصريح بوجه من الوجوه ان الدولة المنتدبة تفكر في ان تضعف عدة الامن التي اعدتها لحماية هذه البلاد او انها لاتهتم بعد الآن بحفظ النظام فهي بالعكس لا تزال تتحمل التبعة امام جمعية الامم ولكنها تريد ان تزيد كل يوم اشتراك الاهلين انفسهم في الجهد الذي تبذله لمنفعتهم في سبيل حفظ الامن وعلى ذلك يجب ان يقابل التخفيض المتوقع في القوات الفرنسية بزيادة في القوات المحلية والميليشيا اللازمة للدفاع عن الاراضي وستكون اعباء تلك القوات على عاتق الدول المشار اليهم .

خامسا ـ التقدم الاقتصادي ـ ان صيانة الامن تجعل في انجاح البلاد

الاقتصادي ولا تلبث ان تحمل المهاجرين العديدين الذين ما برحوا شديدي التمسك بمساقط رؤوسهم على الرجوع الى البلاد فبالخطة الاقتصادية يمكن ان يكون تعاون الدولة المنتدبة والدول المشمولة بالانتداب مفيدا في تحقيق أمور لا تكفي المتوفرات المحلية للقيام بها لاسيما ان تحسين الحالة الاقتصادية والمالية في العالم وبالاخص لامكان الحصول على شروط للسلفيات اكثر موافقة مما مضى لا بد ان يكون له تاثيرا في الشرق . ولقد يثبت المفوض السامي في اثناء اقامته في فرنسا ان الاسواق الفرنسية يمكنها ان تهتم بتقدم سورية ولبنان من الوجهة الاقتصادية .

سادسا ـ ادارة المصالح المشتركة ـ ان المصالح المشتركة بين الدول المشمولة بالانتداب الفرنسي كثيرا جدا والمنازعات التي قامت في بعض الاحيان لا تتفق بوجه عام مع الحقيقة الراهنة فلاجل صيانة ذلك الملك المشترك تقوم المفوضية السامية بنوع خاص بمراقبة بعض المصالح التي يمتد عملها على جميع الاراضي بالسواء وستظل قائمة بهذه المراقبة بتنبيه خاص الى ان تضع الدول الحالية قواعد ثابتة لاتفاقها وتؤسس تحت رعاية الدولة المنتدبة الهيئات المشتركة اللازمة .

وبينما نرى تطور العالم يتجه في كل مكان نحو تاليف المصالح لا يسع دول الشرق وحدها ان تطلب التقدم والرقي باتباع سياسة تفريق ضيقة جدا . ان مستقبلها لا يكون بالسير على هذا المنوال والدولة المنتدبة المهتمة بتوثيق عرى الاتحاد والوئام بين الملل التي وكلت اليها وصايتها تتمنى ان تراها تزداد تقربا بعضها الى بعض ويجب ان يكون لها من ادارة المصالح المشتركة بينها فرصة تنتهزها لذلك والمفوض السامي يريد ان يتبع هذه بمعاونة ممثلي الدول معاونة تزداد نشاطا في كل يوم وان الزمان سيعمل عمله وحكمة الحكومات واختبارها يتكفلان بالباقي . وان الانتداب بحكم صفته

نفسها لا يسعى الخلود ولا التجدد .

فالى قضاء تلك المهمة يرمي الجميع وان عدم الصبر لا يعجل في الحل المرغوب فيه بل لا يمكن ان يعود الا بتأخير وان العنف ليقوض اعدال الآمال .

ان المبدأ الحر الذي تمشي عليه الجمهورية الفرنسية لا يسع احدا ان يرتاب فيه وعليه فان الدولة المنتدبة التي عهد اليها في مساعدة سورية ولبنان كدولتين مستقلتين في سبيل الرقي التدريجي وفي جعل حقوق الجميع محمية ومحترمة لا تتخلف عن القيام بواجباتها ــ ا هـ . »

كان لهذا البيان الوقع الاليم في نفوس السوريين اذ دل على قضائه المبرم على سياسة التفاهم بين سورية وفرنسا وايد استمساك الفرنسيين بذلك الاساليب القديمة البالية والخطط التي كانت مدعاة لتباعد الشقة بين الفريقين .

فاذاعت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني خلال اغسطس سنة ١٩٢٧ ردا على ذلك البيان معربة فيه ان الخطة التي نوهت الحكومة الفرنسية بها تناقض تماما سياسة الوطنيين معلنة ان لم يعد في وسع اللجنة بعد موقفها الودي وبعد ما كان من الفرنسيين من الجواب عليه الا العودة الى السلبية والمعارضة ودعوة السوريين داخلا وخارجا الى استئناف الجهاد حتى تتحقق الاماني والآمال وقد اجمع الوطنيون في الداخل على عقد مؤتمر كان فيه عن دمشق كل من السادة الامير سعيد الجزائري ويوسف العيسى واحسان الشريف وعن حمص هاشم الاتاسي ومظهر ارسلان وعن حماه نجيب البرازي وعبد القادر الكيلاني وعن حلب ابراهيم هنانو وعبد الرحمن الكيالي وعن طرابلس الشام عبد الحميد كرامي والدكتور عبد اللطيف البيسار وعارف الرفاعي وعن بيروت الدكتور عبد الله اليافي وعبد الرحمن بيهم وكان

الغرض من هذا المؤتمر بحث البيان وتقرير ما ينبغي ان يسار عليه من الخطة في تلك المرحلة فانعقد هذا المؤتمر في بيروت في الثالث والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٧ برئاسة الرئيس الجليل هاشم الاتاسي وانفض في الخامس والعشرين من الشهر الملمع اليه من بعد ان وضع البيان التالي خطاب للمفوض السامي :

« لما وجدنا الموقف السياسي في سورية لم ينجل غيهبه منذ ثماني سنوات وان الدولة الفرنسية رغم اهتمامها الشديد في الامر لا تزال تلجأ الى تجارب متنوعة والى تطبيق خطط واشكال من الاوضاع السياسية والادارية لم تنتج حتى الآن التفاهم المرغوب ولم تضمن تحقيق الاماني التي ترمي اليها الامة السورية ولم تزل تذكر ما جره الماضي من الاحوال السيئة والمصائب المفجعة وشعرنا بان البلاد قادمة على تطور جديد لايتفق تماما مع المطالبات التي رفعتها الامة السورية الى حكومة الجمهورية الفرنسية بلسان وفودها وممثليها وصحافتها تكرارا ورأينا ان بيان المفوض السامي المسيو بونسو المعلن في ٢٦ يوليو غامض وان ماجاء فيه من اسس ونظريات عامة لم يجل الموقف الذي اشرنا اليه بل ولد نوعا من الريبة في نفوس اهالي وطننا الذين كانوا يعتقدون بانه يقضي على جميع مايشكون منه ويحقق كل مايصبون اليه ، ولما كان ايضا ما شاع وذاع عن الاجراءات التي تنوي السلطة تطبيقها والحكومة المحلية تنفيذها لايتفق مع ماتنتظره البلاد فضلا عن وجود عامل آخر يقف دائما في سبيل حسن التفاهم وهو فقدان بعض الحريات كحرية الصحافة وحرية الاجتماع وحرية الكلام وكوجود الادارة العرفية المختلفة الشدة بين مكان ومكان والاستمرار على الاعتقالات وسلب الحرية الشخصية بدون سابق احكام وكعدم اعتناء السلطة الفرنسية براي اكثرية الامة الذي يجاهر به الوطنيون .

لهذه الاسباب جميعها وجدنا ان واجب الاخلاص يوجب علينا التداول

في الامور كلها لنجد لها حلا عادلا مرضيا للطرفين فقد رأينا على عقد اجتماع في جو خال من التأثيرات واخترنا مدينة بيروت وبحثنا هذه الامور من جميع اطرافها لنرفع النتيجة الى المراجع العليا ونكاشفها بما فيه مصلحة الامتين السورية والفرنسية ، لتبقى الثقة متبادلة ولتعود الطمانينة الى القلوب وتساعد على تحقيق النوايا الحسنة فيما يتعلق بارشاد وترقية سورية التي قطعت الجمهورية الفرنسية على نفسها عهدابايصالها الى المستوى اللائق بها من المدنية والاستقلال .

وقد كان اول عملنا درسنا بيان المفوض السامي فوجدنا بعد درسه انه يقضي علينا لفت نظره الى نقاط غامضة لم نتوصل الى حلها وهي :

١ ـ ان السلطة الفرنسية اطلعت كما قلنا على اماني البلاد وعرفت ما يصبوا اليه ابناؤها من الطلبات ومع ذلك ففي جميع التطورات التي تطورتها القضية السورية في المدة الاخيرة وفي جميع المفاوضات التي دارت معكم ومع اسلافكم وبعض كبار رجال فرنسا الذين قدموا سورية وتذاكروا مع وفودها ودرسوا حالاتها الاقتصادية والسياسية والادارية لم يات ذكر التحفظات التي ترتكز عليها سياسة فرنسا في سورية . وغير خاف ان التجاريب الكثيرة عند الامم التي وقعت بينها اختلافات دلت على ان اقرب الطرق لحل المشكلات وازالة سوء التفاهم كانت ومازالت بتعيين النقاط والمنافع التي يحتفظ بها احد الفريقين فبيان المفوض لم يذكر شيئاً من هذا القبيل ولم يشر اليه ولو من طرف خفي حتى ان التفسير الشفهي للبيان لم يتعرض لذلك ايضاً .

٢ ـ لم يتضمن البيان مايدل على عادة الحرية الطبيعية للامة في صحافتها واجتماعاتها وتشكيل احزابها ورفع الاحكام العرفية والغاء النفي الاداري وسياسة الابعاد ولا نص على العفو العام الذي يستطيع معه المعتقلون والمحكومون السياسيون والمبعدون عن اوطانهم الرجوع الى البلاد قبل

دخولها في تطور عملي جديد لكي يعملوا ويشتركوا في خدمة البلاد .

٣ ـ اعتبر البيان سورية اجزاء مفككة متباينة وراعى الطائفية والتقسيمات الادارية والاوضاع السياسية وغير خاف ان هذا الاعتبار يجعل الجسم السوري الذي لم يقو الحكم السالف على تجزئته وتفكيكه عرضة للوهن والضعف مع السنين .

٤ ـ يصرح بيانكم « ان الدستور سيضعه من يهمهم امره » ويفهم من هذا وجود من لا يهمهم أمره في البلاد مع ان الامة ما زالت تنتظر الدستور بفارغ الصبر وتلح بوضعه من قبل جمعية تأسيسية تنتخب انتخابا حرا لتكون ممثلة لها بأجمعها وتستطيع ان تحدد علاقات الطرفين والشكل الاداري الملائم لحالة البلاد الادارية والاقتصادية والسياسية وما تتطلبه من الاسس الكافلة لتنفيذ سلطانها القومي .

٥ ـ اشار البيان الى بقاء الدول والبلاد ضمن نظمها الحالية فهذه القضية لم تعالج بوضوح كاف وبطريقة حاسمة لانه ليس بخاف عليكم ان المصالح التي تفضلتم بالقول عنها « انها لم تكن في وقت من الاوقات منفصلة ومتفرقة» لا تضمن الوسائل المؤدية الى ازالة المنازعات فيما لو صح وجودها . وعقد الاتفاقات لا يكون ميسورا ما لم تصرح الدولة المنتدبة في مقرراتها واجراءاتها باعتبار سورية مجموعا كاملا يقضي ان يطبق فيه ما يحفظ جميع المقومات والمشخصات التي تحتاج اليها كل امة للمحافظة على قوميتها الخاصة .

٦ ـ ذكر البيان اهتمام الاسواق الفرنسية في انجاح سورية من الوجهة الاقتصادية ولكنه لم يتعرض لاقتصاديات البلاد الحالية وضرورة تحسينها بتخفيف الضرائب التي اثقلت كاهل السوريين واضحت اضعاف ما كان يؤديه المكلف في الماضي وما يتحمله انتاج زراعته وصناعته وتجارته ولم يعد

ينظر في امر الحواجز الجمركية وفي امر الشركات ذات الامتيازات التي رغم وجود الغبن في امتيازاتها لا تسير على شروط هذه الامتيازات الى آخر ما هنالك من الامور الداخلية التي لم يشعر الرجل السوري باصلاحها فلا كبير فائدة له من اهتمام الاسواق الفرنسية بأموره الاقتصادية .

٧ ـ ذكر البيان ان المفوض سيبقى متمسكا بالسياسة التي حددها المسيو دي جوفنيل بوضوح وجلاء والتي حصلت على موافقة الحكومة الفرنسية وجمعية الامم .. والمفوض السامي السابق عقد اتفاقا مع الدولة السورية مبنيا على هذه السياسة فهل ما جاء في هذا الاتفاق هو الذي سينفذه المندوب الحالي ؟ ان البيان لم يوضح هذا الامر .

٨ ـ اشار بيانكم الى تنظيم جديد في دوائر الانتداب ولكنه لم يحدد العلاقات التي ستكون بين هذه الدوائر والحكومة المحلية وعلى من تقع المسؤولية فيما يرتأيه المستشارون اذا وقع اختلاف او خطأ ونحن نرى حتى اليوم ان الحكومة المحلية تتحمل مسئولية تنفيذ اجراءات عديدة لم تكن صادرة عن فكرتها الخاصة . وعلى هذا ضاعت المسؤولية وضعفت كفاءة الموظفين الوطنيين واضطربت المعاملات .

٩ ـ ذكرتم ان الدولة المنتدبة « لاجل صيانة الملك » ستقوم بنوع خاص بمراقبة المصالح وذلك على ما تبين لنا بأحداث مصالح مشتركة فهل يفهم من هذا ان هذه الدوائر ستتولى توثيق عرى الاتحاد والوئام بين الملل التي ذكرتموها وعلى اي اساس يكون .

١٠ ـ يقول البيان ان عدم الصبر لا يعجل في الحل المرغوب فيه بل يمكن ان يعود بتأخير وان العنف يقوض اعدل الآمال وهو قول حق ولكن الا تظنون ان السنين التي مرت بدون استقرار على سياسة مرضية بدليل سرعة

تبدل الاوضاع الادارية والسياسية ومخالفة هذه الاوضاع رغم تنوعهما للاماني الوطنية يحمل على ادخال اليأس في نفوس المفكرين ويولد القلق في افكارهم لانهم طالما سعوا لمداواة ذلك بالطرق السلمية والقانونية فلم يجدوا التسهيلات المطلوبة وكان سعيهم وبالا عليهم وعلى حريتهم .

النتيجة : ـ فهذه النقط الغامضة في بيان المفوض السامي هي التي وجدنا ضرورة رفعها اليكم ولفت نظركم اليها كما ان الاسباب الداعية للتفكير في تقرير مصير الحالة الحرجة تنحصر في عدم اضاعة الجهود والاتعاب المبذولة في سبيل انماء مواهب الامة واستثمار خيرات البلاد وهذا ما يقوي رغبتنا في التفاهم والعمل المشترك مع الامة الفرنسية الحرة توصلا لهذه الغاية ويدعونا لان نضيف الى ذلك الكلمة الآتية :

ان السوريين في الحاحهم على الشعب الفرنسي بتحقيق امانيهم لا يطلبون خلق حالة سياسية جديدة لان البيانات والمعاهدات اعترفت باستقلال سورية واعترفت للسوريين بالجدارة بحكم انفسهم فهم اذن يطلبون حقا كانت الدولة الفرنسية قد ضمنته لهم وحرمتهم منه سياسة بعض الموظفين الفرنسيين في سورية الذين تجاوزوا حدود النصح والارشاد مما ادى الى جر فرنسا لمواجهة المواقف المضربة في سورية ولهذا فنحن واثقون بأن وجهة نظر الدولة الفرنسية ووجهة نظر الوطنيين يمكن بل يجب ان يتفقا ويتحدا ونحن نعتقد ان في فرنسا امة نبيلة تؤيد قضيتنا الوطنية وتعطف عليها وتريد اعادة الثقة بيننا وبينها وهذا ما يؤكد لنا تمسك الشعب الفرنسي بالعدل ويدلنا على لزوم التعاون المشترك المبني على تبادل المنفعة وتعيين واجبات الطرفين .

هذا واسمحوا لنا ياجناب المفوض ان نذكركم بطلبات امتنا التي قدمت اليكم سابقا بلسان وفودها في الداخل ووفدها في الخارج والتي بسطناها اجمالا في هذه السطور ووعدتم قبل سفركم الى فرنسا بدرسها ومعالجتها

والآن لا نعلم مصيرها ولا نسبتها فيما تنوون اجراءه وقد وجدنا انه جدير بنا لفت نظركم في الختام الى لسان حال امتنا في الظروف الحاضرة فهو يخاطبكم قائلا :

طلبتم منا الصبر فصبرنا وحسن الثقة فوثقنا فهل يرضيكم بقاؤنا متذمرين شاكين مقيدي الحركة مفككي الاجزاء ؟ اننا لا نصدق ذلك ولا نريد ان نصدق اننا عندما نطلب منكم النظر في قضيتنا بانصاف ونسألكم تعديل ما هو ضروري تعديله واصلاح ما هو واجب اصلاحه من المواقف والتدابير غير المرضية ان تتهمونا بأننا اعداؤكم وان مصالح الانتداب مهددة مع اننا ادرى الناس بالامر الواقع ونياتنا الحسنة .

هذا هو لسان حال الامة نعيده على مسامعكم ونزيد عليه باننا لسنا اعداء فرنسا التي عرفناها بعلمها وحريتها ومدنيتها وتفانيها في خدمة المبادىء الانسانية ولهذا رمينا بهذا الاجتماع الى تذكيركم بأن الامة السورية مستعدة لمد يد الصداقة والمصافحة ونسيان الماضي المؤلم كلما وجدت تحقيقا لامانيها وسيادتها القومية ــ ا هـ » .

على هذه الصورة الاليمة انطوى علم الثورة السورية وانوادت جذوة الحماس الوطني الذي طالما تأجج والذي طالما كان عنه من الاعمال المجيدة والافعال الحميدة ما لا يمكن لمنصف ان يتجاوز عنه او ان ينساه وهكذا سجلت الامة السورية العربية على صفحة فؤادها الى المفوض السامي الفرنسي المسيو بونسو ما تسجله الامم المغلوبة على امرها في تاريخها من الم ممض وكدر يحز النفس وتأثير مرير لا مزيد عليه .

لقد اخذ هذا الرجل بالصمت حينا وبالمساوفة احيانا وبالوعد تارة بزعم تدقيق الامور طورا فكان بين هذه الادوار التي اتقن تمثيلها في منعطفات المسرح السياسي وتضاعيفه أبرع ممثل بالنسبة الى امته على راي قصيري البصر قليلي الادراك غير عارفي الدهر ومختبرات الايام وكان من ناحية ثانية

يذر الرماد على تلك النار التي ظن بانها قد انطفات ابدا وانها لن تعود ان تصلي بنارها احدا وان الوقدة الاخيرة التي اتقدتها مضت وخبت وانطفات ولم يعد لها من حرور او اثر .

اننا نقول الى المسيو بونسو انك اخطات نحو امتك كما اخطات نحو الشعب العربي في سورية كما نريد ان نثبت له هنا اننا ما كنا نأمل من رجل بعثته امته ليكون الرسول الامين الحامل الى السوريين نبل الشعب الفرنسي مخدرا الشعب السوري وممنيا اياه بمعسول الوعود التي كانت في النتيجة برقا خلبا .

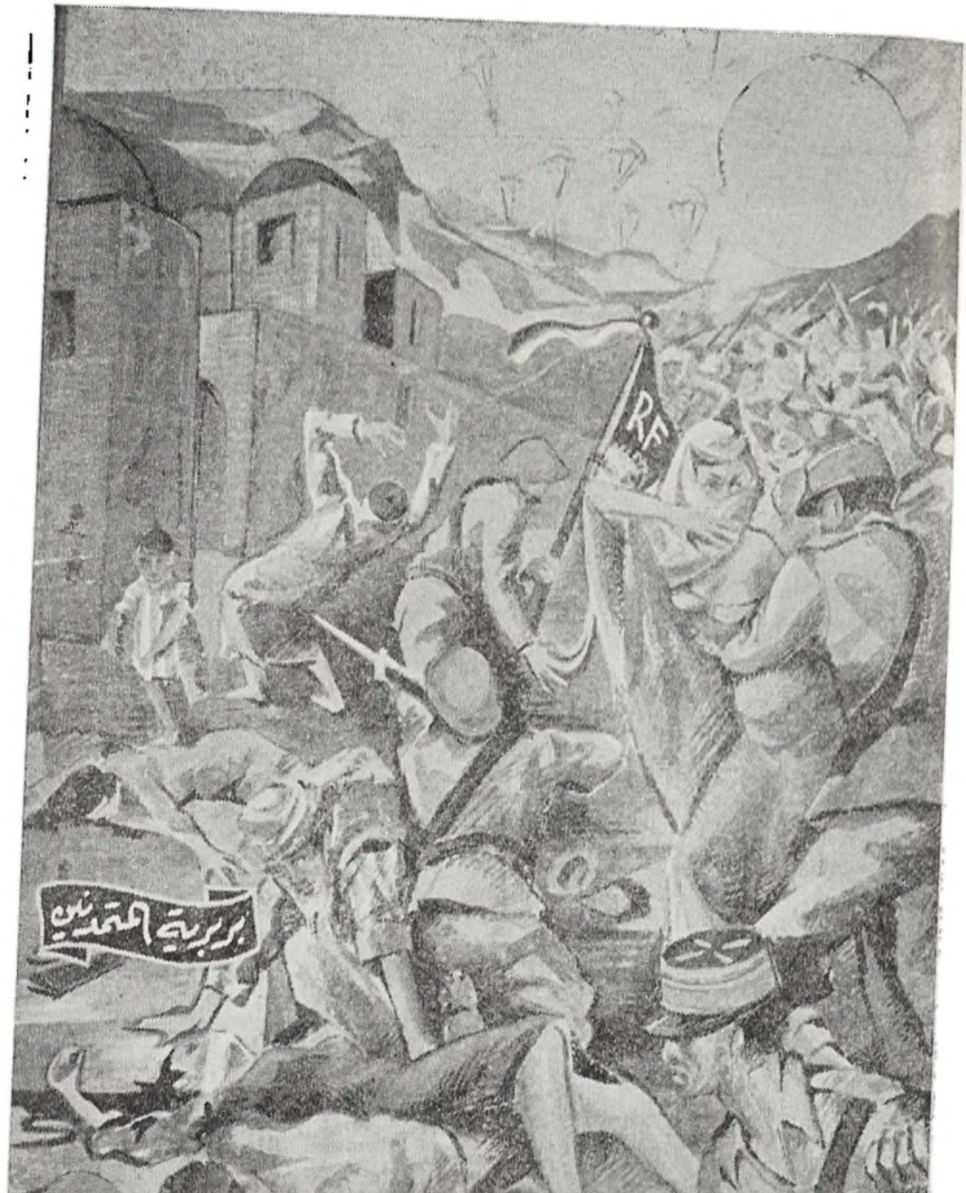
ما ظن الوفد بأن الفرنسيين سيكلون امرهم في سورية الى مفوض سام ينطق باسمهم بالتسويف والمماطلة وبالعهود التي لم ينجز شيئا منها بل كانت الامة السورية على امل كبير ورجاء لا يخيب بان الشعب الفرنسي من دون الحكومة اهل لكل مكرمة ومحمدة حتى كان من المفوض السامي ما كان فانقلبت الآية واصبح كل انسان يخشى كل افرنسي على وجه الارض .

وصفوة القول :

فلكل ما تقدم ذكره من الحوادث والمعارك وبينما كانت المفاوضات قائمة على قدم وساق بين الوطنيين من مختلف الهيئات ورجالات البلاد من جهة وبين الفرنسيين من جهة ثانية وكلا الطرفين يعلقان عليها وطيد الآمال كانت الاعمال الحربية ، ورحى القتال مستعرة بضراوة وشراسة لم يعرف التاريخ لها مثيلا بحيث تتأجج الحرب والطعان بين حين وآخر والتهب اواره حتى عم جميع البقاع وتجاوز عنان السماء حمما ونارا فسالت ينابيع الدماء ، وفرشت الاراضي بالاشلاء وكان النصر معقود لواءه للابطال المجاهدين الذائدين عن حياض الوطن رغم كثرة العدو ، ووفرة ذخائره ومعداته وقد كاد المجاهدون ان يقطفوا ثمرات النصر ولكن حدث في هذه الآونة ما لم يخطر على

بال انسان مما نمسك القلم عن ذكره لما يحز في النفس من مرير الآلام اسفر عن تسرب الضعف الى الثورة ، والوهن في العزائم ، وتفرق الكلمة ، وتعدد النزعات ، وفقدان العتاد ، ونفاذ المعدات انتهت بقيام الجيش الفرنسي بهجوم غادر في الثلث الاخير من شهر تموز ١٩٢٦ وجرت مذابح ومعارك ضارية وبالسلاح الابيض بين المجاهدين والفرنسيين بلغت شدتها حتى اوائل ايلول عام ١٩٢٦ انتهت بتراجع الثائرين وجلائهم عن الجبل والغوطة وغيرها من مناطق الثورة وهو ما كان نذيرا بانتهاء الثورة ، واخماد لهيبها ، ومع ان الغوطة كانت معقلا حصينا للمجاهدين الابطال اعمل الثوار بالاعداء ذبحا ذريعا ، وتقتيلا شنيعا ، وفتكا مريعا لم يضع الجلاء عنها الحد الاخير للحركات الحربية بل ظلت المناوشات بين الطرفين بين آونة واخرى حتى اوائل نيسان عام ١٩٢٧ اذ سكنت اصوات المدافع وهدأ أزيز الرصاص الذي ظل يلعلع بشدة نحو سنة وتسعة اشهر وقد بلغت خسائر الفرنسيين في هذه الثورة حسب ما جاء في تقاريرهم الرسمية بأكثر من (٣٠٠) ضابط وما يقرب من عشرة آلاف جندي اما ضحايا المجاهدين فلم يكن من الممكن الحصول على احصاء دقيق بهم الا انها من المحتم انها كانت اقل بكثير مما خسره الفرنسيون باستثناء ما هي عادة الفرنسيين والمستعمرين من الحاق الاذى والتنكيل بالابرياء المدنيين الآمنين الذين كانوا ضحية الظلم والتشفي والانتقام.

وبعد ان عجنت تربة الوطن بدماء الابطال الشهداء ، والضحايا الابرياء وهذه الدماء الذكية لم تجف بعد حيث وقفت البلاد موقفا اشد سلبية وحتى اقنعت الوطنيين بالدخول في مفاوضات لانتخابات جمعية تأسيسية تضع قانونا أساسيا للبلاد ثم تتولى الحكومة الشرعية عقد معاهدة مع فرنسا تحل محل صك الانتداب ولكن حنث الفرنسيون بالمعاهدة وبالعهود كعادتهم وتجددت الاضطرابات الرهيبة وقامت المظاهرات الدامية في طول البلاد وعرضها مما سنأتي على ذكره وتفصيله في كتاب مقبل نصدره ان شاء الله وهكذا لم يهدأ


بربرية المتمدنين

للفرنسيين بال او يقر لهم قرار الى كان عدوانهم الاثيم الذي انتهى بأعياد النصر والجلاء عن ارض الوطن ، وتحقيق الاماني القومية العربية التي أعلنها المواطن العربي الاول بطل الجلاء السيد شكري القوتلي بتاريخ ١٧ نيسان ١٩٤٦ الذي كان رئيسا للجمهورية يومئذ وفيه تم جلاء الجيوش الاجنبية عن البلاد ..

ففي سبيل الله ما قاسى السوريون العرب في هذه الثورة من آلام وما ضحوا من ارواح ودماء . وفي سبيل الله ما جاهدوا ودافعوا وناضلوا (ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوي عزيز) .



من اشهر قادة الثورة بطل الجلاء
المواطن العربي الاول الرئيس شكري القوتلي

شهداء الثورة السورية العربية

مرتبـــة على حروف الهجاء

لقد سبق لنا ان المعنا في صدر كتابنا هذا الى ان الرائد الذي حدا بنا لتاليف هذا الكتاب هو ذكر الاحسان للمحسن والاساءة للمسيء من غير ان نولي وجهنا شطر شخصية ما او فئة من الناس دون فئة ومن غير ان نتقيد بمذهب او عنصر او دين .

فعلى هذه الصفحة المجيدة نثبت آيات الخلود وعلى هذه اللوحة لوحة الفخار نعدد اسماء الابطال الذين قضوا في سبيل العزة القومية وفي سبيل النجدة الوطنية وفي سبيل الواجب الاقدس في سبيل سورية الحبيبة والعروبة العزيزة والحرية الحمراء التي صبغوا جوانبها بدمائهم الذكية .

هؤلاء هم حملة المشاعل امام الجيل الآتي وهؤلاء هم رافعوا لواء المجد امام العصور المقبلة وهؤلاء هم الائمة الذين اختطوا على صعيد هذه البلاد بتلك الدماء والاشلاء اسطر التضحية الصحيحة لتكون بذرا في الثرى ينبت في الايام التي ستتلوا هذه الايام نشأ جديدا حديثا رضع المفاداة وتغذى بلبانها وتنشق نسيمها وسار على غرار هؤلاء الابرار .

فهؤلاء هم كالنجوم ولكن الخوارق منها واللوامع لا الخواسف منها والكوامد وهؤلا هم كالبدر المشرق الكامل لا كالهلال الناقص الغادي وهؤلاء هم كالشمس المتألقة الطاعة لا كالتي يحجبها الغمام ويسترها الظلام .

انا اذا اثبتنا على هذه الصفحة النصعاء النقية البياض ذكر هؤلاء الاعلام من الامة انما نسجل الفخار مقرين لذويه بالايثار والافضلية ومعترفين لبنيه بالاولية والاسبقية فهناهم من رجال كانوا القادة احياء وامواتا وكانوا العبرة

تحت الشمس وتحت الثرى وكانوا المثال الذي يحتذى فوق الارض وتحت القبر .

ان هؤلاء الافذاذ لم يموتوا ولن ينسوا ولا الايام والليالي بقادرة على ان تمحوا معالمهم على كر الدهور ومر العصور فلهم من الامة مزيد الشكر ومن الله جزيل الاجر فانفاذا لهذه الغاية المجردة والهدف الاعلى من الاعتراف بفضل الاحرار وجهادهم لاندحة لنا عن ان نشيد بذكر الاخوة الاكارم والابطال الجحاجح والفرسان المغاوير بنو معروف الاشداء البواسل وغيرهم من الابطال السوريين العرب وقد جنحنا الى البدء بذكر شهداء بني معروف لان الثورة السورية شبت في جبلهم الاشم ومنه عمت سائر الاقطار السورية

ان هذا العنصر الكريم عنصر بني معروف الابطال يكاد ان يكون كالتبر المذاب لا بل كالدرة اليتيمة في عقد الثورة السورية المجيدة فهم اولوا هذه الثورة اثابهم الله من ذات اليد وذات النفس ما يعجز عن توصيفه هذا الطرس فهم بحق اسود الشرى وهم بنبل رجال الوغى وهم عن جدارة رجال المعارك في كل ساحة وفي كل موقف وفي كل مكان وقد المعنا بهذه النبذة اليسيرة عن خصالهم الجليلة واعمالهم العظيمة ونحن ندري بأننا لا نوفيهم حقهم ولا نؤديهم قسطهم وما هم جديرون به من الاشادة بكل محمدة لهم ومفخرة .

فالشهداء الابرار منهم الذين سنأتي على تعداد اسمائهم مع كلمة يسيرة جدا تعطي الفكرة عن ذلك الشهيد الحي منهم وهي كل مااستطعنا بعد الجهد الجاهد والعناء العظيم ان نبلغها بكل شقة فما نعتذر به الى اسر بني معروف العريقة الامجاد والشرف هو اننا كنا نود ان نطلع على العالم بالصفحات النواصع من التاريخ الابلج لهذا القوم العزيز على العروبة والكريم على المروءة والعظيم بكل افعاله ولكن هذا هو كل ما تمكنا من بلوغه على اننا لنرجو ان يتخذ اخوتنا بنومعروف مما يقرؤونه في كتابنا هذا عنهم اسمى ما نتحمله من اقرار بالرجولة واعتراف بالبطولة وذكر لكل ماقاموا به ويقومون من شجاعة وحماس في كل حين وآن .

الشهيد اسماعيل الاطرش

صلخد من القرى التي ساهمت في الثورة السورية وانجبت رجالا وبعثت بابطال في كل المواطن وفي كل المعامع وفي جميع المعارك منهم فقيدنا الشاب النبيل الذي لم يكن له في معركة الكفر التي لبى بها داعي الله عام ١٩٢٥ الا عشرين عاما قضاه بالواجب المفروض على كل فتى في ريعان الصبا في الجبل الاشم من كفاح الى نضال في سبيل الله والعروبة والوطن .

الشهيد اجود البربور

الشجاعة الفائقة والتضحية الحقة والاخلاص الاكيد هذه هي المزايا التي اتصف بها فقيدنا الشاب فهو على ما كان عليه من الاربع والعشرين عاما من الشباب وعمر الفتوة وريعان الصبى كان كمن خاض معارك عدة وجلى في مواقف كثيرة . لم تسعده الايام بأن يخوض غمار قتال الا في الثورة السورية ولكنه قام بواجبه فيها كما لو كان مارس الحروب من قبل ان يخلق بمئات السنين فقد ابلى بأعدائه اوفر بلاء وقاتلهم اشد قتال ولم يرتد عما جاهد لاجله الا وقد نال مبتغاه ولم ينكفيء قافلا عن هدفه الا بالموت الذي تطلبه كثيرا فبلغه عن طريق المروءة والحمية والشرف والنضال في ساحة المجد فخر قتيلا في موقعة تل خاروف المكان الواقع على تخوم الجبل الاشم وقرى حوران من بعد ان ناضل نضال الاسود وابلى بالاعداء البلاء الاوفى وكال للاخصام الصاع صاعين والبطولة بطولتين قضى والقوم يكبرون به الشجاعة والحماس ويتخذون منه المثل العليا وشديد المراس .

الشهيد احمد البربور

الخؤولة والعمومة كالاخوة والابوة ينتقل اليها كريم الشيم وحميد الخصال كما تنتقل من الاب الى الابن ومن الشقيق الى الشقيق فهذا الشهيد بن عم اجود وحميد وساهم هذا الفقيد في ثورة ادهم خنجر الى السلطان وغادر في

حروب العشائر وهو حديث السن بعد وقاتل قتال الاسود عن العرائن وناضل نضال النمور عن الحمى وجاهد في سبيل ثلاث الله والوطن والعروبة وظل يكافح من اجلهم وفي سبيلهم حتى كان في موقعة تل خاروف مع من استشهد من بني عمه تاركا له هذا الذكر الذي لايمكن لعمري ان يتلى الا وتأخذ بمجامع نفسه مشاعر يرى فيها ان العربي خلق للموت شريفا او العيش الصحيح حيا فحيا الله ذكر هذا الشبل الذي لم يتجاوز الثلاثة والعشرين ربيعا حتى ختم حياته المقدسة بأعظم الذكرى والخلود .

الشهيد احمد الخطيب

لم يساهم فقيدنا هذا في الثورة السورية في جبله الاشم فحسب بل انه كان من انصع الابطال افعالا في حوادث الغوطة ومعاركها فهو الذي انجبته قرية طربا فرفع رأسها عاليا وكان احسن ممثل لرجالها اذ ختم الخمسة والاربعين سنة من عمره الحافل بجليل الاعمال في معركة معلولة في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ يسجل للبلد الذي اعتزت به آيات الفخر بشهادته السامية .

الشهيد احمد صعب

هذا الشهيد الذي كان علما من اعلام قرية الشريحي والذي سلخ الخمسة وثلاثين عاما من عمره قام باعظم الواجبات الوطنية وخاض اكثر المعارك الحربية التي نشبت ابان الثورة السورية وآخر ما اتم به جهاده الشريف في ٢ آب سنة ١٩٢٥ في معركة المزرعة الشهيرة حيث قضى واجب الجهاد الاكبر .

الشهيد اسماعيل المتني

عندما خر شهيدا هذا البطل المغوار في معركة المزرعة في ٢ آب سنة ١٩٢٥ لم يكن له من العمر الا اربعين عاما قضاه في اعظم ما يكون عليه الرجل الشجاع والكمي الكبير فهو بحق مفخرة قرية الكسيب وهو عن صدق رجل

المعارك ابلى فيها البلاء الحسن حتى كان لـه شرف الموت دفاعـا عن عـرض ووطن ودين .

الشهيد ابراهيم نصـر

المعركة التي استشهد فيها هذا الفقيد العظيم معركة الزباير في اللجـاه التي نشبت في ايار عام « ١٩٢٦ » فكان بطلها غير المدافع وكان فارسها غير المنازع وكان الرجل الذي ظل يناضل ويجادل ويجاهد حتى رفع راس قريـة نجران باعماله فقضى في الثاني والاربعين من عمره يملأ تلك البطاح فخرا ومجدا .

الشهيد توفيق الغوطاني

هذا الفقيد من طراز التي نوهنا عنها قريبا وقلنا انها بالحقيقة قد ساهمت في الثورة الشريفة برجالها فكان هذا الفقيد من جلة من جعل لها في العالم اسما كبيرا ومن فرسانها المعدودين الذين ابلوا وكافحوا في اعظم المعارك وخصيصا في معركة رساس فناضل حتى استشهد في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وليس له الا ثمان وثلاثين عاما طوى آخره بالشهادة التي كم حن الكثير اليها .

الشهيد جميـل عز الدين الحلبي

هذا الشهيد البطل كان علم جبل العرب الخفاق في المعارك ولواءها المرفوع في كل واقعـة وآخر ماختم به هـذا الشهيـد عمره الذي ماتجاوز الاربعـة والعشرين عاما استشهاده في اللجاه عام ١٩٢٧ في المعركـة التي نشبت في قرية الشما .

الشهيد جبر شغلين

اسرة شغلين لها النصيب الاوفر من مشاطرة الثورة السوريـة فهي قد طلعت

علينا في عالم ثورتنا برجال اشداء نذكر منهم شهيدنا الفذ جبر الذي كانت له في المعارك حملات عنيفات وهو الذي ماسلخ الثلاثين من سنه حتى كان في معركة صميد ٩٢٦ وفي وقائع اللجاه يجول جولات ويندفع نحو الموت اندفاعا حتى كان منه ما اراد فاثبت انه من ابطال مغاوير ورجال صناديد يلقى الله بقلب ملؤه ايمانا .

الشهيد حامد الحلبي

شهيدنا الشيخ ابلى اشد البلاء في الاعداء وكم جندل العدد الاوفر من الاخصام وكم صمد في المعارك فهو على شيخوخته كان عامر الزند مفتول الذراع يعلم الاجيال الكر والفر وهو من كبار الاثرياء في جبل العرب الذي كان قد انهى سن الخمسين في معركة المسيفرة ومعركة ازريق فكان فيهما آية النزال والاقدام اللذين قربا خطواته وعجلا بروحه أن تنطلق الى العلياء .

الشهيد حمود الحلبي

من قرى جبل العرب الاشم التي بعثت بشبابها وشيوخها الى هذه الثورة الكريمة ليعلوا شانها ويرفعوا منارها قرية المشقوق التي ظهر بها فقيدنا الكهل الموصوف بالسخاء المعروف بالجرأة المشهود له بالحمية والحماسة والمروءة فهو الذي كان فيمعركة الكفر من الصناديد الابطال الذين ثبتوا وصبروا وجاهدوا حتى اذا ما بلغ الثلاثين من عمره الا وقد لحق بربه يؤثر قرباه على هذه الدنيا الفانية .

الشهيد الامير حمد بن شبل الاطرش

من جلة الامراء الذين كانت لهم المواقف المشهودة من هذه العائلة النبيلة عائلة الاطرش الكريمة الامير حمد بن شبل الاطرش وهو بالحقيقة شبل ذلك الاسد الذي يمت الكل الى ذلك الليث الاول من هذه الاسرة العظيمة كان هذا

الامير من اكابر واعيان قرية عرى التي تالبت فيها الزعامة والتي كـــان اميرنا الملمع اليه باجماع الكلمة امير الجبل بعد وفــاة الامير سليم . قــام بالواجب المفروض ودافع الدفاع المشهود وجال جولات عديدات سطرت له في موقعــة عرى آيات الشجاعة مصحوبة بالفروسية والبطولة وكان العزيز عليــه ان يخر صريعا في فراشه فظل يناضل حتى بلغ مناه من الشهادة في تلك الموقعــة عن عمر ناهز الثلاثين عاما فهو امير الوغا كما كان امير الجبل .

حمد بن قاسم الاطرش

قرية عنز في الجبل الاشم من القرى التي انجبت اشبالا واخرجت صناديد وابطالا فشهيدنا هــذا الباسل لم يكن لــه الا خمســة وعشرين سنة يوم قــام بضروب الحماس والنعرة الوطنية المغروسة فيه ويوم ان حضر المعركة بموقعة رساس فاظهر هنالك مما يشهد له بانه من هــذا العنصر الكريم العربي الدرزي مالاح معه في ساحات الشرف لوحات غر في آخرها يشهــد السماء والارض على انه ابلى البلاء الاقدس في سبيل الوطن والعروبة فاستشهد هنالك يرفع راس قريته في الميادين والســاحات .

الشهيد حمد البربور

من الابطال الاشاوس الذين يشار اليهم ويعتمد عليهم يوم الملمات قـاتل الاتراك منذ ان كان يافعا في حروب سامي باشا الشهير ثم انضوى تحت لواء المليك الاول للثورة العربية الكبرى المغفور له فيصل بن الحسين وظل صــادق العهد وفي الوعد امينا على من كرس نفســه اليــه حتى كان الاحتلال الفرنسي فلم يوآت الفرنسيين ولم يواليهم بل ناواهم وقارعهم تحت لواء الثورة السورية في ظل السلطان واشترك بمعارك عدة تشهد ببســالته وكان من المدربين الخبيرين وكان على علم بمواقع القتال ومواطن الحروب يركن اليه الكثيرين من بني معروف فيعملون برايه الصائب ويفاخرون بتفكيره الناضج . ظل هذا المقدام يبدي من

حين الى حين آية جديدة على البطولة حتى كانت واقعة تل الخروف فخر قتيلا في ساحة الشرف الى اخيه اجود (من سبق ذكره) وماكان يسود ان يحيى من بعد اخيه الشهيد ابدا ولعمري هذه بطولة خارقة يجب ان تسجلها لهالاقلام في بطون التواريخ .

الشهيد حمد عامر

هذا الفقيد الفحل والشيخ المهاب يعد ركنا كبيرا من اركان الثورة والذي انتخبته قرية البثينة ليكون لسانها الناطق في الثورة السورية الكبرى وليكون علمها الخفاق فيها فكان في الحقيقة عند ذلك الظن الحسن فساهم في اكثر الوقائع حتى كانت واقعة المزرعة الاخيرة عام ١٩٢٥ وفيها كافح وقاتل حتى ختم الخمسين من عمره بأن احرز لقب شهيد في سبيل العروبة .

الشهيد حمود مقلد

رامي من القرى المعدودة التي كان لها القسط الوافر في الثورة السورية بحمد وفخر فهي التي كانت ترسل بالبطل من رجالها اثر البطل وبالصميدع اثر الصميدع ومن جملة من بعثت به الى ميادين الجهاد ونال شرف الاستشهاد في الثاني من آب عام ١٩٢٥ بواقعة المزرعة في الخامسة والاربعين من عمره فقيدنا الكبير حمود مقلد .

الشهيد حمدان مقلد

انا لانغمط حق هذا الفقيد ايضا فهو من نفس القرية وفي نفس التاريخ وعين الواقعة وبنفس السن الذي المعنا اليه عندما ذكرنا منقب سلفه الشهيد حمود فشهيدنا حمدان لا يقل تضحية عمن تقدمه ولم يكن ادنى منه في حلبة المعامع جولانا وفي عظيم المعارك اخذا وردا اذ ختم كسالفه حياته بنظير ما ختمها بها ذاك .

الشهيد حامد سلام

من ابطال بني سلام وشجعانها ومن فرسانها واكابر عيونها هذا الشهيد الكبير الذي نشا في قرية الطيبة على حب الرجولة والشجاعة حتى اذا ما كانت الثورة السورية هب لمشاطرة اخوانه فيها العمل فجاهد الى ان كانت معركة تل الحديد عام ١٩٢٦ وفيها قام بأعظم قسط من الواجب المفروض فقاتل حتى قتل وهو في الاربعين من عمره يعلن للملأ انه جذلا طروباً بما انتهت اليه حياته من استشهاد في سبيل الله والوطن .

الشهيد خزاعي سلام

ليس بدعا عن ان ينجب بنو معروف اسرة بعد اسرة وعائلة بعد عائلة تحمل لواء الشرف عاليا في الجبل الاشم فهذه الاسرة اسرة سلام في عداد الاسر العريقة بالمجد والعوائل الشهيرة بالسؤدد وشهيدنا خزاعي هذا من هذه العائلة النبيلة التي زينت مفرق قرية الكسيب بأحد رجالها الذي ناتي على ذكر مناقبه لقد ساهم هذا الشاب في المعارك العظيمة حتى انتهى به الامر الى معركة العادلية في الرابع والعشرين من اغسطس سنة ١٩٢٥ وفيها لم يكن له من صباه الا ست وعشرين عاما وفيها شاء القضاء والقدر ان يلحق هذا الفتى بمن سبقه من صناديد وابطال شهد العالم لهم بالفروسية والبطولة فنال رفعة الشهادة في هذه المعركة من بعد ان كان مثالا لمن بعده من شيبة وشيب .

الشهيد خزاعي ناصيف

« عراجي » لم ترض بان تكون اقل شأناً في هذه الثورة عن اخواتها قرى الجبل الاشم فهي التي اوفدت شهيدنا المفضال الى الثورة السورية فكان بطل معاركها الى ان كانت واقعة المزرعة في عام ١٩٢٥ وفيها دمر اعداءه جهد طاقته حتى خر صريع الواجب ولم يكن له الا ثمان واربعين عاما سلخه بما يزهي ويعجب .

الشهيد دخيل بن عودة اسحاق

هاهو التاريخ قد اتى اليوم يؤيد بدم الابطال المسيحيين ان الثورة عربية حقيقية غير اسلامية طائفية مسيحية فحسب او يهودية او غير ذلك مما ينعت الغرب هذا الشرق من حين الى حين بما بالواقع براء منه . ان هذه الثورة ليست مسيحية فحسب ولا اسلامية فقط ولا يهودية وانما هي ثورة قام بها وانضوى تحت لوائها كل عربي سواء اكان يعتنق الاسلام اوالنصرانية

وفيما يلي من ذكر الاخوة المسيحية الاشاوس الذين برزوا في ساحات القتال ادل برهان وادمغ حجة على صدق ما اتينا على ذكره .

هنا هو دخيل الشهيد من قرية عرى احدى قرى الجبل العزيز المنيع يقاتل لا للمسيح ولا لاحمد بل للوطن الاعلى والعروبة العظمى وسوريةالحبيبة وهو من المزارعين المعروفين في بلده خاض غمار معركة عرى حتى كان من الظافرين بان سجل على اللوح الذهبي اسمه واسم اخوانه رفيقا فكان من المستشهدين فداء المبدأ الاعلى ولم يكن له يومئذ الا ثلاثين ربيعا .

الشهيد سلامة بن حنا نويصر

هذا الاخ من الاخوة المسيحيين الذين شاؤوا ان يفقؤوا حصرما باعين من يرمي الثورة بالعصبية والانحياز ويخرج بها عن حقيقتها التي كانت بها ولاجلها .

شهيدنا الباسل من الكهول الذين لم يقعد بهم السن عن ان يكونوا محنكين ذوي خبرة في الجهاد والنضال وقد اثبت ذلك في المعارك التي حضرها وعلى الاخص في واقعة المزرعة ولم يكن له يوم ان استشهد ذودا عن الحمى الا خمسا واربعين سنة .

الشهيد رشيد ابن علي عبيــــد

على حداثة سن هذا الشهيد وعلى يفاعة صباه قام بواجبه الاكبر في هذه الثورة اعظم قيام وما ذكر عنه انه لاقى في سبيل وطنه من المشاق وسوء العذاب ما لا يتحمله جبابرة الرجال وابطالها اذ انه القي القبض عليه في عمان وسلم للسلطة الفرنسية في درعا ومنها اقتادوه مشيا على الاقدام حتى السويداء وهناك وجد من بعد بلوغه اياها بثمانية ايام قتيل الظلم شهيد السم اذ وجد جثة هامدة مسمومة فحياة هذا الفتى مثال رائع للشباب من بعده يجب ان ينهجوا منهاجه وان يكون لهم في الوطنية الكبرى قدوة صالحة .

الشهيد سالم ابن حمود الاطرش

في جملة من فاخرت به قرية السويداء من البواسل هذا الشهيد الفتى الذي لم يساهم بالثورة السورية في جبله الاشم فحسب بل ناضل في الغوطه فكان اللولب في معاركها وكان الفذ الجحجاح في مواقعها حتى كانت معركة الشبعا الاولى وفيها رحل عن هذه الدنيا يود الآخرة عام الف وتسعمائة وخمس وعشرين وعاش خمسا وعشرين سنة كان فيها موضع الاكبار جهادا وبسالة .

الشهيد سلمان ابن حمد الحلبي

من وجهاء قرية عرمان ومن اعيانها العاملين في الحقل العام للوطنية وممن برز في معركة المسيفرة الشهيرة وكان فيها مثال الاقدام والحماس وعنوان المكرمة والصولة والجولان هذا الكهل لا بل هذا الشهم هذا الفقيد العظيم الذي ظل يجاهد في سبيل الله والوطن والعروبة حتى قضى نحبه يعتز بانه كان في عداد من نال رتبة الشهيد عند الله في هذه المعركة التي ابلى فيها بلاء حسنا في آخر العمر الذي كان عبارة عن خمس وثلاثين سنة فهو من المشاهير المعدودين ومن الابطال الشهيدين .

الشهيد سليمان ابن صالح الحلبي

ومن نفس القرية وفي ذات المعركة ومن الرجال العظام والابطال الفخام والشيوخ الاجلاء هذا الشهيد الذي ختم عمره الاربعين عاما بعد معارك عدة علم الشباب فيها النضال والكفاح قضى شهيدا بعد ان خاض عديد المعارك يسجل في بطاح الجبل وفي بقاعها وعلى الحصى ورمالها بدمه آية جهاده الخالد .

الشهيد سلامة بن محمد محرز الحلبي

نعود الى لاهته تلك القرية التي المعنا الى ما لها من مفخرة ومحمدة فيما مدت به الثورة من رجال فهذا الشهيد الكبير بالافعال الحديث بالسن كان مع من ناضل في معارك اللجاه ومع من دافع عن امته وذب عن وطنه واجاب صوت ربه في الخامس والعشرين من عمره رمزا للبطولة والشباب والفتوة والصبا .

الشهيد سعيد سلام

في واقعية العادلية في الرابع والعشرين من اغسطس عام ١٩٢٥ كان شهيدنا الفارس المغوار في هذه المعركة والاسد الشاري في تلك الموقعة وهو احد من مثل قرية الطربا التي هو منها احسن تمثيل وقد كان شابا قائما بواجب الصبا وحق الفتوة في ميادين الشرف احسن قيام لهذا ما كاد ان يأتي على الثلاثين من عمره الا وقد تجندل في هذه المعركة يحيي مجد آل سلام ومجد بلاده ومجد العرق الذي تحدر منه شهيدنا سعيدا خالدا على المدى .

الشهيد سعيد ناصيف

في الخامس والعشرين من تشرين الاول عام ١٩٢٥ وفي معركة رساس كان لشهيدنا هناك الاسم اللامع والذكر الشاسع والصيت البعيد وفي هذه المعركة التي بعثت به قرية دوما اليها والى غيرها من المعارك وفي تمام الخمسين من عمره كان هذا الفقيد شهيدا مذكورا محمودا مشهورا بما قام به من فرض محتوم وواجب لازم نحو الامة والوطن .

الشهيد سليم سلام

بئست واقعة المزرعة التي افقدتنا كما مر وسيمر رجالا افذاذا وصناديد ابطالا وبئست هذه الواقعة التي وان كان رجال الثورة قد برزوا فيها وخلدوا لهم الاسم الذي ما يتأتى للاجيال القادمة ان تنساه ولا يمكن للعصور المقبلة ان تسلاه ولكن فقد واحد كأمة يضعضع ويهلع فممن كان في هذه المعركة كالرئبال ايضا هذا الفقيد سليم الذي بعثت به قرية الشريحي الى هذه الثورة فكان عند حسن الظن وكان عندما كان يطلب منه واكثر فهو الذي بنى بحد السيف فيها هذا الذكر الذي يذكر به وهو الذي شيد على كوم من بطولة مجده واقام على رابية من الشجاعة عرشا خلد في الخافقين له مقاما وفي ثاني آب سنة ١٩٢٥ قضى آخر اعماله الجهادية وكان له اذ ذاك اثني واربعين عاما يسجل اسمه في سجل الشهداء الامجاد .

الشهيد سليمان العقباني

الغضنفر الذي القى الرعب عن جدارة واستحقاق في قلوب الاعداء والرئبال الوثاب الذي غرس مهابته في قلوب الاخصام والاسد الكبير الذي بانقضاضه كالنمور الكواسر والبطل الذي عرف عنه الفاروق والفيصل والحسام في كل واقعة وفي كل معركة والشجاع الاوحد الذي تقلد السيف فكان خير من قارع به وناضل وخير من ضرب فعدل وقوم شهيدنا هذا وفقيدنا الغالي

سليمان هذا هو الذي كان اذا ما انقض على جمع من رجال شتتهم بالسلاح الابيض وفناهم بحد حسامه وقصم الظهر وبرى الشخص بضرب واحد هذا هو الذي اعاد عهد عاد واباد كل فارس بكل ناد وبلد عنترة بن شداد وان نذكر له الوقائع فما يزال شبح واقعة ميشو العظمى ماثلا امام اعيننا وبطلنا الشهيد يحمحم فيها فيكون لصوته زئير الاسود وقعقعة الرعود ففي ٢ آب سنة ١٩٢٥ وفي معركة المزرعة الشهيرة يئس ومل ان يظل حيا وهو الذي طالما تطلب الموت فكان يفر منه خوفا ورعدة ولكن في هذه المرة استبسل الحمام واقدم ولم يحجم وجمع قواه على هذا الفقيد الغالي فسل منه الروح وهو في الخمسين من عمره يملأ الدنيا ذكرا وصيتا ويرفع راس قرية السجن في الجبل الاشم عاليا فتباهي بانها اظهرت للعالم بطلها ورجلها والكوكب الذي مازال حتى بعد الموت يخفق في سمائها كل المدى وطوال الابد .

الشهيد سليم جريرة

بتمام الاثني والاربعين عاما من العمر في الخامس والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٢٥ كان هذا الفقيد في جملة من شاء له القضاء وسعى له القدر ان يكون حيا من بعد الموت معلوما من بعد العدم مفهوما فوق الارض وان كان تحت التراب فهو الذي انتخبته قرية ام رواق ليخلد اسمه الى اسمها في التاريخ باستشهاده في معركة رساس التي طالما سعى الكثير اليها فلم ينلها .

الشهيد سعيد بن معزة المفوش

ابن النجيب لا ينجب وان نجب فاق اباه فشهيدنا هذا ابن البطل الكبير الشهيد معزة المفوش كما سمر معنا وفقيدنا هذا سعيد سعيد حقا بأن كان في عداد الشهداء السعداء فهو لم يتم العشرين من عمره حتى كان في اكثر مواقع الثورة يقيمها ويقعدها ويضرب قاصيها بدانيها وقد تم له ما اراد من خوض المعامع وجوب المعارك حتى كانت واقعة العادلية وفي ٢٤ اغسطس

١٩٢٥ لحق هذا الفتى بربه وقد ترك له في نفس قريته خلخلة وفي غيرها من كل مكان في العالم ذكرى واسما ومجدا .

الشهيد شريف سلام

في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وفي معركة رساس وفي الثاني والعشرين من العمر قضى شهيدنا الفتى الباسل ومات وهو حي بعد وانجلى غيهب الجهالة عن اسمه فصار معلوما ومشهورا مات ولم يمت وضمته ذرات الجدث وصفائح القبر وهو على هذه الثرى ذكره يتمشى وفي اقطار المعمور يذيع فقرية طربة التي انجبته فخورة به معتزة بامثاله تباهي على من لم يساهم من القرى في الثورة وتدل .

الشهيد شبلي مقلد

شهيدنا هذا من شيوخ قرية رامي البواسل الاشداء الذين كانوا نبراسا يهتدى بضوئه في المعارك وكان نجما متألقا في سماء سورية بافعاله واعماله ففي ٢ آب سنة ١٩٢٥ في واقعة المزرعة كان له الذكر الباقي والتأثير الاكبر والجراة المتناهية والصمود بوجه الاعداء حتى كافح اشد كفاح وناضل اعظم نضال وعلى رغم الشيخوخة كان المبرز في حلبة النضال فالخمسين من عمره التي اتمها بجليل الفعال ختمت في هذه الواقعة بالشهادة الكبرى والاسم الخالد .

الشهيد صالح ابو اسعد الحلبي

وقرية لاهتة ايضا قد ارسلت من شبابها النجب وفتيانها العباقرة هذا الشهيد الذي رفع منارها مع من رفعه في كل المعارك وعلى الاخص في معارك وادي التيم فبرز هنالك وكان من الاشاوس المعدودة والمغاوير المشهودة وقد جاد جودا كبيرا بضرباته التي لم تخطيء واصاباته التي لم تزح عن الهدف وبسالته التي كانت بحق خالدة فاستشهد في تلك المعارك عام ١٩٢٥

الشهيد صالح هلال

من خلخلة نبغ هذا الشهيد الجبار من ابلى وجاهد ومن كان في واقعة حرجلة عام ١٩٢٥ من اروع ابطالها المجيدين ومن اتم الخاتمة والثلاثين فاتم معها ما ينبغي ان يكون له من راس مرفوع ناطح السماء بالموت في سبيل الله .

الشهيد عطا الله عودة

في واقعة المسيفرة يوم ابرز الشجعان والابطال من المسلمين ما جبلوا منه وفطروا عليه من حماس كان هذا العزيز المسيحي العربي ممن بعثت بهم أم الرمان في جملة من ارسلت من بنيها ليكون عاقدا لواء المجد لها في الخافقين فهو من المزارعين الذين شهدت لهم ميادين القتال بالبطولة والفروسية فهو الذي كان في عداد شهداء هذه الواقعة من بعد ان سطر للنصرانية لؤلؤة الفخار براقة لامعة في جبين الثورة وله ثمان وثلاثين عاما .

الشهيد عقيل الجودة

معركة رساس شاءت ان تتشرف بهذا الاخ النصراني النبيل وان يطهر دمه النقي الصافي ثراها ويضمخ هواءها بذلك العبير الذكي عبير الشجاعة والحماس فاستشهد من بعد ان اشهد كل من كان حوله على انه من المغاوير الذين لا يقلون عن الاسلام حماسا ودفاعا وبذلك نال في الاربعين من العمر الشهادة التي سعى اليها طويلا .

الشهيد ضاهر حمايل

في واقعة وادي الفيضة خلال آب سنة ١٩٢٦ كان فقيدنا من الشهداء الذين ساهموا في الثورة السورية وجاهدوا وبرزوا كثيرا على الاقران فالثماني والثلاثين عاما التي قضاها هذا الفقيد بالعراك كانت خير ما اختتمت

به من فعال وما اتمه من اعمال وكانت قريته الفيضة من القرى التي لم تكن لتقل عن اخواتها جهاداً واندفاعا وراء المجد التالد فالفقيد قد خلد له وانما الذكر الابدي والاسم السرمدي والفعل الحسن .

الشهيد علي القوطاني

من قرية طربة نجب هذا الكهل الهمام وحضر مواقع الجبل وكان فارسها غير المنازع واخذ يتدرج في معارج القتال من معركة الى معركة حتى كان ٢٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٥ وكانت واقعة دوما الشام وفيها كان الرئبال المنقض والصيدع الكاسر والفارس المغوار وكان في تمام الاربعين من عمره برهن على حبه للموت باستبساله حتى نال شرف الموت في سبيل العزة والعروبة والمجد .

الشهيد عساف ناصيف

فتى من الفتيان وشابا من الشبان وبطلا من الابطال على رغم حداثة السن شهيدنا هذا . ما كان صغر سنه ليحول دونه واقتحام الاهوال والشدائد والصعاب ولم تكن يفاعة عمره لتحول دون اقدامه وقيامه بالواجب المفروض نحو الاوطان بل كان له من كل ذلك حافزا يدفعه نحو الموت طالبا شرف المجد الاعلى ومبتغيا المكان اللائق بأسود الشرى يوم الوغى حضر كثيرا من المعارك حتى كان ثاني آب سنة ١٩٢٥ وكانت معركة المزرعة الشهيرة ولم يكن له من العمر حينئذ الا ثماني عشر ربيعا حيث اجاب داعي المروءة والشهامة والدفاع عن وطنه رافعا اسم قرية دوما عاليا وظل مناضلا حتى ادركته الوفاة وهو في ميدان الشرف .

الشهيد علي طويرش الصحناوي

من قرى الجبل الاشم الجنينة التي هي كالروضة فيه على مايظهر اذ تبعث بازاهيرها ولكن الزهرة لا تذبل والعطرة لا ينفذ اريجها كشهيدنا هذا

البطل الذي خاض انواع المعارك على اختلافها والذي برز في معركة السويداء عام ١٩٢٥ فاظهر جميع ما اختبره من صنوف الجهاد خلال الاربعين عاما بما اذهل وحير ومما ختم هذه الاربعين باحسن خاتمة يتطلبها المؤمن بعقيدته الواثق من ربه فنال ما تطلب من التقرب لربه وبها استوفى عظيم الاجر .

الشهيد فضل الله باشا الهنيدي

من الرجال من يعد فردهم بالوف ومنهم آلافهم بفرد وفقيدنا هذا ركن من اركان الجهاد وعماد من اعمدة النضال بمصرعه انهد ذاك الاساس وبمقتله اندكت اكبر قائمة من قوائم صرح الثورة كان هذا المجاهد العظيم الكهف الذي يلتجيء اليه وكان الحصن الذي يرتجى عليه هو من بني معروف الاشاوس بل في عداد مقدمتهم وفي طلائعهم عرف بالشجاعة الخارقة والجود الفائق وكان اصيلا بالراي غزير التفكير وكان باسلا في وثباته عظيما في حملاته كبيرا اذا ما انقض على اعدائه جمع بين المزايا الحسان جميعا وضم في شخصه الكريم لفيفا من خصال قلما كان واحدها في الكثير من الناس كان في زمان الثورة شمسا يستضيء المجاهدون بنورها وكان قمرا يسري الوطنيون على نوره وكان نجما متألقا في السماء كلما احلولك ليل الدجى وادلهم ففي فقد هذا المغوار الكبير فقد للهمم العالية والحملات الصادقة والقوة التي كانت مخبا يتقي بها رجاله الاعداء فيردون كيدهم لنحورهم وبينما كان في احدى المعارك وقد اتينا على ذكرها في هذا الكتاب ينزل باعدائه اشد البلاء يحدق بمنظاره الى اماكن الاخصام واذ برصاصة من طائرة تخترق دماغه المفكر وتخرج من عينيه المتوقدة حمية وبسالة فيهوي معانيا اشد الآلام من غير ان ينبث ببنت شفة او ان يصعد في السماء انة وهكذا ظل صابرا جليدا يحتمل المه بنفس كبيرة وجهاد مع آلامه عظيم حتى كان في عليين وقد خلد في قومه وفي امته وفي العرب اجمعين ذكرا لا يمحى ومجدا لا يبلى واسما لن يموت .

الشهيد فؤاد سـليم

لشـهيدنا مزية الجهاد بالقلم والحسام فهو احد خريجي الجامعةالاميركية في بيروت . لقد تفتحت عيناه للوهلة الاولى في العالم في بعقلين عام ١٩٨٣ حتى اذا ما اصبح ممن تستطيع الجامعة الاميركية ان تضمه الى جملة تلاميذها كان من بينهم وظل يتابع العلوم فيها حتى نال شهادتها . لقد اشترك الفقيد الكريم بالثورة العربية الكبرى فكان من ابطالها المشهورين وكان ايام العهد الفيصلي ضابطا رئيسا واستخدم في الدرك وله مواقع شهيرة في تاديب العصابات في البقاع غادر الملك فيصل هذه البلاد وغادر شهيدنا العزيز هذه العاصمة الى الشرق العربي واخذ يتدرج في مراقي الوظائف حتى كان قائمقاما وحتى كان رئيسا للضباط المتفوقين في الجيش ثم توجه الى القاهرة يجاهد بقلمه حتى اذا ما لعلع رصاص الثورة في سورية كان اول من اجاب صداه واخذ يؤتي من انواع الكفاح فكان بطلها غير المنازع . وابلى في اكثر المعارك بأشد ما يستطيع ان يقوم به فارس وراجل وظل يقاتل قتالا مجيدا ويستبسل استبسالا شديدا حتى نال في سبيل الفخار اسمى مقام فخر عام ١٩٢٥ وقد بنى له من دمائه وسامات ومن بطولته امارات زينت صدره وجليت كله فاذا ما عددنا من خلاله ومزاياه الشيء اليسير فاننا لا نرى ندحة عن ان نذيع تلك الجملة المهيبة والآية الحكيمة الا وهي « الدين لله والوطن للجميع » اذ اول من نطق بها هو فقيدنا الغالي فسقى ثراه شآبيب الرحمة بعداد ما قام به من اعمال وما خلد من فعال وما ترك من محامد ومآثر حيا وبعد وفاته .

الشهيد فرح بن موسى الدرويش

هذا المجاهد المسيحي هذا الاخ الكبير المناضل المنافح من قرية عرى اتي لم يعد من حاجة لان نشيد بذكرها لما ساهمت في الثورة بكثير من صناديد وابطال فهو من الشباب الذين خاضوا المعارك وطافوا القتال في ميادين

الحروب فانتهى بهم المطاف في واقعة كناكر وهنالك ارتفع الصليب يعانق الهلال فيخر تحت الاثنين معا هذا الشهيد يجمع على انه مسلم مسيحي بآن واحد وهنالك نال الشهادة فسمت روحه الى عليين .

الشهيد فواز ابن عز الدين الحلبي

لم يمتاز شعب بني معروف بالكفاح والنضال فحسب بل كان من ابنائه النفر المحاميد هذا الفقيد فبنسبة ما نفاخر ونباهي بأبناء بني معروف مراسا وبأسا بنسبة ما نعتز وندل بهذا الشهيد الحبيب الذي جمع الى آيات الفروسية وآيات العبقرية آيات العرفان والذكاء والعلم فهو شاب اتقن من اللغات العربية والتركية والالمانية والفرنسية وكان فارسا عنيدا نظاميا بحيث كان في اواخر عمره استاذا برتبة رئيس للدرك وقد ركل هذا المنصب ركلا قبيل الثورة لخلاف شجر بينه وبين الكابتين كاربيه وهو بحق احد نواة الثورة اللامعة في الجبل . لقي في سبيل وطنه اشد انواع العذاب من نفي وتشريد وقد حل به داء عضال اعيى اشهر الاطباء فانتقل من هذا العالم على اثره شهيدا وان لم يكن قد خر في ساحة القتال صريعا .

الشهيد فرحان شرف

هذا الشهيد من الفرسان المعدودة ومن الابطال المشهورة الذين كانت لهم في مواطن الطعان مواقف ومشاهد فهو من تيما وهو من خواضي اكثر المعارك في الثورة وهو الذي لم يقاتل في جبله الاشم فقط بل كانت للغوطة نصيب من جهاده ففي واقعة المليحة حيث التقى الجمعان واستحر القتال وحم القضاء فكان فارس المعامع خر شهيدنا صريعا قتيل الواجب ولم يكن له من العمر الا خمسا وثلاثين عاما .

الشهيد فندي المقلد

لقد حق لنا ان نفزع الى الالم من تلك المعركة الكبرى معركة المزرعة فهي التي استشهد الكثير من ابطال الثورة فيها وهي التي رفعت رأس الجبل الاشم عاليا على اننا ما زلنا نألم لفقد الشهم مهما كانت نتيجة المعركة نحو نحو هذا الوطن محمودة المغبة ففقيدنا هذا الذي كان مبعث قرية رامي للثورة كان في ثاني آب سنة ١٩٢٥ في عداد الذين ابلوا اعظم البلاء واحسن القتال في هذه المعركة فقضى في الاربعين من السن يرافق من قضى فيها من اخوانه الى الملأ الاعلى .

الشهيد فرحان ناصيف

ومن قرية دوما وفي نفس التاريخ وعين المعركة كان شابنا الشهيد في عداد من خاض غمرات المنون مرارا في وقائع عدة وهو الذي لا يقل شجاعة واستبسالا عن سلفه الشاب وهو الذي كان في هذه الواقعة واقعة المزرعة مثلا اعلى للحماس المتقد واوار الوطنية الملتهب وهو الذي ظل كرفيقه منافحا حتى كان في عداد شهداء هذه المعركة الكبرى ولم يكن له من العمر الا اثني وعشرين عاما وهكذا طوى هذا الفقيد حياة مفعمة على قلة مداها بالنبل والشهامة والشرف .

الشهيد قاسم ابو رايد

وهذا انجبته ايضا قرية طربه التي كتبنا الكثير عنها وهذا الذي كان في معركة السويداء خلال آب ١٩٢٦ يجاهد اعظم جهاد ويكافح اكبر كفاح فهو ممن سجل له بمداد اعماله ويراع حماسه آية الفخر في ميدان النضال وعبرة التاريخ في ساحة القتال وعظة الشهادة في الغابرين والقادمين وام يتم الثماني والثلاثين عاما حتى كان في عداد الشهداء الاخيار .

الشـهيد قاسم الشـاعر

وها هي قريـة بوســان من القرى التي لم تشأ ان تكون اقل نصيبا في الثـورة من اخواتها فهي تـباهم عن طريق شـهيدنا قاسم في الثورة الـسورية في معركـة المزرعة لم يكن هذا الفقيد اقل حماسا وادنى شجاعة عن أخوته في تلك الواقعة فهو في جملة من خر صريعا فيها من بعد ان قاسم اخوتـه المجاهدين القسـط الاول من فرض حتم عليه وعلى امثاله الرئابيل وكـان له اربع واربعون عاما من العمر حافل بأعظم المآثر والمحامد .

الشهيد كامل بن حسن حظوم الحلبي

من شـباب ذيبين البواسل وفتيانها الابطال فتانا هذا الذي لم يـلغ يوم ان اجاب داعي الله في معركة المسيفرة الا خمس وعشرين خريفا والذي كـان في الحقيقة فخر الشـباب في النضال ومعزة الفتيان يوم الطعان والذي مابالى يوم ان قضى واجبه ولبى نداء ربه لانـه ايقن انـه من المقربين عند الله ومن المكرمين عند الخلائق اجمعين .

الشهيد مصطفى بن ذوقان الاطرش

هذا الشـهيد الشاب هذا الفتى البطل شقيق الـسلطان وكفاه بذلك فخرا وهو من قرية القريـة خاض المعارك وجاب المعامـع وبرز في الوقائع التـي حضرها حتى كان مضرب الامثال وهكذا حتى كانت معركة الكفر الاولى فـي اوائل ايلول سـنة ١٩٢٥ وفيها ودع هذا العالم الفاني يـستقبل العالم الباقي ولم يكن قد سلخ من العمر الا خمـسة وعشرين ربيعا قضاهـا بنبيل الخصال وحميد الخلال .

الشـهيد محمد ابن قرقوط الحلبي

هذه ذيبين من القرى التي يفاخر بها القاريء عندما يـسمع انها لم تجـد

على الثورة بالشباب والشيوخ فحسب بل اتتنا ايضا بكهلنا وشهيدنا وهذا الشجاع المفضال الذي كان له اعظم الافعال في وقعة الميفرة فكان من شهدائها المغاوير وابطالها الصناديد في نهاية عمره الذي كان عبارة عن خمس وثمانين عاما فهو الشهيد العلم جاد بنفسه وبروحه وبماله فكأن آية في الاولين والآخرين .

الشهيد محمود البربور

ان هذه العائلة الكريمة اسرة البربور قد انجبت فيما انجبت من شبابها هذا الفقيد الكريم الذي ما كاد ان يتم الاثني والعشرين عاما حتى قضى شهيد الواجب شهيد الوطن شهيد المجد العربي وهذا الفتى الباسل من الشباب الذين اشتهروا بالذكاء والعلم والبسالة وهو لم يبلغ السن التي كان مثله فيها يستطيع ان يبلغ ما بلغه منها فقيدنا الشاب ما كان يحسب هذا الشجاع الفتى للموت حسابا وما كان ليقعد به سنه الحديث عن ان يلحق بالرجال للقتال فهو على صغر سنه اشترك في الثورة السورية وكان من الرجال المعدودين في معارك الغوطة وقد برز بأفانين الطعن والضرب لدرجة كان من اليه من الرجال يعجب ويحار ويدهش واخذ يناضل في اكثر المعارك في الغوطة حتى خر قتيلا في احداها وقد شفى غليل نفسه من اعدائه وثار له من اخصامه وتروى من النجيع والدماء التي سفكها في سبيل قيامه بواجبه نحو امته وقومه فوارحمتاه للشباب النضر والغصن الرطب والعود الزاهر وسقيا لشباب العرب يقومون بالتضحية الحقة فلا يقعدهم عن اداء الرسالة الوطنية من سن حديث او يفاعة او مال .

الشهيد محمد ابن فائز سلام

عائلة سلام الكريمة من الاسر الكبرى التي رفعت منار الثورة ساميا يتناول العالم بالنور والضياء وهاهو الواحد تلو الآخر من ابطالها يسجل نفسه في

صفحة الشهداء بأحرف من نور وهذا شهيدنا محمد من هذه العائلة الكريمة حديث السن كبير الفعل ابرز في المعارك التي خاض فيها اعظم ما يظهره اشجع الشجعان واكبر الفرسان اشترك في كثير من المواقع وكان ثابت الجنان عامر الزند والبنان وكان المرافق الى النائب الكريم المجاهد الكبير جاد الله سلام البطل الشهير فشهيدنا محمد من قرية طربة وكان في عداد من اشترك في واقعة العادلية في ٢٤ اغسطس سنة ١٩٢٥ قاتل حتى قتل ولم يكن له من العمر الا ثماني عشر ربيعا .

الشهيد مزعل شلفين

فقيدنا هذا من الشهداء الابرار الذي كانت له في ساحات الوغى انصع الصفحات وقد ابلى في معامع القتال احسن البلاء حتى حظي في معركة صميد عام ١٩٢٦ بشرف الشهادة في سبيل الله والواجب .

الشهيد معزة المفوش

بهذا الشهيد الكبير خلخلت قرية خلخالة مواقف الاعداء وزلزلت اماكنهم في اغلب النواحي حتى كانت واقعة الصور ، ١٩٢٦ وفيها بعد ان اتى على الاربعين من عمره سلم نفسه لشريفه في ميدان البطولة يعتز بانه من الشهداء الابرار على الله والاعزاء على الناس .

الشهيد مؤيد شرف

هو احد مشايخ تيما الابطال الشجعان كان له الحظ الاوفر في معارك الجبل والنصيب الاغزر في معارك الغوطة كانت معركة يلدا خلال تشرين الثاني سنة ١٩٢٥ وكان هذا الشيخ الرهط كالجبل المنيع والحصن الحصين وكان فارس المعارك وبطل النزال والصائل الجائل ففي هذه الواقعة كان هذا الشيخ الوقور ممن اجاب نداء ربه فخرت المهابة صريعة بموته عن خمس وخمسين عاما سلخت بانصع الفعال .

الشهيد مسعود سلام

اسعد بالحظ شهيدنا مسعود فكان بالحقيقة مسعودا فهو قد طالب بالموت كثيرا وبالشهادة عديدا وبانقضاء فيميدان الشرف والمجد مديدا فناضل ودافع عن بلاده وعن قرية كبب التي هو منها حتى كانت معركة السويداء المعلومة ولم يكن له من العمر الا اثني وخمسين عاما وفيها بلغ ماتمناه فكان في عداد الشهداء السعداء الماثلين بين يدي الله .

الشهيد معزة السجاع

قرية الرشيدة في المقرن الشرقي مشهورة ببطولة ابنائها وشجاعة ذويها وحماس بنيها وعائلة السجاع فيها من العوائل التي شهد الكفاح لهم بالمقدرة واعترف القتال لهم بالمفخرة واقرت تلك الربوع لهمبالمقدرة الفائقة فشهيدنا هذا عندما كانت معركة المزرعة الكبرى كان في الاثني والاربعين من سنه وكان في المغاوير الذين سجلوا في التاريخ الابدي واللوح الازلي الشهادة من اجل الله والامة والوطن .

الشهيد نسيب بن محمد الاطرش

انجبت قرية صلخد هذا الشهيد الابي الذي قضى الستين من عمره متنقلا من معركة الى واقعة ومن جهاد شريف الى جهاد اشرف وهو فيعائلة الطرشان العظيمة من الزعماء المجيدين طوى مراحل حياته في معركة المجيمرة وعرى بعد نضال عنيف في الثالث منتشرين الاول ١٩٢٥ ولهذا الفقيد الكبير نفوذ وشوكة وسلطان ومن الاعيان المشار اليهم بلبنان .

الشهيد نايف بن علي عبيد

لقد كان حظ الثورة منالشباب الابطال ومن الفتيان المغاوير وافرا جدا ونصيبها غزيرا ففي جملة الشبة الذين يعدون بحق فخرها وبصدق عزها وبالواقع شرفها الاسمى شهيدنا هذا الذي برز فياكثر المعارك حتى كانت

معركة السويداء الكبرى وحتى قاوم المقاومة الشدى ودافع الدفاع الاوفى وعارك العراك الاكبر فصال صولة واحدة وجال جولة فردة في اواخر وختام الواقعة فكان رحمه الله من الشباب الذين خروا صرعى القيام بالواجب .

الشهيد نصار البربور

شهيدنا هذا من الشهداء الذين مت الحسب العالي اليهم بالسؤدد عن طريق المشايخ في قريتنا سالة شهد هذا الفقيد معارك الشهبة فكان من الفوارس الشجعان وكان من ابطال الطعان عرف عن هذا الشهيد الوفاء والصدق والاقدام وكان معروفا بالبسالة عند الشباب الدرزي كان في الثورة رجلا كبيرا يعتز به ويفتخر وكان في المعارك اسدا رابضا وهزبرا اغلبا عرفت عنه الشجاعة بأجلى معانيها والحماسة بأوفى مراميها ناضل حتى كانت معركة الكفر وفيها اصابته مرمية في جبينه لفظ بها انفاسه الطاهرة وهو يحيي العروبة وبني قومه العرب ويحثهم على الاخذ بثأر الوطن وعلى القتال حتى الموت وبذلك كان يقوم بالواجب حتى في آخر لحظة من لحظات حياته ففارق هذه الدنيا يستقبل الآخرة باسما راضيا تغمده الله بالرحمة .

الشهيد ناصيف حرب

شهيدنا هذا من الشهداء الشيوخ الاجلاء الذين كانت حياتهم درسا وعبرة للشباب وللكهول فاذا ما ظهرت به قرية دوما في الجبل الاشم كما ظهرت بغيره رفعة وسؤددا فانها لتباهي وتفاخر اذ ان هذا الشيخ الجليل الذي قضى الخمسين من سنه يذود عن حياض وطنه فانه ختم هذا العمر الحافل بالمآثر في معركة بريكة عام ١٩٢٦ بما اضاف على اعماله الشهادة في سبيل امته ووطنه .

الشهيد نجيب ناصيف

وهذا ممن باهت دوما في الجبل شجاعته وحماسته وممن ذاد عنها وعن سائر الجبل ومن سلخ الخمسة والثلاثين عاما من عمره متنقلا من قتال الى نضال ومن طعن الى ضرب ومن غارة الى حرب حتى كانت معركة القنوات عام ١٩٢٦ وفيها استلم طريق الابد يترك هذا العالم مكتفيا بما أوتي من شهادة .

الشهيد هاني ابن عبد الله الحلبي

اما قرية بريكة التي برزت بفقيدها هذا العظيم والذي باهت به ودلت على انه جاهد في اكثر المعارك الثورية وكافح في اعظم الوقائع الحربية وكان من ابطال المجاهدين المعدودين فان لها ان تعتز وتفتخر به لاسيما وانه ختم آخر ايام حياته التي لم ترب على السبع والثلاثين عاما في معركة الصفا على انه جاهد في اكثر المعارك الثورية وكافح فياعظم الوقائع الحربية وكان على الاعداء والسخط على الالداء مرفوعا بروحه السامية الى الملأ والسماء .

الشهيد هلال ابو زيدان

قرية العجيلات عجلت بارسال هذا البطل الى ميادين الثورة وساحات النضال تلبية لنداء الواجب والوطن فكان من الفرسان المعول عليهم والمستند اليهم وكان من الشيوخ الاجلاء الذين صمدوا صمود الجبال الرواسي والاسود الكواسر والنمور الوثابة عند الاقتضاء شاطر اخوانه القتال في اكثر المعارك حتى كانت معركة الشبكي وفيها كان اوفى على الخمسين من سنه فقاتل القتال المستحر وجاهد الجهاد الاكبر حتى نال من الله الاجر ومن الناس الشكر .



الشـــهيد الامير احمد مريود

الشهيد احمد ابن موسى مريود

شهيدنا العظيم هذا من آل مريود الكرام المتحدر من المهادوة الاسرة العريقة في السؤدد من انبل العوائل العربية ومن امراء البلقاء (مقاطعة في شرقي الاردن) ذات الاصل الثابت انحسر الظلام عن هذا الهمام فوضعته امه في جباتة الخشب واخذ ابوه في تربيته والاهتمام بامره حتى راهق او كاد فبعث به الى كتاتيب القرية الى ان بات على مقربة من ان يبلغ الحلم وعندها ام القنيطرة لاتمام التحصيل الابتدائي فيها ثم كان في دمشق في مدرسة السلطاني لقد كان هذا الشهم على ذكاء نادر واقتعاد للدرس واصغاء ونباهة خارقة وقد تنبأ له معارفه بمستقبل مجيد وبمناصب سامية وكان يعمل على دراسة تاريخ افذاذ العرب وعيونها فولع بذلك ولعا شديدا ملك كل حواسه واستأثر بجميع مشاعره واقامت في نفسه فكرة تجديد العصر الذهبي للعرب واوقدت في فؤاده شعلة الشعور القومي فسرت مع الدم في عروقه فانبرى للسياسة يعمل فيها وللوطنية يبحث قضاياه وللصحافة يدبج المقالات في احدى صحفها التي كانت تصدر في قصبة القنيطرة باسم (جريدة الجولان) يومئذ وكان اشتغاله بالقضية العربية مدعاة لان يتصل باقطاب حركتها بدمشق وفي غيرها فكان في عداد تلك الرجال واخذت فكرة العروبة تنمو متناسبة مع عمره حتى كانت الحرب الكبرى وفي غضونها سعى للالتحاق بالامير فيصل ابن الحسين عاملا في الثورة العربية وقد غادر جباتة الخشب الى رفيقه جلال البخاري انفاذا لما بيتا عليه وبينا كانا في طريقهما الى الثورة العربية واذ بالامير نوري الشعلان يقطع دونهما السبيل التي غزا السير فيها وحال دون الامنية التي توجها لها والقى القبض عليهما يقدمهما الى جمال السفاح الذي احالهما الى الديوان العرفي في عاليه حيث

قضى باعدام الشهيد الكبير البخاري وببراءة الشهيد مريود لما كان بين هذا الشهيد وبين النائب العام اذ ذاك من صداقة وثيقة العرى وبعد أن اطلق سراحه اتى جباتة الخشب وضعت الحرب أوزارها وانجلت عن ظفر الحلفاء ودخول فيصل الاول سورية وتوليه امارتها فملكها فكان المترجم من رجال هذا المليك الكريم واقام في فندق فيكتوريا المطل على بردى وكان من رجالات الوطنية الاحرار ومن اعضاء المؤتمر السوري حتى انه لما انجلى الملك فيصل عن هذه الربوع ذهب شهيدنا الغالي الى الشرق العربي حيث عين معاونا للامير شاكر وقد كان العامل الفعال في التعرض على الجنرال غورو في حادث القنيطرة الذي مر ذكره ثم نزح الى الحجاز وانتقل الى العراق فاقام فيه يحبوه عطف العراقيين وسخاؤهم واحترام الرافدين وولائهم وجود عاصمة الرشيد وكرمها حتى كانت الثورة السورية وفيها غادر العراق قافلا للجبل .

اخذ باذكاء نار الثورة في الاقليم وسار بمجموعة للغوطة صحبة الامير عادل ارسلان واخذ باقناع الجمع بوجوب افتتاح جبهة الاقليم واشعل نار الثورة في جبل الشيخ والقنيطرة والفاعور رغم ما كان عليه شقيقه الاكبر علي من ممالاة الفرنسيين وموالاته لهم .

لقد المعنا الى ان المرحوم من جباتة الخشب وهذه من اعمال القنيطرة فعندما وصل قصبة القنيطرة اقام بين اهله وخلانه في قريته يعجم عود اهلها ويغمز من قناتهم ليرى مبلغ الوطنية التي تعتلج في صدورهم ومقدار ما يستطيع اعتماده عليهم عندما تتازم الازمات وتتوالى الملمات فلم يلق منهم ما كان يامل ولا لقي عندهم ما كان يود ان يراه من عزيمة وشكيمة فاخذ يعمل على اقناعهم بوجوب الخدمة الوطنية ويلقي في ارواعهم العزة القومية ويستنهض ما وند من هممهم ويستفز ما رقد من نشاطهم وقد وصل الى ان سلح بعضهم من اموالهم وهذه همة للفقيد تسطر له في الاوابد والخوالي وظل في داره في القرية يرسل السرية تلو السرية الى ما ينبغي من مواقع

واماكن حتى انه بعث في احد الايام بفئة من رجال ترابط على طريق القنيطرة - دمشق لتشغل قوى الحكومة عندما تجد بعضا منها ذاهبا او آيبا فصدعت بالامر ورابطت فصادف مجيء سيارة تقل اربعا من الركاب فتبين انهم من رجال السلطة فاعملت فيهم النار فاردت ثلاثة قتلى منهم وتابعت السيارة المسير حتى كانت في القنيطرة فظهر ان من جملة هؤلاء المجندلين قائد متطوعة الشركس عثمان بك واثنين من رفاقه فعظم الامر على الشراكسة واهتاجوا ايما اهتياج وحاولوا ان يهاجموا قرية الجباتة عندما بلغهم ان اولئك الرجال هم من جماعة البطل احمد مريود ولولا ان تناول العقلاء الامر بالحكمة وتناولوه بالروية لوقعت الواقعة ولنشبت بين اهل القرية وبين الشركس غارات لا تحمد مغبتها على ان الحكومة التي كانت تود ان لو تقع الفتنة وان يتناكر اهل البلد بعضا لبعض وان تحيل الموجدة والبغضاء بينهم سلكت السبيل الى ذلك فكان المارق من الوطنية في تلك القرية مطية الحكومة ودليل سوء وبوم خراب فاطلع هذا القسم من الناس اولى الامر على مبلغ قوة الفقيد وعلى انه لا يخشى شره ولا يرهب جانبه وانه ايس من المكنة والقوة بحيث يستطيع ان يقاوم ويدافع لذلك اعدت الحكومة جيشا لجبا وبعثت به بمهاجمة قرية الجباتة . لقد كان الفقيد رحمة الله عليه اصيل الراي بعيد النظر يحسب للامور حسابها فما كان ليترك الحوادث تمر من غير ان يكون متاهبا لها وما كان ليدع الايام تعمل على مباغتته بما لم يكن متوقعه لذلك في اليوم الذي كان الجيش زاحفا فيه مساء نحو قرية الجباتة كان الشهيد يبعث برفيق دمشقي له يدعى عبده الكلاس اخلص له الود وشاطره الاسى والفرح موفدا معه ايضا عبدا يمانيا للاستكشاف وسبر غور تلك النواحي ليلا وما ان بعدا قليلا عن القرية حتى قفلا راجعين سريعا يعلمان البطل بقدوم جيش زاخر بالعدد والعتاد اصبح على مقربة من القرية وما ان سمع الفقيد بذلك حتى تناول سلاحه ورصاصه وايقظ اخوته واولاده واطلعهم على الامر وذهب

الى ضاحية القرية ليلتقي بالجيش فاسرع الى اللحاق به اخوه محمود وابنا عمه حسن ومحمد ودارت بين هؤلاء الاشاوس واولئك الرعاديد معركة دامية ثبت لها هؤلاء الابطال ثباتا كان له منتهى التأثير في ذلك الجيش اللجب وصمدوا صمود الجبال الرواسي والروابي الشوامخ حتى استشهد محمود وحسن بعد ان ابليا البلاء الحسن وحتى تمكن فقيدنا الغالي من اتخاذ ذريعة تذرع بها واخذ يطلق النار من خلفها وكان اخوه الصغير ياسين وهو لايتجاوز الخمسة عشر ربيعا قد توارى بازائه خلف استحكام مع بشير العبد اليماني وقريب له احمد خالد اما ولده حسين فقد كان في جهة شمالية من أبيه الى عبده الكلاس وخليل الديراني ومصطفى كشكي ورمضان بغدادي وعلي جمعة وقد قاتل هذان الاخيران قتالا مجيدا وناضلا نضالا عنيفا حتى سقطا في حومة الوغى تغسلهم دماؤهم وتكفنهم ثيابهم وترجهم الرحمة في كنف منها واسع الفضفاض هنالك صاح ياسين برفاقه ان اليوم يومكم والبلد بلدكم والناس الذين تدافعون عنهم منكم واليكم فكان لهذا النداء في نفوسهم صدى مستحبا ومسموعا فحملوا على اعدائهم حملة صدقوا الله فيها ما عاهدوه عليه من صبر علىه ينجز لهم ما وعدهم به من نصر وما كادوا يستميتون استماتة الشجاع وينقضون على الاعداء انقضاض الصواعق حتى أصابت ياسين رصاصة في فخذه فعاد الى اخيه قائلا انه اصيب فكان من الشهيد ان ابتسم ابتسامة المستخف بالموت المستصغر بالحمام وقد امر العبد اليماني ان ياتيه بكل مافي الدار من رصاص فكلف العبد شخصا غيره بانفاذ ما امر به ولم يبرح ساحة القتال بل اخذ بها كرا وفرا يمعن في الاعداء قتلا وفتكا وقد علا الجو في تلك الواقعة سحابة من قتام وعجاج من رغام وغمامة من حمام حتى ما كان الرفيق يرى رفيقه وظلوا على ذلك زمنا كان فيه بقية المجاهدين قد دوهموا من جيش المتطوعة والجنود في القرية واشتبكوا بعضا ببعض وكان هنالك كل من المجاهدين البواسل حكمة وصبري وفائق واديب

واحمد آل العـــلي الكرام وقد اصيب البطل حكمت برصاصـــة في صدره وفائق الباسل باخرى خر على اثرها صريعــا واسـتطاع الباقــون ان ينجوا بأنفـــسهم بعد قتال عنيف وسنوضح فيما بعد تفصيل ذلك في محله اما الامير عز الدين الجزائري فقد كان قريبا من المعركـــة وقد ايقظه اطـلاق الرصاص ودوي القنابل فأتى مدرسة القرية يوزع رجاله الاشداء على جهاتها الثـلاث وقد اتخذ لنفـــه الجهة المقابلة للطريق هناك فقاتل ورجاله قتالا مجيدا ودافع دفاع الابطال وقـــد رمى تـسعة من الشركس حاولوا الوصول اليه ثم انـسحب برجاله الى خارج القريـــة وقـــد استشـهد منهم اربع ابطال بعد ان ابلوا في الاعداء احسن بلاء .

كان الامير عادل ارسلان وعدد من رجاله في قرية حضر التي تبعد عن جباثا ساعة وربع الساعة تقريبا فعندما وقعت المعركة التي المعنا اليها انتبه الامير ورجاله على دوي القنابل واسرعوا الى نجدة اولئك المجاهدين الابطال وخاضوا تلك المعركـــة فكانوا من صناديدها وقد طردوا الجند وهزموهم الى خان ارنبـــه ثم دخل الجند فيما بعد قريـــة الجباثا وهناك كان قـسم مـــن الجيش بدباباته قريبا من القنيطرة وقـسم من المجاهدين قد توجه نحو الشام وبعد ان تفقد هؤلاء بعضهم بعضا ولم يعثروا لفقيدنا الغـــالي احمد على اثر اخذوا يتحرون اخباره ويستطلعون آثاره فأفضى بهم ذلـــك الى معرفـــة ان الفقيد الحبيب قد خر في هذه المعركـــة قتيلا من بعد ان افنى عـــددا كبيرا من اعدائه ومن بعد ان ثأر لنفـــسه قبل موته فابلى بذلك بلاء عظيما في مناوئيه كما استشـــهد اربعة من ذويه وقد دل احد رجال القرية المارقين من الوطنيـــة والدين الجند عليه فأخذوه الى خان ارنبـــه بعد ان سلبوه ما كان معه وحملوه الى دمشـق من بعد ان اعمل الجند النهب والسلب في ذلك لدرجة لم يـــدعوا فيها شيئا وقد كان عديد من استشـهد في هـــذه المعركـــة ثلاثين بطلا بينهم ثلاثة من ربات الحجال اللواتي كن لا يقللن بعظيم فعالهن عن الرجال وهكذا

لقد اغلق جفنيه هذا العبقري الشهير على آخر صفحة من صفحات غدر العاقين من بني قومه لا من كرامهم واستقبل صفحة حياة عرضها السماوات والارض أعدت لامثاله الشهداء الخالدين المخلصين ليقتعد منها مقعدا ابديا ازليا لا يعتوره عدم ولا يتنابه فناء .

الشهيد ابراهيم صدقي

الخلة الحميدة التي اتصف بها بنوع خاص شهيدنا الصادق ابراهيم صدقي العربي خلة الصبر والثبات والصمود على الاهوال من غير ما تذمر ولا تململ .

شهيدنا مغربي الاصل دمشقي الموطن ترعرع في بيت قوامه العلم وعتاده الصلاح وكان وحيد ابويه دخل مدرسة الرشدية العسكرية في دمشق واتاهله الى الاعدادية العسكرية بالشام حتى اذا ما امتد لسان الحرب العالمية يتناول هذه البلاد كان الفقيد في جملة من سيق الى خدمة العسكرية واماكن التدريب وترقى الى رتبة ضابط وقد ادى هذه الرتبة حقها ووفى بواجبه اعظم الوفاء وظل كذلك حتى سكتت الحرب . كان الفقيد في ايام العهد الفيصلي في مقدمة ضباط العرب وكان في عداد من وقع الاختيار عليه لقيادة العصابات ضد الجيش الافرنسي ومن بعد ان مر العهد العربي الفيصلي بما ادمى وابكى عاد فقيدنا لدمشق واخذ بمهمة تعليم النشء فكان معلما وطفق يوفر من راتبه الضئيل ما مهد له الانضمام الى معهد الحقوق في الشام فكان من تلامذة عام ١٩٢٣ وظل كذلك وقد انهى الصفين الاولين من هذا المعهد فحالت الثورة السورية بينه وبين التتمة لنوال الاجازة فآثر ان يقتعد للجند والعدو في ميدان الحروب على ان يقتعد على مقاعد الدرس في المعاهد العلمية ما اقعده والداه العجوزان ولا شقيقته الصغرى عن ان ينضوي تحت لواء الثورة شاهرا في وجه الظلم والاستعمار حسامه . وقد اشترك شهيدنا الغالي

خي جميـــع المعارك التي نشـبت خلال الثورة ومما يذكر له بكل تقدير واعجاب انه كان يتنقل من مكان الى مكان ومن واقعــة الى واقعــة مهما بعدت الدار وشـط المزار سـائرا على الاقدام كان يجوب الجبل الاشم من ادناه الى اقصـــاه وبالعكـس وكان ياتي الغوطة من كل نواحيهـــا غير مسـتعين بغير قدميـــه في الحل والترحال جاب القلمون وحمص وجميع تلك الربوع مشـيا من غير ان يكل او يمل وهذا ما لا يتفق لغيره ان يســتطيع الصبر عليه وهذه مزية كبرى ينبغي ان تكون لدى المجاهد .

كان حلو الحديث فكه المعشر باشا ضاحكا يروي النكات التي تفتر منهـــا الثغور وكان كلما آنس من احد من المجاهدين ايما او نصبا روح عنهم وســـر مابهم وابدل اتراحهم افراحا وكان مرحا طروبا لايعرف الهول تاثيرا عليه ولا تعلم الملمات وصولا اليه كان يواســي المحزون وينعش اليائـس ويحيي ميت الرجاء وكان على ذلك كله حاضر الذاكرة سريع النكتة تعشـقه جميع عارفيه والمتصلين به فكان بالحقيقة بلبل المجالس وتغريـدة الاوانـس على عكس ما تنشـب الحروب فهو حينئذ سيد الشـباب الميامين والابطال المجاهــدين وكثيرا ماكان يصمـــد بمفرده امام الجيش اللجب فيظـــل يقاتل ويناضل حتى يرد الجموع الغفيرة خائبة على الاعقاب لقد صادف أن كان المجاهدون في الغوطة وقد خرج الجيـش من ضاحية المدينة ليشـتبك بهم فرده الثائرون بعدده وعديده خائبـــا مدحورا حتى ما يقرب من حي الميدان وهنالك احتمى بثكنة القدم ورشـاشاتهـا تدرؤ عنه الدبابات هجمات الثائرين وكان فصيل من الجيش محتميـــا خلف دك من دكوك بســـتان هناك وكان الوطنيـون في بســـتان مقابل له وعندها لم ير المجاهدون الا شهيدنا العزيز قافزا دك البســـتان هابطا دك بســـتان الجيش هازجا ناشدا مما اذعر الجند واخافهم واهاب بهـــم لان يولوا الادبار فتعقبهم الثائرون بفضـــل الفقيد واعملوا الســيف باقفيتهم حتى كانوا في الثكنات والمخـــافر كان الثالث عشر من آذار من عام ١٩٢٦ وفيه تصدت حملة خارجة من حمص فتقدم نحو

قارة وكان المجاهدون اذ ذاك في دير عطية يعاقبون من مالأ الفرنسيين ووالاهم من اهالي تلك القرية التي تمردت على الثورة وكان اكثر زعماء المجاهدين يعملون فيها بفرض الغرامات ولم السلاح وغير ذلك من صنوف الاخضاع وكانت الحملة قد احتشدت في حيه فبذل القائدان الكبيران القاوقجي والعاص كل جهد لاقناع المجاهدين بوجوب السير نحو الحملة فما اصغى الى اقوالهم غير نفر يسير من شباب لايتجاوز عددهم بضعة وعشرين اسدا فاروا جميعا نحو عيون العلق وهي التلول التي تقع قريبا من طريق دمشق ـ حلب بالسيارة. ورابط هذا النفر من الثائرين ينتظرون بقية المجاهدين الذين اشغلهم في دير عطية حب الكسب واللهو ، بلم الامتعة عن كل مأرب آخر وبينما كان القائدان ورجالهما في التلول التي المعنا اليها حلقت فوقهم طائرة فرنسية للاستكشاف وفتح الطريق امام الحملة التي كانت قادمة لاخضاع القلمون فاصلاها المجاهدون نارا حاميا كما اصلتهم قنابل ورصاص وعندما قامت الطائرة بغارتها تلك اس المجاهدون بعطل طرأ على بندقية الفقيد صدقي وقد حاولوا عبثا اصلاحها فطلبوا اليه العودة الى داره لاصلاحها فترك كثيرا بالاذعان وما اصغى الا بعد الحاح والحاف وما اذعن حتى قال يعز علي فراقكم في مثل هذه الساعة والتفظ في بنانه دمعتين ترقرقتا في مقلتيه واشاح بوجهه عنهم حتى لايروه باكيا وهو الذي لم يعرفوه الا باسما ضاحكا فكانه بكى عالما ماخبأ الدهر له بين طياته وكان منه ذلك من قبيل الحس قبل الوقوع او بالاحرى قد أوحته اليه نفسه الشاعرة وقلبه الحساس بوقوع الكارثة قبل ان تقع وقفل راجعا الى القرية حسبما طلبوا اليه واخذ باصلاح بندقيته واذ ذاك قعقعة المدافع وارعدت القنابل واذ الرصاص فادرك الشهيد ان الملحمة قد وقعت بين الجيش واخوانه وانه عار عليه ان يظل كالنساء مختبئا في حماه فابى عليه اباؤه الا ان يستسقي الردى والا ان يخوض غمار المنون فظفر يبتغي التلول فاذا بها تحته حصار وضيق واذا بالالوف المؤلفة من مشاة وركوب تحطاط بها فصعب عليه

ان يحيا من بعد اخوانه وان يعيش عقيب اقرانه وان يكون في العالم من بعد ان يؤتى على المجاهدين فخف الى الجناح الايمن من الجيش وصعد على ذروة التل بعد زحف الفرسان عليه مانعا اياهم من اكمال تطويقهم رفاقه وقاتل احر قتال حتى خر صريعا تطاه سنابك الخيل جذلا طروبا بعد ان وفى اخوانه حقهم من الدفاع عنهم حتى الموت فهو قد استقبل الموت بوقت كان بامكانه ان يتجنبه وهو تصدى للهلاك بآن كان بامكانه ان يتحاشى الحمام وهذا هو الجهاد الاكبر وهذا هو الشرف الاغزر وهذه هي المفاداة الحقيقية التي قل من الناس من يقوم بها فهو قام بواجب فوق الواجب وبفرض فوق الفروض وبعمل قليل من الناس من يعمله لهذا نسجل للبطل الشهيد ابراهيم صدقي مزاياه وخصاله ومفاداته وجهاده فقد رفع راس الثورة عاليا مع من رفعه منها من اخوانه المجاهدين الابرار اسبل الله عليه ضافي ثوب الرحمة وخصه بالاجر الجزيل .

الشهيد ابو تركي سرحان

من الضباط الذين كان لهم في هذه الثورة المقامات الاول والمراكز العليا والتاثير النافذ شهيدنا الكهل هذا الذي شاطر المجاهدين في اكثر المواقع وكان برفقة الزعيم الشهبندر في اغلب المعارك والمواقف وكانت له على الثورة الايادي البيضاء في الجهاد اذ استبسل في سبيل انقاذ الوطن استبسالا حتى رفع له اعظم المضارب واكبر الالوية وظل يناضل حتى استشهد في معركة المنجكية عام ١٩٢٥ يغلق كتاب حياته الذي عد خمسا واربعين صفحة من صفحات البطولة اللوامع مجموع عمره .

الشهيد ابو خالد نجيب

الورع والاناة وطول التفكير والصمت كانت مزايا فقيدنا النجيب والروية والثبات والصمود من مزاياه التي قل ان يشاركه بها احد فقيدنا من عائلة

بارزة في حي الميدان بدمشق رفع راس حيه عاليا في ميدان الثورة فما كان له فيها من ثان او ثالث الا من غير الحي لأن ابن كلمته يفعل اكثر مما يقول وكان كثير الملاحظة عميق التروي بمنتهى الجراة والحماس خاض المعارك

بقلب اذهل مرافقيه وحماس حير عارفيه وثبات طارت له نفوس رائيه شعاعا كم كان يقارع الالوف وعندما يلتقي الوجه بالوجه يتناول مسدسه فيردي خصمه باسرع من لمح البصر كان يباغت الجند العديد بنفر من رجاله يسير وكان يكتب عليهم الغلبة والظفر بالنتيجة لم يعرف الهزيمة والاندحار والخزلان في كل الوقائع التي خاض غمارها ولم يعهد باحد اصلب منه دينا واكثر بالله يقينا هو قائد الميدان بلا معارض وهو اول المجاهدين غير مدافع واذا ما شئنا ان نعدد من بطولة هذا الفقيد الغالي لضاق بنا نطاق الطرس ذرعا ولجف بنا مداد اليراع عدا ووصفا كان كالجبل الراسخ الذي لا يتزعزع وكان على جاش رابط لا يعرف الهلع وكان في معركة زور بالا الصمصامة التي يعيى المحدق في دورانها وفي عديد اتجاهاتها من ناحية الى ناحية وبينما كان الفقيد الغالي يقاتل القتال المستميت وقد بارح احد القوات مكانا حصينا اقدم فقيدنا لكي يتلافى خطيئة غيره واذ بالدبابة ترشقه بوابل رصاصها فيخر رحمة الله عليه شهيدا يسمع الانين والوجيع فاذا ما بكى الثائرون هذا الشهيد العظيم فانما يبكون فيه خلالا ندرت في غيره وخصالا قلت بسواه ومزايا تعلو وجودها في امثاله فيهناه من مجاهد الم فقده امة كاملة وشعبا باسره ويهناه بانه لم يمت الا وقد سطر لنفسه آية الشهادة والتقى في لوح الله المحفوظ وليعده انه من اهل الجنان حتما لما كان عليه من كل فضيلة ودين ووجدان تغمده الله بواسع الرحمة وعظيم الغفران .

الشهيد ابو دياب البرازي

شهيدنا هذا من الشجعان الذين ما كان يقف امام جراتهم حائل من الحوائل

فهو الذي كان مع المجاهد المعروف احمد مربود يوم التصدي الى غورو وهو من الرجال المعدودة التي كان لها العلم الخفاق في الثورة والذي دافع في واقعة حوش نصري حتى اتى على الخمسين من عمره فاستشهد تاركا صفحة نقية البياض في العالم .

الشهيد احمد الخباز وولده

كأني بهذا الشهيد الموقر الذي عندما خر صريع الواجب عن عمر يربو على الثمانين عاما في واقعة عين ترما بالزور كان المفرد في الشيخوخة الى هذا الحد ممن ساهموا في هذه الثورة ومما يؤثر عن هذا الفقيد انه لم يشأ ان يكون لوحده فيها بل صحبه معه ولده خليل من قضى واياه بيوم واحد ولم يكن لولده الا عشرين ربيعا فحيا الله الشجاعة المزدوجة والبطولة المتكررة والبسالة بحق .

الشهيد احمد الصيداوي

جاهد هذا الفقد وساهم في الثورة هذه بكل ما اوتي من قوة حتى وقع بين أيدي الاعداء اسيرا في اراضي دوما في الغوطة فأعدم في المركزالعسكري عام ١٩٢٥ عن عمر يناهز الثلاثين عاما قضاه في المعامع والمعارك .

الشهيد توفيق بن راغب الحلبي

الحركة الدائمة والجهد المتواصل والنضال بالقلم وبالدعايات وبميدان القتال كل هذا من مزايا هذا الفقيد الفادي وله ميزة على غيره من اخوانه أن كان في عداد المخلصين للزعيم الشهبندر وانه كان في صفوف مرافقيه الأول فلا يفارقه ولا يدعه لوحده وهو الذي منذ كانت الاتراك في هذه الربوع باسطة الظل ناشرة اللواء كان فقيدنا في عداد من رفع راية العصيان بوجه الظلم العثماني ومن بين من شق عصا الطاعة على الطغيان الطوراني.

يعود تاريخ اعماله السياسية الى اعلان الدستور والحرية في عهد الاتراك في هذه البلاد ومنذ ذلك التاريخ اخذ يناويء الاضطهاد بحماس وشجاعة فكان هدفا لاحكام مختلفة في ذلك العهد لا سيما وقد اصدر صحيفة (الراوي) الشهيرة التي كانت له بالحقيقة صفحة نقية البياض وتكاد ان تكون هذه الجريدة الاولى من نوعها الهزلي الجدي السياسي في الاقليم السوري ظل

على نضاله حتى اعلن نفير الحرب العام وعندها طاردته الاتراك لانفاذ الحكم عليه بالاعدام حتى يكون شانه شان من اعدم من اخوانه الوطنيين الاحرار العسلي والانكليزي والمؤيد والزهراوي وسواهم على انه فر حينئذ الى الزعيم الشهبندر للعراق وقد كانت وقتئذ محتلة من البريطانيين رافق الزعيم ايضا الى مصر واتصل كتابة بالملك فيصل وقد كان اميرا اذ ذاك فالتحق بالثورة العربية الكبرى وظل في معمعانها يقاتل حتى دخل الشام مع الملك فيصل ورافقه حتى انجلا ظل عهده وحل محله العهد الفرنسي وعندها كان الى الزعيم وفي صفه يقارع ويقاوم في مواقف مختلفة حتى زج بالسجن مع الزعيم وحتى ابعد الى ارواد واياه وعادا معا ولم يثنه السجن والتشريد عما قام في فكره وتمثل في خاطره من وجوب النضال حتى النهاية فاخذ يؤلف الاحزاب السياسية ويبعث الروح الخامدة الوطنية ويستفز الشعور القومي في الناس وما انفك يفعل كذلك حتى ارتفع لواء الثورة السورية فكان في عداد من ساهموا بها واخذ هذا الشهيد يجاهد فيها باخلاص لاحد له وبتضحية لا نهاية لها وقاتل في اكثر المعارك حتى كان في عداد الشهداء الابرار الذين فدوا وطنهم بالنفس والنفيس والجهد والجهيد والعمل المجيد .

الشهيد توفيق خالد عليكو

من الاثرياء الملاكين شهيدنا هذا الفذ الذي كان من المتعلمين اشترك في الجهاد فكان مشهور الوقائع معلوم النضال في الثورة السورية وكان

لـــه اثني واربعين عامـــا يوم ختم ســن حياته شهيدا في معركة حمورة .

الشـهيد توفيق الديركـي

هذا الشـهيـد ممن حضر معركة الشـفونيـة وابلى فيها بلاء كبيرا ودافـــع دفاع الامجاد عن هذه البلاد وظل يبرز من ضروب الشجاعة صنوفا عديـــدة اتم بهـــا الثلاثين من ســنه يشـهد المــلأ على ما تمناه من الموت شــهيدا فـــي سـبيل الواجب .

الشــهيد جهجاه جعفـر

يعتز هذا المجاهد الكبير بأن اسمه لم يكن معروفا بالاوسـاط الثوريــــة وانه كان كرجل عادي رغم مكانته الفائقـــة ومركزه الرفيع عنـــد عشيرته وآله عشـيرة الجعافرة الابطال فهو لم يأبه بان لم يذكر اسـمه في كل معركـــة ولم يهتم الا بالفعل والعمل والحقيقة وانا لنشـكر لهذا الشـهيد الكبير صدق وطنيته في وقت كان باستطاعته ان يصدق الفرنســيين الود اذ ان الســـلطة كـانت تخطب صداقته وتود ان لو كان الى جانبها فكثيرا ما اوهم المســتشار الفرنسي بانه ممالىء للحكومة المنتدبة وكان قوله هذا عبارة عن تثبيط لهممهم حتــى لا يكونوا له بالمرصاد وحتى لا يحولوا دونه والقيام بالواجب الوطني الصحيـــح لذلك جهجاه الشـهيد من الرجال الاشاوس الذين عركوا الدهر فغلبوه شجاعة وصبرا وفادوه بالتضحية والايثار وكم خاض غمار معارك عدة كان يجهزهـــا بالعتاد والســلاح من ماله الخاص وكم جاد بالمال الكثير على المجاهدين فـــي مواطن عدة ففي فقده فقد ركن من اركان الثورة عظيم لما امتاز رحمه الله من ندى وجود بالنفس والنفيـــس والغالي والرخيص اسبل الله عليه ثوب الرحمة واجزله عظيم الاجر .

الشهيــد جمعــة سوسق

من الافذاذ البواســل ومن الكواكب اللوامع هـــذا الفذ الوحيـــد والبطـــل

الشهيد ورجل الفروسة والبطولة كان مختار قرية رنكوس وكانت حياته ملأى بالعصيان على الظلم وشق عصا الطاعة بوجه الاستعمار من قديم هو الذي شهر خسامه بوجه آل طوران وهو الذي ناوء الاستعباد من اي كان وهو الذى القت عليه القبض الحكومة التركية سائقة اياه الى قرية القطيفة من اعمال القلمون لانفاذ حكم الاعدام فيه فكان من بسالته وقوة جأشه ان حطم القيود وفك السلاسل وافنى الاغلال بقوة فولاذية وصرع اثنين من الجنود فارا ملتجئا الى حكومة فيصل الاول اذ ذاك كان يلتهم الموت التهاما وكان يقضم الحياة قضما وكان اذا ماثار ثائره صال وجال وارعب من حوله وبحق اسد الشرى وليث الوغى وظل يتنقل من ساحة نضال الى معركة جهاد حتى كانت موقعة اللجاه الاخيرة وفيها استبسل ملك الموت وتقدم من هذا الشهيد الباسل من بعد ان تخلى له عن هذه الروح الطيبة هازجا باسما ناشدا اناشيد الحياة الخالدة وكان له اذ ذاك خمسا واربعين عاما .

الشهيد جمال ابو جبيب

كان طلاب العلم في هذه الثورة كانوا مندفعين اليها بواجبهم الدنيوي والديني معا ولذلك نرى ان شهيدنا هذا هو في عداد هؤلاء وهو احد من استشهد في واقعة الميدان يوم التطويق عن عمر قضاه في الصلاح وهو ثلاثين عاما بعد جهاد وكفاح .

الشهيد حكمة العسلي

اختص شهيدنا الغالي حكمة بالتواضع والدعة والعمل بهدوء من غير ما جلبة ولاضوضاء هو ابن السيد علي العسلي المشهور بدمشق وهو عين من الاعيان في محلة الميدان وعضو بلدية الشام اذ ذاك .

ولد فقيدنا حكمة في عاصمة الامويين وقد اخذ في التعلم حتى اتم الثانوي من علمه وتدرب على الزراعة وقداتصف بالجراة الفائقة والجأش الرابض والحزم

والامانة ساهم في كل من الثورة العربية والثورة السورية وقد عرفت عنه البراعة في تدمير الخطوط الحديدية ونسف الجسور وقطع الاسلاك وهذا ماكان مودوع امره اليه ابان قيامه في الاعمال الثورية اخذ في الجهد والنضال ايام الثورة السورية الى المجاهدين وعلى الاخص الى الشهيد الكبير احمد مريود والى المجاهد الكريم فائق العسلي بن اخي فقيدنا حكمة كانت واقعة جباتة الخشب وكان حكمة المجاهد الى كل من آل العسلي اديب وصبري واحمد وفائق كما ذكرنا فيما كان الجميع آخذين في القتال في حومة الوغى وبالعراك مع الجيش كما المعنا بذلك سابقا وقد قام كل منهم كما ينبغي من ثبات وما يقتضى من جلاد وما يلزم من صمود اصيب بطلنا العزيز حكمة برصاصة في صدره اضطر صبري الباسل الجلود لحمله وتولى فائق الهمام امر الدفاع وقد اصيب ايضا هذا البطل فخر صريعا وشاهده حكمة عندما تجندل فصاح بصبري انجو بنفسك اذ لاامل لي في الحياة فالجرح مميت والدم متدفق وفائق قد لقى ربه والح على صبري الشجاع ان يتركه فلم يفعل وقد تأثر الجريح مما نزف من دمه ففارق الحياة يسجل على صفحة التاريخ آية التضحية الحقة وسورة الجهاد الاكبر باحرف من نور ، اطبقت الشركس على المجاهد صبري الذي خانته بندقيته عن الاطلاق لعطل طرأ عليها فاطلعهم على ان امه من الشركس وسمى لهم اسماء اخواله فاقتصروا على تجريده من سلاحه ولباسه واما المجاهدان احمد واديب فكانا اسبق الجميع الى الانسحاب اذذاك حيث اتخذا طريقا غير الطريق الذي اتجه به كل من المجاهدين الابرار حكمة وفائق وصبري وبذلك تمكنا من النجاة بسلام .

فشهيدنا حكمة البطل المجاهد جدير بالتقدير والاكبار والتجلة والذكران مدى الدوران حكمة الباسل كان مثال الرجولة والشجاعة بصمت وهدوء لايبتغي على ذلك ظهورا ولا يتطلب اجرا وهذه مزية قلت ان تكون في عدد وفير من رجال فاسبغ الله عليه الرحمة شآبيب واسدل فوقه الرضوان سجفا كثيفا ماكر ليل وفر نهار .



الشـهيـد حسن الخراط

حسن الخراط الثائر العربي الكبـير الذي هز الاستعمار

حسن الخراط الثائر العربي الكبير

ماكان العلم في يوم من الايام ليوجد الوطنية او لينمي في النفس حب التضحية والمفاداة وما كانت الدروس العالية والثقافة السامية لتحدث في المرء شيئا معدوما او لتخلق في القلب حبا مفقودا بل ان كل هذا مما يعزز ويقوي ويظهر ولكن لايكون ولايحدث ولايبري .

عصامينا الخراط من الرجال الذين ماتثقفوا الثقافة العالية ولاتدرجوا في معارج المعاهد العلمية حتى ولا الكتاتيب فهو اذا مابرز على اقرانه في ميدان العبقرية والعصامية والنبوغ في الوطنية واساليب القتال فانما من وضع نفسه وخلق يده فلم يقتبس الخطة الحربية عن قائد خبير ولا عن معلم قدير ولا وقف في يوم من الايام مواقف الاسود تذب عن حياضها اقتباسا عن رجل تقدمه لذلك او سبقه اليه وانما اتى من ضروب الوطنية الصحيحة ومن صنوف الجهاد الحق عفوا بلا تكلف وارتجالا بلا تعنت لذلك نكبر فيه على جهله في كل شيء علمه الواسع واطلاعه العريض بمهام رجاله اذ كان ركنا من الاركان التي لايمكن ان يستغنى عنهم ولا يتاتى ان يحرز واحد من اخوانه النصر بدونه قد اوجد في نفوس رفاقه به ثقة جعلتهم يستصغرون الموت ان كان معهم ويستحلون العذاب ان كان اليهم ويستمرئون طعم الردى اذا كانوا واياه على صعيد واحد . عرف بالوفاء وعرف بالخفة والنشاط واشتهر بالجراة والحماس حتى ماكان يتوارى في متراس او يتحصن بمحصن ولا كان يتخذ من شجيرة مخبأ ولا من قاعدة من القواعد درعا كان كالسيل عندما يتدفق فيهوي على الوديان فيردى الاعداء مجندلين كالشهاب الثاقب وكان كالصواعق عندما تنقض فلا يدري المنقض انى تحدث ومتى تقع فمن مزايا الثورات في العالم انها تظهر جوهر المرء عندما يكن مخفيا عن الابصار ومكنونا عن الانظار وبعيدا عن الظهور ففي الثورات تلمع انجم كانت مغطاة بطبقة كثيفة من غيم الجهالة وفي الثورات تضيء كواكب كانت شمس تلك البلاد في عرض السماء خافية ضوئها خابية نورها كالحة اشعاعها والاضواء فعندما تكتنف

تلك الشمس حجب الغمام تبرق تلك النيرات فترمي بالانوار على المعمور فتبدو اشد سطوعا من كل يوم وهكذا كان عصامينا قبل ان تنشب نار الثورة في البلاد فقد كان مغمور الذات مجهول الحقيقة غير معروف الكنة الى ان نادى منادي الوطن وارتفعت راية الحرية تخفق في سماء هذه الربوع فانضوى اليها هذا الفذ العبقري يثير في نفوس من عرف ولم يعرف معنى الجهاد الصحيح ومعنى البطولة الحقيقية ومعنى حب الوطن الذي نبت في فؤاده فازهر واينع واثمر لقد كان رمزا من رمز الخلود في الخافقين وقد كان علما من اعلام الجهاد في الملوين وكان نبراسا مضيئا في المغربين فهو ولم يقتصر ذكره على بلاد الشرق فحسب بل تعداه الى بلاد الغرب حتى ان الكثيرين الذين لم يعرفوا الخراط حسبوه خريج اكبر الجامعات او مجاز من اعظم المعاهد الاوربية في حين انه امي لايعرف القراءة ولا الكتابة وهذه مفخرة له ومحمدة زادت من علو مقامه ورفعت من سمو مكانه انا اذا ماشئنا ان نعدد مزايا هذا البطل الكبير اعجزتنا القراطيس ولم تمدنا المدادات والاحبار فقد كان هذا العبقري حارسا بسيطا يحمي ذمار الدور في احياء دمشق فدار الدهر دورته وانقلبت الايام قلبتها جعلت ذلك الحارس البسيط حارسا كبيرا يحمي الوطن باسره ويذود عن البلاد بكاملها وهكذا فقد انتقل من سذاجة الامن البسيط الى ذروة الدفاع عن بيضة الحمى وعن ربوع سورية وهو لم يكن شجاعا بمفرده بل كان كل من اليه شجاعا مثله يتشرب من نفسه العظيمة شعاع الجراة فينتقل مع البرق الى نفوس مرافقيه وهكذا كان هذا الفذ الخراط خارطا بالحقيقة كل عزيمة للاعداء وفاريا بالفعل كل قوة وشجاعة في الاخصام وكان كثيرا ما يرتمي على الجند صائحا بهم ها انذا امام حصونكم وانتم في الدور والاسواق تبحثون عني فابرزوا من مكامنكم ان كنتم رجالا وبمثل هذه الصفات التي كان يصفها بهم كان ياخذ بمشاعرهم ويستحوذ على مافيهم من قوى معنوية او مادية ومن البداهة ان هذا البطل الصنديد خاض اكثر

المعارك وكان فيها ظافرا وكان فيها مثال الغلبة على اعدائه .

لقد اصيب في كتفه كما مر في هذا الكتاب في واقعة الزور فكان مثال الوقدة الوطنية والشعلة الحماسية وظل يقاتل متنقلا من واقعة الى واقعة حتى كانت مناوشة على ابواب دمشق عند بساتين الشاغور وهناك بينما كان الى رجاله يقارع نفرا من الارمن والشركس اذ اصابته مرمية سقط على اثرها مغشيا عليه وقد حضنه سعيد قباز من كان اليه وصاح برجاله ان احملوا على هؤلاء الاعداء فصدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد انتصروا عليهم وعادوا الى جريحنا المفدى وكان الدم قد نزف منه بكثرة فلم يعد بالامكان ان ينج من مخالب الموت وقد اتوا ببرذون حملوه عليه ولكن لم تخط به هذه قليلا حتى فاضت روحه السامية الى الملأ الاعلى وقد ترك له من مبادئه واذكاره وحسانه وافعاله ومزاياه ومآثره ما جعل المستشرقين والسائحين ياتون الى هذه الربوع يتحرون اماكن هذا الفقيد الغالي كي يباركون فيه روح الوطنية والحرية والايادي البيضاء على هذه البلاد وقد دفن رحمه الله في مقبرة الباب الصغير اثرا من الآثار القيمة التي يرجع اليها في كل حين .

الشهيد حسن المقبعة

كان شهيدنا هذا على شجاعة فائقة وبسالة نادرة وكان يضرب به المثل في كل معركة ختم الثلاثين من عمره شهيدا في دار العظم في البزورية بدمشق عام ١٩٢٥ بعد بلاء ابلاه باعدائه ونزال اوقعه باخصامه وهو من الشجعان المعدودين في الثورة .

الشهيد حسن وطفة

من ابطال النبك الصناديد هذا الشهيد الكريم وهو الذي ختم حياته التي ناهزت الخمسة والثلاثين عاما بالشهادة في واقعة عين ترما بالزور من بعد نضال وعراك شريفين .

الشهيد حسن الفوال

وهذا ايضا من الشجاعة بمكان عظيم لا يقل عن رفيقه في الجهاد السابق الذي نوهنا ببطولته قضى هذا الشهيد عن خمسين عاما من بعد ان جرح يوم التطويق فمات في دمشق عام ١٩٢٦ وهو من الشهداء المبرزين .

الشهيد حسن المصري

لقد ابلى هذا الشهيد في الاعداء بلاء بعث البطولة من مرقدها فيه واحيا ذكرى الامجاد الاول وظل يناضل حتى كانت موقعة حرستا عام ١٩٢٥ وفيها قضى نحبه شهيد الفرض الاقدس الجهاد الاكبر وله اثني وثلاثين عاما من العمر .

الشهيد حسين عرب ملي

في واقعة النبك الشهيرة انهى هذا الشهيد الخمس والاربعين سنة من عمره من بعد ان كان جنديا فارسا ومن بعد ان شاطر اخوانه المجاهدين اشرف المواقف وانبل الاعمال .

الشهيد حميد عوض

البطولة الخارقة التي عرفت عن هذا الفقيد الشاب كانت ملأ الاسماع والابصار عن حق وهو الذي اقتحم قلعة راشيا مع المجاهد البطل نزيه المؤيد واخوانه المجاهدين الابرار وقد انهى واجب الدفاع شهيدا في باب السريجة بدمشق عام ١٩٢٦

الشهيد خير بن صادق غزال

في واقعة عقربا استشهد هذا الشاب المتدين عن عمر لا يتجاوز الخمسة وعشرين عاما من بعد ان قضاه في الصلاح والتقوى والتلمذة على العلامة

الكبير الشيخ علي الدقر (١) فختم حياته بالجهاد الذي حض عليه كل دين سماوي او وطني .

الشهيد داوود الفارة

في واقعة جسر المطير عام ١٩٢٦ كان هذا الفلاح الشجاع والمزارع البطل يسجل في العالم بدمه ان الناس ليست بالاسماء والالقاب بل بالاعمال والافعال وان المسميات والكناوي لا قيمة لها امام الحقيقة الا مايكون عليهما صاحبها من خلق وعمل فقد كان لهذا الشهيد الكريم من العمر ثلاثين سنة يوم نال مرتبة الشهيد بعد قتال مجيد .

الشهيد رشيد الخنشور

قرية دوما في الغوطة من القرى التي كان لها نصيب وافر في هذه الثورة فقد بعثت بالصيد الميامين من ابطالها يقتحمون المواقع ويغشون المعارك منهم هذا الشهيد الذي يعد من اعيانها البوارز ومن وجهائها النواهض .

الشهيد رشيد برافي

تربى في مهد الشجاعة وداجى على ربوع البسالة فكان من الصناديد المغاوير ساهم في وقائع الثورة وانهى الاربعين من سنه حيث لبى داعي الوطن شهيدا .

الشهيد زكي بن صالح الحلبي

عرف عن هذا البطل القائمقام الحلبي انه من رجال الجندية والقادة العسكريين الشهيرين بالحزم والعزم وشدة البطش وكان رجل جد لا هزل

(١) المغفور له الاستاذ الشيخ علي الدقر علم من اعلام الاسلام الذين لهم الايادي البيضاء في خدمة الدين الحنيف والشرع الاسلامي الشريف فهو يكاد ان يكون الاول الذي قضى على التبشير غير الاسلامي في جميع انحاء سورية بمترامي اطرافها وهو الذي جدد ما اندثر من آثار ومعالم الاسلام فقاتل التعصب وحرر المعتقدات مما طرا عليها من سخافات .

وكان لا يعلم الا الفعل بدل القول ولد هذا البطل في البلد الاول من الشمال حلب الشهباء وقد انتمى الى المدارس الابتدائية ومنها اخذ يتدرج في مراقي التعليم فينتقل من مدرسة الى مدرسة في سلك الضباط حتى كان العهد التركي برتبة ملازم ثاني ثم ترفع الى رتبة ملازم اول ثم ترقى الى رتبة رئيس ثم الى وكيل قائد له من الدرجة الرفيعة الحقيقية ماجعل الجيش العربي ان يختاره في جملة من وقع اختياره عليه من الضباط الذين كانوا بحق نواة جيش عربي لو سمح له الزمن لكان في عداد الجيوش العظمى في العالم ترقى هذا المجاهد الكبير في الجيش العربي الى رتبة قائمقام وتاهل لرتبة الزعيم فاقعده عن الوصول اليها دخول الجيش الفرنسي وانهيار الحكم العربي الفقيد .

لم تفتر همة فقيدنا ولم يقعد به شيء من خمول عن تلبية داعي الوطن فأول ما نفخ في بوق الثورة في العالمين هب مع من هب شهيدنا الكريم الحلبي يندفع مع تيار الوطنية الجارف فيكر على الاعداء في ايام الثورة السورية كرور الاعوام والليالي .

كان يعتقد هذا البطل ان من واجب العسكريين قاطبة ان يكونوا في مقدمة مدربي الامة ومعلمي الشعب ومنقذي الوطن بالفعل لا بالقول وان الواجب المفروض على كل من تربى التربية الجندية ان يتولى بنفسه تثقيف افراد الامة وتدريبها على الحياة العسكرية وان الامة التي لا يتولى رجالها العسكريون امر قيادتها نحو الرجولة عن طريق التعليم العسكري لا يمكنها في يوم من الايام ان تصل الى ما تنشد وتصبو اليه من حياة حقة لذلك كان في الثورة عن عقيدة ومبدأ صحيحين لا لغرض شخصي او لمارب ذاتي وكان بالتحاقه بالمجاهدين قد نفذ معتقده وطبق خطته وتمم برنامجه الشخصي الواجب الاتباع حضر معارك عدة كان يبلي بها البلاء الحسن وكان يقود من

يكون اليه من رجاله بحنكة عسكرية وخبرة جندية ودهاء مجيد غير ان المنية التي لايقف في سبيلها حائل ولا واقف قد حلت بشهيدنا وهو يقوم بالجهاد المقدس في واقعة ام الشراطيط بينما كان يناوئ الاعداء ويقارع الخصوم. فاذا نعينا الى رجال الجندية والى الامة العربية هذا الفقيد الكريم وهذا الشهيد النبيل وهذا العسكري بحق فانما ننعي رجلا كان مخلصا وفيا صريحا لا يماري ولا يحابي وكان مثال الجندي الصادق الذي لا يتسرب اليه الهزل. ولا يترشح نحوه الا كل نشاط وحزم وعزم ولولا ان يختطفه المنون لكان. له من الايادي البيضاء على النشء العربي في التربية ما لايمكن ان ينكر وما يجعل الشباب ممن يصلحون ان يكونوا في مقتبل حياتهم وآتيها رجال. جيش يعول عليه فرحم الله النشاط في هذا القائد الكبير ورحم الله الغيرة والحمية في رجلها العظيم وعزى شقيقه الزعيم العسكري الكبير السيد امين وآله الاكرمين والامة السورية العربية عن فقد مثل هذا القائد الشجاع الكريم .

الشهيد زكي المرادي

نكبر في هذا الفقيد الذي انبثق من عائلة شهرت ابنائها سلفا وخلفا عمت اقطار الاقليم السوري ماامتاز به من ايثار وتضحية وخلق سامي عم الجميع بفضله وتناول الاكثرين عددا ممن كان له به اتصال ومن الضروري ان نأتي على ذكر ما لهذه الاسرة الكريمة من سؤدد وعلم ووجاهة ونسب رفيع يمت الى امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من ناحية والى ما تفرع منها مما يناهز الخمسة عشر مفتيا في عاصمة الامويين ومن هذه الاسرة الشريفة صاحب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر ابو الفضل خليل المرادي كان فقيدنا يجمع الى حصافة الراي قوة العضل وكان من مشاهير الرماة بحيث لا يخطيء الهدف قط كان يجود بالمال وبالنفس معا لم يعرف عنه انه رد قاصدا او اشاح عن راغب في مساعدة وكان كثيرا

حايمد يد العون والإيفة حتى او استهدف الخطر من جراء ذلك حياته ولعارفيه الاطلاع الوافر على ما بذل وضحى ذاكرين له وقائع عدة .

كان ابان العهد التركي موظفا في شعب المالية ومفتشا للجباية في قصبة حوران وفي ذلك الحين كان على اتصال مع جلالة الملك فيصل الاول عندما كان هذا الملك اميرا وقد استشار المليك بالالتحاق به مع رهط من الفرسان فآثر الملك بقائه في منصبه بحوران اذ ان وجوده على راس العمل ادعى للفائدة واوفى بالمرام . وكان همزة الوصل بين الاقطار العربية وبين اهالي حوران وكان يفضي من حين الى حين من اخطر المعلومات عن العثمانيين للجيش العربي ومما سهل له سبيل الدعاية للتخلص من النير التركي ما كان يقوم به موظفو الاتراك من اضطهاد وتنكيل وعذاب وبذا استطاع ان يحمل قاطني حوران على العصيان وقد بلغ به الامر حدا كان الكثير من الحوارنة يسعى كل مافي طاقته للحصول على بندقية وذخيرتها لغرضين الاول قصد العصيان على تركيا والثاني للالتحاق بالجيش العربي وظل كذلك حتى دخل الجيش العربي حوران فكان الشهيد في مقدمة المستقبلين .

ساهم الفقيد العزيز بالثورة السورية فأسس دارا في كل من قريتي سكا والغزلانية في الغوطة استقبل المجاهدين من حين الى حين فيهما وقد كان له عمل يؤثر في كل من الهيجانية والغزلانية وحران العواميد وبذلك كان له النفوذ الاكبر في نواحي المرج واشترك في جميع المعارك التي حدثت في تلك الربوع فابدى فيها من انواع البسالة والشجاعة ماجعله يعد بمئات وقد اثر في نفس شهيدنا استشهاد الفتى الشجاع شوكت البسطامي ابن أخت الفقيد فطفق على اثر وفاته في ساحة الوغى يعرض نفسه لكل خطر محدق ويرمي بحياته في كل هوة من الخطر وعندما انفرط عقد المجاهدين في اكثر الانحاء قبيل القضاء على الثورة توجه للجبل ليرى ماذا يجب ان يفعل . فالتقى بالمجاهد الكبير نسيب البكري وباخوانه فارتأى عليه ان لا

يبارح المرج حتى لا يخبو سعير الثورة هناك اصغى الى ذلك وعاد صحبة ثلاثين من رجاله وقد جرت له معارك ومناوشات بسيطة حتى اصطدموا في ذات يوم بحملة بابيلا التي كان عدد رجالها يتجاوز الالف مقاتل وقد اطبق الجند على المجاهدين فاضطروا لان يفوزوا من المعركة بالخلاص الا فقيدنا الذي لم يفر بل ظل يطلق النار صائحا بالثارات شوكت بالدماء عادل النكدي بالعروبة والوطن وصمد بمفرده يناضل ويكافح حتى نفد العتاد منه فتمكن منه اعداؤه بعد ان جندل منهم ثمانين رجلا قبل ان يصاب وفي عام ١٩٢٦ ودع هذا العالم عن عمر لا يعدو الاربعين ربيعا وهو في جدثه في قرية بابيلا قضاه بما شاءت له الرجولة وشاء لها من كل صفات مثلى ومزايا عليا وصبر جلود فهو مفخرة أسرة المرادي الكريمة بنوع خاص وسورية والشعب العربي بوجه عام .

الشهيد زكي ابن سليم الشربجي

وان كان هذا الشهيد الكريم لم يتثقف الثقافة العالية الا انه كان صلبا في دينه شجاعا في قتاله احد تلامذة العلامة الكبير الشيخ الدقر وقد كان في سلك الدرك الجندي الاول بسالة وبطولة ظل يجاهد في اكثر مواطن الثورة حتى كانت واقعة عقربا ولم يكن له من العمر اذ ذاك الا ثلاثين عام يوم ان قضى نحبه في سبيل المبدا الحر والوطنية الصادقة والدين الحنيف .



الشهيد سعد الدين ابن عبد الله ابن احمد مؤيد باشا العظم

ينفرد شهيدنا العزيز هذا من بين فقدائنا الابرار بالثبات على الوطنية الخالصة وعلى العقيدة الراسخة التي مايمكن لصروف الايام ولا لكر الاعوام ان تنال بشيء منها .

بزغ هلال حياة هذا الفقيد في سماء دمشق وقد تعهد امره ورعايته والده السيد عبد الله واتى له بالاساتذة الى داره حتى اصبح بامكانه ان ينضوي تحت لواء المدرسة الابتدائية الرسمية وهنالك استطاع نيل شهادتها فترقى الى مدرسة السلطاني وكانت الحرب الكونية قد ذر قرنها فلم يستطع شهيدنا الكريم ان يتمم الدراسة فيها فتركها مكرها والتحق الامير فيصل شهيدنا الكريم ان يتمم الدراسة فيها فتركها مكرها والتحق بجيش الامير فيصل وكان من المبرزين في تلك الايام فكوفيء بوسامين على ما برز به من شجاعة واقدام وكان موضع اعجاب الاعراب وامرائهم حتى ان احدهم قد قدم اليه حساما اشعارا بانه رجل سنام وآية طعان وكان الى المليك العربي عندما دخل للمرة الاولى دمشق ظافرا . انكب فقيدنا الهمام على الاشتغال بالسياسة وقد اخذ بتاليف كتاب يضم ما تبعثر من حوادث القضية العربية ولم يتمكن من اتمامه لما اوقفه عنه من تعاطي امور الزراعة .

ساهم بحوادث كراين بعد ان انسل عرش الملك فيصل واشترك بالثورة السورية فكان اللولب الذي لا يهدأ والمحرك الذي لا يفتر كان فقيدنا الكريم مضرب المثل في الشجاعة ومحل التقدير وموضع الاعجاب وكان ممن يعتمد عليهم ويوثق به لهذا تودعت اليه مهمة وطنية من قبل الجبل الاشم يؤديها في الشرق العربي الى العسكري العظيم البطل يحيى حياتي وكان اليهما دليلان من عرب السردية يقودانهما سواء السبيل في الليل الاليل وقد امتاز فقيدنا بان كان ما يبدل زيه العربي الذي شب على الظهور به ومات وهو في ذلك الزي الذي كان رمز العروبة وشعار الحرية ودليل الانطلاق من الاسر والعبودية ، الكوفية والعقال والعباءة فما بدل هذا اللباس ولا لبس سواه

ولا عدله ارتداه سلما وحربا في المدنية والبلاية في الدعة والنعيم وفي البؤس والشقاء والعيش الدامي .

ذهب الشهيد الكريم والقائد الكبير يحيى حياتي الى دليليهما وقد سولت الى هذين الاغيرين الوغدين نفساهما الدنيئة ان تغدرا بمن وجب عليهما حراستهما والاخلاص لهما والذود عنهما والغدر من شيم اللئام انحطت همتاهما الى ان بات كل منهما يرى الجبن شجاعة والرعدة اقداما والاسفاف الى الحضيض رفة ومقاما وقد نفذا ما انطويا عليه من لؤم وما جبلا به من شر وما ترقرق في فؤادهما الدنس من دناءة وحطة وسفالة فصوب احدهما رصاص بندقيته على شهيدنا المؤيد الفادي فارداه قتيلا يستشهد الصحراء على ما نزف منه من دماء ويرقب السماء بعين جمدت تنتظر من الله ان يوقع بأسفه اللؤماء وصوب الآخر بندقيته الى رفيق الشهيد الكريم فلم يستطع رصاصها ان ينال من مجاهدنا يحيى حياتي الا قسما من طرف اذنه وفر الظالمان السافلان لا يلويان على شيء فعليك رحمة الله يا شهيد الغدر ويا ضحية الخيانة ويارجل الشهامة والمروءة والحمى الذي لم يعرف بك فتور وفي سبيل الله والعروبة والوطن ما قمت به من جليل الاعمال ورفيع الفعال .

الشهيد سليم الاظن

ساهم هذا الفقيد في اكثر مواقع الثورة حتى كانت موقعة زاكية عام ١٩٢٦ وفيها قام باقصى ما استطاع من واجب الدفاع فاستشهد فيها ولم يكن قد ناهز الا الخمس وثلاثين عاما .

الشهيد سعيد حجاز

غير المثقفين في الامة السورية كانوا كالمتعلمين شجاعة وبسالة وللوطن فداء شهيدنا هذا لم يكن ممن تثقف او تعلم الثقافة او العلم المطلوبين وقد ابرز بعد التطويق بواقعة زيدين ما شهد له اقرانه من بطولة انهت عمره الذي كان خمسا وعشرين عاما بالشهادة التي تطلبها عن جدارة واستحقاق .

الشـهيد شوكت العـائدي

الدهاء والمفاداة والصمود والتضحية والثبات على المبدأ كله كان من خصال هـذا الفقيـد الغالي فقـد كان على واجب لوطنـه لايضاهى وكـان على حماس في سـبيل البلاد لا يجارى وكـان على تمسـك بالعقيـدة لايبز ولا يقارب . درج الفقيد في دمشق يرد مناهل العلم فكان في طلاب مدرسـة الملك الظاهر واخذ يجد وينشـط حتى نال شـهادتها وتاهل لدخول مدرسـة السـلطاني وتابع الدروس حتى النهاية فصادف بدء الحرب العالمية فكان في عداد من اخذ للجيش العثماني باسم الخدمة المقصورة اي وكيل ضابط وظل هذا الشـهيد في الجيش التركي سـتة اشهر في بعلبك من سنة ١٩١٥ حتى اتى في نهاية هذه المدة الى مسـقط راسـه فكان ضابطا لسرية الهجانة فـي قريـة القابون وقد ابدى من الحنكة العسـكرية والخبرة في الجندية مـا دعا رجال السـلطة من بني عثمان اذ ذاك لان تنتخبه للمدينة المنورة ملتحقا بفيلق فخري باشا بالجيش هناك وبقي الشـهيد الى ان شبت الثورة العربية فالتحق بها يرافق سـمير الرافعي واخذ يعمل بما اوتي من جد وحماس في ميـدان الثورة واليه يرجع فضل تشكيل الحرس الملكي برئاسـته وقـد وقع اختيار الملك فيصل وقد كان اميرا اذ ذاك على هذا الفقيـد فجعله مرافقه الخاص في ساحات الوغى الكبرى فكان عند حسـن الظن به وكان خير محافظ على الواجب الجندي وعلى ما ينبغي ان يكون عليه من الخلق كل عسـكري شريف دخـل الجيش العربي عاصمة الامويين عام ١٩١٨ فكان شـهيدنا البطل معاون قائد موقع دمشـق القائمقام عبد الله الدليمي وكان اذ ذاك الفقيد رئيـسا فابدى من مواهبـه ومن ينبوع عبقريته ما رقاه الى رتبـة قائد معاون في السابع عشر من تشرين الاول سـنة ١٩٢٨ قام الشـهيد بما وسد اليه من منصب خير قيام حتى كان بتاريخ ثالث كانون الاول سـنة ١٩١٨ في اللواء الملكي ومنها الـى قيادة القنيطرة وقد كـان موضع اكبار عارفيه وكان محل اعتبار الخبيرين

جه وكان خليقا بكل منصب سامي ومركز رفيع عمل مع العصابات التي كانت تغور على مرجعيون مع الامير احمد مريود والامير فاعور فكان اهلا للاعجاب باعماله وتقدير افاعيله والحق بقيادة الفرقة الثالثة ومنها الى موقع الشام فكان فيه القائد المعاون ثم اتبع بقيادة الفرقة الاولى في الثالث والعشرين من تموز عام ١٩٢٠ وظل كذلك حتى اكتسح الجيش الفرنسي عاصمة بلاد الشام دمشق وعندها توجه نحو عمان فكان قائد موقعها زمنا غادر هذه المدينة في نهايته الى القاهرة وتردد بين دمشق وعمان خلال ذلك زمنا يسيرا ولما تالفت الحكومة العربية الشريفية واعقب ذلك الحكومة العربية السعودية التحق بالشريف فكان قائد حامية جدة اما عندما نفخ بوق الثورة السورية في البقاع والتلال والبطاح فقد نفر يخف اليها جائدا بما كان اقتصده من رواتبه التي استوفاها تامة واندفع الى ميدان التضحية الحقيقية راكلا المراكز والمناصب يبتغي المنصب الاكبر والمقام الارفع ينشد مكانة المجاهد الشريف المقاتل في سبيل الله والوطن وفي معركة ام الشراطيط ختم هذا الفقيد العظيم حياته المملوءة بالمحمدة والمكرمة بعد ان عارك الاعداء في كثير من المواقع وابلى احسن البلاء وقضى في هذه المعركة شهيدا باسلا غامر في كل شيء وجاد بأعز مالديه وهو الروح .

الشهيد شفيق عمر باشا

ما زال هذا الحي الكريم حي الميدان بدمشق ينجب من حين الى حين في هذه الثورة المباركة رجلا تلو رجل وبطلا تلو بطل ففقيدنا شفيق يمتاز بانتسابه من ناحية امه الى صاحب الرسالة الكبرى صاحب العروبة الحقة شمس الدين الحنيف الرسول الاعظم والنبي الافخم محمد بن عبد الله فحق لهذا الشهيد ان يسير على غرار من مت اليه بنسب وان يتخذ منه المثال الذي يسار على ضوئه ويهتدى بهديه ويحتذى في كل سبيل حذوه .

كان هذا الشهيد الكريم من ذوي الآراء الصائبة والعواطف النبيلة والحدب على الفقراء والانتصار للضعفاء وكان ذا نخوة ومروءة وشهامة وبأس وطول مراس له اليد الطولى في القضايا والاحزاب السياسية ولا سيما في فاجعة ميسلون الشهيرة فقد امد الثورة السورية في جميع قواه مادة ومعنى وفدى وطنه بالنفس والنفيس وقضى شهيدا فداء بلاده في ٢١ تشرين الاول سنة ٩٢٦ وآخر ما ختم به حياته المملوءة بالجليل من الاعمال قوله — لن يموت هذا الوطن مادام عرق العروبة نابضا بقلوبنا نحن العرب — فرحم الله هذا الفقيد العزيز بعدد مآثره وحسناته .

الشهيد شوكت البسطامي

لا نعدو كبد الحقيقة ان قلنا ان هذا الشهيد الفتى هو اصغر المجاهدين سنا وان كان من كبارهم فعلا وصبرا صاح به الوجدان الكبير الذي كان بين جنبيه ودعاه الضمير الحي الذي خفق بين برديه واهابت به نخوة العروبة التي عششت في راسه واقامت في نفسه وتناولت جميع مشاعره وحسه فانبرى يتطلب الثورة ليكون في عداد رجالها وهو اصغر ابنائها .

برهن هذا الشاب الحبيب على ان العربي السوري لايقعده عن الواجب سن ولا يحول دون دفاعه عن وطنه حائل مادي او معنوي او طبيعي وانه اذا ماراى الذل يهجم على ربوعه ليظللها بجمجمته طفر طفرة الرئبال يهيض تلك الاجنحة ويميط عن ربوعه كل لثام هكذا كان شان فقيدنا الفتى البسطامي الذي ابى عليه اباؤه ان يظل مع القاعدين فخاض معارك الجهاد وهو لم يتجاوز الخمسة عشر عاما فكان من افاعيله مارفع راس الثورة عاليا وما قوم من اعوجاج الكثير ممن يدينون بالباطل وظل الى خاله البطل المجاهد الصابر زكي المرادي لا يفارقه ويلازمه ملازمة الظل حتى كانت معارك الغزلانية ودير الحجر وفيها نفر الى الاعداء بقلب اصم ونفس جبارة وقلب فولاذي وما كان الاعداء لينالون منه منالا لولا ان اميت السرج من تحته وهو كار على الاعداء

فهوى عن فرسه وقد ادركته فرقة من المتطوعة فاستحكم بالارض واخذ يطلق النار على مهاجميه حتى اردى منهم عددا كبيرا وحتى نفد منه الرصاص فانقضوا عليه وافرغوا في دماغه المفكر رصاص مسدساتهم فكانت آخر نظرة منه اليهم نظرة التشفي اذ انه لم يذهب دمه سدى بل قاتل في اعدائه قبل ان يقتل ونال منهم قبل ان ينالوا منه ودفن في مقبرة الفزلانية تاركا من بعده الى اترابه آية البطولة خالدة ينسجون على منواله بها ويحذون حذوه فيها ويذكرون انه كان الاسبق وعليهم ان يلحقوا به .

الشهيد شفيق ابن عبد الله السكري

لم يكن حظ الثورة من طلبة المدارس بأقل من حظها من بقية طبقات الامة وهاهم أخوتنا الطلاب الاكارم يتلو واحدهم الآخر في ميدان التضحية والبطولة والمجد فشهيدنا هذا تلميذ ايضا خرج الى النور بثوب المدرسة الذي كان به يقتعد في معهده العلمي مقعدا ليتلقى وهو فيه لبان الاضاحي والتفادي وقد ساهم في الجهاد حتى ألقي القبض عليه في قرية نولة فاستاقه الجند الى دمشق وما ان وصل حي الميدان منها حتى ابى عليه اباؤه ان يعود على أقدامه كما ذهب من دمشق فعصى على من كان يقوده واستنكف عن السير وعن دخول الشام مخزولا وعندما اضطروه للسير تشبث بأحد اعمدة الكهرباء المنصوبة ولم يفارقه حتى اذا عيي الجند عند اقتلاعه منه عمدوا الى الحربة يجزون بها انامله ويديه لعلهم يتمكنون من قيادته ولكنه كان اقوى منهم عزيمة وارسخ عقيدة فلم ينتصروا عليه وعندما اعياهم به الامر لجئوا الى الرصاص يستهدفونه به وهكذا قضى هذا الشاب الباسل فخر التلامذة منتصرا على اعدائه بان نفذ مشيئته فيهم وكانت كلمته هي العليا فلم يدخل دمشق الا محمولا منتصرا .

الشـــهيد صالح قنباز

اذا كنا نكبر في شهيد من الشهداء قيامه بالواجب فقد حق لنا ان نكبر ونعظم بشهيدنا هذا بطبيبنا المداوي قيامه بواجب الانسانية في ساعة ملأ الخطر فيها كل مكان في حماه وقليل من يقوم بما يتوجب عليه اذا مادنت ساعة الازمات والملمات لا بل قليل من يجود بروحه في سبيل غيره فهو كريم باقصى درجات الكرم وهو طبيب حقيقي بكل مافي هذه الكلمة من معنى لا يظنن القارىء العزيز ان هذا الفقيد الغالي قد انحدر من اسرة كبيرة بالمال الوفير عظيمة بالابهات والمظاهر الخلابة كلا ان فقيدنا العزيز نشأ من عائلة فقيرة بالمال غنية بطيب الاحدوثة والذكر المجيد كانت ولادته بمدينة ابي الفداء بحماه عام ١٩٨٧ وقد تعهد تربيته ابواه اللذين كانا في بلدهما مثال الدعة والتواضع والحكمة والادب واخذا يتعهدانه في الرعاية جهد الطاقة حتى اصبح بسن يستطيع معها ان يكون تلميذا في مدارس حماه الابتدائية . اكمل دروسه الاولية في مدرسة كان يقوم على ادارتها مفتي المدينة الاستاذ الشيخ سعيد النعسان وقد اتم الدراسة فيها هذا الفقيد الكبير بتفوق كبير لقد انتقل الى مدرسة حماه الاميرية اذ كانت مؤلفة من صفوف خمس الثلاث الاول ابتدائية والاثنان الآخران ثانويان واجتهد هذا الفقيد الحبيب حتى كان نبراسا مضيئا في معهده وحتى اشاد بذكره مدير تلك المدرسة السيد رفعت في خطاب القاه يوم الاحتفاء بتوزيع الشهادات واعطاء الفقيد شهادته اتى الفقيد الى دمشق ليكون في عداد طلبة المدرسة الثانوية فيها وكان الاول في كل صف من صفوف هذه المدرسة فتى من مسلمي جزيرة كريد ما كانت التلامذة بقادرة على انتزاع الاولية منه وظل كذلك حتى انتمى فقيدنا الغالي الى تلك المدرسة وكان في الصف الذي فيه الكريدي المتفوق عندها بـذ شهيدنا ذلك الفتى وفاق عليه وانتزع منه رتبة الاول وكان مكانه وانهى الشهيد الزكي هذه المدرسة ونال شهادتها وانخرط في المعهد الطبي العربي بدمشق.

ونال الاجازة في الطبابة من ذلك المعهد عام ١٩٠٦ بعد ذلك بيسير كان الفقيد في عداد الضباط وكان مقداما حكيما له اليد الطولى في كل محمدة ومكرمة وقد ساهم في كل مشروع نافع في حماه وكان دعامة لكل حركة وطنية مباركة ولم يكن عالما في الطب والعلوم المادية الدنيوية الطبيعية فحسب بل كان فقيها متشرعا عالما بالفرائض الف فيه كتابا لم يطبع بعد وكان عالما في التاريخ متضلعا بحوادث امته بارعا بسير الامم الاخرى . يكاد ان يكون الفقيد اعلم ابناء وطنه في الرياضيات والطبيعيات يراقب باهتمام ما يحدث وما يتجدد في علوم الكون والطبابة من نظريات حديثة . كان على عقيدة راسخة بوجوب كون كل من ابناء الامة جنودا في جيش العمل الحقيقي وان يسعى الجميع على اختلاف الملل والنحل وراء الاستقلال القومي والاقتصادي ودواعي الحياة الحقة وكان الى كل ذلك مثابرا على القيام بواجبه الديني فلم يفته اداء صلاة من الصلوات الخمس في يوم ما ولم يمر به واحد من اشهر الصيام لم يمسك به عن الطعام وعن جميع المحرمات . اشتهر بذلك منذ بلوغه العلم حتى نيل الشهادة في سبيل الله والواجب وبعد ان انهى فقيدنا الانساني دروس الطب كان استاذا للعلوم الطبيعية في مدرسة ابي الفداء الثانوية وظل فيها حتى نشوب الحرب العالمية . كان في عداد مؤسسي معهد دار العلم والتربية بحماه وكان عماده الرفيع وركنه الركين ساهم بالتاليف وضرب بسهم بقسط وافر فالف كتب مدرسية عديدة واسس ناديا ادبيا في حماه وكان من ابرز مزايا الفقيد ايثاره العمل في الخفاء على العمل بجلاء فكان يفضل بان يقوم باعظم الاعمال خطورة واهمية من غير ان يعرف عنه هو الذي قام بذلك وكان يعتقد بانه وقف على المصلحة العامة وهبة للامة وكان يكره الظهور متمثلا بالقول الماثور (الظهور يقسم الظهور) . لم يشا طبيبنا الشهيد ان يكون في نجوة عما يكون في الغرب من تجدد في الطب فيمم وجهته نحو البلاد الفرنسية عام ١٩٢٣ ليطلع على ماحدث في العالم الطبي من رقي وكان من متخصصي الطب الباطني «فاجتمع الى الجهابذة من الفرنسيين يستكشف الحديث من الفن في هذا الفرع من

الطب وما كان ليدع الفرصة تمر دون ان يقتنصها فقد كانت احاديثه تمتد بينه وبين هؤلاء الاعلام من رجال فرانسا الى البحث واياهم فيها كانوا يتوونه للامة العربية وكان في غضون اقامته بفرانسا ساعيا سعيا حثيثا وراء افادة امته عن طريق محادثة رجالات فرانسا بالقضية الوطنية العربية مدعما وجهات نظرهم بشانها بادمغ الحجج وانصع البراهين وفي اواخر العام الملمع اليه آب من اوربا الى القاهرة وكان اوان اداء فريضة الحج قد آن فما اراد ان تمر به تلك الفرصة من غير ان ينتهزها فذهب الى الاراضي الحجازية المقدسة وآب منها حاجا يمم وجهته نحو بلده حماه ولم يستقر به المقام في مدينة ابي الفداء حتى اخذ بترجمة كتاب المستشرق المجري (غواد قهر)وموضوعه (الاسلام وشرعته) وكثيرا ماكان يمد مجلة الزهراء من حين الى حين بابحاث طبية وفي اليوم الخامس من تشرين الاول عام ١٩٢٥ كانت الثورة السورية حامية الاوار في حماه والقوى الفرنسية تفرغ حممها وقنابلها على رواد الحقيقة ورواد الحرية ورجال الوطنية من اهل تلك المدينة وكان الفقيد الغالي في منزله يحز نفسه الالم لما يجري حوله بلده من كل اليم وشديد وقد اطل يسرح الطرف في الطريق العام فوقع بصره على حادث كان له في فؤاده وخز والم ذلك ان احد ذوي قرباه اصيب بطلق ناري كان بحاجة لمعونة طبيب يداويه فما ان شاهد طبيبنا المفضال ذلك حتى هرع الى البر لما عاهد الله عليه يوم نيله الشهادة واقسم له من مد يد العون الى كل من هو بحاجة لمعونته عن طريق صنعته وطريق قيامه بواجبه الانساني ، اسرع الى نجدة ذلك الجريح ولم يبالي بالنار التي كانت تنهال من كل حدب وصوب على البقعة التي وقع فيها المصاب جريحا وبينما كان آخذا بفحص الجريح والعمل على تضميده قائما بواجب فرض واذ اطلق عليه احد الجنود الفرنسية نارا حامية اصاب من الطبيب المداوي مقتلا فاصبح المنجد المضمد بحاجة لمن يسعفه ويضمده وبات الطبيب بحاجة الى من يطببه . انا لانود ان نحمل على الامم المتوحشة عندما تقوم بعمل بربري لانها ليست على حضارة ومدنية تردعها عن اتيان

وحشي من الاعمال ولكن بماذا نصف عمل بعض الفرنسيين المفروض فيهم ان يكونوا على شيء من مدنية وثقافة وبماذا نعلل استهدافهم طبيبنا حرمت القوانين الدولية باجمعها التعرض لـه بالأذى ان لم تحض على وجوب رعايته واحترامه وتقدير قيامه بالواجب الانساني .

بماذا نستطيع ان نعتذر الى هذا الرجل الفاضل الى هذا الطبيب الوفي الى هذا الانسان الحقيقي عن عمل الجند الذي يقرنا احرار الفرنسيين على انه كان بربريا وحشيا ليس فيه ذرة من الانسانية .

لنعد الى فقيدنا المجاهد وان لم يجرد سيفا او يصوب نحو هدف رصاصا فقد خر صريعا في حومة الجهاد المعنوي الادبي الاخلاقي . قضى شهيد بره بالوعد وانجازه للعهد وصدقه ماحلف عليه فهو قد كتب بصنيعه ذاك الى زملائه الاطباء والصيادلة من بعده ان الواجب واجب والفرض فرض وان يمد يده مقسما جهد ايمانه ان يكون انسانا صحيحا عليه ان يكون كذلك وقد كان الفقيد رحمة الله عليه هذا الرجل فهو مثال على كل طبيب انساني ان يحذو حذوه وان يسير على غراره وينسج على منواله .

الشهيد صبري الخطيب

من جملة الذين تلقوا العلم ايضا على الاستاذ الشيخ الدقر هو هذا الفقيد الشجاع الفتى الذي لم يكن قد تجاوز خمس وعشرين عاما من سنه يوم ان خرج الى الجند بمفرده في حي الاكراد واشتبك لوحده مع ذلك الجيش فاوقفه زمنا يسيرا حتى نفذ ما كان لديه من ذخيرة وعتاد وبنفاذه نفلت حياته الدنيا يستقبل الحياة العليا بالشهادة .

الشهيد الامير عز الدين ابن الامير محي الدين الحسني الجزائري

يمت هذا الامير النبيل الى اسرة لها المجد مناطا والسؤدد لها اتصالا فهو نجل الامير محي الدين الحسني الجزائري وحفيد الامير عبد القادر الجزائري

من ناحية امه . انبلج كوكبه المضيء الى هذا العالم عام ١٩١٦ هـ فانخرط في مدارس دمشق الابتدائية وما ان ترعرع وشب حتى بعث به ابوه الى الكلية العثمانية في بيروت الكلية الاسلامية اليوم التي كان يراسها العلامة المرحوم الشيخ احمد عباس الازهري وما ان ومض بريق الحرب الكونية العامة حتى كانت اسرة فقيدنا العزيز محل اضطهاد الاتحاديين وموضع التشريد والابعاد الى بروصة على ان هذا الحرب ما كادت ان يحل محلها السلام الاوعادت هذه الاسرة الكريمة عائلة الفقيد من منفاها فاوى فقيدنا الكريم الى المدرسة العلمانية في بيروت حتى اذا ما انتهى منها انتقل الى القسم التحضيري من المعهد الطبي العربي بدمشق ليحق له دخول كلية الحقوق وهذا آخر عهده في المعاهد العلمية حيث طغت اذ ذاك موجة الثورة السورية العربية على اجواء دمشق وآفاقها وتناولت الشباب والشيوخ والنساء والاطفال فاصطلى بنارها من كان على همة مستنفدة وعزيمة مستنهضة وشعور دقاق فكان الفقيد من جملة من لبى داعي الوطن وفي طليعة من نفض عنه غبار الرضوخ الى المذلة فامتشق صارم العصيان وتوجه نحو ميدان الطعان وقد وقفت ايها المطالع العزيز على ما كان له من مواقف لم نسجلها نحن فحسب بل ان الزمن كتب على صفحات العبر آيات ما احرز من ظفر فهو المقدام بحق والشجاع عن صدق كان رحمه الله صريحا صادقا عاملا غير قوال ولا مداجي كان يجهر بالحق ولا يخشى ما ورائه وكان يصارح المرء مافي عقيدته غير حاسب لتلك الصراحة مغبة وكان كريما ما عرف انه قبض كفا او لم يدا بل كان من اهل الجود والندى كان على قلب عاطف وشعور رائف واحساس يكاد يبين من شدة الحنان كان على هذه الصفات والمزايا كريم الاخلاق عذب الحديث رقيق الحواشي جميل الاحدوثة والذكر لايمل مخاطبة حديثه مهما طال عرف بالمواساة ولين الطبع وكريم الخلال كان بارعا في ركب الخيل والقنص متفوقا على اترابه اما اخلاصه ووطنيته وحميته فهذا مالا يستطيع تحديده بنان او وصفه انسان وهو على ادب جم وشعور

فياض ونفس سامية ولولا ان يقصف المنون هذا الجوهر المكنون والفصن المجون لكان لهذا الشاب المركز اللائق والكعب العالي والاوج السحيق في السماء .

مواقعه الشهيرة ومواقفه الكبيرة واعماله المجيدة في السورية عديدة محفوفة بجلائل الغايات وانبل المكرمات فهو كان في عداد من بث الدعوة للثورة داخل البلاد وخارجها وكان له الفضل في تامين مواصلات المجاهدين وامدادهم بالذخائر والعتاد وموافاتهم باصدق الانباء عن الاعداء وقد ساعده على القيام بهذه المهمة الخطيرة مهمة الاستخبار الوثيق اتصاله بقسم من اركان الجيش الفرنسي واذا ما انصفنا هذا الفقيد الامير الشاب حقه فان علينا واجبا يقضي بأن نعلن للملأ ان من جملة الاسباب التي اهابت بانتصار الثائرين في وقعة ميشو استطلاع هذا الذكي الحاذق اخبار الجيش وقوى العدو وخططه مرسلا بكل ذلك الى السلطان في حينه فكان لدى القائد العام كل هذه المعلومات الهامة قبل ابتداء المعركة بايام اربع ومما اشتهر عن فقيدنا الغالي انه كان قوي الحجة قادرا على اقناع مخاطبه بوجوب الالتحاق بالثورة فكثيرا ما عمل على تحريض القرويين لان يشقوا عصا الطاعة وكثيرا ما بعث روح الثورة بالنفوس من مكامنها . لقد كان رحمه الله طموحا جدا ومقداما جسورا لا يبالي بالاخطار ولا بالاهوال وقد بلغ به التحمس والشجاعة ان بيت في احد الايام على مهاجمة مركز الطيران الفرنسي في المزة مع لفيف من الثائرين المخلصين الاشداء وكاد ان يفلح في مسعاه ويظفر بمناه لولا ان حدث خطا في الهجوم نبه الاعداء وحذر الاخصام ومما يذكر لهذا الشهم بالشكر أن ازعاجه السلطة الفرنسية بتخريب الخطوط الحديدية والاسلاك البرقية ومهاجمة القطارات العسكرية المشحونة بالذخائر والادوات الحربية والاجمل في الامر انه ماكانت السلطة لتستطيع فضح امره او كشف سره لقد كانت باكورةأعمال الفقيد جمع اربعمائة مقاتل بين فارس وراجل عقيب مهاجمة الثائرين دمشق وخروجه برجاله الى جهات العادلية واشغاله مفرزة الشراكسة وقائدها

الشركسي عثمان بك وقائدها الفرنسي وقد هزم الفرنسيين والشراكسة في هذه المعركة شر هزيمة كان يقوم بكل ذلك من غير ان يتظاهر بالعداء الى الفرنسيين اذ انه على عقيب تلك المعركة كان في دمشق بين اهله وخلانه كانه لم يفعل شيئا ظن رحمه الله الفرنسيين غافلين عنه وانهم جاهلون ما قام به ويقوم من جليل الخدمات وعظيم الفعال لهذا ما كاد أن يظهر حتى القي القبض عليه وزج في السجن وقد لاقى فيه من ضروب التنكيل وصنوف التعذيب الوانا واخيرا خرج منه لما لاهله من المكانة والمنزلة والنفوذ ثم التحق بالثورة علنا بعدها وانضم الى الاخوة المجاهدين وقد اختط لنفسه خطة في الثورة منها يدرك المرء مبلغ ما انطوى عليه هذا الشهم من نبل وذكاء وقد اوضح رحمه الله ذلك بقوله بمذكراته : وجدت ان الواجب يقضي علي بالالتحاق باخواني المجاهدين جهارا فتوكلت على الله وهيات نفسي للعمل مفاديا بالنفس والنفيس في سبيل الوطن العزيز ووضعت برنامجا لاعمالي وهو اولا ان لا اتعرض للقرى بطلب شيء منها للتذمر والعداء .

ثالثا عينت لعائلات الشهداء مرتبات شهرية حتى يكون المجاهد مطمئن الاطاعة العمياء .

ثالثا عينت لعائلات الشهداء مرتبات شهرية حتى يكون المجاهد مطمئن القلب مرتاح الضمير اذا اصابه شيء وجعلت راتب الجنود ثلاثة جنيهات مع الاكل والشرب والدخان ويزاد له الراتب ان قدم كفاءة وبسالة وتعطى له مكافاة تتناسب مع اهمية عمله ومن يقترف اعمالا مشينة سيئة وسواها يعاقبه عقابا صارما .

اشترك الفقيد الغالي في معارك الاقليم فكان بطلها المغوار وفارسها المقدام ورجلها الوحيد واستولى على محطة الكسوة فسلب صندوقها ما كان فيه من دراهم ويقدر بستمائة ليرة سورية لم يتناول منها قرشا واحدا بل وزعه على الاخوة الذين معه وكان في معارك يلدا ودوما وتل القابوسية وعين ترما وزغبي

وزاكية ووادي معربا وام الشراطيط ومعارك الجبل وقد برع رحمه الله باتلاف الخطوط الحديدية وتدمير الاسلاك البرقية والهاتفية لا سيما الخطوط المتصلة بين دوما ودمشق من ناحية والقنيطرة ودمشق من ناحية ثانية لا سيما ما اقتلعه ورجاله من اعمدة البرق قريبا من محطة الكسوة وقد قدر عدد تلك الاعمدة بثلاثمئة ومن الجميل جدا ان نثبت نص الرسالة التي تركها للفرنسيين : « بما اننا مررنا بهذه الجهات وربما ان يبلغكم ذلك فاحببنا ان نترك لكم اثرا تذكروننا به ونأسف جدا بان ضيق الوقت لم يسمح لنا بان نخرب اكثر مما وقع نظرا لكثرة الاعمال المطلوبة منا في جهات ثانية وبالختام نرجو من الله ان ينصرنا عليكم ويردكم الى بلادكم مدحورين خاسرين » .

وقد ساهم الفقيد في القضية الوطنية في براعة اذ طالما تقدم في التقارير المسهبة الى الهيئات العاملة بمصر يستفز همتها ويستنهض عزيمتها وهو الذي كشف الغطاء عما كان يقوم به البعض في الثورة من اخطاء في الاموال وسواها اشترك الفقيد باكثر مواقع الغوطة وعلى الاخص مع المجاهد الكبير سعيد العاص ومما يشهد بسرعة الخاطر وتوقد الذهن انه كان في احد الايام سائرا الى اخوانه المجاهدين قريبا من عرب الرولة التي كان بينها وبينه وبين الثائرين حزازات قديمة وكان يتحاشى التقرب من تلك القبيلة فبينما سار لاستطلاع اخبار العدو واذ وجد نفسه بين مضارب هؤلاء العرب وخيامها فلم يجد ما ينقذه الا ان استعان بالاستفادة من بذته العسكرية ولسانه الفرنسي فأوهم من اقبل نحوه من العربان انه فرنسي اذ كلمهم باللغة الفرنسية طالبا ترجمان وقد امرهم بتهيئة الزاد والماء للجيش الذي سيأتي قريبا فاكرموا وفادته واحسنوا استقباله واطلعوه على ان القائد الفرنسي نزيل الامير فواز الشعلان وانهم اقاموا للقائد معالم الزينة فشكرهم على ذلك وانفلت من بينهم وعاد عدوا نحو اخوانه المجاهدين يقص عليهم ما كان .

شاطر الفقيد اخوانه الثائرين الاحرار النصيب الاوفى في معارك زور – بالا

التي بذل المجاهدون فيها كل اوتوه من حزم وعزم وبطولة فكان الفارس المقدام وكان الشجاع الذي لا يصد وان نذكر له المآثر والمحامد فانا لا نفيه حقه ولا نتمكن من ان نؤديه قسطه .

لقد ترقى الفقيد في معارج الرفعة والمجد في الثورة السورية حتى انتهى به المطاف على ما اسلفنا ذكره في معركة عين اصحب التي بذ بها من كان ايه شجاعة وفاز على من كان معه بسالة وقد المعنا في حينه الى انه رحمه الله ابدى الصمود والثبات ما ادهش واعجب ولولا ان نفد منه العتاد ولم يعد بين يديه مايدافع به عنه ويحمي حماه لما بلغ الاعداء منه امنية ولما استطاعوا ان يصلوا اليه بسوء ولكن حم القضاء ونزل القدر ولم يعد في طول الامير النبيل ان يناضل ويطاعن ويجالد بأكثر مما فعل فظفر به خصومه في هذه المعركة المذكورة ونالوا منه مما لهم وهكذا طوى الفقيد الحبيب في شهر مايس عام ١٩٢٧ آخر صفحة من صفحات الشجاعة تاركا اياها بين ايدي الاجيال القابلة تتعلم فيها ما شاءت من فروسية وتضحية وجهاد وتلمع امامها فيها بروق الوطنية والحرية والفداء الحقيقية وتنير سبلها بما فيها من عبقرية وعصامية ونبوغ . فهو قاد في حياته اخوانه الى مواطن العزة والنبل بنفسه وقاد من بعد استشهاده ابناء قومه نحو الشرف والمجد فيما تركه بين ايديهم من آثر ومذكراته ومآثره فرحم الله الشباب الناضر الذي كان ولما يزل نبراسا يستضا به كلما احلولك ديجور الظلام وكلما تلبدة في افاق هذه الربوع سحب القتام .

الشهيد عادل النكدي

تنفرد اللوعة بهذا الشهيد العزيز على غيرها من اللوعات اذ وئد العلم قبل ان ينفع واندثرت الثقافة قبل ان تترعرع وانصهر غصن رطب كان مؤملا ان يكون دوحة فينانه يتفيا ظلالها الوف من الشبيبة المثقفين ومئات من الطلبة المتعلمين وعديد من رجال مخلصين فاذا مابكى اليراع فقيده الغالي عادل النكدي فانه يبكي فيه شابا لم يقطف من ثمرات علومه التي انكب على دراستها في

المعاهد الغربية ثمرا ولم يستنشق من نفحات ازاهير اتعابه اريجا ينعش الامل او عبيرا يحيي معدم الرجاء .

نعني بهذه الكلمة شابا كان ملء الدنيا بهجة وملء النفوس ثقة وملء القلوب املا ضروما .

ولد الفقيد في عبيا (لبنان) واخذ في الدراسة الاولية في مدارسها حتى اذا اصبح ممن يمكنه قانون الكلية العلمانية الفرنسية في بيروت من ان يكون في عداد طلابها كان في جملة هؤلاء التلاميذ . داب هذا الشاب النبيه على الجد والنشاط حتى ظفر بالشهادة النهائية عام ١٩١٢

وفي العام التالي تقدم للفحص لكي يكون في زمرة طلبة الحقوق في بيروت وقد كان النجاح حليفه واستطاع ان يتم السنة الاولى من المعهد الملمع اليه . اعلن النفير العام في العالم فتعطلت دروس هذا المعهد وآوى الفقيد الى داره يستعيض فيها عما فقده من المطالعة في المعهد . ولم يشأ الفقيد العزيز ان يكون هملا ولا غفلا فقد انتمى الى الاساتذة في مدرسة عبيا سنة ١٩١٥ وهي مدرسة رسمية انشاها الاتراك وظل استاذا ينير طلبته بالفكر الوقاد والعلم الصحيح حتى الغيت تلك المدارس التي انشاها الترك في لبنان عام ١٩١٧ فانفرد الى المطالعة وخدمة الامة عن طريق التعريب ثم الى الاعمال الزراعية حتى اذا ما كانت اواخر عام ١٩١٥ كان فقيدنا الغالي في عاصمة الامويين استاذا للفلسفة وعلم النفس في مدرسة التجهيز الرسمية . رأى ان بيروت بحاجة الى أن يكون مدرسا للغة العربية فيها ووجد ان المدرسة العلمانية الفرنسية تود ان تلقي اليه بمقاليد هذا الدرس لديها فغادر الشام الى هذا المعهد واصبح مدرسا فيه .

انكب هذا العزيز على متابعة دروس الحقوق وهوسه فيه دفعه الى ان يتوجه الى القاهرة فيكون في عداد تلاميذ معهد الحقوق الفرنسي فيها فسعى سعيه للدخول في السنة الثانية من ذلك المعهد ولم تستغن عنه بلاد

لبنان اذ جعلته مديرا لمدرسة عين قنية في الشوف على ان الدهر ما كان ليدعه يرتاح او يستقر اذ دعته ظروف سياسية قاهرة لان يرحل الى بيروت ومنها الى فلسطين ومن هذه الى اوروبا . فانخرط في جامعة لوزان - سويسرا ونال اجازة في الحقوق منها عام ١٩٢٥ وشهادة عليم في الحقوق في اوائل عام ١٩٢٦ وحصل على لقب عليم Docteur وقد عرب كتاب : (نظم اوروبا السياسية المعاصرة تأليف المسيو ايتان فلاندان وطبع الجزء المختص منه بدولة بريطانيا ثم كتب فيه تربية الاحداث) و (لمحة عن اصول الادارة في الاسلام)

Essai sur les principes ladministratifes dan l'Islam

Institution politiques de l'Europe contemporaine

وبهذا المؤلف الاخير نال شهادة الدكتوراة في الحقوق فكان اطروحته لنوالها ومما يذكر لهذا الفقيد بملء الفخار انه دبج مقدمة اطروحته باربعين صحيفة عزا فيها مايرى من تأخر الفقه الاسلامي الى قحط رجال الدين المتفقهين وبنى هذا القحط فيهم على ضغط الغرب على الشرق ونشب المستعمر اظافره في البلاد الاسلامية فغضب لذلك احد اساتذة الجامعة الذي كان في لجنة اعضاء لجنة الفحص واعتبر هذه المقدمة ضربا من التعصب وخروجا على نظام الجامعة فاضطر الفقيد الى الغاء تلك المقدمة وتحبير سواها وقد نالت هذه الاطروحة رضى اللجنة وموافقتها عليها ولم يفتر الفقيد عن نشر علومه بشتى الطرق فمن تأليف الى تعريب ومن مقالات الى محاضرات في لغة أمته وقومه وفي اللغة الفرنسية وبتوقيعه الخاص وبتواقيع مستعارة. فكثيرا ما كان يختص جريدة (اومانيته) الفرنسية بمقالاته الكثيرة. بالافرنسية كما كان يختص صحف المنبر والحقيقة والطالب والراي العام بمقالاته العربية السياسية والادبية والاجتماعية .

نشا شابنا الحبيب في بيت رفيع العماد له ولع بالعرب واخبارها وتاريخها وحضارتها وكان لبنان في تلك الآونة مقتصرا في ولعه على الادب مجردا عن النزعة السياسية من هنا ندرك ما عاناه حبيبنا الشاب من كل

مشقة وعذاب في عقد الصلة بين ميوله وميول ذويه من بني قومه وتوجيه تلك الافكار نحو العقائد الوطنية الصحيحة ونحو القضية السياسية العربية . ومما شد أزره في اقناع الغير الكوارث التي توالت على لبنان وكان اشد اذ انه الهب القوم حماسة واضرم محيطه نشاطا وبعث في مخاطبيه روح الوطنية صادقة ودعاهم لان يقولوا جميعا بوجوب تقرير المصير عن طريق الحرية والاستقلال وبذلك استطاع ان يحشد الجمع الغفير من ابناء لبنان الجنوبي مجمعين على المطالبة بالوحدة السورية امام اللجنة وكانت له مواقف شديدة على رجال السلطة وحمل فيها عليها عن طريق العقل والمنطق وطريق السياسة الايجابية الوطنية الصحيحة مالم تستطع السلطة ان تدينه بجرم ما بل كان ماقدرت عليه هو انها كانت من حين الى حين تتجنب مواقفه النبيلة ضدها فتوعز اليه بمغادرة لبنان . كان يدلي بالبراهين الناصعة على وجوب الوحدة السورية بحيث ما كانت السلطة ورجالها مهما علا كعبهم في ميدان البلاغة وقويت شكيمتهم في ساحة الفصاحة ان يقفوا امام ذلك العلامة المفكر والكاتب الكبير .

كان ينتقد اوضاع لبنان الكبير ويشجب انشائه ويتهكم كل التهكم بصورة ادبية قانونية لاتدع للغير مجالا لاخذه بمسؤولية ما مما ازعج واقلق وكان في بلاد فرنسا حركة دائبة للسعي وراء افهام الفرنسيين ورجال الحل والربط فيهم الحقوق السورية والقضية الوطنية فما كان يترك نائبا ممن نواب فرنسا الا ويتحدث اليه مقيما الحجة عليه وقد استطاع بفضل تلك المساعي التي بذلها ان يحمل احد رجال فرنسا هانري دو شامبون مدير سياسة مجلة المجلس النيابي الفرنسي على التصريح علنا على صفحات مجلته مرارا بما معناه : (ان القضية السورية قضية كائنة مغان لم تحل وفقا لمطالب السوريين فالاضطراب الفكري يزداد رسوخا وقوة)

وقد بلغت ثقة هذا الرجل الفرنسي بحبيبنا الفقيد درجة كان يقول عنه : (اخبرني بهذا المسيو نكد ولي في كلامه الثقة المطلقة) وعندما اعترى الجمعية السورية العربية في باريس الفتور اوقد هذا الشاب الملتهب ذكاء والمشتعل وطنية نار الحمية فيها فاودعها الحياة وبث فيها الروح ولم شعثها ووحد كلمتها وقادها نحو موطن الخدمة القومية الصحيحة وعندما شبت نار الثورة السورية عام ١٩٢٥ وفات الفقيد الحبيب ان يساهم فيها لم يقعده ذلك عن ان يشاطر اخوانه فيها بذكائه وحديثه ويراعه فكان بالحقيقة جهاده اذ ذاك في المنتديات والمجتمعات بخطاباته وعلى صحف المجلات واعمدة الجرائد والبيانات ببراعة افعل واثر اقوى من كل جهاد سواها وقد قال ثقة من القادمين من عاصمة الفرنسيين (ان عشر عشر ما كتبته صحيفة اومانيتيه الفرنسية عن الثورة السورية كان بقلم هذا الفقيد الاعز) وفوق كل هذا فقد كان لديه من النائب الفرنسي المسيو مارسيل كاشان ما لايقل عن ثلاثمئة جواب على الرسائل التي بعث فيها الفقيد اليه ...

هذا بعض من كل وجزء من جميع ونقطة من بحر وهذا ما لم يتفق لغير عادل ان يقوم به في بلاد الغرب في بلاد فرنسا من اعمال تدهش وتحير وتعجب على انه بعد كل هذا لم يقنع رحمة الله عليه ان يجاهد بالقلم ولم يرو ظمأ شبابه المتوقد ما سيل من مداد بل تعطش للدماء وشاء بأن غلته الصادية من مهج الاعداء بالصمصام والحسام بدل اليراعة والكلام .

كان رحمة الله عليه عاقلا حكيما اذ انه ماانضوى تحت لواء الثورة بالفعل الا من بعد ان اتم جميع دروسه ونال شهاداته عن جدارة وكفاءة واذا كان البعض من علماء في الحقوق قد احرزوا شهادة عليم من اجل كتاب الفه فلدى هذا العبقري مجموعات من كتب ومقالات ومحاضرات ان في اللغة الفرنسية او في العربية وفي جميع الاحيان ان قبل الابتدائي في دراسة الحقوق وفي خلالها او عقبها . لقد استفزه حب وطنه الى وجوب

مغادرة فرنسا على اسرع مايكون غير منتظر ان يتناول بيمينه شهادة عليم في الحقوق لذلك قد ادى مايتوجب عليه من الرسم من اجل الحصول عليها وترك كي تبعث بها عمدة الجامعة اليه بعد لأي ما والتحق بالثورة عن طريق فلسطين ولم يعرج على بلده ولم يقابل احدا من بني قومه ولم يشأ ان يستثير في ذويه وآله حبهم وعطفهم عليه مخافة ان يقعدوا به من مواصلة جهاده بنفسه وروحه وقلبه وقد آثر الخدمة العامة والنضال عن الوطن على رؤية الاهل والخلان والاوطان وما ان كان لدى القيادة العليا للثورة حتى ارتأت هذه القيادة ان تجعل منه الحكم لحل ما قد يشجر بين الثائرين من قضايا فقام رحمة الله عليه بأعظم قسط من الوطنية الصحيحة دل على مبلغ ما كان يملكه هذا الفتى الشيخ من عقل راجح ومن حصافة في الراي واصالة في الفكر وتدبير وحكمة كل هذا لم يقعد به عن ان يكون في المعارك بنفسه فيخوض غمراتها بنفس القلب الذي ادهش الاوروبيين في بلادهم كما ادهشهم في بلادنا وقد شاء ان يعرفهم بنفسه في معامع الوغى ومواطن القتال كما عرفهم اليه بين المحابر والمنابر وعلى صفحات المجلات والجرائد والنوادي والمجتمعات لذلك عندما شاءت القوة ان تتغلغل في الغوطة مافترت همته ولا وهنت عزيمته بل اندفع مع تيار عواطفه الشريفه لكي يودع في ارواح من كان اليه من المجاهدين وجوب التضحية والمفاداة حتى ما تلتوي عزائمهم ولا تهن هممهم فبرز في الطليعة يحضهم على الثبات وينفخ فيهم روح الجراة بارزا واضحا متعرضا للاخطار لا يبالي بها وكان يخالف بذلك راي اخوانه الذين كانوا يلحون عليه بأن ينعكف عن هذا العمل حتى لا تفقد الثورة رايا صائبا فيه وشخصا حكيما بذاته وفي واقعة بالا صمد الى ثلاثة من الزعماء وخمسة وعشرين مقاتلا امام جيش عدده الالف وخمسمئة وكان في طليعة المجاهدين وانتهت هذه المعركة باصابته تحت كتفه فلم يبال بذلك واستراح يوما واحدا فقط وسكت عن القتال اذ انه ماحدثت فيه واقعة قط حتى اذا ما كان اليوم الثالث والخامس والسادس وكانت ثمة معارك ومواقع حرب

وجرحه لم يندمل وقاتل ودمـه يسيل وفي اليوم السابع شعر بانه منهوك القوى فاعتمد على ان لا يخرج وكان يوم ٢١ تموز فحدثت فيه معركة بيت سحم وما كان هذا الابي الحقيقي يسمع ازيز الرصاص يلعلع في الفضاء حتى حفزت به همته الى النهوض فتناول سلاحـه وانعكف على ساحة الحرب يبرز فيها وفيها ادرك ما التهب اليه من موت طالما سعى وراءه فاصابته في صدره مرمية رمت به ولكن في احضان الخلود في حجر الرفعة في سماء الفخر مدى الدهر .

وجل هذه صفاته وهذه اعماله وهذه تضحياته وجهاده حاشا للامم ان تنساه وللشعوب ان تفقد ذكره ولو فقدت محياه وشاب ملأ الدنيا بنفسه الكبيرة وقلبه الواسع وفكره الجوال المنتشر في الآفاق محال ان لا يملأ الدنيا بسمعها وبصرها وبافاعيله طالما كان اسمه وصيته وفعله مالىء الخافقين .

اذا كانت الامم الغربية تنحني احتراما امام عظمائها فاننا نحن معاشر العرب لانحني امام عظمائنا ولكن نقوم ظهورنا ونرفع رؤوسنا ونباهي بامجادنا ورجالنا فنحن لا ننحني امام ذكرك ايها الشاب الكهل الشيخ بآن واحد ولكن نعتز ونفاخر ونباهي ونذيل بانك واحد في امة ولو كنت امة في واحد وبهذا لك بلاء .

الشهيد علاء الدين الكيلاني

انا لنثبت لهذا الشاب الايثار من حيث ركله برجله المناصب والوظائف حبا بخدمة امته وايثارا للجهاد الصحيح على الراتب بقطع النظر عن مقداره .
كان الشهيد من الشباب الذين يعتز ويفتخر بهم وكان اصيلا بالنسبة الى نسبه وبالنسبة الى عمله فهو من الطائلة الكيلانية من ناحية ابيه ومن عائلة الحريري من جهة امه فقد جمع بين اصالة الحسب من الناحيتين ناحية

الوالدة وناحية الوالد واضاف الى ذلك ما امتاز به من خلق سـام ومزايـا رفيعـة كان مثقفا الثقافة التي اهلته لان يكون استاذا في حماه واستاذا في الطفيلة من اعمال الشرق العربي .

قرع ناقوس الثورة في البلاد فلم يستطع شهيدنا ان يظل سامعا صوت البلاد الداوي يصيح به وبامثاله لانقاذ الوطن وان يسكت عن تلبية تلـك الصيحة فاستقال من عمله وتوجه نحو السويداء برفقة الصحافي البلجيكي الذي قدم اليـه الابرة المغناطيسيـة (البوصلة) وقد كانت رجال الثـورة تستدل بتلك الابرة على تعيين الجهات اثناء الزحف .

انضم هذا الفقيد الى الوطني الاشهر سعيد العاص وابدى من الشجاعة والحماس في كل معركـة خاضها ان في الغوطة او في الشمال ما اطلق الـسن المجاهدين باللهج بما قام به وابداه . والوطنيون لا يزالون يذكرون له صموده وصبره في وقائع الشبك وايام الزحف على اكروم وايام مداهمة المخافر الى اخوانـه . لقد كان شهيرا بالرماية وباقتحام الاخطار وبايثاره شظف العيش على رفاهه وبالتضحية والاباء والشمم وكـان سريع الغضب سريع الرضى وكان على تجلد كبير يؤيد لـه ذلك ماابرزه من ضروب الشجاعة عندما سلم للسـلطة مع من كانوا معه في كارثة خربة غازي وبذلك كان فداء عن وطنـه وامته وبلاده فنال بتلك الشهادة ما كان يصبو اليه ايام حياته من كل جزاء وفاق فلفظ نفسه الطاهر الاخير خلال عـام ١٩٢٦ تاركـا من بعـده احفل الذكرى بالمحامد وانصع الافعال على مر الاجيـال .

الشـهيد عمر عمر باشا

شقيق النبيل نبيـل واخو الاصيل اصيل فهذا الشهيد عمر شـقيق الفقيد شفيق السابق ومن البداهة ان يكون هذا اصلا ومحتدا ونـبا وحسبا مثلما نقدمه سؤددا ومجدا . كـان شهيدنا ميـالا الى العـلم الديني كالفقه

والفرائض وميالا ايضا الى الادب والتاريخ فطالع الكثير منهما ورافق العلماء وتخلق باخلاق الكثيرين منهم وكان الى كل ذلك متقنا الرماية والفروسية ساهم في فاجعة ميسلون وقاد رجالا فيها شاقا لهم طريق المجد سائرا واياهم على غرار الاولين المجاهدين . كان محنكا وداهية وذا خبرة وتجريب وبما كان يمتاز به من تفكير قويم وراي اصيل لم يدع لاعدائه سلطة عليه ولا الى التمكن من فضح سر الاجتماعات التي كان يعقدها والمؤامرات التي يدبرها والخطط التي كان يرسمها حتى ان مستشار الشرطة المسيو بيجان كان من المعجبين بشهيدنا العزيز لما مني به من الفشل في كل مرة يطارده بها ولم يكتم هذا الفرنسي دهشته واستغرابه بل اعلنها في كثير من المواطن. كان الشهيد على مروءة وشهامة واخلاق نبيلة وكان في عداد الذين ذبوا عن الاخوة المسيحية في الميدان كما مر سابقا ومن اخص خلاله الوفاء والرجولة والاباء ومن كلماته الخالدة التي طالما رددها بمناسبة وغير مناسبة (الوطن بحاجة قصوى الى التضحية مالا وروحا ووقتا قام بواجبه الوطني مما جعله في عداد الشهداء وظل كذلك حتى كان خامس عشر كانون اول ١٩٢٥ وفيه تصدى له بعض الجنود الذين شاءوا ان يستروا هزيمتهم بقتل من يرونه امامهم مجاهدا كميا او اعزلا فاطلق النار عليه فخر يتخبط بدمائه صائحا ا الآن يمكن للمستعمر انتزاع سلاحي ولكن هيهات ان تصل يده الاثيمة الى انتزاع الروح الوطنية من فؤادي) وهكذا طوى هذا الفقيد الغالي آخر صفحة من صفحات حياته بشهادة حقة نالها مسطرا له في الخافقين ذكرى مجيد .

الشهيد عبد الوهاب الرجلة

من الرجال المثقفين الذين شاركوا المجاهدين في الثورة هذا الفقيد الذي قاتل قتالا مجيدا ودافع دفاعا عنيدا في واقعة زاكية عام ١٩٢٦ واستشهد عن خمس واربعين عاما .

الشيخ عارف النويلاتي

ليست الوطنية وقفا على فئة من المتعلمين او غيرهم ولا محتكرة بفئة من الناس دون فئة فشهيدنا هذا من التجار الذين لم ينتضوا بعمرهم سيفا ولم يسلوا حساما ورغم الرفاه الذي درج به والنعيم الذي تحدر منه ابرز شجاعة عظمى في واقعة جسر المطير فقضى شهيدا وله خمس وعشرين ربيعا عام ١٩٢٦

الشهيد علي خالد عليكو

كان شهيدنا هذا شرطيا وكان في عداد من قاتلوا وناضلوا الى آخر مدى في النضال طوى آخر ورقة من اوراق حياته التي كانت ثمانية وثلاثين سنة شهيدا في واقعة حمورة .

الشهيد عمر علي ظاظا

فارس مغوار وجندي شجاع هذا الشهيد قام بجلائل الاعمال بالثورة حتى انجلا له الموقف في واقعة جوبر فخر صريعا شهيد البطولة والواجب فكان له اربعين عاما من سنه .

الشهيد علي الطويل

من قرية دوما الغوطة هذا الشهيد الغالي من كان له في الجهاد مواقع ما تخلو من بسالة وما استثنيت من بطولة اخذ يمد الثورة بدمه ونضاله حتى كانت واقعة حرستا البواب عام ١٩٢٥ وفيها اتم الاربعين من عمره مستشهدا السماوات العلا والارض الدنا على انه يناهض بحق وقضى الشهيد .

الشهيد علي الصيداوي

بينا كان هذا المجاهد الباسل الفقيد يدافع عن اوطانه ويقتحم الاهوال بحسامه وسنانه واذ اصابته شظية من طائرة في واقعة حرستا خر على اثرها صريع الواجب وله من العمر اثني واربعين عاما .

الشهيد عبد الغني جمعة

شاب من الشباب الذين كانوا في المعارك ممن يباهى بهم ويفتخر ختم الثلاثين عاما من سنه بالشهادة في احدى معارك باب السريجة بدمشق عام ١٩٢٦

الشهيد فائق العسلي

اذا شئنا ان نوفي هذا الشهيد وصفه الحقيقي نستطيع ان نقول انه كان الحركة الدائمة التي ما تندفع وراء عمل وتعود من قضائه الا وتتابع السير الى غيره لاتمامه فهو ممن وصف بالجلد وتحمل المسئوليات بآن واحد ولد شهيدنا العسلي بدمشق وترفع في المدارس حتى كان في السلطاني وقد انست منه الحكومة الفيصلية نباهة وحزما وجدا فرات ان يكون مفتشا في الوزارة الخارجية ولما ان دخل الجيش الفرنسي محتلا عاصمة بني امية ووطد اركانه فيها حتى اصبح شهيدنا الفائق رئيسا لديوان الشرطة العام في الشام ومما يدل على حزمه وانتهازه الفائدة في كل مكان وزمان مداومته على الدراسة في معهد الحقوق بدمشق رغم قيامه بوظيفته خير قيام الى ان نال اجازة هذا المعهد وقد كان بوده ان يلتحق بالثورة قبل ان يتم دراسة الحقوق ولكن اصالة رأيه وسداد فكره صبراه الى النتيجة التي ما ان بلغ منتهاها حتى كان في عداد الثائرين مساهما في معارك الغوطة ولا نود ان نفجع نفس القارىء مرتين بذكر وصف الحادث الذي لفظ به هذا العزيز المتفوق نفسه الاخير اذ مر بنا قريبا ذلك بحيث لا نرى من حاجة لتكراره فقد فارق هذا العالم الفاني مجاهدا في جباتة الخشب على ما ذكرنا يرمق هذا العالم بنظرة ودعه بها الوداع الاخير وقد اودعه كل ما ينبغي للشباب ان يقوم به من بعد موته . انا لا نغرق ولا نبالغ اذا ماقلنا انه كان الحركة الدائمة فهو اداري ومعرب وكاتب وناثر له في عالم الادب كعب عالي وفي التعريب خبرة واسعة واداء للمعنى عظيم كان يدبج المقالات في جريدة

الميزان التي كانت تصدر في دمشق من قبل الاستاذ احمد شاكر الكرمي الشهير . وهو اديب بفطرته الاولى كان يبعث بكتاباته الى صحف الشام وهو لم يبلغ سن الحلم عرب رسائل غرام الراهبة البرتغالية وله غير ذلك من الاعمال القلمية والافعال السامية ما يضيق نطاق هذه الصفحة عن استيعاب ذكره فنكتفي بأن نقول عنه بأن فقده كان خسارة وفاجعة وجرح دامي في صميم الذكرى مانخاله بذاهب ابدا فيكفيه انه كان المثال الصحيح الذي يجب ان يحذو حذوه في كل عمل وفي كل فعل عندما نذكر الثورات والحريات والمطالب القومية فرحم الله من كان فائقا اسما وفعلا ومن كان شجاعا ذكرا وعملا .

الشهيد فؤاد ارسلان

نخص شهيدنا الغالي عزيزنا الشجاع بالجراة في وقت تتلجلج فيه الالسن وتضطرب فيه النفوس وتهلع القلوب فزعا وخوفا فقيدنا العزيز في العقد الثالث من عمره من ابناء حمص مدينة ابن الوليد ينتمي الى عائلة نبيلة خصب بالمجد والمحتد ولد في هذه البلدة وهو نجل الوجيه الكبير السيد رشيد رسلان كان الفقيد عضوا في جامعة الناشئة بحمص ورئيسا لفرقة الكشاف المسلم خالد بن الوليد واتحد مع البطل العظيم القاوقجي في اعماله قبل ان تنشب ثورة حماه ولما اعيته الحيل عن انفاذ خطط الثورة في بلده غادره الى الجبل الاشم عن طريق فلسطين . ساهم في الثورة السورية فكان في الغوطة مع اخوانه البررة واشترك مع البطل الكبير سعيد العاص في معارك الشمال فمثل البطولة اجمل تمثيل واحيا معالم الشباب وقادهم نحو مواطن العزة فكان من ابطال معركة عيون العلق ومن خيرة الشباب السوري اقداما وحزما عندما التقى الجمعان في تلك المعركة وحمل كل فريق على صاحبه أصيب الفقيد برجله فلم يستطع اخوانه الاهتمام بامره والعناية به اذ انهم كانوا في شغل لانفسهم عنه شاغل وقد توسل ان يحملوه معهم فلم

يتمكنوا من اجابة طلبه اذ كانوا يخشون ان يلحق بهم العدو فيدركهم وهم آخذون بالاهتمام به وهكذا ظل شهيدنا العزيز في مكانه وقد ادركته المصفحات فاخذت به حيا الى دار حسن آغا سويدان التي كانت للمستشار الفرنسي ومتصرف حمص فوزي الملكي مركزا ومحلا وهنا تقدم المتصرف من فقيدنا وقد شاء ان يتهكم عليه ويسخر منه مستجلبا بذلك عطف اسياده الفرنسيين ومتخذا من هذا الموقف مستغلا يباهي به ويفاخر بأنه من انصار اعداء الوطنية فسأله عن اسباب التحاقه بالثورة وهو من اسرة عريقة في مجدها نبيلة في مركزها فأجابه بأن الذي قام به انما هو عمل من الاعمال التي لا يمكن لمثل المتصرف ان يفقه منها شيئا على ماهو عليه من قلب ونفس وحس قال له بأنه التحق بالثورة ذبا عن الوطن ودفاعا عن الحرية وسعيا وراء تحقيق المطالب القومية وانه ليس بأول شهيد وآخر شهيد في سبيل القضية السورية العربية وانه ليس بالضحية الواحدة التي يضحيها الاستعمار على مذبح شهواته من غير ان يرع الاً ولا ذمة وانه يستعذب الموت من قاتلي الانسانية ويؤثره على الحياة بدل كالحياة التي يحياها المتصرف واشباهه من مطايا الظالمين والمستعمرين . لم يتم بطلنا الجريء وشجاعنا ومقدامنا كلامه حتى استشاط المستشار غضبا مما راى من حماسه فصوب الى دماغ الحبيب الشهيد مسدسه وافرغ رصاصه فيه فخر على الارض يجأر بالدعاء الى الله أن يرد كيد الظالمين الى نحورهم ويبتهل له تعالى بأن يقرب اليوم الذي فيه يلاقون جزاء ما صنعت ايديهم وهكذا كان هذا الفقيد الفادي فاديا كل اخوانه بحياته ومضحيا نفسه في سبيلهم وفي سبيل الوطن ومقدما حياته فداء عن حياتهم فلم يتعقبهم جيش ولم يظفر بهم عدو ولم ينل خصمهم منهم مناه وهكذا كان هذا الفقيد مثلا اوليا بتكريس حياته بالفعل لا بالقول في سبيل ربه وفي سبيل وطنه وفي اللفيف الذي تركه من اخوانه وفي سبيل الجراة الصحيحة وبذلك ترك المثال الفرد الذي يجب ان يشاد به ويلهج بذكره ويردد على المدى فيكون الفقيد حيا باقيا دائما .

الشهيد فوزي معتوق

قليل من الثائرين الذين ساهموا في هذه الثورة المباركة وكان لهم من العمر ما لهذا الشهيد الذي لم يكن له الا خمس عشر عاما عندما خر صريع الوطنية في واقعة بلده مقتبسا صلابة العقيدة عن استاذه العلامة الشيخ علي الدقر الملمع اليه .

الشهيد فارس نعمو

غني شهيدنا هذا بماله وغني بنضاله ظل يقاتل في الثورة حتى كان له من عمره ثماني وثلاثين عاما فاذا به يخر في ميدان الشرف شهيدا .

الشهيد محمد العروبي

تعتز الثورة بدهاء هذا الشاب الذي على يفاعة سنه وحداثة عمره خدم المجاهدين اجل الخدمات بما كان يوهم به القوى الفرنسية فتضطر الى الانسحاب قبل ان تشترك مع الثائرين ويمتاز هذا الفتى الشجاع بانه كان ثائرا وليس مع الثائرين وكان مجاهدا وهو في عداد القاعدين وكان ياتي للوطنيين بأصدق الانباء فتتخذ الاهبة وتستعد للنزال حتى لاتؤخذ على حين غرة وكثيرا ما كان المجاهدون يوقعون اشد الخسائر باعدائهم بفضل هذا الشاب الوطني الخلوص وقد ساهم في اكثر المواقع من غير ان يعلم به رجال السلطة وظل كذلك حتى القي القبض عليه بتهمة التواطؤ مع الثائرين وقد سيق الى ديوان الحرب بدمشق ففر واستطاع الالتحاق بالمجاهدين يشترك في معارك الغوطة وفي معارك الشمال وكم كان يبرز من صنوف الشجاعة والحماس مالا يمكن لكاتب ان يحده بوصف وهو في جملة ضحايا كارثة خربة غازي فذهب طعمة الغدر من بعد ان ذاق امر العذاب ففي ذمة الله ما فعل به المستعمر وفي سبيل الوطن ما لاقى هذا البطل من اهوال

وقد فارق هذا العالم عام ١٩٢٦ مزدوا بعطف كل من وقف على صنائعه الحسان تغمده الله بالرحمة والغفران .

الشهيد محمد ابن حامد الفحل

مثل هذا الشهيد العزيز في الثورة مركز الشرع الاسلامي فيها ورفع شأن العلم الديني هنالك وكان الاول بين طلاب العلم في تلك الثورة وهو احد مريدي العلامة الشيخ الدقر يمتاز هذا الفقيد بانه من حفظة القرآن الكريم وانه عامل بسنة رسوله العظيم وانه كان مثال الشريعة المحمدية الحنيفة وهذا بحق ممن لبى داعي ربه فعمل بما اقتضاه الدين الاسلامي من الجهاد الحق وسار على غرار السلف الصالح وما كان ليهدأ له جانب او ليستقر به مضجع وبلاده بين انياب الاستعمار مرة ومخالب الاضطهاد مرة اخرى . لذلك التحق بالثورة عن عقيدة وايمان ومبدا واستبسل استبسالا عظيما كان في نهايته في واقعة عقربا بعد التطويق من جملة الشهداء الاخيار يبسم للموت عن حق وصدق وايمان وكان له عندما خر صريعا في سبيل ربه خمسا وعشرين عاما من العمر .

الشهيد محمد الشب

قرية كفر بطنا انابت باشتراك هذه الثورة هذا الفتى مع من انابته عنها من رجالها فقام بهذا الواجب اخير ما يقوم به شجاع صنديد اذ ظل يقاتل حتى كانت معركة بيت سوى عام ١٩٢٦ وفيها انهى الخمس وعشرين عاما من حياته بالشهادة في سبيل بلده ووطنه وامته .

الشهيد مصطفى الاغواني الشهير بمستو الاغواني

في جملة من كان في معركة الزور الاخيرة عام ١٩٢٦ هذا الشهيد البطل الذي ملأ آفاق الثورة واجوائها بطولة وشجاعة وقضى شهيدا في الاربعين من العمر .

الشهيد محمد علي ظاظا

تاجر ومزارع هذا الشهيد وباسل وشجاع ومناضل ظل في الجهاد يكافح حتى كانت واقعة المديرة وفيها اتم الخمس والاربعين من عمره شهيدا يفاخر به ويباهي .

الشهيد محي‌الدين عمر جمو

من الفرسان الذين طبق ذكرهم ارجاء الخافقين ومن الابطال الذين كانت لهم الوقائع المشهورة والمعارك المعلومة هذا الشهيد الذي كان جنديا فارسا وكان له ثمان وثلاثين عاما يوم خر صريع البطولة والفروسية في واقعة باب الجابية بدمشق .

الشهيد محمد حسن ايوبي

ان هذا الشهيد ممن احرز الشهادة الابتدائية وكان فارسا على قسط وافر من الوطنية والحماس التحق بالثورة وكان فيها مقداما لفت الانظار الى شجاعته في اكثر المعارك حتى اذا ماكانت واقعة قطنا ابرز فيها من ضروب الطعان والنزال ماختم به الخمس وثلاثين من عمره شهيدا فيها .

الشهيد مهدي قزيها

اشتهر هذا الشاب الشهيد بصنع المفرقعات في الثورة وكان له عمل ماثور وجهاد مبرور عن هذه الطريق في الثورة وقد قام بواجبه السامي خير قيام سجل له الشهادة عندما كان في الخامسة والعشرين عاما واكد له الفخر والذكر والصيت .

الشهيد موسى مللي

من جملة الموظفين الذين آثروا القيام بواجب الجهاد على القيام باعمال

الوظائف هذا الشهيد الباسل كان مع المجاهدين في الثورة وكانت له مواقفه شهيرة وكان ممن برز في مواطن القتال قضى آخر يوم من سنه الذي كان اربعين عاما في واقعة الشاغور شهيدا مبرورا .

الشهيد محي الدين رجب

قام هذا الشهيد البطل بواجبه من الدفاع عن حيه ووطنه من بعد ان كان ثائرا يدافع عن بلاده وناضل نضال الاسود عن عرائنها في حي الاكراد حتى لفظ آخر سنه من الاربعين من عمره خاتما اياها بالبطولة والشهادة .

الشهيد محمد مصطفى مللي

على رغم ما كان عليه هذا الفقيد من العمل التجاري فانه كان غيورا على وطنه التحق هذا الشهيد بالثورة وجاب وقائعها وانتهى به المطاف في واقعة بابيلا وفيها استشهد عن ست وثلاثين عاما قضاها بنبل واخلاص .

الشهيد محمود بيروتي ظاظا

هذا الشهيد من الذين برزوا في الوطنية فكان لهم قدح معلى وتقدموا في الجهاد فكانت لهم قدم راسخة قاتل في اكثر المواقع الى ان انتهى من عمره الذي هو خمس وثلاثين عاما في معركة فكا شهيدا عظيما .

هذا هو كل ما استطعنا ان نحصل عليه وان يصل الينا من شهداء اخيار ومجاهدين ابرار وهذه كل ما بلغتنا من سيرهم ايجازا واسهابا فالى كل ممن نستطع ان نوفيه مايستحقه جهاده من شرح وتفصيل ممن ذكرنا نرفع هذا الاعتذار اليه ولعلنا نحصل على تراجم بقية الشهداء فنذكرهم في الطبعة الثانية ان شاء الله .

مصـــــادر الكتـــــاب

١ الثورة السورية الوطنيـــة مذكرات الدكتور شهبندر اصدرته جريـدة الجزيرة بدمشق

٢ رسائل اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري وسجلاتها .

٣ خطط الشام للعلامة الجليل محمد كرد علي .

٤ الثورة العربية الكبرى للمؤرخ الكبير المعاصر امين سعيد .

٥ صفحة من الايام الحمراء للمجاهد الشهير محمد سعيد العاص .

٦ دليل المهاجرين للصحافي الفاضل قاسم الهيماني البقاعي .

٧ جبل الدروز

٨ حوران الدامية للاستاذ الاديب حنا ابي راشد

٩ ديوان الثورة السورية جمع وترتيب الكاتب الاديب ياسين عرفة .

١٠ قرارات المفوضين السامين بدمشق أصدرته جريدة الشعب .

١١ دمشق تحت القنابل مذكرات الكاتبة الافرنسية الشهيرة آليس بولو ابان الثورة السورية .

a Damas sous les Bombs Journal d'un Francaise pendant la Revolte Syrienne 1924—1925 Alice Poualleau

١٢ كيف استقرت فرانسا في سوريا تأليف الكونت غونتنبرون .

Comment la France s'est installée en Syrie par G. G.

١٣ الحقيقة عن سورية « مدام سان بوان » .

١٤ بعض صحف ومجلات عربيـة وغربيـة كانت تصـدر خلال الاعوام ١٩٢٠ ــ ١٩٢٧ .

١٥ الرسائل والاخبار التي اتحفني بها عظام رجال الثورة السورية وكبار ابطالها الاحرار .

لو قدر لاحد من القراء الافاضل ان ينهج النهج الذي آليت على نفسي انتهاجه في تاليف مايعن على البال تاليفه باي موضوع من المواضيع لقدر لي الجهود العظيمة التي بكل تواضع افتخر بانني قمت بها غير باغ من وراء ذلك الا ان كان النفع الشامل فيما اذا اشتمل هذا الكتاب على ما ينفع به الامة والخدمة العامة للوطن فيما اذا لمعت من بين ثناياه وطواياه فائدة او حكمة فالمشاق والمصاعب التي يقاسيها المؤلفون وقد قاسيت ماقاسوا تدفعني لان ارفع جزيل الشكر وعظيم الثناء وابلغ الاحترام الى كل من اخذ بيدي نحو جادة الصواب فهداني اسوا السبل وانجعني من منهل عرفانه العذب ماتاح لي القيام بهذا العمل الذي ارجو ان اخلص منه الى كلمة « قمت ايها المؤلف بالواجب » ان كنت استحقها فالى كل من اطرفني بما لديه من اخبار الثورة السورية دقيقها وجليلها ممن ذكرت اعلاه اقدم خالص الشكران ومنتهى الامتنان وابلغ الاحترام ومازال الكل المنهل الصافي والمنهاج الوافي دمشق (المهاجرين) الاقليم السوري من الجمهورية العربية المتحدة . تلفون: ١٣٩٤٢٣

الحسيني

الدكتور محي الدين عبدالرحمن السفرجلاني

الفهرس

انتهى الكتاب بحمد الله تعالى وتوفيقه

ذكرى ومعـذرة

ظهرت اخطاء مطبعية لايخلو منهـا كل كتـاب ممـا لاتخفى على فطنـة القاريء اللبيب . فمعذرة (والعصمة لله وحده) .

المؤلف